(كانون الثاني) ١٩٨٩، جمادى الثانية ١٤٠٩

# المختار

من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest January '89 N° 122



أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا





# المختار
## من ريدرز دايجست
### مجلة شهرية


رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

---

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت
رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE
الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

---

AL MUKHTAR min Reader's Digest







Editor-in-Chief Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.





MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

January 89 N° 112 (New Series) Vol. 11)

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.





نان ٣٥٠ل - سورية ١٥ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحده ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف -
سعودية ١٠ر - مصر ١٠٥ح - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٧ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب -
ونس ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا واميركا الشمالية ٢٠٥د




نسكافه



# يناير شهر النور

إن التوقعات والآمال في شهر يناير (كانون الثاني) حادة الى درجة مؤلمة. ستعود الشمس، لا شك في ذلك، لأن الفجر ينبلج دقيقة أبكر كل صباح والغسق يتثاقل لحظتين أطول كل مغيب. وتتمدد هرتي على الثلج عند الظهيرة وعيناها الذهبيتان تومضان تحت الضوء الذهبي.

النور. يناير هو شهر النور. لقد أطلقت عليه كل الاسماء الا هذا الاسم — قمر البرد القارس، قمر المياه المتجمدة، شهر الجدي، الشهر ذو الوجهين. ولعل آخر هذه الأسماء هو أفضلها، ليس بسبب معناه الزائف الذي رُبط بأسطورة يانوس(١) الروماني، بل بسبب وجهه المشرق ووجهه العابس اللذين يظهرهما للعالم على نحو جلي. البرد القارس يلي ذوبان الثلوج، والهواء الدافىء يلي العاصفة.

(١) يانوس (Janus) هو أحد أرباب الميثولوجيا الرومانية، ومن اسمه اشتق اسم شهر يناير (January) .

وتهبط الغيوم السوداء الدكناء الى مستويات منخفضة تخال معها أنها ستقع على الأرض، وتتساقط منها فجأة راقصات باليه في حلل بلورية بيضاء، ويتناثر الثلج على الأشجار العارية طابعاً على جذوعها نقوشاً. وتتوالى نفحات الثلج أمام النافذة فتخالها سحب دخان. اللآلىء تملأ الجو. البحر والسماء والجبل تلبس رداء رمادياً مبيضّاً يضفي رتابة باردة، الى أن يتوهج نور الشمس، فينير ذهبُهُ الاشجار ويدفئها.

ويخصص المنجمون اللون البني لبرج الجدي، رمز شهر يناير. وآمل ان يكون البني الضارب الى الحمرة هو المقصود. أحياناً، في وقت متقدم من فترة بعد الظهر، تسطع الشمس على الشاطيء بالقرب من بيتي فتبعث الدفء في الجذوع والقضبان التي جرفتها الامواج، وتضفي عليها حمرة متدرجة محببة لدى مصفّفي الشعر المهرة. ويصطبغ الخشب المكوَّم تحت السقيفة بالحمرة نفسها فيبدو كأنه التقط النار قبل الاوان: خشب الأرز زهري وخشب التنّوب قرميدي وخشب الصنوبر أسمر ضارب الى الصفرة. كلها مشرقة تحت سماء يناير.

قد يكون اللون البني المحمرّ حطبة تشتعل في المدفأة، فقد كان القدماء يعتقدون أن برج الجدي هو في حماية فستا(٢) . كما يمكن أن يكون عقيقاً أحمر، وهو حجر الحظ لشهر يناير وقد يكون ايضاً زهرة هذا الشهر: القرنفل. عندما أفكر في شهر يناير لا يسعني الا أن أفكر في زهرة. وهي ليست بفكرة غريبة اذا ما أخذنا في الاعتبار الحدائق النضرة المرسومة على النوافذ الزجاجية الباردة.

يناير. زهر اكتسى ثلجاً. نار مضرمة في المدفأة. الجميع في مأمن في البيت. إنه انتظار ووعد: وعد بعودة الحياة والجمال الى كل بقعة من العالم، الى كل شجرة مقصوفة، الى كل نبتة، الى كل نهر متجمد، الى الفراشة والخنفساء والدبور والعنكبوت والخفاش والأفعى والسمندر والجدجد والبعوض المزعج، كل هذه التي تنتظر رحيل الشتاء.

سفينتنا تمخر عباب عام جديد تحرسها نجمة تهديها الى الطريق. تشرق الشمس لتبلغ كبد السماء. وفي فناء بيتي هريرة سوداء تحاول تسلق جبل ثلج يرتفع عشرة سنتيمترات.

**جيليان دوغلاس**

(٢) Vesta



## خبر محزن

بان القلق والهم على وجه طفلتي فيما كنت أقبِّلها لتنام. فسألتها عن السبب فاجابت: "أود ان اخبرك، لكنني أخشى أن أسبب لك الكآبة."

فقلت: "لا، أعدك بألا أكتئب. أخبريني ما السبب."

قالت: "حسناً، ان بابا نويل (سانتا كلوز) غير موجود."

غ.ج.

## لمن تشرق الشمس؟

كنا نناقش العرض الجاري لنادينا السينمائي عندما انضمت الى مجموعتنا سيدة تنظر بتشاؤم الى الحياة احياناً وقد بدت في هذه المناسبة غارقة في الكآبة اكثر من أي وقت مضى. اخبرتنا أن عرض عمل قُدِّم اليها ولكن بمعاش ضئيل جداً، واسترسلت في وصف مرّ لحال العالم عموماً.

فتدخل زوجي، وهو متفائل بطبعه، ولفت نظرها بمرح الى ان الدنيا بالف خير. وقال: "على الاقل، ما زالت الشمس تشرق كل يوم."

فرنت اليه بنظرة حزينة وقالت: "الشمس تشرق، نعم، ولكنها الشمس نفسها، كل يوم."

أ.ش

## انا اهتف...
## اذاً انا موجود!

اشتريت آلة للرد على الهاتف بعبارات مسجَّلة بصوت رجل. وعندما عادت والدتي من العطلة نسيت ان اخبرها عنها.

وفي السبت التالي رن الهاتف وأجابت الآلة. وبعدما بثت العبارات المسجلة وحان دور المتصل ليحكي على الآلة ما يريد قوله، اعاد المتكلم السماعة الى موضعها. ثم رن ثانية وتكرر الوضع الاول. في المرة الثالثة نطق المتصل: "هنا امك، كما اعتقد. فاذا لم اكن مخطئة الرجاء ان تتصلي بي."

ب.ج.ب.

## مطلوب مأكولات ضارة!

بعد عودتي من دكان البقّال، وفيما انا منهمكة في إفراغ مشترياتي دخل ابني المراهق (١٥ عاماً) المطبخ وسألني: "ماذا ابتعتِ من أطايب يحلو أكلُها؟"

فاجبت: "سلعاً عدة: عنباً، برتقالا، تفاحاً..."

فقاطعني: "دعيني أسألك بطريقة اخرى: ماذا اشتريت من سلع يضرّ اكلها؟"




Tom Wilson, Universal Press Syndicate

## مَن راقب الناس...

اصيب زوجي في إليته فكان يمشي بشق النفس على رغم عضلاته المفتولة. وفي الطريق الى الطبيب توقفنا امام محطة بنزين حيث الخدمة ذاتية. فجررت نفسي، انا الحامل في شهري الثامن، من وراء عجلة القيادة وبدأت بالضخ. وكان في الجوار رجلان ينظران الى زوجي، الذي بقي في السيارة، ثم يلقيان نظرة عجلى عليَّ. وسمعت احدهما يقول للآخر: "لا يأخذنك العجب، يا صاحِ، فهما زوجان متحرران!"

إ.م.

## التلفاز قبل الحمام

القى صعوبة بالغة في اقناع ابني، البالغ تسع سنوات، بأخذ حمامه. فهو يتذرّع دائماً ببرنامج تلفزيوني عليه ان يراه عندما ادعوه الى الاغتسال. وفي ليلة يوم سبت طلبت منه ان يقرر افضل وقت يناسبه ليدخل حوض الاستحمام. وبعدما راجع دليل البرامج التلفزيونية جاء اليّ وقال: "مامي، اظن ان يوم الثلثاء في الثامنة والنصف هو افضل وقت... يناسبني."

س.ج.هـ.

## سقى الله ايام زمان!

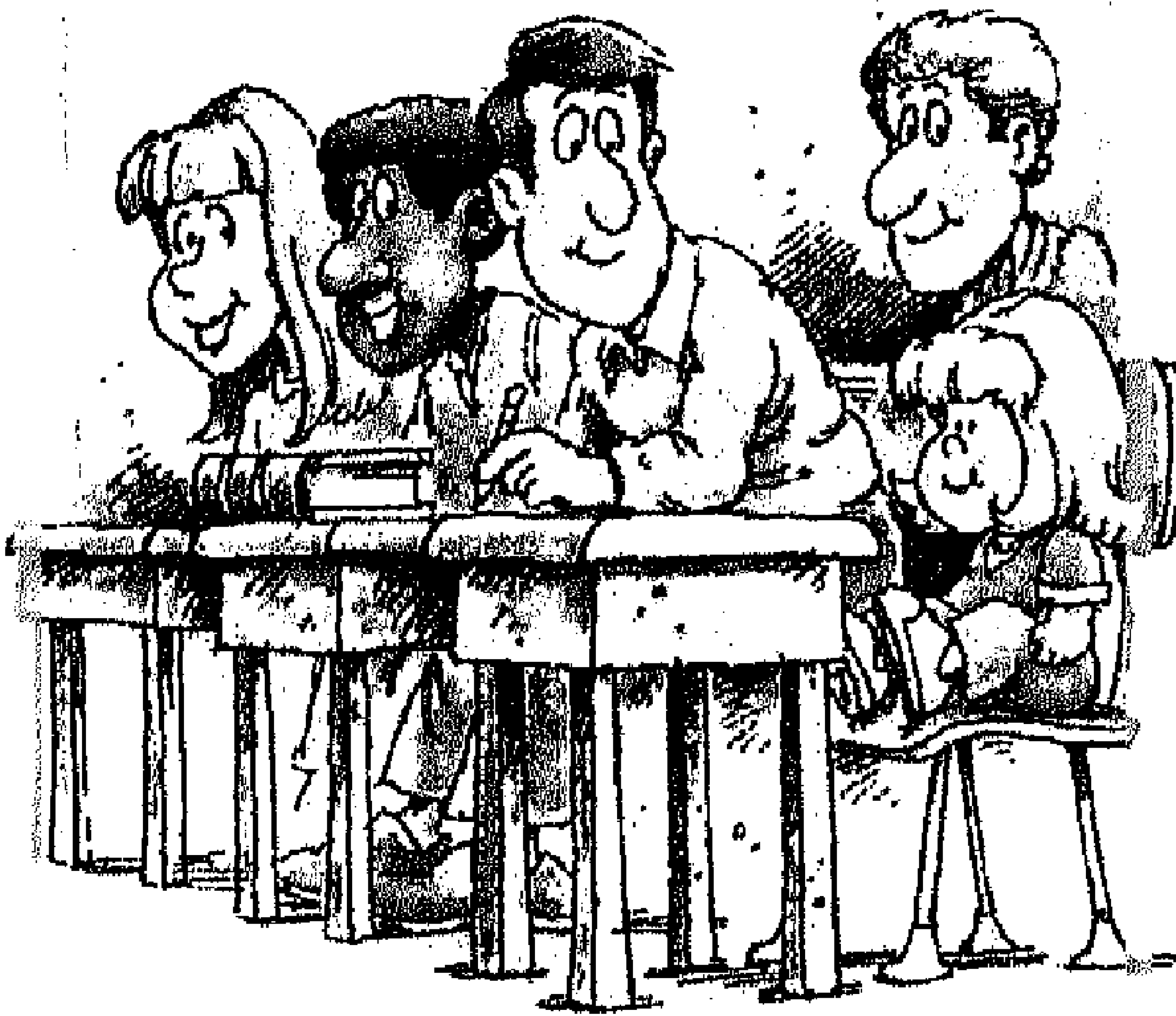
كنا انتهينا من تجديد مطبخنا عندما قدِمت جدتي لزيارتنا. فأريتها بفخر كبير الثلاجة - المجمدة، وغسالة الصحون، وغسالة الثياب والمجففة، والطباخ الكهربائي مع جهاز التوقيت التابع له، وجهاز التخلص من النفايات. تأملت بإعجابٍ كبير كل شيء ثم جلست تراقبني احضّر الغداء. وفجأة سألتني: "لو طلب منك ان تحتفظي بواحدة من هذه الآلات المريحة، فايها تختارين؟" فكرتُ جيدا في الموضوع، وازنة ايجابيات كل منها، وقررت اخيراً ان البراد هو الوحيد الذي لا يمكنني الاستغناء عنه.

فضحكت جدتي في سرها وقالت: "لو كنت مكانك لاخترتُ المياه الجارية ابداً."

ف.ك.

## طالبة حساب

ذات صباح كنت أتحدث الى أحد المدرسين، فأفلتت ابنتي ذات السنتين من يدي ودخلت أحد الصفوف. وكان ذلك صف رياضيات، ولشد ما كان ارتباكي عندما رأيتها جالسة في المقعد الامامي.


ILLUSTRATION: DAVE ALLEN

دخلت لاستعيدها فأوقفني المدرس قائلا: "يا سيدتي، أنا أدرس الرياضيات في هذا المعهد منذ عشرين سنة. وخلال هذه المدة لم يدخل صفي أحد من تلقائه، باستثناء هذه الصغيرة. "أرجوك أن تدعيها."

ك.ش.

## صخور خليج فاندي في كندا مفاتيح لحل لغز الانقراض الجماعي للديناصورات وغيرها قبل ملايين السنين

# متحجّرات بارسبُورو

بارسبورو في نوفاسكوشا (كندا). أواخر العصر الترياسي قبل ٢٠٠ مليون سنة. دلتا نهر تغذيها الامطار الموسمية وتمتد الى بحيرة ضحلة في واد عريض. دينوصورات من نوع الفيتوصور تشبه التماسيح تخوّض في الماء مخلّفة دوّامات كلما حركت ذيولها ملاحقة الاسماك الصغيرة. ضفاف النهر مورقة بالسرخس (الخنشار) الغريب والاعشاب المائية. حيوان سفينودونتيد يشبه سحلية طويلة القوائم يثب ويمسك يعسوباً بين فكيه.

وعندما نبعد في الداخل تهب نسمة دافئة رطبة من بين اشجار الجنكة والصنوبر. وتقفز ايتوصورات مدرّعة فوق المسطحات الموحلة مفتشة عن جراد البحر. حيوانات صغيرة تشبه ضفادع ذات قرون، رؤوسها مربعة ومتوجة بنتوءات عظمية طويلة، تقعقع عبر شجيرات



أحد الاكتشافات: جمجمة بروكولوفونيد شبيه بالسحلية.

السرخس. سحليات غريبة تمدد أقفاصها الصدرية الناحلة لتشكل أجنحة وتنساب فوق أعالي الغابة الخضراء.

ثم تحل الكارثة. يلمع الافق الشمالي بنور يعمي الابصار، وتقعقع هزّة عنيفة تمتد في الارض فتدمر الغابات وتدك الجبال. قد يكون ذلك نيزكاً ضخماً تبخّر بعد اصطدامه بجو الارض مشكلا جداراً من الغاز يتحرك بسرعة وتبلغ حرارته ٤٤٢٥ درجة مئوية. منطقة بارسبورو في طريقه.

الحطام الناتج من الانفجار الهائل يغلف الارض كلها حاجباً الشمس. فيعم ظلام دائم وتتجمد المياه. تنفق الحيوانات وتذوي النباتات فيزول نصف الكائنات الحية في نهاية خاطفة وموحشة لطور هانيء عاشته الكرة الارضية.

وخلال ملايين السنين التي تلت ذلك دفنت طبقات الترسبات جميع معالم الفاجعة. تحوّل الوادي حوضاً يغذي خليج فاندي جنوب شرق كندا. تفتتت الجبال، حجراً بعد حجر، ولم يبق منها سوى نتوءات صخرية تظهر في الماء عند الجزر.

انها بداية حياة جديدة وافرة.

ذات يوم دافيء من صيف ١٩٨٦ انطلق عالمان شابان على امتداد الجرف الصخرية الشديدة الانحدار المحاذية لخليج فاندي والتي تبعد حوالى عشرة كيلومترات شرقاً من بارسبورو. بول أولسن أستاذ في الجيولوجيا (١) بجامعة كولومبيا وأحد الباحثين المتضلعين من العصر الترياسي الاخير والعصر الجوراسي الباكر في شمال أمريكا، يرافقه نيل شوبن وهو طالب جامعي في علم الاحاثة (٢) من جامعة هارفرد. حملا المعاول والمطارق وجاءا الى فاندي ليبحثا عن آثار لما يسميه الجيولوجيون "الطور الذي نسيه الزمان."

تعرف أولسن وشوبن الى الموجودات الفريدة في تلك المنطقة. كانت هناك وفرة من الصخور الرملية، حيث توجد المتحجرات عادة، وجوانب مكشوفة من الجبال تبدي طبقات قديمة من الارض. كان منظر الصخور مؤثراً: ساحل طويل مثلم من الحجر الرملي الاحمر والصلصال يرتفع ثلاثين متراً أو أكثر وقد نقش بالبازلت الاخضر الداكن. ويلتف هذا الساحل حول الخليج كأنه جرح عميق فيه. وبدا كأن الارض انشقت كاشفة ترسبات صخرية تجمعت خلال مئات الالوف من السنين طوراً بعد طور.

كان زملاء شوبن في جامعة هارفرد مشككين في حقيقة بارسبورو. وهم زعموا أن الاكتشافات الرئيسية للمتحجرات في أمريكا الشمالية تقتصر على الغرب حيث رفعت الجبال الشاهقة طبقات الارض القديمة العميقة. لكن أولسن وشوبن أصرا على المحاولة. يقول شوبن: "في البدء لم نجد شيئاً، فبدأت أعتقد أن نقّادي قد يكونون على حق. وذات يوم حشرني المد والجزر داخل كهف صغير لم يكن استكشف بعد. فجأة خالجني إحساس غريب. نظرت حولي فإذا بعظام ناتئة في المكان كله."

(١) الجيولوجيا علم طبقات الارض.
(٢) علم الاحاثة أو البليئتولوجيا (paleontology) علم يبحث في أشكال الحياة في العصور الجيولوجية السالفة كما تمثلها المتحجرات الحيوانية والنباتية.

Photos: Courtesy Paul Olsen

وفعلا كان ذلك اكتشافاً ساحراً شمل قرابة مئة ألف قطعة، بعضها في حجم رصاصة القلم، تعود الى مخلوقات تشبه الدينوصور والى سحليات وسمك قرش وتماسيح منقرضة. كانت هنالك جمجمة لتمساح مسيف الاسنان، تنفر من جانبي فكه الاسفل اسنان مزدوجة.

**صناديق حجرية.** كانت المتحجرات مكدسة بكثافة كبيرة مما جعل بعض العلماء يعتقدون أن هذه البقعة من الارض كانت يوماً منطقة جلاميد ضخمة كانت السفينودونتيدات السريعة وغيرها من الضواري تجر اليها فرائسها مما أدى الى تجمع تشكيلة من العظام. وكشفت الحفريات قطعاً عائدة الى ثلاث عشرة جمجمة لحيوان نصف زاحف ونصف ثديي يدعى تريثيلودونت، لم يكن اكتشف مثله بهذه الوفرة في أمريكا الشمالية ولا في أي مكان آخر.

وكشفت الحفريات المتلاحقة أيضاً ما يُعتقد إنه الأموسور وهو أكبر حيوان وجد الى الآن في بارسبورو. ويبلغ طول هذا الدينوصور مترين تقريباً، وهو ذو رقبة طويلة وأسنان منشارية معدة لمضغ النبات. والى الآن استخرجت الاجزاء الرئيسية لهيكلين عظميين. وبدأ فريق حفر يعمل برعاية متحف نوفاسكوشا في هاليفاكس استخراج الاجزاء الباقية لهذا الحيوان بالمطارق والأزاميل. وقد استخرجت من داخل بطنه حجار صغيرة مستديرة كان ابتلعها لتساعده على



نيل شوبن (الى اليمين) وبول أولسن "يمشّطان" جرف بارسبورو بحثاً عن عظام تعود الى ملايين السنين.

الهضم. ويقول أمين المتحف غرانثام: "تختلف هذه الحجار عن تلك التي نجدها هنا. ونستنتج من ذلك أن الحيوان كان أكلها في مكان آخر ثم تجول في الوادي حيث نفق."

ان الاكثرية المطلقة من متحجرات بارسبورو المكتشفة تصنف "عظاماً مفرومة" وهي قطع صغيرة جداً مطمورة في صخور رملية ضاربة الى الاحمرار. وتحرير قطعة واحدة من صندوقها الحجري البالغ من العمر ٢٠٠ مليون سنة يستوجب مئات الساعات من الحك بأدوات مسننة تحت مجهر يكبر الاشياء عشرين مرة. وبعد ذلك فاما أن تغرّى وتلصق لتشكل فكاً أو جمجمة أو قائمة واما أن تترك معروضة داخل الحجر لاجراء دراسات أشمل. يقول أولسن: "تصور نفسك تضرب كوباً خزفياً بحائط حجري وتهشمه قطعاً صغيرة ثم تغلف الحطام بالجص، وبعد مرور ملايين السنين تعود لتعيد جمعه. هذا ما نحن في صدده الآن."

**تأريخ دقيق.** ان اكتشاف المتحجرات أمر عادي في أمريكا الشمالية. لكن آثار بارسبورو تعود الى عصر شبه مجهول شهد انقراض فصائل كثيرة وتبعه ظهور فصائل جديدة. لقد كان التحول مفاجئاً جداً، لذلك يسمى "الحد التریاسي - الجوراسي"(٣).

يقول شوبن: "لم يعطِ أي اكتشاف آخر صورة شاملة كهذه للحياة على الارض آنذاك." ويخرج بعناية فائقة فكاً مصغراً لحيوان تريثيلودونت، يبلغ طوله ثلاثة سنتيمترات، من صندوق زجاجي في مختبره بمتحف هارفرد لعلم الحيوان المقارن. وبعدما وضع الفك على طاولة مرر رأس قلم رصاص على هيكله الرقيق. قال: "ان شكل أسنانه وترتيبها شبيهان جداً بأسنان الحيوانات الثديية. ولكن لما كانت هذه الاسنان تتبدل باستمرار كلما سقطت فهو من الحيوانات الزاحفة قطعاً. وبعض الصفات المشتركة لفكه وقائمتيه الاماميتين وحتى قحف دماغه تظهر بعض الروابط بين الزواحف والثدييات." وعلى رغم أن جماجم عائدة الى تريثيلودونتات وجدت في جنوب أفريقيا وفي الارجنتين، فإن متحجرات بارسبورو تعد بتقديم سجل أكثر تفصيلا عن التطور.

وهناك ظاهرة ثانية لمتحجرات بارسبورو هي إمكان تأريخها بدقة. وتؤرخ المتحجرات عادة من طريق قياس كثافة الطاقة الاشعاعية الاصلية المتحللة(٤). لكن هذه الطريقة قد تخلّ بما يراوح بين خمسة ملايين وعشرة ملايين سنة. أما التكوين الصخري لمتحجرات بارسبورو فقد مكن أولسن من معرفة عمر المتحجرات بخلل لا يتعدى ٢٠ ألف سنة. وهذا قياس ممتاز لأعمار يعود معظمها الى مئات ملايين السنين.

**نظرية الكويكب.** في موقع الحفر يقطع أولسن بمعوله كتلة من أسفل المرتفع الصخري، ثم يمرر سبابته الصلبة على طبقة من الحجر الرملي ويقول: "ان صخور فاندي هي سجل دقيق لمرور الزمان. كل طبقة من الترسبات تكونت

(٣) Triassic — Jurassic boundary

(٤) Radiometry

خلال فترة زمنية مختلفة تماماً، مثل تكوُّن الدوائر في جذع شجرة. فالمتحجرات داخل كل طبقة يمكن ربطها بزمن محدد وكأنها جاءت ضمن ظرف يظهر عليه تاريخ."

وهذا التأريخ الدقيق قد يقودنا الى الحقيقة الاولى عن سبب الانقراض الجماعي لحيوانات العصر الترياسي. والانقراض الجماعي ظهر ست مرات على الاقل في تاريخ الارض. وهذه الكوارث الظاهرة في التغير المفاجىء الذي أصاب سجل المتحجرات، أربك علماء الاحاثة طويلا. وتوصلت جماعة من العلماء في جامعة كاليفورنيا في بيركلي الى دلائل على أن مذنباً ضخماً كان السبب في احدى تلك الانقراضات الجماعية التي قضت على الدينوصورات قبل ٦٥ مليون سنة. أحدث هذا المذنّب (أو الكويكب) عند اصطدامه بالارض غباراً كثيفاً في الجو غطى الكوكب بالظلام لعدة أشهر. ولم ينج من هذا الحدث الا بعض الاجناس العظيمة الاحتمال والتي تتمتع بقدرة هائلة على التكيف، فمهدت السبيل لمجموعات جديدة.

يقول أولسن: "في البداية كنت مشككاً." ثم طرح زميله مارك أندرز، وهو طالب في بيركلي، فكرة الصلة بين نظرية الكويكب وأنماط الانقراض المكتشفة في بارسبورو. يقول أولسن: "هنا كانت فصائل غريبة من الزواحف تزحف في البحيرة الضحلة، وحيوانات سريعة جداً تعيش على الشاطىء، وفصائل تشبه الثدييات تسكن تحت الاشجار في غابات العصر الترياسي الاخير. بعد ذلك نصل الى حاجز في فترة ما قبل التاريخ اجتازه عدد ضئيل من الفصائل الحيوانية. من الواضح حصول أمر مفاجىء وعنيف."

وكان أندرز أشار ايضاً الى امكان وجود علاقة بين ما حدث في بارسبورو والحفرة العملاقة في مانيكواغان في شمال شرق كيبيك، وهي ندبة عميقة تركت في الارض منذ مئات ملايين السنين عندما صدمها كويكب، أما الفتات الناجم عن هذا الانفجار فتوزع في كل اتجاه وبلغ خليج فاندي.

**رأس دبوس.** أحد العناصر المعروفة الناتجة من اصطدام الكويكبات بالارض هو الايريديوم، وهو معدن شبيه بالبلاتين يندر وجوده على الارض. لذلك فإن البحث جار في بارسبورو عن طبقة تحوي هذا المعدن الثقيل. ويقول شوبن: "ان بارسبورو مهمة كفاية الآن. واذا صحت نظرية الاصطدام تكون بارسبورو أضافت الى مكانتها شأناً مهماً آخر."

لكن الايريديوم الذي سقط من جراء الانفجار والذي لا تتعدى كثافته جزيئاً، تعرض للتمدد والتمزق واعادة الخلط نتيجة حركات قشرة الارض صعوداً ونزولا. ويأمل العلماء العثور على آثار لهذا المعدن بطريقة واحدة فقط هي تحليل نماذج عدة من الحجار.

الى الآن تم تحديد نسبة ضئيلة جداً من المتحجرات المكتشفة في بارسبورو. وهناك نحو ثلاثة أطنان من قطع الصخور الرملية المحشوة بالمتحجرات مخزونة في جامعتي كولومبيا وهارفرد ومتحف نوفاسكوشا تنتظر علماء الاحاثة. وفي

هذه الاثناء تتضافر الجهود لحماية هذا الموقع الثمين. وفي العام ١٩٨٠ صدر قانون يحظر استخراج المتحجرات من نوفاسكوشا من دون اذن. وطبيعة المتحجرات الدقيقة لا تشجع الهواة على جمعها، إذ ان العين الخبيرة وحدها تستطيع تحديد أماكن المتحجرات وتقدير أهميتها.

ستظل متحجرات بارسبورو تثير المجتمع العلمي لسنوات. أما أولسن فيجد مغزى آنياً وشخصياً لاكتشافها. وهو يقول: "ان رؤية هذه الانواع المختلفة من المتحجرات محفورة في صخور تعود الى ملايين السنين تذكرني بأن طريق الحضارة البشرية لا تتجاوز رأس دبوس، اذا ما قيست بمقياس الزمن الجيولوجي. وكلما وقفت أمام هذه المرتفعات الصخرية شعرت بأنني قزم أمام عظمة الزمان."

**مارك والترز** ■



## الزوج المسحور!

قبل سنوات انهمكت وزوجي في مشروع كان يتطلب منا ان نعمل، الى حد بعيد، في الامسيات ونكون حُرَّيْن في الاضاحي. فقررنا الافادة من هذا الوقت بتوزيع كراريس دعائية على منازل في الجوار.

كنا عادة نسير معا واحيانا نفترق موزِّعَيْن العمل ثم نلتقي مجددا في الشارع بعد مرورنا على عدة عمارات. ومع ذلك بدا ذات صباح ان واحدنا اضاع الآخر. وبعدما انتظرت بعض الوقت في ركن من الشارع قررت ان اقتفي أثر زوجي باتباع توزيعات كراريسه.

وبعدما استطلعت ما في داخل اربعة صناديق بريد او خمسة بدأ يراودني شعور بان احداً ما يراقبني. وتعزز لدي هذا الشعور عندما لاحظت ان في الركن المجاور شرطياً يراقب اعمالي على نحو بيِّن منذ فترة.

احسست بالحرج، فاقتربت منه وقلت بارتباك: "في الواقع يا حضرة الضابط انني ابحث عن زوجي."

فرفع الشرطي احد حاجبيه سائلا: "وهل من عادته ان يختبىء في صناديق البريد؟"

ك.ل.

---

## نداء لم يصل

كانت والدتي تتحضّر في المطار للعودة من الولايات المتحدة بعد زيارة لأخي هناك. وبما أن اجادتها اللغة الانكليزية كانت محدودة جداً، فقد سأل أخي الموظفة المسؤولة عن تسجيل الاسماء أن تنبّه المضيفات الى هذا الامر. وقبل انتقال الركاب الى متن الطائرة سمع أخي هذا النداء: "هلّا تفضلت السيدة التي لا تتكلم الانكليزية بالحضور الى الباب ٣٢؟

ن.ب.

# خواطر في الحبّ والجنس



## سيدتي، إن كنتِ متزوجة منذ أيام أو منذ سنوات فهذه الملاحظات المفيدة تعلمك كيف تتصرفين وزوجك في اللحظات الحميمة

قالت كارول: "لا بأس،" بصوت يدل على خيبة. فأجابها زوجها بول: "لا يا كارول. لا تقولي لي لا بأس. انه عيد زواجنا ولكن لا مفرّ لي من الذهاب. تعرفين أنها زبونة مهمة، وسأحاول أن أتخلّص منها في أسرع وقت ممكن."

وفي السادسة مساء كان بول يبحث في ردهة الفندق. وإذا بموظف الاستقبال ينادي: "السيد بول هيس مطلوب الى الغرفة ١٤٠٤."

راح بول يتساءل عما قد تكون المرأة في صدده. ولما قرع باب الغرفة أشار عليه صوت غامض بالدخول.

فتح بول الباب ورأى امرأة، شعرها قاتم أسود ترتدي فستاناً حريرياً أسود اللون وتدير اليه ظهرها. ثم ما لبثت أن استدارت ببطء. فوقف بول أمامها مذهولا ثم سألها: "ماذا تفعلين هنا يا كارول؟"

فردت زوجته: "عيد سعيد!" وراحت تضحك اذ رأت علامات التعجب على وجهه.

أضافت: "لقد خططت لهذه المفاجأة مع أمينة السر في مكتبك. تركت الأولاد عند والدتي وها هو الليل بكامله لنا وحدنا في هذه الغرفة." وقبّلته وهي لا تزال تضحك.

إن كارول وجدت جواباً عن سؤالين تطرحهما المرأة على الدوام: كيف أحافظ على اهتمام زوجي بي؟ كيف أبقي على علاقة مطعمة بالحياة والاثارة سنة بعد سنة؟

بعدما قرأتُ كتباً عدة وقابلتُ عشرات من الازواج والزوجات يعيشون بصدق علاقات حميمة، وآخرين لا يعرفون معنى

للعلاقات الناجحة، وجدت بعض المفاتيح التي تمكّن من انجاح علاقة تحسّس كلا من الزوجين بالارتباط المتيْن وبالهناء والكمال.

سيدتي، لتأمين علاقة حيوية تدوم طويلا، مطلوب منك ما يأتي:

## الصدق.

بالكذب والادعاء والتظاهر تسدّين الباب على علاقة حلوة وهادفة وذات معنى. اذا تظاهرت بالرضى والاكتفاء الجنسيين أو حاولت ارضاءه بإسماعه كلاماً تحسبين انه يريد سماعه، فأنت تسلكين الطريق الخاطىء. إن المحافظة على الوضع الراهن تشكّل فخاً تقع فيه نساء كثيرات، إذ انهنّ يتمسكن بنماذج روتينية مضجرة بدلا من هز العلاقة بقوة. فيصبح الجماع وقضاء العطلات وتبادل الأحاديث خلال العشاء أموراً متوقعة وغير مثيرة.

أما اذا حسبت أنك ترضين زوجك عندما لا تقولين له ما تريدين منه أو ما تشعرين به، أو حتى عندما تقولين له ما تحسبينه يريد سماعه، فأنت أيضاً تخطئين. ذلك لأن "الحقيقة هي جوهر العلاقة الحميمة الصادقة،" كما يقول رجل سعيد بعد ١٨ سنة من الزواج.

## الوقت.

نعيش اليوم في عالم متوتر يركض فيه الانسان ويقلق على مصيره. فإذا سنحت فرصة للتخلص من الهموم اليومية يلجأ المرء الى مشاهدة البرامج التلفزيونية بدلا من أن يتبادل وزوجه أحاديث حميمة. بعضهم يقضي وقته محاولا تحسين ضرباته في لعبة كرة المضرب، وبعضهم يقضي وقته حالماً بعلاقة مثيرة بدلا من أن ينمي علاقته الحالية.

ومهما قيل إن الجماع يتطلب وقتاً فهذا ليس عذراً. إن العفوية في الجماع حافز مثير، لكن واقع العائلات المتوسطة يفرض التخطيط للجماع. ويقول الخبراء ان بذل الوقت من أجل التخطيط لموعد لا يكبت النزوات الجنسية، بل انه يؤجج الرغبة. ويصبح الجماع المخطّط له أمراً مشوقاً.

## الالتزام الجنسي.

الالتزام الجنسي يعني، صراحة، أن تقبلي شهواتك الجنسية وتتمتعي بالعطاء والأخذ. المدهش اليوم هو أن عدداً كبيراً من النساء لا يسمحن لأنفسهنّ بالتفكير أو الاحساس هكذا.

أوحي الى زوجك اهتمامك الحقيقي بالجنس. يشكو كثير من الرجال أن زوجاتهم فاترات أو أنهنَّ يكبتْنَ أحاسيسهن في ما يتعلق بالجماع. أن تكوني مهتمة حقاً بالجنس هو أن تتمتعي كلياً بطبيعة شهواتك وعافيتها. قد تفهم امرأة هذا الأمر على أنه السماح لنفسها بالإقرار بشهواتها بدلا من كبتها أو الاحساس بالذنب. وقد تفهم امرأة أخرى هذا الأمر ذاته على أنه جمع الشجاعة لمناقشة المشاكل الجنسية او لاستكشاف النزوات الجنسية مع زوجها.

بتّ أصدق اليوم أن بعض النساء يملكْنَ اللمسة السحرية منذ الولادة. فهنّ

يفهمْنَ الشهوانية حدساً: كيف تلمسْنَ أو تتحركن؟ ومتى؟

أما النساء اللواتي لا يملكْنَ هذه اللمسة السحرية منذ الولادة، فيستطعنَ تنميتها من خلال متعة العطاء والأخذ. فإذا أخذنا الطبخ مثلا، لوجدنا أن الطبّاخ البارع يحضر الطبخة من دون أن يقرأ في كتاب الطبخ، أما الآخرون فيتبعون الطريقة المكتوبة ويقيسون المقادير بانتباه. ان الطريقتين مفيدتان. والمهم أنك تستطيعين تعلّم الشهوانية وايحاء ما تريدين وما تحتاجين.

وهنا نصل الى النقطة الرابعة:

## الاتصال.

ربما كان الاتصال أهم أداة لتأمين استمرار العلاقة. ومع أن "الاتصال" كلمة كَثُر استعمالها، فانها تبقى من دون شك كلمة مهمة. يقول مستشار حكيم في القضايا الزوجية ان المرء قد يوفق بزواج سعيد خالٍ من المشاكل، لكن الزواج الناجح يتحقق عندما يواجه الزوجان مشاكل فيناقشانها ويجدان لها الحل.

سيدتي، اذا أمكنك أن تعبّري عما تريدين وتحتاجين اليه حقاً من دون خوف أو خجل، فسترين رغباتك تتحقق بسرعة مدهشة. عندما تعبّرين بصراحة عن مخاوفك من الإخفاق أو النفور تفقد هذه المخاوف قوتها المؤذية. فاذا قالت الزوجة لزوجها: "أخاف أن تتركني إن قلت لك ما أريده حقاً،" أو: "أحس أني ضعيفة ومعرَّضة عندما أفعل هذا الامر،" فغالب الظن أن الزوج سيجيب: "صحيح؟ لم أكن أعرف أنك تشعرين هكذا."

كيف لزوجك أن يعرف ما تحسّين به أو ما تريدين منه ان لم تقولي له ما المشكلة؟ إن احدى المشاكل الأساسية التي تعترض الزوجين تكمن في التخمين أن الزوج يشعر تلقائياً بما تريده شريكته أو بما لا تريده. فلا حل يتخطى هذه المشكلة سوى قول الحقيقة. وترى الدكتورة هيلين سنجر كابلان رئيسة برنامج الدراسات الجنسية في مستشفى نيويورك ومركز "كورنيل" الطبي، إن محاولة تأدية دور العاشقة من دون عملية الاتصال الفكري تشبه محاولة تعلّم الرماية بعينين معصوبتين.

خلال ممارسة الجنس تتكشف فوارق كثيرة ومتعددة بين الرجل وزوجته في ما يتعلق بأحاسيسهما الجسدية والمعنوية. قد تلاحظين هذه الفوارق إذا راقبت ردود أفعال زوجك الجسدية أو إذا أظهرت ردود أفعالك حيال تصرفاته وحركاته الكثيرة. فالجمل العادية من نوع "أحب هذا..." أو "أحب ذلك الشعور عندما..." تكوِّن لدى زوجك فكرة واضحة عما تريدين منه.

## تخطّي الخوف.

في رأي الباحثين في أمور الجنس أن الخوف هو بالنسبة الى كثيرين رفيق يقاسمهم الفراش. لذا يصبح الخوف من أهمّ العوائق في الجماع. يُفاجأ كثير من الرجال عندما يعلمون أن نساءهن يخجلن في ما اختص بأجسادهن. نحن نقلق على كل عضو في أجسادنا. وباختصار، ان من أقوى المخاوف الجنسية لدى المرأة هو ألا تكون مشتهاة كفاية.

يمارس كثير من الأزواج الجنس

والأنوار مطفأة أو وهم يرتدون ثياب النوم، لأنهم قلقون على مظهرهم. كلنا نقدّر جمال الوجه والجسد، ولكن علينا قبول النقص فينا. شعورنا بالارتياح حيال أجسادنا هو من الشروط الأساسية لشعورنا بالارتياح مع سوانا. وان عدداً كبيراً من النساء يخشَيْن أن يعتبرهنَّ أزواجهنّ متسلطات لا يملكن الانوثة الكافية إذا بادرْنَ هنّ في ممارسة الجنس. فهنّ يحسبْن أن الرجل يرى في هذه المبادرة ضربة مباشرة لدوره التقليدي كذَكر، وهو دور يلخّص بالقوة المسيطرة على العلاقة الجنسية.

إلا أن بعض الرجال الذين قابلتهم يفضلون مبادرة زوجاتهم من وقت الى آخر، وأشدّد على عبارة "من وقت الى آخر." إذ ان المرأة التي تقول لزوجها "أود أن أغويك الليلة" تلقى ترحيباً أحرّ من تلك التي تطلب هي الاثارة.

قد تقولين لي: "لكنني أعرف هذه الامور."

صحيح أن ما قلته هنا هو كلام عادي بسيط، إلا انني أسألك:

- منذ متى أحضرت لزوجك طعام الفطور الى السرير؟
- منذ متى قرأتما كتاباً معاً؟
- منذ متى تحادثتما الى ساعة متقدمة من الليل؟

ولئن يكن من نصيحة يسديها زوجان حققا نجاحاً خاصاً في حياتهما معاً فهي الآتية: "ادّخرا وقتاً ليفهم أحدكما الآخر، وتحدثا عن الأمور التي تؤمّن نجاح علاقتكما، ثم حققّا هذه الأمور."

**ألكسندرا بيني** ■



## رباط الحب

اعتاد واحد من اصدقائنا ان يفكر في اثناء طفولته كم يختلف ابواه عن الازواج في القصص. فهما لا يتبادلان الملاطفات ولم يرهما ابدا يتعانقان. قال: "كنت اشعر بالاسى الكبير لذلك، الى ان جاء يوم انهار السد وامتلأ وادينا الصغير ماء. فلقد وُضعت في عِليَّة البيت اتقاء للغرق، فمكثت هناك ارتعش في الظلام فيما المياهِ المتصاعدة تهف في اساساته.

"اخيرا استبد بي الخوف حتى كان لا بد لي من التطلع عبر النافذة. كانت الانوار تشق عباب الظلام، فشاهدت بابا وماما – وقد غمرتهما المياه المدوّمة حتى فخذيهما – يسيران بعكس الريح وقد انخفض رأساهما وتلامس منكباهما. كانت امي تحمل ملء ذراعيها فراخاً خائفة انقذتها من القن، وابي يحتضن حملا وليداً. تلك كانت الصورة التي شاهدتها خلال جزء من الثانية.

"منذ ذلك الحين لم تعد تساورني هموم حول تصرفهما كزوجين متحابين مثل ذينك اللذين نراهما في الافلام. فقد كانا يتمتعان بشيء اكثر قوة من رباط الحب العادي."

ج.ج.ج.

# تعلّموا أن تقولوا «لا» للمخدّرات

## بلغ إدمان المخدرات أشده في ألمانيا الغربية فانبرى هذا المناضل يبرز مكامن الخطر ويعلم الأولاد كيف يقولون "لا" لمروجيها

جلس ٢٤ من تلاميذ الصف المتوسط الثاني في مقاعد قاعة محاضرات فسيحة في هامبورغ وكأن على رؤوسهم الطير. كانت عيونهم مسمّرة في ملعقة مسطّحة يرفعها المدرّس غونتر سبكمان (٦١ سنة) ليراها الجميع. ثم سخّن المدرّس المادة التي في الملعقة فوق موقد غاز فارتفع منها دخان أبيض مكمدّ.

تجوّل سبكمان في القاعة مروّحاً الدخان بحيث يتسنى لكل تلميذ أن يحصل على نشقة منه. فأشاح بعضهم بأنوفهم، وبحث آخرون عن منديل.

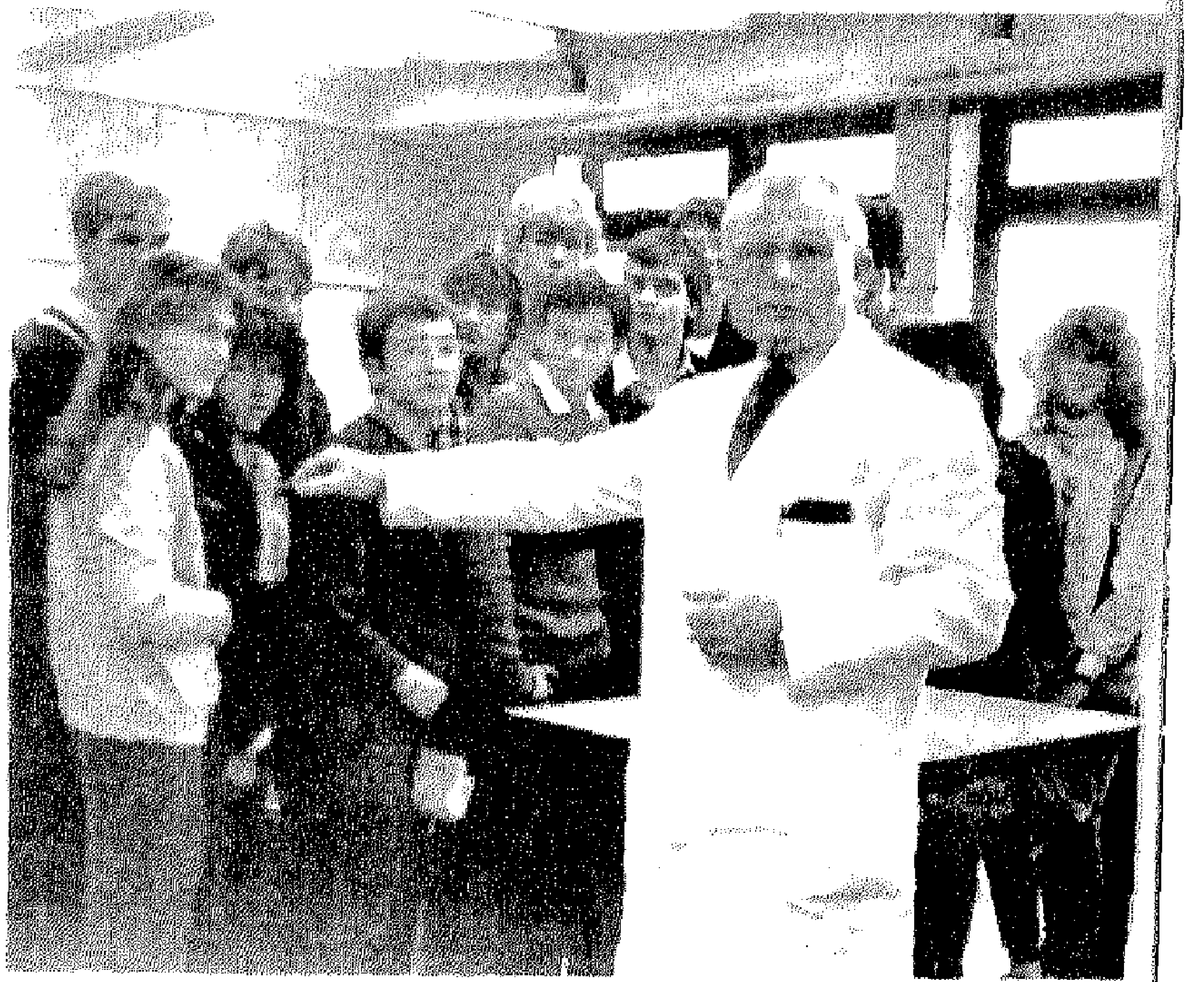
سأل المدرس: "هل تعرفون ما هذا؟"

فانبرت فتاة بالجواب: "حشيشة."

فوافق المدرس: "صحيح." ثم تابع: "والآن، أنا أعرف أن بعضاً منكم سبق أن تكلم على الحشيشة وغيرها من المخدرات مع أصدقاء أو رفاق صف. ولربما سمعتم أن التحذيرات ضد تعاطيها هراء، وأنكم لن تتحوّلوا مدمنين اذا تعاطيتموها على النحو المناسب. حسناً، دعونا نكتشف سوية كيف تعمل المخدرات وأيَّ ضرر بالغ يمكن ان تسبّبه."

على الطاولة خلف سبكمان علبة مفتوحة تحوي مجموعة من مختلف الرُّزم وقوارير متنوعة دُوِّنت عليها أسماء المواد التي تتضمنها. تبادل التلاميذ النظرات واشرأبّوا بأعناقهم من أجل رؤية أفضل لما يفعله المعلم. أخرج هذا عيِّنة من تلك الرزم ورفعها عالياً. انه لم يكتفِ بالحديث عن المخدرات بل كان يعرض لتلاميذه المواد المخدِّرة!

**أسئلة حرجة.** الى الآن شهد نحو ٣٥ ألف طالب ألماني غربي، تتراجح أعمارهم بين ١٤ و١٨ سنة، الحلقات الدراسية التي نظمها سبكمان لاطلاعهم على مضار المخدرات. وهو الى ذلك يحاضر في مجموعات الاهل والمعلمين، وقد ازداد الطلب عليه في الشركات والمؤسسات الكبرى، كالقوات المسلحة وشركة سكة الحديد الاتحادية وشركة "لوفتهانزا" للطيران، ليخطب في المُخضعين للتدريب العسكري أو المهني.



غونتر سيكمان مع مجموعة من الطلاب.

غير أن اهتمام سبكمان الرئيسي انصب على الشبيبة. فمن أجلهم طوّر حلقة دراسية لا نظير لها في المانيا الاتحادية (الغربية) وهي برنامج مبني على الوقاية لا على العلاج. وهو لا يكتفي باطلاعهم على اخطار حشيشة الكيف أو الهيرويين او الكوكايين بل يخبرهم عن آخر الحيل التي يستنبطها مهرّبو المخدرات، وعن الخدع التي يستعملها مروّجوها، ويجيب عن الاسئلة التي يتردد الشباب في طرحها في أمكنة أخرى.

يقول سبكمان: "أفضل سبيل الى كبح فضول الفتيان حول المخدرات هو جبههم بالوقائع. عليهم أن يعرفوا كيف تبدو كل مادة مخدرة، ما رائحتها، كم تكلّف. وأهمّ: ماذا يحصل لهم اذا تناولوها."

وسبكمان مجهز جيداً لهذه المهمة. فهو موظف عالي الرتبة في ادارة الجمارك الالمانية، يتولى قسم المخدرات في هامبورغ، وبالتالي هو واحد من القليلين في ألمانيا الغربية المخوّلين تداول المخدرات المحظرة. وظل عمله لسنوات عدة تعليم المتطوعين الجدد في ملاك الجمارك تعقّب المهرّبين الذين يحاولون تسريب سلعهم القاتلة داخل البلاد.

**رخيصة ومميتة.** عندما واجهت مصلحة الجمارك في هامبورغ، في العام ١٩٧٣، صعوبة في اجتذاب موظفين مؤهّلين، دعت طلاب المدارس الثانوية لتريهم كيف تعمل إدارة الجمارك فترغّبهم في العمل فيها. ويتذكر سبكمان في هذا الصدد: "كانت بين عروضنا المتوافرة للمدارس محاضرة بعنوان "كيف تميز المخدرات"، وقد أدهشنا أن تسعين صفاً من أصل نحو مئة طلبت هذا العرض الذي شكل نقطة الانطلاق للحلقات الدراسية حول المخدرات."

ما أن أقبل العام ١٩٧٤ حتى كانت المخدرات شاعت في ألمانيا الغربية. وبسبب الاسئلة التي نجمت عن المحاضرة كان سبكمان أحد الاوائل الذين تيقنوا من النقص الضخم في المعلومات. فراح ينقّب بعمق في الموضوع، وجمع أهم ما كتب فيه الاختصاصيون، واسترشد المربين والاطباء ورجال الامن. وكرّس الكثير من وقته ليظل متمشياً مع التطورات ومراعياً الحداثة في عروضه.

ومما زاده تصميماً على تفرّغه للموضوع تعرفه شخصياً الى ضحايا المخدر. ففي العام ١٩٧٩ انتحر صديق حميم له يأساً لعجزه حيال ادمان ابنته الهيرويين، وبعد ذلك بوقت قصير توفيت ابنة أخ صديق آخر من جرّاء جرعة مفرطة.

لم يكن هذان حادثين منفردين. ففي ذلك العام فاق عدد مدمني الهيرويين في ألمانيا الغربية عددهم في كل الدول الاوروبية الاخرى مجتمعة، وفي العام ١٩٨٧ ضبطت السلطات ٢٩٦ كيلوغراماً من الكوكايين، أي نحو ٤٠ ضعف الكمية المصادرة قبل عشر سنين. واليوم تقدّر حكومة المانيا الغربية أن ثمة ٥٠ ألف مدمن للمخدرات في البلاد، فيما يرفع خبراء آخرون هذا العدد ضعفين. وفي العام ١٩٨٧ توفي ٤٤٢ شخصاً بسبب المخدرات، ويُقدَّر الربح السنوي الصافي الناتج من التجارة غير المشروعة بالمخدرات بين مليار و١،٥ مليار مارك (بين ٦٠٠ و٨٥٠ مليون دولار).

لا تطرح المخدرات التقليدية الا وجهاً واحداً للمشكلة المتعددة الوجوه. ففي المانيا وهولندا خصوصاً بدأت تتفشى المختبرات اللاشرعية التي تُنتج مخدرات تركيبية مثل "غبار الملائكة" أو "السرعة"(١). ويقول سبكمان: "المخدرات المركبة خطرة على نحو هائل لأن تركيبتها ونتائجها مجهولة غالباً." ونظراً الى أن هذه العقاقير زهيدة الثمن بحيث يقدر حتى الاطفال على شرائها، عدّل سبكمان حلقاته الدراسية لتناسب المراهقين في الثالثة عشرة من عمرهم.

**إدمان أم لا؟** زرت يوماً مكتب سبكمان فدعاني الى محاضرته أمام ٢٧ طالباً من الصف المتوسط الاول، مع اثنين من معلميهم. تناول من حقيبته قارورة تتضمن عشباً بنياً وشرح: "هذه هي نبتة القنب. تؤخذ أوراقها اليابسة وأغصانها الطرية المزهرة فتُلَفّ في سجائر وتُدخن. إنها تدعى ماريوانا، وتنمو في أنحاء العالم."

ثم أمرَّ على الطلاب وعاء فيه ذرور حشيشة الكيف ليلقوا عليه نظرة متفحصة، لكنه تدخّل فوراً عندما حاول ولدان أن يفتحاه. فأنذرهما: "لا تفعلا ذلك والا انتشيتما." فأسرع الصبيان الى وضع السدادة في مكانها.

بعد ذلك سألت فتاة عن الفرق بين الماريوانا وحشيشة الكيف. فشرح سبكمان: "الحشيشة هي المادة الدبقة التي تفرزها أوراق القنب وأزهاره. تُجفَّف هذه المادة وتُضغط. وتحتوي الماريوانا والحشيشة على مادة "تتراهيدرو كانابينول"(٢) وهي المادة الكيميائية

(١) Angel Dust or Speed
(٢) Tetrahydrocannabinol

التي تولّد النشوة. والحشيشة عموماً أفعل من الماريوانا وتتوافر في شكل ذرور أو زيت أو كتل مضغوطة." قال هذا وأمرّ أربع رزم مختومة أمام أعين التلاميذ كأمثلة على أصناف الكتل المتداولة في ألمانيا الغربية.

وتابع: "ادعى بعضكم أمامي أن الماريوانا والحشيشة لا تسبّبان الادمان. دعوني أخبركم ما يحدث فعلا. فحتى ان لم تصابوا بإدمان جسديّ، فسيظل دماغكم يتذكر الحالة النفسية التي ولّدتها المادة المخدّرة وسيجعلكم تطلبون المزيد منها، خصوصاً عندما يتعين عليكم أن تواجهوا تحدياً، كامتحان مدرسي صعب مثلا. ولقد وجد الخبراء الطبيون أن مقادير ضئيلة من القنب الهندي قادرة على احداث تغييرات نفسية جسيمة، كالكآبة والهلوسات، وضرراً دائماً في الخلايا التناسلية والرئتين والدماغ."

خيم هدوء تام على الاولاد. كان واضحاً أن معلومات كهذه جديدة عليهم. وتناول سبكمان قطعة مستطيلة من الافيون الخام وقال إنه لن يُمرّها أمام الطلاب لأنها خطرة بحيث أنه كاد لا يجرؤ على التقاطها. وبعدما أطلع الاولاد على النتائج الايجابية للافيون ومشتقاته الكثيرة عندما تستخدم لاغراض طبية انتقل الى تحذيرهم من العواقب الرهيبة للهيروبين المصنوع أيضاً من خشخاش الافيون.

**"قولوا لا!"** الهيروبين هو القاتل الاول بين المخدرات. يُباع مسحوقه الابيض أو المسمّر في السوق السوداء ممزوجاً بمواد أخرى مثل الكافيين واللاكتوز والغلوكوز والستريكنين. قال سبكمان: "بما أن المدمنين لا يعرفون أبداً مقدار نقاوة الهيروبين فانهم يتعرّضون باستمرار لجرعات تفوق الحد." ثم عرض على الحاضرين "العدة" المستخدمة لتناول الهيروبين، مثل المناقير الملفوفة لتنشقه وإبر الحقن. وعرض بعد ذلك نتائج تعاطي المخدر. وقال انه يجعل المرء نعساناً، أو العكس، فيشعر بالسعادة لكنه يعجز عن التحكم في ما يفعل. وكيفما أخذ الهيروبين فانه يبقى الى حد بعيد مولداً للإدمان. والى ذلك فهو فاحش الثمن. وعندما يبدّد المدمنون المتوسطو الحال أموالهم على شرائه يلجأون الى الجريمة لانهم عاجزون عن التغلب على عادة تناوله، ويعانون الأرق والتعرّق المفرط والقشعريرة والغثيان والتشجنات، فضلا عن الالم الشديد. (يعرض سبكمان للطلاب الاكبر سنّاً فيلماً يبين أعراض الإدمان والانقطاع عن تعاطي المخدر، ويمنعه عن الصغار لما قد يولده من انفعالات مؤذية لديهم.)

بعد ذلك تابع سبكمان واصفاً أخطار الكوكايين والمخدرات المركبة، وبيّن الحيل التي يعتمدها المهرّبون لإدخال بضاعتهم. فهنا تمثال جُوّف لإخفاء المخدر. وهذه كتب لُصقت أوراقها ثم أُفرغت جزئياً لتحشى فيها البضاعة الممنوعة. وكانت "تحفة" مجموعته سجادة افغانية حيك فيها ستة كيلوغرامات من ذرور حشيشة الكيف المغلّفة في ورق مشمّع ومضغوط في شكل جدائل بسماكة أربعة مليمترات.

بعد استراحة قصيرة نبَّه سبكمان طلاب الصف الى ضرورة التحلّي بالحذر من خِدَع مروِّجي المخدرات. قال: "لا تقبلوا سجائر أو ملبساً من أناس لا تعرفونهم. وأهم من كل ذلك، لا تضعوا أنفسكم في موضع المُكرَه على فعل أمر لا يريد حقاً فعله. تعلّموا أن تقولوا لا."

**الاهل أيضاً.** عندما تنتهي حلقة سبكمان الدراسية بعد أربع ساعات يظل الطلاب عادة يتناقشون في ما بينهم ومع معلميهم. وقد سمعت فتى يقول: "كان مفيداً أن نتعلم كيف تكون رائحة الحشيشة كي يتسنى لنا أن نكتشفها في مكان آخر." وقال آخر إنه أكيد من انه لن يجرب المخدرات بعد ما خبره عنها.

في المحاضرات التي يلقيها سبكمان في الاهل، يناقش الاسباب التي تدفع أولادهم الى تعاطي المخدرات: الفضول الصرف، ضغط الرفاق، المشاكل الدراسية، البطالة، الخوف من العجز أمام مشكلات الحياة، يقول: "كل ولد أكمل العقد الاول من عمره مهدد. ودعونا لا نخدع أنفسنا: فليس صحيحاً أن المدمنين يأتون فقط من العائلات المفككة أو المحرومة." وهو يلح على الاهل كي يستمروا في الحوار مع أولادهم ويراقبوا التحوُّلات غير المعللة في سلوكهم. لكنه ينصح: "قبل كل شيء، اذا اشتبهتَ بأن ولدك يتعاطى المخدرات، فلا يأخذنَّك الذعر ولا تُشِح بوجهك عنه، بل ابحث عن العون الفعال."

لقي عمل سبكمان في البدء مقاومة بالغة من خبراء المخدرات ومن المسؤولين، الذين فضلوا مواجهة للموضوع أقل مباشرة وترتكز إجمالا على العلاج أكثر من اعتمادها الوقاية. واليوم تلاقي ندواته الدراسية قبولا عاماً. وهو كوفىء في العام ١٩٨٠ بميدالية "الامتياز في الخدمة" التي علقها على صدره وزير المال آنذاك هانس ماتهوفر الذي قال: "كانت حلقاتك الدراسية عوناً عظيماً للكثيرين. فبفضل خبرتك ومهارتك في اجتذاب عقول الصغار وقلوبهم تمكنت من أن تطبع فيهم الأخطار الجسيمة للمخدرات."

وفي رسالة وجهتها الى سبكمان الالمانية الاولى ماريان فون فايساكر، زوجة الرئيس الاتحادي وراعية جمعية "أهالي الشباب المدمنين والمعرَّضين لخطر المخدرات": "لقد أخذت على عاتقك أن تعالج موضوعاً صعباً وشديد الاهمية. آمل أن يصبح المشتركون في ندواتك حاملين لرسالتك وعاملين على نشرها."

إدلغارد سيمون ■

---

إدارة الازمات: القدرة على جعل أيِّ شيء يبدو أسوأ بكثير مما هو فعلا.

ر.ف.ح.

---

الفظاظة: أن يستمر أحدهم في الحديث فيما أنت تحاول مقاطعته.

ل.هـ.

## مأساة واقعية

# طيارة مبتدئة في قبضة العاصفة

### كانت الفتاة تطير منفردة عندما اكتنفتها العاصفة فخلّصها صوت رفيق حازم

أقلعت الطالبة المتمرنة بطائرتها رافعة مقدمها بهدوء ونعومة عن مدرج المطار في غرب لافاييت بولاية انديانا وتوجهت جنوباً. انها الحادية عشرة والربع من صباح ١٤ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٧. والسماء صافية في ما خلا بعض الغيوم العالية الصغيرة.

كانت كيم ستال في الثامنة عشرة من عمرها وفي سنتها الاولى بجامعة بوردو في لافاييت. وكانت تقوم برحلتها الثانية المنفردة فوق الضاحية، كجزء من مقررات شهادة الطيران. وكان عليها أن تطير مسافة ١٣٧ كيلومتراً جنوباً في اتجاه بلومنغتون، ثم غرباً في اتجاه ماتون بولاية ايلينوي، ثم العودة الى لافاييت.

Illustrations: Jeffrey Mangiat



وهي رحلة تدوم ثلاث ساعات. وكانت كيم، منذ بدأت تواظب على دروس الطيران قبل ثلاثة أشهر، أتمت ثلاثين ساعة طيراناً برفقة مدربها. وكانت متلهفة لانهاء مقرَّر الطيران فوق الضاحية قبل حلول عطلة المِيلاد، كي تتأهل للالتحاق ببرنامج الطيران في جامعة بوردو في الفصل الدراسي الثاني.

في منتصف المسافة الى بلومنغتون لاحظت كيم أن الغيوم تزداد كثافة في الافق. الا أنها لم تقلق، اذ لم يكن متوقعاً هبوب عاصفة قبل فترة بعد الظهر، كما أن الغيوم بدت بعيدة جداً.

أجالت كيم نظرها على أجهزة القيادة في الطائرة، وهي من طراز "بايبر توماهوك." لم يكن هناك كثير من الأجهزة داخل الطائرة الصغيرة الصاخبة البرتقالية والبيضاء اللون. لم يكن هناك سوى بوصلة وجهاز لقياس الارتفاع وآخر لسرعة الهواء ومقياس لالتفاف الطائرة ومؤشر لسرعة دوران المحرك وآخر لكمية الوقود وهناك أيضاً جهاز متلقّ - مستجيب(١) يرسل اشارات تتيح لمراقبي حركة الطيران أن يتعرفوا الى الطائرة على شاشة الرادار ويتعقبوها.

لاحظت كيم أن الغيوم تزداد كثافة وأن مستواها يزداد انخفاضاً كلما تقدمت صوب الجنوب. ومن دون ان تدري كانت العاصفة تتجه نحو مسار الطائرة بسرعة أكبر مما توقعته مصلحة الأرصاد الجوية.

وقبل ١٥ كيلومتراً من بلومنغتون لاح أمامها خط طويل قاتم بدا كأنه غيوم كثيفة. الا أن كيم لم تكن رأت شيئاً كهذا من قبل. وعندما اقتربت أكثر تحول الخط جداراً من الغيوم ينذر بطقس مشؤوم. كان الجدار يعلو من مستوى الارض ليبلغ ارتفاعاً أعلى من الطائرة. فجأة حجبت الغيوم نور الشمس. وحاولت كيم البقاء على ارتفاع ٩٠٠ متر، وكانت قبضتاها تمسكان أجهزة القيادة بإحكام.

وما هي الا ثوان حتى بدأ الثلج يتساقط على الزجاج أمامها. وبعدما انحرفت عن مسارها بات صعباً عليها أن تميز الاشارات اللاسلكية التي يرسلها برج مطار مونرو في بلومنغتون. وأخذت تتذكر تعاليم مدربها عن "القاعدة الاولى" التي يجب على التلميذ الطيار أن يتبعها خلال طيرانه في عاصفة، وهي الخروج منها بأسرع ما يمكن.

ففكرت: أنا قريبة جداً. سأحاول الهبوط في بلومنغتون.

ولكن بعد ثوان ابتلعتها العاصفة. متران من الجناحين كانا كل ما استطاعت رؤيته على جانبي الطائرة. وكل شيء سوى ذلك غيوم ملبدة.

"سنهتم بها". بذلت كيم جهداً لتبقى مسيطرة على نفسها وعلى الطائرة. وهزت رأسها كي تتمكن من التركيز، الا ان ذلك لم يجدِ. انحرفت عن خط سيرها على نحو خطير، ولم تعرف ما اذا كانت ترتفع أم تهبط، تطير في خط مستقيم أم منحرف. كانت الأجهزة تشير الى ذلك، لكن كيم كانت في حال تقارب الذعر، فضلا عن أنها لم تكن تعلمت بعد الاعتماد كلياً على الأجهزة عدما تتعذر رؤية الارض أو الافق.

(١) Transponder



ظنت أنها ترتفع، لكنها في الواقع كانت تندفع بسرعة نزولا نحو الارض. كانت الطائرة تهبط عمودياً: ٣٦٥ متراً، ٣٠٥ أمتار، ٢٤٥ متراً...

وعلى ارتفاع ١٥٠ متراً من سطح الارض خرجت طائرة كيم من الجو الضبابي هنيهة، فارتاعت الفتاة لرؤية الارض تتجه بسرعة كبيرة نحو طرف الجناح الأيسر. وللحظة كانت الصلاة كل ما وسعها ان تفعل: أرجوك يا الهي، لا تدعني أموت.

الا أن منظر الارض تقترب أجبر كيم على العمل سريعاً. فتمكنت بطريقة ما من حد هبوطها ورفع جناحي الطائرة قبل

أن تعود الى الغيوم. فأخذت نفساً عميقاً وفكرت: علي أن أضبط أعصابي.

قررت الارتفاع بالطائرة. ومع أنها لم تكن قادرة على رؤية أي شيء فانها شعرت بالامان أكثر اذ ازدادت المسافة التي تفصلها عن أرض انديانا.

أدركت كيم الآن أن أول مشكلة عليها حلها هي أن تعرف أين هي ومن أين يمكنها الحصول على مساعدة. جهاز الراديو! كادت ان تنساه. أبقت يداً على أجهزة القيادة وراحت تبحث بغير هدى عن موجة الارسال التي يعتمدها برج المراقبة في تيرهوت بانديانا.

طلبت الرقم على الجهاز، وأمسكت بالمذياع وعرّفت بنفسها، كما تعلمت، برقم طائرتها: N2364N ، فبات اسمها، في لغة الطيران، "٦ - ٤ نوفمبر" اشتقاقاً من الرقمين الاخيرين والحرف الاخير.

شعرت كيم بموجة من الارتياح تغمرها عندما قرقع صوت المراقب في تيرهوت عبر المذياع الذي كان على رأسها. وعندما علم أنها تلميذة طيارة لم تتمرن كفاية على أجهزة الطيران اتصل فوراً ببرج المراقبة في مطار إنديانابوليس الدولي. فقد كان الطقس هناك أفضل. فالغيوم على ارتفاع ١٥٠٠ متر والرؤية حسنة حتى مسافة ١١ كيلومتراً. واذا ما حالف الحظ الفتاة فيمكن برج المراقبة ان يوجهها لكي تهبط في إنديانابوليس.

طلب جون ريل (٥٣ عاماً)، المراقب النهاري في مطار إنديانابوليس، من تيرهوت ارسال الطائرة اليه قائلا: "سنهتم بها." وكان ريل يعلم كم هو حرج وضع كيم. فالطيران وسط رؤية سيئة اعتماداً على الاجهزة يرعب حتى الطيارين الماهرين. أما هذه الفتاة فهي حديثة العهد بالطيران. ففكر ريل في ابنته، وقال وهو يتسلم مكان المراقب على شاشة الرادار الدائرية التي يمكنها تحديد موقع طائرة كيم وتعقبها: "سأرشدها في عملية الهبوط." وقال في نفسه: على الرئيس أن يتسلم زمام الامور في الحالات الطارئة. واذا ما نجحت هذه العملية فستكون الثالثة من نوعها خلال السنوات الـ٣١ التي أمضاها في مهنته. لكنه علم ان اعصابه لم تكن كما كانت في السابق. لا بل كان يتساءل في المدة الاخيرة عما اذا كان عليه أن يتقاعد.

خط أحمر. سُمع صوت نحيف خائف عبر المذياع: "إنديانابوليس، لا أعرف أين أنا، احتاج الى مساعدة أرجوكم." فوضع ريل سماعتي الرأس على الفور وحوّل مهمة تعقب ثلاث طائرات أخرى الى مراقبين آخرين. ان حياة كيم تعتمد كثيراً على قدرة ريل على تهدئتها وإنشاء صلات قوية من الثقة بين الاثنين. وأُعطيت كيم رمزاً من أربعة أرقام لتدخله جهازها المتلقي - المستجيب، فظهرت صورة "٦ - ٤ نوفمبر" على شاشة الرادار كنقاط مضيئة. فحدد ريل للفتاة موقعها. انها على بعد ١٩ كيلومتراً شمالا من بلومنغتون. كما زودها المسار الواجب اتباعه للوصول الى إنديانابوليس.

فسألها: "هل يمكنك رؤية أي شيء؟"

فأجابت بنبرة غلب عليها الأسف: "لا، لا شيء البتة."



كانت لا تزال في قلب العاصفة تتجه شمالا على ارتفاع ٨٨٠ متراً.

قال ريل بصوته الرقيق الهادئ: "٦ - ٤ نوفمبر، يبدو أنك تدورين على نفسك."

فوصل جواب كيم غير مفهوم: "آه، لا أعلم، لا يمكنني..." بدت كأنها على قاب قوس أو أدنى من الانهيار. فقال ريل في نفسه: لقد أفلتت مني.

"حسناً يا "٦ - ٤ نوفمبر"، لا تضطربي. اجعلي جناحي الطائرة أفقيين وراقبي سرعة الريح. كل شيء على ما يرام."

لم يكن الوضع على ما يرام في الحقيقة، لكنه كان يعلم أن عليه أن يعزز ثقة كيم بنفسها.

فقالت كيم: "حسناً، حسناً." وأجبرت نفسها على التنفس عميقاً. إنه على حق، عليّ أن أحافظ على رباطة جأشي. وأدركت ان الصوت المنبعث من الراديو هو خشبة خلاصها وأملها الوحيد.

كانت تطير أفقياً عندئذ على بعد ٣٢ كيلومتراً جنوب إنديانابوليس.

"هذا أفضل كثيراً يا ٦ - ٤ نوفمبر." ولكي يدعها ريل تتكلم أخذ يسألها من أين انطلقت والى أين كانت متجهة وكم بقي لديها من الوقود. كان وجهه يبعد

بضعة سنتيمترات عن شاشة الرادار وكانت قطرات العرق تغطي جبينه.

ثم لاحظت كيم خطراً آخر. فقد كان مؤشر قياس سرعة الهواء يترجح على نحو غريب، وهذه علامة على تجلّد في أنبوب سحب الهواء في الآلة. فغمرها خوف جديد. فمن المحتمل، اذا كانت تجهل سرعتها، أن تخفف السرعة لتبلغ ٤٧ عقدة(٢) وهي سرعة يتوقف فيها محرك الـ"توماهـوك" عن الدوران فتهـوي الطائرة وهي تدور على نفسها. واذا تجاوزت سرعتها الخط الأحمر المحدد بـ١٣٨ عقدة، فقد تنفصل أجزاء الطائرة بعضها عن بعض.

**ريف انديانا .** قبضت كيم على المذياع وبدأت تصرخ أن مؤشر سرعة الهواء في الطائرة لا يعمل. الا أن البث كان ضعيفاً يتعذر سماعه، فلم يفهم ريل ما كانت تقوله، فرد بتؤدة: "لا تضطربي كثيراً يا ٦ - ٤ نوفمبر." فهو رأى على الشاشة أمامه أن كيم توجهت الى الجنوب - الشرقي وأصبحت في خطر أكبر لأنها تتوغل داخل العاصفة.

"أريد منكِ أن تنعطفي قليلا نحو اليسار. هل يمكنكِ القيام بذلك لأجلي؟"

فاستدارت يساراً كما طلب منها ريل وهي تستمد القوة من صوته الحازم. وراقب ريل بارتياح تغير مواقع النقاط على الشاشة مع كل دورة للرادار.

"انك تقومين بعمل جيد حقاً يا ٦ - ٤ نوفمبر." لقد بدأت تشتد أواصر الثقة بينهما كما أراد.

"ما هي سرعة الهواء عندكِ الآن؟"

ردت كيم: "١٦٠"، ناسية اهتزاز المؤشر. فخفق قلب ريل بعنف. فما كان يخشاه هو أنها تجاوزت خط السرعة الاحمر. فأشار عليها محاولا إخفاء خوفه: "اسحبي الصمام الخانق."

وأتى رد كيم هادئاً: "لقد سحبت الصمام الخانق."

كانا كلاهما يعرفان أن تلك الثواني القليلة هي الأصعب في رحلة "٦ - ٤ نوفمبر" منذ اندفاعها الأعمى نحو مطار مونرو. فقد يتوقف محرك الطائرة اذا ما سحبت الفتاة الصمام الخانق كثيراً الى الوراء.

كانت كتفا ريل تؤلمانه من شدة الانحناء الى الامام. وكلما مرت بضع دقائق كان يظهر مراقب آخر في غرفة الرادار المظلمة ويقف وراءه من دون أن يقول شيئاً، تشجيعاً للمراقب المحنك.

لقد أعطى كيم تعليماته بالشروع في هبوط تدريجي. فقال لها: "إنك تقومين بعمل رائع. ستبدأين الهبوط عما قريب."

فردت كيم بحزم: "٦ - ٤ نوفمبر، حسناً." كان في امكانه سماع التغير الذي طرأ على صوتها. لم تعد طفلة مرعوبة، ففي مواجهة التحدي أخذت تشعر كأنها طيار محنك.

وعندما أصبحت كيم على بعد ١٦ كيلومتراً من المطار سمع ريل الكلمات التي كان يصلي لسماعها، فقد صرخت الفتاة والبهجة تغمرها: "أستطيع رؤية الأرض الآن!" رأت بقاعاً من انديانا الريفية، حقول ذرة تلمع من خلال الغيوم.

(٢) العقدة مقياس للسرعة وتساوي ١٨٥٢ متراً في الساعة.

"هل تشعرين بتحسن الآن؟"

- "٦ - ٤ نوفمبر، أنا بخير."

وفكر ريل: هذه ليست فتاة موشكة على الموت.

فقال لها ريل: "سنجعلك تهبطين على المدرج الطويل." وكان طقس إنديانابوليس يزداد سوءاً بسرعة ولم تكن تفصل العاصفة عن كيم الا دقائق معدودة.

**رسالة عزيزة.** بعدما تلقت كيم تعليمات ريل الأخيرة صمت جهاز الراديو في الطائرة. وبعد لحظات اتصل برج المراقبة بريل وأنبأه: "انها هبطت الآن." فأرخى ريل كتفيه وارتاح للمرة الاولى منذ ٤٥ دقيقة.

وأجرت كيم اتصالا للمرة الأخيرة: "٦ - ٤ نوفمبر، أنا على الارض الآن." وأوقفت الطائرة على جانب المدرج وانهارت متشنجة. كانت ضعيفة ومرهقة الى درجة اضطر معها فريق انقاذ الى مساعدتها في الخروج من الطائرة.

ووقف ريل وتمطّى. كان مصفر الوجه لكنه بدا مبتهجاً، فهو كان يفكر: ان هذا الموظف القديم لا يزال يملك ما يلزم من الخبرة. على التقاعد أن ينتظر.

بعد ثلاثة أسابيع، عادت كيم لتجلس في مقعد الطيار وتتمرن على الاقلاع والهبوط ليلا. ولاحظ مدربها أنها أكثر ثقة بنفسها وأن قيادتها باتت أكثر نعومة. وحازت اجازة في الطيران الخاص بعد عطلة الميلاد وقبلت في برنامج "بوردو".

وتلقى ريل تنويهاً من ادارة الطيران الاتحادية لدوره الرائع في مساعدة الفتاة على الهبوط. وفي شهر مايو (ايار) كان واحداً من أربعة مراقبين اختيروا لنيل جائزة خاصة قدمها نادي الطيران في واشنطن الى قسم الطيران المدني التابع لادارة الطيران الاتحادية.

الا أن الجائزة التي حازت رضى ريل على نحو خاص هي الرسالة التي تلقاها بعد أيام، وفيها: "لقد كانت هذه أرعب تجربة في حياتي، إلا أنك منحتني الثقة لاجتيازها. أنا مدينة لك بحياتي وأقدّر كل ما فعلته من أجلي." وكانت الرسالة مذيلة باسم "كيمبرلي ستال، (٦ - ٤ نوفمبر)."

**دونالد ديل جاكسون** ■



## العنوان الصحيح

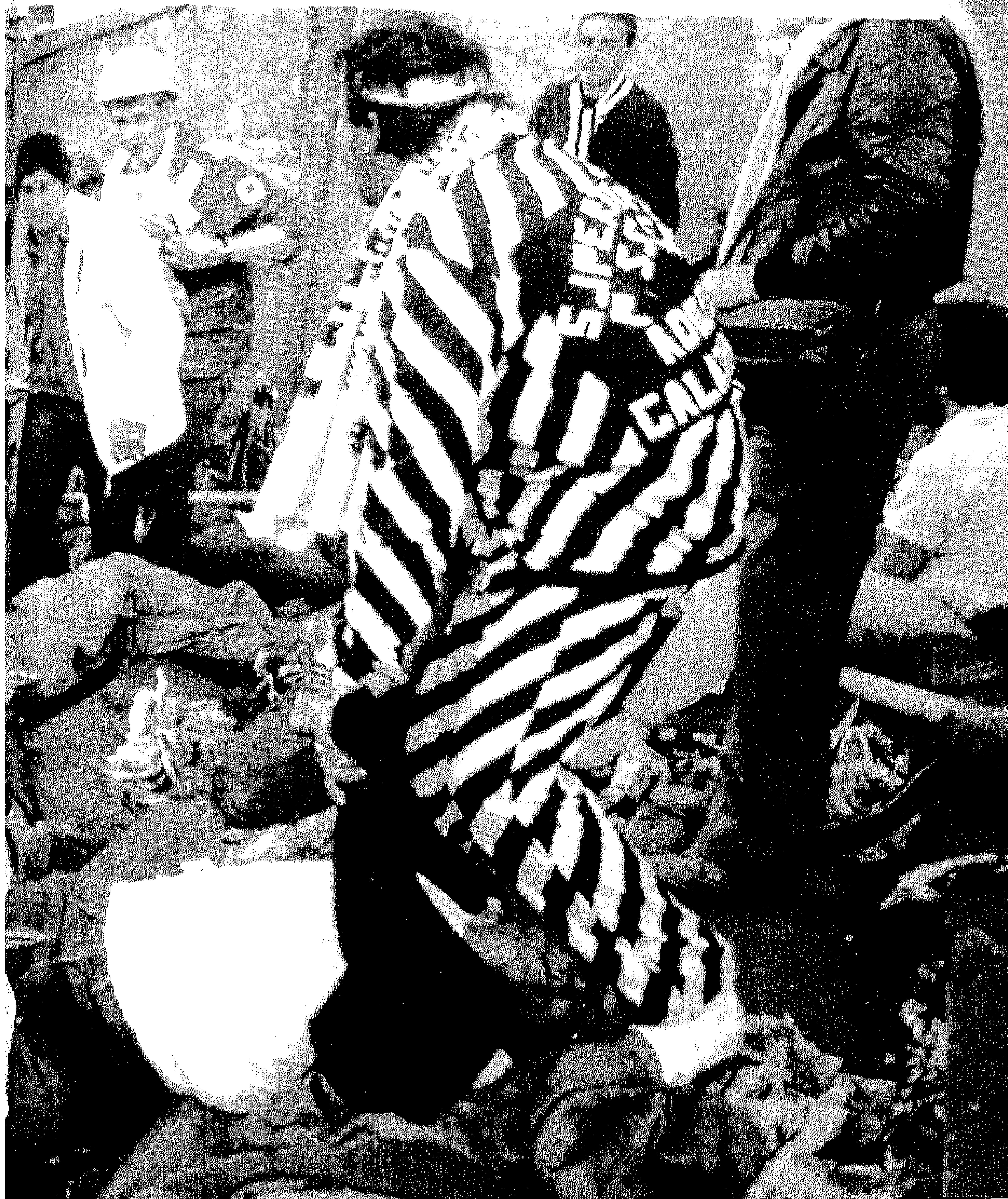
كان الطبيب البيطري المناوب على وشك مغادرة غرفة الانتظار في ذلك المساء عندما سمع قرعاً على الباب. لم يسترع الامر انتباهه في البدء، ولكن عندما صار القرع اكثر إلحاحاً فتح الباب ليشاهد راكون (★) مهتاجاً وقد علق رأسه في مرطبان (جرّة) مربّي الاجاص. وكان الراكون يضرب بالجرة باب عيادة الطوارىء البيطرية!

وبعدما ازيلت الجرة العالقة في رأس الحيوان مضى في سبيله مفتشاً عن الطعام.

(★) حيوان ثديي من اللواحم، موطنه شمال امريكا.

ج.ن.

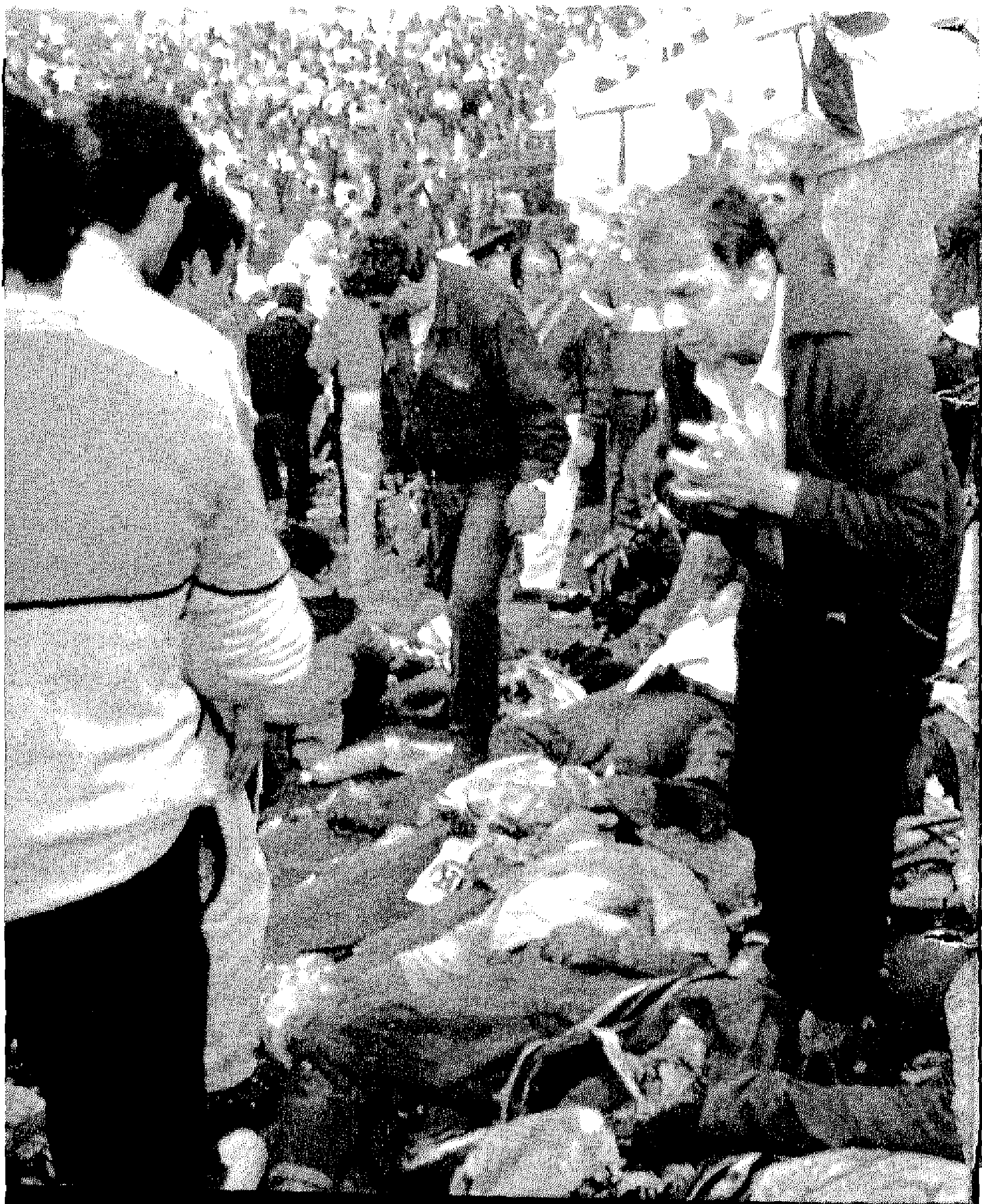
# مشاغبو الملاعب



زمر ثائرة من المشاغبين
والمجرمين المحترفين حوّلت أحب الرياضات الشعبية
ساحات معارك وحمّامات دم

Photo: Alain Schroeder / Sipa-Press

في ملعب هيزل في بروكسل، مايو (أيار) ١٩٨٥.



دوسلدورف (ألمانيا الغربية)، ابريل (نيسان) ١٩٨٨. طوال الشهر كان حشد من المراقبين المتخصصين يتفحصون ملعب "رينشتاديون" الجميل الذي يتسع ٦٨٤٠٠ مشاهد، حيث سيلتقي الفريقان الوطنيان الهولندي والبريطاني في الخامس عشر من يونيو (حزيران) في أشد المباريات سخونة في دورة بطولة اوروبا بكرة القدم. كانوا يتفحصون اصلاحات ضرورية طارئة كلفت أربعة ملايين و٣٤٠ ألف مارك ألماني (مليونين و٥٣٠ ألف دولار) وقضت بانشاء ممرات محصورة ومدرجات لا تتسع لاكثر من ٢٥٠٠ شخص وكل مدرّج مسوّر بحيث يحول دون وصول مؤيدي أحد الفريقين الى مؤيدي الفريق الآخر مما قد يثير شغباً تتعذر السيطرة عليه.

كرة القدم، أكثر الالعاب الرياضية الاوروبية شعبية، أصبحت أبعثها خطراً مميتاً. منذ الستينات قضى مئات في اضطرابات الملاعب، وضُرب مئات وطعنوا بالخناجر وديسوا بالاقدام وشوّهوا بهمجية تلفح الآن كل بلد تمارس فيه هذه اللعبة.

في الرابع عشر من مارس (آذار) ١٩٨٥ كانت رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر تشاهد أخبار المساء على شاشة التلفاز، فاذا بالرعب يتملكها. رعاع سفاحون ثاروا وسط المدارج واقتحموا الملعب أثناء المباراة الاخيرة على أحد الكؤوس في لوتن، المدينة الصناعية المجاورة للندن، وأخذوا يشقون الجماجم ويرشقون رجال الشرطة بالقناني والنبال والمقاعد المحطمة. بعد ذلك اكتسح مؤيدو فريق ملوول المدينة المروّعة وهم يحطمون واجهات المتاجر ويقلبون السيارات، وأخيراً دمروا القطار الذي سينقلهم الى ديارهم. جرح في أعمال الشغب سبعة وأربعون شخصاً بينهم ثلاثة وثلاثون شرطياً. وقدرت الاضرار بسبعين ألف جنيه استرليني (١٣٦ ألف دولار). صرخت رئيسة الوزراء المتميزة غيظاً: "هذا لا يمكن ان يستمر."

لكنه استمر. وغدا أسوأ. يوم السبت ١١ مايو (أيار) توفي فتى في الخامسة عشرة من العمر وأصيب مئة وثمانون مشاهداً بأضرار مختلفة بعدما تسبب مشاغبون في مباراة بين فريقي برمنغهام وليدز، في سقوط جدار علوه ثلاثة أمتار ونصف متر على المشاهدين. ويروي الصحافي روب هيوز أنه رأى ممرضة تجثو



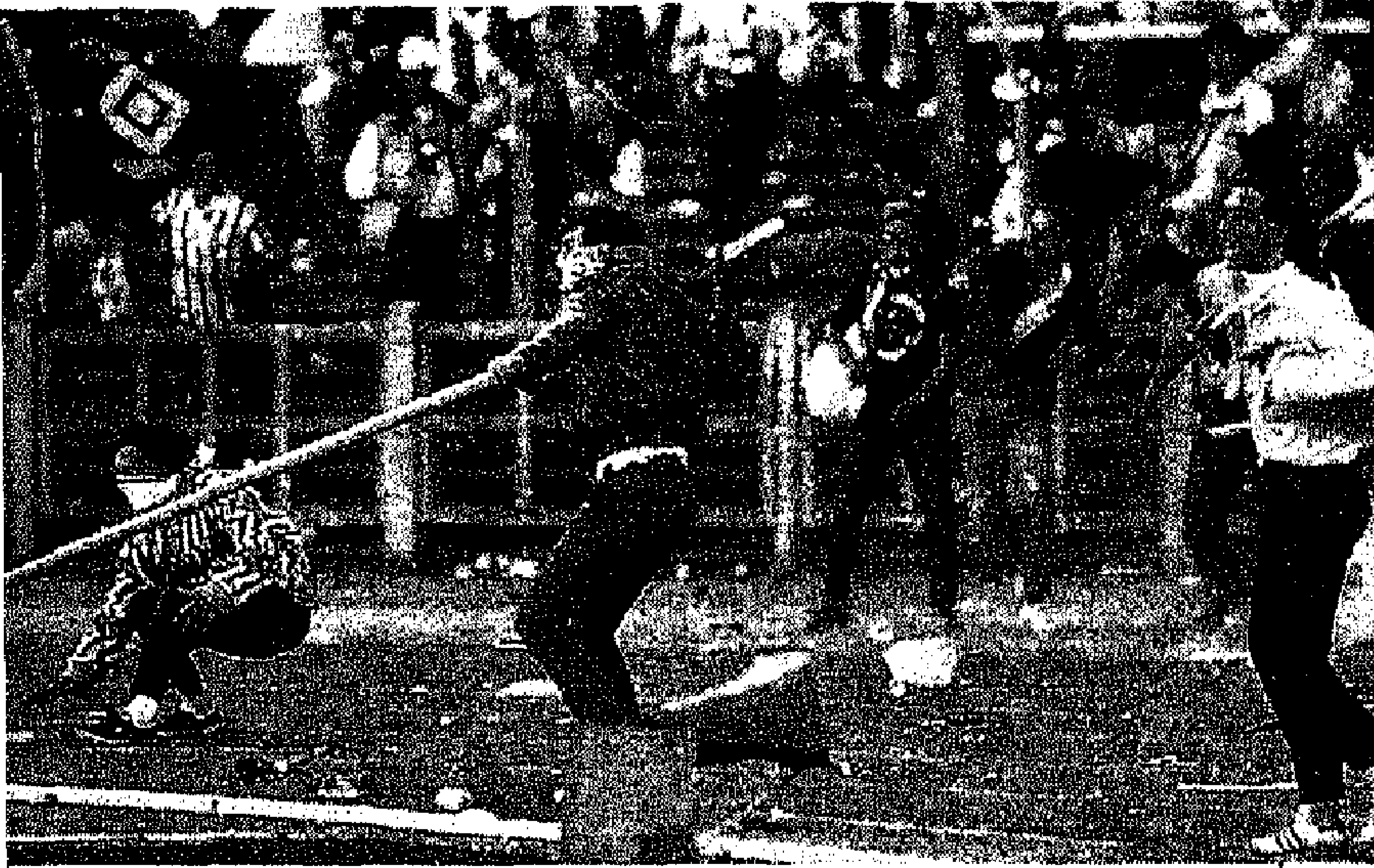
Frilet / Sipa-Press

بعد حادث شغب في بريطانيا، مايو (أيار) ١٩٨٥

على ركبتيها لمواساة الفتى المحتضر، وأحد المشاغبين يرفسها برجله فتغيب عن الوعي.

المجزرة. في ٢٩ مايو (أيار)، تجمّع ٥٨ ألف شخص في ملعب هيزل في بروكسل لمشاهدة مباراة الكأس الاوروبية بين ليفربول البريطاني وجوفنتوس الايطالي. في المدرجات الواقعة في الطرف الجنوبي الشرقي من الملعب كان انكليز شرسون وأنصار فريق جوفنتوس، يستفز بعضهم بعضاً عبر السياج المعدني الفاصل بينهم. وسرعان ما تطايرت الحجار، كذلك علب المرطبات. فجأة اقتحم الانكليز السلك الركيك وحملوا على الايطاليين الذين يقلون عنهم عدداً وأخذوا يضربونهم بقضبان حديد اقتلعوها من السياج. وفي ساعتين شديدتين من المياج الجنوني قتل تسعة وثلاثون شخصاً، سحقاً ودوساً واختناقاً، واصيب نحو أربعمئة.

أشاعت أخبار التلفاز المصورة الرعب عبر العالم. وطلبت الشعوب المتمدنة في كل مكان تصفية الحساب. منعت كل نوادي كرة القدم الانكليزية من الاشتراك في المباريات الاوروبية. وكلفت قوة مؤلفة من خمسين شرطياً من ليفربول دراسة الاشرطة التلفزيونية وصور الصحف. فتحققت من هويات ستة وعشرين مشاغباً يحاكمون الآن في بلجيكا ويواجهون حكماً بالسجن ربما لعشر سنين. وفي بريطانيا تعهدت نوادي كرة القدم تعزيز الامن وتشديد القيود على تناول الكحول في الملاعب، ووضع مزيد من السياجات للفصل بين الاضداد.



في ملعب راينشتاديون في دوسلدورف، يونيو (حزيران) ١٩٨٨.

عندما سكت صوت الحميّا لوحظ تعزيز كثيف لرجال الشرطة في الملاعب التي أصبحت تشبه سجوناً صارمة. وبات عنف المشاغبين خارجاً، منتقلا الى الشوارع المحيطة المجاورة لحانات ومحطات النقل العام. وفي العام ١٩٨٧ ارتفعت الكلفة السنوية لحفظ النظام في ملاعب كرة القدم البريطانية الى عشرة ملايين جنيه استرليني (١٨ مليون دولار) يتحمل ثلثيها المواطنون، دافعو الضرائب.

أما العقاب فيبدو أنه لم يكن رادعاً، لانه - بحسب الظواهر - نادراً ما كان حازماً. في الشتاء والربيع الفائتين (١٩٨٨) نجحت الشرطة البريطانية في

تصفية ست من العصابات المشاغبة، ولكن من مئات المجرمين الذين أوقفوا أرسل عدد قليل الى السجن.

بالنسبة الى المتهمين بمأساة هيزل، أدت مناورة قانونية قام بها الدفاع الى حفظ القضية معلقة قرابة ثلاث سنوات. وأخيراً بدأت المحاكمة في ١٧ أكتوبر (تشرين الاول) وينتظر أن تستمر بضعة أشهر.

عنف مدروس • لندن، مايو (أيار). من اجل شراء بطاقات لمباريات البطولة الاوروبية، كان على أنصار الانكليز أن يجيبوا عن مجموعة أسئلة مفصلة، وتقابل الاجوبة في ما بعد مع "لائحة سوداء" تتضمن أسماء عصابات معروفة. وعين مخبرون سريون للسفر مع جماعات مشتبه بها. لم يكن ثمة أبداً تعاون بين قوى الشرطة في أوروبا الغربية أشد منه اليوم.

ولكن كانت هنالك علامات شؤم سود. فقد ظهرت قمصان طبع عليها: "غزو بريطانيا لألمانيا، ١٩٨٨." ان البروفسور لود وولغريف، العالم النفساني ورئيس دائرة علم الاجرام في جامعة لوفن ببلجيكا، الذي كان يجري دراسة على شجون لعبة كرة القدم لمصلحة الحكومة البلجيكية، يروي أن تصادماً بين انصار الجانبين الهولندي والانكليزي هو الآن قيد التحضير. انهم يقصدون أن يظهروا من هي الجماعة السفاحة الرقم ١ في أوروبا.

كرة القدم وعنف الجماهير يسيران معاً. انها لبلوى عالمية. في العام ١٩٦٤ قتل ٣٢٠ شخصاً في ملعب ليما الوطني في البيرو في أحداث شغب تلت قرار الحَكَمْ الغاء هدف لفريق البيرو. وفي العام ١٩٦٩ ولّد خصام أعمال عنف بين أفراد فريقي هندوراس والسلفادور أثناء دورات التأهيل لكأس العالم، الى حد نشوب حرب فعلية بين البلدين انتهت بألفي قتيل.

"شغب الفوتبول"، ذاك العنف المدروس والمنظم بعناية والذي عرف سابقاً بـ"المرض الانكليزي" نظراً الى المنحى الذي نحاه في بريطانيا، هو الآن مرض أوروبي. عام ١٩٨٧ في لاهاي كان فريقان هولنديان يلعبان في حضور ٥٠٠ شرطي كُلفوا ضبط سلوك الجمهور المؤلف من قرابة عشرين ألفاً، فبلغت مشاجرة ذروتها في المدارج مما استدعى الغاء اللعب بعد انتهاء الشوط الاول. وفي اسبانيا، بعد بضعة أشهر، أمرت السلطات الامنية فريقي ريال مدريد ونابولي بأن يلعبا مباراتهما في ملعب خال، خوفاً من هيجان لا يمكن ضبطه. وبعد أشهر من انتصار ايطاليا على ألمانيا الغربية في نهائي كأس العالم للعام ١٩٨٢ ظل المشاغبون الالمان يحطمون نوافذ السيارات التي تحمل لوائح ايطالية.

[illegible] • بالنسبة الى مجرمي الكرة في العالم، البريطانيون هم مثال المحترفين الحقيقيين، وغزوهم الهمجي لاوروبا مصدر رعب وحسد. فمن هم هؤلاء الاجلاف "الذين أحدروا علم بريطانيا الى الحضيض في ملاعب أوروبا،" كما جاء في رسالة رئيس نادي

لوتن لكرة القدم الى صحيفة "دايلي تلغراف." هل شغب كرة القدم هو ثورة منبوذي المجتمع من فقراء وعاطلين عن العمل؟.

يقول مساعد مدير شرطة مانشستر ديفيد فيليبس الناطق الرئيسي باسم الشرطة البريطانية حول هذا الموضوع: "لم يدلّ بحثنا على هذا الامر. والواقع أن عدداً ضئيلا جداً من المشاغبين عاطل عن العمل." ويؤمن فيليبس بالتعليل النفسي أكثر مما يؤمن بالتعليل الاجتماعي. انه يرى أن للمشاغب شخصية صعبة التكيّف. انه شخص ضعيف الثقة بنفسه، يموه ضعفه بالتبجح والوعيد. شخص لا يجلّ العلاقات العائلية، تعوزه القدرة على الحب والعطف، ويخذل الآخرين على الدوام.

أما صورة وسائل الاعلام لمشاغب كرة القدم – رأس حليق وحذاء بال وسروال جينز قذر – فتحتاج أيضاً الى تعديل. فها هو تيري لاست، قائد مشاغبي تشلسي، رجل متأنق بصدرة صوفية ثمينة وحذاء رياضي حديث وشعر مصفف. في العام ١٩٨٥ حين كان في قمة مجده، كان في الثالثة والعشرين من العمر، يكسب مئة وعشرين جنيهاً استرلينياً في الاسبوع ككاتب في مؤسسة محاماة لندنية.

كان تيري لاست يسجّل اليوميات بدقة شديدة. دوّن المعارك والاصابات التي خلفتها زمر المشاغبين. هل طعنوا مؤيدي نيو كاسل بالسكاكين؟ هل رموا تلميذاً من نافذة في ساوث بورت قاطعين له شرياناً ومتلفين أعصاباً؟ دونت الهجمات في مفكرة لاست باسهاب شرس. الامر الوحيد المفقود كان ذكر كرة القدم. ان ما حدث على الملعب لم تكن له، منذ امد طويل، أي علاقة بالرياضة.

بدا البغض وقود لاست وهو يبحث في المدارج عن "الاعداء"، أي عن أيّ شخص يهتف ضد تشلسي. وعندما يجد جماعة عدوة كان يرسل اليها سفاحيه، نحو مئتين منهم. عندئذ فقط كان يرضى ويرتاح.

أوقف في مارس (آذار) ١٩٨٦ وكان بين القلائل الذين ثبتت عليهم الجريمة. وحكم على لاست بعشر سنين سجناً.

[illegible]. شتوتغارت، ١٢ يونيو (حزيران). مؤيدو الفريق الانكليزي البالغ عددهم ثمانية آلاف يراقبون بغضب صامت فيما فريقهم يتراجع أمام فريق جمهورية ايرلندا. جرت المباراة في ظل حصار، والشغب متعذر في مدارج الملعب. أما في الخارج فزمر الاشقياء الثملين تملأ الحانات صخباً وعراكاً. أوقفت الشرطة خمسة وثمانين شخصاً بينهم سبعة وستون انكليزياً. من هؤلاء بقي ستة عشر في الحجز، أما الآخرون فأطلقوا قبل ميعاد السفر الى دوسلدورف، حيث سيحصل "أكبر شغب منذ الحرب العالمية الثانية،" كما وعد أحد الاشقياء الثملين.

ينتقد الشرطي فيليبس وسائل الاعلام في مفهومها لمشاغبي كرة القدم كمحاربي عطلة الاسبوع أو كفتيان محترمين ينحدرون الى الدناءة بعد ظهر السبت. قال: "معظم الذين تعاملت معهم كانوا لصوصاً ونشالين وأشقياء موهوبين للقيام بهجمات وأعمال عنف."

ويصف وولفريف تشكيلا ثلاثي الصفوف ترئسه حثالة من العاطلين عن العمل "المحتـرفين". هؤلاء يبلغون قـرابة المئتين في بلجيكا. ويتجمع حولهم ألوف من الشبان الاصغر منهم سناً الذين يودون أن يصبحوا "محترفين"، هؤلاء يرمون بأنفسهم في أعنف المعارك أملا بجذب انظار القادة. وهنالك أيضاً أعداد من المراهقين الذين يتقاطرون الى ألعاب الحروب ولكن لا يقاتلون.

كان البروفسور وولفريف الأول في تفصيل الروابط بين زمر المشاغبين في بلدان مختلفة: تحديات، وتعهد بالتأييد ضد الاعداء المشتركين. وأساس معظم هذه الاتصالات العالمية هو التعصب اليميني العنصري في ايديـولوجيـة المشاغبين. وقد وزع مؤيدو تشلسي مئات من البطاقات المطبوعة تحمل أبشع الدعوات العنصرية!

عندما تسافر عصابات كرة القدم الانكليزية الى الخارج، تكون رؤوس افرادها ملأى بأساطير النصر. بعضهم قادة، وبعضهم أتباع، وكلهم مقتنع، كفريق اللعب، أنه يرفع شرف بريطانيا.

يخال بول سكاروت نفسه قائداً. هو في الثانية والثلاثين من العمر، مهندس كهربائي، بلا عمل، من عائلة ذات أساس متين. أمضى مدداً في السجن من أجل عنف يتعلق بكرة القدم. وهذه المدد لا تشمل مدة توقيفه في شتوتغارت في عطلة نهاية الاسبوع التي افتتحت فيها الالعاب، بتهمة قيادته معركة شارعية أنشدت فيها شعارات نازية. أرسله الالمان الى بلاده بدلا من احتجازه. وقد أبلغ سكاروت الى الصحافيين أنه ترك "الجنرالات" وراءه وأن شوارع دوسلدورف ستحمّر بدم الالمان.

سأله أحدهم: "ماذا جنيت من العنف؟"

أجاب وهو ينظر شزراً: "قليلا من الاثارة. لهذا السبب أفعل ما أفعل... ولأن الحانات لا تفتح أربعاً وعشرين ساعة في اليوم."

**تدابير ضرورية** دوسلدورف، ١٥ يونيو (حزيران). الفريق الهولندي هزم الفريق الانكليزي بثلاثة أهداف في مقابل هدف واحد. وعنَّ للانكليز أن يندفعوا بجنون ويضربوا من في طريقهم. لكن ذلك لم يحدث، فالاستعدادات الدولية أعطت ثمارها: ألفان وخمسمئة شرطي محلي، تدعمهم مروحيات تكشف عدساتها التلفزيونية الاضطراب عند وقوعه، نجحوا في ابعاد مؤيدي الانكليز عن مؤيدي الهولنديين. طوال النهار وخلال الاسبوع اللاحق حدثت مشاجرات متفرقة وأوقف المئات، لكن الاسوأ تم تفاديه.

يرى الخبراء أن جبه المشاغبين باجراءات أمنية أعنف هي معالجـة للأعراض فحسب. المطلوب برنامج دولي ينذر عناصر الشغب في كل الدول بأن الحفلة انتهت. ومن المستحسن البدء بقبول الحقيقة المخيفة: انه، لمدة طويلة، لن تجرى مباراة دولية بكرة القدم في أوروبا لا يتخللها عنف من العصابات الانكليزية. لذلك:

□ يجب أن تعلن بريطانيا انسحابها من بطولة كأس العالم للعام ١٩٩٠ التي بدأت دوراتها التأهيلية في خريف ١٩٨٨.

□ يجب أن تفرض قيود، بأوامر قضائية، على أي سافر الى الخارج له سوابق في عنف كرة القدم.

□ المسيؤون في الخارج يجب أن يحاكموا ويعاقبوا حيث هم.

□ عربدة كرة القدم تدعو الى اصدار أحكام إلزامية قاسية كتلك التي أعدّت للشغب والفوضى العنيفة والقيادة السكرى للسيارات، تلك الاعمال التي تتضمن الاذى الجسماني.

□ يجب أن يستمر تحريم الكحول في ملاعب كرة القدم، وحظره أيام الالعاب في أي مكان مجاور. ويعاقب المخالفون بثلاثين يوماً سجناً وبغرامة تبلغ خمسمئة جنيه استرليني (٩٠٠ دولار).

□ يجب أن تكون للسلطات المحلية القدرة على الغاء اللعب قبل بدئه، أو في أي وقت لاحق، اذا ما كان النظام العام مهدداً.

□ يجب حمل أصحاب النوادي على تحسين التسهيلات في ملاعبهم، ووضع مقاعد في كل مناطق الوقوف في المدارج.

هنالك شيء ما في برنامج كهذا قد يزعج أي نصير لكرة القدم. ولكن اذا ما تم تبنيه فان هنالك فرصة جيدة لاعادة اللعب الى مؤيديه الحقيقيين: المشاهدين الذين لهم حق التمتع برياضتهم المفضلة لا الخوف منها.

لورنس إليوت ■

## اعراض موسيقية!

تستعيد الممثلة الامريكية هيلين هايز، في سيرتها الذاتية، مناسبة طغت فيها حماسة والدتها على إدراكها الواقعي للامور:

"منذ كنت طفلة صغيرة لم يظهر فنان في العاصمة واشنطن الاّ وشاهدته. وعندما أُعلن برنامج العازفة الشهيرة ميسشا إلمان ذهبت مع امي لحضور احدى حفلاتها واتخذنا مكانا لنا في البلكون. وكانت امي لا تزال تظن أن عزف الكمان هو ما يجب ان يكون مهنتي وتحاول ان تقنع والدي بتعليمي العزف عليه. وخلال الحفلة الموسيقية لاحظت بريقاً جديداً في عينيّ وتورُّداً جديداً في وجهي. فاعادتني الى المنزل على جناح حماسة مرتفعة.

توجهت الى ابي باعتداد وقالت: "فرانك، انظر الى ابنتك!"

حاول والدي ان يقاطعها: "إسّي..."

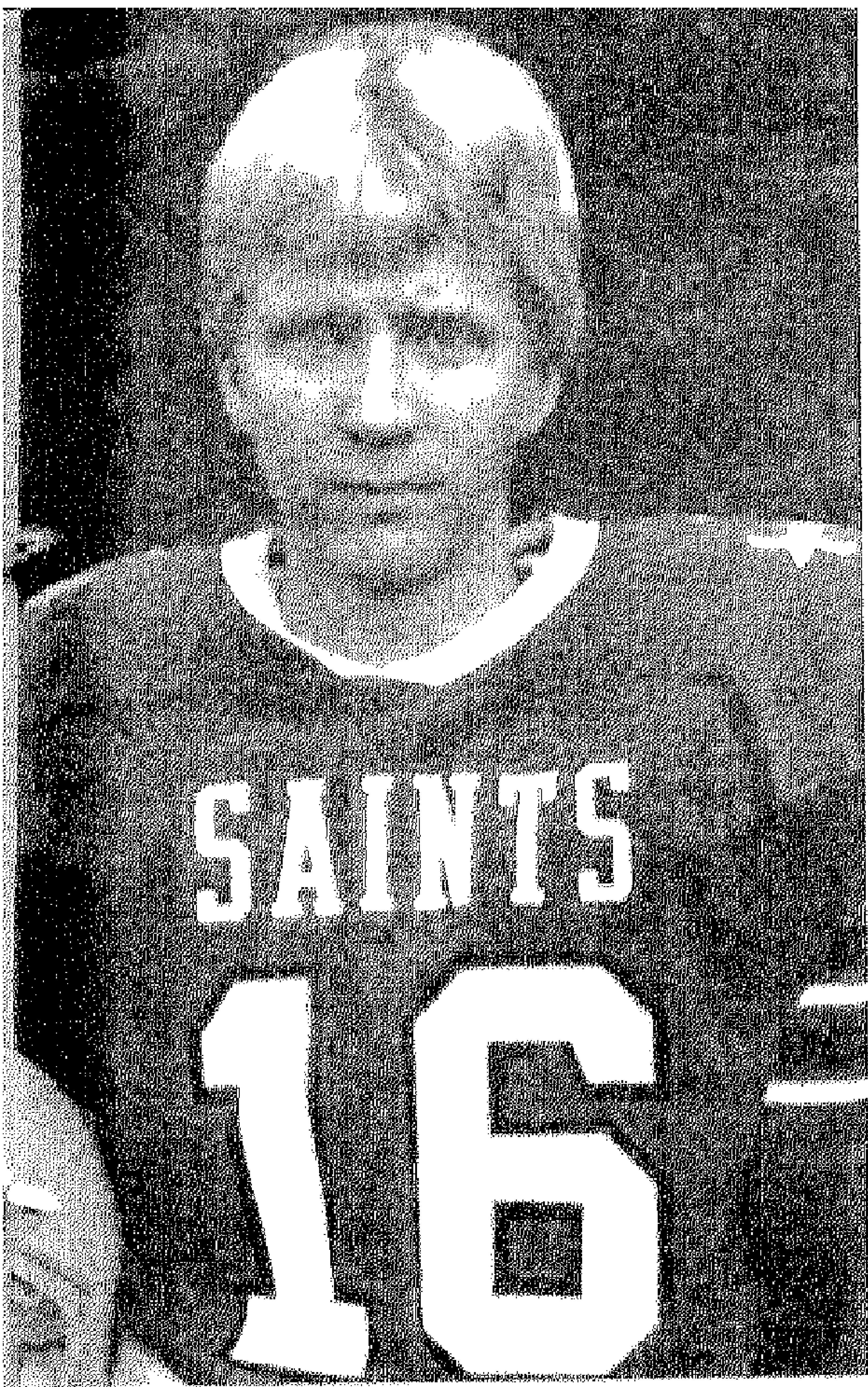
فقالت بانخطاف: "منذ لحظات كنا نستمع الى ميسشا إلمان – وانظر اليها..."

– إسّي...

– لقد قلت لك إن حب الموسيقى يجري في عروقها. اتعرف اطفالا كثيرين تنعشهم الموسيقى الراقية مثلما انعشتها، وورّدت خديها؟ هل حاولتَ مرة ان تنظر الى عينيها المتألقتين؟

– ابداً، اعترف بذلك. ولكن انظري الى عنقها، إنها مصابة بمرض الحصبة!"

هيلين هايز




أثر هذا الشاب
في حياة كثيرين في مجتمعه
والآن حان الوقت
ليفعل هؤلاء شيئاً
لانقاذه من الموت

# قلب للابن الحبيب

ذات ليلة ماطرة من شهر أغسطس (آب) في شمال ولاية ويسكنسن الامريكية كان برديت بيوركلند يشاهد تدريباً في كرة القدم في مدرسة سان كروا فولز الثانوية. ومن خلال الضباب راح هذا العامل الاجتماعي البالغ السادسة والخمسين من العمر يلاحق ابنه مارك بعينيه وهو يقود الفريق اثناء التحضير لافتتاح موسم كرة القدم.

كان مارك بقامته الفارعة وشعره الاشقر ومحياه الجميل لاعباً ورياضياً متعدد المواهب. فالى كونه عضواً في فرق محلية لكرة السلة وكرة القاعدة وسباق الميدان، كان قائد فريق لكرة القدم. وكان أيضاً تلميذاً لامعاً ذا موهبة خاصة في الرياضيات.

في نهاية التدريب لاحظ برديت أن مارك، خلافاً لعادته، تلكأ خلف رفاقه في العدو السريع. وفي تلك الليلة، بينما كان برديت وزوجته يشاهدان التلفاز، سمعا ابنهما يسعل في المطبخ. "أشعر كأنني أختنق يا أمي،" قال مارك وهو يحاول تناول دواء السعال، "هناك ضغط على صدري."

كانت التمرينات بدأت باكراً في ذلك الشهر، وأخذ مارك يتعب بسرعة. لكنه لم يخبر أهله ولا مدربه، اعتقاداً منه أن السبب قلة التمرين في الاشهر الماضية. والآن، قبل يومين من موعد افتتاح الموسم الرياضي للعام ١٩٨٦، قرر مارك أن يتجاهل انزعاجه.

أداؤه في المباراتين الاوليين لم يشر الى أي مشكلة جسدية. ولكن في السادس من سبتمبر (أيلول) بعد يوم من الهزيمة المأسوية التي منيت بها مدرسة كامبرلاند الثانوية، اشتكى مارك من ألم في معدته وأمضى النهار في سريره. وبعد ظهر اليوم التالي، أثناء سيره في عرض مع الفرقة الموسيقية في مدرسته، لاحظ أقرباؤه نظرة باهتة مضطربة على وجهه.

قال له أبوه: "هذا يكفي. عليك الذهاب الى طبيب."

غادر مارك المدرسة باكراً بعد ظهر الاثنين. اعتقد أنه سيدخل مركز ريفرفالي الطبي في سان كروا فولز ويعود الى تمارين كرة القدم في موعدها.

ارتسمت على وجه الطبيب كارل هانسن نظرة مقلقة بعدما تفحص نبض مارك، بلغت دقات القلب ١٠٣ في الثانية وهذا أسرع بكثير من النبض الطبيعي. فطلب الطبيب صورة بالاشعة لصدره، وحين رفعها أمام الضوء وجد أن قلب مارك يزيد ثلاثة أضعاف على حجم القلب العادي.

تبع ذلك تخطيط للقلب، وأتت النتيجة مؤكدة لشكوك الطبيب حول وجود مرض خطير في القلب. فقال لمارك: "عليك أن تنسى موسم كرة القدم، انه قلبك."

أما برديت الذي وصل قبل لحظات فوقف غير مصدق. كيف يمكن أن يصبح هذا الرياضي الموهوب مريضاً فجأة على هذا النحو؟

**في رعاية الله.** كان آل بيوركلاند لا يزالون مصدومين بعد يومين عندما أكد الدكتور فيكتور تشيدا من "مركز سانت بول" لامراض القلب والرئة في مينيسوتا بولاية مينيا بوليس اصابة مارك بمرض يتلف عضلة القلب(★). وأضاف ان من الممكن تثبيت حالته الصحية كما يمكن العقاقير أن تخفف من تضخم قلبه.

تغيرت حياة مارك جذرياً بين ليلة وضحاها. مُنع من مزاولة أي نشاطات لامنهجية وأصبح شبه عاجز. وأسندت واجباته البيتية الى أخيه بريان الذي يبلغ من العمر ١٣ سنة، فكان هذا يحمل كتب مارك الى المدرسة ويحضر الطعام الى غرفته كي لا يضطر مارك الى صعود الدرج.

وعلى نحو يدعو الى المرارة والألم، تغيرت حياة مارك الاجتماعية أيضاً. حاول أصدقاؤه اشراكه في خططهم، لكن الامر كان صعباً. لم يعرفوا كيف يتصرفون معه، إذ ان مرض القلب يختص بالمسنين.

لبضعة أسابيع بدا مارك كأنه تحسن. ولكن في نوفمبر (تشرين الثاني) خضع لفحص أجرته الدكتورة ماريا تريزا اوليفاري، المديرة الطبية لبرنامج زرع القلب في مستشفى جامعة مينيسوتا في مينيابوليس. قالت الطبيبة ان العقاقير لم تستطع تصغير حجم القلب وان فرص

(★) Cardiomyopathy

بقاء مارك قيد الحياة ستكون ضئيلة ما لم تجر له جراحة زرع قلب خلال عام واحد.

وفيما كان برديت يقود السيارة في طريق العودة الى المنزل، وضعت زوجته غريس ذراعها حول ابنها مارك وقالت له معزية: "انهم اطباء، لا أكثر ولا أقل. لا يستطيعون أن يروا ما داخل قلبك. الله وحده يستطيع ذلك. ستكون في رعاية الله."

فضم مارك أمه بحرارة قائلا: "أعرف ذلك يا أمي."

كان آل بيوركلاند، مثل سائر العائلات اليوم، منشغلين في مواكبة الحياة المعاصرة. لكنهم باتوا يتوقفون قليلا لقول كلمة "أحبك."

أصبحت زيارات الدكتور تشيدا والدكتور هانسن روتيناً أسبوعياً. وعلى رغم ذلك لم تكن غريس مستعدة لأخبار الدكتور تشيدا حين اتصل بها في الثامن عشر من شهر مارس (آذار) وأبلغها أن الفحوص الاخيرة أظهرت أن قلب مارك زاد تضخماً ووهناً. وطلب بالحاح الاذن باجراء جراحة زرع قلب عاجلة.

سألته الأم منذهلة: "الا يمكننا الانتظار الى موعد تخرجه في المدرسة؟"

وجاءها جواب الطبيب: "لا، قطعاً."

عندما عاد مارك الى المنزل جلس والداه معه وأخبراه: "يقول الاطباء ان الوقت حان يا مارك. وسنؤيد قرارك مهما يكن."

فرد مارك: "هناك خيار واحد. لا أريد أن أعيش بقية حياتي هكذا."

**انه أخي.** انتشر الخبر بسرعة في أنحاء بلدة سان كروا فولز. وفي الاسبوع التالي خلال دورة لكرة السلة اجتمعت ثلاث أمهات في مقاعد المتفرجين: ساندي باسيت وماري أندرسن وميلودي غرينكويست. جميعهن لم يستطعن التوقف عن التفكير في مارك. كانت غريس اخبرت ساندي أن شركة التأمين ستغطي تكاليف جراحة زرع القلب البالغة خمسين ألف دولار، لكنها لن تغطي الا جزءاً ضئيلا من العقاقير الباهظة الثمن التي سيتعين على مارك تناولها طوال حياته.

وبينما كانت النسوة يشاهدن أبناءهن على أرض الملعب، طرأت فكرة على بال ساندي فقالت: "في امكان نادي بوستر أن يرعى دورة اقليمية في كرة السلة لجمع المال اللازم." فوافقت ماري وميلودي على هذه الفكرة بحماسة. بالتأكيد هنالك منظمات أخرى في وادي سان كروا ستقدم قسطها من المشاركة. ففي ما مضى كان مارك عضواً في مجلس الطلاب وممثلا لصفه ومساعداً في برنامج مكافحة المخدرات والكحول. وكما قالت ماري: "لقد أثر في حياة كثيرين."

مساء ٣٠ مارس (آذار) اجتمع نحو ٧٥ شخصاً في المدرسة الثانوية. قدمت الاندية والمنظمات المدنية والافراد كثيراً من الافكار. وشرد فكر ايمي رايديك اثناء استماعها الى المتكلمين. كانت من أقرب أصدقاء مارك، وكانت تراقب انطفاء حياته منذ عدة أشهر وهي عاجزة عن تقديم المساعدة. وحدثت نفسها: أخيراً هذا أمر نستطيع القيام به جميعاً.

كان شعار حملة التبرعات: "قلوبنا لمارك." باع المتطوعون خمسة آلاف زر

و٩٠٠ قميص تحمل هذا الشعار. وفي ما سماه رفقاء صفه "سوق العبيد" باعوا مهاراتهم في غسيل السيارات وتأدية مهمات أخرى. ونصب ميزان حرارة مصنوع من الكرتون ويبلغ طوله متراً ونصف متر في مصرف "فيرست ناشونال بنك" في سان كروا فلوز مسجلا تدفق الاموال.

وفي مدرسة سورنسن التكميلية حيث سبق لمارك أن درس، أخبرت جانيت روكفورد التلاميذ أن في امكانهم مساعدة مارك من طريق بيع فطائر البيتزا. وأضافت: "ومن يَبِعْ أكبر عدد من الفطائر يسلم المبلغ شخصياً الى مارك."

فابتسم صبي قاتم الشعر من الصف السابع وتخيل تلك اللحظة وقال في نفسه: سأكون البائع الافضل. انه أخي. كان ذلك بريان بيوركلند.

وتبعت ذلك حملة بيع جنونية دارت من منزل الى منزل. وفي الثامن والعشرين من شهر ابريل (نيسان) في منتصف دورة نادي بوستر الرياضية الإقليمية، وقف بريان في منتصف الملعب. ووسط الهدوء المخيم على الجمع قدم الى مارك حوالة بمبلغ ١٣٢٠ دولاراً جمعها الصفان السابع والثامن. لم تكن ثمة حاجة الى الكلام.

استقطبت الدورة ٢١ فريقاً محلياً. وفي نهاية الاسبوع تراكم مبلغ ٣٥ ألف دولار في صندوق بيوركلند بعدما سلمت المنظمات المختلفة المال المجموع من المعارض والحفلات ومباريات البولينغ وصيد السمك.

**رحلة في المراكب.** كانت صحة مارك في تدهور مستمر. وكان صمم على التخرج مع رفقاء صفه، لكنه لم يعد يملك القوة التي تمكنه من الذهاب الى المدرسة. فوضع على لائحة انتظار للحصول على قلب يهبه متبرع. وزود جهاز اتصال الكترونياً يجعله في اتصال دائم مع مستشفى الجامعة.

وفي كل مساء كان برديت وغريس يدخلان بهدوء غرفة نوم مارك ويستمعان الى تنفسه المجهد. وكانا في خشية دائمة من ألا يطلع عليه الصباح.

أخبرت الدكتورة اوليفاري والدي مارك انه يجب على المقربين من ابنهما ان يعرفوا تقنية انعاش القلب والرئتين. ونزولا عند رغبة غريس أعلمت المعلمة مارليز ناسيث ثمانية من رفقاء مارك بالامر، وكانت ايمي بينهم. وتقول مارليز: "في ذلك اليوم أدرك هؤلاء الاصدقاء امكان موت مارك."

يوم التاسع من مايو (أيار) كان موعد الحفلة الراقصة للصف المتخرج في سان كروا فولز. وكان مارك تواعد وايمي على الذهاب الى الحفلة قبل عدة أسابيع. أما الآن فقد أخذت ايمي تقنعه بعدم الذهاب، لكنه لم يكن يوماً ناكثاً لوعد.

كانت الليلة الموعودة رائعة بحرارتها المعتدلة. وأقيمت الحفلة على متن "تايلرز فولز برنسيس" وهي سفينة تغذيفية تعود الى القرن التاسع عشر وكانت تستعمل للرحلات القصيرة عبر نهر سان كروا.

اصطف الاهالي مبتسمين على ضفة النهر ليودعوا السفينة ويلتقطوا صوراً تذكارية. لكن غريس بيوركلند كانت مشغولة البال فلم تتمتع بهذا المشهد.

وكان مارك منحنياً فوق حافة السفينة محاولا اخفاء ألمه، لكنه لم يخدع أحداً.

بُعيد التاسعة مساء كان الدكتور ستيفز رينغ، وهو جرّاح في مستشفى الجامعة، يحاول الاتصال بمارك عبر الجهاز الالكتروني. لقد توفي فتى في مدينة سان بول نتيجة حادث سيارة ورغب أهله في وهب أعضائه الحيوية، فكان مارك الشخص الملائم.

مرت ثلاث ساعات لم يستطع خلالها الدكتور رينغ الاتصال بمارك. وقد تبين في ما بعد ان المرتفعات الصخرية الكثيفة الممتدة على طول الشاطىء كانت تعيق وصول تلك الاشارات. وأخيراً اتصل الجراح هاتفياً بمنزل آل بيوركلند، فردت غريس. وبعد لحظات صاحت: "أصبح لديهم قلب يا برديت!"

كان على متن السفينة "برنسيس" مذياع للطوارىء موجه على خطين، فاستدعي مارك وايمي الى حجرة القبطان حيث تلقى مارك الرسالة بتكشيرة غضب.

قرر القبطان التوقف حالا. لكن منسوب مياه النهر كان منخفضاً فلم تستطع السفينة الاقتراب أكثر من مسافة عشرة أمتار من الضفة.

اتجه مارك وايمي الى الحافة ونظرا الى المياه الضحلة ثم حدقا الواحد الى الآخر. فقالت ايمي "لِمَ لا؟"

حمل مارك حذاءه وجوربيه ورفع سرواله الرمادي، كما رفعت ايمي فستانها الابيض، وشق الاثنان طريقهما بمرح نحو الضفة. وكان الوحل يتطاير من بين أصابع أرجلهما. واغرورقت عيون الجميع فيما مصابيح السفينة تلاحق مارك وايمي.

بعد دقائق كان مارك ووالداه يتجهون جنوباً الى مدينة سانت بول.

وأخيراً، في السادسة والنصف صباح عيد الامهات(٢) ودع مارك والديه وهو يجر الى غرفة العمليات في مستشفى الجامعة.

وفي العاشرة والربع خرج الدكتور رينغ من غرفة العمليات حاملا الخبر الذي طال انتظاره. كان قلب مارك في حال أسوأ مما توقع، لكن عملية الزرع أجريت بنجاح. فهاج حشد من محبي مارك مبتهجين وأخذوا يحتضنون بعضهم بعضاً.

تحسنت حال مارك بسرعة. وبعد مضي ١٢ ساعة على عملية الزرع فُكَّ من جهاز التنفس وأخذ يصافح أفراد العائلة.

أخبره الدكتور رينغ أن في امكانه حضور حفلة تخرجه في الرابع والعشرين من مايو (أيار). وكان رفقاؤه اختاروه لالقاء خطاب التخرج. وقبل موعد الحفلة بأسابيع سأله مدير المدرسة هل يرغب في تسجيل خطابه على شريط فيديو في حال عدم تمكنه من حضور الحفلة، فهز مارك رأسه نافياً: "سأكون هناك."

ويوم الثلثاء كان مارك يتمشى في قسم "العناية الفائقة" وهو يقذف أوراقاً مضغوطة الى طوق علق على الجدار كبديل من سلة. وغادر مارك المستشفى الى بيته نهار السبت بعد مضي ستة أيام على اجراء الزرع.

ويوم التخرج اصطف مارك مع ٨٣ خريجاً للسير في عرض داخل مبنى الالعاب الرياضية. وقف الجمع باحتفاء

(٢) تحتفل الولايات المتحدة بعيد الامهات في ١٠ مايو (ايار).

حماسي عندما وطىء مارك المنبر، فابتسم الشاب ابتسامة خجولة.

وبعد دقيقة حبس المشاهدون أنفاسهم عندما تلعثم مارك خلال خطابه، فابتسم وقال: "كان يجب أن تجرى لي عملية زرع لسان."

بعد ذلك قدم مارك بعض الخواطر الشخصية: "قد يقول البعض ان حظي سيىء، لكنني أعتقد أن هذه التجربة كانت نعمة لي. لقد تعلمت ألا استخف بالحياة. وهو شعور عظيم أن تعرف أن هناك أناساً كثيرين يهتمون بك، وأنك تستطيع أن تبادلهم الاهتمام."

بعد دقائق تكلمت كيم سودي، احدى رفيقات مارك المتفوقات، بعبارات لم تكن غائبة عن أذهان الحضور. قالت: "الشيء الوحيد الذي سيتذكره رفاق الصف هو قلب مارك بيوركلند." وتابعت حابسة دموعها: "ليس فقط قلبه، بل روحه أيضاً. لقد ظل يكافح على رغم كل شيء."

**غاري جونسون** ■

---

**أنهى مارك بيوركلند سنته الجامعية الاولى في يونيو (حزيران) ١٩٨٨ في سانت بول. واسترجع وزنه الطبيعي. وهو يمارس كرة السلة مع فريق الجامعة. وشعره الذي كان في السابق أملس وأشقر أصبح الآن قاتماً وجعداً بفعل العقاقير التي عليه تناولها طوال حياته. أما تكاليف الادوية فلا تقلقه البتة بفضل حساب مصرفي بقيمة ٨٠ ألف دولار جمعت من التبرعات. وهو يتحدث الى المجموعات الطالبة والهيئات المدنية باسم برنامج التبرع بالاعضاء الذي ترعاه منظمة الصليب الاحمر.**

## وداوني بالتي...

كنت اعمل مسؤولا عن العلاقات العامة في مخيم كبير لقضاء عطلة نهاية الاسبوع عندما دمَّر حريق كبير جزءاً من مُجمَّع التسلية في المخيم. ولكي نزيل من ذهن الناس ذكرى النار قررنا تنظيم احتفال ليلي وابرقنا الى مخازننا المركزية نطلب ان ترسل الينا فوراً أعلاماً وبالونات وقبّعات وبدَعاً اخرى. وفي الوقت المنتظر وصلت شاحنة كبيرة تحتوي على آلاف المواد. ولدى افراغها اكتشفنا ان كل القبّعات كانت تقريباً متشابهة: خوذ رجال اطفاء!

م.ر.

---

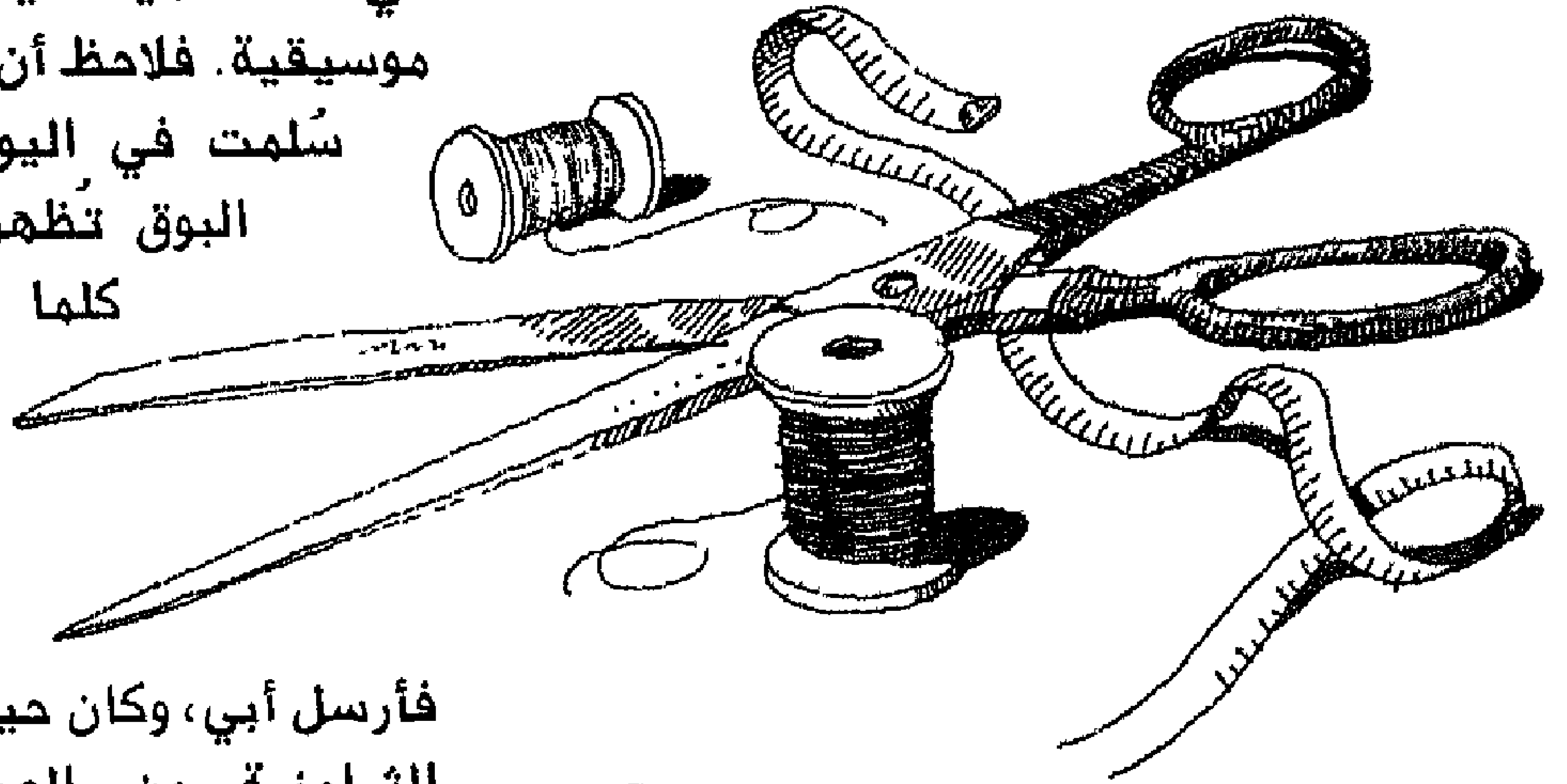
## سمسرة بوليسية

اوقف شرطي سائق سيارة على طريق عام وقال له، وهو يكتب محضر الضبط: "انت تسير بسرعة ٧٥ كيلومتراً في منطقة لا تتجاوز السرعة القصوى فيها ٥٥ كيلومتراً."

فابتسم السائق بخنوع وسأل الشرطي: "هل في امكانك ان تسجل في المحضر أنني كنت أسير بسرعة ١٢٠ كيلومتراً في منطقة لا تتجاوز السرعة القصوى فيها ٨٠ كيلومتراً؟ فأنا احاول بيع هذه السيارة!"

أ.ف.

## الشطب في سروال الرجل الخطير لا يقبل الاصلاح فماذا يفعل الخياط الماهر؟



# خياط المافيا

عمل والدي أيام صباه في ايطاليا في متجر خياط ماهر مرح في العقد الرابع من العمر يدعى فرنشيسكو كريستياني. وكان هذا الرجل القصير المتبجح معتزاً بحرفته ومصراً على أنه وخياطيه معصومون عن أي خطأ مهم.

ذات مرة عجز زبون عن ارتداء سترة جديدة لأن الكمّين ضيقان جداً. فقال له كريستياني بنبرة مرتفعة: "ليس من المفروض أن تدخل ذراعيك في كمي هذه السترة، فهي مصممة لتلقى على الكتفين."

وفي مناسبة أخرى توقف كريستياني في ساحة ميدا ليصغي الى عزف فرقة موسيقية. فلاحظ أن البذلة الرسمية التي سُلمت في اليومِ السابق الى نافخ البوق تَظهر تقبُّباً خلف الياقة كلما رفع الموسيقي الآلة الى شفتيه. أقلقه أن يلاحظها أحد ما فيطعن في مركزه كخياط.

فأرسل أبي، وكان حينذاك صبياً نحيفاً في الثامنة من العمر، ليندسّ خلف الموسيقي ويجذب طرف السترة الى تحت كلما ظهر التقبب. بعد ذلك استنبط كريستياني وسائل دهياء استرجع بها السترة وأصلحها.

قرابة ذاك الوقت، في ربيع ١٩١١، حصلت كارثة في المتجر لم يبدُ أن ثمة حلا ممكناً لها. وكان رد فعل كريستياني الفوري أن يترك المدينة الى حين قبل أن يواجه النتائج. والحادث الذي أثار ذاك الهلع تركّز على بذلة جديدة صنعت لأحد أكثر زبائن كريستياني تطلباً، وهو رجل من وجهاء المنطقة الموقرين الذائعي الصيت المعروفين شعبياً بـ"المافيا" (★).

قبل يوم من احد الاعياد الكبرى وفيما

---

(★) "المافيا" منظمة سرية تتولى تهريب المخدرات وابتزاز الاموال وغير ذلك من الاعمال غير المشروعة في أنحاء العالم.

كانت النساء المحتشمات جاثمات على شرفاتهن، طاف الرجال في الساحة ذراعاً بذراع يدخنون ويفحص كل واحد منهم بذلة الاخر.

على رغم الفقر في جنوب ايطاليا، أو ربما بسببه، كان هناك تشديد مفرط على المظاهر. ومعظم الرجال الذين يتجمعون في ساحة ميدا كانوا واسعي الاطلاع على فن الخياطة الدقيقة. انهم يستطيعون أن يثمّنوا، في بضع ثوان، المهارة في بذلة رجل، وأن يقدروا قيمة كل قطبة متقنة. بين هؤلاء الرجال كان عضو المافيا فنشنزو كاستغليا.

أثناء تجربة بذلة له قبل شهر شدد على مهنته الاجرامية طالباً من كريستياني أن يجعل مكاناً فسيحاً داخل السترة لمسدسه المبيَّت في جلد. وطلب أيضاً أموراً أخرى عدة رفعته في عيني الخياط كرجل ذواق في الاناقة. طلب أن تكون كتفا البذلة زائدتي العرض لتظهرا ردفيه بمظهر أضيق. وطلب العمل على صرف الانتباه عن صدرة الناتىء باعداد صدرة مثناة ذات طيات عريضة مسننة. وأوصى بفتح عروة في الصدرة تُعقد بها سلسلة ذهبية تشبك بساعة جيبه الالماسية.

**كارثة في الركبة.** في الاسابيع التالية خصص كريستياني انتباهاً وافراً لارضاء مواصفات رجل المافيا. وكان فخوراً بنتائج الخياطة حتى اليوم السابق للعيد، عندما اكتشف شطباً طوله قرابة ثلاثة سنتيمترات عبر الركبة اليسرى للسروال الجديد.

صرخ كريستياني بكرب وغضب. وسرعان ما حصل على اعتراف من تلميذ متمرن بأنه كان يتلهى بمقص على الطاولة التي وضع عليها السروال.

وقف كريستياني لدقائق ساكتاً، مرتجفاً، محاطاً بمساعديه الصامتين مثله. كان في وسعه، بلا ريب، الهرب والاختباء في التلال أو اعادة المال الى رجُل المافيا وتقديم التلميذ المتمرن كبش محرقة. ولكن في هذه الحال وجد ظرف خاص مانع. فالتلميذ المتمرن المذنب البالغ من العمر ثماني سنوات كان ابن شقيقة كريستياني. أنه جوزف تاليس الذي سيصبح والدي.

عمد كريستياني الى مؤاساة ابن شقيقته الذي كان يصرخ بتشنج، فيما ظل عقله يبحث عن حل. لم تكن ثمة طريقة لاخفاء الشطب، ولم يكن ممكناً صنع سروال آخر في الساعات القليلة الباقية لوصول كاستغليا.

دق جرس الظهر، لكن كريستياني أبلغ الى خياطيه بعبوس: "لا وقت للطعام ولا للقيلولة لأي منا. أريد من كل واحد أن يفكر في أمر ما ينقذنا من الكارثة."

وأمر التلاميذ المتمرنين بسدل الستائر واقفال أبواب المتجر.

جلس والدي في زاوية وهو ما زال مشدوهاً بجسامة ذنبه. وفي وسط غرفة العمل جلس فرنشيسكو كريستياني بين خياطيه ممسكاً رأسه بيديه متطلعاً، كل بضع دقائق، نحو السروال الملقى أمامه.

**خزانة الارامل.** فجأة فرقع كريستياني أصابعه ووقف بقامته التي بلغ طولها

١٦٨ سنتيمتراً وفي عينيه بريق، وأعلن: "فكرت في شيء ما. يمكنني أن أعمل شطباً عبر الركبة اليمنى بحيث تماثل الركبة اليسرى المشطوبة."

قاطعه خياطه الاكبر: "أجننت يا معلمي؟"

صرخ كريستياني وهو يضرب الطاولة بيده: "دعني أكمل أيها الاخرق... وعندئذ أطرز الشطبين. وسأشرح للسيد كاستغليا أن أحدث الازياء هو زي الركبة المطرزة."

أما الخياطون الآخرون فأصغوا بدهشة.

قال أحد الصغار: "ولكن يا معلم، ألن يلاحظ السيد كاستغليا أننا نحن الخياطين أنفسنا لا نرتدي سراويل تتبع الزي الجديد؟"

وافق كريستياني: "انها نقطة جيدة." ثم لمعت عيناه وأضاف: "لكننا سنتبع الزي، سنحدث شطوباً على ركبنا ونطرزها." وقبل أن يتمكن الرجال من الاعتراض أضاف كريستياني بسرعة: "لكننا لن نشطب سراويلنا بل سنستعمل تلك السراويل المعلقة في خزانة الارامل."

التفت الجميع حالا الى الخزانة المقفلة حيث علقت عشرات البذل التي ارتداها رجال هم الآن مائتون، وقد سلمتها الارامل اللواتي لا يبتغين تذكر أزواجهن الراحلين الى كريستياني على أمل أن يهبها الى الغرباء العابرين.

أسرع كريستياني الى فتح باب الخزانة، وشرع يرمي السراويل الى خياطيه حاضاً اياهم على اجراء قياس سريع. وهو نفسه كان واقفاً بلباسه القطني التحتي الابيض وحمالتي جواربه السوداوين يبحث عن سروال يلائم قوامه الناحل. ولما نجح شطب الركبة اليمنى في سروال رجل المافيا جاعلا منها صورة طبق الاصل عن الركبة اليسرى المشوهة. ثم وضع شطبين مماثلين على ركبتي السروال الذي اختاره لنفسه.

نادى رجاله: "الآن انتبهوا جيداً." وبدأ يلفق بابرته الشطبين في ركبتي سروال الرجل الميت، متفنناً في تشكيل رسم صغير لعصفور منبسط الجناحين.

سأل رجاله موضحاً بأسلوبه البديهي أنه لا يهتم حقاً بما يفكرون: "حسناً، بماذا تفكرون؟" وحين هزوا أكتافهم أكمل حازماً: "كل شيء تمام الآن. اشطبوا بسرعة رُكَب سراويلكم والفقوها على نحو هذا التصميم."

**"ماذا فعلت؟"** على مدى الساعتين التاليتين عمل كل خياط بسكون قلق. أما فرنشيسكو كريستياني فلم يدع أحداً، طبعاً، يعالج بذلة رجل المافيا. وعندما دق جرس البلدة معلناً انتهاء القيلولة تفحص كريستياني عمله باعجاب.

كُلف والدي وتلميذ متمرن آخر الوقوف عند الباب لمراقبة عربة كاستغليا، ووقف الخياطون الآخرون صفاً خلف كريستياني جائعين متعبين ينتظرون بقلق رد فعل رجل المافيا. وبدا كريستياني هادئا على غير عادة. أمسك بيده حمالة خشبية علقت عليها بذلة كاستغليا الرمادية المطرزة، الثلاثية القطع، التي ما زالت حارة اثر كيِّها الاخير.

بعد الرابعة بدقائق جاء والدي راكضاً



يعلن بصوت مرتجف: "انه آتٍ." وقفت عربة سوداء في الخارج. وفتح الحوذي المسلح الباب فترجل فنشنزو كاستغليا الموقر يتبعه حارسه.

حين دخل كاستغليا المتجر أعلن كريستياني: "بذلتك المدهشة تنتظرك." صافحه كاستغليا وتفحص البذلة من دون أي تعليق، ثم أمر حارسه بأن يساعده على نزع سترته.

وقف كريستياني والخياطون الآخرون يراقبون المسدس المبيّت المربوط بسير من جلد حول صدر كاستغليا وهو يميل مع حركاته. تنفس كاستغليا عميقاً وهو يزرر صدرته وسترته ووقف أمام المرآة. أعجب بصورته من كل زاوية ثم علّق بصوت عال: "تمام".

انحنى كريستياني قليلا وهو يسلم السيد كاستغليا سرواله. استأذن كاستغليا ومشى نحو غرفة القياس.

وراح الخياطون المنتظرون يزرعون المكان جيئة وذهابا، أما كريستياني فظل واقفاً يصفر بهدوء.

الاصوات الوحيدة التي سمعت أصدرها كاستغليا وهو يغير سرواله. خبطة حذائه... الخشخشة السريعة الخافتة لرجلي السروال. وفجأة صوت عميق: "يا معلم."

انفتح الباب كاشفاً وجه فنشنزو كاستغليا المذهول وعينيه الجاحظتين وأصابعه المشيرة الى ركبتيه. دلف نحو كريستياني وصرخ: "يا معلم، ماذا فعلت هنا؟"

قفز الحارس الخاص نحو كريستياني. أغمض والدي عينيه، وتراجع الخياطون. أما فرنشيسكو كريستياني فوقف مستقيماً غير متأثر حتى عندما تحركت يد الحارس داخل معطفه.

**انتصار مجنَّح.** أخيراً اجاب كريستياني بلهجة معلم ذي سلطة يعذل تلميذاً: "آه، كم خيّبت أملي، كم أنا حزين ومهان لقصورك عن تقدير الاكرام الذي حاولت أن أقدمه اليك!"

وقبل أن يفتح فنشنزو كاستغليا المضطرب فاه أكمل كريستياني: "طلبت أن تعرف ماذا فعلت، غير مدرك أن ما فعلته كان لتقديمك الى العالم العصري الذي ظننت أنك تنتمي اليه. حين دخلت هذا المتجر للقياس بدوت مختلفا جدا عن الاشخاص الرجعيين في هذه المنطقة، متطوراً جداً، متفرداً جداً. قلت انك سافرت الى أمريكا ورأيت العالم الجديد. افترضتُ أنا أنك كنت على اتصال بالمجتمعات العصرية، ولكن يبدو أنني أخطأت كثيراً في الحكم عليك. واحسرتاه، ان الثياب الجديدة لا تجدد الرجل الذي هو داخلها."

وبينما كان كريستياني منجرفا بحذلقته، رنّم مثلا ايطالياً جنوبياً، لكنه أسف لحظة انزلقت الكلمات من فيه. والمثل هو: "غسل رأس الحمار اهدار للماء."

صُعق خياطو كريستياني ووقفوا صامتين مذعورين لاهثين مرتجفين لدى رؤيتهم وجه كاستغليا يحمر وعينيه تضيقان.

تمتم فنشنزو كاستغليا وعض على شفتيه من غير أن ينطق. ترهلت كتفاه وتدلى رأسه قليلا وظهرت في عينيه نظرة شعور بتبكيت الضمير. وأخيراً تكلم بنعومة: "كانت المرحومة والدتي تستعمل هذا التعبير عندما أغيظها."

استكنَّ التوتر في الغرفة. قال كريستياني: "آمل أن تصدِّق كلامي أننا حاولنا أن نخيط لك بذلة جميلة. أنا كئيب جداً لأن السروال الذي صمم على أحدث زي لم يعجبك."

نظر السيد كاستغليا مجدداً الى ركبتيه وسأل: "أهذا هو أحدث زي؟"

فأكد له كريستياني: "نعم، حقاً."

– أين؟

"في عواصم العالم الكبرى."

– ولكن ليس هنا؟

قال كريستياني: "ليس الآن، أنت الأول في هذه المنطقة."

– ولكن لماذا يجب أن يبدأ أحدث زي في المنطقة بي؟

"آه، لا، انه في الحقيقة لم يبدأ بك، فقد سبقناك نحن الخياطين." ورفع احدى ركبتيه قائلا: "أنظر بنفسك."

تفحص كاستغليا ركبتي كريستياني ثم دار في الغرفة متفحصاً الخياطين الآخرين واحداً تلو الآخر، وكل فرد يرفع رجلا ويهز برأسه ويشير الى الجناحين المألوفين للعصفور المتناهي في الصغر.

قال السيد كاستغليا: "حسناً، أرى انني مدين لك بالاعتذار يا معلم. في بعض الاحيان يستغرق المرء برهة لتقدير زي عصري."

وبعدما صافح السيد كاستغليا خياطه وسدد حسابه سلم حارسه الخاص البذلة القديمة. ومشى ببذلته الجديدة وقبعته المائلة نحو عربته، من الباب الذي فتحه والدي على مصراعيه.

**غاي تاليس** ■

---

يُطلب الجمال ايضاً حتى في يوم عمل.

م.س.ب.




- الاوهام كالمظلات، ما إن تقتنيها حتى تضيعها بسرعة، فتترك خسارتها دائما جرحا صغيرا مؤلما.

سومرست موم، كاتب قصصي وسينمائي بريطاني (١٨٧٤ - ١٩٦٥)

- اخطر انواع الباطل حقيقة محرفة باعتدال.

جورج ك. ليختنبرغ، فيزيائي وكاتب ساخر الماني (١٧٤٢ - ١٧٩٩)

- انا اؤمن بالخيال. فما لا استطيع رؤيته يفوق في الاهمية، بلا حد، ما اقدر ان اراه.

د.م.

- احد اشكال الوحدة هو ان تكون لك ذاكرة وليس مَن يشاطرك ذكرياتك.

ف.ر.

- قد يبقى المرء مكتوفاً اذا كان عليه توخّي الكمال في ما يفعله حتى لا يرى فيه احد اي هناتٍ.

ك.ن.

- حَذار الرجل غير الراغب في ان يُزعج بالتفاصيل.

و.ف.

- تستطيع الكلمات احيانا، عند اسداء الفضل، بلوغ سمو الافعال.

إ.و.

- ما كان الخصام ليدوم طويلا لو أن الخطأ يقع من جانب واحد.

لا روشفوكو، كاتب فرنسي (١٦١٣ - ١٦٨٠)

- افضل العيش في عالم يكتنفه الغموض، على أن أعيش في عالم صغير جدا يقدر فكري على الإحاطة به.

هاري إمرسو فوسديك، رجل دين امريكي (١٨٧٨ - ١٩٦٩)

# كيف تتخلصون من عاداتكم السيئة

## الخوف من الاخفاق قد يشل عزمك فدع "قوة التمني" ترشدك

ما رأيك في القيام بعمل ما هذا الشهر ينير حياتك لسنين، عمل طالما قصدته لكنك كنت خائفاً من الاقدام عليه؟ انني أتحدث عن اقلاعك عن عادة سيئة كالتدخين أو الافراط في الاكل أو قضم الاظفار أو تأجيل الاعمال.

أعتقد أن مفتاح الاقلاع عن اي عادة هدامة هو الاستعاضة عنها بعادة حميدة. ويمكن أن يتم هذا الابدال عادة خلال شهر! وهنا الطريقة الصالحة:

### ١ . اختر الشهر المناسب.

يجب أن يكون هذا الشهر قريباً، لان تأخير عملية ابدال العادة يغذي الشعور بالخوف من الاخفاق. أنت تحتاج الى فترة خالية من الضغوط نسبياً مما يسهل عملية التأقلم عندما يوضع قرارك على المحك. إذاً اختر شهراً خالياً من زيارات الانسباء ومن واجبات تصفية الاعمال الصعبة.

ان أكتوبر (تشرين الاول) هو شهر مناسب للاقلاع عن عادات قديمة، لأنه عادة يكون هادئاً نسبياً. أما نوفمبر (تشرين الثاني) وديسمبر (كانون الاول) فهما شهران محمومان تتم فيهما التحضيرات للعطل وتشتد ضغوط العمل مع نهاية العام. وهذا النوع من الضغط يزيد من حدة العادات السيئة فنعود الى تصرفاتنا المعتادة.

### ٢ . حدد العادة التي تنوي التخلي عنها.

لا تحاول التخلص من عادة لمجرد أن الآخرين يريدون ذلك. فلن تنجح ساعتذاك. إذا لم تكن راغباً حقاً في الاقلاع عن عادة هدامة، او إذا كنت تريد الاقلاع عنها على المستوى العقلاني فقط، فإن اللاوعي فيك سوف يدون ذلك

ويقرر: "إذاً لن نفعل ذلك – أنت وأنا – سوف نتشبث بنمطنا المألوف."

قرر هارولد الاقلاع عن التدخين لان عائلته أرادت ذلك. لكنه كان متأكداً من أنه سيكون تعساً وغير قادر على العمل أو التركيز. وكلما حاول حض نفسه على الاقلاع كان يرى في أحلامه رجلا يدخن لكنه محافظ على لياقته البدنية. وأدرك هارولد أخيراً أن العادة التي يريد الاقلاع عنها حقاً كانت كثرة الجلوس. فتابع التدخين، لكنه التحق بناد رياضي.

لم تسرّ عائلة هارولد لهذا القرار، لكن أسلوبه كان مقنعاً. فمحاربة عادة كان يريد حقاً التخلص منها يمكن أن تقود الى النجاح. وبعد شهر من التحاقه بالنادي، وعلى رغم أنه خسر بضعة سنتيمترات من خصره، وجد انه لا يملك القدرة على التحمل مثل الرجال الآخرين الذين كان يتدرب معهم. وقال له أحدهم شارحاً: "بالطبع ليست لديك قدرتنا. انك تدخن." وهذا ما دفع هارولد أخيراً الى الاقلاع عن التدخين.

## • تعرف جيداً الى العادة التي تريد الاقلاع عنها.

لا يبدأ أحد اكتساب عادة سيئة باختياره، فهي تختلس طريقها الى المرء في غفلة عنه. وإذ تدخن اليوم سيجارة أو تقضم ظفراً، تصبح غداً كأنك كنت تفعل ذلك كل الوقت. متى حدث ذلك؟ وكيف؟ ولماذا؟

اطرح على نفسك هذه الاسئلة أثناء تعمقك في التعرف الى عادتك السيئة. دع الوقت يجد لك الاجوبة. انك تحل لغزاً: لماذا أنت، ذاك الشخص العاقل، تتعلق بعادة لا تريدها؟

احمل قلماً ودفتراً أثناء قيامك بنشاطاتك اليومية. وعوض تناولك سيجارة أو قطعة حلوى على نحو آلي، خذ الدفتر وسجّل كل ما يحفزك على ممارسة عادتك. سجّل الوقت والمكان وأسماء من تكون معهم.

فعلت ليزا ذلك عندما كانت تحاول التخفيف من وزنها. وجدت أنها كانت تتناول الشوكولاته كلما طلب منها رئيسها تأدية مهمة غير عادية أو أزعجها أولادها أو تجادلت وزوجها. كانت تأكل لتهدىء نفسها كلما شعرت بالضغوط، فأدركت أن الطعام كان مسكّناً بالنسبة اليها.

## • اعتمد قوة التمني عوض قوة الارادة.

العادات تتجذر لأن اللاوعي يربط المسلك باللذة أو الراحة أو الاكتفاء، كما يربط غياب العادة بالخوف والانزعاج.

اللاوعي ليس جزءاً من الدماغ المفكر، إنه مكان استراحة العواطف. يقول العقل المنطقي: "إنك تهدم حياتك بهذه العادة." لكن اللاوعي لا يستجيب، فهو يخاف أن يتخلى عن عادة وفرت له الراحة الأكيدة.

إن مواجهة العقل المنطقي باللاوعي فرضية خاسرة معظم الاحيان. لذلك أعتقد، بحسب خبرتي، أن قوة الارادة في مجال الاقلاع عن العادات هي أقل تأثيراً مما أسميه "قوة التمني" التي تستند الى التخيل التأملي لتعطي اللاوعي

الراحة التي يحصل عليها من العادة.

كيف السبيل الى ذلك؟

إختر كرسياً مريحاً، أغمض عينيك، خذ نفساً عميقاً، وتخيل نفسك في مكان هادىء تفضله. ثم تصور نفسك بمعزل عن عادتك الهدامة. يمكنك الآن تنشق الازهار ونسيم البحر لأنك لم تعد تدخن. وأنتِ يمكنك ارتداء ثياب عصرية واظهار قامتك الهيفاء لأنك لم تعودي تأكلين حتى التخمة. ان اللاوعي سيتلقى الرسالة. واجهه على المستوى ذاته وهو سيتجاوب بالتأكيد.

## • جد بديلا.

إن اختيارك احدى العادات الحسنة وتكيفك واياها يمكنانك من التخلي عن عادتك السيئة القديمة بطريقة أسهل. وستشعر كأنك تضيف شيئاً قيماً الى حياتك أكثر من أنك تحرم نفسك انغماساً قديماً مترسخاً. وإذا كانت العادة الجديدة لا تتعايش والعادة السيئة، فذلك أفضل بكثير.

هناك عادتان حميدتان مفيدتان جداً في ازالة معظم العادات السيئة. أولا، اتبع نظاماً غذائياً مدروساً ومغذياً. ثانياً، وطد عادة ممارسة التمارين الرياضية المعتدلة.

اكتشفت ليزا عدة طرق للسيطرة على نوبات الرعب التي كانت تدفعها الى الاكثار من الاكل. فمارست تمارين التنفس العميق داخل مكتبها. وعمدت الى المشي السريع في بيتها. وبدأت تأكل المزيد من الفاكهة والخضر وتخلصت من الحلوى ورقائق البطاطا.

وأدرك هارولد ضرورة تبنّي عادة تبقيه مشغول اليدين في اوقات فراغه في المنزل. فقرر العزف على البيانو، وهو نشاط كان يمارسه في صغره قبل أن ينمي عادة الجلوس.

## • تقدم خطوة خطوة.

بعد تصميمك على ابدال عادتك بأخرى ضع نصب عينيك أهدافا تحققها خلال الشهر. اختر أهدافاً واقعية ودع قوة الهدف الدافعة تعمل عنك. قسم مهمتك الكبيرة سلسلة من المهمات الصغيرة.

كان على ليزا أن تخفف وزنها ٢٥ كيلوغراماً، أي أكثر مما تستطيع تخفيفه في شهر. ولكن كان في مقدورها أن تخفف نصف كيلوغرام أسبوعياً. وبعد انقضاء الشهر المخصص بابدال عادتها أصبح نظامها الغذائي الجديد ثابتاً مما سمح لها بالوصول الى هدفها خلال سنة.

وصمم هارولد على تعلم عزف قطعة موسيقية، كما صمم على الاقلاع عن التدخين خلال الشهر نفسه. قسم هدفه أجزاء يستطيع تحقيقها. في الاسبوع الاول سمح لنفسه بالتدخين في غرفة الجلوس فقط، وفي الاسبوع الثاني سمح لنفسه بالتدخين خارج المنزل فقط، وبعد ذلك في أوقات محددة. وفي نهاية الاسبوع الرابع أصبح فعلا عازف بيانو غير مدخن.

لكي تحصل على فائدة كبرى من قوة الهدف الدافعة كافىء نفسك كلما توصلت الى هدف. وأعتقد أن من يتبع حمية، مثلا، يستحق مكافأة غير غذائية كلما خفف كيلوغراماً من وزنه.

• **لا تستسلم.**

النجاح يستحق المكافآت، لكن الاخفاق لا يستحق العقاب. فإذا تعثرت خلال شهر ابدال العادة، فلا تعنّف نفسك ولا تتراجع. إن التعثر مرة ليس بالضرورة تعثراً متكرراً.

انغمست ليزا يوماً في تناول الحلوى والمثلجات، وبعد ذلك اصبحت على استعداد لأن تقلع عن حميتها لأنها اعتبرت نفسها فاشلة. العالم النفساني كيلي براونل من جامعة بنسلفانيا يسمي رد فعل ليزا "الشرك المسلكي" اذ ان موقفنا من التعثر، وليس التعثر ذاته، هو الذي يجعلنا نفشل.

ويضيف أن الناس غالباً يعتقدون أن الدوافع الى الارتداد الى عادة سيئة يصبح قوة هدامة الا اذا تمّ إشباعها. لكنك تستطيع أن تصمد أمام هذه الدوافع. ويزيد: "أذا أمكنك أن تسلّي نفسك عن رغبتك لبضع دقائق، فسوف يضمحل الدافع وتزيد سيطرتك على نفسك."

إن البقاء بعيداً عن عادة قديمة هو في الغالب أصعب من الخطوة الاولى في الاقلاع عنها. ولكن بمقدار ما تتعرف الى صورتك الجديدة، يسهل عليك مصارعة الاشتياق الذي يمكن أن يمنعك من أن تكون أكثر سعادة وأوفر صحة وأكثر ثقة بنفسك.

إن هذه الشخصية الجديدة - شخصية من يسيطر على حياته بدل أن يكون عبداً لعادات ذميمة - هي السر الذي يتيح الاقلاع عن عادة سيئة الى الأبد.

**جويس براذرز** ■

## حكم طويل

من عادة احد القضاة الجدّيين أن يقرأ أحكامه الطويلة بروية وبطء على المدّعى عليهم. ومرة راح يقرأ "محاضرته" على رجل اتهم بالسطو المسلح:

"لقد وُجدت مذنباً بالسطو المسلح. ومن واجبي المؤكد أن أحكم عليك بالحجز سبع سنوات في سجن الولاية. آمل أن يؤثر فيك هذا الحكم تأثيراً يوازي جسامةِ جريمتك."

فرفع المدعى عليه بصره ببطء وأجاب: "يا حضرة القاضي، يمكنك أن تؤثر فيَّ بحكم أقصر من هذا بكثير!"

ب.ل.

---

## برهان قاطع

كان أخي الاصغر يملأ طلباً للعمل كسبّاح منقذ في أحدِ المسابح. وهو كتب في أسفل الاستمارة، ضمن خانة "أي معلومة اضافية من شأنها أن تُظهر أنك صالح للعمل": "عمق المسبح: ١٩٨ سنتيمتراً. طول طالب العمل: ٢٠٠ سنتيمتر."

ج.م.

# عَالَمُ الثَعَالِبْ

## جرموزة مروّضة تكشف أسرار الثعالب

مع أن خمس عشرة سنة انقضت بكاملها، فلا أزال أذكر تماماً بعد ظهر يوم دافىء من فصل الربيع أمضيته محتاراً أقتفي آثاراً مذهلة لمجموعة من الثعالب في الريف البريطاني محاولا تحديد وجارها. وقادني بحثي الى مجموعة شجيرات كثيفة. وبينما كنت أقطع الاغصان لشق طريقي، عثرت على ملعب قديم لكرة المضرب كثرت فيه الاعشاب، وفي أحد أطرافه ظهرت كومة تراب منبوش حديثاً وسط كتلة متشابكة من الورد البري والوزال.

هنا الوجار. وهناك عند الطرف الآخر من الملعب بيت صيفي خرب ينفع كمخبأ.

وقبعت في المكان المهجور وانتظرت بفارغ صبر. وإذ بثعلبة تظهر في الثامنة والنصف مساء. وعرفت من الظل الأسود حول الذيل أنها "بلاك فرينج"(١) وهي واحدة من بضعة ثعالب كنت أراقبها منذ أشهر. وكان يتدلى من بين فكيها فأر بري. فحنت رأسها وأطلقت نداء عذباً خافتاً، فأسرعت خمسة جراميز(٢) من الوجار كأنها كلاب صيد مطلقة. ولما أفلتت الثعلبة الفأر أقبلت الجراميز عليه

---

(١) Blackfringe

(٢) الجرموز هو الجرو، ويقال لجرو الثعلب تَتْفُل.





مطلقة صرخة طويلة حادة كصوت عصا تقعقع على سياج. وإذ بجرموز ماكر صغير يقبض على الفأر ويهرب بغنيمته. وارتمت الجراميز الأخرى عند قوائم "بلاك فرينج" متوسلة، فوقفت الأم ساكنة فيما الجراميز ترضع أثداءها.

وأخيراً غادرت "بلاك فرينج" المكان، وراحت الجراميز تلعب الى أن أتت ثعلبة ثانية تستدعيها. وهي بدورها لم تحرك ساكناً بينما راحت الجراميز ترضع منها بنهم.

كان هذا تعرُّفي الحقيقي الأول الى الحياة العائلية للثعالب، فوجدتها مثيرة. ووفق المعرفة السائدة، تعيش الثعالب في وحدة تامة، الا أن تصرف الحيوانات التي راقبتها لم يوحِ بالوحدة أبداً، فواضح أنها تنتمي الى "مجتمع" معين. ترى كيف هو منظم هذا المجتمع؟ وكيف يعمل؟ سؤالان طرحتهما اكتشافات البارحة ولا أزال أحاول الاجابة عنهما.

**أرض مستقلة.** بدأ ولعي بالثعالب منذ نعومة أظفاري حيث سرقت مصّيص(٣) والدي الطبيب كي أصنع منه قوالب لصبّ آثار قوائم الثعالب. وعندما يسألني الناس اليوم لماذا أخترت التركيز على هذا النوع من الحيوانات، أجيبهم: "لأنها توفر لي أفضل اكتشافات العالم: الاثارة عندما أراقب تصرفاً نادراً، والرضى عندما أتعرف الى حقيقة نمو هذه الكائنات الفريدة وتطورها، والاقتناع بأن هذا الاكتشاف قد يحل مشاكل كبرى كداء الكلَب ومشاكل صغرى (ولكن مزعجة) كقطع رؤوس الطيور الداجنة."

لكن لدي جواباً آخر لا يقل أهمية عن هذا وهو أنني أدرس الثعالب لأن جمالها الرائع يأسرني، ولأنها تفوقني حيلة ودهاء، ولأنها تبقي الهواء والمطر على وجهي، ولأنها تقودني الى عزلة الريف المريحة. وبعبارة واحدة، لأنها تسليني.

بعدما عقدت النية على دراسة الثعلب الأحمر، قضيت ساعة تلو أخرى أراقب تلك الكائنات تخرج من مخبئها الصيفي فأتجسس عليها بحذر من بعيد بينما هي تنجز أعمالها. وحفظت تفاصيل نشاطاتها في سجلات خاصة. وأخيراً زودت بعضها أطواقاً تحوي أجهزة لاسلكية لأتمكن من مراقبة تحركاتها عن بعد. لكنني لم أتنبه في حماستي الاولى الى أن الثعالب مراوغة الى حد الاختفاء، وأنها لا تنام ليلا كي تعاقب مراقبيها. وسرعان ما أدركت تلك التفاصيل.

وأدت بي ملاحظاتي الى فهم الترتيب السلطوي القائم بين الثعالب، اذ ان بعضها يسيطر على البعض الآخر. كما لاحظت أن في منطقة دراستي مجموعات اجتماعية مختلفة، كل منها مؤلف من ثعلب ذكر واحد وعدد من الاناث قد يبلغن خمساً. وكشفت اشارات التتبع اللاسلكي أن أفراد مجموعة واحدة تتشاطر المكان ذاته، ونادراً ما "تتعدى" على أراضي المجموعات المجاورة. وتبلغ مساحة كل قطعة أرض حوالى ٤٠ هكتاراً.

**الذود عن الحمى.** بينما كنت أبحث عن دليل يلقي مزيداً من الضوء على الحياة

---

(٣) المصّيص نوع من الجص يدعى جص باريس «Plaster of Paris» .

السرية للثعالب البرية، كانَ القدر يرسم حياتي أنا. فذات مساء من شهر يوليو (تموز) كنت مختبئاً وراء سياج من الشجيرات، فوصلت الى مخبئي شابة كانت تتنزه هناك. فاضطربت لدى رؤيتها رجلا ملتحياً يرتدي لباساً أخضر ويربض بين الشجيرات. فسألتني خائفة عما كنت أفعله. وعندما شرحت لها الأمر أدركت أنها ربما كانت تعيق الأبحاث التي أجريها. ولكي لا تزيد الطين بلة بمتابعة طريقها اقترحت أن تبقى لبعض الوقت.

وما هي الا لحظات حتى ظهرت عائلة ثعالب وهي تتقلب وتتواثب بمرح. ومضينا نراقبها.

كان ظهور الفتاة على هذا النحو حدثاً لا يُنسى ولا يتكرر. وكانت علاقتنا اللاحقة غريبة لأنني كنت أخلد الى النوم نهاراً وأتعقب الثعالب ليلا. وذات ليلة طرأ تحول على مجرى حياتي، فبينما كنا واقفين في حقل بالقرب من حدود منطقتين للثعالب، طلبت يد جيني للزواج، فقبلت، ولم تصبح زوجتي فقط، بل مساعدتي التي لا يمكنني الاستغناء عنها.

وبعدما تحققت من أن مجموعات الثعالب تعيش ضمن حدود معينة، أصبحت شغوفاً بمعرفة العلاقات القائمة بينها. وفي احدى الليالي راقبت ثعلبة تدعى "وايت تيب" تجول باحثة عن طعام بالقرب من شجر منخفض كان يشكل، استناداً الى الاشارات اللاسلكية، الحدود مع منطقة ثعالب أخرى. وفيما أنا أراقب طيفها الاخضر عبر عدسة المنظار الليلي الذي يعمل بالاشعة دون الحمراء ويمكّن من الرؤية في الظلام، غابت هنيهة عن نظري. وما هي الا ثوان حتى سُمعَ صوت عراكٍ من المكان الذي اختفت فيه. وما لبثتُ أن رأيت "وايت تيب" وثعلباً آخر قد دخلا معركة حامية الوطيس. فهربت والثعلب الغريب يلاحقها. وكان المتصارعان على بعد بضعة أمتار مني عندما اندفع "زوج" "وايت تيب" يعدو مسرعاً لينقضّ على المتطفل. وكان دور الثعلب الغريب... الفرار.

راح زوج "وايت تيب" يقفز لشدة فرحه، ويمشي مظهراً قوائمه القوية في محاولة ثعلبية لعرض عضلاته. إن مشاهد كهذه أقنعتني بأن مجموعات الثعالب تدافع عن أراضيها بقوة بإجبارها الغرباء والجيران على الخروج.

**ليلة بيضاء.** يمكنك أن تتعلم الكثير من طريق مراقبتك الثعالب في البرية، الا ان كثيراً مما تراه لا يمكن أن يفسر على حدة. يمكنك أن تراقب "ماذا" يجري (كثعلب ينبش جيفة أرنب مطمورة) ولكن لا يمكنك أن تفهم "كيف" يجري ذلك و"لماذا". فمثلا، هل يتذكر كل ثعلب المكان الذي دفن فيه غنيمته؟.

لهذا السبب قررت توظيف جاسوس يعمل لحسابي. فاذا ما تمكنتُ من تربية جرموز وكسب ثقته وتعويده حياة طبيعية مقدار المستطاع في رفقتي، ومن ثم الذهاب معه الى العالم البري لسلالته، فقد يساعدني من طريق شم الآثار ونبش المخابىء والاجابة عن أسئلة لم يخطر في بالي يوماً أن أطرحها، وأنا أؤدي دور ظله الصامت المدون للملاحظات.



وحصلت على جرموزة من صديق ربى ثعلبين. وفي أول مساء قضيناه معاً ذوبت لها حليباً مجففاً خاصاً بالجراء. ثم ملأت زجاجة ماء ساخناً للتدفئة ووضعت الجرموزة برفق في علبة خشبية تحت سريري. وعندما أويت الى الفراش بدأت تعوي.

وكما علمت لاحقاً، العواء هو ما تفعله الجراميز عندما تكون وحيدة. وبالنسبة الى حيوان في هذا الصغر وذاك الضعف، فهو صوت معبّر يسبب بعد فترة قصيرة تشنجاً كبيراً في عضلات صدر المستمع. فأخذت اللقيطة ووضعتها بجانبي في السرير، فران الصمت على الفور وبدأت الجرموزة تتلوى الى أن استقرت في الفجوة تحت عنقي. كان وقتاً لذيذاً، أتذكره كما أذكر ما جرى بعدئذ حين دوى عواء الصغيرة على بعد سنتيمترات من طبلة أذني. ومر وقت كأنه ردح من الزمن قبل أن يخف الصراخ الحاد ليتحول همهمة وولولة. الا أن الجرموزة أخلدت الى النوم في نهاية المطاف وخطمها ملتصق بأذني. لم أكن أعلم ان هذه هي الوضعية التي ستصر عليها طوال خمسة أشهر. وبعد تلك الليلة الاولى التي لم يغمض لي فيها جفن، خوفاً من سحقها أو ايقاظها، تكونت لدي فكرة عن الصرامة التي يجدر بي اتباعها.

ومرت الأيام والليالي وأنا أطعم الجرموزة الحليب. وسميتها "نيف." وهي بقيت تطلق صوتاً ناعماً، ولكن بات في الامكان تهدئتها بسهولة، خصوصاً لدى لمس أذنها. ولما بلغت يومها الثاني عشر بدأت عيناها الزرقاوان المغشيتان تتفتحان ولم يمض وقت قصير حتى بدأت تمشي مترنحة على السرير.

**غنائم مدفونة.** تحسن تجاوب "نيف" بسرعة، وأصبح اللعب همها الرئيسي. وبعد وقت قصير باتت ترافقني الى الريف. وفي مراحل نموها الاولى كان يطغى على حركاتها هياج شديد، فكانت كذبابة تطنّ وتطير على غير هدى. ولكن ما ان أصبحت بالغة حتى بدا أن هناك قصداً وراء كل حركة. وأنا تعلمت الكثير

في رفقتها. علمتني التوقف لدى اقترابنا من منعطف أو عندما نصل الى قمة أحد المرتفعات، كي نرى قبل أن نُرى. كما علمتني أن أدور حول أي شيء غير مألوف مع اتجاه الريح. وقد أصبحت خبرتي، كمتعقب، كبيرة بعدما علمتني "نيف" كل حِيَل مهنتها.

وكانت نزهاتنا أحداثاً مثيرة بالنسبة الى "نيف"، فتنتصب أذناها ويرتفع أنفها عالياً. وكانت تعتريها قشعريرة فيُرى ذلك واضحاً على جلدها. وأعتقد أن معظم حياة الثعلب مبني على الاثارة. ففي أوقات كهذه يغرق الحيوان في أحاسيسه الدقيقة: اغماضة عيني أرنب، وصرير فأر على بعد أمتار، ورائحة منبهة منبعثة من آثار قوائم كلب.

إلا أنني تمتعت و"نيف" بأوقات هدوء ومرح كذلك. أي شيء يبعث الطمأنينة في النفس أكثر من التمدد في غابة تحت أشعة الشمس ومعك ثعلب نائم على صدرك؟ أي شيء أكثر متعة من لعبة مطاردة مع ثعلب مراوغ؟

وعندما بلغت "نيف" أسبوعها العاشر حان وقت اجراء بعض الاختبارات. وأولها اختبار قدرة "نيف" على تحديد مخابىء الطعام. قيَّدتها ورحت أجوب المنطقة الواقعة في نطاق "بيتها" ملقياً جرذاناً نافقة في الممرات التي كانت تعبرها عادة. وعندما رافقتها الى هناك مساء التقطت أول الفئران التي صادفناها. ثم التقطت جرذاً وحملته الى شجيرات قريبة حيث نبشت حفرة صغيرة ووضعت الجيفة فيها، ثم ردمتها مستعينة بخطمها. ومهدت الارض ووضعت عليها عشباً. واذ تابعنا مسيرنا راحت تخبىء فئراناً أخرى بالطريقة الحذرة عينها. وشككت في قدرتي على الاهتداء الى تلك المخابىء، الا أن السؤال كان: هل في امكان "نيف" الاهتداء؟

وفي المساء التالي حاولت جهدي ألا



أقع فيما قادتني "نيف" بخفة في الحقل. وما هي الا برهة حتى كانت تأكل أول فأر مخبأ. وهي أكلت الفئران تباعاً حتى اذا ما وصلنا الى نهاية الحقل كانت كل الفئران أكلت.

وقد ربيت وزوجتي ثعالب أخرى في ما بعد، وكرّرنا اجراء هذه الاختبارات لمعرفة ما اذا كان في امكان ثعلب ما اكتشاف مخبأ فريسة ثعلب آخر. وأصبح واضحاً، بالنسبة الينا، أن الثعلب الذي يحفر المخبأ هو الوحيد، غالباً، القادر على ايجاده.

**مملكة جديدة.** لم يكن ذلك سوى غيض من فيض مساهمة "نيف" في العلم. وكان يتملكني شعور بأن الانجاب ضمن اطار العائلة هو امتياز للاناث المتفوقات. فرغبت في أن تنجب "نيف" اناثاً للتحقق من هذا الامر.

وضعناها برفقة ثعلب، وأبقيناهما معاً في مكان واسع مغلق. ولم يمض وقت طويل حتى اصبحت "نيف" حاملا. وولدت جراءها تحت كومة أغصان تذروها الريح في ليلة مثلجة منتصف شهر مارس (آذار).

وعندما وقفت قرب كومة الاغصان في الصباح التالي سمعت الصوت الجميل لجراميز تموء وترضع، وذلك للمرة الاولى في حياتي.

جثوت على يديّ وركبتيّ وزحفت ببطء تحت الاغصان. وكنت أود أن أصور الجراميز اذا سمحت لي "نيف" بذلك. وتعين علي أن أدفع آلة التصوير بحيث تبقى أمامي. وتقدمت وأنا أهمس لثعلبتي برقة. وكنت أتوقف كلما اجتزت بضعة سنتيمترات، فأنتظر بفارغ الصبر اشارة انذار أو عداء. وأخيراً تسنى لي أن أنعم النظر لأرى الثعلبة تنظر الي من مسافة مترين. انتابتها رعشة ترحيبية. ولمحت خمس كتل فرائية تتموج عند حلماتها.

وتمكنت من تثبيت آلة التصوير في الوضع المناسب من دون التعرض للقاء العائلي الحميم. وعندما ضغطت زر الآلة دوى صوتها كأنه محرك جرافة تنطلق. فحدقت "نيف" الى العدسة، إلا أنها لم تحرك ساكناً. فداعبت أذنيها، ثم مررت أصابعي بين صغارها. وفيما آلة التصوير تلتقط كل حركة راحت "نيف" تداعب صغارها بخطمها وتلعق يدي. فخلت أن قلبي يكاد ينفجر.

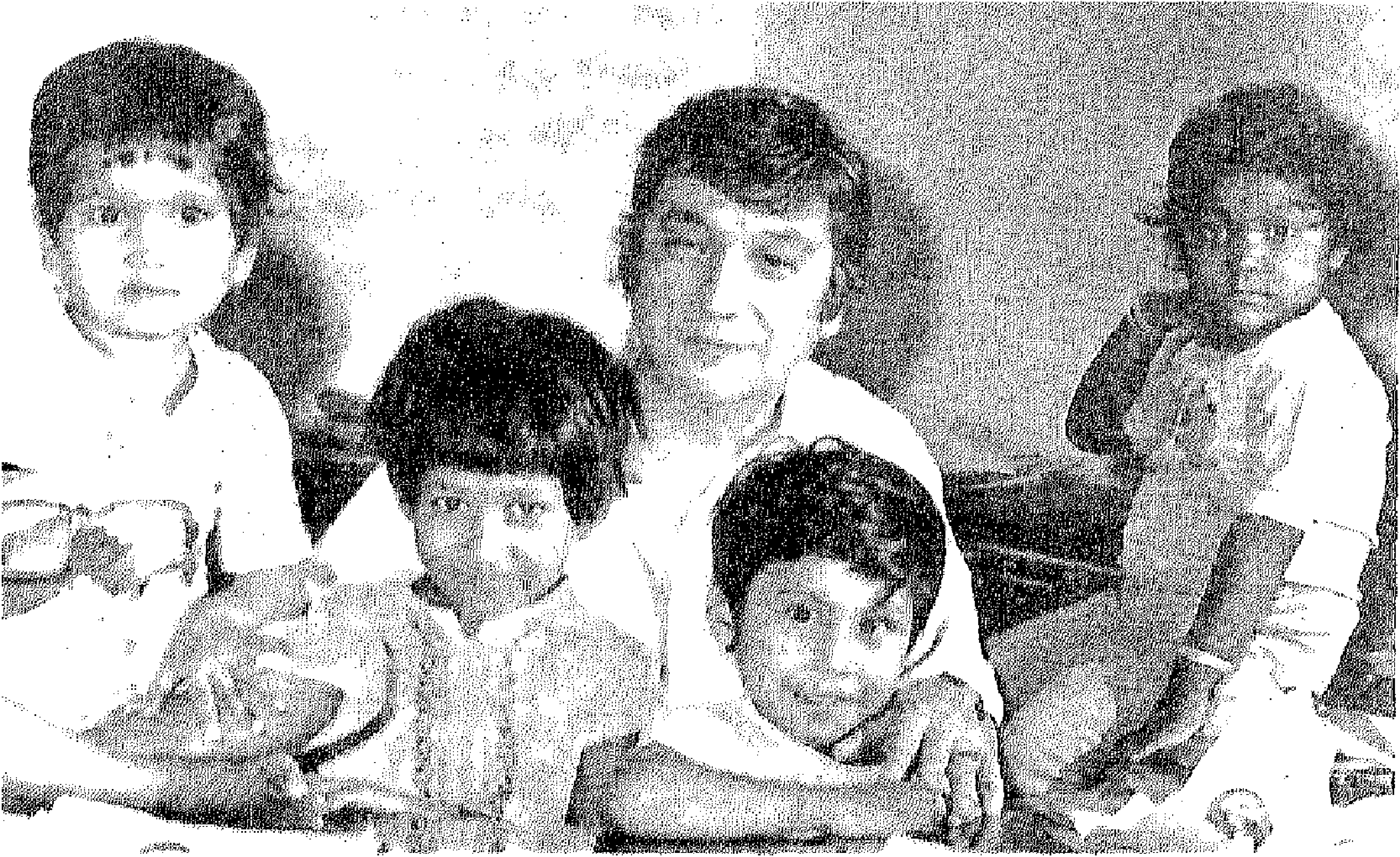
ودخلنا السنة التالية في رفقة "نيف" وشريكها وبناتهما الأربع. وكان واضحاً أن "نيف" هي المسيطرة في مجموعتها. وتبين أنها الوحيدة التي أنجبت في ذلك الموسم. وظلت مسيطرة على المجموعة حتى نفوقها بعد خمس سنوات.

لن أنساها أبداً.

في تجربة دامت نحو ثماني سنوات سمحت لنا نيف بإلقاء أكثر من نظرة خاطفة على تسلسل القوة في العائلة الواحدة. فهي مهّدت لنا الطريق للتعرف الى عالمها، وأظهرت لنا الطبيعة الحقيقية لهذا الحيوان الجميل الطيّع. وكانت رحلتنا "عبر المرآة" أكثر روعة لأن بلاد عجائب الثعالب كانت مكتنفة بالاسرار.

**ديفيد ماكدونالد ■**

# مُحسِن
# في كالكوتا



ألوف من أولاد الاحياء الفقيرة في الهند عاودهم
أمل التخلص من الجهل والفقر بنخوة رجل صاحب رسالة وحلم

□ قبل ثلاثة أعوام تخاصم مانوج داس(١) مع أخيه وغادر المنزل. وبعدما هام عدة أيام في الجوار بلغ محطة هوراه للسكك الحديد. كان تعباً وجائعاً فحاول سرقة بعض البقول الخضراء، لكنَّ شرطياً قبض عليه وطرحه في زنزانة للاولاد الجانحين.

أُطلق مانوج بعد خمسة أشهر بفضل احدى منظمات الانعاش الاكثر فرادة في كالكوتا. واليوم يقيم مانوج، ابن الخمسة عشر ربيعاً، في مدرسة المنظمة المكلَّفة إعادة تأهيل القاصرين من نزلاء السجون

(١) غيرت في هذه المقالة أسماء بعض الاشخاص حفاظاً على السرية الشخصية.

السابقين. وهو، الى دراسته العادية، صار بارعاً في العزف على الارغن. ويقول: "أنا سعيد هنا. لا أرغب في العودة الى البيت."

□ نشأت نيدهو راني ماندال في حي فقير في كالكوتا. وطالما رغبت في أن تصبح ممرضة. لكنها ظلت ضعيفة الامل في تحقيق طموحها الى أن فتحت المنظمة ذاتها مدرسة في حيّها عام ١٩٦٨. ونيدهو تعمل الآن ممرضة في مستشفى المنظمة وتعيل عائلتها المؤلّفة من خمسة أشخاص.

ليس مانوج ونيدهو سوى اثنين من الوف الاولاد الذين تغيرت حياتهم بفضل ميلتون ماكان (٥٧ سنة) مؤسس "جمعية البنغال للخدمات" ورئيسها، والامين العام لفرع الهند في مؤسسة "أرض البشر"(٢) منظمة الانعاش المنطلقة من سويسرا. ويعمل في إدارة ماكان ملاك من ٨٠٠ موظف بموازنة تبلغ ١٤ مليون روبية(٣) لتنفيذ برامج "جمعية البنغال للخدمات" ومؤسسة "أرض البشر" اللتين تعلّمان - وتعيلان - عشرة آلاف قاصر وقاصرة في ١٥ مدرسة. وهو يُشرف على ثلاث دور حضانة وتسعة مستوصفات ومستشفى وميتم، كما يتعهد برنامجاً لتحرير الاولاد من السجون وإعادة تأهيلهم، هو الاول من نوعه في الهند.

**ظروف صعبة.** يتبع ماكان نظاماً يومياً من شأنه أن ينهك رجلا له نصف عمره. يستيقظ في الرابعة صباحاً ويتوجه الى مكتب قرب ميدان السيرك في قلب كالكوتا، حيث سرعان ما يتحلّق حوله سكان الاحياء الفقيرة في ضواحي المدينة، وكلهم يطلبون العون.

هذا اسماعيل، مثلا، يشكو البطالة. ليس لدى ماكان عمل يعرضه عليه، لكنه يعطيه ٣٠ روبية كي يبحث عن عمل خلال الاسبوع، ويظل يساعده حتى يتوصل الى ايجاد عمل. وعبد الرحمن عاطل كذلك عن العمل، لذا يستخدمه ماكان كمساعد في احدى مدارسه ويعينه لاحقاً في فتح مقهى.

يقر ماكان بوجود مشاكل يعجز عن حلها، لكنه يستدرك: "غير اني اصغي الى كل شكوى وأقدم التشجيع والرجاء."

في السادسة والنصف صباحاً يكون ماكان في مكتبه حيث يعمل طوال خمس ساعات قبل أن يتجوّل متفقداً هذا المرفق أو ذاك. ولا يعود الى منزله قبل الخامسة بعد الظهر، فيتناول وجبة سريعة قبل أن يغرق في تصفح ملفات مكتبه. غير أنه يسمح لنفسه ببعض الاسترخاء قبل أن يأوي الى فراشه. وينتهي نهاره في الحادية عشرة ليلا.

هذا العازب القصير القامة الممتلىء الجسم الذي يرتدي دائماً ثياباً بيضاً، وُلد في رانغون (بورما) في ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٣١. عاش حياة مرفّهة في بيت ينتمي الى الطبقة الاريستوقراطية، الى أن قضى والده في العام ١٩٤٥ في حادث سيارة، فوجدت والدته نفسها في أزمة مالية شديدة، فأخذت اولادها الاربعة الى كالكوتا حيث كان لها بعض الانسباء.

---

(٢) Terre des Hommes

(٣) الروبية تعادل نحو ٨ سنتات.

لكنّ الظروف كانت صعبة، ويستعيدها ميلتون: "كنا نقتصد في الانفاق حتى نكاد نجانب العوز."

راود ماكان طويلا حلمُ أن يصبح طبيباً، لكن الدخل العائلي غير المستقر وضع حدا لآماله. لذا التحق بشركة "جيسوبس" للهندسة المعمارية كمعاون محاسب. ومع أن هذا العمل أمّن له استقراراً فانه لم يستطع أن يغمض عينيه عن الفقر المدقع الذي يحيط به. فتاق الى تقديم بعض العون الى الفقراء، ولاسيما الاولاد. وبدا له أنهم لو استطاعوا تأمين تعليمهم الاساسي وطعامهم الكافي لتمكنوا من شق طريقهم بعيداً من الفقر. وقاسمه همومه زميله في العمل سيسير داسغوبتا. وأخيراً قرر الرجلان فتح مدرسة في أحد الاحياء الفقيرة.

بعد زيارة مواقع شتى استقرّا في سابغاشي، وهي ضاحية من أكواخ الصفائح في جنوب شرق كالكوتا. ويتذكر ماكان: "اخترناها لانها كانت الاسوأ بين الضواحي، تضم نحو عشرة آلاف شخص يعيشون في أكواخ قذرة مبنية في أرض سبخة."

**مشاريع ومشاكل.** لم تكن في سابغاشي طرق، ولا كهرباء ولا شبكة مجار. وكانت المياه المصرَّفة تفيض مع القذارة. وعندما تغمر الامطار الموسمية المنطقة، كان ماكان يخوِّض في المياه النتنة دافعاً أمامه الدراجة البخارية التي اعتاد التنقل بها.

كان السكان في البدء عدائيين مثل بيئتهم. فعندما حدّثهم ماكان عن مشاريعه في شأن فتح مدرسة سخروا منه. وهدد آخرون بالقائه خارجاً. ويقول ماكان: "اشتبهوا بأني مبشِّر."

كان عليه أن يبذل جهداً دؤوباً وشاقاً ليقنعهم بحقيقة نيّاته. فلم يتقاعس ولم يتوانَ. راح يلعب مع أطفال الحي ويسأل أهلهم: "ألا ترغبون في أن يحصل هؤلاء الصبية والبنات على مستقبل أكثر اشراقاً؟ ان المدرسة تعني التعلم وايجاد عمل وحياة لائقة." وشيئاً فشيئاً بدأ يتغلب على مقاومتهم.

وافق ثلاثة من كبار المقيمين — هم محمد خان وحسين علي وشرف الدين أحمد — على مساعدته. بل ان خان، وهو صاحب مرأب لاصلاح السيارات، قدم غرفة للمشروع. فاشترى ماكان كتباً مدرسية وألواحاً اردوازية وطبشوراً، وافتتح المدرسة في ١٨ أغسطس (آب) ١٩٦٨ وفيها نحو ٤٠ ولداً. وفيما فضَّل سيسير العمل الإداري تولى ماكان التعليم برمته. كان يعلّم الصفوف من السابعة الى التاسعة صباحاً قبل أن يندفع الى عمله، ثم يعود الى سابغاشي قرابة السادسة مساء ليلعب مع الاولاد أو يتحادث وأهاليهم.

سرعان ما انضم الى المدرسة مزيد من الاولاد، فتعيَّن على ماكان أن يستأجر غرفاً اضافية ومعلمين جدداً. اذذاك قدم الخياط شرف الدين أحمد قطعة صغيرة من الارض، وتبرع أصدقاء ماكان الصناعيون بالمال لبناء سقيفة مستطيلة تصلح كمدرسة.

ولكن حتى بعد تأسيس المدرسة ظل بعض المقيمين يُظهرون العداء. فبعد

ظهر أحد الايام كان ماكان في طريقه الى سابغاشي، فقذفت قرميدة في اتجاه رأسه. تفاداها في الوقت المناسب وأفلح في القاء نظرة خاطفة على مهاجمه. وبعد بضعة أيام شاهد الرجل ثانية، وهو أحد أشقياء المحلة، ودعاه الى كوب شاي. تحدث الرجلان طوال ساعة وشرح ماكان مشاريعه من أجل سابغاشي. وأخيراً اقتنع الرجل بصدق ماكان.

وبرزت مشاكل جديدة عندما مُدَّت خطوط الكهرباء الى سابغاشي. وحدث مرتين تماسّ كهربائي بين سلكين بفعل الريح مما عرَّض الناس تحتهما للخطر. ويستعيد ماكان ذكريات تلك الايام مرتعداً: "في احدى هاتين المرتين صعق التيار الكهربائي ثلاثة جواميس كانت واقفة أمامي على بعد أمتار قليلة."

**مجمَّع جديد.** فيما استمر عدد الطلاب في الازدياد بدأ ماكان يفكِّر في انشاء مبنى لمدرسة خاصة به. وكان أمرأ حيوياً اللجوء الى الاعلان لجمع المال اللازم، فدعا بعض رجال الصحافة والوجهاء المتوطنين في كالكوتا الى حي سابغاشي. وتدريجاً شاع عمل ماكان وأخذت الصحافة تتناوله في مقالاتها، فبدأ المال يفد ببطء. لكنه لم يكن كافيا. ودفع اليأس ماكان الى توجيه رسائل الى السفارات في دلهي طالباً العون. فتبرع المندوب السامي الكندي بتكاليف الطبقة الارضية للمدرسة وبثمن الارض.

ويتذكر ماكان تلك الحقبة: "تلك كانت أول انطلاقة ذات شأن. وبعدها بقليل قُدِّمت الى الممثل السينمائي ديف أناند فسألته هلا يتبرع لنا بعرض مسرحي، ولكم كانت دهشتي كبيرة عندما قبل."

در العرض ٥٠ ألف روبية دخلا صافياً، وما أن أقبل العام ١٩٧٢ حتى كان مبنى مدرسة "جمعية البنغال للخدمات" جاهزاً بطبقاته الثلاث في حي سابغاشي. واليوم يؤمّ هذه المدرسة ١٢٠٠ فتى وفتاة. ويُقدَّم اليهم الطعام يومياً من أموال تؤمِّنها مؤسسة "أرض البشر." ويشرح ماكان: "الطعام يخفض نسبة التغيُّب، فما من أحد يريد أن تفوته وجبة."

في العام ١٩٧٥ بنت "جمعية البنغال للخدمات" في سابغاشي مستشفى كامل التجهيز بدأ بعشرة أسرّة وبات يضم ٥٠ سريراً. ويؤوي المجمَّع أيضاً مركزاً لتعليم نساء الاحياء الفقيرة الخياطة وإدارة المنزل والاسعافات الاولى والحرف اليدوية. وفي الجوار مشغل آلي يعمل فيه ٢٠ من الفتيان الجانحين.

وراحت نشاطات الجمعية تتضاعف بسرعة كبيرة حتى ان ماكان وجد صعوبة في أن يُكمل عمله في شركة "جيسوبس" حيث كان رُفع الى وظيفة مدير مشتريات. فاستقال في العام ١٩٧٨ ليكرِّس كل طاقاته لمشاريعه. يقول. أ. مازومدار رئيس شركة "تيل" المحدودة ومديرها التنفيذي، وهي شركة ظلت سنوات تساعد "جمعية البنغال للخدمات": "يُعتبر عمل ميلتون ماكان في حي سابغاشي الفقير تسامياً رائعاً على كل الاعتبارات."

**مدرسة للفقراء.** كان ماكان شديد التمسك بالدقة، فأدار المنظمة بحزم.

وكانت حدّته تنفجر بسرعة انّى التقى مصادفة عملا قذراً. لا يخفى شيء عن بصره الثاقب. فالصورة المعلّقة بانحراف يجب ان تُسوّى حالا. وهو لاحظ مرة عند دخوله غرفة تدريس أن أرضها لم تنظف جيداً، فأخذ مكنسة ونظفها بنفسه أمام طلاب الصف المنشدهين.

لكنّ له وجهاً آخر أكثر دماثة. وقد رافقته أخيراً في زيارته المدارس. تحلّق الطلاب حوله حالما دخلنا غرفة التدريس. مازحهم ماكان وروى لهم قصصاً، وبعد ذلك وافاهم الى ملعب الكرة الطائرة."

حتى عندما كان ماكان يهتم بشؤون مشاريعه المتمركزة في كالكوتا رغب في مساعدة الاولاد في المناطق الريفية. ففي العام ١٩٧٧، عندما سأله كورت بوركي وزوجته السويسريان اللذان تبنيا طفلا هندياً، كيف تتسنى لهما مساعدته، اقترح عليهما فتح مدرسة في أوستي، وهي قرية صغيرة تبعد ٤٠ كيلومتراً من كالكوتا. واليوم يضم مشروع أوستي ٤٠٠ ولد قروي، وتوسّع ليضم آباراً لمياه الشفة ومركزاً للتطبيب والتدريب المهني. والى إدارة ماكان مدرسة أوستي ومركزها، فهو يشرف على خمسة مشاريع ريفية مماثلة، مموّلة جميعها من الخارج.

**انقاذ الجانحين.** كانت خطوة ماكان التالية مساعدة الأحداث المحتجزين في سجون الولاية، بعدما قرأ مقالة صحافية روعته وجعلته يزور بضعة سجون. وهو يقول: "راعني ما شاهدت فيها." كان أطفال أبناء ست سنوات محبوسين مع مجرمين عتاة، يرقدون على أرض الزنزانة الباردة ويأكلون رزاً مليئاً باليرقان وقد انتشر القمل في شعورهم والجرب في جلودهم. وفكر ماكان: هذا ليس مكاناً للاولاد.

كان معظم النزلاء الصغار من أسر فقيرة، وقد جنحوا بسبب الفقر وسوء المعاملة. صادِق، ابن الست السنوات، ألقته زوجة أبيه في محطة هواره حيث وجدته شرطة السكة الحديد. ولم يستطع الصبي تذكر عنوان بيت أبيه، فراح يتسكع مستعطياً في الشوارع قبل أن يحط رحاله في السجن. وبابول غوش، ابن الخمسة عشر ربيعاً، جاء من بوروليا بمقاطعة بيهار وكان يشكو نوبات متكررة من فقدان الذاكرة. وخلال احدى هذه النوبات وجده رجال الشرطة متشرداً في الشوارع، ولعجزه عن الاجابة عن أسئلتهم أرسِل الى السجن.

هاتان الحالتان ومثيلاتهما دفعت ماكان الى إعداد مشروع، بتمويل من "أرض البشر" لتحرير الاولاد السجناء وإعادة تأهيلهم. ووافقت حكومة الولاية على الفكرة، وسرعان ما أطلق ٩٣ حدثاً متشرداً أو جانحاً تترجح أعمارهم بين ست سنوات وست عشرة سنة. وفيما عاد ١٧ منهم الى منازلهم، يعيش الباقون (بمن فيهم صادق وبابول) بسعادة في سيشو أوديان، المدرسة الداخلية في رانجيلاباد.

عندما زرتُ سيشو أوديان مع ماكان أحاطنا فوراً صبيان مرحون ثرثارون. وجذب تارون موليك (١٤ سنة) ماكان جانباً وأعلمه انهم جميعهم يطلبون جهاز راديو. وشرح تارون: "لقد اقبل موسم لعبة

الكريكيت ونريد أن نستمع الى التعليق على المباريات." تبسّم ماكان وأحاطه بذراعه قائلا: "انت ترغب في أن تصبح مهندساً، أليس كذلك؟ اصنع الجهاز بنفسك! أنا سأشتري لك القطع." ثم استدار نحوي وأشار بفخر الى قفص كبير للطيور وقال: "لقد بناه أولادي."

خلال جولتنا في المكان لاحظت ان ماكان يدس باستمرار حبوباً في فمه. وهو أقرّ لي لاحقاً في مكتبه بأنه يعاني اختلالا في عينه وارتفاعاً في مستوى الكولسترول وعدداً من الاعتلالات المزمنة الاخرى. وعندما تساءلت عن جدوى ارهاق نفسه هكذا تبسم وأدار لحاظه في أرجاء الغرفة المليئة بملصقات تمثل أطفالا وقال: "هؤلاء الاطفال هم حياتي. لقد منحتهم كل محبتي فبادلوني اياها اضعافاً مضاعفة. ماذا يمكن الانسان ان يطلب اكثر؟"

شانو بيجلاني ■



## الحظ

نشأ مايك شميت، نجم كرة القاعدة (بايسبول) في فريق فيلادلفيا بولاية بنسلفانيا، في مكان هادىء تزينه صفوف الاشجار في جوار دايتون، من عائلة تنتمي الى الطبقة المتوسطة. وعندما كان عمره خمس سنوات تسلق شجرة في فناء منزله الخلفي ولمس سلكاً كهربائياً للتوتر العالي، فصعقه التيار وافقده وعيه، فوقع منهكاً على الارض، وكان لسقوطه الوقع الحسن على قلبه الذي استعاد ضرباته.

يقول شميت: "ما فكّرتُ قط في أني سأعطى حظاً ثانياً لانه كان يُفترض بي أن اقوم بأمر جلل في حياتي. لكنني عدت بذاكرتي الى ماضيّ وعجبتُ لماذا ذلك الصبي الصغير المغفل لم يمت. ولربما كان ذلك السبب الذي دفعني دائماً الى السعي الحثيث، لاني لم أرد أن افكر في أني فوّت ذلك الحظ."

ف.١.

---

## الحياة مثل السيكار!

يروي الصحافي ريناتو جيونتيني هذه القصة عن زيارته للمايسترو الكبير ارثور روبنشتاين:

عندما هممتُ بالرحيل اعطاني علبة من السيكار المفضل لديه، فشكرته وقلت له إنني ساحتفظ بها طوال حياتي.

فرد: "لا، بل عليك ان تدخنها يا صديقي. فكل سيكار منها رائع كالحياة. وانت لا تحتفظ بالحياة، بل تتمتع بها تماما. فليس من سعادة من دون حب ومن دون تمتع بالحياة."

# الكبيس يثير الأحاسيس...

مَنْ يقاوم إغراء مملكة الكبيس وفيها ما فيها من منشطات ومؤثرات ونكهات مميزة؟

الكبيس (١) شيء مجوني. فَكِهٌ وسمين كمغنٍّ صادح في جوقة أوبرا. انه الخيار أصيب بقشعريرة. شذاه مبهرج. وكل قضمة تصدر قَرْشاً كثير العصارة يسمع على بعد ثلاث طاولات. الحدة تجعلك تظن أن ثمة رقصة عنيفة تدور داخل فمك.

الكبيس الاخضر اللامع هو غاية كل انسان. في ألمانيا وهولنـدا وأسوج (السويد) والولايات المتحدة، معدل ما

(١) الكبيس أو المخلل.



يأكله المرء سنوياً من الكبيس هو أربعة كيلوغرامات.

يحبه المزارعون ورجال المال والفتيات الحسناوات ولاعبو الكرة والاطباء ومنظمو الحفلات ورجال الدولة. الكبيس جوهر الديموقراطية، لا يختص بجنس ولا يختص بمذهب.

قليلون هم المحصَّنون ضد اغواء الكبيس. والمعروف عن الممثل الامريكي المحبوب بيل كوسبي أنه لا يطلب وجبة غداء قبل أن يكون التهم قطعة أو قطعتين من الكبيس الحاد الطعم. والممثلة رينيه تيلور صرخت مرة من غرفتها في ليلة افتتاح: "لا كبيس، لا تمثيل."

**مفعول شفائي.** قال ليو ستينر أحد أصحاب متجر "كارنيغي" في مدينة نيويورك حيث تباع اللحوم والاجبان والمأكولات الجاهزة الاخرى: "الكبيس رومنطيقي أيضاً. رأيت مرة زوجين يجلسان الى طاولة وأمامهما طاس من الكبيس الحرّيف. راحا يقضمان الكبيس ويغمضان أعينهما، ويغرقان في حديث حميم!"

وبانفعال أقل تشير ليتيشا بالريج الى الدور الذي يؤديه الكبيس المثوّم العاصف في العلاقات بين الناس. تقول هذه المتخصصة بأصول البروتوكول، (٢): "الكبيس المثوَّم أحب الانواع الي. فله وجود قوي في فم الانسان. تفوح رائحة الثوم بقية النهار عندما تأكله ظهراً. وهو يستحق المجازفة لانه يكوّن ألفة قوية بين آكليه."

يقال ان الثوم في الكبيس له خواصّ صحية. وزعم عالم الطبيعة الروماني بليني الاكبر (٢٣ - ٧٩ قبل الميلاد) أنه يشفي من داء الربو. وأثنى الطبيب الاغريقي ابقراط (٤٦٠ - ٣٧٠ قبل الميلاد) ومواطنه الفيلسوف أرسطوطاليس (٣٨٤ - ٣٢٢ قبل الميلاد) على التأثير الشفائي للثوم.

**ثلاث طرق.** ظهر الكبيس في التاريخ مع بدء زرع الخيار البري في آسيا قبل ألوف السنين. وانتشر الخيار المحب للشمس في قارة تلو أخرى. ولم يمض وقت طويل قبل أن يتصور الناس كيف يحفظون خيار الصيف لفصل الشتاء بصونه في ماء الملح. وأخيراً أضيفت بعض التوابل والافاويه لاعطاء الخيار نكهة مؤثرة. واستمر الطهاة في الاختبار على مر القرون، ينقعون الخيار في الخل ويضيفون اليه مزيداً من الافاويه القوية كالثوم والبصل والفلفل الاسود وحب الخردل والكزبرة. والى اليوم لا يزال الحد الوحيد للتطييب هو مخيلة صانع الكبيس.

ولكن يبقى ثمة معيار للكبيس الكامل. يجب أن يكون قوياً وناضراً هشاً، لأن الحياة قصيرة جداً لاكل كبيس فاتر خائر. يجب أن يكون ذا قشرة رقيقة وله حيوية جمالية اضافة الى اخضراره ومذاقه الذي تتوقع أن يكون مذاق الكبيس الكامل. وهنا يبدأ الجدل، في أربعين نوعاً مختلفاً من الكبيس هنالك لذة في كل مذاق.

(٢) البروتوكول هو نظام التشريفات الديبلوماسية والعسكرية.

ثمة ثلاث طرق أساسية لصنع الكبيس التجاري. التخمير، والتعليب الطازج، والتبريد. طريقة التخمير التقليدية تستغرق اياماً وأسابيع وأشهراً وأحياناً سنتين. ينقع الخيار في الماء المالح، يغسل بالماء لازالة الملح الزائد، يوضع في مرق مالح او مخلل منكه بالافاويه، ثم يخزن في أوعية مختومة. وكلما طال نقع الخيار في الماء المالح كان المذاق أقوى واللون أصفى من الخيار الحامض.

في تقنية الكبيس المعلّب طازجاً يوضع الخيار المقطوف حديثاً في أوعية زجاجية ويغطس في ماء مالح ويعقم لبرهة وجيزة. وهذه العملية تعطي مذاقاً ألطف وأنقى وأقرب طعماً الى الخيار من عملية التخمير.

عملية التبريد مشابهة لتقنية التعليب الطازج. غير أن الكبيس هنا مبرد بدلاً من أن يكون معقماً. ويعجب المتحمسون لهذا الكبيس بنظافته وبياضه ونكهته وقضمه المثير.

لكل محب للكبيس رأيه الخاص في فردوس الكبيس. "البيتزا" مع كبيس بقل الشبث (٣) هي المفضلة لدى جيم بونين مدير أحد مصانع الكبيس في وودستوك بولاية ايلينوي. ويصرّ ليو ستينر أحد اصحاب مطعم كارنيغي على أن شطائر لحم البقر المعلّب تصبح أكثر اثارة للاحاسيس ثماني مرات اذا ما أضيف اليها الكبيس. ويدعي بيل مور مدير أحد مصانع الكبيس أن ألذ طبق في العالم هو كبيس الشبت مع زبدة الفستق.

من الواضح أنه بالنسبة الى أولئك الذين ينشدون الكبيس الامثل، الهوى هو الحاكم، والقوانين لا تطبق.

باتريشا لندن ■

(٣) Kosher dills

## الترقي بالغناء

تعمل جوقة صبيان هارلم، حي الفقراء الزنوج والبورتوريكيين في نيويورك، خارج مبنى مدرسي سابق مهدم، في حي يتفشى فيه مخدر الكوكايين. ومع ذلك كان الفريق نجح غالباً في مهمته، وهي تعليم الشباب ان ينشدوا مثل الملائكة ويتصرفوا مثل الرجال.

مؤسس الجوقة ومديرها والتر تورنبول البالغ ٤٤ عاماً، مصمم على مساعدة كلّ فتى. فاذا واجهت احدهم مشكلة موسيقية او شخصية، يتصدى لها هذا الصادح (تينور) السابق في الاوبرا ولا يستسلم للمعوقات. وفي مدينة حيث نسبة كبيرة من الزنوج الملتحقين بالتعليم الثانوي لا يحصلون شهادات التخرج، يذهب ٩٨ في المئة من شباب الكورس الى الجامعات.

وفي هذا يقول تورنبول: "عرِّف ولداً ابن عشر سنين على مواطن الجمال يبقَ رانياً اليه طوال حياته!"

م.ك. عن "وول ستريت جورنال"

# وداعاً يا أكبر ألماسة في العالم

## قصة الصراع بين أكبر ألماسة في العالم والرجل الذي فضّل كمال الصنعة على فرادة الحجم

هذا الحجر الغريب الشكل الباهت اللون ينبو عن كثير من أمثاله. ولو قادتك المصادفة الى رؤيته وأنت تتنزه على الشاطىء لمررت به مرور الكرام. فهو أضخم من أن يُقذف منزلقاً فوق الماء، وأخشن من أن تضغطه بقبضتك، وأشحب من أن يحدوك على التقاطه والاحتفاظ به. لكن رجلا حادَّ البصر فطناً - لم يُكشف عن اسمه بعد - التقط الحجر فبات مكتشِف الالماسة الرابعة من حيث الحجم في العالم.

عندما سمع تاجر الالماس النيويوركي مارفين صامويلز أن حجراً من الالماس وزنه ٩٠٠ قيراط قد اكتُشف، لم يصدق



الحجر الاصلي الخام.

الخبر. فتجارة الجواهر تكتنفها روايات عن حجار ألماس كبيرة يتبين في نهاية المطاف أنها ليست كبيرة أو ليست ألماساً. غير أن صامويلز الذي يعشق التحدي، طار الى أوروبا ثلاث مرات باحثاً عن الحجر الذي قيل إنه في السوق.

أخيراً، في أغسطس (آب) ١٩٨٤، اشترى صامويلز الحجر الكريم بالشراكة مع "زايل كوربوريشن" وهي شركة في ولاية تكساس تتعاطى بيع الجواهر بالتجزئة (القطاعي). والى العام ١٩٨٥ كان الحجر معروضاً على منضدة مارفين صامويلز في شركة "بريميير جيم كوربوريشن" في نيويورك وهو يمثل التحدي الاول خلال ٨٠ عاماً لـ"نجمة افريقيا"، الالماسة التي تزن ٥٣٠،٢ قيراطاً وتتصدر جواهر العرش البريطاني في برج لندن.

كيف يبدأ؟ انها فرصة العمر بالنسبة الى صامويلز. وبصفته "صانع" الالماسة سوف يشرف على صقلها ليحولها أكبر ألماسة على وجه الارض، تزن ٥٣١ قيراطاً، أي ٠،٨ قيراط أكبر من "نجمة افريقيا". وفي ذروة الحماسة يتوق صامويلز الى صنع "جوهرة تدخل التاريخ." بيد أنه يعرف أن أمامه لتحقيق هذا الحلم فرصة وحيدة. فغلطة واحدة تُقترف في أثناء الصقل قد تفتِّت الحجر. وما كان حلماً قد يتحول كابوساً. إنها بداية ما سوف يكون صراعاً يدوم ثلاث سنوات بين رجل وحجر.

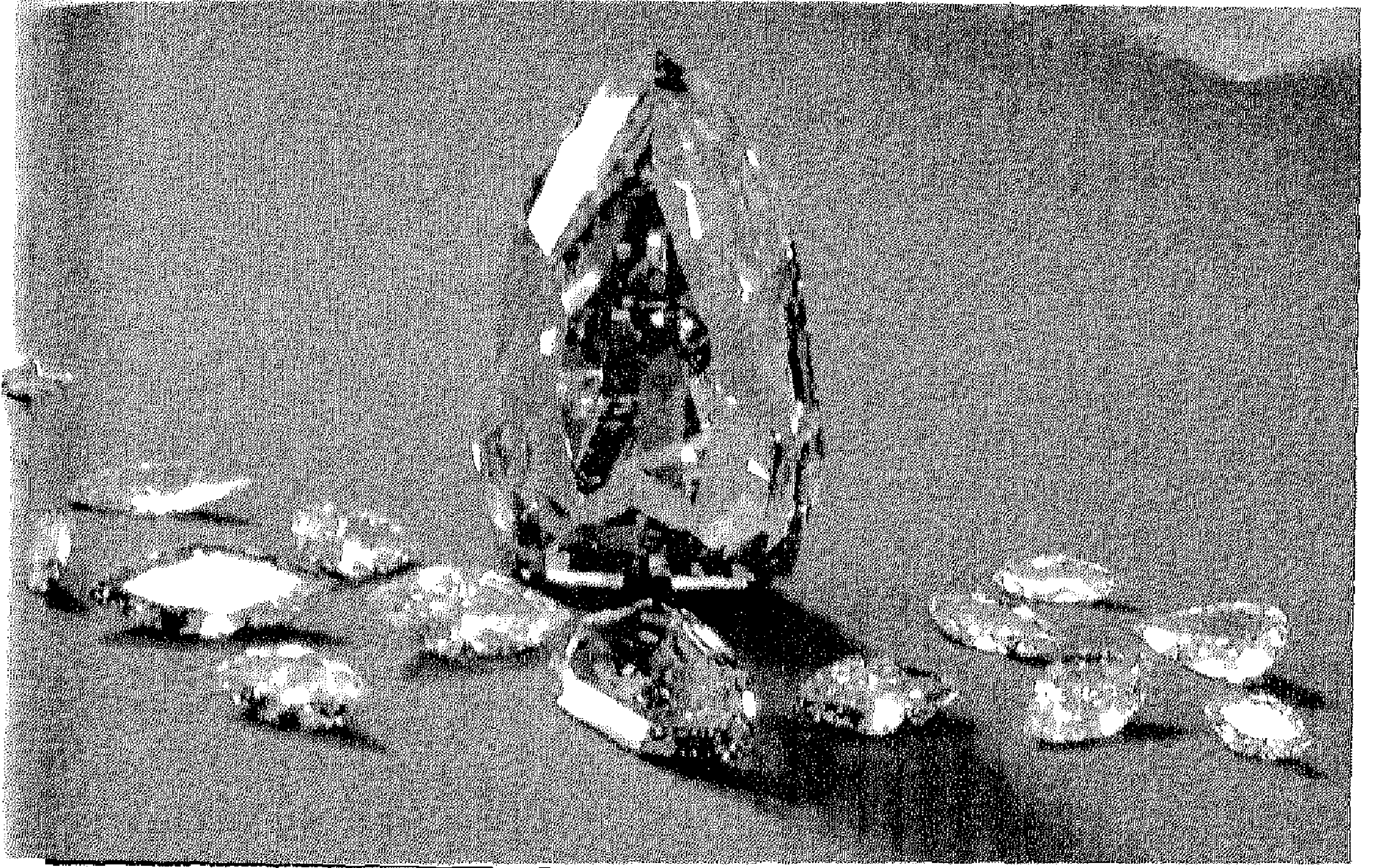
رجا بعض خبراء الالماس أن يُترك هذا الحجر بلا صقل، فيظل أضخم ألماسة خام في العالم. وتاق آخرون الى تشكيله كي يتحقق أفضل ما يكمن فيه من جمال.

ظل صامويلز عدة أشهر يُعمل الفكر في الطريقة المثلى لصقل الحجر الكريم، فصنع نماذج بلاستيكية له وراح يمعن فيها تخطيطاً وتقطيعاً، حتى غدا الحجر كأنه جزء منه. فاندمج الرجل في الحجر وهذا في ذاك، وراح الواحد يعمل في الآخر فيتجاوب معه أو يقاوم.

كان سَلَف صامويلز في تشكيل الحجار الكريمة، جوزف آشِر، درس طويلا الحجر العظيم "كولينان" ذا الـ٣١٠٦ قراريط ومصدر "نجمة افريقيا"، قبل أن يقرر أخيراً شقه شطرين في ١٠ فبراير (شباط) ١٩٠٨. والآن يرنو صامويلز الى حجره بالحماسة نفسها، وما يراه هو كتلة كثيفة خشنة. هناك بضعة سطوح ناعمة تعطي نظرة خاطفة الى داخله الضارب الى الصفرة والذي يبدو لحسن الحظ خالياً من الاجسام الغريبة الدخيلة التي من شأنها أن تحط من قيمة الالماس وتتحكم في خطوط القطع عند الصقل. فكل شيء حسن الى الآن.

غير أن معظم المساحة الخارجية للحجر خشن على نحو مريع، مجدَّر بالعُقد والثقوب والفلوع. والى ذلك يطرح شكله الاساسي مشكلة: فهو ضيِّق في أحد طرفيه وضخم في الطرف الآخر. لا شيء يبدو بيِّناً، فكيف يُبدأ العمل؟

يفضل صامويلز مساراً يعبِّر عنه بقوله: "دع حجر الالماس يقودك." وهو يعتقد ان "اتجاه" الجوهرة الخارجة من الحجر مطبوع داخل الحجر: شكل إجاصة أو بيضة أو سطوح اضافية. ويقول لسائليه: "سوف



الألماسة الكبيرة في شكلها النهائي وقد سميت «The Incomparable» أي التي لا تضاهى. وحولها الالماسات التابعة المقصوصة من الحجر الأصلي.

ترونها. فالالماسة ستولّد نفسها، وهذا ما سيحدث."

**تحت المنشار.** اختار صامويلز لنشر حجره صديقاً قديماً هو جاك سواب الذي يملك مصنعاً لصقل الالماس في قلب الشارع ٤٧ المعروف بشارع الالماس في حي منهاتن بمدينة نيويورك. وضع حجر الالماس البالغ وزنه ٨٩٠ قيراطاً في كيس من البلاستيك ودسّ الكيس في جيبه، واتصل بأحد أبنائه وأحد حراسه ليجوبا الشارع عند مدخل المبنى.

تحتشد في مشغل سواب صفوف طويلة من مناشير الالماس يبلغ عددها ٣٠٠. غير أنها، في معظمها، تصلح لحجار دون ١٠٠ قيراط. ولكي يقطع حجر صامويلز استعمل سواب منشاراً مفرطاً في الكبر، صمّمه خصوصاً لهذه الغاية وصنعه ابنه جين، بحيث يتلاءم مع الحجر ويحميه، كما أمل الجميع.

وفيما كانت الالماسة الخشنة مثبتة بمقبض مع كسائها الجصّي راح المنشار يحز فيها بسرعة ٤٠٠٠ دورة في الدقيقة. وبدأت عملية القطع على مراحل بطيئة وقصيرة الامد. وكانت الادمغة الالكترونية تراقب الحرارة وتتصل بأجهزة انذار تحسُّباً لتبدُّلات مفاجئة.

بدأ سواب وابنه النشرة الاولى على حرف من ٧٠ قيراطاً عبر المنطقة التي دعاها صامويلز صفيحة الالماسة (السطيح الاوسع)، وهما يراقبان تطور الحرارة أكثر من أي شيء آخر. فالحرارة هي علامة الخلل، هي الحمى في الحجر. والشوائب الطفيفة غالباً ما ترفع الحرارة

كلما عالجها المنشار، مولّدة ضغطاً قد يسبّب كسراً. وكل تحوّل مفاجىء في حبيبات الالماس يمكن أن يدفع المنشار في الاتجاه الخاطىء. وفي الواقع كان الرجلان ينشران وفق زوايا بالغة الصعوبة. ويغمغم جاك: "أنا مسرور لان هذه الالماسة هنا، وسأكون مسروراً عندما تعود الى صاحبها."

**محاولة وحيدة.** فيما كان سواب وابنه ينشران كان صامويلز يجلس في مكتبه للتشاور مع الخبيرة بالجواهر ليندا سالكين والحرفي المتخصص بصقل الالماس ليون كورنيلوث، في حوار شديد التعقيد يراوح بين أخذ وعطاء. تلمّسوا بأصابعهم نموذجاً بلاستيكياً للحجر، نخسوه، حدّقوا اليه، وزنوه، وضعوا له رسماً تخطيطياً، رسموا خطوطاً بالحبر المندي ثم مسحوها. ساورهم القلق من جراء "المجازفة بالحجر." فالشكل الاجاصي التقليدي، المكوَّر باتّساق، سوف يتطلب تشذيب أعداد مرعبة من القراريط في الطرف الضخم للحجر. وهذه خطوة يقاومها صامويلز الذي أعلن مختتماً الاجتماع: "لقد قررت أن أتريّث فترة أطول قبل أن أقدم على اتخاذ قرار." فوافق جليساه من دون تردد على الارجاء، لانهما يعلمان أن لا شيء يزداد كبراً عند القطع غير الثقب.

هذا الاجتماع ستتلوه اجتماعات كثيرة في انتظار أن تكشف الجوهرة عن نفسها أو أن يبرز لها شكل مثالي ما، خالٍ من التصدّعات، متماثل، لا ينقص وزنه عن ٥٣١ قيراطاً.

أزالت مناشير آل سواب الثلاثة عشر ما مجموعه مئتا قيراط من مساحة الحجر الخشنة الطبيعية. والآن يتخيل صامويلز حدأة لوت احدى كتفيها لتلتقط بعض القراريط في مؤخر الحجر. وفي ذلك يقول: "لا أعتقد أن قطعاً كهذا سيكون مألوفاً، مثل شكل الاجاصة مثلا، لكنه بارز يتميز بمظهر خارجي غريب. لماذا لا تكون الجوهرة فذة من كل النواحي؟".

ومع ذلك يظل الشكل تسوية أو قل صفقة بين صامويلز والحجر، بين إصرار الاول على ٥٣١ قيراطاً والواقع المتمثل في شكل الحجر غير المنتظم. وغدا السؤال الآن ما اذا كانت الصفقة ستعقد ما دامت الآفاق لا تتفتّق الا عن فرصة وحيدة للحصول على الجوهرة الخالدة الفريدة التي لا تزن أقل من ٥٣١ قيراطاً. ويفلسف صامويلز ذلك قائلا: "كان في امكان ميكلانجيلو أن يجد قطعة أخرى من المرمر ليحاول تشكيل تمثال آخر لداود لو أخفقت محاولته الاولى. أما أنا فليس أمامي سوى محاولة وحيدة للحصول على جوهرتي."

**الالماسة الكبرى؟** اختار صامويلز هاي كيسلر لصقل الجوهرة، وهو رجل متأنق في تصرفه ودقيق كالجراح في حركاته، يكبّ على عمله داخل محله الصغير الذي يفتقر الى النوافذ ويعج بأشياء مركومة بغير نظام. وأمامه دولابان فولاذيان يدوران أمامه كمائدة دوارة وقد علاهما الزيت وغبار الالماس.

ها هو يدفع الالماسة الكبيرة في اتجاه احد الدولابين، فيتلقّف حزام معدني

مشحّم غباره الذي يحك به كيسلر حينذاك وجه الدولاب. وما نراه في هذه العملية ضرب من الاستعانة على حجر الالماس بغباره (عملا بقول الشاعر العربي: "حتى الحديد سطا عليه المبرد") فيما كيسلر يدير أذناً حادة خبيرة للموسيقى الصادرة عن الحجر.

هذا الرجل حذر في عمله مثل الكثيرين من رجال الاعمال. يقول: "الناس يلهجون بذكر هذا الحجر وبه ينوّهون، فأكتفي بهز كتفي غير مبال ولا أنبس ببنت شفة." وهو لم يُطلع حتى زوجته على تكليفه صقل الحجر، لكن عمله يتبعه الى منزله، شاء ذلك أم أبى. يقول: "أستيقظ في منتصف الليل وأسائل نفسي هل أنا سائر في الطريق المستقيم."

بعد كشط الصدوع والفجوات عن سطح الحجر خُفض وزنه تدريجاً الى ٥٨٠ قيراطاً ولما يزل غير بالغ مرتبة التمام. فذُعر صامويلز وأوقف الصقل. وراح يراجع الآراء ويصقل المزيد من النماذج البلاستيكية ثم يحسب الاوزان بأعشار القراريط.

واجهته المعضلة الآتية: هل ينبغي له أن يصنع جوهرة لا تشوبها شائبة ولكن ينقص وزنها - كما بدا واضحاً في هذه المرحلة - عن ٥٣١ قيراطاً وربما عن ٥٠٠ قيراط؟ أم يبذل جهده للحصول على رائعة من ٥٣١ قيراطاً مع بعض الشوائب في سطيحاتها الطبيعية الخشنة وصدع مثل ريشة تحت سطحها المستوي الاكبر؟

في يوليو (تموز) ١٩٨٦ أعلن صامويلز أنه ينزع نهائيا الى "تفضيل الحجم على استبعاد الشوائب." وقال إنه اتخذ قراره لأن "لا أحد يتذكر الرقم ٢" ولذا سيُبدع أكبر حبة ألماس صقيلة في العالم.

**كوّة على الذهب.** قرر صامويلز استطلاع آراء الزبائن المحتمَلين. وبنتيجة الاقتراحات المقدَّمة نزل وزن الحجر الى ٥٣٤ قيراطاً. وسقط القرار القاضي بعدم متابعة الصقل، وعادت الدواليب تأكل من بلّورات الحجر.

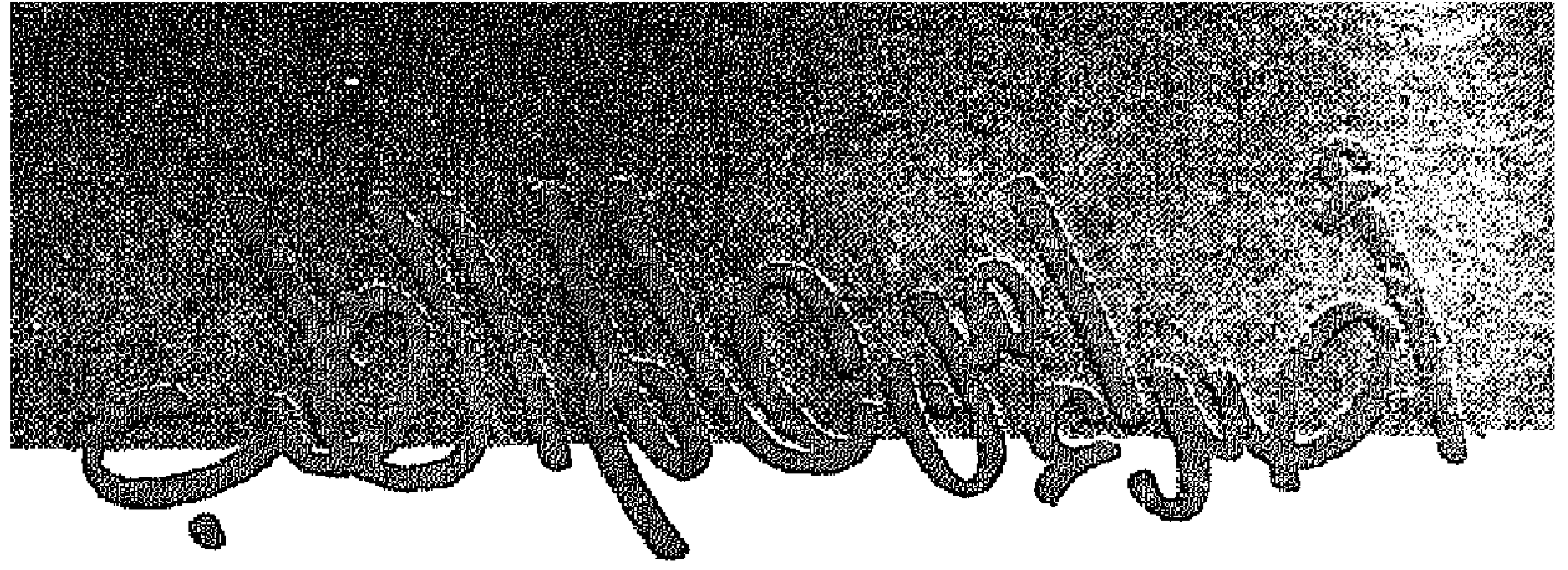
لقد انتصر الجمال والتناسق على الحجم والوزن. وعاد السرور الى قلب هاي كيسلر وهو يعاود العمل في الحجر.

ما ان أطل العام ١٩٨٨ حتى اتخذت الجوهرة شكلها النهائي: ٤٠٧،٤٨ قراريط. ليس هذا تماماً ما كان يُرجى من اكبر حجر ألماس في العالم، لكن صامويلز بدا راضياً تماماً. وهو يقول: "ماذا يهم اذا كانت ثانية الالماسات المصقولة في العالم؟ انها ما زالت أكبر ألماسة غريبة الالوان في العالم وأكبر ألماسة عرضت على الجمهور في أي وقت من الاوقات. أما جوهرة التاج كولينان فقد وُجدت وأهديت الى الملك وأنهت مسيرتها."

يتجه صامويلز الى مكتب خلفي ويعود حاملا صندوقة جواهر زرقاء قديمة. يفتحها ويعرض الالماسة المنجزة.

تستمر في تأمل الجوهرة وتقليبها بين يديك، فتجتذبك اليها وتدعوك الى إنعام النظر ببطء ومتعة الى زواياها ومزاياها، وأعماقها وسطوحها، ووجيهاتها وانعكاساتها. فكأنها تقول لك: "خذ كامل وقتك وتمتّع برؤياي، فسأكون هنا الى الابد."

ب. ف. كلوج ■



## مضخة للقلب

استخدمت مضخة للقلب بالغة الصغر في حجم ممحاة قلم رصاص لانقاذ رجل مصاب بقصور في قلبه(١). فقد عمد الدكتور و. هـ. فريزر، من معهد تكساس للقلب في هيوستن، الى ادخال المضخة "هيموبمب"(٢) من خلال شق بسيط في شريان في ساق رجل عمره ٦٢ عاماً أجريت له عملية زرع قلب ونبذ جسمه العضو الجديد. دفعت المضخة صعوداً داخل القلب حيث أمّنت استمرارية الدورة الدموية لمدة يومين، ثم نزعت. ويقول الدكتور فريزر: "لقد أتاحت لنا المضخة الوقت لابقاء المريض في حال مستقرة بطريقة بسيطة، الى أن عملت الادوية على ايقاف النبذ."

رُبطت المضخة التي ابتكرها الطبيب المهندس الدكتور ريتشارد وامبلر من شركة "نيمبس ميديكال"، بسلك يسيّره محرك كهربائي صغير موضوع الى جانب سرير المريض. تدور شفرات صغيرة توربينية (عنفية) بمعدل ٢٥ ألف دورة في الدقيقة، فتسحب الدم من البُطين الايسر عبر أنبوب متصل بالمضخة وتدفعه داخل الشريان الأورطي (الأبهر). والآلة تسيّر الدورة الدموية حتى في حال توقف القلب عن النبض. واذا أثبت المزيد من الاختبارات نجاح المضخة "هيموبمب" ففي الامكان انقاذ حياة الالوف سنوياً كما يقول الاطباء. فقد تكون مثالية في معالجة ضحايا النوبات القلبية الذين أصيبوا بصدمة شديدة وقصور في القلب.

مجلة "نيوزويك"

(١) Heart failure

(٢) Hempopump

## حساسية ضد الصراصير

بحسب الدكتور بان كانغ من المركز الطبي في جامعة كنتكي، أن البحث الحديث يبين أن بعض الاشخاص ولاسيما المصابين منهم بداء الربو، لديهم حساسية حيال جلد الصراصير وقشرتها القاسية. فعندما تنفق الصراصير تصبح بقاياها المنحلّة ومُبرزاتها عرضة لان يحملها الهواء، فيتنشقها الناس وتتولد لدى بعضهم حساسية كرد فعل.

ومجرد وجود الصراصير حية في البيت وتنقّلها قد يبعثان في كثير من الناس ردة حساسية نفسانية. وبما أن مسبّبات الحساسية هي في الجلود والقشور، فلا يكفي قتل الحشرات بل تجدر ازالتها كجزء من التدابير المعدة لمكافحة الاوبئة. وفي بعض الحالات قد ينصح بحقن المصابين مولّدات مضادات للصراصير مما يخفف من ارتكاس الحساسية.

صحيفة "بست كونترول تكنولوجي"

# الجزيرة المنسية

"أعترض، يا سيدي الرئيس!" ويدير الاعضاء الثمانية الآخرون رؤوسهم نحو المعترض، في واحد من أصغر المجالس النيابية في "الكومنولث". في صوته غضب وعلى وجهه أمارات التحدي. ويده المرفوعة غليظة الجلد نتيجة سنوات من ممارسة صيد السمك وأعمال الزراعة، وخنصر يده مفقودة.

إسمه غريغ كوينتال وهو يتحدر من ماثيو كوينتال وفلتشر كريستشين، اثنين من أشهر المتمردين في التاريخ. وكان زميل له في المجلس انتقد عملية



على شاطىء خليج باونتي الصخري أحرق البحارة المتمردون سفينتهم عام ١٧٩٠. أما المرساة التي انتشلت من قاع الخليج فهي باتت لعبة للاولاد

Condensed from National Geographic (October 1983), © 1983 by National Geographic Society, Washington, D.C. Photos: Melinda Berge

# بقعة فاتنة في المحيط الهادىء كانت ملاذاً للبحارة المتمردين واليوم تكاد تكون منسية من العالم



الاستيلاء على السفينة "باونتي" قبل نحو قرنين.

"إنه يتهمنا بالسرقة! نحن لم نسرق الباونتي!" وينتظر كوينتال تأثير كلماته ثم تتحول التجاعيد في وجهه ابتسامة عريضة تنم عن الفرح.

"أخذناها فقط." قالها بسرور.

ويضجّ الضحك في المجلس الاشتراعي لجزيرة نورفوك، لكن اعضاءه التسعة شديدو الجدية بالنسبة الى الباونتي. خمسة منهم يتحدرون من البحارة البريطانيين الذين "أخذوا" السفينة من الملازم وليم بلاي عام ١٧٨٩. إنهم أبناء بيتكيرن، سلالة صغيرة ولكن مميزة في جنوب المحيط الهادىء، مستقبلها مهدد بالخطر.

تشكل بولينيزيا مثلثاً في المحيط الهادىء الواسع. يقطن ابناء بيتكيرن جزيرتين متباعدتين قرب طرفي المثلث الشرقي والغربي. أما موطنهم الاكثر كثافة سكانية فهو جزيرة نورفوك وهي بقعة خضراء في غرب المحيط الهادىء. وبيتكيرن نفسها تقع على بعد ٦٠٠٠ كيلومتر شرقاً من أرخبيل تواموتو في بولينيزيا الفرنسية، والجزيرة مكان صخري منيع نسجت حوله الحكايات كملاذ للجنود والبحارة المتمردين في القرن الثامن عشر والنساء التاهيتيات الفاتنات اللواتي أحضروهن معهم.

**قدوم ونزوح.** عام ١٩٥٦ منحت ملكة بريطانيا فكتوريا كل عائلة في بيتكيرن عشرين هكتاراً من الاراضي في جزيرة نورفوك، وهي مكان أرحب قليلا. بدا كأن بيتكيرن الصغيرة ستصبح مكتظة بالسكان وأن نورفوك، الجزيرة التي كانت تستعمل كمنفى والتي تقع على خط العرض ذاته وتتمتع بالمناخ نفسه، أصبحت فائضاً عن حاجات الامبراطورية. جميع سكان بيتكيرن الـ١٩٤ وضبوا أمتعتهم وأبحروا مدة واحد وثلاثين يوماً للوصول الى هناك. وخلال الثمانية الاعوام التالية عادت الى بيتكيرن ست عائلات تضم ثلاثة وأربعين نسمة. وفي نهاية العام ١٩٣٧ كانوا أصبحوا ٢٣٣ نسمة، ثم بدأ عددهم يتضاءل.

وخلال الستينات من هذا القرن ومع تطور وسائل النقل البحري أخذ عددهم يتضاءل بسرعة أكبر. لقد حلت الطائرات النفاثة محل سفن الركاب، وتحولت سفن الشحن سفناً للمستوعبات لا تحيد عن طريقها نحو الجزر التي ليست على خط سيرها. وفقد أبناء بيتكيرن الكثير من أسواقهم السياحية التي كانوا يبيعون فيها منحوتاتهم وصناعاتهم اليدوية الاخرى. والمؤن التي كانت متوافرة سابقاً أصبحت باهظة الاثمان وصعبة المنال. والسفر الى الخارج، بغية الاستشفاء أو الدراسة، أصبح صعباً. وخلال السنوات الثلاث الاولى من الستينات نزح ثلاثون في المئة من السكان.

وفي العام ١٩٨٤ تدنى عدد السكان الى ٤٨ نسمة، أي ما يساوي عدد الذين عادوا من نورفوك قبل ١٢٠ سنة. وإذا كانت جزيرة نورفوك نائية، فإن بيتكيرن اليوم تكاد تكون منسية من العالم.

ذهبت الى الجزيرة على متن "الكبير"، وهي سفينة شراعية ذات صاريين أبحرت

من تاهيتي. بدت بيتكيرن في المدى كأنها أثر رمادي باق من حصن ما. ولعدم وجود مرفأ آمن حملنا حقائبنا وأمتعتنا في مركب طويل قاده أبناء الجزيرة نحونا مع بزوغ الفجر. بقي المركب منتظراً خارج خليج باونتي متحيناً الموجة المناسبة. وجاءت الموجة المنتظرة فاندفعنا متخبطين وانتهينا الى توقف هادىء في محاذاة حاجز بني لمنع تدفق الماء.

**هاتف عجيب.** إن ستة أجيال أو سبعة من أبناء بيتكيرن كافحت لصعود "تلة المشقات" وهي ممر صعب شديد الانحدار يتعرج وصولا الى قرية آدامز تاون التي ترتفع مئة متر عن سطح البحر. وكنت عزمت على الصعود، لكن طريقاً ترابية عريضة كانت مهدت بانحدار متوسط عبر الجرف، فلم نكن مضطرين حتى الى السير، اذ حُملنا مع أمتعتنا في رافعة جرار كبير ونقلنا الى أعلى التلة.

الى الطرق المشقوقة، تتمتع بيتكيرن بالكهرباء من الثامنة الى الحادية عشرة صباحاً ومن الغروب الى الحادية عشرة ليلا، كما تتمتع بشبكة هاتفية منحتها أياها نيوزيلنده. كل هاتف يدار بذراع يدوية في سلسلة من الضربات على غرار رموز "مورس." وادارة ذراع الهاتف تجعل كل أجهزة الهاتف في الجزيرة ترن: هاتف بن كريستشن له رنة خاصة: "دا – ديت – دا – ديت – دا"، كذلك هاتف مبنى المدرسة: "ديت – ديت – ديت"، وهاتف لين براون: "دا – ديت – ديت – دا." تعمل الشبكة جيداً، مع ميزة خاصة هي أن كل شخص هناك يملك رموزاً هاتفية خاصة. وذات مرة رن جرس الهاتف في منزل توم كريستشن. ومن غير أن ينبس كلمة، سار الزائر بريان يونغ نحو الهاتف، اذ ان "رقمه" هو الذي رن وليس رقم توم، أما من يريد ابلاغ رسالة الى جميع السكان فانه يطلق رنة طويلة، فيرد كل من استطاع الرد.

قلب أدامز تاون مساحة مرصوفة بالاسمنت تسمى "الساحة." في ثلاثة من جوانبها تقوم أبنية ذات طبقة واحدة تظللها الشرفات وهناك مستوصف تقدم فيه ممرضة الخدمات الطبية ويستخدم ستيف كريستشن مثقب طبيب الاسنان كلما احتاج أحد الى اصلاح أسنانه.

وهناك ايضاً مكتبة عامة ومركز للبريد حيث توضع الرسائل على رغم علم الجميع انها قد تبقى هناك لمدة أسابيع حتى تصل باخرة فتأخذها كذلك هناك مبنى المحكمة الذي يستعمل غالباً قاعة عامة، ومكتب سكرتير الجزيرة وهو غرفة مكتظة بالاوراق، تستعمل مركزاً للحكومة المحلية.

أمام مبنى المحكمة تنتصب مرساة من مراسي الباونتي تمّ اخراجها من قاع المحيط عام ١٩٥٧. ولفترة أبقى أبناء الجزيرة هذه المرساة مغطسة بزيت السمك لمنع الصدأ عنها. ويقولون ان تأثير الرائحة في الساحة كان صاعقاً، لذلك يستعملون الآن المينا الاسود كطلاء واق.

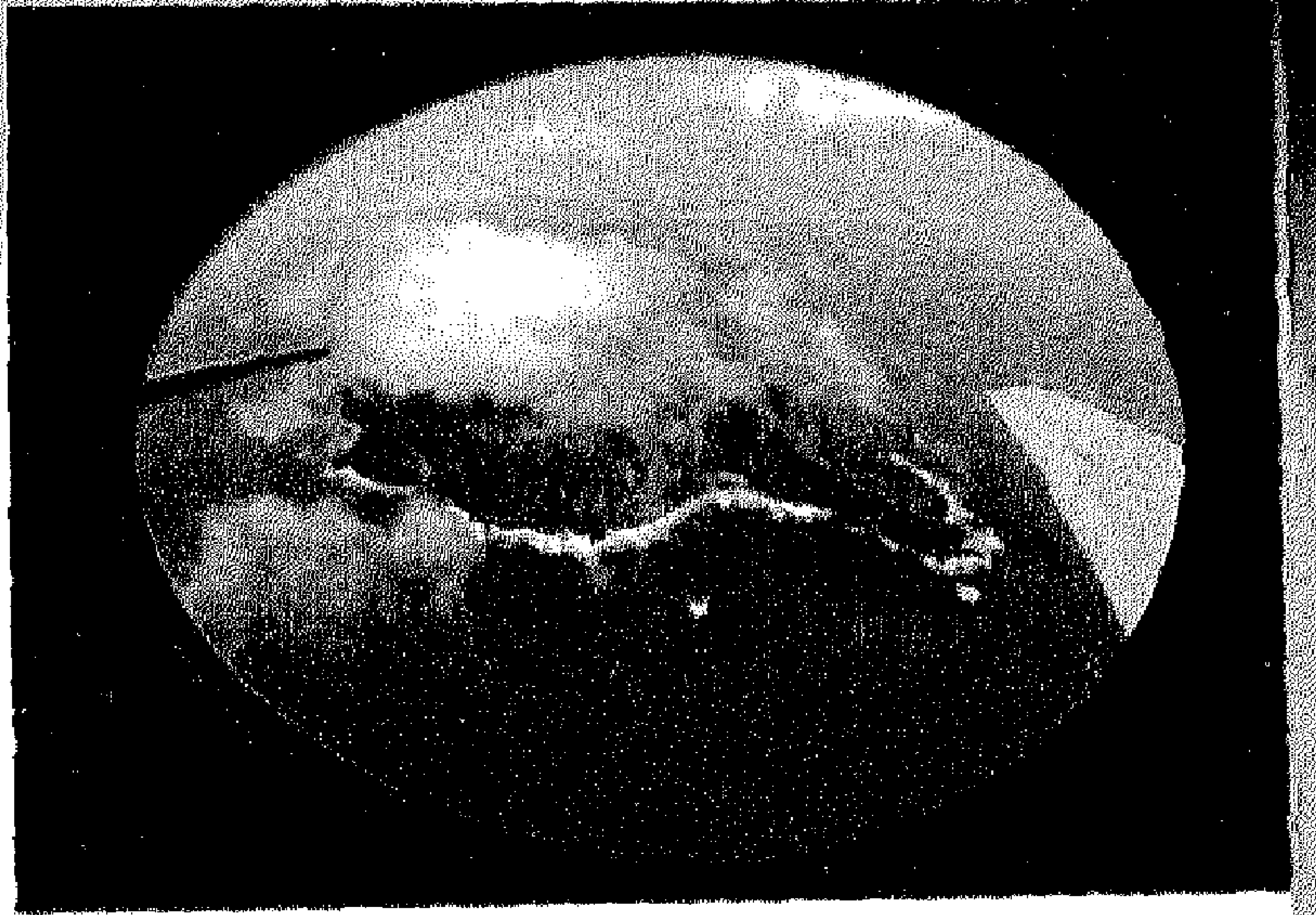
**جديرون بالاعجاب.** الابنية مدهونة ومنتظمة تعطي انطباعاً كأنها قاعدة عسكرية صغيرة. ولكن على بعد خطوات

تمـر طريق أدامـز تـاون الـرئيسيـة المتعرجة. وما ان تسير على ممرها المغبر في أي من الاتجاهين حتى يتشوش ترتيب الساحة فوراً. تبدو بيتكيرن كأنها تحتضر، فلا عائلات جديدة تقطن البيوت المهجورة، والنمل الابيض يجد طريقه الى الخشب المهمـل، والبيـوت تتـداعى تدريجاً.

لكن أبناء بيتكيرن فخورون بإرثهم، اذ ان دستورهم المكتوب عام ١٨٣٨ ربما كان الاول في الامبراطورية البريطانية (وربما الاول في التاريخ) الذي يعطي النساء الحق في الانتخاب أسوة بالرجال، كما أن أبناء بيتكيرن هم من أوائل الذين جعلوا التعليم إلزامياً.

مارسوا المبادىء الاخلاقية البسيطة وأصبحوا شعباً جديراً بالإعجاب، مزيجاً من طول الأناة الذي يتصف به التاهيتيون

المحيط الهادىء
٦٠٠٠ كلم
أوستراليا
جزيرة بيتكيرن
جزيرة نورفوك
نيوزيلنده





والكد في العمل الذي يتصف به الانكليز. لقد اصبحوا شعباً يتمتع بالمحبة والفخر في علاقاته وفي محيطه.

هل يسمح هذا الشعب بأن يتهدم بيت جار ولا يزال ركامه؟ نعم، بكل بساطة، اذ ليس هناك عدد كاف من السكان لمجاراة التدهور الحاصل. البيوت المهدمة حقيقة مرة يتحملونها بكرامة وقبول، تماماً كما يتعين على المرء أن يراقب شخصاً عجوزاً يحبه يموت ببطء يوماً بعد يوم.

يعمل أبناء بيتكيرن من الفجر الى موعد النوم تقريباً. يصلحون الاشياء



الاعياد والمناسبات الخاصة تجمع سكان بيتكيرن. وهذه الجزيرة التي لا تتجاوز مساحتها ٤٥٠ هكتاراً هي المستعمرة البريطانية الاخيرة الباقية في جنوب المحيط الهادىء. والطريقة الوحيدة للوصول اليها هي ركوب الامواج.

ويطبخون ويجمعون الحطب وينحتون قطعاً فنية ويحوكون السلال والقبعات ويزيلون الاعشاب الضارة ويزرعون ويصطادون السمك.

قد يصمم والد فجأة على صنع طائرة ورقية لأولاده، فلا تلبث حمى الطائرات الورقية أن تسري بين الاهالي. وخلال ايام تحلق عشر طائرات ورقية عالياً مع الريح فوق الجزيرة.

صنع بريان يونغ طائرته الورقية من خمسة أعواد خشبية وغلاف بلاستيكي وخيط لصيد السمك وشريط لاصق. طائرته هذه سداسية الجوانب، يبلغ طولها متراً ونصف متر من رأسها الى قاعدتها ويبلغ طول ذيلها سبعة امتار.

وفي منتصف خيط الطائرة لصق علماً نروجياً كبيراً ليرفرف في سماء المحيط الهادىء. هذا العلم يخص كاري، زوجة بريان، وهي واحدة من الدخيلات القلائل اللواتي أصبحن جزءاً من مجتمع بيتكيرن. عندما كانت كاري فتاة في النروج قرأت كتاب "العصيان على متن الباونتي." خلبت هذه القصة لبها فعزمت على مشاهدة بيتكيرن. واستلزم الامر ثلاث سنوات قبل أن يسمح لها حاكم بيتكيرن بالمجيء الى الجزيرة.

**مأساة الجزيرة.** تتكلم كاري ببلاغة عن أبناء بيتكيرن، قالت لي: "إنهم مميزون. لقد أوجدوا نوعاً من التفاعل في ما بينهم مكنهم من الاستمرار عبر القرون. فهم يعيشون معاً ويضحكون ويمرحون معاً ويساعد بعضهم بعضاً."

هل سيتمكن أبناء بيتكيرن من

الاستمرار كشعب؟ اذا خسرت الجزيرة اثنين أو ثلاثة فقط من رجالها القادرين، فسيكون من الصعب مدّ المجموعة السكانية هناك بأسباب الحياة وفن صنع المراكب الطويلة والاتصال بالسفن القليلة التي تمر من هناك. هنالك كلام حول بناء مهبط صغير للطائرات على منبسط من الارض في أعلى الجزيرة. نظرياً، سيسمح هذا المهبط للسكان الذين نزحوا بالعودة الى الجزيرة، اذ يطمئنون الى امكان المغادرة ساعة يشاؤون. والى ذلك فإن هذا المهبط قد يُحدث حركة سياحية وإن تكن على نطاق صغير، فيؤم الجزيرة بضعة عشر زائراً في أي وقت ليعيشوا مع العائلات هناك.

ولكن الحقائق المالية تجعل المخطط غير محتمل التحقيق. فالحكومات لا تبني مطاراً بكلفة ملايين الدولارات ولا تنشىء خطوط طيران مدعومة مالياً على جزر يبلغ عدد سكانها بضع عشرات. وقد يساعد انشاء خط منتظم للسفن على احياء الجزيرة، لكن مشكلة قلة السكان تبقى هي هي. والرحلة الى أقرب مرفأ تجاري، وهو مرفأ بابيتي في تاهيتي، تمتد ٤٣٥٠ كيلومتراً ذهاباً وعودة.

اذا كان الابقاء على الحياة في الجزيرة مستحيلا، وهي فرضية لا يتقبلها أبناؤها، فسيكون على السكان مغادرتها من جديد. والمكان البديل الذي يبدو أكثر ملاءمة لسكناهم هو نيوزيلندة، حيث انتقل الكثير من أقاربهم في السابق، أو ربما سيقطنون في نورفوك، الجزيرة التي جربها أسلافهم ونبذوها.

إد هاورد ■



## فيزياء الاوراق

روى لنا أستاذ الفيزياء في الجامعة أنه ذات يوم وضع أوراقاً على سقف سيارته بينما كان يشحن كتباً وطروداً، فنسي الاوراق تماماً وانطلق بالسيارة.

وعندما أدرك خطأه عاد الى نقطة الانطلاق ووضع أوراقاً أخرى على سقف السيارة وانطلق. ولما أطارت الريح الاوراق توقف ونزل يبحث عن أوراقه العتيقة، فوجدها على بُعد أمتار قليلة.

ا.غ.

---

## الوجه والقفا!

كنت أعِد نفسي بسماع هتافات الفرح يطلقها افراد عائلتي بسبب النعومة والنضارة اللتين اضفاهما على ثيابهم المغسولة جديداً مسحوق جديد ارشدتني اليه الاعلانات. ولكن كل ما حصلت عليه من ابنتي المراهقة كان شكوى صارخة: "لقد ازلتِ بقعة القهوة عن كنزتي الصوفية! فكيف سيتسنى لي الآن ان اعرف مُقدَّمها من مؤخرها؟"

ف.د.

# ضغط الدم: الوقاية والعلاج

## هل ضغط دمك مرتفع؟
## اذا كان الجواب نعم فاليك ما يجب عمله لتلافي هذه العلة التي تقصّر الحياة

معظم الناس تتملكهم الدهشة حين يُظهر التشخيص الطبي ارتفاعاً في ضغط الدم لديهم في حين ليست هناك أي مؤشرات لذلك وهم يشعرون بأنهم بصحة ممتازة. ولكن اذا لم تعالج علتهم فقد تتسبب في سكتة دماغية أو قصور (توقف) في القلب أو مشاكل أخرى في الخطورة ذاتها.

بعد التشخيص الاولي تبرز مشكلة انتقاء أفضل السبل لخفض الضغط. فالاشخاص الذين يشكون من ارتفاع خفيف في الضغط – وهم يشكلون غالبية حالات ارتفاع ضغط الدم – أمامهم عدة خيارات: تغيير نمط حياتهم أو المعالجة بالادوية أو تركيبة من هذين الخيارين. وهناك كثير من أدوية الضغط متوافر في السوق. وفي امكان الطبيب أن يصف بديلا من أحدها اذا تبين أنه يسبب أعراضاً جانبية ضارة. فتشجع ان كنت ممن يشكون من ارتفاع ضغط الدم لان هذا المرض قابل للمعالجة.

### عندما تكون المعالجة ضرورية

ان ضغط الدم هو بمثابة ضغط الدم على جدران الشرايين. والرقم الاعلى في فحص الضغط هو الضغط الانقباضيّ الذي يسجله القلب حين ينبض. والرقم الثاني هو الضغط الانبساطي عندما يكون القلب مرتاحاً. وضغطٌ من ١٢٠/٨٠ أو أقل يُعتبر الافضل صحياً.

وبعض الناس هم أكثر عرضة لارتفاع ضغط الدم من الآخرين، وخصوصاً السود والمسنين وأولئك الذين يُظهر تاريخ عائلاتهم اصابات بالعلة. وارتفاع ضغط الدم شائع الى حد يوجب على كل شخص أن يخضع للفحص، اولا في الثالثة من

عمره ثم في سن المراهقة ثم سن البلوغ المبكّر، وبعد ذلك مرة كل سنتين اذا كان الضغط طبيعياً.

عندما تكون قراءة الضغط الانبساطيّ ١٠٤ أو ما فوق – وهذا يعني ارتفاع ضغط معتدلا أو مفرطاً – فان الاخطار أكيدة وبيّنة. فالقلب يعمل بصعوبة أكثر فيتضخم، والشرايين تملأها الندوب فتضيق وتصبح أقل مرونة وعرضة للجلطات (الخثرات) التي تسبب السكتة الدماغية والنوبة القلبية. وقد يصيب الاذى الكليتين والعينين.

وفي حال الضغط الانبساطي الخفيف (من ٩٠ الى ١٠٤) تبدو المخاطر واضحة لكنها أقل بروزاً. أما التوقعات فهي أفضل مما في حالات الضغط المفرط، كما يقول الدكتور هربرت لانغفورد من المركز الطبي في جامعة مسيسيبي. ويضيف: "ولكن ماذا لو كنت أنت صاحب الحالة الفريدة؟" لذلك، من باب الحيطة، يعمد كثير من الاطباء الى معالجة جميع المرضى الذين يتجاوز ضغطهم الـ٩٠. والمعالجة ليست متساوية. وينصح الدكتور جون لاراغ، رئيس "الجمعية الامريكية لارتفاع ضغط الدم" بالتروي والعناية حين يكون الضغط بين ٩٥ و١٠٤ وليس هناك من دليل على اجهاد في القلب والعينين والكليتين. وهو يجادل في أن بعض الناس يعودون الى ضغطهم الطبيعي من دون معالجة وأن الادوية التي توصف هي في الغالب أخطر من الضغط الخفيف. ولكن هناك خبراء آخرون يبدأون المعالجة في وقت أبكر.

فاذا حدث أن كان ضغط دمك في هذا النطاق التناقضيّ فما عليك سوى البحث مع طبيبك في شأن الخطوات الصحيحة. ولكن تأكد أولا من انك تشكو فعلا من ارتفاع مفرط في الضغط.

ان ثلث عدد المرضى الذين يعانون ارتفاع ضغط الدم في زيارة أولى للعيادة يعودون الى ضغطهم الطبيعي في الزيارة التالية. فضغط الدم يتغير على نحو نموذجي خلال النهار، فيرتفع لدى انفعالنا ويهبط عند الاسترخاء، وربما أسفرت زيارة الطبيب عن ضغط مرتفع.

ومع ذلك فان بعض الاطباء يباشرون وصف الادوية فور التشخيص. لذلك قد يكون كثيرون يتناولون أدوية ضد ارتفاع الضغط من دون حاجة اليها. فاذا أظهر الفحص أن ضغطك ارتفع فجأة فاطلب من طبيبك اعادة الفحص ثانية وثالثة قبل أن يستقر رأيك على مباشرة المعالجة.

## تغيير العادات

ان أدوية الضغط الانبساطي الذي يتجاوز الـ١٠٤ هي خط الدفاع الاول. فطبيبك قد يصف لك أدوية لخفض الضغط اذا كان في تايخ عائلتك استعداد للاصابة بارتفاع مفرط في الضغط أو بتلف في الاعضاء أو في الاوعية الدموية. ولكن في حال الارتفاع الخفيف في الضغط قد يكون من الافضل أن تتخذ بعض التغييرات في نمط حياتك. وهنا الخطوات الرئيسية التي يحسن اتباعها:

**اخفض وزنك.** ان خفض ٤ أو ٥ كيلوغرامات من الوزن، مع الابقاء على هذا الوزن الجديد، غالباً ما كان كافياً

## هل يخفض الكلسيوم ضغط الدم؟

في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٥ أعلن الدكتور ديفيد ماكارون وزملاؤه الباحثون في جامعة أوريغون للعلوم الصحية في بورتلاند أن تناول ١٠٠٠ مليغرام من مكمّل كلسيوم يومياً يخفض ضغط الدم لدى ٤٤ في المئة من المرضى الذين يعانون ارتفاع ضغط معتدلا او خفيفاً. ومنذ ذلك الحين والجدل لا يزال محتدماً حول استخدام الكلسيوم.

ويرى الدكتور مارفن موزير، أستاذ الطب السريري في جامعة ييل والمستشار الطبي المتقدم لبرنامج "التوعية الوطنية حول ارتفاع ضغط الدم" في الولايات المتحدة، أن "ليس هناك دليل ثابت على أن استخدام مكملات الكلسيوم يخفض ضغط الدم الى حد كبير على المدى الطويل."

أما الدكتور نورمان كابلان من المركز الطبي في جامعة تكساس ساوث وسترن في دالاس فيبدي رأياً اكثر اعتدالا، اذ يقول ان الاكتشافات تدل على أن الكلسيوم يخفض ضغط الدم لدى بعض الناس، وليس له أي تأثير في آخرين، وهو يرفع الضغط في حال فئة ثالثة.

فقبل تناول الكلسيوم لخفض الضغط دقق في الامر مع طبيبك. ويحذر كابلان من أن لا سبيل لك الى معرفة ماذا يفعل الكلسيوم لضغط الدم. ولكن اذا تناولت كميات كبيرة من الكلسيوم على مدى سنوات فانك تتعرض لخطر تكوّن حصى في الكليتين.

لاعادة الضغط الى طبيعته. لكن برامج الحمية التي تنفّذ بعجلة وتتبعها تقلبات في الوزن قد تسبب ضرراً يفوق الفائدة.

**مارس الرياضة.** حتى وإن لم ينقص وزنك فتابع التمرين المنتظم لان من شأنه خفض ضغط الدم. ونظام «Rx» هو وصفة لبرنامج تمرين يشمل السباحة وركوب الدراجة والمشي السريع أو الهرولة لمدة نصف ساعة متواصلة، ثلاثة أيام أو أربعة في الاسبوع.

**قلّل استهلاك الملح.** استعمل الملح باعتدال. وهذا أمر صعب لأن ٧٠ في المئة من الملح في الطعام تحويه مقوّمات الطبخة قبل أن تصل الى المائدة. ولكن من ٣٠ الى ٣٥ في المئة ممّن يعانون ارتفاعاً خفيفاً في الضغط يقدرون أن يعودوا الى حالتهم الطبيعية من جراء خفض استهلاك الملح الى حد كبير.

**جانب الكحول.** إن التخفيف من تعاطي الشراب أو الامتناع عنه قد يعيد ضغطك الى مستواه الطبيعي.

**امتنع عن التدخين.** وان لم يكن التدخين سبباً لارتفاع الضغط فانه مسبب رئيسي لمرض القلب ويجب الامتناع عنه.

**احذر العقاقير.** بعض الادوية الموصوفة، وبينها عقاقير منع الحمل والستيرويد، قادرة على رفع ضغط الدم. ومن شأن الادوية التي تباع من غير وصفة

أن ترفع الضغط، مثل بعض أدوية الاحتقان والتهاب المفاصل والربو ومحبطات الشهية.

**خفف الاجهاد.** يقول الخبير بالاجهاد، الدكتور هربرت بنسن من جامعة هارفرد، ان الطرق التقنية التي تولّد استرخاء هي معالجة فاعلة لارتفاع الضغط المعتدل. وفي احدى التجارب جرى تعليم ١٠٠ مريض تحقيق هذا الاسترخاء مرتين يومياً لمدة ٣٠ دقيقة. فاستغنى ٣٠ منهم كلياً عن الدواء، أما الباقون فانخفض ضغطهم الى حد يسمح بتخفيف جرعات الادوية.

وهناك اليوم طرق تقنية كثيرة للاسترخاء تشمل التأمّل والتغذية الاسترجاعية الحيوية (١).

## اذا احتجت إلى أدوية

في حال الضرورة تبدأ، تقليدياً، بتناول عقار مدرّ للبول (حبة ماء) أو "حاصر بيتا" (٢) وهو دواء متعدد الفوائد للقلب، بجرعات خفيفة واذا لم يهبط ضغط الدم تزاد الجرعات أو يُجرب دواء آخر. ان المدرّات وحاصرات بيتا وأي دواء آخر يمكن أن تنجم عنها أعراض جانبية كثيرة، كالدوار والتعب والعجز الجنسي والغثيان والصداع والانحطاط والنبض السريع والاسهال والكوابيس والاقدام الباردة. لكن الاعراض الجانبية تصيب نسبة قليلة من الناس ويمكن تفاديها بخفض جرعات الدواء واستهلاك الملح.

ومع ذلك يساور القلق الاطباء من أنك قد تتوقف عن أخذ الدواء اذا شعرت أن معالجة ارتفاع الضغط زادت حالك سوءاً. لذلك يحاول بعضهم تجربة أدوية جديدة مثل مثبطات «ACE» وحاصرات الكلسيوم للقنوات (٣). ومع أن هذه الادوية باهظة الكلفة (حاصر القنوات يكلف ١٨٠٠ دولار سنوياً والمدرات نحو ١٠٠ دولار) فلم تثبت أفضلية استخدامها في منع السكتات الدماغية والنوبات القلبية، انما قد ينجم عنها عدد أقل من الاعراض الجانبية. ويتفق الخبراء على أن معظم الذين يحتاجون الى المعالجة عليهم أن يثابروا عليها طوال حياتهم. ودراسة "فرامنغهام" الشهيرة للقلب التي رافقت ٥٢٠٩ رجال ونساء لمدة ٣٢ سنة تبيّن السبب. فمعظم الذين توقفوا عن تعاطي أدوية ارتفاع الضغط المفرط عاد ضغطهم الى الارتفاع خلال سنتين.

انما تبين دراسات أخرى أن بعض الناس من ذوي العزم يتمكنون من الاستغناء عن الادوية المضادة لارتفاع ضغط الدم. فقد أفادت روز ستاملر من جامعة نورث وسترن في ايلينوي أن ٣٩ في المئة من مجموعة مصابة بارتفاع معتدل في الضغط توقفت عن تناول الدواء بعد أربع سنوات من اتباع حمية تعتمد خفض الوزن وخفض استهلاك الصوديوم والكحول. وحتى المرضى الذين لم يستغنوا عن الادوية كلياً استطاعوا خفض جرعاتهم، وذلك في ذاته انجاز يستحق الجهد كله.

**ساندرا بليكسلي** ■

---

(١) Biofeedback

(٢) A diuretic or a beta-blocker

(٣) ACE inhibitors and calcium channel blockers

# دَعوا المطالعةَ تنير عقولَ أولادكُمْ

## روائي معروف يقول

## إن المخيلة هي المفتاح الذي يشرّع الباب على عالم الكتب

ظننتُ الى وقت قريب أني عرفت الشيء الكثير عن حض الاطفال على القراءة. ألم أكن مؤلف أربعة كتب للاطفال؟ ألم يكن منزلنا مكتظاً بالكتب؟ أولم يكن أطفالنا غارقين غالباً في قراءة قصة ما حتى انهم يتلكّأون عندما ندعوهم الى مائدة الطعام؟

خُيِّل اليّ أن الاطفال يُشدون الى صور الكتب المليئة بالالوان، وأنهم يحبون المنشورات المطبوعة بحروف كبيـرة وثخينة، وأنه لا ينبغي للقصص أن تكونٍ طويلة جدا، وهلمَّ جرّاً. ولكن عندما جرّبتَ نظرياتي ضمن عائلتي أخذتني على حين غرة مياه عاصفة وجلاميدُ غادرة.

الصدمة الاولى وجهتها اليَّ ابنتي البالغة ثلاثة عشر ربيعاً. قالت: "لا يا بابا. أنا لا احب الرسوم في الكتب، فهي تفسد تصوراتي."

سألتُ: "وماذا عن الصور الفنية بالالوان؟ لا شك في أنها تحبّب اليك كتاباً يعجّ بالكلمات."

فتجهم وجهها وقالت: "لا، لا! عندما أقرأ عن غياب الشمس أستمدّ الالوان من كلمات الكاتب، وحين أقلب الصفحة أرى

أن الرسام وضع كل الالوان غير المناسبة."

كذلك لا تحب ابنتي أن يكون قطع الكتاب مفرطاً في العرض. إنها في طور النمو ولا تستمرىء أن يكلمها المؤلفون والناشرون بحروف مطبعية كبيرة.

ولعل ابنتي الاخرى، التي تصغرها بثلاث سنوات، تخالفها الرأي. لكنها، من ناحيتها، تقرأ وقد وضعت لعبتها "سنوبي" بجانبها في الفراش.

سألت ابنتي الصغرى إن كانت لديها أيّ ملاحظات ايجابية من شأنها ان تساعد الاهل على تربية أولادهم.

"أسئلة!" أجابت على الفور، ثم أردفت: "عليهم أن يتذكروا وجوب طرح أسئلة. هم عادة في شغل شاغل يملون عليك أجوبة ولا يعطونك أبداً الفرصة لتخبر ماذا اكتشفتَ في كتاب أنت مكبٌّ على قراءته."

عدت الى السؤال: "أي نوع من الاسئلة؟ أقصد أن الاهل سوف يشعرون بأنهم سخفاء اذا سألوكِ ماذا تعلّمتِ من قراءتك قصة "الخمسة الشهيرين" أو "السبعة الهريبين" أو ما شاكل ذلك!"

استولت عليها الدهشة وسألت: "لماذا؟ اني تعلمتُ مجموعة أشياء عن بلدان وشعوب أخرى في هذه الكتب. كما استوعبت عدة كلمات جديدة. على الاهل ألّا يتصرّفوا كما لو أنهم يعلمون كل شيء. يتعيّن عليهم أن يزرعوا في نفس الطفل الثقة بأن يخبرهم أمراً جديداً."

فاستفهمت: "وماذا عن المعلمين؟ ألا يطرحون هم أسئلة؟"

أومأت برأسها أن نعم، ثم أضافت: "غير أن الاسئلة يجب ان تُوجَّه ليس مباشرة الى مَن كان جيداً جداً أو ضعيفاً جداً في دروسه. فمن حق كل تلميذ أن يُثار اهتمامُه بالموضوع وبالكتب التي ينبغي لتلاميذ الصف أن يقرأوها."

قلت: "كل هذا ينطبق على مواد العلوم والجغرافيا والتاريخ. فماذا عن الادب واللغة وما شابهما؟"

أجابت ببساطة: "أدخل الدراما في هذه المواد."

وافقت على الفكرة، نعم، لانها صورة حقيقية لما حدث لي في المدرسة قبل زمن طويل: مدرِّس الادب المهزول الذابل الذي دأب على أن يكرج بين طبقات الصف ويوزّع علينا أجزاء من النص كي نقرأها بصوت عال فخم. وكان يشترك معنا في القراءة. فيا للساحر الصاخب الذي أبرزه لنا في "ماكبث"، وما أتعس ديسديمونا الذابلة في "عطيل"(*). كنا نتوق الى اكمال صفه بعد قرع الجرس. وكنا نذهب الى مخادعنا ونداوم القراءة الشخصية بهدف أن نتميز في المرة المقبلة اذا طلب الينا المعلّم أن نتنافس في الإلقاء. وتلك كانت الطريقة التي شدتني الى القراءة وشغفتني بها.

اليوم، بعدما تقدم بي العمر، أستطيع القول بما يشبه اليقين ان النص اذا ما قُرِىء بخيال يؤثّر في السامع وينمو مثل محصول فجائي في مخيلات اخرى. فاذا تصرفتم كأهل وقرأتم مع أطفالكم في البيت، أو اذا تصرفتم كمعلمين عندما تشاركون في قراءاتهم المدرسية، تذكّروا أنه ينبغي لكم أن تعطوا القدوة بالتخلّي

(*) "ماكبث" و"عطيل" مسرحيتان لشكسبير.

عن خوفكم من ان تبدوا سخفاء. فكل نص يبدو رتيباً اذا قرأتموه برتابة. ولكن أمسكوه مهما تكن المجازفة، تجدوا أنفسكم مندفعين في مغامرة جريئة.

كل ما انتم في حاجة اليه هو القراءة بخيال وتحرير الكلمة من العقال الذي يشدها الى الانغلاق والانزواء في كتاب. فلكل كلمة تلاوينها، ولكل نبرة ظلالها خلف نطاق الكلمة. وستارة ذهن الولد مفتوحة أمامكم. وهذا الذهن، مثل كل الاذهان، لا حدود له. عليكم أن تلِجوه لتستخرجوا أفضل ما عند الطفل بحيث يدأب على استثمار منجمه الذهبي بنفسه في المستقبل.

قد تتساءلون عن نوع الكتب التي ينبغي للولد أن يقرأها. من الواضح أنه يجب عليكم أن تشجعوه على البدء بقراءة ما قد يستمتع به. فكما قال الكاتب والناقد البريطاني صاموئيل جونسون: "يحسن بالمرء أن يقرأ ما تقوده نزعته الى قراءته، لان ما يقرأه كواجب مفروض عليه قلما يأتيه بالنفع الكثير."

في ودي أن أغالي فاضيف أن لا كتاب هو فرض واجب على الطفل الذي علّمته أن يبدأ القراءة بمحبة وخيال. وبالطبع، كان الكاتب الامريكي مارك توين على حق عندما لاحظ في محاضرته حول "اختفاء الادب" ان "الادب الكلاسيكي هو ما يرغب الجميع في أن يكونوا قرأوه ولا أحد يرغب في قراءته." ولكن حتى الكتب الكلاسيكية تفقد رهبتها المرعبة وتغدو حالية ومعاصرة اذا قُرِئَت بخيال.

والخلاصة: لماذا ينبغي للشخص أن يُشجّع على القراءة، خصوصاً عندما تتوافر في هذه الايام ادوات تقنية مساعدة كثيرة؟ الواقع أن الجواب يظل هو نفسه ذاك الذي أعطاه الفيلسوف البريطاني فرنسيس باكون قبل عدة قرون: "القراءة تجعل الرجل كاملا..."

**بارتاب شرما** ■

---

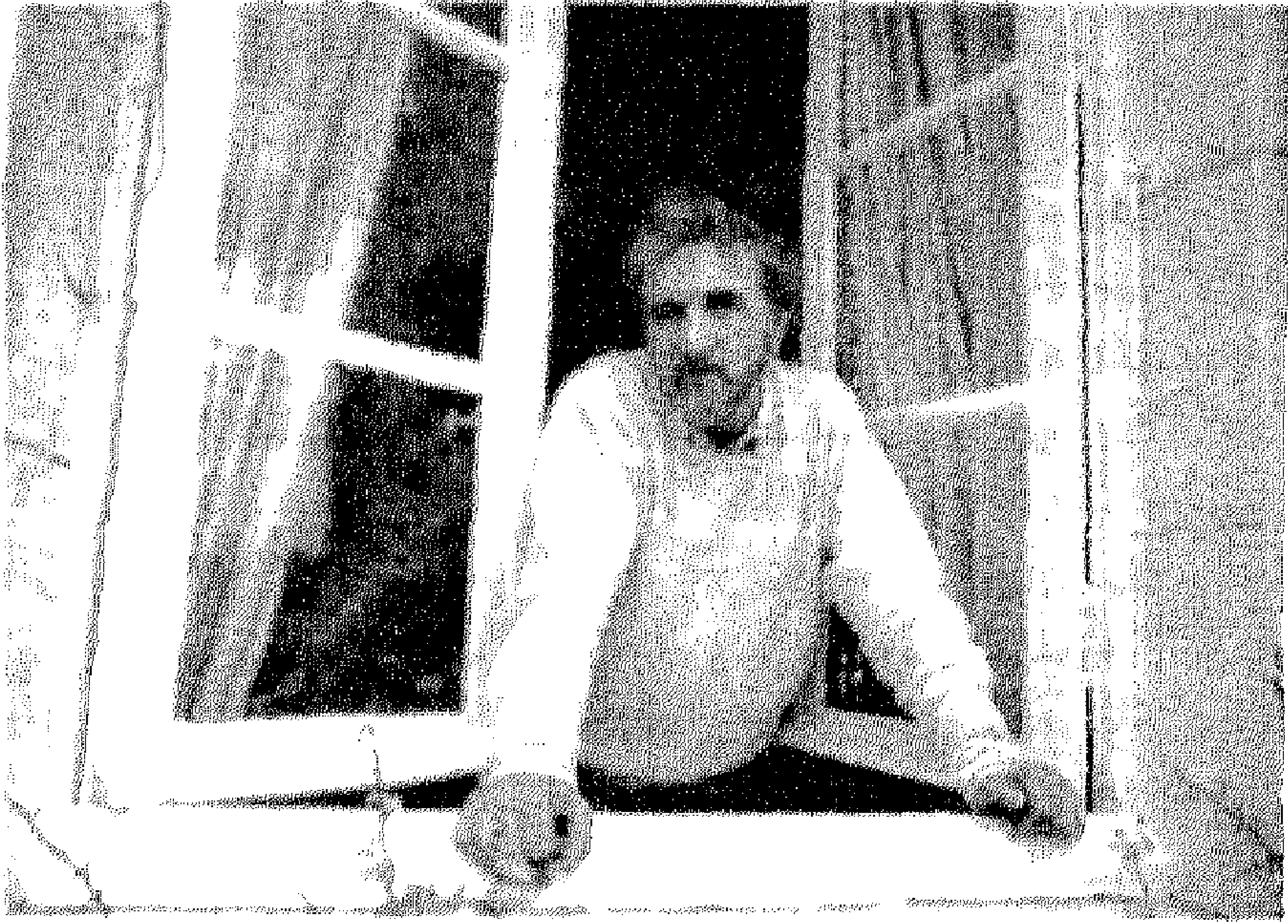
الكاتب (٤٨ سنة) هندي ومؤلف "حكايات سورانجيني" و"الكلب البوليسي رانجا" و"السيد الصغير للفيل" و"الكلب الاعلى." وهو أيضاً إذاعي وكاتب مسرحي معروف.

## متطفل ساذج!

في عيد مولد والدتي اشترى افراد العائلة بعض الشجيرات الظليلة كهدية تُغرس في فناء منزلها. ولاني املك سيارة قديمة ينثني سقفها الى الوراء أرسلتُ لنقل الشجيرات. فأنزلتُ ثنيات السقف وتولّى صاحب المشتل تحميل الشجيرات البالغ ارتفاعها مترين ونصف متر، في داخل السيارة التي قدتها تحت ظُلة من الاوراق.

وعندما توقفت امام اشارة حمراء القى علي سائق في الخط المحاذي نظرة عجلى مروّعة وصرخ بي: "يا سيدتي، أليس أسهل عليك ان ترفعي سقف السيارة لتحصلي على بعض الظل؟"

ف.ب.



# جان كلود كاريير
# سيد السيناريو

## معظم رواد السينما لم يسمعوا به
## لكنه في نظر المخرجين العالميين أحد أبرز كتاب السيناريو

بعد ظهر يوم في مارس (آذار) ١٩٨٨ كنا في منزل ميلوس فورمان في كونيتيكت. انه مخرج تشيكي المولد لافلام قوبلت بالاستحسان مثل "طيران فوق عش الوقوق" و"أماديوس" (١). وكان منذ ثلاثة أسابيع يعمل بجد ومثابرة على سيناريو (٢) فيلمه التالي "فالمونت" (٣) المقتبس من رواية فرنسية كتبت في القرن الثامن عشر بعنوان "الاتصالات الخطرة." وزميل فورمان في هذا المشروع كاتب السيناريو جان - كلود كاريير، وهو فرنسي وسيم أشيب في السادسة والخمسين من العمر وصاحب انجازات رائعة، لكنه ما زال مغموراً.

نرى كلا الرجلين في غرفة الجلوس ونسمع بعضاً من حديثهما الحار. أما

(١) One Flew Over the Cuckoo's Nest; Amadeus

(٢) السيناريو هو نص المسرحية أو الفيلم السينمائي.

(٣) Valmont

Condensed from The New York Times Magazine (April 17, '88), © 1988 The New York Times Co., New York, N.Y. Photo: Alain Bizoz / Agency VU / Contact

بالنسبة الى مراقب طارىء فقد لا يبدو هذان الاثنان زميلين بل خصمين غير مسالمين يصرخ أحدهما في وجه الآخر ويعبس ويأخذ أوضاعاً مسرحية، ثم يثب الاثنان الى العمل ثانية. في الواقع هما صديقان يبتكران نصاً جديداً بأفضل طريقة يعرفانها: التفوه بالعبارات، قولبة النبرات، وتمثيل الرواية مشهداً مشهداً. انها الطريقة التي يؤثر كاريير أن يعمل بها، والتي كانت السبب الوحيد الذي جعل كثيراً من المخرجين العالميين للمسرح والشاشة يرغبون في أن يشاركوه في العمل.

انهما يعملان هكذا منذ سنوات. في العام ١٩٦٣ طلب المخرج الاسباني الكبير لويس بونويل من كاريير أن يشاركه في كتابة "مذكرات وصيفة" (٤). ودامت شراكتهما ثمانية عشر عاماً وانتجت خمسة أفلام أخرى منها "جميلة النهار" (٥) و"سحر البورجوازية" (٦) وهذا الفيلم ربح جائزة أوسكار كأفضل فيلم بلغة أجنبية للعام ١٩٧٣. وأفاد من خدمات كاريير الكتابية للشاشة المخرجون لوي مال وجان – لوك غودار في فرنسا، وفولكر شلوندورف في ألمانيا الغربية، أندريه فايدا وَجْدا في بولونيا. وفي العام ١٩٨٧ عمل هذا الكاتب للمرة الاولى مع المخرج الامريكي فيليب كوفمان ليعدا للشاشة رواية ميلان كوندرا "خفة الوجود غير المحتملة" (٧). كل هذه الجهود المشتركة قادت كاريير الى نجاح عظيم ولكن الى شعبية ضئيلة. هكذا هو قدر الفنان الذي يريد المشاركة في العمل بل يتشوق اليها. وأسلوب كاريير في العمل نادراً ما يكون خطة لبلوغ منزلة نجم أدبي. انه يقول: "لكل كاتب أسلوبه الخاص، وأسلوبي هو العمل مع المخرج."

**ماهابهاراتا.** كان كاريير في مطلع الثلاثينات من عمره عندما التقى بونويل. حظي بثناء النقاد على روايته الاولى، وشارك في كتابة الفيلم الفرنسي القصير "ميلاد سعيد" (٨) كما شارك في اخراجه والتمثيل فيه، هذا الفيلم الذي نال جائزة أوسكار في العام ١٩٦٣. ومع ذلك كان جديداً على صنع الافلام، في حين كان بونويل البالغ من العمر ثلاثة وستين عاماً حقق انجازات كبيرة ولديه تصور راسخ لما يجب على الكتاب أن يعملوه.

يقول كاريير: "مع بونويل تأتي الكتابة غالباً في النهاية. كل يوم نبدأ تمثيل مشهد. ماذا يحدث؟ من يدخل؟ ماذا يفعل؟ ماذا يقول؟ ثم يذهب هو الى النوم في الثامنة أو التاسعة وأبقى أنا وحدي أحاول كتابة المشهد الذي مثلناه.

عندما يتحدث كاريير عن بونويل الذي توفي في العام ١٩٨٣، فحديثه مزيج من الحب والاعجاب والرهبة: "علّمني أن المخيلة هي قوة نستطيع تنميتها. كل ليلة بعد العمل كنا نلتقي في مقهى ليروي أحدنا للآخر قصة ألفها. القصد الوحيد من ذلك كان تدريب مخيلتنا."

ويشدد كاريير على أن "القصّاصين

---

(٤) Diary of a Chambermaid

(٥) Belle de Jour. وقد نال هذا الفيلم جائزة "الاسد الذهبي" في مهرجان البندقية.

(٦) The Discreet Charm of the Bourgeoisie

(٧) The Unbearable Lightness of Being

(٨) Joyeux Anniversaire

ضروريون للمجتمع تماماً كالخبازين والعمال والفلاحين، لا أكثر ولا أقل. وفي الملحمة الهندية "ماهابهاراتا" عبارة جميلة يقول فيها المؤلف فيازا: "يجب أن تصغوا الى القصص، انها سارة، وبعض الاحيان تجعلكم تشعرون بأنكم أحسن حالا."

ان "ماهابهاراتا" التي هي احدى أطول القصائد في عالم الادب وتتضمن تسعين ألف بيت في ثمانية عشر مجلداً، كانت أيضاً أطول مهمة متتابعة في حياة كاريير. اشترك مع المخرج البريطاني بيتر بروك في العمل على النص الذي وضعه هذا لانتاج الملحمة والذي يستغرق تمثيله تسع ساعات. وقد استغرقت الكتابة الفعلية للاقتباس المسرحي عاماً ونيفاً، لكن قراءة المواد الخام وتنظيمها ومناقشتها مع بروك استغرقت قرابة عشر سنين.

يقول كاريير: "لم أعرف من أين أبدأ. الملحمة ضخمة جداً، والذي ساعدني كثيراً شروع بيتر في السماع التجريبي للممثلين وطلبه مني التمثيل مع كل واحد منهم."

أدرك كاريير سريعاً أن للسماع التجريبي غايتين. ففيما كان الممثلون يمتحنون، كذلك كان الكاتب: "كنت مضطراً الى الدفاع عما كتبت واعطائه حياة اذا ما استطعت، لانك عندما تعجز حقاً عن تمثيل مشهد فهنالك خطأ ما ولا دفاع ممكناً."

**ذكاء وفكاهة.** يتحدث بروك عن كاريير كشريك مثالي في العمل، فيقول: "انه يتصرف كممثل عظيم أو مصور كبير، يكيف نفسه مع الاشخاص المختلفين الذين يعمل معهم. هو منفتح على كل الادوار التي تتغير بتغير المواد، ينعشها بوجهة نظر مقنعة وقوية جداً."

ويضيف: "هنالك ارتباط قوي بين نوع العمل ونوع الشخص. انه رجل نهضة، شغوف بالحياة في كل أشكالها. وهو في الوقت ذاته منضبط جداً، منظّم تنظيماً عاليا، ذو عقل موسوعي. هو الآن يعمل على كتاب عن الطبيعة النووية. أمامك رجل يؤدي عملا ضخماً ويسافر كثيراً ويعيش حياة نشطة."

كتابة السيناريو، كما يمارسها كاريير، تتضمن كبح الذاتية والغرور. وذلك ما فعله عندما أخذه بونويل في رعايته، ومن هناك دخل العالم الصغير الضيق لنخبة صانعي الافلام في أوروبا.

اشتهر كرجل يستطيع انتاج كتابة خيالية حسنة فيما هو يخضع أسلوبه لحاجات المشروع وطلبات مخرج قوي.

ولما كان معظم الافلام يدين للمخرج أسلوباً وانشاء، فلا يمكن المرء أن ينظر الى فيلم كاريير ويقول: "هو كتبه،" ولا أن يشير الى المشاهد الخاصة ويقول انها جميعاً من إبداع كاريير. ومع ذلك فهنالك قواسم مشتركة قوية في أعمال كاريير. أحدها الذكاء: الذكاء التحليلي في فيلم "عودة مارتان غير" (٩) الذي عمل عليه مع المخرج دانيال فيني، والذكاء الضابط الهادىء في فيلم "الطبل" (١٠) الذي اقتبسه هو والمخرج فولكر شلوندورف من

(٩) Le Retour de Martin Guerre
(١٠) Le Tambour

قصة غنتر غراس الشهيرة. وهنالك قاسم مشترك آخر هو الفكاهة أدى دوراً مهماً في الافلام التي كتبها مع بونويل.

يقول كاريير: "هنالك فرق كبير بين الكتابة كروائي والكتابة كمؤلف مسرحي أو سينمائي. ان ما تتطلع اليه في القصص هو اتصال حميم بشخص واحد على حدة، هو القارىء. ولكن عندما تكتب لمسرح أو لفيلم تذهب كتابتك عبر عملية معقدة لتصل الى الحضور الذين يراقبونها كمجموعة. الرواية هي نهاية شيء ما، أما السيناريو فهو بداية."

**ابن مزارع.** ولد كاريير في "كولومبيير – سير – اورب،" وهي قرية في مقاطعة لانغدوك جنوب فرنسا. وكان الولد الوحيد لمزارع فقير.

وما زال منزله في كولومبيير – سير – اورب، لكنه يعيش غالباً في منزل باريسي جميل ذي فناء وجنائن مؤنسة. زوجته نيكول رسامة ومصممة ديكور. وابنتهما ايريس منتجة ومخرجة لأفلام قصيرة. وكاريير الذي كان الاول في أسرته يتلقى دراسة عليا، هو الآن رئيس "المؤسسة الاوروبية لفنون الصورة والصوت" في باريس وهي مدرسة تعلم التلاميذ الصغار فنون صناعة الافلام.

يتحدث كاريير بلهفة عن ورشات الاخراج والكتابة التي يديرها: "أقول لتلاميذي: "لنجلس في دائرة،" فيفعلون، انهم صغار جداً. أقول: "سنبدأ، كما نبدأ دائماً، بسكون خشوعي." وأجعل الوقت يمضي، دقيقتين أو ثلاثاً من السكون (هنا يضحك فرحاً). لا أحد يقول كلمة. انه لوضع مرهب جداً. لكنه ليس سكوناً فارغاً. أوضح لهم: "انه سكون غني. انه ليس رقاداً، انه استيقاظ وترك الابواب مفتوحة." الآن ينطق أحدهم."

**مصارع ثيران.** نعود الى منزل ميلوس فورمان. انه نهار طويل آخر لفورمان وكاريير ومساعدتهما الامريكية الشابة آن غيوري التي كانت هناك لاسداء النصح الى الرجلين الاوروبيين حول استعمال اللغة الانكليزية المعاصرة. لم ينته فورمان وكاريير بعد من مشروع كتابة النص السينمائي الذي يجب أن يكون جاهزاً للتصوير قريباً في فرنسا. هذه مشكلة حقيقية، لكن الحقيقة الاكثر استعجالا تكمن في سير العمل – مبارزة حيناً وأغنية مشتركة حيناً آخر. أما اليوم فهي مبارزة، أو هكذا بدت للشابة.

تقول آن وهي تضحك: "ما لا يعترف به جان – كلود هو أنه يعمل كمصارع ثيران. خلال خمس دقائق يكون في كل زاوية من الغرفة بهذه الفكرة أو تلك، يعمل على هذا النحو أو ذاك حتى ينهك المخرج. وأخيراً يصل الى ما يريده حقيقة اذ يقول: "أو نستطيع أن نفعل هذا." عند ذاك يكون المخرج مضطرباً جداً بحيث يرد: "هذا صحيح."

ويعلّق كاريير بصدق ساحر: "ولكن، يا آن، ما لم تقوليه هو أنني عندما أعمل كمصارع ثيران لا أعرف ما هي الفكرة الفضلى. أنا احاول اثارة مخيلة المخرج فحسب. ميلوس هو سيصنع الفيلم."

بعد أيام قلائل في كونيتيكت يعود كاريير الى فرنسا. وقبيل بدء الانتاج،

يعقد وفورمان اجتماعاً أخيراً حاسماً لتنقيح مخطوطتهما. بعد ذلك يصبح الفيلم للمخرج وتبدأ فترة انفعالات مختلطة للكاتب.

يقول كاريير: "هنالك دائما بعض الحزن لدى بدء كل تصوير، عندما يُعلن أن السيناريو انتهى. في تلك اللحظة ثمة حركة نشطة. يأتي الممثلون للتمرن على أدوارهم، تتوهج الاضواء، ينغمس المخرج في العمل. ولكن علي أن أذهب. عندئذ يشعر الكاتب بحاله الاساسية: الوحدة."

هنا يخفض كاريير صوته ونظراته، ولكن ترتسم على شفتيه ابتسامة ويغمر عينيه نور جديد: "اذا ما كان الكاتب محظوظاً كفاية وجيداً كفاية وممتلئاً طاقة كفاية، فسينطلق للعمل على فيلم آخر راوياً قصة أخرى."

جو مورغنسترن ■

## الزواج محك... النساء!

ظللت مدة عشر سنين تقريباً زوجة لرجل واحد. ولم يكن ايّ منا متأكداً من ان في وسع ايّ كائن بشريّ ان يعيش خلال رحلة العمر الطويلة هذه مع شريك اكثر خُروناً وعناداً وشراسة من شريك عمره. ومع ذلك تدبّرنا امورنا بالتي هي احسن.

يبدو كثير من الناس ميالين الى الاعتقاد ان على الزوجين ان يسعيا الى الحلول الوسط وان يتغيّرا قليلا ليظلا على قيد... الزواج. لا شيء ابعد من الحقيقة. فاول محك للزواج هو الأمان. تشعر بالامان عندما تعرف تماماً ماذا سيهم الشريك بقوله او فعله في اي وقت محدد. وعلى سبيل المثال، لو كان زوجي يقطع بشق النفس شريحة لحم بضلعها، لم تحمّر الا قليلا، ثم يلتهمها بسرعة – بدلا من ان يعرض قطعة منها امام ناظريه، رانياً اليها كما لو كان مشتبهاً به في جريمة قتل وقائلا: "أتعتبرين هذه مقلية كفاية؟"

هنالك كل تلك المرات عندما كنت اشتري ثوباً جديداً لمناسبة خاصة وكان زوجي يلقي نظرة خاطفة على بطاقة السعر بين النفايات، ويقول دائماً: "هل انت في حاجة الى ثوب جديد؟" ملمحاً مرة اخرى الى التمييز بين سد الحاجة عند الرجل وتلبية الرغبة عند المرأة. وهنالك ايضاً تلك الجملة الرائجة: "تبدين جميلة من دون تبرُّج" التي كان يُطلقها زوجي فيما اكون منهمكة في وضع اللمسات الأخيرة على عينيّ بعد خمس دقائق من جزمه بأنه كان يتعين علينا ان نكون في السيارة. فيأتي جوابي الحتمي: "المكان الوحيد الذي قصدته في حياتي من دون تبرُّج هو غرفة الإبلال في المستشفى."

اعرف كل خصوصيات مزاجه وهو يعرف كل نزواتي. واعتقد أن هذا هو سر الزواج الناجح. يعجبني في الرجل ان يكون جديراً بأن يُعوَّل عليه، وزوجي لا يخيّب ظني في هذا المجال. فمثلا اضع على الطاولة قصعة من سلطة خس دخيل ثم اتراجع الى الوراء وأعد الى خمسة، فيسأل زوجي بارتياب: "ما هذا الطعام؟" وينقض عليه بالشوكة. فيمتلىء قلبي سعادة.

أ.ك.



المقالات العلمية والطبية المتخصصة تجذب جانباً كبيراً من قراء "المختار". حرصاً على الدقة العلمية، وتنويراً للقارىء المتعطش الى المعرفة، نعمد الى ادخال تفسيرات اضافية تظهر في الحواشي أو ضمن النصوص.

هنا بعض كلمات وردت لها شروح في أعداد السنة الماضية (١٩٨٨). وقد وضع أمام كل منها أربعة تفسيرات، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار التفسير الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. ماراتون: مصارعة – سباق في العدو – حبل – اسمنت.

٢. مونولوج: قصة قصيرة – إخراج – فكاهة – مشهد مسرحي يؤديه ممثل واحد.

٣. سمّور: حيوان فرائي – سنجاب – وطواط – فأر.

٤. إنفلونزا: حصبة – جدري – نزلة وافدة – كزاز.

٥. سنة ضوئية: هجرية – كبيس – ٣٦٥ يوماً – مسافة يقطعها الضوء في سنة.

٦. آيدز: طاعون – فقدان المناعة المكتسبة – خَرَف – سرطان جلدي.

٧. هيروغليفية: كتابة تصويرية – أرقام رومانية – أسطورة – آثار.

٨. مترو: قطار تحت الارض – متحف – معلّم – قائد فرقة موسيقية.

٩. ايبيريا: الهند – آسيا الصغرى – جزر القمر – اسبانيا والبرتغال.

١٠. مقراب: مجهر – تلسكوب – ميزان البناء – مغنطيس.

١١. فيزيولوجيا: علم الأحياء – فيزياء – علم وظائف الاعضاء – تدليك.

١٢. لازانيا: طبق اسباني – طبق يوناني – طبق فرنسي – طبق ايطالي.

١٣. بيع التجزئة: بالجملة – بالدَين – بكفالة – بالمفرّق.

١٤. إربيان: قريدس – أرنب – عشب طيّب – ذئب.

١٥. أنزيم: هرمون – نواة – خميرة – حَمْض خلوي.

١٦. ديموغرافيا: تخطيط الدماغ – دراسة احصائية للسكان – مسح الاراضي – إنماء.

١٧. يونيو: تموز – كانون الاول – أيلول – حزيران.

١٨. عقدة: وحدة قياس للسرعة البحرية – مرساة – مقياس للعمق – سَفَر ليلة.

١٩. أبقراط: فيلسوف روماني – شاعر هندي – طبيب يوناني – كيميائي فينيقي.

٢٠. طماطم: بطاطا – بطيخ أحمر – بندورة – شمّام.

٢١. ذُكاء: برج الجدي – الشمس – نجم الصبح – البدر.

٢٢. باثولوجيا: هندسة الطرق – تاريخ العالم القديم – علم النفس – علم الامراض.

٢٣. أشابة: خليط معادن – صدع – حجر كريم – تلوّث.

٢٤. شيزوفرينيا: شذوذ – اعتزال – فصام – داء المفاصل.

٢٥. "بينيلوكس": المجموعة الاوروبية – حلف وارسو – الكومنولث – بلجيكا وهولندا واللوكسمبور.



١. ماراتون (marathon): سباق في العدو الطويل.
٢. مونولوج (monologue): مشهد مسرحي يؤديه ممثل واحد.
٣. السمّور (sable): حيوان كثيف الذيل صغير الرأس يعيش في غابات سيبيريا ويُطلب لفروه الثمين.
٤. الانفلونزا (influenza or flu): النزلة الصدرية الوافدة. وهي مشتقة من الكلمتين العربيتين "أنف العنزة".
٥. السنة الضوئية: المسافة التي يقطعها الضوء خلال سنة، وتقدر بـ٩،٦ تريليون كيلومتر.
٦. آيدز: داء فقدان المناعة المكتسبة (acquired immune deficiency syndrome (AIDS)
٧. الهيروغليفية: الكتابة التصويرية القديمة، وخصوصاً كتابة كهنة مصر القدماء.
٨. المترو (metro): نظام قطارات تحت الارض.
٩. ايبيريا: شبه جزيرة تضم اسبانيا والبرتغال.
١٠. المقراب: التلسكوب (telescope) وهو منظار يقرّب الاجسام البعيدة.
١١. فيزيولوجيا (physiology): علم وظائف الاعضاء.
١٢. لازانيا: طبق ايطالي يضم معجنات وخضراً وصلصة بندورة (طماطم) وجبناً ولحماً.
١٣. بيع التجزئة: بيع بالمفرّق أو "القطاعي" وليس بالجملة.
١٤. الاربيان (shrimp): القريدس، وهو حيوان بحري يؤكل.
١٥. أنزيم (enzyme): خميرة، وهي بروتيين مختصّ يعجّل التفاعلات الكيميائية الحيوية في الجسم.
١٦. ديموغرافيا (demography): الدراسة الاحصائية للسكان من حيث المواليد والوفيات والصحة والزواج وسوى ذلك.
١٧. يونيو: شهر حزيران.
١٨. العقدة (knot): وحدة قياس للسرعة البحرية تساوي ميلا بحرياً في الساعة، والميل البحري يساوي ١٨٥٢ متراً.
١٩. أبقراط (Hippocrates): طبيب يوناني (٤٦٠ ق.م. - ٣٧٠ ق.م.) يلقب "أبا الطب". والأطباء المتخرجون يقسمون "يمين أبقراط" قبل مباشرة ممارسة المهنة.
٢٠. طماطم: بندورة (tomato).
٢١. ذُكاء: اسم عَلَم للشمس.
٢٢. باثولوجيا (pathology): علم الامراض.
٢٣. أشابة (alloy): خليط من معدنين أو أكثر.
٢٤. شيزوفرينيا (schizophrenia): داء الفُصام، وتسميه العامة "انفصام الشخصية".
٢٥. "بينيلوكس" (Benelux): ثلاث دول هي بلجيكا وهولندا واللوكسمبور. والكلمة مركبة من الحروف الاولى لأسمائها الاجنبية.

## المستوى

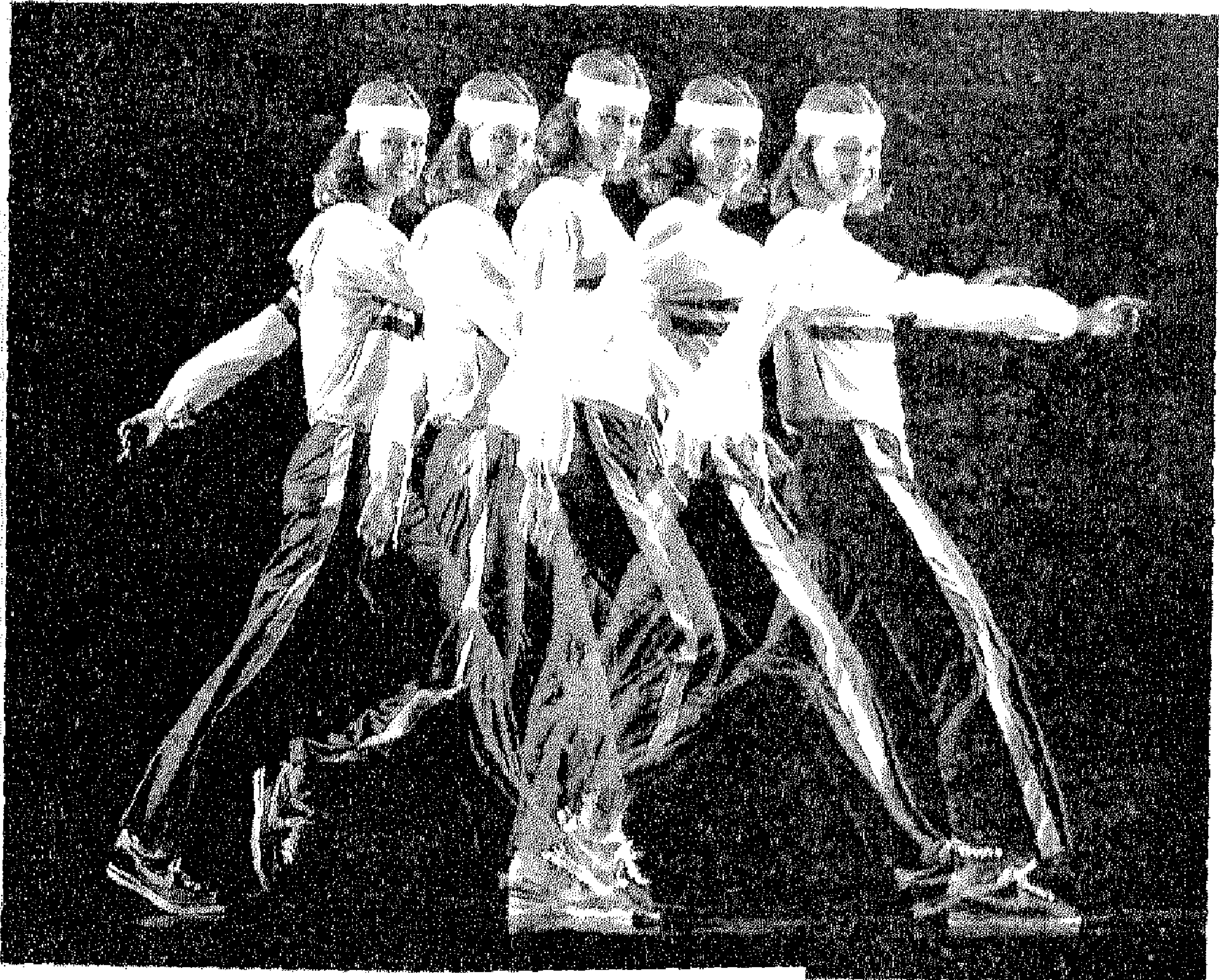
٢١ - ٢٥ : ممتاز
١٤ - ٢٠ : جيد جداً
٩ - ١٣ : مقبول

# مشوار ساعة يخفض الوزن ويطيل العمر

**المشي ساعة واحدة يومياً كفيل بأن يذيب سمنتك الزائدة ويزيل همومك**

□ أرادت دوريس (٥٥ عاماً) أن تفقد بعض الوزن. كذلك كانت رغبة زوجها (٥٣ عاماً). فاعتزم الزوجان اختبار برنامج للمشي. ولم تمض ستة أشهر حتى كانت دوريس خفضت وزنها ١٥ كيلوغراماً وزوجها ٢٢ كيلوغراماً. وهما لا يزالان يمارسان المشي ويحبانه.

□ هيلين طالبة في معهد للتمريض. كانت تعود الى البيت مرهقة بعد نهار طويل في المعهد، لتجد في انتظارها ساعات طويلة من الدرس في المساء. فأقنعتها احدى صديقاتها بأن تؤدي بعض التمرين مهما تكن مرهقة. وبعد رجوعها من جولة على القدمين ذات عصر دهشت لما شعرت به من قوة. وتعتبر



Condensed from «Fitness Walking for Women,» copyright © 1987 by James M. Rippe, M.D., published by Perigee Books, a division of the Putnam Publishing Group, New York, N.Y.
Photo: Philip Leonian

هيلين المشي تحدياً لا واجباً، وهي تتطلع الى هذه النزهات بفارغ الصبر.

وانها لحقيقة واضحة. فالتمرين يعزز نوعية الحياة. وتدل الدراسات الحديثة على أن الاشخاص الذين يتمرنون بانتظام تطول أعمارهم. وقد أظهرت دراسة تتبّعت العادات الصحية لـ١٧ ألف طالب متخرج في جامعة هارفرد في كامبردج بولاية مساتشوستس لمدة ١٦ سنة، أن الافراد الذين اعتادوا التمرين كانوا أقل تعرضاً للنوبات القلبية، فضلا عن أنه طرأ تحسن كبير على صحتهم اجمالا وطالت أعمارهم. وقد أفاد متخرجو هارفرد أن تمرينهم الاكثر ممارسة كان المشي. وكلما زاد المشي زادت الفائدة. فقد اكتشف الباحثون أن الرجال الذين مشوا ١٥ كيلومتراً في الاسبوع انخفض خطر موتهم المبكر ٢١ في المئة بالمقارنة مع الذين مشوا أقل من خمسة كيلومترات.

وهناك فائدة أخرى للمشي وهي تدنّي الضغط. وأظهرت الدراسات ما يعرفه الاشخاص النشطون من طريق الاختبار، وهو أنه على اثر التمرين يشعر المرء بقلق اخف ويزيد تفكيره صفاء. قالت احدى النساء: "لن يفوتني التنزه وقت الغداء مهما حدث. انه ينقي ذهني ويضع الاشياء في أبعادها الصحيحة."

لا يُعرف بالضبط لماذا يحدث ذلك. لكن المشي هو على رغم كل شيء عمل يحرّك معظم عظام الجسم والعضلات الرئيسية. والتمرين المعتدل يسبّب تغيرات نفسانية وحياتية كثيرة يبدو أنها تؤثر في المزاج وتزيد من الشعور بالهناء.

**حمية وتمرين.** أهميةِ المشي كوسيلة لخفض الوزن لم تعطَ حق قدرها. وقد تدهش حين تعلم أنك اذا مشيت بسرعة لمدة ٤٥ دقيقة يومياً أربع مرات في الاسبوع لمدة سنة، فقد تفقد ثمانية كيلوغرامات، بشرط ألا تزيد ما تتناوله من طعام. وسيزداد نقص الوزن اذا اقترن التمرين بخفض معتدل في الوحدات الحرارية.

من الطرق السهلة لخفض الوزن أن تخرج وتمشي يومياً في وقت الغداء. والمشي مفيد خصوصاً اذا كنت مفرط البدانة، لان النشاطات الاكثر قوة، كالركض، قد تكون قاسية على عظامك ومفاصلك.

الى أي حد يساعد المشي السريع على انقاص الوزن؟

أظهر عدد من الدراسات مبلغ التغيير الذي يحدثه التمرين في سياق خطة لانقاص الوزن. وشملت احدى الدراسات ٣٥ امرأة زائدات البدانة وُزّعن على ثلاثة برامج بقصد خفض طاقاتهن الحرارية بمعدل ٥٠٠ وحدة يومياً. فكانت منهنّ "مجموعة حمية" خفضت استهلاكها الغذائي ٥٠٠ وحدة حرارية يومياً من دون تغيير في التمرين المنتظم. و"مجموعة تمرين" حرقت ٥٠٠ وحدة حرارية يومياً من طريق الرياضة، من دون تغيير في استهلاك الطاقة. و"مجموعة حمية وتمرين" خفضت استهلاكها الغذائي ٢٥٠ وحدة يومياً وحرقت ٢٥٠ وحدة بالتمرين. فاللواتي كن في المجموعتين الاولى والثالثة فقدت كل منهن ٥،٤ كيلوغرامات فيما فقدت كل من اللواتي ضمتهن الثانية ٤،٨ كيلوغرامات. ولكن في المجموعتين اللتين اعتمدتا التمرين حدث انخفاض ملحوظ في دهن الجسم اكثر مما في المجموعة التي اتبعت

## كيف تمشي؟

يجب أن يكون المشي، في الدرجة الاولى، اختباراً حسياً مبهجاً، وتكون في الطريق ألوان غنية تسرّ الرؤية وأبنية جميلة تلفت النظر. وكلما انسجمت أحاسيسك مع قدميك ازدادت نزهتك متعة. فزقزقة العصافير وخرير المياه وحفيف أوراق الشجر وأصوات الناس الفرحين هي الانغام البهيجة التي ترافق نزهة جميلة. وعبير أزهار الربيع وأريج القهوة الطازجة والدخان المتصاعد من مواقد الحطب ما هي الا روائح عطرية مفاجئة أثناء المشي.

وفي الامكان القيام بنزهات مثيرة في المدن والقرى والضواحي والمناطق البرّية. فخطط طريقك لكي تكون المحطات التي تمر بها مشوّقة تجتذبك.

ان المشوار الجيد يستغرق أكثر من ٢٠ دقيقة، لأن هذا هو الحد الادنى الذي يلزم الجسم للاسترخاء والتمتع. ويجب أن يتم المشي بخطوات سريعة. لكن ذلك لا يعني أنه لا يمكنك، أثناء مشوار طويل، التلفت حواليك أو التقاط أشياء تجذب انتباهك أو الجلوس برهة للتحادث.

وأهم من كل شيء أنك خلال نزهة مشي حثيث لا بد وأن تشعر بالحيوية والراحة.

From America's Greatest Walks, by Gary Yanker and Carol Tarlow,
© 1986 by Walking World (Addison — Wesley)

الحمية وحدها، فضلا عن أن مجموعة الحمية أظهرت نقصاً غير مستحبّ في أجزاء الجسم الخالية من الدهن.

هناك دراسة نشرت عام ١٩٧٩ تقدم دليلا آخر على تأثير التمرين في نقص الوزن، وقد شملت الدراسة مقارنة بين ثلاث مجموعات، اعتمدت الاولى الحمية فقط والثانية التمرين فقط والثالثة تركيبة من الحمية والتمرين. فخسر كل واحد من مجموعة الحمية خلال الاسابيع الثمانية الاولى ما معدله ٣،٢ كيلوغرامات، وخسر أفراد مجموعة التمرين ٢،٧ كيلوغرام، وأفراد المجموعة المختلطة ٥،٩ كيلوغرامات.

**متعة لا تزول.** المشي، كبقية التمارين الحيهوائية (١)، يؤدي ثلاث خدمات رئيسية تساهم في خفض الوزن: انه يحرق الوحدات الحرارية، ويساعد في الحفاظ على معدل الأيض (٢) خلال الراحة، ويخفض الدهن محافظاً على كتلة العضل.

لكي تفقد نصف كيلوغرام من وزنك عليك حرق ٣٥٠٠ وحدة حرارية زيادة على ما تستهلك. لذلك، لكي ينقص وزنك نصف كيلوغرام في الاسبوع عليك خفض ٥٠٠ وحدة حرارية يومياً. وأحد السبل لتحقيق ذلك هو المشي ٢٥ كيلومتراً في الاسبوع بمعدل خمسة كيلومترات يومياً في خمسة أيام أو ٣،٥ كيلومترات يومياً على مدى سبعة أيام. فهذا يحرق بين ١٠٠٠ و٢٠٠٠ وحدة حرارية في الاسبوع تبعاً لسرعة مشيك ولوزنك. وفي الامكان خفض الوحدات الحرارية الباقية — ٢٠٠

Aerobic exercises (١)
Metabolism (٢)

الى ٤٠٠ وحدة - بسهولة بالامتناع عن تناول وجبات خفيفة أو دهنية.

وهناك خرافة تقول ان التمرين ينشط القابلية ويزيد تناول الطاقة الحرارية مما يُبطل فوائد التمرين. ولكن هناك بعض أدلة على أن النشاط الجسدي المنتظم والمعتدل قد يساعد على ضبط الشهية. ففي دراسة لعمال المطاحن تبين أن أقلهم نشاطاً استهلك نحو ٥٠٠ وحدة حرارية يومياً زيادة على زملائه ذوي النشاط المعتدل.

ان معدل الأيض الاستراحي يدل على الطاقة التي يحرقها جسمك أثناء الراحة. وهو يتدنّى كلما تدنى استهلاكك للطاقة، فتحرق عدداً أقل من الوحدات الحرارية. وقد يكون تدنّي معدل الايض الاستراحي أحد الاسباب التي تُبلغك نقطة استقرار خلال اعتمادك الحمية، فتتوقف عن فقد الوزن مع أنك لا تزال تأكل أقل. ويدل بعض الابحاث على أن التمرين يساعد في الحفاظ على ارتفاع معدل الايض الاستراحي لدى اتباع الحمية.

ولكي يتسنى لاي نوع من التمرين زيادة الفوائد الصحية على المدى الطويل، تقتضي ممارسته على نحو متواصل طوال الحياة. وهنا تبرز أفضلية المشي على بقية النشاطات التي توفر فوائد أكثر في المدى القصير. والذين يمارسون المشي نادراً ما يتوقفون عنه بسبب الاصابات الشائعة التي يتعرض لها سواهم من المتمرنين. ويتابع المشاة رياضتهم سنة بعد سنة لأنها تنطوي على متعة لا تزول.

آن كاشيوا وجيمس ريب ■

## هدايا الزواج

ساهمت مع زوجي في احياء حفلة زواج احد الاصدقاء، ورحنا نراقب الزوجين السعيدين يفتحان هداياهما اللطيفة. ولدي مشاهدتنا طواقم من ادوات المطبخ والطناجر والصحون وحاويات الملح والبهار علق زوجي بالقول: "لقد حصلا على كل ما يلزمهما للطبخ، ولكنهما يحتاجان فعلا الى هدية من محل سمانة." فاجبت ان "قسيمة طعام جاهز لمدة سنة قد تكون هدية افضل." فحبكت النكتة مع زوجي وقال: "صحيح، ولكن أليس في كل ذلك تأجيل لما لا يصلح للأكل؟"

ج.ب.ف

---

## عامل على راحته

كان يوماً صيفياً حاراً وقد بدأ زوجي لتوّه عملا جديداً كسائق جرافة في شركة بناء. وكان عليه أن يدير الآلة متبعاً اشارات يدوية يعطيها عامل على الارض. وبعدما خفض شفرة الجرافة ورفعها مراراً تلقى أخيراً الاشارة بأن الوضع صحيح. حينئذ جلس العامل في ظل الشفرة.

ش.ك.



## ثقوب الـ"غروبير" تختفي

يعتقد علماء سويسريون أنهم اكتشفوا سر خسارة جبنة "غروبير" ثقوبها. وكانت هذه الظاهرة لوحظت منذ العام ١٩٨٠، وتبين آنذاك أن عينات شائعة من الغروبير نقصت ثقوبها بنسبة ١٥ في المئة عن عدد ثقوب عينات مماثلة فحصت قبل عشر سنين.

وأعلن الاتحاد السويسري لمنتجي الاجبان أن الخبراء كانوا يتتبعون هذه المسألة بقصد اجراء تحسين مستمر في طرائق التعقيم. ولا يقتصر التحول هنا على تدمير الجراثيم المضادة بل أيضاً على تدمير تلك التي تولد غازات تكوّن الثقوب في أثناء انضاج الجبن.

وتقول ليزبت ستاهلي المتحدثة باسم الاتحاد: "مع أن غياب الثقوب لا يحدث أي فرق في الطعم والجودة، فسيفتقد الزبائن رمزاً بصرياً عزيزاً على قلوبهم."

صحيفة "فايننشال تايمس"، لندن

## بيوت من القش

شركة "ستراميت الدولية" للبناء هي شركة عائلية بريطانية ظلت خمسين سنة تشجع الناس على بناء بيوت من القش. وقد باعت الصينيين آلتين لصنع ألواح من القش بمبلغ مليون جنيه استرليني.

تملك الشركة ١٢ مصنعاً عاملا في أنحاء العالم. هناك يضغط القش ويحمّى حتى يرشح منه صمغ، ثم تصنع منه الواح عازلة جداً يمكن استعمالها بدل القرميد (الآجر) أو الخشب أو الاسمنت.

في السنوات الاخيرة حازت شركة "ستراميت الدولية" نجاحاً ملحوظاً في تزويد البلدان النامية في الاقاليم الحارة مواد مصنعة لبناء المنازل، يمكن تشييدها في بضعة أيام. وهي تمتاز برخصها وبقدرتها الشديدة على العزل الحراري. ويكلف منزل مساحته حوالى ٨٠ مترا مربعا نحو ألف جنيه استرليني.

صحيفة "ايكونومست"

## شهداء نمل الشهد

في صحارى جنوب شرق الولايات المتحدة وامريكا الجنوبية وافريقيا واستراليا يخزن نمل الشهد منّاً، اي نسغ النباتات او السائل العذب الراشح من جسم الأرَقة، عندما يكون وافرا، ويستهلكه خلال الفصل الجاف. وفي كل عش يُختار بضع مئات من النمل العامل كخزائن حيّة للطعام. ويعلف النمل الجاني النمل العامل بالقوة اذ باستطاعة معدته أن تنتفخ حتى يصبح بحجم حبّة البازيلاء، اي حوالى ثمانية اضعاف حجمها الطبيعي. وقبل ان يبلغ نقطة الانفجار، يتدلى النمل الحامل الزاد من سقف حجرة على عمق عدة امتار تحت سطح الارض، تماما كما يتدلى القديد المدخن.

وعندما يهدد الفصل الجاف جماعة النمل بالجوع يتوجه الى المزاود الحيّة التي تطعمه منّا تتقيؤه من معدتها الى أن تفرغ. بعد ذلك تتقلص المزاود الحية وتموت، فتطرح خارجا كأي إناء عادي.

ف.ب.د.

حذار! الادوات والمواد المألوفة في مرأبك قد تشكل خطراً عليك وعلى أولادك

# المَرأبُ أخطرُ مَكَان

تخيل أن في منزلك معملا صغيراً مشحوناً بالمتفجرات وبأدوات صناعية خطرة ومصادر طاقة مميتة. يبدو أن في هذا الكلام بعض المغالاة، لكن الحقيقة أن هذا "المعمل" هو مرأبك.

ففي كل سنة تتسبب الحوادث المنزلية في مقتل عشرات الالوف من الناس وتلحق الضرر بالملايين. ويقع الذنب في كثير من هذه الحوادث المؤسفة على المعدات الحديثة والمواد التي نحتفظ بها كيفما اتفق في مرائبنا باعتبارها أشياء عادية لا خطر منها.

ولكن في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٧ في احدى ضواحي شيكاغو، أوقع ثلاثة أطفال صفيحة وقود كانت محفوظة في مرأب منزلهم. وحدث أن سقطت أداة من يد أحدهم على أرض الاسمنت أطلقت شرارة اشعلت ناراً هوجاء في المرأب. وأصيب طفلان بحروق بالغة ما لبثا على اثرها أن فارقا الحياة. أما الطفل الثالث فاقتضت معالجته بتطعيم الجلد وبالجراحة التقويمية.

وفي خريف ١٩٨٧ كان رجل في ويسكونسن يقطع الحطب في فناء داره. فألقى بمنشاره الآلي على الارض وهو لا يزال دائراً، لكي يدفع جذعاً. وعندما عاد ليلتقط المنشار داس غصناً أطار المنشار الدائر في وجهه فأصيب بجرح بالغ امتد

Illustration: Barry Phillips

من فمه الى اذنه، وكسرت له أربع أسنان وتدلّت شفته السفلى. وتطلبت معالجته ١٨٠ قطبة للجرح وجراحة عصبية ومعالجة شاملة للأسنان.

يقول ديفد كاسويل مدير "برنامج السلامة المنزلية" في الولايات المتحدة: "ان مرائبنا قد تكون فعلا أشد خطراً من المصانع، اذ تكمن فيها مجموعة مخاطر أكثر تنوعاً، فيما يندر وجود أصحاب منازل (خلافاً للعاملين في المصانع) يتفهمون الوضع ويتخذون الاحتياطات الضرورية للسلامة."

وقد عمدت احدى لجان السلامة، استناداً الى المعالجات التي أجريت في أقسام الطوارئ في المستشفيات، الى تحديد عدة أخطاء تهدد الحياة والاوصال:

ان جزازات العشب والمناشير الآلية تشكل ثنائياً قاتلا يتسبب سنوياً في حوادث لمئات الالوف من الناس تقتضي معالجتها في المستشفيات. والى ذلك فان آلات تشذيب الاسيجة ونفخ ورق الشجر تتسبب في ألوف الاصابات الاخرى.

معظم حوادث جزازات العشب النموذجية ينتج من انزلاق اليدين أو القدمين تحت شفرات الجزّازة، واشتعال الوقود، والانفجارات المفاجئة. ومن النصائح المفيدة أن تلبس سروالا طويلا وثياباً مشدودة جيداً الى جسمك وأحذية متينة الدوس. نظف مرجة العشب من الحصى والاوساخ قبل مباشرة الجزّ. افصل شمعات الاشتعال قبل مباشرة صيانة الآلة، وتمهل حتى يبرد المحرك قبل أن تصب الوقود لكي تتجنب اندلاع حريق بفعل شرارة.

يرى خبراء السلامة أن المناشير الآلية هي أخطر الادوات في المنزل. ويقول الدكتور بيتر توسانت من فورت كنت بولاية مين، الذي عالج عشرات من اصابات قاطعي الخشب: "ان المنشار الآلي خطر الى حد يوجب حظر استخدام الهواة له."

اذا اقتضى الامر ان تستخدم منشاراً آلياً فليكن من الطراز الحديث، لان ميزات الوقاية الحديثة – كالكوابح التي توقف سلسلة المنشار بسرعة عند الارتداد الخلفي، وواقيات الانف، وقضبان الهداية الواطئة الواقية من الارتداد – خفضت الاصابات بنسبة كبيرة. والى ذلك، البس ثياباً واقية وضع نظارات واقية وسدادات للاذنين وقبعة صلبة. يقول الدكتور توسانت: "ان كلفة هذه الاشياء تقارب ثمن المنشار. وبهذه الكلفة يمكنك استخدام عامل محترف، وهذا ما أنصح به في الدرجة الاولى."

ان قلة من الناس تسمح بوجود ديناميت في منازلها. لكن كثيرين لا يبالون بوجود صفيحة وقود في منازلهم. الخبراء يعتبرون الغازولين (البنزين) خطراً بمقدار المتفجرات القوية. فقد يتسبب اشتعاله فجأة في الاصابة بحروق وربما في الوفاة.

واذا أخذت الرطوبة في الاعتبار، فان

بحلتها الجديدة

مجلة كل بيت

# الحسناء

مواضيعها مفيدة، غنية، مبسطة، تهتم بشؤون كل بيت :




- منوعات
- تحقيقات ومقابلات
- فن
- ثقافة
- تجميل
- اناقة
- مشكلة وحل
- طب
- مطبخ
- طبيعة
- حديث الابراج

بالاضافة الى عدة ابواب اخرى

بخار الغازولين يلتهب حين يشكل ما بين ١،٤ و٧،٦ في المئة من حجم الهواء الاجمالي. وقد يشتعل الغازولين حتى حين يكون باب المرأب مفتوحاً. وكثيراً ما يكون المرأب موضع جهاز تسخين الماء والشعلة الدائمة قد تلهب بخار الغازولين. لذلك يقترح الخبراء خزن الوقود في وعاء خاص مقفل باحكام وحفظه في سَقيفة أو بناء منفرد.

ان مرائبنا تقوم غالباً مقام المتجر لعدة مواد سائلة خطرة. فالدهان ومرقّق الدهان والزيت والورنيش وبطاريات السيارات المستعملة تشكل مخزناً من المتفجرات والمواد السامة. حتى السائل المنظف لزجاج السيارة يشكل خطراً لانه يبدو كشراب منعش، ويشربه الاولاد أحياناً.

ويندر أن تجد مرأباً لا تخزن فيه مبيدات الحشرات وأدوية الرش.

على اصحاب المنازل الاقفال على كل المواد السامّة خشية ان تصل اليها أيدي الاولاد، وحفظها في أوعيتها الاصلية التي تحمل ملصقات تعلن محتوياتها.

## الأبواب.

غالباً ما يستخدم المرأب كمحترف منزلي للاشغال. وبابه يشكل أول الاخطار.

يبلغ وزن الباب قرابة ٣٠٠ كيلوغرام وقد يسحق القدم. لكن مفاتيح الابواب الاوتوماتيكية هي الخطر الحقيقي. فكم من الابواب سقطت في الوقت الخطأ فقتلت أولاداً او جرحتهم، الى ان طُلب من الشركات أن تُدمج دارات كهربائية تفتح الباب اذا اعترضه عائق وهو يقفل.

وهناك عشرات ألوف الاصابات سنوياً ناتجة من أدوات الورشات المنزلية كالمناشير الآلية والمطاحن والصاقلات وسافحات الرمل. انتبه الى ضرورة وصل كل الآلات التي تعمل بالطاقة، بالارض، ما لم تكن مضاعفة العزل. حافظ على نظافة منطقة العمل. لا تنزع أبداً حواجز الشفرات الواقية، ولا تشتغل بأي آلة قبل قراءة الارشادات. ولا تلبس ثياباً فضفاضة قد تعلق أطرافها بالآلات.

السلالم أيضاً قد تؤذي أولئك الذين يحاولون اتمام العمل بطريقة مختصرة، اذ يجب تركيزها على أرض مسطحة متينة لا تغرق فيها قائمتا السلّم او تنزلقان. انتعل حذاء ذا نعل جافّ. ولا تمل الى الجانبين ولا تقف على الدرجة العليا.

والسبب الذي يحدو عمال السقوف والدهان على استخدام السلالم الخشبية هو كونها عازلة تحول دون الموت بالصدمة الكهربائية. ان معظم سلالم الالمنيوم في مرائب المنازل هي موصلة للكهرباء.

## الكهرباء.

الكهرباء مصدر رئيسي لحوادث النار في المنازل. ويقضي ألوف الناس سنوياً بالصدمات الكهربائية لمجرد لحظة إهمال.

ويعرف عمال الكهرباء والمهندسون أن جسم الانسان موصل مثالي للكهرباء. فمجرد ثلث أمبير، الذي يكاد لا يكفي لاضاءة مصباح كهربائي عادي، قد يصعق أو يوقف نبض القلب.

ولشدة تحسّس الخبراء للاخطار تراهم مهووسين بالسلامة في منازلهم. فأحد

المهندسين لا يبدل سلك الوصل في مفتاح الكهرباء ما لم يقطع الخط الرئيسي، غير مكتفٍ باقفال مفتاح الدارة (١) وبعد ذلك يفحص الاسلاك بواسطة فاحص للدارات.

ان الوسيلة الفضلى لتجنب الصدمات الكهربائية هي في ابدال مآخذ التيار (٢) في الجدران أو قاطعات الدارات بتجهيزات كهربائية واقية تدعى "المعيقات الارضية للتيارات الجانحة" (٣) التي تقطع التيار الكهربائي خلال جزء من الثانية اذا اكتشفت تياراً سارياً الى الارض يشكل طاقة قادرة على احداث صدمة.

يقول بات بنتز من "الجمعية الامريكية الوطنية لأصحاب المصانع الكهربائية"، مشيراً الى الصدمات الكهربائية التي تسببها مشذّبات الاسيجة والمثاقب الكهربائية، ان المعيقات الارضية يجب أن تكون حتماً في جميع المرائب. ويدهش لأن عدداً كبيراً من الناس يتجاهل الوخز الخفيف الذي يأتيهم من المعدات الكهربائية. وهو يقول: "عندما تشعر بالوخز فانك على وشك الاصابة بصدمة كهربائية."

اذا كان عليك أن تستخدم أسلاك تمديد للادوات الكهربائية، فيجب التأكد من أن قوة تحمّل السلك للتيار تعادل قوة تحمّل الآلة للتيار أو تتجاوزها. لا تشغل الآلات الكهربائية وأنت منتعل حذاء رطباً. ولا تدخل مرأباً رطباً أو مغموراً بالماء اذا خشيت أن يكون أحد الاسلاك الكهربائية على تماسّ بالماء.

يقول الدكتور ديفد كاسويل: "ان النباهة تحول دون كثير من الالم." ويعرض اقتراحين:

اولا، قم بجولة تفتيشية في مرأبك أو قبوك أو محترفك. انتبه الى نقاط الخطر كصفائح الوقود ومبيدات الحشرات والاشياء التي قد تُقلب.

حاول ان تتفحّص المكان بعيني طفل فضولي. ويقتضي ألا يكون لاولادك وصول اليه. ولكن، اذا دخلوا المكان، فهل يكونون بأمان؟

ثانياً، إعمل كخبير. اقرأ الارشادات واتبعها لدى استخدام الادوات والمنتجات، وقاوم اغراء العمل بطريقة مختصرة. احتفظ بمطفأة للحرائق جاهزة. وخطط لعملك لكي تكون الاداة المناسبة جاهزة لديك في الوقت المناسب.

ان العمل في الهواء الطلق هو أحد الامور التي يتمتع بها مالك المنزل. فلا حاجة الى التخوف من الحوادث الخطرة اذا اتبعت سبل الوقاية البسيطة، فلا يبقى منزلك كأنما هناك حادث متربّص سيقع فيه في أي وقت.

**لاري فان غونم** ■

(١) Circuit breaker
(٢) Wall Outlets
(٣) Ground fault circuit interrupters

---

يستطيع معظمنا ان يسامح وينسى، غير اننا لا نريد ان ينسى غريمنا اننا سامحنا.
إ.ب.

استعمال أجود المقوّمات. توفير التجهيز الكامل. اهتمام بالتفاصيل. هذه هي طريقة أحد أبرز الطهاة في العالم

# طبّاخ عالمي

غابت الشمس بأشعتها الذهبية غارقة في سماء استوائية رائعة في منطقة ياموسوكرو في شاطىء العاج حيث ستقام في فندق فخم حفلة استقبال ومأدبة عشاء لخمسمئة مدعوّ، بينهم بعض أبرز شخصيات البلاد. وفي باحة الفندق المحاذية للمسبح

غاستون لونوتر يعرض قطع شوكولاته وطبقين من ابتكاره. فوق: تحفة متقنة من ثمار البحر. تحت: قطع خيار رتبت في شكل سمكة عملاقة.

وضعت طاولات مغطاة بشراشف كتانية بيضاء وعُرضت عليها المأكولات المغرية كالكركند وأنواع السلطة و"الباتيه" والسمك والحلوى. وراح غاستون لونوتر، وهو أحد أشهر متعهدي المأكولات في العالم، يبتسم كالعمّ المحبّ وهو يعتمر قبعة الطهو البيضاء. انه اختار بنفسه أصناف المأكولات وأشرف على تحضيرها ثم طار بها من العاصمة الفرنسية باريس.

وما إن أشعل أحدهم صفاً من المصابيح المسلّطة على الطاولات حتى هجمت أسراب بعوض تعدّ بالملايين وحوّلت الشراشف الكتانية والمأكولات كتلة قاتمة تصدر أنيناً وطنيناً. فصرخ لونوتر آمراً: "أطفئوا هذه المصابيح وارفعوا الطعام عن الطاولات."

وهبّت مجموعة من العمال لتنفيذ الأوامر. فأطفئت المصابيح وأخليت الطاولات من كل طعام خلال عشر دقائق. لكنها ما لبثت خلال خمس عشرة دقيقة أخرى أن تألقت بالمأكولات المحفوظة التي أحضرها لونوتر للحالات الطارئة، وقد غلفت أطباقها بالنايلون الشفاف. وأثار الطعام المعروض على ضوء الشموع شهية الضيوف واتفق الجميع على أن الطعام والخدمة كاملان.

فماذا كان منتظراً من غاستون لونوتر غير ذلك؟

بالنسبة الى غاستون، كلّفت هذه المأدبة كلها عمل يوم واحد. فهو عائد الى باريس في اليوم التالي، وربما طار بعد غد الى طوكيو أو لندن او اورلاندو في فلوريدا. ذلك بأن هذا الرجل الهادىء يتربع على عرش مملكة تجارية عالمية مؤلفة من عشرة متاجر "لونوتر" و٢٦ مخزناً تعمل بموجب امتيازات خاصة و١٣ مركزاً للانتاج تدر كلها دخلا نقدياً يتعدى ٢٥٠ مليون فرنك فرنسي (٤٠ مليون دولار) سنوياً. وتؤمن مؤسسته أكثر من ألف نوع من المأكولات، تراوح بين وجبات صغيرة يمكن تسخينها في المنزل لعشاء رومنطيقي ومآدب عشاء ضخمة لعشرة آلاف شخص.

وتحضّر متاجر لونوتر كعكاً للأعراس، وبجعات جليدية ترتفع ثلاثة أمتار لحفلات الاوبرا، وتموّن رحلات استجمام في البحر الأبيض المتوسط، كذلك سباق "لومان" للسيارات ومعرض "لوبورجيه" للطيران في فرنسا.

**خباز عتيق.** لونوتر الانيق والنشيط هو اليوم في سنه الثامنة والستين، لكنه لا يزال الرجل ذاته الذي فتح محلا متواضعاً لبيع المعجنات في بلدة صغيرة بمقاطعة النورماندي الفرنسية قبل خمس وأربعين سنة. فهو لا يزال يعمل كخباز: يستيقظ مع الفجر ويخلد الى النوم قرابة الحادية عشرة مساء. ويصرّ دائماً على استعمال أجود المواد والاهتمام بالتفاصيل.

وبحكم وظيفته كمدير لمؤسسة عالمية، عليه أن يكون بائعاً وديبلوماسياً وممولا في آن. إلا أنه يبقى مشغوفاً بقدرته على اختراع أطعمة شهية. وفي سبيل تحقيق هذه الغاية بنى لونوتر في منطقة مناسبة قرب فرساي مركزاً سماه "بليزير"(١) لتحضير نماذج من الأطعمة،

(١) plaisir بالفرنسية تعني المتعة.

وهو يستخدم فيه ٨٠٠ موظف. وفي هذا المركز تلاحق الادمغة الالكترونية البضائع والسلع المشحونة لتمكين العمّال من معالجة عشرة أطنان من الطعام يومياً.

أول ما تلاحظه وأنت تدخل المبنى، الروائح التي تذكّرك باسواق في الهواء الطلق، ذلك بان المسؤول الاول عن المشتريات، واسمه إيف لوتليبيه، اشترى البضائع الطازجة هذا الصباح. وهو يؤدي وظيفته هذه منذ ثلاثين عاماً، فتراه يستيقظ يومياً في الثانية صباحاً ويذهب الى سوق الخضر والفاكهة واللحوم في "رونجيس" جنوب باريس، حيث ينتقي أفضل البضائع الطازجة.

كما تلاحظ أن أعلى صوت تسمعه في مركز التحضير هو الصوت البشري. ففي بليزير يحضّر الطعام بالأيدي الا في ما اقتضى استعمال خفاقات البيض وآلات فرم اللحم العادية. في احدى الغرف تقشر الايدي الماهرة الخضر، وفي غرفة اخرى تأخذ العجينة أشكالا مختلفة لخمسة وعشرين نوعاً من الخبز. وفي أمكنة أخرى تحشى البندورة (الطماطم) وتلمّع أفخاذ الذبائح ويغزل السكر في أشكال فنية.

هنا ترى عشرة رجال رزينين يتذوقون بضعة أنواع من الشوكولاته الخالصة فيصنفونها ليقرروا أياً منها يلائم سكاكر لونوتر وحلواه. وهناك تجد مختبراً لتجربة الأصناف الجديدة، مثل طيور الكيوي النيوزيلندية وشراب القيقب الكندي، لابتكار أطباق فرنسية شهية.

**صياد المعجنات.** في وسع الطهاة الانتساب الى مدرسة لونوتر للطهو لتعلّم تحضير بعض أنواع الأطعمة في مطابخهم، مثل "كعكة بليزير" المحضّرة من قشدة الفانيليا والشوكولاته المخفوقة والمغطاة بالكاراميل. ولكن عليهم أولا التحلي بالجدية، فطلاب مدرسة لونوتر محترفون أو سيصبحون محترفين. ثم إن المقررات الثمانية والثلاثين تكلف غالياً (ستة آلاف فرنك فرنسي لخمس وثلاثين ساعة أسبوعياً) ويقضي الطالب معظمها في الاعمال التطبيقية المكثفة.

تعطى الدروس بالفرنسية والانكليزية والألمانية. ولا يحوي الصف أكثر من عشرة طلاب. وفي أسبوع واحد سجلت أسماء طهاة من مطاعم فرنسية بلغ مجموع نجومها ١٢ في دليل "ميشلان" السياحي(٢) فضلا عن متدربين أتوا من سلسلة فنادق انكليزية، وطاه من مطعم ياباني في كاراكاس بفنزويلا، وصاحبة مطعم في مدينة برث الاوسترالية. وكانت هذه تتصل بمساعديها يومياً لاعطائهم آخر الارشادات.

الدقة هي مفتاح السر، وهي تكمن في صحة القياس وفي حركات اليد العفوية التي يكتسبها الطالب من ساعات التمرين المتواصلة. تشكل هذه الدقة جزءاً من إرث عائلة لونوتر منذ تسلم غاستون وأخوه مرسيل مسؤولية اعالة العائلة وهما لا يزالان قاصرين بعدما ساءت صحة والدهما. فبدأ غاستون في سنه الثانية عشرة يعمل متدرباً في محل لبيع المعجنات. وكان المتدربون آنذاك يعيشون ويعملون في غرف مظلمة تحت الأرض، فيأكلون بقايا الطعام حاصلين

(٢) Guide Michelin

على قليل من المكافآت. ومع ذلك يقدّر غاستون النظام والقواعد التي تعلّمها.

عندما بلغ غاستون الثالثة والعشرين من عمره كان يدير محلا لبيع المعجنات في بلدة بونتودمير النورماندية. وسرعان ما بات الناس يجتازون كيلومترات ليتذوقوا الحلوى المصنوعة من الزبدة الطازجة والقشدة والبيض التي أحضرها غاستون من مزرعة العائلة التي يديرها أخوه مرسيل. وكان غاستون ليقضي بقية حياته يخفق البيض لتحضير "الكرواسان" وفطائر الخوخ لو لم تحضه بعض القوى على بسط جناحيه وتحقيق أحلامه. ومن هذه القوى زوجته الباريسية كوليت التي لم تقدر أن تفهم لماذا يرغب أحدهم في العيش خارج باريس. أما القوة الأخرى فبرزت من موقع بلدة بونتودمير قرب دوفيل وغيرها من المصايف الساحلية الأنيقة. فاكتشف بعض المصطافين لونوتر، بل رأوا أن في امكانهم اصطحابه في رحلاتهم لصيد البط والحجال علّه يأتيهم بأشهى المعجنات والحلوى التي تذوقوها في حياتهم.

**توسيع الاعمال.** كان سيلفان فلوارا بين هؤلاء الصيادين، وهو الرئيس السابق لإذاعة "أوروبا ١". فألحّ على غاستون كي يفتح محلا في باريس. وبعدما استكشف غاستون المنطقة الباريسية وجد أن معظم الخبّازين والطهاة يحاولون خفض تكاليفهم من خلال ابدال الزبدة بالسمن واستعمال النكهات الاصطناعية والمواد الكيميائية الحافظة. فشعر بأن الساحة خالية لطاه لا يستعمل إلا أجود المقوّمات.

وعام ١٩٥٧ اشترى غاستون محلا صغيراً لبيع المعجنات في شارع أوتوي الواقع في الدائرة السادسة عشرة الأنيقة في باريس. وما لبث أن ضم المحل المجاور، ثم المحل العلوي، ووظف اثني عشر شخصاً.

ولما ذكر فلوارا لغاستون أنه يبحث عن طاه جديد يحضر مأدبة كبيرة تقيمها إذاعة "أوروبا ١" تقليدياً في ليلة الانتخابات، قال غاستون انه سيهتم بالأمر. فرد فلوارا: "إنك لمجنون! الاهتمام بهذه المأدبة يعني تحضير الطعام والشراب لألفي شخص. وأنا أشكّ في قدرتك على تدبير أمور أكثر من عشرين شخصاً." فما كان غاستون إلا أن أجابه: "إن لم يُجمع ضيوفك على نجاح المأدبة فلا تدفع لي فرنكاً واحداً."

منذ تلك المأدبة الموفقة أحرزت مؤسسة لونوتر نجاحاً متواصلا. ففتح الفرع الاول عام ١٩٦٠، والمخزن الممتاز الاول عام ١٩٧٥، وراحت مراكز الانتاج تتكاثر. وفتح لونوتر بمعاونة طاهيين شهيرين هما بول بوكوس وروجيه فرجيه مطعماً في مدينة الملاهي الشهيرة "عالم ديزني" في ولاية فلوريدا الامريكية. ولاقى هذا المطعم نجاحاً باهراً. وعام ١٩٨٥ أصبح لونوتر عضواً في مجموعة تجارية تدير سلسلة من الفنادق والمطاعم، منها "سوفيتل" و"فري تايم." وفتحت له هذه العضوية باباً على موارد مالية كبيرة وخبرات واسعة في التسويق.

**مأدبة في أمريكا.** مع أنه لم يعد لغاستون متسع من الوقت كي يعجن

بيديه أو يخفق البيض، فلا تزال أفكار جديدة للطهو تدور في رأسه ولا يزال يتساءل إن كانت هناك طريقة لتحسين أطباق معقدة شهيرة، كالبط المحضّر مع قلوب الخرشوف (الأرضي شوكي) المهروسة . وما إن يجد لونوتر طريقة جديدة للطهو حتى يدونها في دفتره الصغير ثم يراجعها ويعطيها لابنته سيلفي التي تحاول تطبيقها في مطبخها الخاص ليذوقها زوجها وأولادها. فإذا وافقوا عليها وأحبوها تدخلها سيلفي في كتاب تؤلفه مع والدها.

يختلف لونوتر عن سائر الطهاة الذين يبقون طرقهم سرية. فهو لا يفهم لماذا لا يجوز له أن يخبر انساناً عادياً طريقة تحضير طبق لذيذ. لكن معظم العارفين يوافق على أن غاستون يضفي نكهة لذيذة على أطباقه فيصبح تناولها خبرة ممتعة.

وغالباً ما تفيده هذه المتعة التي يوفرها طعامه. ومثال على ذلك ما حصل عندما همَّ لونوتر بالسفر الى وادي نابا في ولاية كاليفورنيا لتحضير مأدبة لأربعمئة شخص يتم خلالها ترويج نوع جديد من سيارات "رينو". وكان عليه أن يأخذ معه أربعين مستوعباً (كونتينر) محشوة بألذ المأكولات المبردة التي صنعها بوصفاته الخاصة ووصفات بوكوس. وذات صباح من شهر سبتمر (أيلول) اكتشف أن رحلته الجوية ألغيت بسبب إضراب موظفي شركة "آيـر فرانس". فحاول أن يتدبر شركة أخرى، واتصل بالأمريكية «TWA» فرد عليه صوت نسائي غير مبال قائلا انه يستحيل حشره مع حاوياته في أقرب رحلة الى نيويورك. ولكن ما إن عرفت الموظفة انها تخاطب غاستون لونوتر شخصياً حتى صار الجواب: "ما الأمر يا سيد لونوتر؟ انني أسكن عند المنعطف قرب متجرك ولا استطيع العيش من دون قوالب الحلوى التي تحضرها. بالطبع سيكون هناك متسع على متن الطائرة."

وكان هناك متسع فعلا. إلا أن المحرك احترق فوق المحيط الأطلسي فاضطرت الطائرة الى الهبوط في لندن وتخلف غاستون عن موعده مع الوسيط الامريكي في نيويورك ثم لاحظ، كما يفعل دائماً، أن علبة من شوكولاته "لونوتر" تفعل العجائب عندما يتباطأ المضيفون وموظفو الجمارك. وأخيراً وصل غاستون الى وادي نابا متأخراً تسع عشرة ساعة.

وكان مقرراً أن تبدأ المأدبة بعد نصف ساعة. لكن نصف ساعة لا يكفي لتحضير الخبز المخصص لحساء الكمأ الذي اشتهر به بوكوس. فقد كان الخبز ملتصقاً بعضه ببعض ويصعب فصل قشرته عن لبّه وتحميصها في الفرن. انما بفضل تنظيم لونوتر الصارم قدّم الحساء متأخراً عشرين دقيقة فقط.

وحققت المأدبة نجاحاً باهراً، فتقبل غاستون تهانىء الجميع بهدوئه المعتاد. قال إن تحضير المأدبة هو في منتهى السهولة ما دام المرء يستعمل أجود المقوّمات ويهتم بأدق التفاصيل.

روبرت فرنيك ■

---

ما يُعتبر اجراً عادلا رهن بما اذا كنتَ ستدفعه ام ستقبضه.

# «فلكرو» في كل مكان

## قطعتان متكاملتان تغنيان عن المسامير والازرار والغراء



المضيف التلفزيوني ديفيد ليترمان يقفز بالـ"فلكرو" على الجدار.

جورج دو ميسترال مهندس سويسري وجد نفسه مرة في وضع شائك. فذات يوم في الاربعينات عاد من نزهة في الغابة وهو يلعن أشواك العليق التي التصقت بسرواله وبكلبه. ونزع بعض الشوكات وفحصها تحت مجهر، فاكتشف أنها تتألف من مئات الكلابات الدقيقة التي تمسك بأي شيء يمكن ثنيه أو عقده. واستنبط دو ميسترال من ذلك طريقة لحياكة النايلون بحيث تمسك ألوف الكلابات الدقيقة في قطعة بألوف الانشوطات في قطعة أخرى. ودعا النتاج الجديد "فلكرو" (١).

(١) Velcro. والكلمة مشتقة من كلمتين فرنسيتين هما «velour» أي "مخمل" و «crochet» أي "حبكة".

Condensed from Discover (May '88), © 1988 by Discover Publications, Inc., New York, N.Y.
Photo: © NBC / Alan Singer

واليوم تُسمع فرقعة قطع الفلكرو في كل مكان لدى نزع ثنياتها بعضها عن بعض، اذ يحلّ هذا اللاصق بديلا من الازرار والسحابات واللاقطات الاخرى. وهناك جيوش ألغت بعض الازرار في ثياب افرادها وباتت تستخدم الفلكرو في جيوب البزّات النظامية. ولكنه في اثناء القتال قد تعني فرقعة الفلكرو الموت للجندي اذا كشفت موقعه. لذلك هناك اتجاه الى تطوير نوع من الفلكرو لا يحدث صوتاً.

ان فريق الابحاث في شركة "فلكرو" الامريكية (٢) وهي فرع من الشركة التي تصنع اللاصقات الاصلية، خفض فعلا مستوى الفرقعة بنسبة ٩٥ في المئة. والتقنية الجديدة ما زالت سرية، ولكن لا بأس ان علمت أن ٦٠ في المئة من الصوت ناتج من الكلابات و٤٠ في المئة من الانشوطات.

والاستخدام العسكري للفلكرو دليل آخر على أنه نتاج ذو شأن. يقول ماني كاردينال نائب رئيس المبيعات في شركة "فلكرو" الامريكية: "يظن كثيرون خطأ أن ملصقنا ليس سوى أداة صغيرة بسيطة. ولكن هل تستخدم أداة صغيرة بسيطة في المكوك الفضائي الامريكي؟"

كان على كل مكوك اكثر من ٦٥ ألف سنتيمتر مربع من الشريط. وكانت رزم الطعام مثبتة بنيلون فلكرو. وكان رواد الفضاء أحياناً يثبتون اقدامهم على الارضية بلاصقات "أسترو – فلكرو" (٣) المصنوعة من أنشوطات "تيفلون" وكلابات "بوليستر"، وقَفاها مصنوع من الزجاج الليفي (فيبرغلاس). وفي شركة "فلكرو" يخالجك شعور بأن برنامج الفضاء الامريكي ما هو الا وليد الابحاث التي تمت على الفلكرو.

ويستخدم الفلكرو في أماكن لا تخطر على بال. ففي الدبابات يعمل كسلسلة وعجلة مسنّنة للمساعدة في ادارة برج المدفع الرشاش. وفي المحطات النووية تُمسك به البطانيات العازلة الملفوفة حول أنابيب الماء الساخن. وترتبك مهنة الطب في غياب الكلابات والانشوطات. (ماذا كان أهل الطب يستخدمون سابقاً لإطباق طرفي الرباط المستخدم لفحص ضغط الدم؟ المسامير؟)

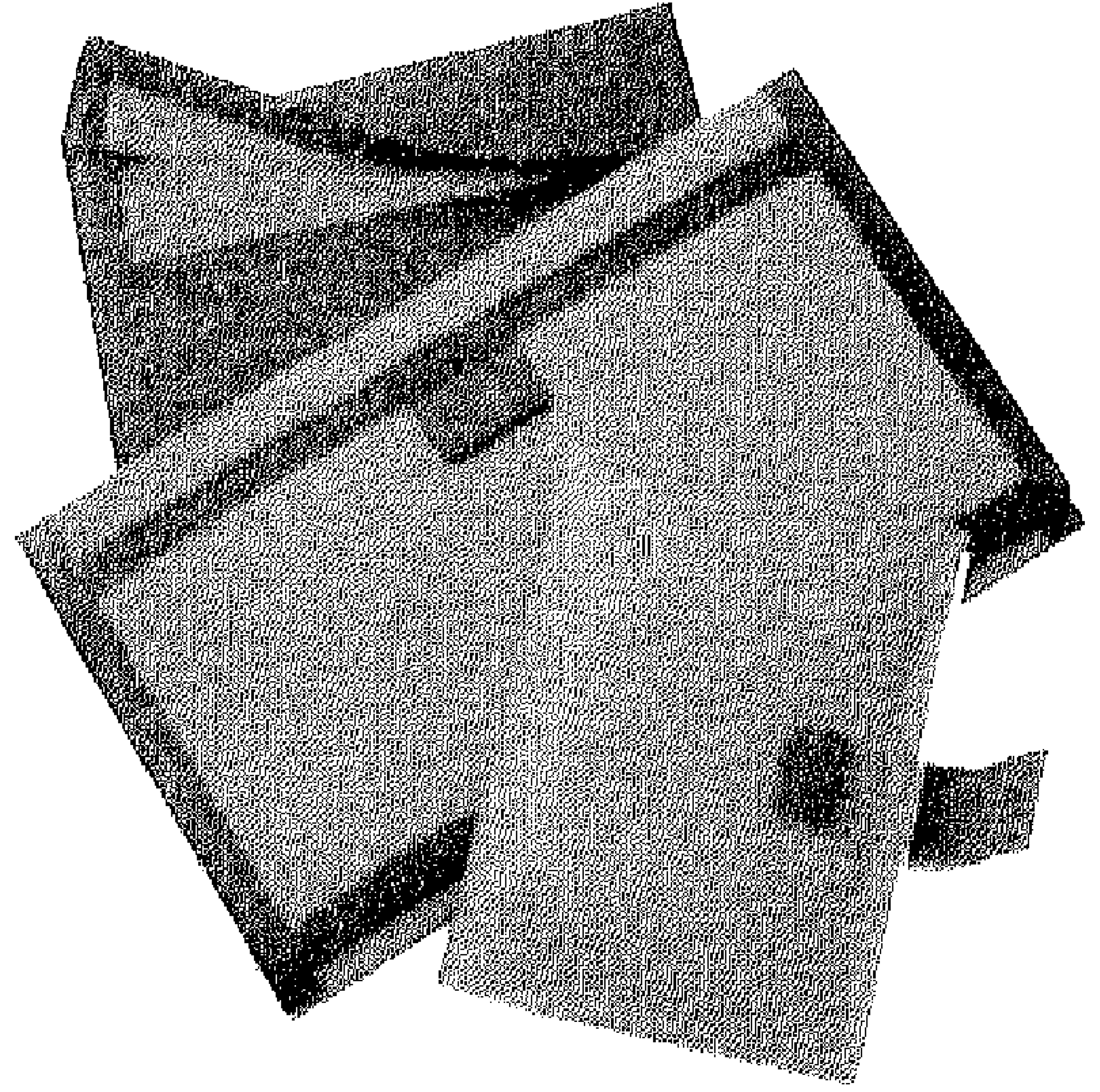
لقد استولى الفلكرو على خيال الناس. يقول ريتشارد كول نائب الرئيس المهتم بالتسويق: "نتمتع بشعور ودي هائل من المستهلكين... وإن اتهمنا الناس أحياناً بأننا نحول دون تعلّم الصغار كيف يربطون أشرطة أحذيتهم."



Photos: Courtesy Velcro USA, Inc.

(٢) Velcro USA

(٣) Astro — Velcro



ويتلقى كول أسبوعياً كومة من الاقتراحات لاستعمالات جديدة لمنتجات الشركة. ويقول: "لقد حققنا معظمها، مثل حلقات المفاتيح وحافظات الاقلام وعلاقات الصور ومحافظ النقود. ومن الاقتراحات ما يتضمن تصاميم مفصّلة، ومنها مجرد خربشة سريعة باليد."

ان فلكرو القياسي له قوة قصّ (٤) تبلغ نحو كيلوغرام في السنتيمتر المربع، أي ما يعادل قوة طن واحد في كل ١٣٠٠ سنتيمتر مربع. وللبرهان عن قوة فلكرو قدم المضيف التلفزيوني ديفيد لترمان عرضاً على شبكة «NBC» هو أشهر مجازفة تلفزيونية تخصّ منتجات فلكرو. فهو ارتدى ثوباً فضفاضاً مصنوعاً من "كلّابات" ووثب من منصة بهلوانية (ترامبولين) الى جدار مكسوّ بأنشوطات لكي يختبر امكان التصاقه بالجدار. فنجح.

لبعض منتجات فلكرو قوة قاصّة تعادل سبعة كيلوغرامات في السنتيمتر المربع. وقد استخدم مهندسو فلكرو الكلابات والانشوطات بطرق شتى في سيارة "بونتياك ٦٠٠٠" لربط القماش بالمقاعد وتثبيت السقوف والبطاريات وأنابيب الوقود والاطارات الاحتياطية. وجرى اختبار فلكرو كأداة للربط على حاجز اصطدام (٥). وبعدما اختبرت السيارة بقيادتها مسافة ٨٠ ألف كيلومتر تبين أن البرغي الذي استخدم في تركيز حاجز الاصطدام ارتخى، أما الحاجز فلم يتزحزح سوى مليمترين. فخلافاً للبراغي، تزداد الكلّابات والانشوطات قوة حين تتعرض للاهتزاز.

وتجري شركة "فلكرو" الامريكية مفاوضات مع احدى شركات السيارات الثلاث الكبيرة ("جنرال موتورز" و"كرايزلر" و"فورد") لتركيب سيارة بالكلابات والانشوطات. وهناك فريق أبحاث يقوِّم احتمال استخدام الفلكرو في سطوح أجنحة الطائرات (٦) مما يخفف مقاومة الهواء ويساعد في الطيران.

وتثبت هذه السطوح عادة في أماكنها بواسطة ١٤ ألف مسمار مبشم من التيتانيوم. والفكرة الآن هي ابدال بعض هذه المسامير بكلّابات وأنشوطات من الفلكرو.

وماذا يبقى؟

ان كل مادة قابلة لأن تُغزل خيوطاً دقيقة تمكن حياكتها كلابات وأنشوطات. اذاً لماذا لا يُنتَج فلكرو صالح للاكل؟

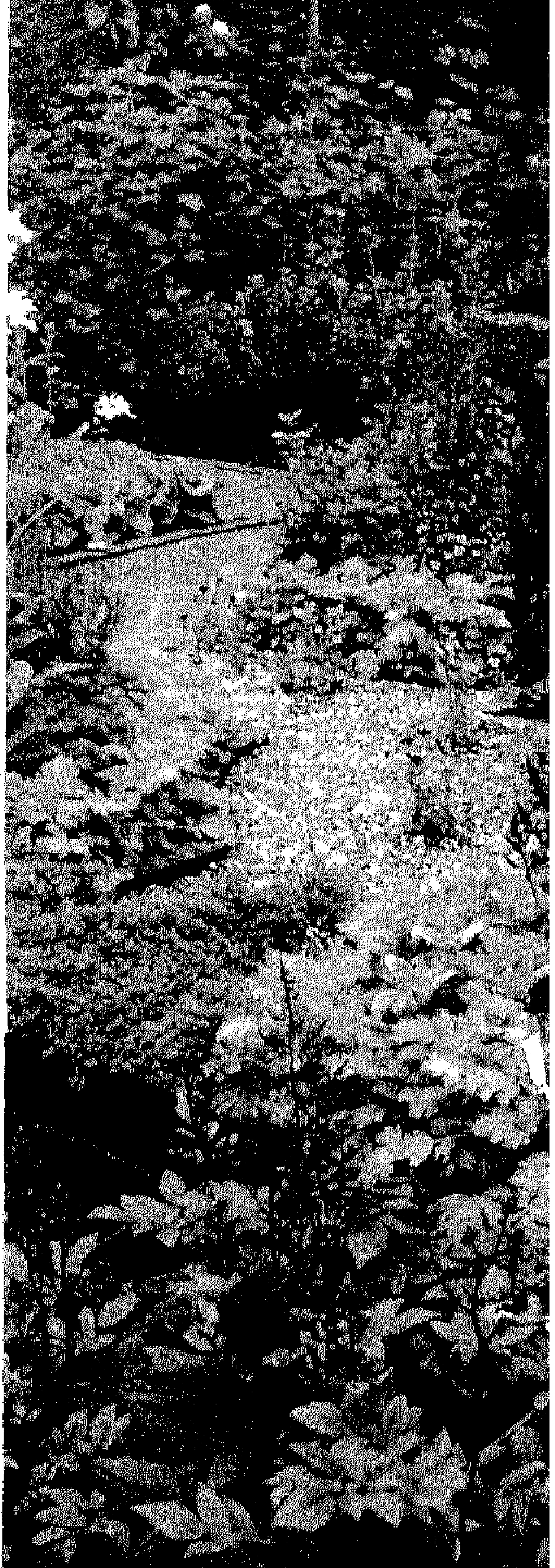
جوديث ستون ■

(٤) قوة القص (shear strength) هي القوة التي تشد قطعتين متوازيتين في جهتين متعاكستين.

(٥) Fender or wing

(٦) Wing fairings





# أعشابٌ تطيِّبُ الطعَام

## أضفي نكهة وشذا على أطباق مائدتك وراقبي وجوه الضيوف

النبتة العجيبة تنمو في زاوية مُشمسة من حديقتنا. أوراقها المعقوصة الخضر تعطي شراباً وشاياً وصباغاً للصوف، وتسكّن لسعات الحشرات، وتُزكي نَفَس آكلي الثوم. الطهاة يستعملون غصيناتها - نيئة أو مجلَّدة أو مجففة أو في شكل هلام - لإضفاء نكهة على الطعام وتزيينه. والبستانيون يزرعونها تحت الورود لابعاد الآفات. ويزعم الريفيون أنها تزيل الكلف والنمش.

ما اسم هذه النبتة العجائبية المتعددة الاستعمالات؟

علماء النبات أطلقوا عليها اسماً لاتينياً طويلا هو "بيتروسيلينوم كريسبوم"(١) لكنّ عامة الناس يعرفون اسمها الشائع: البقدونس. وهي واحدة من الاعشاب الكثيرة التي تجعل الحياة أكثر سهولة وصحة واستهناء.

---

(١) Petroselinum crispum

Photo: Heather Angel

عرف أجدادنا قيمة الاعشاب واستخدموها أدوات مُساعدة في الطبابة والتجميل والطبخ. لكنّ انتشار العقاقير المسجلة ومستحضرات التجميل وزجاجات الصلصة سدل عليها ستار الاهمال. وولّى الى غير رجعة زمن كانت فيه دكاكين العطارين لا تخزن غير النعناع والقصعين والبقدونس والصعتر.

في أيامنا تبيع مزارع الاعشاب شتولا أو بذوراً أو أعشاباً ميبّسة. والمخازن الكبرى ومحلات الاطعمة تخزن الآن أصنافاً من الاعشاب، بلدية أو مستوردة، موضّبة على نحو جذّاب.

يقول غوردن تايلور احد مديري "جمعية الاعشاب": "تحتاج الاطعمة الجاهزة غير الحِرِّيفة الى أعشاب تعطيها نكهة. والناس الذين يرتابون بالمواد المضافة لإضفاء النكهة على السلع التجارية، أخذوا يعودون الى الاعشاب، أي الى الطريقة الطبيعية لجعل الاكل مستطاباً."

إن في الاعشاب لسحراً، والدليل هو الطبخة الجيدة التي تتوسلها. فبضعة غُصينات من الطّرخون تطيِّب الفرّوج المجلّد الذي لم يذق في حياته القصيرة عشباً أو حشرات أو ديداناً.

ثمة باقة من أعشاب المؤونة تعطي اليخنة والمرق مذاقاً لذيذاً، قوامها الصعتر والبقدونس وورق الغار، تُربط حزمة أو تُغلّف بنسيج رقيق بحيث يمكن نزعها بنظافة. وفي وسع المرء أن يزرع الاعشاب المستخدمة في الطبخ، مثل النعناع والحبق والقصعين والبقدونس والصعتر، على عتبة نافذة المطبخ المشمسة. وتزهر شجيرة غار في حوض على مقربة من مدخل البيت.

مهما تكن حديقتك صغيرة فانها تظل تتسع لمسكبة من الاعشاب. فمتر مربع حسن التخطيط يكاد يكفي لانتاج تشكيلة الاعشاب التي تحتاج اليها الاسرة في كل وقت، مثل الثوم والقصعين والشمرة والطّرخون والنعناع. ولكن تنبَّهي الى النعناع فهو يمتد على حساب غيره، ولكي تمنعيه من غزو النباتات الاخرى عليك ان تعزليه بفرز ألواح اردوازية أو بلاستيكية ثخينة في الارض حول جذوره.

المكان المثالي لمسكبة عشبية هو قرب المطبخ حيث تستطيع ربة البيت قطف ما تشاء، مهما تكن حال الجوّ. ويجب أيضاً أن يكون مُعرَّضاً تماماً للشمس، لأن معظم هذه الاعشاب متوسطية المنشأ، ولئن تكن تأقلمت مع مناخ أبرد فانها تفضل الدفء والتربة الحسنة التصريف.

بعض الاعشاب جميلة جداً وفي وسعك أن تنميها حتى بين أزهارك. فالشمرة ذات الاوراق البرونزية تتألّق سحراً في الأصباح الندية، والقصعين المذهّب والمرقّش جدير بمكان لائق في أي ممشى، وشتلات الصعتر القزمة والمتعددة الالوان تشكّل بساطاً أرضياً ممتازاً لإعاقة نمو الاعشاب الضارّة.

تظل النباتات المعمِّرة، كإكليل الجبل والصعتر والغار، محتفظة بأوراقها في الشتاء الا اذا كان قارساً كما في البلدان الباردة. ويعيش الشرفيل (البقدونس الافرنجي) الذي تُصنع به عجة البيض ويُطيَّب به الحساء، في مكان غير معرَّض

للزمهرير، وهو يحتاج الى وقاء من زجاج أو نايلون في الاماكن الاكثر برودة. وكذا الامر بالنسبة الى معظم أنواع البقدونس، علماً أن النوع المنسوب الى مدينة هامبورغ، بأصوله اللحيمة التي يحلو مذاقها في الحساء، يتحمل كل شتاء مهما قسا.

تستحق بعض الاعشاب شعبية أكثر. فالحُمَّيْض الفرنسي ينمو في كل مكان، وله أوراق قابلة للمضغ ومخمِدة للعطش يُصنع منها أطيب أنواع الحساء: افرميها واطهيها من دون غلي في الماء مع بصل وإكليل جبل، وأضيفي حليباً وبيضة مخفوقة.

تغلى أزهار لسان الثور بالسكر لتزيين الكعك، أما أوراقه التي لها طعم الخيار فتضفي نكهة على المشروبات الصيفية وأنواع السَّلَطة. ولسان الثور حَوْليّ(٢) لكنه ينثر بزوره بوفرة تأميناً لغلة السنة المقبلة.

تُزرع الكزبرة ليس فقط لاوراقها بل أيضاً لبزورها. لا تجنى البزور قبل أن تنضج، فلها اذذاك رائحة كريهة، بل ثابري على تنشقها الى ان تستكمل نكهتها التابلية. جَفِّفيها على طبق، وبعد ذلك استخدميها في الصلصة والمخلل.

كثير من أعشاب الطبخ التي تنمو في العراء تموت في الشتاء، لكنَّ معظمها، لحسن الحظ، يسهل حفظه إما بالتجليد وإما بالتيبيس. اقطفيها عندما تكون يانعة ملؤها النكهة.

لتجميد الاعشاب ارزميها قطعاً صغيرة في رقاقات المنيوم أو قطع سيلوفان، ودوِّني اسمها عليها قبل أن توضبيها في كيس بلاستيكي. وإذا أردت حفظها مدة طويلة، أسقطيها دقيقة في ماء مغلي وبرِّديها بسرعة تحت المياه الجارية وجفِّفيها قبل تجليدها.

أما اذا رغبت في تيبيس هذه الاعشاب فمدِّديها خارجاً في صناديق مفتوحة أو على أطباق في خزانة مهوأة أو في أي مكان آخر دافىء ومعرض للهواء. قلِّبيها يومياً حتى تجفّ تماماً وتصير هشة ثم انزعي عنها اوراقها.

اخزني الاوراق في آنية محكمة السَّد وسجلي اسم العشبة وتاريخ خزنها. لا تستعملي قوارير زجاجية شفافة الا اذا كنت تنوين حفظها في مكان مظلم، لان الضوء الساطع يفسد الشذا. واذا خزنت الاعشاب قبلٍ أن تجف تماماً فانها تتعرض للتعفن، لذا تفحصي الاوعية طوال عدة أيام لعل عفونة تظهر على الزجاج، وإذا اقتضى الامر ضعي محتواها مجدداً في مكان دافىء. فالاعشاب المجفَّفة يجب تظل سليمة وصالحة للاستعمال حتى الموسم المقبل.

ثمة طريق مختصرة تقودنا الى الاعشاب اليابسة. استخدمتُها يوم أتت زائرة معجبة بمسكبتي العشبية تطلب مني صعتراً يابساً. فقلت لها وأنا أقطف بعض الافنان: "ليس عندي الا صعتر ناضر، ولكنِ انتظري لحظة فقط."

اصطحبتها داخل المطبخ ووضعت الصعتر في ورق نشّاف داخل فرن الـ"ميكروويف" ذي الموجة الكهربائية البالغة الصغر(٣) وأدرتُ التيار. وبعد ثلاث دقائق قدمت اليها صعتراً مجففاً.

(٢) النبات الحولي موسمي يعيش سنة واحدة.
(٣) Microwave

الطرخون سيد الاعشاب التي تُجفَّف بهذه الطريقة البالغة السرعة. فملء كوب من أوراقه المجرَّدة من سويقاتها يغدو جافاً حتى التفتت في دقيقتين أو ثلاث دقائق. ويحتاج اكليل الجبل الى ست دقائق يُسحن بعدها في مطحنة بن أو يُدق في هاون البهارات. ويعالج فرن الميكروويف أوراق الشمرة الريشية التي تفقد نكهتها اذا جُففت بطرائق أخرى.

تقليدياً، يتألف مزيج الاعشاب الجافة من مقدار واحد من المردقوش وآخر من الصعتر واثنين من القصعين، ولكن يمكنك تغيير نسب هذه المقادير لتحصلي على مزيج يوفِّره لك ما في حديقتك من أعشاب.

يتعين عادة استخدام الاعشاب بكميات قليلة، ولكن في امكانك أحياناً أن تجربي مقادير كبيرة. ولقد جرّبتُ مرة وصفة للكاتبة البريطانية اليزابيث ديفيد الخبيرة بفن الطهو.

قطفتُ دزينتين من سويقات الشُّمرة ودزينة من غصينات الصعتر وبضع أوراق غار ووضعتها في طبق تحميص. وضعت فوقها أربع شرائح متبلة من لحم البقر، ورششت عليها ثوماً مفروماً وقليلا من الزيت، وتركتها تنتقع في المادة العشبية المنكّهة عدة ساعات. ثم وضعت الطبق على المشواة، وسفعتُ الشرائح برفق من الجانبين حتى اسمرَّت، ثم طهوتها في قدر محكمة السد ضمن فرن معتدل الحرارة. بعد أربعين دقيقة رفعت غطاء القدر وراقبت وجوه ضيوفنا عندما انبعث منه الاريج اللذيذ.

إنها لمناسبة يقدّر فيها المرء سحرَ الاعشاب.

**جيفري لوسي** ■



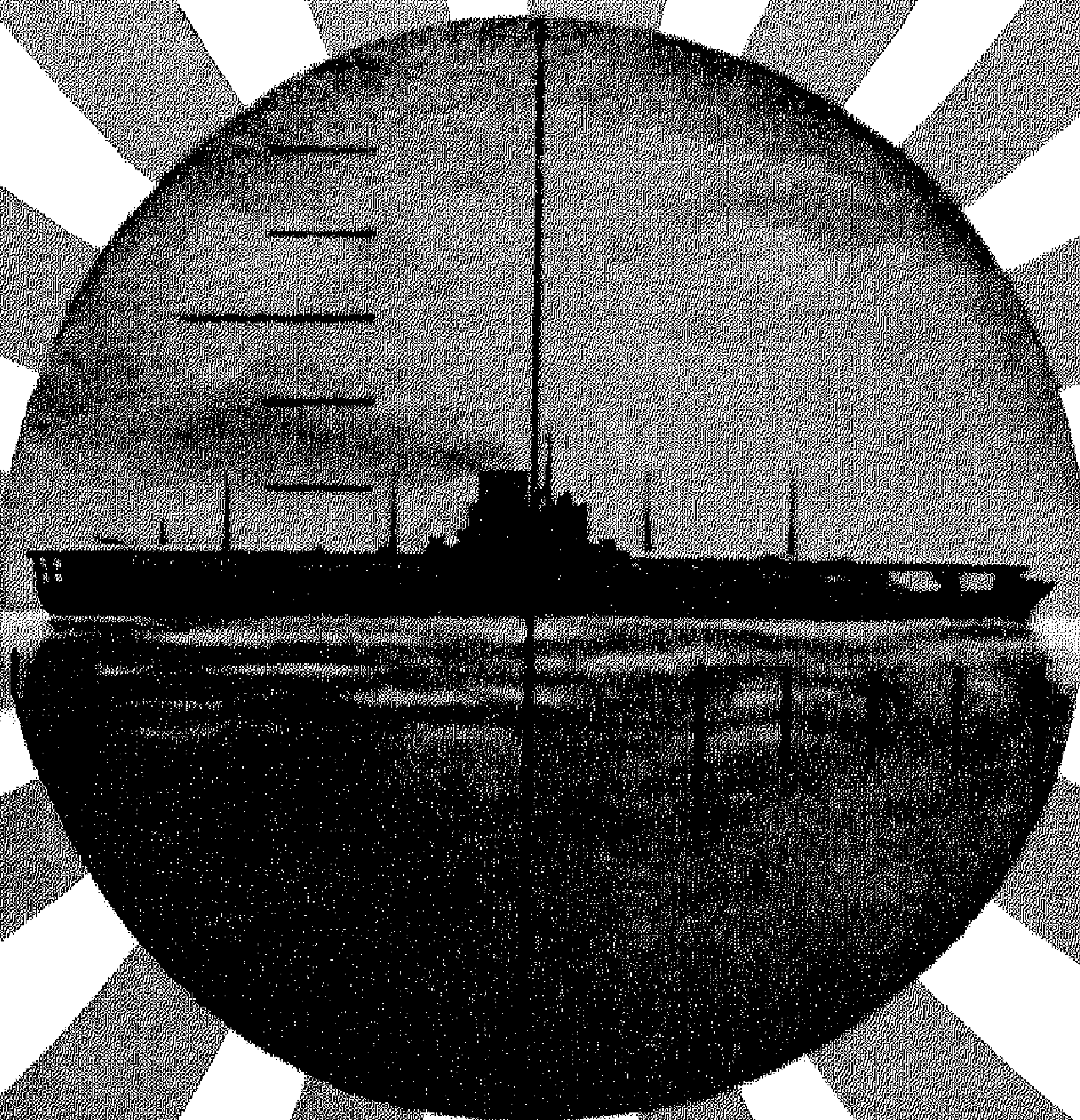
## طالب رومنطيقي

كنا نتناقش ذات صباح في الشعر الرومنطيقي ونحاور الاستاذ حول الوشائج المتينة التي ربطت الشعراء الرومنطيقيين بالطبيعة. وسألنا الاستاذ أن نشارك في تقديم خبرات مماثلة من حياتنا الشخصية.

أخذ الكلام طالب تشيلي، فأخبرنا عن زيارته الاخيرة لوطنه بعد غياب سنتين. كان مشوقاً للعودة الى منزله وأسرته وشاعراً بالحنين الى الوطن فيما طائرته تجتاز جبال الانديس. وأخذته رعشة الفرح وهو يصف المشهد الذي تمتّع به من كوّة الطائرة: جبال مهيبة وأودية خضراء وشطآن متألقة. وغمر الانفعال صوته لدى استعادته المشاهد البانورامية الأخّاذة لبلده الحبيب.

وعندما انتهى ران صمت طويل على الحضور. وحينئذ تنحنح المدرس وقال مرتبكاً: "حسناً، أظن أن لا مجال بعد هذا لاروي لكم قصتي المثيرة عن السنجاب الذي شاهدته يجمع حبوب البندق هذا الصباح."

س.ع.



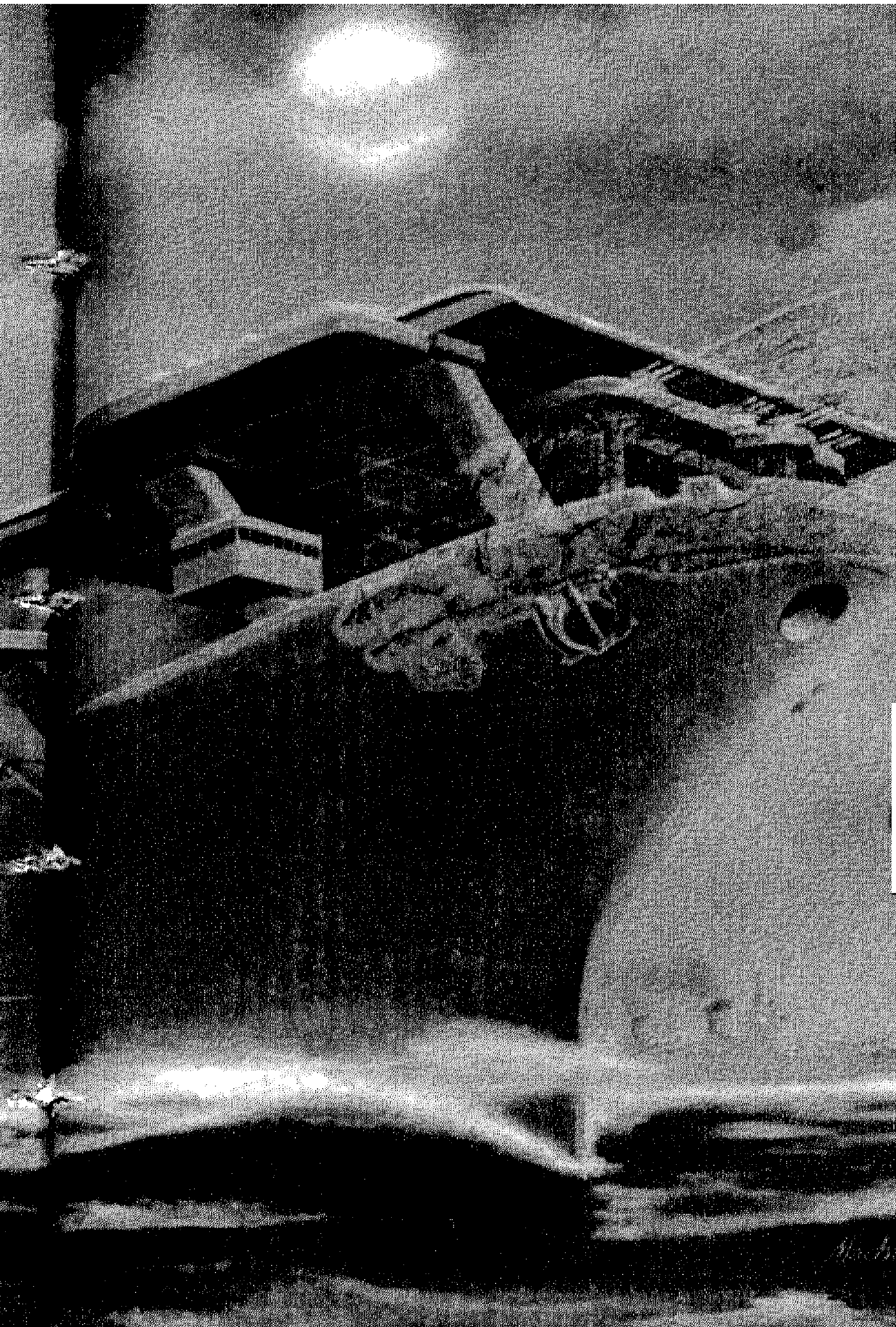
كتاب الشهر

# شينانو!

ملحمة بحرية من الحرب العالمية الثانية

ملخص من كتاب

بقلم الكابتن جوزف ف. انرايت ومشاركة جايمس و. ريان



كانت "شينانو" أكبر حاملة طائرات عائمة. سفينة حربية بالغة
الضخامة والقوة أمل اليابانيون أن ينتزعوا بها النصر
من أشداق الهزيمة ابان الحرب العالمية الثانية.
لكن غواصة أمريكية اسمها "آرشر - فيش" اكتشفتها فيما كانت
تجوب مياه العدو في المحيط الهادىء.
وأعقبت ذلك مواجهة ملحمية.
وهنا، على ألسنة امريكية ويابانية
شاركت في تلك المعركة، القصة
الاخاذة لتلك الملحمة.





# شينانو!

وردت التعليمـات المرمـوزة على الغواصة "آرشر ـ فيش" في ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٤. وهي تنص على طوافها المياه قبالة خليج طوكيو، جنوب جزيرة هونشو وغربها.

ما استقبلت اذناي من قبل رسائل لاسلكية بمثل هذه الحفاوة. وقد ابلغنا ان القاذفات "ب ـ ٢٩" الأمريكية لن تغير على مدينة طوكيو خلال ٤٨ ساعة. واذ لم يكن من غواصة أمريكية في المنطقة سوى غواصتنا، فقد كنا مخولين ان نسرح وحدنا كيفما شئنا على مساحة مترامية الأطراف من مياه العدو. وقد اختتمت الرسالة اللاسلكية بهذه العبارة: "صيداً سميناً!"

إنه تحول محظوظ في طواف رتيب، إذ كانت مهمتنا الاساسية إنقاذ الغرقى من الطيارين الذين يسقط اليـابانيـون طائراتهم من طراز "ب ـ ٢٩". وإيقاف الغارات يعني قدرة "آرشر ـ فيش" في اليومين المقبلين على صيد فريستها، وهذه هي المهمة التي صممت من أجلها.

كل من على متن الغواصة عازم على الفوز بتنويه مشرف في المعركة، وأنا في الطليعة. إذ يندر أن تبرز فرص اخرى للغواصات البحرية. وكنت في السنة الماضية اضعت فرصة لا تعوّض لإغراق حاملة طائرات يابانية في هذه البقعة. واني لسعيدُ الحظ، إذ لاحت لي فرصة أخرى.

وكنت محبطاً في الآونة الاخيرة، إذ فقدت زوجتي وإبني ذا السبعة الأعوام. كما توفيت أمي في شهر اغسطس (آب) من ذلك العام في داكوتا الشمالية، إثر نزف دماغي مباغت. وقد دأبت على التفكّر في أدائي الهزيل حين كنت رباناً للغـواصة الأمـريكية "ديس" العـام الماضي. وكان والداي سافرا في القطار لحضور الإحتفال بإنزال "ديس" إلى المياه. ولم أتمالك نفسي عن فكرة ساورتني: إن أمي قضت قبل أن تفتخر بي.

بدأ يومنا الأول عادياً بعد التعليمات الجديدة. أبحرنا ٩٣ كيلومتراً شرقاً وراقبنا مداخل خليج طوكيو بمنظار "بريسكوب" (١) فيما جبل فوجي يلوح في الافق. ولم نسجل أي اتصالات.

رادار الغواصة متوقف عن العمل. وقد أكد لي الملازم جوزف بوزا، وهو ضابط الرادار، أن العطل طفيف وسيفرغ من اصلاحه قبيل الغسق. أما الآن، وقد غطست الشمس غرباً فبدأت همومي تعتمل في ذهني. ينبغي أن نطفو على السطح لشحن البطاريات، لكن تنفيذ ذلك في الظلام من دون رادار يعني أن نكشف أنفسنا للعدو ونحن معصوبو الأعين.

ومع ذلك أصدرت الأوامر بالعوم في الخامسة والثلث. ولفتنا العتمة بسرعة فيما قسم المراقبة يتبصّر الافق. وإزاء الحاحي الذي لم ينقطع على الرادار، كانت اجابات الملازم بوزا هي ذاتها: "سيجهز عما قريب." لم يقنعني كلامه، فعزمت على البقاء على منصة القيادة مترصداً.

في السابعة والنصف أعاد الفنيون تجميع الرادار، ولكن لزمتهم ساعة إضافية لاختباره. في غضون ذلك حسبت أن ثمة اشارات أرسلت منبئة باكتشاف موقعنا. وحاولت أن أهدىء طبعي الايرلندي الحار في الرذاذ القارس المتطاير وهواء الليل المنعش.

في الثامنة والنصف مساء ناداني بوزا من خلال الكوة المفتوحة: "يا كابتن، لقد أنهينا الاصلاحات."

سلمت بصحة كلامه وفي لحظات، بعد تركيب الرادار، أبصر حرس الغواصة جزيرة اينامبا خارج خليج طوكيو. وقد أبلغ مضمون الرؤية الى بوزا الذي رد أن الرادار لم يتبينها.

زاد حنقي إذ أخبرني بوزا أنه سجل اتصالاً عند الدرجة ٣٠. أخبرته بفظاظة أن الجزيرة تقع على زاوية من ٦٠ درجة وأن محمل الرادار في وضع خطأ، على ما يبدو. وهممت غاضباً: "أصلحه!"

قال عبر الكوة: "حاضر، حاضر يا سيدي." وما لبث بوزا أن ناداني: "يا كابتن، جزيرتك تتحرك."

وفي ثوان هتف أحد المترصدين: "تماس! شكل أسود يبعد نقطتين من ميمنة الغواصة."

ثبتّ منظاري، مزهواً، على نتوء طويل منخفض في الأفق، وأصدرت أمري: "تقفّوا الأثر!" آملاً أن أحصل على رصد تقريبي لمسار الهدف. وخلال ثماني دقائق حددنا سرعة الهدف بـ٣٧ كيلومتراً في الساعة، متجهاً جنوباً غرباً، لكنه متعرج في سيره. لو أمكن "آرشر ـ فيش" استكشاف خط السير والإبحار في موازاته، بصرف النظر عن التعرج، لتمكنا من الانسلال إلى الأمام وسبق الهدف واتخاذ وضع إطلاق النار.

ها قد بدأنا نمسك بطرف الخيط. التفتّ إلى الملازم جون آندروز، ضابط متن الغواصة وأصدرت اليه اوامري: "جون، أبحر بالسرعة القصوى،" أي بزيادة سرعتنا لتبلغ نحو ٣٣ كيلومتراً في الساعة.

وفيما "آرشر ـ فيش" بمقدمها البديع

(١) البريسكوب (periscope) أو منظار الأفق يستخدم في الغواصات والمتاريس.

تشق العباب بيسر، شعرت بذهني مدوماً كأنه في اعصار. ما العمل؟ فكرت في الغـوص إلى عمـق يبلغـه منظـار البريسكوب، لأننا في وضع هجومي من الدرجة الأولى، في حال استمرار الهدف في مسراه الحالي.

ذهني يمور منقباً، مقلباً أوجه الفكر، نابذاً الاحتمالات. ثمة أمور كثيرة لا نزال نجهلها.

## السفينة اللغز

حاملة الطائرات اليابانية العظمى "شينانو" تبحر بين الجزر البعيدة عن الشاطئ، والقمر منير يوشك أن يكون بدراً يتربع في السماء على ارتفاع ٣٥ درجة. انها ليلة مثالية لرحلة الـ٩٠٠ كيلومتر التي توشك الحاملة أن تنطلق فيها بسرية مطلقة. بدت "شينانو" والمدمرات الثلاث "هاماكاز" و"يوكيكاز" و"ايسوكاز" حولها كحوت أملس يزيد سرعته كاشحاً ثلاثة دلافين متقافزة.

على منصة القيادة في "شينانو" يقف القبطان توشيبو آهبي، أحد الخريجين اللامعين في الأكاديميـة اليابـانية البحرية، وهو ضابط مقاتل تزينه أوسمة كثيرة.

لكن الاحتياطات صارمة. لم تظهر "شينانو" ومواكباتها أي أنوار ملاحية. وفي أرجاء الحاملة تفتيش مستمر للتأكد من انعدام أي إضاءة داخلية ترى من بعيد. والمثول أمام المحكمة العسكرية مصير كل من لا يغطي ضوءاً على الوجه الصحيح.

وكانت الاجراءات الأمنية المشددة والسرية التامة أحاطت "شينانو" منذ البداية. إذ أن اليابانيين، إثر قصفهم القاعدة البحرية الأمريكية "بيرل هاربر" في ٧ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٤١، أعادوا النظر في برنامج بناء سفنهم. ولدى ادراكهم تفوقهم البارز في البوارج الحربية أوعزوا بإبطاء بناء الباخرة "شينانو"، احدى المدرّعات التي لا تقهر من مرتبة "ياماتو". وكان العمل فرغ من بناء شقيقتيها "ياماتو" و"موساشي".

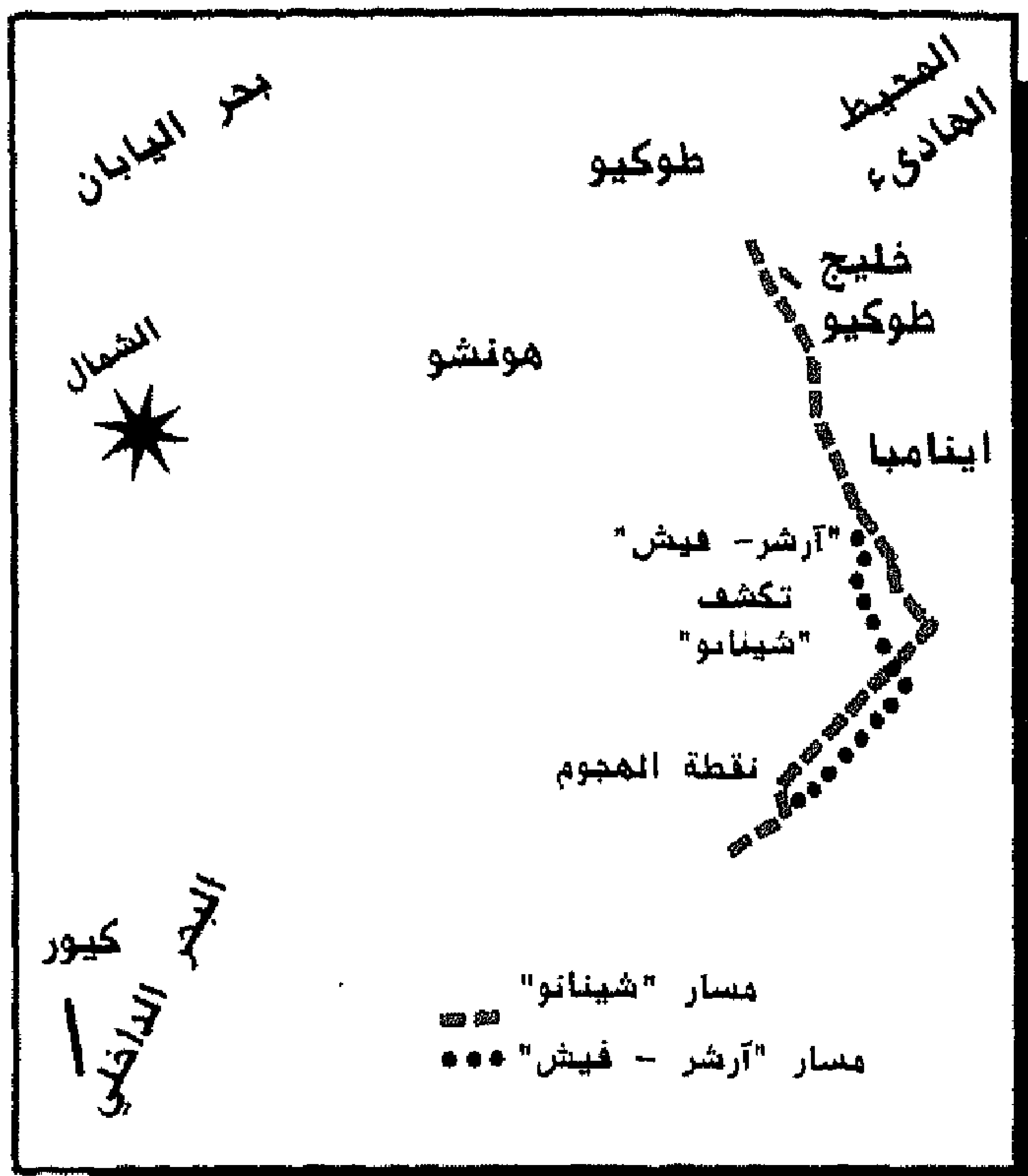
ثم انقلب التباطؤ فجأة اسراعاً بعد ستة أشهر من جراء هزيمة اليابان في معركة ميداوي في يونيو (حزيران) ١٩٤٢. وقد ألحّ المخططون الحربيون على تحويل "شينانو" فوراً من بارجة كبيرة إلى حاملة طائرات عملاقة.

حُجز ألوف البنائين العاملين عليها في ساحة المجمع تحت تهديد بالحبس أو الاعدام إذا ما تلفظ أحدهم بحرف عن وجودها.

ركزت خطط التحويل على تصفيح الباخرة بالدروع. وقد زُودت نتوءات كبيرة تحت خط الماء للتخفيف من الأضرار عبر تفجير صواريخ الطوربيد قبل بلوغها الهيكل الأساسي.

كما كانت "شينانو" حسنة التجهيز لتحمل هبوب العواصف. وبلغ وزن الفولاذ المركب على سطوحها الحاملة للطائرات، اضافة إلى مواد وقاية أخرى، ١٧٧٠٠ طن، ووزن الماء المنزاح بنزولها ٧١٨٩٠ طناً. وفي العام ١٩٤٤ كانت "شينانو" اكبر حاملة طائرات على وجه الأرض.

في نهاية العام ١٩٤٤ تدهورت حال اليابان في الحرب. وحين ذاعت النتائج




الفاجعة لمعركة خليج ليت في أواخر اكتوبر (تشرين الأول) مارس القادة الحربيون اليابانيون ضغطاً لاتمام "شينانو". فعمل البناؤون جاهدين في اعداد الحاملة لانزالها الى البحر.

وضعت "شينانو" رسميا في الخدمة في ١٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٤. وزينت منصة القيادة فيها لوحة مؤطرة للأمبراطور هيروهيتو.

وقرّ القرار آنذاك على نقل "شينانو" حالاً إلى مسافة ٩٠٠ كيلومتر من منطقة طوكيو ـ يوكوسوكا حيث كان من المتوقع شن غارات جوية واسعة النطاق، إلى مناطق أكثر أمناً في كيور في البحر الداخلي. هناك يتم تجهيزها وتزود العدد اللازم من الطائرات المقاتلة والقاذفة القنابل.

وقد نجحت الجهود في ابقاء بناء "شينانو" طيّ الكتمان، إذ لم يرد ذكرها في "دليل التعرف"، الصادر عن البحرية الامريكية. وكانت أخواتها الثلاث معروفة منذ عهد طويل، لكن قوات الحلفاء كانت تجهل كل شيء عن الحاملة العملاقة، حتى عند إبحارها من خليج طوكيو ليلة ٢٨ نوفمبر (تشرين الثاني).

اما الآن وقد بلغت "شينانو" البحر المنسرح فقد نبه ضباط المراقبة على متنها المراقبين الخمسة والعشرين إلى البقاء يقظين. فقد تكون الغواصات محومة حولها مترصدة تنتظر مهاجمتها من مكمن وهي في رحلتها البحرية البكر.

هجر القبطان آهبي مقعده في ميمنة المنصة فوق سطح الطيران. وظل واقفاً على قدميه يتلقى التقارير الواردة.

"سيدي، لقد اكتشفنا راداراً معادياً. إن الموجة وسرعة الذبذبة تشيران إلى ان مصدرهما غواصة أمريكية. لا اتجاه محدداً."

أطبق القبطان آهبي فكيه: "ما الساعة؟"

ـ التاسعة عشرة والربع يا سيدي.

همهم القبطان آهبي كأنه يحدث نفسه: "هل بلغ حمق الامريكيين درجة ظنوا معها أن في وسعهم استعمال رادارهم ـ وإن لفترات وجيزة ـ من دون أن نأخذ علماً بوجودهم؟"

بعد لحظات اتجه القبطان آهبي إلى

الملاح ناكامورا قائلاً: "يقيني أن ثمة سرب غواصات معادياً ينتشر حول شينانو. لا ريب في أن الغواصة التي اكتشفنا رادارها تنوي أن تشكل طعماً يغرّر بمدمراتنا الواقية لشينانو ويبعدها."

## إقتفاء ومطاردة

جلستُ على منصة "آرشر - فيش" مستغرقاً في التفكير. وراقبت من خلال منظاري النقطة السوداء في الأفق تتشكل ببطء. ما هي؟ لكم وددت أن تكون بارجة كبيرة!

تابعنا جمع المعلومات عن الهدف الغامض. لقد عرفنا إلى الآن مسراه العام وسرعته، لكننا في حاجة إلى معطيات أخرى قبلَ أن نفكر في هجوم ما.

راقبت والملازم سيغموند (بوب) بوبزنسكي الشكل يلوح طويلاً منخفضاً في الأفق. لا منصة ولا صوار يمكن تبينها بعدُ، على رغم البدر المنير.

أخيراً اجترأت على البوح بحدسي: "أظنها ناقلة نفط يا بوب. هذا ما يدل عليه الشكل."

"اوافقك الرأي يا كابتن."

نادانا بوزا من برج المراقبة وأخبرنا أن الفريق العامل على جهاز الرادار التقط إشارة لامعة صغيرة إلى يسار الهدف. وأضاف: "انها تجري بسرعة. لعلها حامية مواكبة."

اتفقت وبوب على أن الرؤية في الليل واضحة، لذا ينبغي أن نفكر في هجوم من سطح الماء.

قلت مفصحاً عن خططي: "أولاً، سننسحب من مسارنا متجهين غرباً، مما سيضع الهدف مسامتاً للقمر. وهذه الغيوم الداكنة فوق اليابسة إلى الشمال الغربي من شأنها أن تحجب غواصتنا عن نقاط مراقبة العدو."

في هذه الاثناء كان ضابط رادارنا يمشط دائرته في نطاق ٣٦٠ درجة كل بضع دقائق، لتأمين عدم تسلل أي عدو بقصد هجوم مفاجىء.

أوجست خيفة من السماح باستعمال الرادار بحرّية اذ نكون على مقربة من العدو. وكنت مدركاً أن ذلك مخالف لمبادىء البحرية. لكني مضطر إلى معرفة الشيء المبحر هناك.

حسبت أن السفن اليابانية اكتشفت الاشارات التي أطلقها رادارنا. أغلب الظن أن اليابانيين على معرفة بوجود غواصات معادية في هذه البقعة قبالة هونشو. انها منطقة شهيرة سهلة الاكتشاف وعرضة لهجوم الغواصات الأمريكية منذ باكورة حرب المحيط الهادىء.

في العاشرة الا ثلثاً مساء نادى البحار اروين ستيوارت المعروف بحدة بصره ليلاً، من نقطة مراقبته على المنصة: "يا ملازم آندروز، تلك السفينة تشبه حاملة طائرات."

تدخّل بوبزنسكي مقاطعاً: "يا كابتن، انها حاملة طائرات حقاً، لا ريب في ذلك، لا ريب."

ثبتّ منظاري على الهدف. يا سعدنا! بدلاً من ناقلة نفط ها نحن على موعد مع بارجة كبيرة تدنو منا. كنت منشرح الصدر. ينبغي أن نوقع بهذه العدوة.



أفراد طاقمنا في حاجة إلى انتصار. وأنا أهفو إليه أيضاً. ذكرياتي تراودني عن أيام أمضيتها قبطاناً للسفينة "ديس" الأمريكية قبل عام. لقد أضعت فرصة كبرى آنذاك إذ اتبعت التعليمات الحربية الموحدة بحذافيرها عوض الاصغاء إلى حدسي. كنت قبلاً في هذه المنطقة قبالة خليج طوكيو، حين أرسل قائد أسطول الغواصات في المحيط الهادىء ايعازاً سرياً إلى "ديس" مبيناً موقع حاملة طائرات يابانية ضخمة ومسارها وسرعتها. كانت في حوزتنا معلومات

وافية عن العدو، أو هذا ما غلب على ظني.

وإذ اتجهنا صوب الموقع المسمّى، أبلغني الملاح أن التيار "كوروشيو" يجري بنصف سرعته المعتادة. وبسبب هذا التغير الاستثنائي، حسب قوله، ستظهر الحاملة على مسافة ١٧ كيلومتراً من الموقع الذي حددته أجهزة الاستخبار. إذاً ينبغي أن نجري تعديلات طبقاً لذلك.

شعرت في سريرتي بأن الملاح محق. ولكن هبه أخطأ؟ لم أشأ أن أكون الرجل الذي سيخبر قائد الاسطول بأننا لم نلتزم تعليماته. ودفاعاً عن رتبتي في البحرية، توجهت إلى الموضع المحدد لي. لكن الحاملة ظهرت على بعد ١٧ كيلومتراً تماماً، بعيداً عن مرمى مدافعنا.

وإني عانيت من ذلك القرار أشد المعاناة. أما الآن، وبصفتي قبطان الغواصة "آرشر ـ فيش"، فقد أدركت أن التفكير الجامد ليس السبيل إلى النجاح في سلاح الغواصات. وعرفت حق المعرفة أن الأوسمة والميداليات في المعارك ينالها الجسورون، أولئك القادرون على اتخاذ قرارات فورية حازمة.

وإذ عاينت وبوب الشكل الضخم البارز في الأفق، شاهدنا ثلاث مدمرات تواكبه. وكلانا يعرف أن الشروع في هجوم على بارجة حربية تحميها عدة سفن هو التهور في ذاته.

فرصتنا الوحيدة في إصابة الحاملة هي في مواصلة الابحار بالسرعة القصوى في مسار موازٍ للعدو، داعين أن يبدّل الهدف مسراه المتعرج في إتجاهنا.

طقطقت حبات مسبحتي القابعة في جيب سروالي الكاكي المبلل المتغضن، وهي هدية أمي إليّ أيام صباي، راجياً أن يتم التحول المطلوب.

لقد مرت ساعة بحالها على تحديدنا موقع حاملة الطائرات، وشرعنا في الغوص ببطء خلفها. المحركات الأربعة في غواصتنا تزودنا الطاقة القصوى لبلوغ سرعة ٣٥ كيلومتراً في الساعة. بدا أن النصر يتعمد أن يفوتنا. فمن المنصة التي أجلس عليها لمحت الحاملة منسحبة. استمطرت عليها اللعنات.

أمسكت بسياج المنصة فيما غواصتنا البالغ طولها ٩٥ متراً تندفع إلى الأمام محاولة أن تبقى على مسافة ضاربة. أخذت أفكر في قبطان الحاملة. من تراه يكون؟ وكنا استعملنا رادارنا مراراً خلال ساعات. لا شك في أنه مدرك حضور "آرشر ـ فيش." إن نقاط المراقبة في أقرب مدمرة قادرة على اكتشافنا. لم لا يبالي بنا؟

أيقظني من سرحاني صوت بحارنا المراقب الحاد البصر سينوارت: "يا كابتن، احسب أن المدمرة الكبرى في سبيلها إلينا." ليس في ذلك شك. فنحن نرى الحاملة والسفن المواكبة كألعاب بالغة الصغر في ضوء القمر. اليابانيون يتخذون وضع الهجوم!

ومن دون حركة واحدة تضيع الوقت أصدرت أمري: "نقاط المراقبة في الأسفل: استعدوا للهجوم!"

هيكل "شينانو" الفولاذي يجوب المحيط الهادىء في سكون. حركتها

انقذاف وئيد مهدهد من مقدم السفينة إلى مؤخرها. وعلى منصة القيادة ينهمك الملاح ناكامورا ومساعده انساين تاداشي ياسودا في رسم خريطة تبدل مسار السفينة. ياسودا ما زال حديث العهد على تحمل مسؤوليات كهذه. انه خريج جديد في الاكاديمية البحرية، وهو مقرّب من القبطان آهبي، وقد وُهب ذهناً متقداً وتمالك نفس عجيباً.

ناكامورا أيضاً ينفذ مهماته رابط الجأش. لكنه مثل كثيرين من أفراد طاقم السفينة، يخشى عدم وجود مجاز آمن. وهو على علم بأن القبطان آهبي قلق إذ طلب ارجاء موعد الابحار.

وورد في الالتماس الذي رفعه القبطان آهبي إلى القيادة العليا للبحرية الامبراطورية أن "شينانو"، بسبب التعجيل في إنجاز بنائها، تنقصها قطع لمراجلها. إذ ان ثمانية مراجل فقط من أصل أثني عشر مرجلاً عاملة، مما يعني خفض السرعة القصوى من ٥٠ كيلومتراً إلى ٣٧ في الساعة. كما أن آهبي ذكر أن غالبية الحجيرات المانعة للهواء في الحاملة، وعددها ١١٤٧، لم تُفحص، وأن عدداً من بحارته لم يتلقَّ تدريباً كافياً.

لكن ما يدعو إلى الاستغراب أن طلب آهبي رفض فوراً. ومنذ ذلك الحين تطيّر أفراد طاقم السفينة وتوجسوا شراً.

بعد ذلك وردت على القبطان آهبي أنباء مقلقة. إذ أن الغواصة اليابانية "إ - ٣٦٥" أنجزت دورية دامت ٥٠ يوماً في المنطقة وأبلغت عن رؤية أفواج من الغواصات الامريكية، بينها جوّابات في أسراب من ست أو سبع.

كما أن مركز القيادة أبلغه أن جميع أسراب الطائرات المتوافرة منهمكة في مهمات قتالية، أي لا غطاء جوياً لأغلى الحاملات اليابانية!

رأى آهبي أن سلوك مجاز مجرد من الغطاء الجوي صباحاً هو عمل جنوني. فطائرات الاستطلاع الأمريكية قد تعثر على "شينانو" فترسل اشارات لاسلكية إلى أسراب طائرات الطوربيد لمهاجمتها والقضاء عليها.

ولتفادي ذلك قرر آهبي أن تندفع "شينانو" جنوباً عند الغسق نحو مياه عميقة الغور. إن العبور ليلاً يستغرق وقتاً أطول ويؤدي إلى نقطة أبعد في البحر.

لكن القبطان آهبي يركن إلى سرعة "شينانو" الفائقة لسبق الغواصات العدوة. ونهى آهبي ايضاً عن استعمال رادار "شينانو" أو أي رادار آخر في السفن المواكبة لها، اجتناباً لاكتشافها. وعوض ذلك تتصل السفن في ما بينها بأنوار الاشارة. كما أمر بأن تظل السفن المواكبة متيقظة وقريبة جداً من "شينانو"، وألا تتحول عن مراكزها استجابة لأي مكيدة.

اعتدل ناكامورا في وقفته أمام خرائطه وقد نال منه التعب قليلا، لكنه أحس بالغبطة إذ عرف أن "شينانو" ستكون في غضون ساعات مبحرة بأمان في مضائق البحر الداخلي.

في تمام الحادية عشرة إلا ربعاً ليلاً أزّ الجرس الطنان في هاتف الاتصالات ناقلاً رسالة من منصة المراقبة. فانكمش إنساين ياسودا متخوفاً.

"أنا ناظر نقاط الرصد يا سيدي. لقد

شاهدنا جسماً مجهول الهويـة إلى ميمنتنا."

هرع القبطان آهبي إلى مقدم المنصة وقال: "أجل، ها هو، على بعد نحو ١٥ أو ١٦ كيلومتراً أتراه؟"

أجاب ناكامورا: "يبدو كسفينة صغيرة يا سيدي."

قال إنساين ياسودا متحزرا: "لعلها غواصة يا سيدي. فخطوطها تشبه خطوط الغواصات."

سأل ضابط الاتصالات: "أنطلق النار يا سيدي؟"

أجاب القبطان آهبي: "لا تطلقوا شيئاً! وإلا تأكد لهم أننا بارجة كبيرة. لعلهم لم يشاهدونا."

برج المراقبة يغلفه صمت تقطعه بعد دقائق صرخة من أحد المراقبين:

"يا كابتن آهبي! المدمرة ايسوكازا! لقد تركت موقعها، وهي تندفع بأقصى سرعة صوب السفينة المجهولة."

المناظير كلها تنفتل في اتجاه مقدم الحاملة. "ايسوكاز" ليست في وضعها الصحيح أمام "شينانو" على شاشات الرادار. انها تمخر العباب وترسل أثراً على سطح الماء مطبقة على الجسم الدخيل. أقل من ثمانية كيلومترات تفصل بينهما. مدافع "ايسوكاز" من عيار ١٣ سنتيمتراً يمكنها أن تقصف على بعد ضعفي تلك المسافة.

## إنتواري

أمرت بإخلاء المنصة ونقاط المراقبة في الأسفل، باستثناء ضابط متن الغواصة، في حال اطلاق المدمرة المندفعة النار نحونا. إذ كلما قل عددنا في القسم الأعلى انخفض عدد الاصابات.

ركزت منظاري على المدمرة. يا لسرعتها! سألت: "ما المسافة يا جون؟"

ـ أقل من تسعة كيلومترات.

أدركت أن لدي لحظات لأتصرف. عنّ لي الغوص أولاً. ولكن إذا أصدرت الأمر بالغطس فسيدرك قبطان المدمرة هويتنا. لعله في شك من أمره الآن، ظاناً أننا قارب صيد. ولذا، على الارجح، لم يطلق النار. وإذا ما غطسنا فإننا يقيناً نخسر كل فرصة لأن نغدو في وضع يمكّننا من مهاجمة الحاملة، وذلك بسبب سرعتنا المخفوضة.

قررت أن أبقى على سطح الماء، وألا نغطس إلا إذا ما بادرتنا المدمرة باطلاق النار. وفي حال حدوث ذلك تستدير "آرشر ـ فيش" ٩٠ درجة مبتعدة، وتطلق ثلاثة صواريخ طوربيد أمامية على السفينة المقتربة، ثم نغطس في المياه راجين أن نصيبها مباشرة. فثمة غواصات أمريكية أخرى سجلت اصابات بهذه الطريقة. ولا جدوى من المطاردة على سطح الماء، إذ إن المدمرة ستدركنا تواً فتفجّرنا مدافعها في لحظات وتتناثر غواصتنا قطعاً.

حافظنا إذاً على مسارنا. وتشبثت والملازم آندروز بقضبان المنصة فيما "آرشر ـ فيش" تجري في خط مواز لمسار الحاملة. اندفعت المدمرة أقرب فأقرب كأنها تنوي دكّنا. وراقبناها وهي تدنو بأقصى سرعتها كي تسحقنا وترسلنا إلى قاع المحيط. وكنت متنبها إلى وجوه تحدث من خلال الكوة المفتوحة.

الرجال يصغون إلى أوامري كي يعملوا بمقتضاها فوراً. الأمر بالغطس ينفذه الملازم كازنز في غرفة التحكم. ومن ثم يهبط ضابط متن الغواصة بسرعة إلى برج المراقبة. وأتبعهما أنا بعد ضمان إقفال الكوة فيما تباشر "آرشر ـ فيش" الغوص إلى الملاذ في المياه العميقة. كنا على قابي قوس من تلك اللحظة. المدمرة المعادية قد تجري فوقنا في دقائق. لِمَ لمْ تطلق النار؟

صرخت: "استعد يا جون. استعد للهبوط إذا ما استمرت في الاقتراب. أسرع!"

كنت مستطاراً فرحاً كصبي في قطار سريع بمدينة الملاهي. انه زمن محفور في ذاكرتي لا يمحي. أنا وجون وحدنا على المنصة نتمسك بالقضبان الزلقة بفعل رشاش الماء ونحافظ على مواطىء أقدامنا. "آرشر ـ فيش" تجري بسرعتها القصوى عبر المياه السوداء بلون الحبر مخططة بنور القمر. والسفينة المعادية تجهد لتجعلنا في قبضتها.

فجأة، على مسافة بعيدة، لمع ضوء أحمر على رأس شراع الحاملة بارقاً عبر البحر. ما الداعي إلى ذلك؟ تساءلت متعجباً. لم أر قط بارجة حربية ترسل أنواراً في الليل. انطفأ النور ثم أضاء عشر ثوان لينطفىء ثانية.

صحت في جون: "أظنه يأمر المدمرة باطلاق النار."

وقبعت منتظراً الومضات الرهيبة والرذاذ، ولكن ما من شيء.

صرخ آندروز: "انها تستدير يا كابتن. انها تستدير مبتعدة عنا."

لم أصدق ما سمعت. المدمرة تبتعد من دون طلقة واحدة من مدافعها.

"لا أفهم ما يجري يا كابتن. لا شك في أنها سفن يابانية. نحن نعلم أنها غادرت خليج طوكيو. لعلهم رأوا أننا لا نستأهل الضرب."

قلت: "هذا أغرب ما رأته عيناي."

أصغيت إلى الرجال وهم يثرثرون بارتياح في الاسفل. ما العمل الآن؟

جاء تقرير من الكوة المفتوحة: "كابتن، الحاملة تغير مسارها. المدى يزداد. لقد استدارت ٣٠ درجة إلى اليسار. الاتجاه الآن ١٨٠ درجة."

قلت: "أوعز إلى المراقبين بأن يعودوا إلى مراكزهم." وإذ حملقت في الهدف من فسحة المحيط، كان شكل ظله متبدلاً بسبب المسار الجديد. كان يصغر وينأى إلى الأفق الجنوبي. وتلاشت المدمرات في أضواء الليل.

ارتقى بوبزنسكي أعلى الغواصة استجابة لأوامري. ولبثنا ساكنين لهنيهات محدقين إلى السفن وهي تبعد عنا أكثر فأكثر. لا سبيل إلى اللحاق بالحاملة في مسارها الجديد، فهي تجري بسرعة فائقة.

أملنا الوحيد أن يكون مسراها الجنوبي الغربي، البالغ نحو ٢١٠ درجات والذي سلكته منذ رأيناها، هو المسار العام، وأن يكون الهدف من تبدّل اتجاهها الابتعاد عنا.

وقر رأينا على أننا إذا ما بقينا مقتفين المسار العام للحاملة، مفترضين أنها ستسلكه في نهاية المطاف، لاستطعنا اعتراضها.

نظرت من الكوة الامامية إلى البحر الفسيح. الحاملة تكاد لا ترى حتى عبر المنظار. لقد غابت عن الانظار وابتلعتها الظلمة بسرعة. تساءلت خائباً عما إذا كنت سأراها مرة أخرى.

## "شينانو" التي لا تقهر

ثبت القبطان آهبي نظره على المدمرة "ايسوكاز" الهاربة مزبداً إذ وقف على منصة المراقبة في "شينانو". لقد شدد على الحذر وجاءت تعليماته محددة: لا يقعنّ أحد في شرك أمريكي فيندفع في اشتباك بمفرده. كيف تجرأ قبطان المدمرة على عصيان الأوامر تاركاً "شينانو" من دون حماية؟

سأل الملاح ناكامورا والالحاح ملء صوته: "أنشير اليها بأن ترجع إلى موقعها يا سيدي؟"

أجابه القبطان آهبي: "انتظر لحظة. هل تستدير؟" كان القبطان وضباط الاركان والمراقبون يحدقون إلى "ايسوكاز" من خلال مناظيرهم. لم ينبس أحد بكلمة.

سأل ناكامورا: "أتظنها السفينة نفسها التي كانت ترسل اشارات رادار يا سيدي؟"

- من دون شك. لقد بقيت عائمة على رغم أن قبطانها يعرف تماماً أنها مرئية لنا. انها طعم بلا ريب. وهي تسعى إلى استدراج حامياتنا لمهاجمتها فيما تقترب الغواصات الأخرى إلى شينانو من تحت الماء.

"يبدو أنها نجحت في مسعاها يا سيدي."

لم يحر القبطان آهبي جواباً، وأبقى منظاره مثبتاً على "ايسوكاز" وهدفها بالتناوب. وقد تساءل لماذا لم تعمد المدمرة، المتحرقة الى مطاردة السفينة المعادية، إلى اطلاق النار. واستنتج أن "ايسوكاز" عازمة على صدم الغواصة.

التفت القبطان آهبي إلى الملاح قائلاً: "يا ناكامورا، أشر إلى ايسوكاز بأن تعود حالاً إلى مركزها الصحيح."

تلقى إنساين ياسودا أوامر القائد ونقلها. وفي الأعلى ومض نور اشارة أحمر. وعلى بعد ١١ كيلومتراً لبى مدير دفّة "ايسوكاز" الأمر بادارة الدفة إلى أقصى اليسار.

راقب القبطان آهبي عابساً انكفاء "ايسوكاز" ودنوها من المسار الذي يعيدها إلى موضعها السابق عند ميمنة "شينانو"، ثم خاطب ناكامورا ثانية: "ستستمر شينانو في مسارها على ١٨٠ درجة حتى اصدار أوامر أخرى. إذا كانت تلك غواصة عدوة فسنخلفها وراءنا. انها ستجري بسرعة ٣٥ كيلومتراً في الساعة في حدها الأقصى، وإذ تبلغ سرعتنا ٣٧ كيلومتراً في الساعة فسنسبقها عما قريب."

رد الملاح: "مفهوم يا سيدي."

وعندما قصد القبطان آهبي مقدّم المنصة في نوبة مراقبة بمفرده، لم يساوره قلق في شأن أي غواصة معادية وجدها. كان يهدف إلى تفادي انقضاض سرب من الغواصات المغيرة. ولتأكيد ثقته هذه استعاد في باله أحاديث شتى مع نائب قائد الاسطول كيجي فوكادا، المصمم الياباني الاشهر للسفن. وهو

طمأنه إلى أن اغراق "شينانو" قد لا يكون مستحيلاً لكنه صعب التنفيذ. فقد أخذ مصمموها كل احتمال في الحسبان كي يجعلوها لا تغرق. ما من غواصة تستطيع منفردة الاجهاز على "شينانو".

قرابة الحادية عشرة والثلث ليلاً أبلغ مناوب الحراسة في غرف محركات "شينانو" أن محمل عمود الادارة أفرط في سخونته على نحو خطر. واتخذت اجراءات طارئة للاصلاح، بينما غسل المحمل بخرطوم من ماء البحر. لكن ذلك لم يجدِ، فأرغمت الحاملة على خفض سرعتها. عندئذ بدأت حرارة المحمل تتدنى. وإذ بلغ القبطان آهبي أن "شينانو" عاجزة عن الابحار بسرعة تفوق ٣٣ كيلومتراً في الساعة ريثما يتم اصلاح المحمل في حوض السفن، هزّ رأسه باشمئزاز. الآن في وسع أي غواصة مترصدة ان تجاري "شينانو" في سرعتها.

## مراقبة وانتظار

دأبت على تمرير منظاري بلا طائل على مشهد البحر المتلاطم بحثاً عن أثر للسفينة التي نستهدفها. ابتهلت ثانية راجياً أن يكون بوبزنسكي مصيباً إذ قال ان الحاملة ستدور في آخر المطاف عائدة إلى مسارها العام على ٢١٠ درجات.

ورداً على أفكاري أبلغ عن شكل ظليل في النور الأحمر المنبعث من برج المراقبة: "يا لسعدنا أيها القائد! الرادار يشير إلى أن الهدف بدّل من مساره جذرياً، قاصداً الغرب."

بعد هنيهة أخبر الملازم آندروز أن الحاملة هي في مجال الرؤية ثانية. سددت منظاري فرأيتها مع حاميتها. ووددت أن أصيح جذلان.

هبطت إلى برج المراقبة، وبوب خلفي. رحنا نذرع الارضية جيئة وذهوباً كأسدين في قفص. تفحصنا الخريطة محاولين تخمين مقاصد الحاملة لكي تقطع مسافة كبيرة من مسارها العام يجب الا يبقى مسلكها متعرجاً لوقت طويل، إذ انها آنئذٍ قد تدنو منا في أي حين.

مرت الدقائق ومنتصف الليل يدنو. لو أنها استدارت إلى مسارها لكنا في موضع مناسب لمهاجمتها.

عقارب الساعة تشير إلى منتصف الليل تماماً. يوم جديد يطل: الاربعاء ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٤. والحاملة الملعونة لم تستدر بعد. ارتقيت المنصة منهكاً وحدقت إلى الحاملة. ان قيض لنا أن نهاجمها، فلا بد لها من أن تخفف سرعتها بمقدار ملموس او تستدير في اتجاهنا. وددت لو أنها تفعل أحد الأمرين، أو أن تبدل مسارها. وسوى ذلك ما علينا إلا أن نراقب وننتظر.

رذاذ ماء بارد يبلل وجهي ويدفعني إلى تركيز انتباهي. وجدت أننا نتخطى اتجاهنا بضع درجات. اما أن نكون زدنا سرعنا واما أن الهدف أبطأ سيره لعل التيار ذو سرعات متفاوتة تؤثر على السفينتين على نحو مختلف، إذ لا يعقل أن تعمد حاملة في منطقة ملأى بالغواصات المعادية إلى خفض سرعتها قصداً.

الفرصة مؤاتية على بعد نحو ١٥ كيلومتراً. الحاملة في مرمى مدافعنا. لكن ذلك شبيه برشق عشبة على فيل. علينا

أن نقرّب "آرشر ـ فيش" كفاية لاطلاق صواريخ الطوربيد. هذا ما سيجعل الفرصة واقعاً.

أفول القمر متوقع في الخامسة والدقيقة السابعة فجراً. وإذ يحدث ذلك أفقد النور الذي يخوّلني الهجوم بمساعدة البريسكوب. بعد ذلك ستنير السماء شمالاً اشارة إلى قرب بزوغ الصبح، فنضطر إلى الغوص كي لا نرى.

## الانعطاف

في الثانية والربع من صباح الاربعاء ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٤ كانت حاملة الطائرات اليابانية "شينانو" مبحرة إلى الغرب. وقد مضى عليها في رحلتها البكر ما يزيد على ثماني ساعات. وقف القبطان آهبي متسمراً على المنصة. تفكر موسوساً في أن الغواصة الأمريكية قد تكون في أي مكان.

لو أن في مستطاعه اكتشاف اشارات رادارها، لبقيت طافية ولما شكلت خطراً على "شينانو"، إذ ستتمكن نقاط المراقبة لديه من تحديد مكانها قبل أن تبلغ مرمى الطوربيد بوقت طويل. لكن إذا لم تكشف اشارات الرادار فذلك يعني أن الغواصة غطست في الماء عازمة على الهجوم.

وطرد آهبي خاطراً لاح لذهنه: صورة الحاملة "هيريو" التي أغرقت ذات صباح من شهر يونيو (حزيران) بعد معركة ميدواي. كانت الحاملة المتغطرسة لا حول لها مائلة على جنبها. وقد طلب العميد البحري تامون ياماغوشي، قائد كتيبة الحاملات الثانية في ميدواي، وتوميو كاكو قبطان الحاملة "هيريو"، من مدمرات القبطان آهبي أن تقصف "هيريو" بالطوربيد للحؤول دون وقوعها أسيرة في أيدي الامريكيين. وإذ حملق آهبي بحدقتين واسعتين في النافذة المظلمة على المنصة، استعاد ذكرى غرق "هيريو". انه لا يزال يرى قائد الاسطول العميد ياماغوشي والقبطان كاكو متعانقين ببسالة على منصتها. لقد أوثقا جسديهما اليها بالحبال جاهزين للموت. وهكذا سيذكرهما أبداً.

في الساعة ٢،٤٢ هرع القائد يوسا آراكي، ضابط الاتصالات، إلى آهبي قائلاً: "سيدي، لقد اكتشفنا ارسالاً لاسلكياً آخر للعدو. ويبدو من قوة الارسال أنه قريب جداً، على بعد ١٨ كيلومتراً أو ٣٦."

انهم الأمريكيون. عليهم اللعنة! ثم قال آهبي كلاماً بليغاً: "حسناً أيها السادة، لا شك في أنها رسالة من قائد سرب الغواصات إلى مركباته الأخرى، فيها بلاغ عن موقعنا وسرعتنا. ولعله أمر بالاستعداد للهجوم. لا علم لنا بموقعه. إلى أي اتجاه نستدير؟"

لا جواب حاضراً. الدقائق تتكّ فيما القبطان آهبي يتفكر ملياً ويمحّص الخيارات. ثم نطق أخيراً: "يا ملاح، ستتجه شينانو يساراً مرة ثانية إلى درجة ٢١٠. دوّن ذلك."

انحنى انساين باسودا على الخريطة، علّم المسار وذكر الوقت: انها الساعة ٢،٥٦ من ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٤. وإذ فعل ذلك شعر بهيكل "شينانو" الضخم يستدير يساراً.

وأسرّ القبطان آهبي إلى نفسه: الفجر

يمنح نقاط ترصدي الأفضلية. وعندئذ ستكون "شينانو" قريبة من مدافع الشاطىء التي تحمي مضائق البحر الداخلي.

كان واقفاً وحده في مقدم الحاملة حين ظهر القائد آراكي إلى جانبه: "سيدي، لقد انقطع ارسال رادار العدو فجأة في الساعة ٣،٠٥."

الغواصة إذاً توارت تحت سطح الماء. أعطى آهبي توجيهاته: "أيها القائد آراكي، أشر إلى المدمرات بأن شينانو في خطر محدق. الغواصة المعادية قد تباشر الهجوم في أي لحظة."

## "اغطسوا! اغطسوا!"

نظرت إلى ساعة يدي. انها ٢،٥٠، ولا تحوّل في مسار حاملة الطائرات. دعوت بصمت لكي تستدير. كانت الساعة تقارب الـ٢،٥٦ عندما أشاح الحظ عن "شينانو."

ها هي تستدير بغتة في اتجاهنا ماضية صوبنا. الحاملة العملاقة والمدمرات المواكبة تتجه مباشرة إلى حيث "آرشر ـ فيش". أريد أن اثب فرحاً على المنصة.

ناديت بوبزنسكي في برج المراقبة: "لقد استدار الهدف يا بوب. انه يتجه الينا. لا أود أن نغوص إلا عند الضرورة. ولكن ينبغي أن نتوارى قبل أن يرانا العدو."

جرت "آرشر ـ فيش" غرباً بسرعة مدة خمس دقائق للتمركز في أحد المواقع على مسافة قريبة من أحد جوانب المسار المرتقب للحاملة. اردت أن أهاجم الجانب الأعرض لأحظى بأكبر هدف أسلط عليه صواريخ الطوربيد الستة الأمامية، ولأكون في مدى يراوح بين ٩٠٠ و١٨٠٠ متر. وإذ قدّرت أن "آرشر ـ فيش" بعيدة على نحو كافٍ من المسار، انعطفت يميناً في خط موازٍ للحاملة. ثم استدارت "آرشر ـ فيش" يميناً- بعد دقيقتين لتصبح في موضع مثالي لاطلاق النار.

بعد مرور ثوان على الساعة ٣،٠٤ صاح بوب: "يا كابتن، المدى الآن ١١ ألف متر."

انفتلت صوب الملازم آندروز: "حسناً يا جون، أغطس."

فجأر جون تواً: "أغطسوا! أغطسوا!" وطنّت صفارة الانذار في أرجاء الغواصة.

كل الامور مضبوطة كالساعة. وبين تردد صفارة الانذار واستوائنا على عمق البريسكوب انقضت دقيقة واحدة. ضغطت رأسي على البريسكوب الرقم ٢ محدقاً من خلال عدسة الرؤية. الخطان المتصالبان مثبتان على هدفنا. هممت: "تعالي، تعالي يا حلوتي."

نحن الآن في المراحل الختامية من الاعداد للهجوم. الحاملة اليابانية الضخمة تدنو بسرعة ٥٥٠ متراً في الدقيقة. ان الخطوة التالية خطوتنا إذا لم يتعرج الهدف في مساره.

أمرت: "املأوا المواسير. وحددوا عمق صواريخ الطوربيد بثلاثة أمتار."

وأعلنت لطاقم الغواصة: "نحن قريبون من التماس مع مقدم الهدف. سنطلق النار إذ يدخل نطاق مرمانا."

منظار البريسكوب صاعد، نازل، بصمت ضمن غلافه الصقيل، متيحاً نظرات سريعة مختلسة، لم أشأ أن يطفو فوق

السطح أكثر مما تستلزم الضرورة، إذ من السهل أن تكتشفنا مراصد العدو في هذه الحال.

كنت متشوقاً إلى التعرف إلى الحاملة. فوصفت سماتها للرجال المحيطين بي. كان انساين غوردون كروسي إلى جانبي ممسكاً بدليل التعرف البحري. رسمت شكلاً تخطيطياً سريعاً للسمات البارزة في الحاملة المعادية. فنظر غوردون إلى رسمي ثم تصفح الدليل. وقال أخيراً: "لا يملك اليابانيون حاملة كالتي رسمت."

– لا يملكون؟ هراء! إني أنظر اليها!

## أصبناها!

تبينت مناورة غير متوقعة من المدمرة الواقية لميمنة حاملة الطائرات. علي اللعنة إن لم تكن تبدل مسارها وتتجه مباشرة إلى بقعتنا. آن الأوان لاتخاذ قرار آخر بسرعة. أعلنت بصوت مرتفع: "هناك مدمرة معادية تتجه صوبنا. وستمر على بعد نحو ١٨٣ متراً أمامنا."

في الواقع كنت أعلم أن مسارها سيقربها أكثر، ولكن لِمَ زرع الذعر في نفوس الجميع ما دام أحد منهم لا يستطيع شيئاً؟ وكان لزاماً علي أن أعرف هل تستعمل المدمرة مسبار الصدى(٢) لتحديد موقعنا.

سألت ريتشارد سكانلان العامل على مسبارنا: "هل تستعمل المدمرة مسبارها؟" إن كانت تفعل، فهي قد تكتشفنا، وينبغي علي إذاً أن أغطس "آرشر ـ فيش" في الماء مجتنباً قذائف الاعماق.

أدار سكانلان جهاز مؤالفة التذبذب (٣) في المسبار على محطات الاستقبال كلها ثم قال: "لا يا سيدي، انها لا تستعمله."

أمرت بخفض المنظار وناديت ضابط الغوص: "إنزل إلى عمق ١٩ متراً." في عمق كهذا تصبح المسافة ثلاثة أمتار بين "آرشر ـ فيش" وصلب المدمرة.

البارجة اليابانية تدنو أكثر فأكثر، وضوضاء رفاصاتها ومراوحها تعلو إذ تمخر العباب. داخل "آرشر ـ فيش" لم ينطق أحد بكلمة. كان كل منا ينظر إلى الآخرين منصتاً. ولعل البعض تلا صلاة، وأنا منهم.

المدمرة تكدر المياه فوقنا تماماً. خفقان مراوحها قريب جداً يحبس الانفاس. انها ترعد فوقنا كقاطرة. الغواصة بأسرها تهتز متمايلة بفعل المويجات الصادمة. لبثنا ننتظر، هل سترسل قذائف الاعماق؟ تجمدنا منصتين. ثم جازتنا المدمرة وتلاشى صوت مراوحها سريعاً.

أومأت اشارة "إلى أعلى" بنترة من إبهامي، وحدّقت في المنظار المرفوع. كنا سنرسل صواريخ الطوربيد لو لم تكرهنا المدمرة علي المراوغة.

ركزت خطي المنظار المتصالبين على هيكل الحاملة وأصدرت أمري على عجل: "أطلقوا الطوربيد الأول."

ضغط الريّس جين كارناهان زر الاطلاق، فارتدّت "آرشر ـ فيش" وكأن حوتاً صفعها. انطلق الطوربيد الأول في غمامة من الفقاعات. الآن يسعني أن أحدق إلى

(٢) Echo - ranging sonar

(٣) Frequency tuner

الحاملة مفصلاً. رباه، يا لضخامتها! انها تملأ عدسة المنظار.

انتظر كارناهان انقضاء ثماني ثوان ثم أطلق الطوربيد الثاني. جنحت "آرشر ـ فيش" ثانية. وتلا طوربيد ثالث ثم رابع. مكثت مراقباً الحاملة عبر المنظار. أين ضربات صواريخنا؟

انطلق الطوربيد الخامس، ورأيت من زجاج منظاري كرة نار ضخمة تنفجر قرب مقدم الحاملة. ومن دون أي انفعال أطلق القائد كارناهان الطوربيد السادس.

ترجحت "آرشر ـ فيش" مجددا. ثم تناهى إلى أسماعنا صوت الضربة الأولى، وشعرنا بتموجاتها المنبعثة من ٣٠٠ كيلوغرام من المتفجرات.

صحت: "لقد نلنا منهم!" ولكن من المبكر الاحتفاء بالنصر. فثمة قذائف أعماق ينبغي علينا تفاديها بسرعة. رأيت الانفجار الثاني يمزق هيكل الحاملة بعد ثماني ثوان، على بعد نحو ٤٥ متراً من الانفجار الأول.

حركت البريسكوب لأراقب رد فعل المدمرات. كانت احداها في سبيلها الينا منطلقة من ميمنة الحاملة. والمدمرة التي مرت متخبطة فوقنا قبل دقيقة واحدة، كانت تنهي استدارة كاملة قبل أن تعاود الابحار تجاهنا. يا للعار! الحاملة بدأت تغرق. لا شك في أن مياه المحيط شرعت تتدفق إلى أحشائها، بدت كأن عاليها سينقلب أسفلها.

سمعت صوت طوربيدات أخري تصدم الحاملة من دون أن احصيها. لشد ما رغبت في أن أبقى ناظراً اليها عبر البريسكوب وهي تغرق، لكن المدمرات كانت في هياج جامح. "آرشر ـ فيش" هي الهدف الآن.

## "شينانو، بانزاي!"

في الساعة ٣،١٧ هشّم الطوربيد الأول بدن "شينانو". أعقبه دوي هائل، وتدحرجت كرة لهب حمراء وبرتقالية على ميمنة الحاملة منقذفة إلى السماء المظلمة. وفي غضون الثواني الثلاثين التالية صدمت "شينانو" ثلاثة طوربيدات في فترات فاصلة من ثماني ثوان، وشقت سبيلها إلى مقدم الحاملة.

أدرك القبطان آهبي أن الارتجاجات منبعثة من رؤوس طوربيد تخرق حاملته. حسناً، قال في سره، ليقدم العدو أحسن ما لديه. فقد كان راسخ الاعتقاد أن "شينانو" تعصى على الضرر.

أمر آهبي: "انها صواريخ طوربيد معادية أيها السادة. ليلزم كلّ مركزه. أمدوني بتقارير فورية عن الأضرار. ايها الملاح ناكامورا، أصدر أمراً إلى مدير الدفة ليحافظ على سرعته القصوى."

نظر من خلال النافذة المواجهة للمنصة. "شينانو" تتمايل بسرعة فظيعة. أيمكن ان تتسبب أربع ضربات طوربيد في هذه الأضرار؟ سفينة في هذه الضخامة وهذه الدروع الكثيفة يصيبها ما اصابها؟ لا شك في أن ثمة خطأ ما. ألم تجدِ النتوءات المضادة للطوبيد؟

وردت تقديرات الأضرار سراعاً. ومعظمها ذكر فجوات كبيرة والتواءات في القواطع بين حجيرات الحاملة. لقد أدت الانفجارات إلى ضرر أولي محدود، لكن سرعة "شينانو" المتعاظمة وضغط



غمر الماء مقصورات كثيرة بسبب ثقوب في القواطع والابواب. مئات من الضباط والبحارة ذوي الشهامة شكلوا فريقاً لرفع الماء بالدلاء، لكن المياه تابعت ارتفاعها. بدت العملية كأنها افراغ قارب من الماء تحت شلال منهمر. صيحات الرجال المحتجزين تُسمع في أرجاء الحاملة.

القبطان آهبي مدرك أن المقصورات لو كانت محكمة السد لأتاحت حصر الضرر والتحكم بتدفق الماء. ولكن فيما أمواه البحر تنسكب في جسد "شينانو" المحطم كانت الحال تزداد سوءاً. اذا تعذر وقف الدفق فالحاملة هالكة لا محالة.

قرابة الخامسة صباحاً ماء البحر المندفع إلى مقصورة تلو أخرى أديا إلى دمار أعمّ. وإذ تداعت القواطع زاد وزن أعلى الحاملة لا محالة.

التفت القبطان آهبي فألقى إنساين ياسودا ناظراً إليه، وعلى ملامح الضابط الشاب سيماء الكرب الشديد كأنه يحاول ابلاغ قائده تعاطفه واخلاصه. هزّ آهبي رأسه إذ رأى إنساين، وهذا ليس من خُلُقه، ثم أشاح عنه.

الشمس طوق هزيل زهري يكلل الأفق. صورة الحاملة "هيريو" الهالكة، كخيوط الفجر، تحوّم في ركن من ذاكرته. هل سيعيد التاريخ ذاته؟

بلغ مَيَلان السفينة ١٨ درجة، وتوقف مبخّر المياه الحلوة عن العمل. وفي السابعة تعطلت المحركات لنقص البخار، وعند التاسعة خارت قوى "شينانو". مقدمها الضخم يكاد لا يهز مياه البحر. "شينانو" ماتت.

أَذن القبطان آهبي بنقل صورة الامبراطور إلى مكان أكثر سلامة. مدّ بحار فتي يده لرفع اللوحة حاني الرأس في خشوع. غلّف الصورة في ورق مانع للماء وقماش "كانفا" وربط الرزمة إلى وسطه، وارتدى سترة نجاة كي تبقى الصورة طافية مهما جرى له.

في أثناء ذلك دنت المدمرات من "شينانو" لانزال الجرحى وانتشال المذعورين والواثبين عن متن الحاملة. وفي الساعة ١٠،١٨ أذن القبطان آهبي لبحارته وضباطه بمغادرة الحاملة ولكن لم يكن معقولاً مطلقاً أن يصدر أمراً باخلائها. فكيف تطاوعه نفسه بالتخلي عن "شينانو"؟

أخيراً بقي وحيداً مع ضباط الاركان. ثم حان الوقت ليودعوه بسرعة. شكر لهم القبطان آهبي شهامتهم ونبلهم واخلاصهم وقال لهم: "أنا فخور بكل واحد منكم. فلتذهبوا مباركين."

صمت القبطان آهبي هنيهة ثم اضاف: "سأبقى على متن شينانو. هذا قراري أتخذه بمفردي. كنت في معركة ميدواي وشهدت قرار القائد ياماغوشي والقبطان كاكو بعدم هجر الحاملة هيريو. وقد استنتجت أن ما فعلاه هو عين الصواب لكل قائد. وداعا أيها السادة."

كان الضباط مشرّبين تقاليد الساموراي ومنها احترام رؤسائهم. فلم يحتجوا على ذلك القرار. وحده انساين ياسودا انتحى جانباً.

أمره آهبي: "أدِّ تحية الوداع وانصرف بسرعة. فالحاملة ستكون عما قريب في خبر كان."

- سيدي، أودّ أن أسجّل اللحظات حتى نهايتها، بعد اذنك.

تنهد القبطان آهبي. وحدقا معاً إلى العلم الجديد المرفوع بشمسه الحمراء المشعة في فراغ ابيض.

تحرك بعض بحارة "شينانو" مبتعدين وقد عاموا على قطع خشب في مياه المحيط الباردة. وما لبثوا أن سمعوا هسيساً هائلاً وصرخة ممطوطة ناجمة عن اندفاع البحر إلى المداخن الحارة. حملق البحارة بأحداق واسعة في نظرة أخيرة إلى حاملتهم.

هيكل "شينانو" الأحمر منتصب، ومقدمها يناطح السماء. بقيت للحظة فيما غمرت مياه البحر المساحة المتبقية، واطلقت دوياً موجعاً قبل أن تغور إلى قاع المحيط الهادىء. هتف البحارة بصوت واحد: "شينانو، بانزاي!"

وغرق معها القبطان آهبي وانساين ياسودا. ابتلعهما الهواء الماص الناجم عن غرق الحاملة، مع الاحياء والموتى الذين بقوا داخلها ومئات الرجال المتشبثين بيأس بهيكلها وسطوحها.

في الثانية بعد الظهر كانت مضت على "شينانو" ثلاث ساعات في قاع المحيط، وتوقفت كل عمليات الانقاذ وأمر قائد المدمرات ببث الرسالة الآتية إلى مركز قيادة البحرية اليابانية: "من بين ٢٥١٥ شخصاً على متن شينانو، المفقودون ١٤٣٥ والناجون ١٠٨٠. صورة الامبراطور في أمان على المدمرة هاماكاز. كل المستندات السرية في خزنة محكمة الاقفال وقد غرقت مع الحاملة إلى عمق أربعة آلاف متر."

لقد غرقت كبرى حاملات الطائرات في العالم آنذاك بعد ١٧ ساعة من انطلاقها في رحلتها البحرية الأولى.

"يوم الشكر"

"آرشر - فيش" المعَدّة لعمليات الاعماق والغوص الصامت انحدرت إلى

عمق ١٢٠ متراً منتظرة انقضاض المدمرات اليابانية. لم يستمرىء أي منا فكرة قذائف الاعماق. فقد قاسينا أهوالها في اشتباكات أخرى.

همست: "يا رب، ساعدنا."

ثمة مدمرتان فوقنا، نسمعهما بوضوح قرب المسبار. وهتف سكانلان المسؤول عن المسبار: "ها هي القذيفة الأولى آتية يا كابتن."

استجمعنا قوانا. صوت انفجار مكتوم يسمع من بعيد. التموجات لا تحرك الغواصة إلا قليلاً. وفي فترة ١٥ دقيقة احصيت ١٤ قذيفة أعماق. وعلى نحو لا يصدق لم تلامسنا أي منها.

قلت: "انهم لا يعرفون مكاننا."

ثم سمعت همهمة: "الحمد لله."

أبلغنا سكانلان: "انهم يبتعدون يا كابتن."

فعلّق أحد الضباط: "لعلهم ذهبوا لانتشال الناجين."

ـ انهم يخلون الحاملة من دون شك.

بقي سكانلان قرابة ٢٠ دقيقة راصداً ما حسبناه ضجيج تصدع الحاملة. وزاد ارتياحنا مع مضي كل دقيقة، وخلجات "شينانو" الاخيرة تحملها إلينا المياه.

مياه المحيط تمزق "شينانو" وتلوي قواطعها.

في الساعة ١٠،٦ ارتفعت "آرشر ـ فيش" إلى مستوى البريسكوب، فألقيت حولي نظرة فاحصة. الشمس صفراء لامعة. البحر أزرق قاتم يتمور بموجات متفرقة مزبدة. الرؤية ممتازة. لا أثر للحاملة ولا أي قطعة من حطامها.

أصدرت أمري: "استرخوا وابقوا على حذر." وهبطت إلى قمرتي. كنت منهكاً، فاستلقيت على مرقدي وغرقت في سبات عميق.

الخميس ٣٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٤ يوم عطلة. طباخونا تمونوا جيداً قبل أن ننطلق في رحلتنا. لقد قدموا الينا كل ألوان الطعام على العشاء مساء

Illustration: Victoria Vebell



العطلة. وحززت بيدي لحم الديك الرومي على المائدة.

أمور كثيرة تدعونا إلى حمد ربنا. لقد فكرت ذلك اليوم - واني موقن بأن كل من كان في الغواصة فكر إيضاً - في مئات الالوف من الجنود المنتشرين في المحيط الهادىء وهم يخوضون حرباً مروعة في المستنقعات والادغال. كلنا على متن الغواصة "آرشر - فيش" كنا نكره الحرب مثلهم، وأملنا أن يتوقف الموت والقتال قريباً.

عدنا في ١٥ ديسمبر (كانون الأول) إلى غوام لاعادة تأهيل "آرشر - فيش". رسونا مترقبين استقبالاً للابطال.

القائد جون كورباس، صديق العمر والقائد السابق للغواصة بوفين، كان أول الصاعدين الى متن "آرشر - فيش" وقد هنأ طاقمها على الانتصار. ثم انتحى بي جانباً وسألني أمتأكد أنا من أن الهدف الذي أصبناه حاملة طائرات. أخبرته أني متأكد من ذلك، لكني لم اعرف أي حاملة هي، إذ انها تختلف عن جميع الحاملات المدرجة في دليل التعرّف.

وجاءتني الصدمة: "آسف يا جو، لكن الاستخبارات البحرية لا تؤيد زعمك. يقولون ان ليس ثمة حاملة في خليج طوكيو، فكيف أغرقتها إذاً؟"

نظرت إليه غير مصدق كلامه. لحظة المجد والفخار تولّي الأدبار.

قال جون: "أتوافق على إبدالها بطرّاد؟ ثمة دلالة على وجود طراد معاد في البحر."

خاطبته مغتاظاً: "لا يا جون، لا، انها حاملة طائرات." وذكرت له الرسوم التقريبية التي رسمتها واضفت: "كأني أراها بعيني."

سأل مستفسراً باهتمام: "أين تلك الرسوم؟ هل هي في حوزتك؟ يمكنني أن أرفقها بتقريرك."

- لست أكيداً من احتفاظي بها. فهي لم تفدنا في التعرف إلى الحاملة.

هزّ جون رأسه خائباً وقال: "كانت ستساعدنا أيما مساعدة يا جو."

لاح لي خاطر فطلبت استدعاء إد مانتزي أمين اللوازم في الغواصة. لعله على علم بما جرى لتلك الرسومات.

قال مانتزي: "أجل يا سيدي، انها معي. أخذتها من القمامة حيث ألقيتها أنت. لقد علموني، عندما التحقت بسلاح البحرية، ألا أرمي شيئاً."



ليباركه الله. في بضع دقائق كان جون يتفحص الرسوم وأنا أشرح له مغزاها. قال: "هذه رائعة يا جو. سأعرضها مرفقة بتقريرك. ولنرَ ما سيحدث."

ساهمت الرسوم في تعزيز دعوانا. وعندما اطّلعت عليهما الاستخبارات البحرية نسيت فكرة الطراد. وتقرر أن هدفنا الذي أصبناه كان البارجة الحربية الثالثة المفقودة من مرتبة "ياماتو".

**الكابتن جوزف ف. إنرايت**

**بمشاركة جايمس و. ريان ■**

■ لدى استسلام اليابان في نهاية الحرب العالمية الثانية كانت "آرشر ـ فيش" في عداد ١٢ غواصة دخلت خليج طوكيو مع الاسطول الامريكي لحضور الاحتفالات بالاستسلام المقامة على متن البارجة "ميسوري" في ٢ سبتمبر (أيلول) ١٩٤٥.

وفي لحظة توقيع المستندات والوثائق حلق سرب من الطائرات الامريكية المنطلقة من حاملاتها على علو منخفض. لقد انتهت الحرب.

ومنح القائد إنرايت وسام البحرية في ٥ مارس (آذار) ١٩٤٥، لمطاردته "شينانو" وإغراقها.

وورد في التنويه أن وزن "شينانو" بلغ ٧٢ ألف طن، ما يجعلها أكبر بارجة في التاريخ أغرقتها غواصة. ومنحت "آرشر ـ فيش" تنويهاً رئاسياً. ■



## ضجة في مطعم

في اثناء زيارتنا مدينة هيوستن بولاية تكساس قررنا ان نجرب مطعماً أُوصينا به. كان كل صنف من الاطعمة في القائمة مسعَّراً على حدة وغالي الثمن. فصحن السلطة المتبلة بدولارين، والبطاطا المقلية باربعة دولارات ونصف دولار، والهليون بستة دولارات وربع دولار. صُدمنا ومع ذلك تناولنا طعام العشاء.

وبعد ان خُدمنا، علت ضوضاء في الغرفة المجاورة حيث كان يجري احتفال بمولد احدهم. فدقّ الخدم النفير وعلا صليل الصقاع. وسأل احد الرواد: "ما هذا الذي يجري هناك؟"

فاجاب احد مرافقينا: "لا بد ان أحدهم طلب صحن هليون!"

هـ.ب.أ.

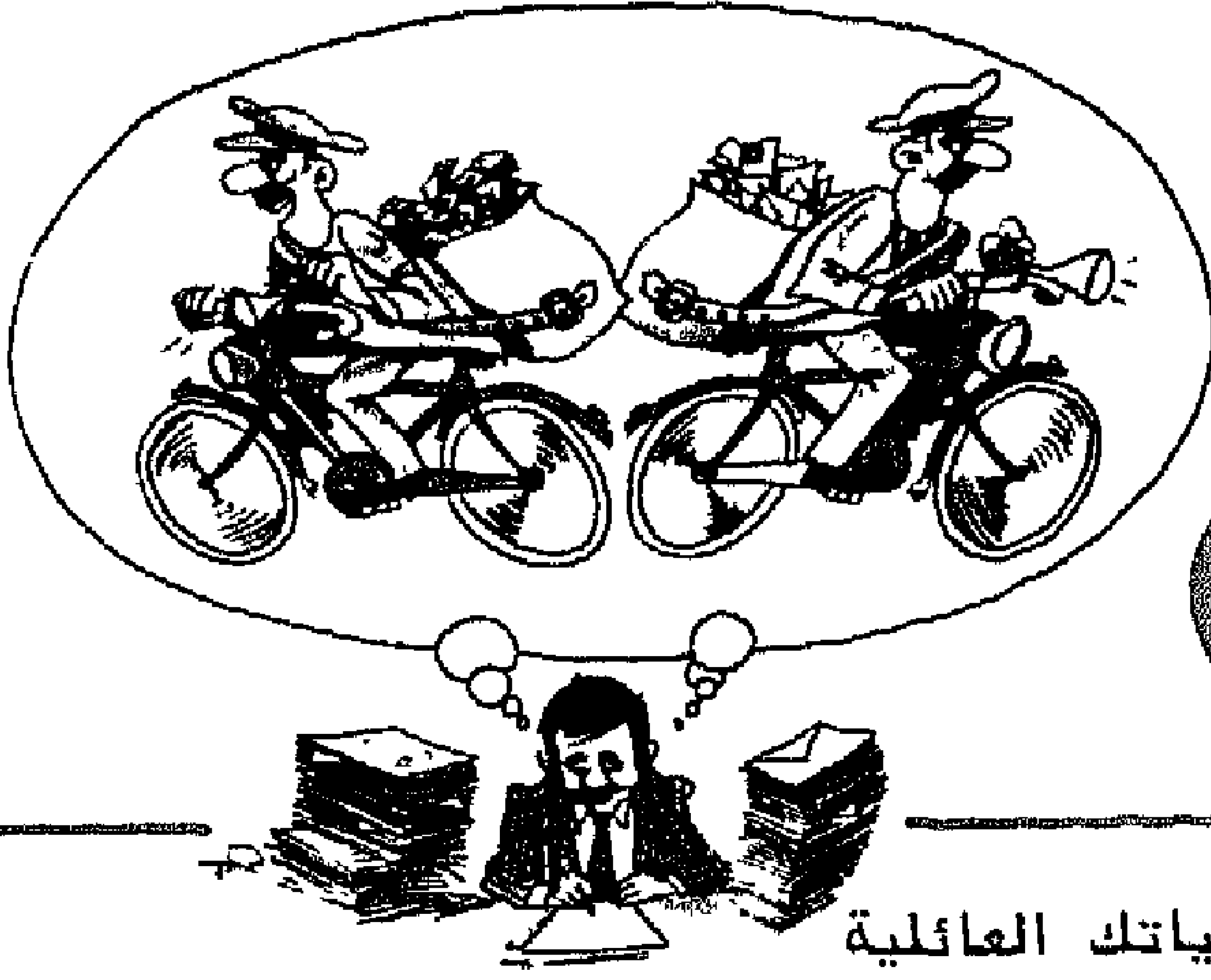
---

## عالمة آثار

كنت مع زوجتي في سياحة عبر ايطاليا. وأمضينا ذات نهار بين خرائب مومبايي المحفوظة بالرماد البركاني. وخلال لقاء لاحق في فندقنا ناقشنا ما شاهدناه. فسألتني احدى النساء: "هل أعجبتك الخرائب؟" فأشرت بالايجاب. فقالت وهي تهزّ رأسها: "لقد شاهدت خرائب بابل، فلم أجدها حسنة الصنع."

أ.ب.هـ.

# اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

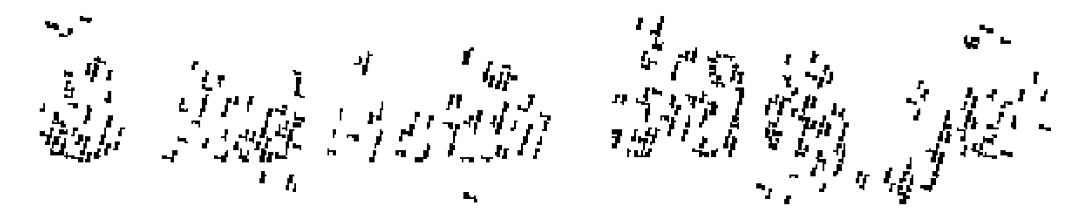
**صور من الحياة:** القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

**تأملات معاصرة:** مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

**حديقة أفكار:** أقوال مأثورة للأعلام العرب تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

**الضحك خير دواء:** تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة

**السدات:** هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.



- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار)
- نحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية
- لا ننظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص ب ٥٥٢٤٨، المتن الشمالي، لبنان



"عصافير الثلج" للفنان الهولندي يان فينك

فبراير (شباط) ١٩٨٩، رجب ١٤٠٩

# المختار

من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest February '89 N° 123





## صور فلسطينية: ممر الموت
— (ص ١٤١)

## أسرارنا في أظفارنا!
— (ص ١٦)

## حلم والت ديزني
— (ص ٢٠)



# المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.

امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

---

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.

الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.

الهاتف ٣٤٥٧٣١- ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

---

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228.
El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.




MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

February 89 N° 123 (New Series) Vol. 11

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والاسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.



لبنان ٢٥٠ل - سورية ١٥ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ١٢٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٧ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - تونس ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢٫٢٥د

كانت ابتسامتها لغزاً
وكنت شاباً سعيداً
وكان العالم مليئاً بالفرص

# لقاء في قطار

عندما رأيتُها لأول وهلة في محطة سانت مارغراتن كانت تصعدُ درجة القطار العالية وهي تدفعُ بركبتها حقيبة بنية كبيرة من الجلد. كانت ترتدي سروالاً من المخمل البنيّ وقميصاً أخضر فاتح اللون لَفَّ كمّاه. كانت عيناها قاتمتين وشعرها قاتماً وبشرتُها قاتمة. كانت شابة، وغامضة.

وبعدما رفعتْ حملها الثقيل ووضعته على رف فوق المقاعد، ارتمَتْ على مقعد وراحت تتنفس برزانة. وما لبث القطار الفضي المبرد أن تابع رحلته المقررة لخمس ساعات عبر سويسرا.

كانت مياهُ الثلج الذائب تخر في أنهار جبال الآلب، والحقول متوهجة بنبات الخشخاش، إذ اننا كنا في شهرِ مايو (أيار).

حاولت اولاً أن أغطَّ في نوم خفيف، ثم بدأت حديثاً مع شخصٍ جلس إلى جانبي. ولمحتُها من جديد وهي تمسك في حضنها باقة أزهار برية، وبدت كأنها تفكِّرُ في الشخص الذي قدّم إليها الباقة. فعبرْتُ الممشى وجلسْتُ أمامها وسألتُها بالألمانية: "ما اسم هذه الأزهار؟" وكان جوابها الوحيد ابتسامة. ففكرْتُ: آه، ليست ألمانية، هي حتماً ايطالية.

انحنيت الي الأمام وطرحت عليها بالايطالية سؤالاً جيداً عن الازهار، إلاّ أنها لم تنبس بكلمة. لعلها خرساء. لكنني طردت هذه الفكرة من ذهني. وبقي لي خيار أخير: بما أننا في سويسرا فلا بد من أنها تتكلم الفرنسية. وكان الجوابِ كالسابق: ابتسامة ملغزة. تراجعتُ ورددت الابتسامة ثم حاولت أن أظهر بمظهر غامض، لكنها مهمة عرفتُ نتيجتها. فلباسي قبعة مسحوقة تشبهُ قبعة صيادي السمك، وقميص طويل الكمين، وسروال أصفر، وحذاء جلدي. كدتُ أن أستسلم، وفجأة نطقت سيدة اللغز وسألتني: "هل تتكلّم الاسبانية؟"

كيف لم يخطر الأمر على بالي؟ انها اسبانية.

وبعدما عادت الامور الى مجراها فتشتُ بحماسة داخل حقيبتي علّني أعثر على كتاب تعلم الاسبانية. واكتشفت في ما بعد أنها عزباء تعمل في دار للعجزة في آلتشتاتن وهي في طريقها الى اسبانيا لتزور عائلتها.

واكتشفتُ أن معرفتها ضعيفة جداً بالازياء الوطنية واللهجات، اذ انها حسبتني انكليزياً في بادىء الامرِ ثم ألمانياً. ويبدو أنني كنتُ أولَّ نموذج أمريكيٍّ تلتقيه.

ولا أذكر جيداً المواضيع التي تناقشنا فيها، لكن النهار مضى بسرعة فكرهت وصولنا الى جنيف حيث سنفترق.

غير أننا قضينا اليوم معاً حتى نهايته. تنزهنا لوقت قصير في شوارعِ المدينة الجميلة. تغازلنا ونحن نشربُ القهوة في مقهى على الرصيف. تفحصنا واجهات المحلات فيما الليل يسدل ستاره. وملأنا أحاديثنا بالضحكات. وعندما وصل قطاري ودعتها على مضض. فأقرباؤها في انتظارِها خلف جبال البيرينيه، أما أنا فناداني جدول أعمالي الى ايطاليا قبل العودة الى بلادي.

اليوم لم تعدْ حياتي تتضمن ذلك الهامش العريضَ الذي تضمنته آنذاك. فأنا أشبه كثيرين: أربي أطفالي، أسافر في رحلات عمل كثيرة، أجز العشب في الحديقة. لكنني أفكرُ أحياناً في تلك الايام عندما تصبح الحياة فجأة حلوة ومُرّة وعندما تنفتحُ أمامنا فرص يتعين علينا اقتناصها خلال ثوان.

أحياناً أخبر أصحابي تفاصيل ذلك اليوم الربيعي آخذاً بعض الحرية في التصرف بالوقائع، جاعلاً الفتاة أكثر يأساً ونفسي أكثر سحراً أو برودة.

وتستمتع زوجتي بسماعي أسردُ القصة على هذا المنوال، إلا أنها ترى التعديلات مضخمة. فهي تصرّ على أنها لم تكن تشعر باليأس على متن القطار، وأنني لم أكن ساحراً ولا بارداً، وأنها غادرت سويسرا في السنة التالية لتتزوجني على رغم قبح لباسي ذلك اليوم.

**كيفن سيبل** ■



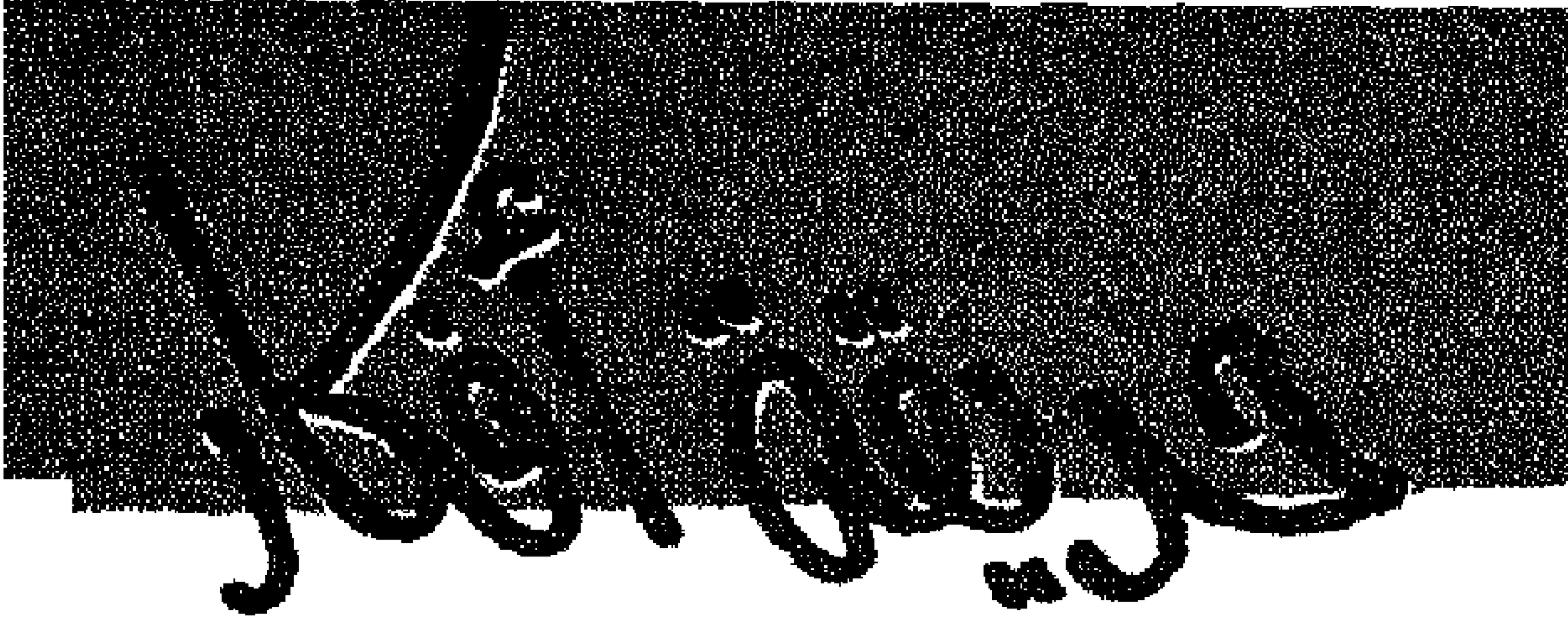
## حجة مقنعة

كتب المخرج السينمائي الايطالي فرنكو زيفيريلي في سيرته الذاتية عن مناسبة دعا فيها مغنية الاوبرا ماريا كالاس والممثلة الايطالية آنا مانياني الى تناول العشاء الى مائدته. كان متهيّباً التقاء المرأتين، لكن همّه الاكبر كان مائدة الطعام: مَنْ مِن الاثنتين تجلس الى يمينه؟

"انتظرتُ حتى قامت آنا الى الحمام لتتبرج ثم قلت لماريا: "اسمعي، يا عزيزتي، مانياني أكبر منك سناً بكثير. عليّ أن أجلسها عن يميني، اذا لم يكن لديك مانع."

فأجابت بتصميم: "من الواجب أن تفعل ذلك."

و.ن.




- الكتب سعاة الحضارة. من دونها يصمت التاريخ ويخرس الادب ويُشلّ العلم ويتجمد الفكر والتأمل.

ب.ت.

- الاهداف أحلام رُسمت لها مواعيد.

د.س.هـ.

- الكلمة المحكية عصفور عابر، اذا طار عجزت عن اللحاق به.

مثل روسي

- ما حاولت قط التعلُّم من انسان لم أحسده وإن قليلا. فلولا الحسد ما تعلمت أبداً.

ب.ك.

- لا شيء في العالم أكثر ندرة من شخص يتحمله المرء.

جياكومو ليوباردي، شاعر ايطالي (١٧٩٨ - ١٨٣٧)

- الايمان العميق يبدّد الخوف.

ليش فاليسا، رئيس "رابطة التضامن" البولونية

- الوقت يمر، تقولون. لا! واحسرتاه، فهو الباقي ونحن الذاهبون.

أوستن دوبسون

- رأس الحكمة استباق العواقب.

نورمان كازنز كاتب ومحاضر أمريكي

- الإعجاب هو اعترافنا المهذب بشَبَه الغير بنا.

امبروز بيرس، كاتب سياسي أمريكي (١٨٤٢ - ١٩١٤)

# فاجئوا من تحبون بهدية لا تنسى



تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).

كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او التخرج او عيد الحب...

فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟

فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٨٨/٥/١ و١٩٨٩/٥/٣٠ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٣٥ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى العنوان الآتي:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ________________

________________

عنوانه ________________

________________

المناسبة وتاريخها ________________

توقيع المهدي ________________

مع أخلص تمنياتنا

المختار
من ريدرز دايجست السنة الحادية عشرة (سلسلة جديدة) فبراير (شباط) ١٩٨٩
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

# شدّوا الأحزمة وانطلقوا بأمان

## من ذا الذي يحتاج الى ربط حزام مقعد السيارة؟ لا أحد يعرف الجواب أفضل من ضحايا الحوادث

ذات يوم من مارس (آذار) ١٩٨٦ فيما كان شرطي السير جون بورتون يقوم بدوريته، شاهد ولداً صغيراً واقفاً في مقعد أمامي في سيارة منطلقة. كان ذلك مخالفاً لقانون القيادة في ولاية مريلاند. فأمر السائق بالتوقف. فقال له السائق، واسمه روجر مور وعمره ٢٩ سنة: "لا يخفاك يا سيدي أن الاولاد لا يهدأون ويصعب كبحهم."

لكن الشرطي نظم مخالفة وسلّمه إياها.

فحزم مور ابنه في المقعد وهو يتمتم متذمراً ورمى ورقة ضبط المخالفة في علبة القفازات وانطلق.

لم يكن موقف مور خارجاً عن المألوف. فبعض الناس يشتكون من أن أحزمة المقاعد غير مريحة ويخشى آخرون عدم القدرة على الحركة في حال وقوع حادث اصطدام. ويرفض آخرون تلقي أوامر من رجال القانون.

ان سائق السيارة العادي على يقين من امكان تعرضه لحادث في حياته. ومن دون حزام يتضاعف خطر تعرضه للموت وللاصابة بأضرار بالغة. اذاً لماذا عدم التقيد بالقانون؟

دايان ستيد، رئيسة المديرية الوطنية لسلامة السير في الطرق العامة في الولايات المتحدة، تعزو السبب الى أن

"هؤلاء الناس لا يدركون القوى الكامنة في حادث اصطدام سيارة." فمنذ سنوات وقسم التحقيق في الحوادث في المديرية يحلل أفلام اصطدامات اختبارية تشمل الدمى. وبمراقبة بعض الأفلام شاهدت ما قد يحدث لي عند الاصطدام في حال عدم ربط حزام الامان.

**خلال نصف ثانية.** لنفترض أني أسير بسرعة ٦٥ كيلومتراً في الساعة، فتصطدم سيارتي بشيء ثابت. يندفع جسمي للحال الى لوحة القيادة (التابلوه) بسرعة ٢٠ متراً في الثانية، ولن يكون بمقدوري اتقاء الصدمة بيديّ لان ذلك يقتضي قوة تعادل ضغط ١٦٠٠ كيلوغرام. لذلك لا بد لمعدتي من أن تصدم المقود بعنف.

ويحدث عند ذلك أن تتصلّب رجلاي وتتكسرا في منطقة الركبتين. وتنحشر ركبتي اليمنى تحت لوحة القيادة وينبعج حاجز النار صعوداً فتنكسر رجلي مباشرة فوق رُسغ القدم. وينحشر أعلى رجليّ تحت لوحة القيادة وتقاومان اندفاع جذعي الى الأمام، فينفصل وركاي في الحال. أما الجزء الأعلى من جسمي فينطوي كالمدية ثم يستوي، وفي أقل من عُشر ثانية بعد الاصطدام يضرب عمود المقود بشدة فينغلق قفص الصدر الى الداخل وتأخذ أضلاعي في التكسّر. ولا يبقى في صدري اتساع لرئتيّ وقلبي والشريان الأورطي، فيما تتحول العظام المكسورة رماحاً شائكة.

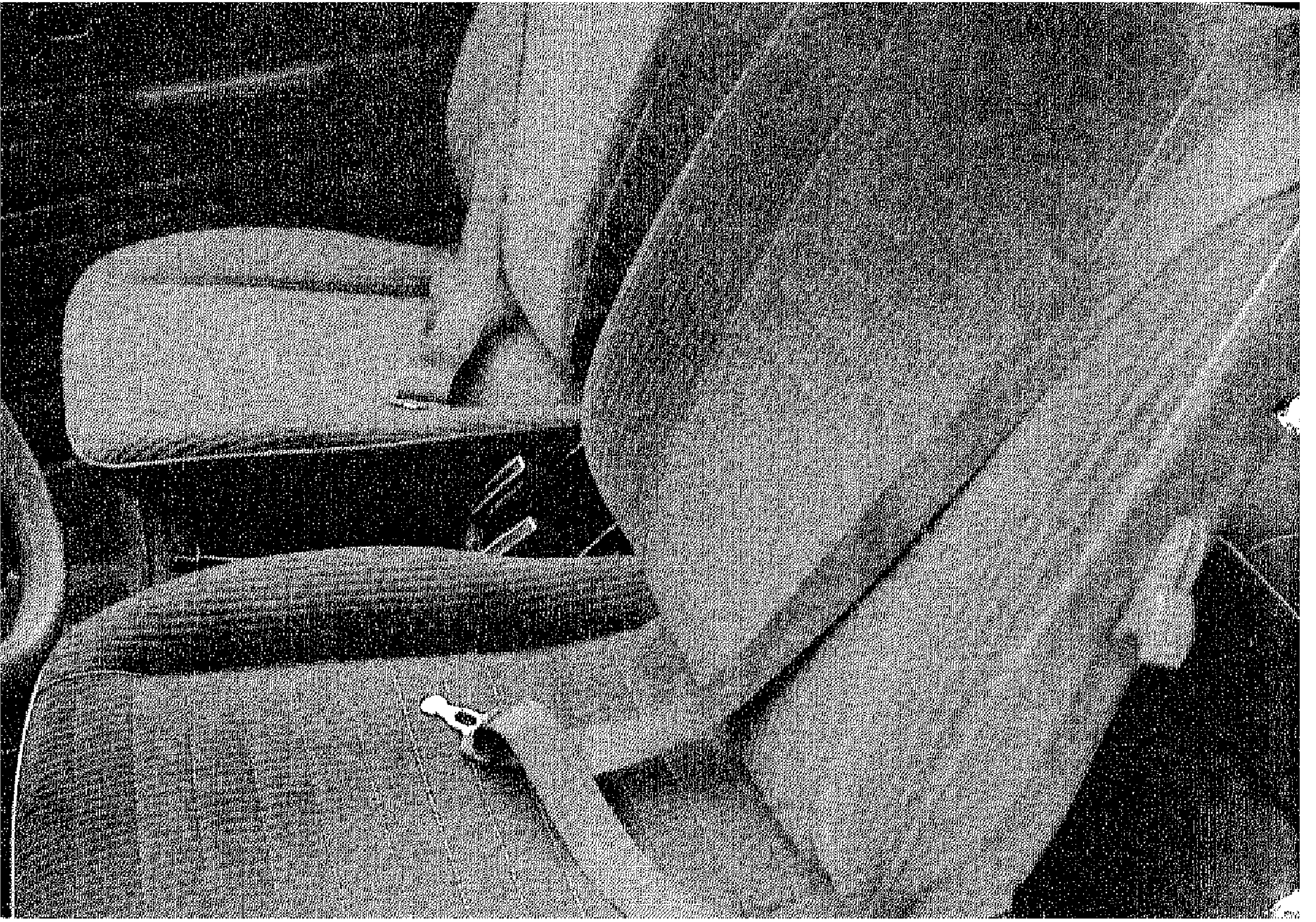
ويندفع رأسي الى الامام فيصدم حاجب الريح الزجاجي فيتحطم أنفي وعظم وجنتيّ. وتبلغ سرعة الاندفاع ما يعادل سرعة سقوطي من الطبقة الاولى في بناء الى رصيف الشارع. وفي الوقت ذاته ينعتق دماغي من مؤخر جمجمتي فيضرب داخل جبيني بقوة ثم يرتد محطماً ممزقاً.

**أعذار واهية.** يشرف فنس كابلنز على مركز طوارئ في مقاطعة آن أروندل جنوب بلتيمور. وبعد خبرته طوال تسع سنوات كمسعف طبيّ يقول: "حتى الحوادث الصغيرة قد تؤثر فيك بعد وقت قصير." قد لا تصاب السيارة بأي انبعاج، ولكن قد يكون بين ركابك من تكسر أسنانه أو يُحطم أنفه أو تتدلى شفته المشقوقة. وكل ذلك عائد الى عدم ربط حزام الامان.

يعمل جيم روستيك في وحدة اسعاف طبية. فهلم نذهب معه في جولة. انه لن ينسى عاملا لتحميل السفن عمره ٣٠ سنة، تمزق طحاله وانكسرت رجلاه وانشقت أضلاعه وأصيب بارتجاج دماغي واستمر يردد: "لا تؤذوا ذراعي." ولم تكن ذراعه مصابة بخدش واحد.

وسيتذكر أبداً مواء الهرة الجريح التي قادته الى المرأة تحت العلّيقة حيث لم يلاحظ أحد وجودها. وكم سمع من حشرجات جرحى في النزع الاخير. وكم من حزام مقعد رآه مطروحاً جانباً من دون أن يستخدم.

يتحدث المسعفون الطبيون عن الأعذار التي يلجأ اليها الناس لعدم استخدام الأحزمة. أخبرني أحدهم: "يقولون إنهم يفضلون أن يُقذفوا خارج السيارة من أن يُحبسوا داخلها. ولكن اذا قذفوا خارج



السيارة فانها تنقلب في اتجاههم وقد تنقلب عليهم."

تظهر الدراسات أن الراكب في المقعد الأمامي الذي لم يحزم نفسه الى المقعد، معرض في حال حدوث اصطدام لضعفين ونصف ضعف خطر الموت. كذلك السائق، فانه معرض للموت أربعة أضعاف أكثر من الشخص الذي يستخدم حزامه.

يقول روستيك: شاهدت نحو ٢٤٠٠ حادث. ولا أذكر أنني فككت جثة من حزامها."

**حياة محطمة.** يؤكد الدكتور أدامز كولي، مدير مركز مريلاند للصدمات في بلتيمور: "لو شاهدتم ما نشاهده كل ليلة، لحافظتم مثلنا بدقة وأمانة على ربط أنفسكم بأحزمة المقاعد."

كنت في المركز ذات ليلة حين أحضرت جيل أيفري. كانت تستعيد وعيها أحياناً فتسأل همساً من خلال شفتيها المهروستين المثخنتين بالجروح: "ماذا حدث؟" فلا تسمع الجواب بسبب الألم الذي كانت تعانيه من الكسور الكثيرة في عظامها.

كان مضى على زواج ريشتي وجيل ١٦ يوماً. وسبب الحادث أن ريتشي شرد بسيارته عبر الخط الوسط فاصطدمت بجنب احدى السيارات ثم انعطفت وسقطت في أخدود. كان ريتشي مربوطاً بحزامه فأصيب بارتجاج خفيف في الدماغ لاصطدام رأسه بالنافذة الجانبية. أما جيل فكانت من دون حزام. واقتضى خضوعها لجراحة في عظم الفخذ. وقد منيت باصابة شديدة في رأسها وبكسر في أعلى ذراعها ورضوض شملت كل وجهها. ولازمت المستشفى عدة أسابيع



Photo: Bob Milazzo

وبقيت أشهراً عاجزة عن العمل.

ويخبر فيليب ميليتيلو، مدير قسم الجراحة في المركز، عن مصابين فضلوا عدم حزم أنفسهم: هناك ذلك التلميذ الذي أدخل وقد انغرزت المرآة الخلفية في دماغه بعمق ثمانية سنتيمترات، لقد بقي حياً لكنه فقد احدى عينيه. وهناك الرجل الذي أدخل المستشفى ودماغه مكشوف لأنه "طار" عبر حاجب الريح وصدم عمود هاتف فمزّق نتوء معدني قمة جمجمته، وهو أيضاً بقي حياً لكنه، بعد ثلاث سنوات على الحادث، لا يستطيع سوى القعود في كرسي والتطلع عبر النافذة وهزّ الكرسي. وهناك أيضاً الشابة الحسناء التي علق مقبض ناقل التروس في زاوية فمها ومزّق وجنتها صعوداً حتى أسفل مقلتها، وقد أفادت الجراحة التقويمية كثيراً في تحسين مظهرها.

ويرتعد المسعفون المحنكون في المستشفى، حتى الأشداء منهم، حين يتحدثون عن الأمهات اللواتي يجلسن الاولاد في أحضانهن. وغالباً ما تنجو الام لأن الولد يُسحق في الحادث.

**الثمن الغالي.** يستقبل مستشفى مونتبيلو للتأهيل ببلتيمور نحو عشرين من ضحايا حوادث السيارات. وقد سألت هل ان أحداً منهم كان حزم نفسه قبل الحادث.

اجابت غايل أولزيك (٣٦ سنة) التي أمضت أكثر من سنة تُعالج هناك: "كان بعضهم محزّماً، لكنهم يقولون عادة انه لولا الحزام لماتوا."

كانت أولريك من المحظوظات. ولكن هناك ضحايا لن يعودوا أبداً كما كانوا سليمين معافين.

في امكان المرء رؤيتهم فيما يمر من غرفة الى اخرى. فهناك الأم التي تقول لابنها المنطوي على نفسه كجنين في الرحم: "اذا كنت تسمعني فاضغط يدي." والمزين الذي فقد بصره حديثاً وعامل الهاتف المشلول. والموسيقي الذي فقد القدرة على الكلام. ومدرب كرة السلة الذي لا يقوى الا على التحديق بعينين فارغتين.

بعض السائقين يصرّون على أن شد الاحزمة أو عدمه هو شأن خاص بهم. وإنهم لعلى خطأ. فالاعتناء مدى الحياة بمصاب في دماغه قد يكلف ملايين الدولارات. وتقدّر كلفة الوفيات والاضرار التي يمكن تفاديها باستخدام أحزمة المقاعد بمليارات الدولارات سنوياً.

بعد تنظيم مخالفة في حق روجر مور لعدم حزم ابنه الى مقعد السيارة، نسي شرطي السير جون بورتون المسألة. وبعد أسبوع عثر زميل له داخل درج حفظ القفازات في سيارة محطمة في مدينة بيلير بولاية مريلاند على محضر ضبط المخالفة، بعد ١٩ دقيقة تماماً من اصداره. ولكون الولد مربوطاً الى مقعده فقد جاءت اصابته طفيفة.

لكنه لن يرى والده ثانية. ذلك لأن روجر مور انهمك بتثبيت حزام ابنه وفاته أن يثبت حزامه.

روبرت غانون ■

---

أبدلت أسماء الضحايا الواردة في هذا المقال. لكن الحوادث المذكورة سُردت بدقة تماماً كما وقعت في الحقيقة.

## بعد أربعة قرون من زوال امبراطورية الانكا
## يبقى لهذه المدينة القديمة
## سحرها الفتان

# مَدينـة الانكا الضَائعة

واحدة من أكثر المدن غموضاً في فترة ما قبل اكتشاف أمريكا هي ماتشو بيكشو، مدينة الانكا الضائعة.

تربض هذه المدينة على قمة جبلية عالية في جبال الاندس بأرض البيرو. ويحلق أحياناً نسر أمريكي في السماء باسطاً جناحيه ثلاثة أمتار فيجمد معلقاً ثم يرتفع مرفرفاً إلى أن يختفي بين الغيوم. وعلى مسافة ٦٠٠ متر تحته تجري مياه نهر أوروبمبا العكرة في ممر ضيق على شكل حدوة حصان.

ان تاريخ بناء ماتشو بيكشو لم يعد لغزاً، لكن الاساطير حول الذين سكنوها، عاداتهم واحتفالاتهم، لا تزال تروى.



الحضارات في البيرو تعود الى العام ٢٥٠٠ قبل الميلاد، أما الانكا فيعودون الى قبل ٨٠٠ عام. الا أن ملك الانكا التاسع باتشا كوتيك وابنه توباك يوبنكي لم يتمكنا الا في القرن الخامس عشر من السيطرة على امبراطورية تزيد مساحتها على ثلاثة ملايين كيلومتر مربع وتمتد من جنوب غرب كولومبيا الى أواسط التشيلي وشمال غرب الارجنتين. وفي الوسط كانت تقع العاصمة كوزكو.

طور شعب الانكا نظاماً زراعياً معقداً، وتميز بالحياكة وصناعة الاواني الخزفية والرياضيات والهندسة. وكان نظام الطرق في تلك البلاد مدهشاً جداً بحيث أن العدائين كانوا ينقلون السمك من المحيط الهادىء عبر الممرات الجبلية على ارتفاع ٤٠٠٠ متر عن سطح البحر، وتقديمه طازجاً الى العائلة المالكة. وبنيت جسور فوق الانهار وتوّجت قلاع عسكرية قمم الجبال. لكن هذه الحضارة لم تعرف سجلات مدونة أبعد من جهاز بسيط من الخيطان المعقودة كان يستعمل للعد ويعرف باسم "كيبوس." هذه الحضارة لم تعرف الحديد ولا القنطرة ولا البكرة ولا الدولاب. واليوم ترتفع مسلاتهم الخلابة في السماء محصّنة ضد الهزات الارضية.

كيف استطاع الانكا أن يجروا هذه الحجار من المقالع مسافة تزيد على ٣٥ كيلومتراً عبر الجبال الشديدة الانحدار؟

في ساكساهوامان، الحصن الكبير خارج كوزكو، يزن أكبر الحجار اكثر من ٣٠٠ طن ويرتفع حوالى ثمانية أمتار. وتلتصق حجار الصوان المصقولة كاللؤلؤ بقوة من دون اسمنت بينها، الى حد أنه لا يمكن ادخال شفرة سكين بينها.

**طوف السياح.** عندما نهب الاسبان البيرو في العام ١٥٠٠ احتجزوا الامبراطور أتاهوالبا رهينة الى أن تم ملء غرفة بلغ ارتفاعها أعلى من رأسه بالذهب، وبعد ذلك قتلوه. وقرابة العام ١٥٧٧ اغتيل آخر أباطرة الانكا، توباك أمارو، وسلبت المعابد ونهب الذهب وشيدت صروح جديدة فوق جدران الانكا.

مدينة واحدة فقط بقيت سليمة ومحرّمة ومنع على المحتلين رؤيتها أو حتى السماع بها. أخيراً مات أهلها الباقون. وزحفت اليها الغابات الخضراء فبقيت مغمورة بالعرائش حتى يوليو (تموز) ١٩١١ عندما جاء اليها المستكشف الامريكي هيرام بينغهام. أما اليوم فتدعى هذه المدينة ماتشو بيكشو (الجبل القديم) تكنياً بالقمة الرمادية العالية التي تطل عليها من الجنوب.

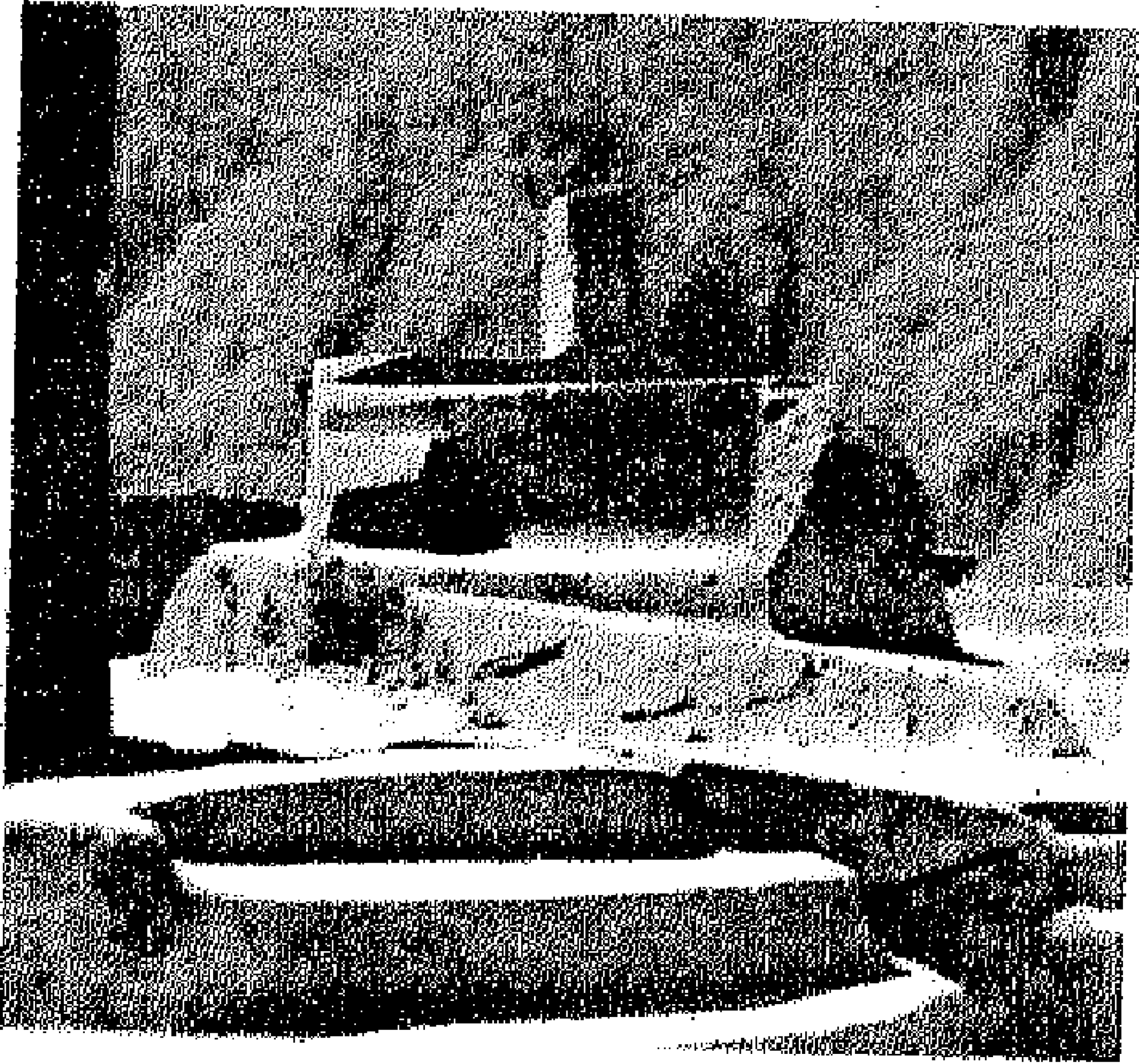
حتى العام ١٩٥٠ كان المسافرون يصلون الى هذه المدينة على ظهور البغال أو في عربات الثيران القوية الملائمة التي تستغرق أسبوعاً عبر طرق الانكا القديمة. أما اليوم فان معظم الناس يأتون اليها بالطوافات والقطارات وسيارات النقل الكبيرة. ويزيد التوافد سنة بعد سنة، ففي العام ١٩٨٦ اتجه الى هذا الجبل أكثر من ٣٠٠ ألف زائر. وهذا يقلق حكومة البيرو ومنظمة الاونيسكو لأن الحجار بدأت تتزحزح وتتلف تحت وطأة السيل غير المنقطع من الزوار والامطار الغزيرة.

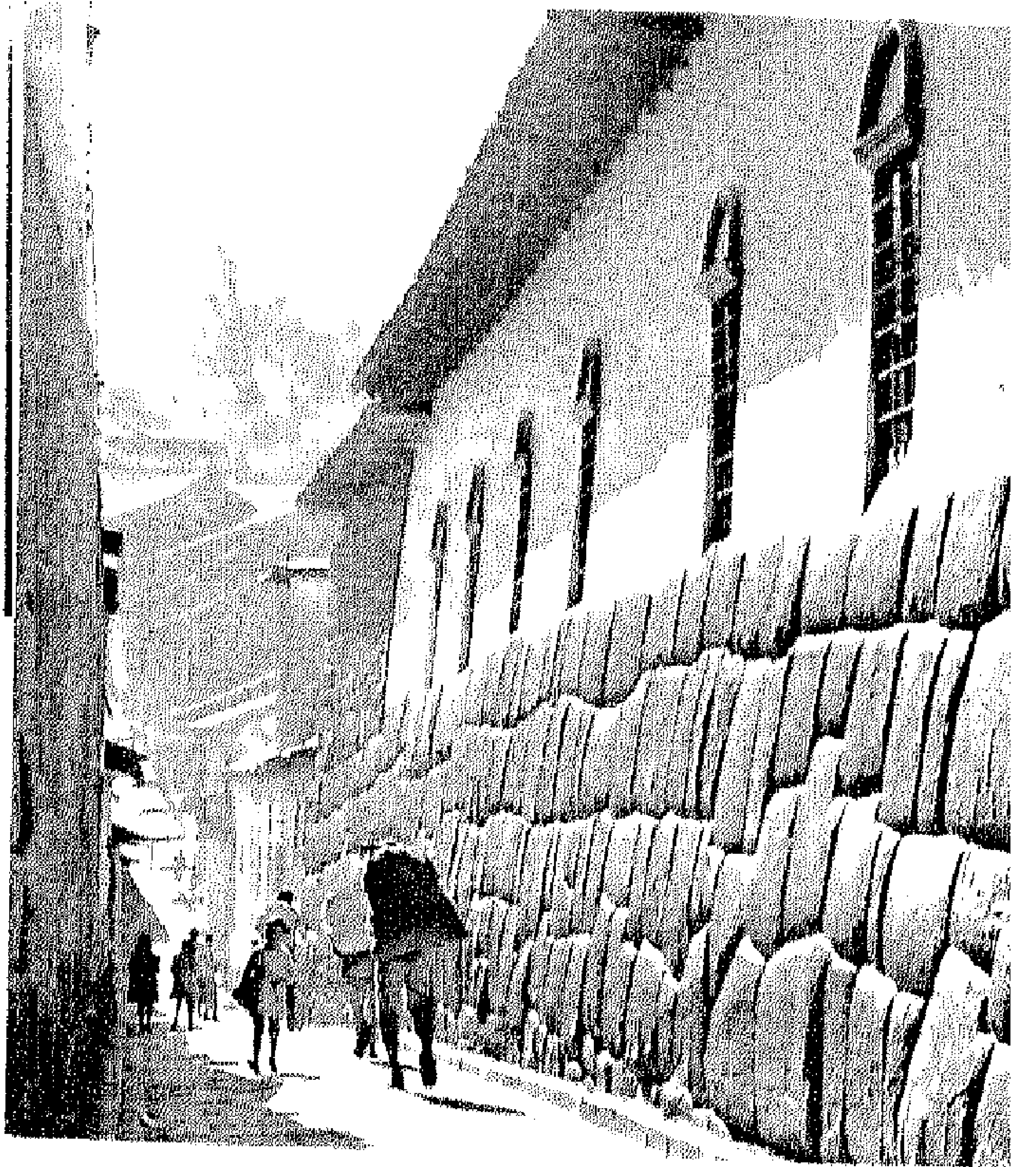
بدأت السلطات في البيرو تتخذ الاحتياطات اللازمة للحفاظ على هذا المعلم الاثري ويخضع الموقع حالياً لصيانة دائمة، ويوجّه السياح بواسطة اشارات عبر الطرق المخصصة لهم. وقد بدأت لجنة من علماء الآثار والبيئة، مدعومة من بعض الدوائر في الامم المتحدة، مشروعاً طويل الامد للحفاظ على هذا الموقع.

بسطوح الفخار والقناطر الاسبانية، جميلة بهذا الشكل؟

هل هو النقص في الاوكسيجين الذي بهر أنفاسي أمام مجد هذه التلال المحيطة بي والمغطاة بالوزال الاصفر والترمس الازرق الذي يلمع في العشب؟ للالوان بريق أقوى مما تستوعبه عيناي. السماء المصقولة الزرقاء صلبة كالصخر. الاودية رائعة. الاعشاب تلمع ببريق



المزولة، أو الساعة الشمسية، التي ساعدت الانكا في مراقباتهم الفلكية وتحديدهم للتواريخ.



شارع نموذجي في كوزكو حيث شيد المستعمرون أبنيتهم على أطلال جدران الانكا.

**مجد التلال.** للوصول الى ماتشو بيكشو بسرعة إركب طائرة أولا من ليما الى كوزكو. وبعد ساعة من الطيران تحط الطائرة فتنزل منها على ارتفاع ٣٤٠٠ متر وأنت تلهث. هل هو الارتفاع أم نقاوة الهواء ما يجعل هذه المدينة، العاصمة الاثرية لامريكا الجنوبية (التي يبلغ عدد سكانها نحو ٢٢٠ ألف نسمة) المزدانة

داخلي أخّاذ، والاوكالبتوس (الكينا) الازرق الفضي يومض وينثر الضوء.

في كوزكو ينطلق قطار السوق القديم الى ماتشو بيكشو عبر الطرق الجبلية المتعرجة. يتحرك ببطء صعوداً في الجبال فيدرز جانب التلة ذهاباً واياباً ثم ينزل الى الجهة الثانية ليتابع سيره على أرض مسطحة. يعبر سهول اقليم آنتا انخصبة

ويدخل ممر نهر أوروبمبا المظلم. وفي ما بعد تتسع منحدرات النهر السريعة وتعبر أمريكا الجنوبية وتصب في المحيط الاطلسي على بعد ٦٥٠٠ كيلومتر. على الضفتين ترتفع جبال شاهقة مزدانة بزهر الاوركيديا وبنباتات أخرى فاخرة.

**مطر وضباب.** في العام ١٩١١ استغرقت رحلة هيرام بينغهام من كوزكو الى ماتشو بيكشو سبعة أيام قطع خلالها ١١٣ كيلومتراً على ظهر بغل. أما اليوم فتستغرق الرحلة ثلاث ساعات ونصف ساعة بواسطة القطار.

تقع ماتشو بيكشو على ارتفاع ٢٦٩٠ متراً، أي أدنى ٧١٠ أمتار من كوزكو. لذلك لا يشكل التنفس صعوبة فيها. بعد القطار تتسلق سيارات للنقل طرق الجبل. والوصول الى القمة يتطلب ٢٠ دقيقة.

ترجلت من السيارة وسرت وحيدة ثم جلست على رصيف. نظرت تحتي فاذا بالجبل ينحدر عمودياً نحو النهر المزبد. ومن ثلاث جهات ارتفعت القمم المثلثة الخضراء لجبل هوينا بيشو، أي الجبل الفتي. كان الهواء هادئاً ولطيفاً فشعرت بجلال ورهبة. هذا الوضع فاجأني، لأن بطاقة القطار كانت وصفت المدينة على أنها قلعة عسكرية. حاولت عبثاً أن أتصور نفسي جندياً في الانكا في مهمة حراسة من العدو. لم أشعر هنا بسوى ألحان خالدة. أردت أن أبقى مسلوبة الى الابد وأنا أشعر بلحن الجبل ينهمر علي كموج المحيط. تعجز الكلمات عن وصف دقيق لجاذبية الجبل الذي ينبض بالدفء المنساب وبالاشعاع. غُسلت بأمواج السلام وبالحب اللامتناهي.

بعد ذلك جلست مجموعتنا السياحية على حائط. تناولنا طعامنا واستمعنا الى المرشد، وهو أستاذ في علم الآثار، يشرح تاريخ هذه المدينة حيث كرست ١٠٠٠ عذراء أنفسهن للشمس. هنا يقع البرج العسكري بجداره الخارق المتقوس تبعاً لموقعه الصخري الطبيعي. وهنا المزوَلة،



هيكل "الارامل الثلاث" المشيد بحجار ضخمة.

أو الساعة الشمسية، أو السارية التي تشد اليها الشمس، حيث كان كهنة الانكا "يربطون" الشمس عند كل انقلاب شتوي (★) ليجذبوها نحو الجنوب ثم يرجعوها اليهم. تلك الساعة الشمسية محفورة في صخرة واحدة، وكل حد منها يشير الى احدى الجهات الاربع.

(★) Winter solstice

بدأت الغيوم تتلبد فوق رؤوسنا وسقط المطر بغزارة تحول بعدها طوفاناً. تفرق الناس ملتجئين الى الجدران المكشوفة. وتابع المرشدون جولاتهم غير مبالين بالسيل المنهمر، إذ غالباً ما تمطر في ماتشو بيكشو. وعلى رغم ذلك بقي ذاك الشعور الملح يشدني وأمواج الحب ترفعني، ولكن الى أين؟ الى ما وراء نفسي. ترى، هل شعر به الآخرون أيضاً؟

تعانق العشاق وهم يبحثون عن وقاء تحت الصخور الناتئة. واحتشد آخرون داخل كوخ صغير على أعلى قمة. ثم توقف المطر.

أخذ الضباب الابيض الناعم يلف المدينة زاحفاً فوق سطوحها، ثم مر فوق الساعة الشمسية وطاف فوق منحدر التل لامساً جدران المعبد. وما لبث أن تبعثر فوق الموقع وغيب ما شيده الانسان داخل غيمة كثيفة.

أضحت المدينة المحرمة مخبوءة خارج نطاق قدراتنا البصرية.

صوفي بورنهام ■

## حل لمزاج ساخط

لدى بلوغ ابنتي الثامنة من عمرها ساورتها ذات يوم نوبة هياج، فرفضت أن تأكل أو تلعب أو تدرس. اخيراً أجلستها على ركبتي وسألتها ماذا يزعجها.

"لا شيء،" قالت وهي تحدق الى السجادة.

حاولت أن أفكر في الامر الذي حوّل هذه الطفلة السعيدة نكدة المزاج.

فسألتها: "هل ضايقك ابن الجيران مجدداً؟"

فردت: "لا يا بابا. كل ما في الامر اني لا أشعر بأني على ما يُرام."

تابعتُ نظرتها المحدِّقة الى الارض ولاحظتُ حذاءها الرياضي وقد اتسخ من لعب النهار وفُكَّ رباطاه. وجلسنا هناك مدة طويلة. ثم قلت: "رباطا حذائك غير معقودين."

قالت: "بلى، وقد تعثّرت بهما."

أنزلتها عن حضني وأجلستها على الاريكة ثم ركعت إزاءها. أخذتُ كُلا من الرباطين بالتناوب وشددته على نحو متماثل وربطته ربطاً مُحكَماً. وعندما رفعت عيني الى وجه ابنتي وجدتها جالسة تراقبني بنظرتها الجذلة المعهودة. فسألتها: "كيف تشعرين الآن؟"

أجابت: "حسناً، يا أبي، فعلا هو شعور حسن."

لقد عرفتُ هذا الشعور من قبل. لم نتحدث عن متاعبنا مع الناس أو عن أهمية تحسين العلامات المدرسية أو عن آداب السلوك. ما حدث كان حلا للمزاج الساخط الذي ينتاب المرء بعد تجواله طوال النهار وقد فكّ رباط حذائه أو تسربت حصاة اليه أو رشحت داخله رطوبة حشائش الحقل. أحياناً يكون كل الحل في شيء صغير، شيء مسوّى، شيء بسيط، شيء معتنى به.

ر.هـ.ب.

### المسألة أبعد من قضم الاظفار وبردها وصقلها فالتغيرات الطارئة على لونها وبنيتها وشكلها تحمل معلومات مهمة عن صحتنا

# أسرارنا في أظفارنا؟

لا فحص طبياً شاملا يكتمل من دون الامر المعهود: "افتح فمك وقلْ آه!" غير أن بعض الاطباء الاذكياء يزيدون: "دعني أرَ أظفارك." فهم يعلمون أن هذه الاظفار يمكنها أن تساعدهم على تأكيد تشخيص عدة أمراض خطرة.

تجلّى فحص الاظفار في العهود القديمة. وقد أيده أبقراط (١) كوسيلة للتشخيص. ودامت هذه الممارسة مع الايام، لكن معظمنا غافل عن وفرة ما في بناننا (٢) من معلومات صحية.

تحمي الاظفار البَنان المُرهفة الغنية بالاعصاب من الاصابات، وتزيد اللمس إحساساً وتدعم الاصابع في تداولها أجساماً صغيرة. وهي تشبه الشعر في تركيبتها الكيميائية فتتكوّن بنسبة كبيرة من القَرَتين، البروتيين الليفي الغني بالكبريت.

تبدأ الاظفارُ خلايا ليِّنة كالهلام، ثم تقسو وتغدو متراصّة بإحكام اذ تنبت. والجلد المتصلب فوق قاعدة الظفر يمنع القَذَر والمهيِّجات والكائنات المجهرية من شقّ طريقها الى الخلايا الحساسة في تلك المنطقة. وفي الجلد تحت الظفر إمداد دموي غزير ووفرة في الاوعية الشعرية قرب السطح الذي يمنح الاظفار مظهرها الفاتح اللون.

وتعتبر الاظفار، مع العظام والاسنان، من الانسجة الاكثر صلابة في الجسم. وأحد أسباب ذلك فقرها بالماء الذي لا تتعدى نسبته فيها ١٠ في المئة. ومع ذلك فالاظفار تمتص الماء اذا غُطِّست فيه فيزداد محتواها منه وتصبح أكثر ليونة.

تنمو أظفار اليد بمعدل يترجّح بين نصف مليمتر و١،٢ مليمتر في الاسبوع، بسرعة تساوي أربعة أضعاف سرعة نمو أظفار القدم. وكلما كانت الإصبع طويلة ازداد نمو ظفرها. وتعجِّل الحرارة هذا

(١) طبيب يوناني قديم يلقب "ابا الطب."
(٢) البنان رؤوس الاصابع، واحدتها بنانة.

النمو، لذلك تطول الاظفار بسرعة أكبر في فصل الصيف وفي الاقاليم الحارة وفي النهار. وعند الرجل الايمن تطول أظفار اليد اليمنى أسرع من أظفار اليسرى، أما الاعسر فيلاحظ نمو أظفار يسراه أسرع من نمو أظفار يمناه. ويحتفظ رجل هندي بالرقم القياسي في طول أظفار احدى يديه، اذ ربّاها فبلغ طولها ٨١ سنتيمتراً خلال ٣٥ عاماً.

الغذاء الجيد ضروري لنمو الظفر السويّ. وفي حالات سوء التغذية وانعدام الشاهية العصبيّ (٣) تنمو الاظفار ببطء، وقد تظهر عبرها أثلام مستعرضة تدعى خطوط "بو" (٤). وتساهم التغذية الفقيرة أيضاً في تقصّفها وتكسرها.

وعلى نقيض الاعتقاد الشعبي، لم يبيّن العلم أبداً أن الهلام (٥) يعجل نمو الاظفار أو يساهم في تقويتها. ويصح الكلام ذاته في الفيتامينات. يقول الدكتور بول كيشيجيان الاستاذ السريري لعلم أمراض الجلد في كلية الطب بجامعة نيويورك ورئيس قسم الاظفار في وحدة الجلد والسرطان في المركز الطبي الجامعي بنيويورك: "لربما أخّر نقص الفيتامين نمو الظفر، لكن زيادته لن تساعد الاظفار على النمو بسرعة أكبر لدى شخص سليم البنية."

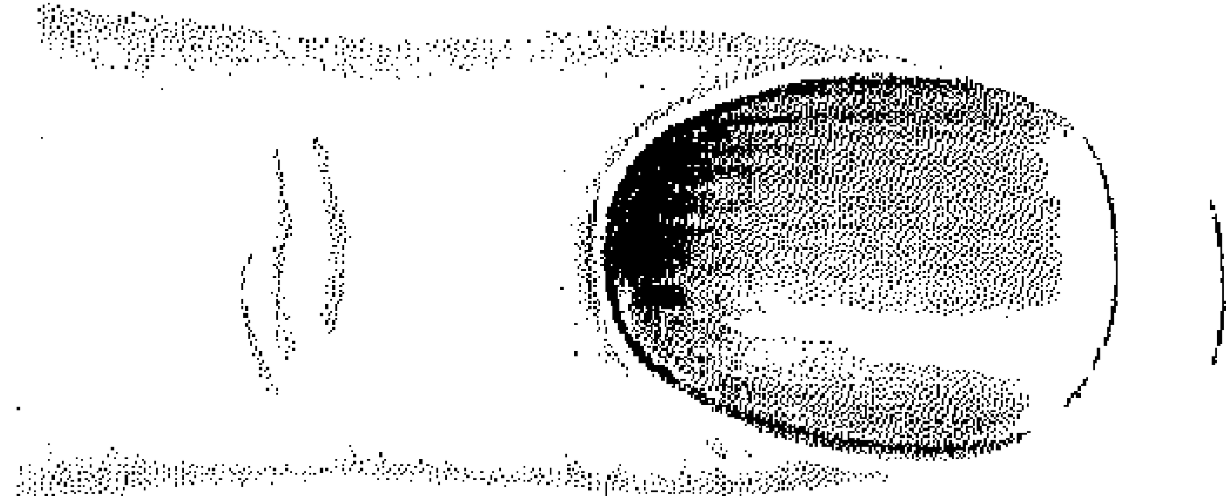
طلاء الاظفار يقسّيها، لكن مُزيلاته قد تجففها مولّدة التقصف الذي يسببه أيضاً التعرُّض المهني لمذيبات متطايرة (٦).

يخف نمو الاظفار بفعل دورة دموية فقيرة قد تجعلها أسمك وأخشن وأكثر اصفراراً. وقد تظهر هذه الاعراض في المصابين بالسكري وأمراض القلب. وفي الحالات القصوى يبدو قاع الظفر أزرق اذا حصل نقص في تنشق الاوكسجين.

وفي ما يأتي بعض الحالات الشائعة التي قد تساعد طبيبك على تشخيص مرض خطير:



**التدبيس (clubbing)**: ويدعى أيضاً التعقُّف والتعجُّر. يكون للظفر تقوُّس مفرط في اتجاهه الى عَلٍ وعقائص حول البنانة. والتدبيس قد يكون علامة للانتفاخ (الامفزيما) أو السل أو المرض القلبي الوعائي أو التهاب القولون التقرُّحي أو تشمُّع الكبد.



**ازرقاق هلال الظفر** (٧): إن مسحة زرقاء في هلال الظفر عند قاعدته توحي أياً من الحالات الآتية: دورة دموية ضعيفة، مرض قلب، متلازمة "رينود" وهي تشنجات في شرايين أصابع اليدين والرجلين تنتج عادة من التعرُّض لبرد شديد لكنها تترافق أحياناً مع التهاب المفاصل نظير الروماتزمي (٨) أو مع

---

(٣) Anorexia nervosa
(٤) Beau's lines
(٥) Gelatin
(٦) Volatile solvents
(٧) Blue moons
(٨) Rheumatoid arthritis

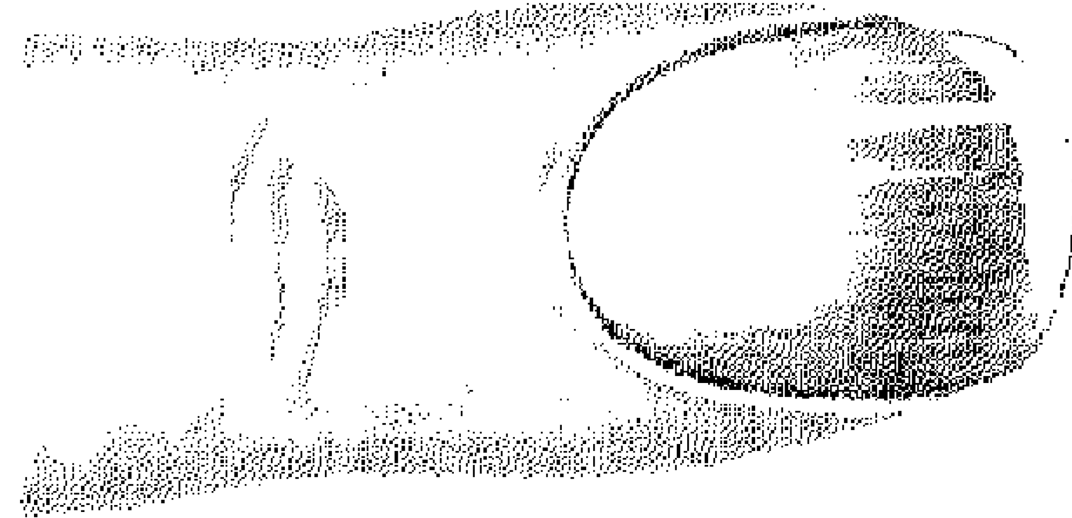
مرض الذّأَب الاحمراري المنمنع ذاتياً (٩).



**الاظفار الملعقيّة (spoon nails):** يكون الظفر مقعَّر السطح ويبدو مستوياً أو شبيهاً بالمغرفة. وتترافق الاظفار الملعقية مع افتقار الدم الى الحديد ومع داء الزهري (سيفلس) واضطرابات الغدة الدرقية والحمى الروماتزمية.



**أظفار تيري (Terry's nails):** يبدو معظم الجلد تحت الظفر أبيض، مع انحسار المنطقة الزهرية السوية الى شريط قرب رأس الظفر. وقد يكون ذلك من أمارات تشمّع الكبد.



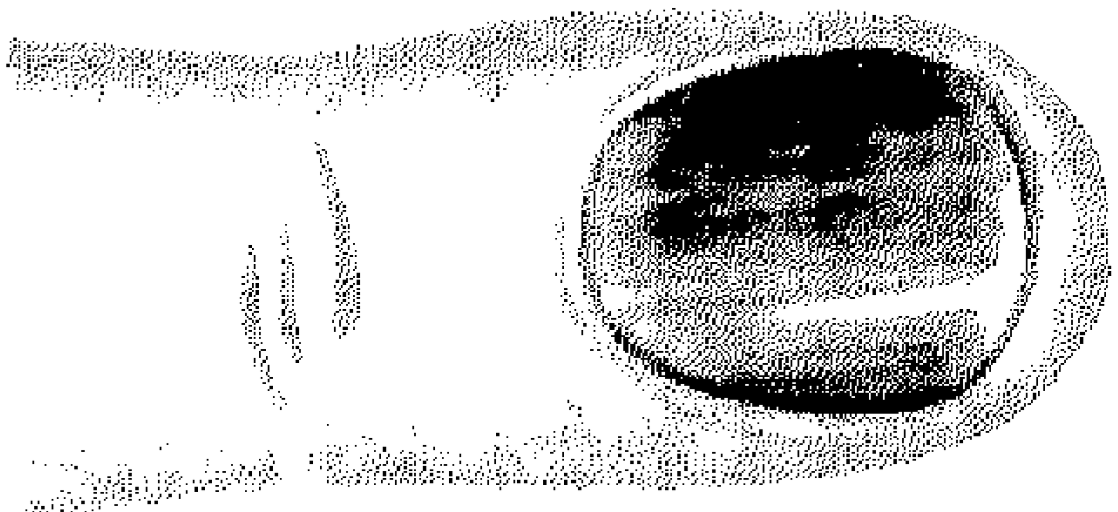
**أظفار ليندساي (١٠):** يبدو النصف الاعلى للظفر زهري اللون أو مسفوعاً فيما يبدو النصف المجاور للجلد أبيض. ويُعرف هذا المرض باسم "مرض الاظفار المتناصفة" ويمكن أن يشير الى قصور مزمن في الكلية.



**التشظي النازف (١١):** تعني هذه الخطوط الحمراء الطولية نزفاً للاوعية الشعرية. وقد تكون كثرة الخطوط علامة ضغط دم مرتفع مزمن أو صُداف (مرض جلدي) أو التهاب في جدار القلب (التهاب الشغاف الجرثومي) يمكن أن يهدِّد الحياة.



**تلطّخ الظفر باللون البني أو الاسود:** إن علامة كهذه، خصوصاً اذا انتشرت من الظفر الى نسيج الاصبع المحيط به، قد تعني ورماً قتامياً خبيثاً. وقد تظهر في شكل رقعة واسعة أو مجموعة من الكَلَف الصغير. وأكثر ما ينتشر التلطخ في ابهامي اليد والقدم.



**متلازمة الظفر الاصفر (١٢):** يتباطأ نمو الظفر الذي يصبح غليظاً وشديد الخشونة ويبدو أصفر أو اصفر

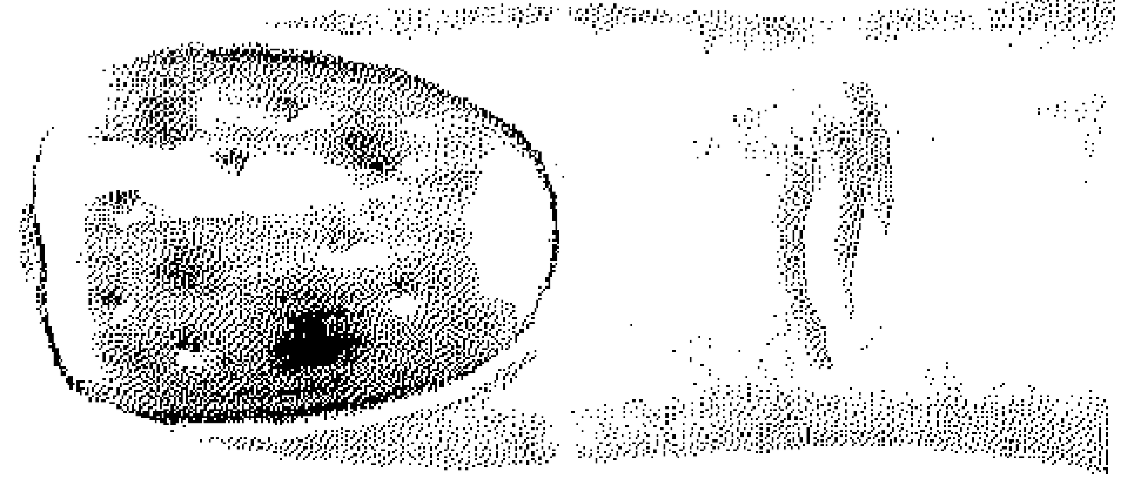
(٩) The autoimmune disease lupus erythematosus

(١٠) Lyndsay's nails

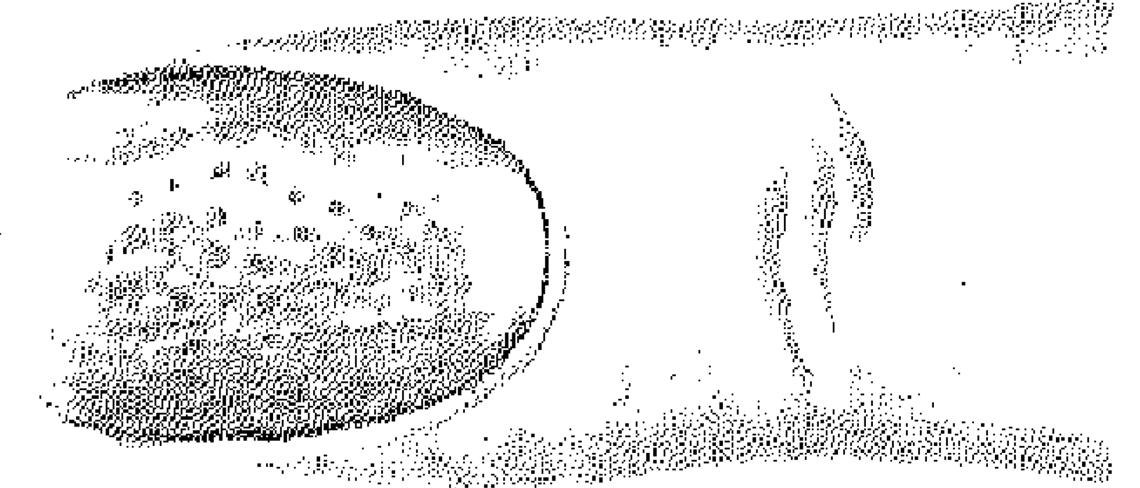
(١١) Splinter hemorrhages

(١٢) Yellow nail syndrome

مخضراً. وتتضمن الاسباب أمراضاً تنفسية أو درقية أو لمفاوية مزمنة.



**التنقير غير المنتظم** (١٣): يحصل هذا في عدة حالات من مرض الصداف.



(١٣) Irregular pitting
(١٤) Pitting in rows

**التنقير المتراص** (١٤): الاظفار التي تشبه النحاس الاصفر المطروق تظهر نتيجةً لقلة الشعر في الرأس. وهذا مرض مُمَنَّع ذاتياً وغير مفهوم كفاية وينتج من فقدان الشعر جزئياً أو كلياً.

**خطوط بو:** تنجم الاثلام الافقية المقعَّرة عبر الظفر عن سوء تغذية أو أي مرض جسيم يؤثّر موقتاً في نمو الظفر، مثل الحصبة والنكاف (أبو كعب) والنوبة القلبية والحميراء.

بعد كل هذا، أُرْنُ طويلا الى أظفارك، فلعلها تحاول أن تطلعك على أمر ما.

**كونستانس شرادر** ■

## بين السيىء والاسوأ

مرة في الشهر اذهب لزيارة اهلي مستقلا اوتوبيساً تدوم رحلته ثلاث ساعات. في احدى هذه الرحلات كنت افكر في المعاكسات التي لقيتها في ذلك النهار، فما من امر سار على ما يرام. في تلك الاثناء اعلن السائق: "سيداتي سادتي، انا آسف إذ يبدو اننا نواجه صعوبة مع الاوتوبيس، واخشى ان نضطر الى دفعه."

وكانت هذه القشة التي قصمت ظهر البعير. فقفزت من مقعدي وقلت: "هذا فعلا لا يُطاق! لا يمكن يومي ان يكون اسوأ مما هو."

اذذاك قالت العجوز الجالسة قربي: "بلى، ايها الشاب، هنالك اسوأ. تصوّر لو كنا في طائرة!"

س.م.

---

لربما كانت المراهقة طريقة الطبيعة في تحضير الاهل لفراغ العش من الاولاد.

ك.س.



# والت ديزني:

## ٥ أسرار تحقق الأحلام

قبل ستين عاماً في مدينة نيويورك ركب شاب القطار المتوجه غرباً وهو في حال متوترة. لقد سافر والت ديزني شرقاً للتفاوض في شأن توزيع أفضل لرسومه المتحركة التي كان بطلها الارنب "أوزولد"، لكنه فوجىء بأن موزع أفلامه يملك جميع الحقوق وأنه وقع عقوداً مع رسّامي ديزني الرئيسيين. عندئذ أعلن والت لزوجته ليلي، متحدياً، أنه سيبتكر شخصية جديدة. وفيما انطلق القطار بدأ يرسم على أوراقه.

وفي مكان من رحلة الـ ٤٥٠٠ كيلومتراً،

بين تولوكا في ولاية ايلينوي ولاهونتا في ولاية كولورادو، تذكر والت فأر حقل جلس مرة على طاولة الرسم لديه عندما كان في بداية انطلاقته في مدينة كنساس. قرر والت أن يجعل الفأر شخصية وأن يسميه "مورتيمر ماوس"، لكن زوجته اعترضت قائلة: "ان مورتيمر اسم فظيع لفأر."

فسألها والت: "إذاً ما رأيك في ميكي؟ ان لاسم ميكي ماوس صدى جميلا ولطيفاً."

أصبح الفأر الصغير ذو الابتسامة الخجولة والتفاؤل القوي والعزم الذي لا يقهر رمز فرح للملايين في انحاء العالم.

واليوم يتصدر ميكي ماوس امبراطورية تسلية عالمية تمتد من "ديزني لاند" في جنوب كاليفورنيا الى "عالم والت ديزني" في فلوريدا، ومن "ديزني لاند" في طوكيو الى "ديزني لاند" الاوروبية وهي قيد البناء حالياً قرب باريس، كما تمتد الى قلوب مليارات الناس.

ما سبب النجاح الباهر لهذه الامبراطورية التي تقدر قيمتها بـ٢٠،٩ مليار دولار؟ وما الذي مكّن شركة والت ديزني من تخطي الاوقات العصيبة والتملص من براثن المنافسين؟

ازدهرت المؤسسة بتطبيق المبادىء الاساسية التي وضعها والت ديزني والتزمها الرئيس الحالي مايكل ايزنر. وهذه الاسرار الخمسة لنجاح ديزني يمكن تطبيقها في حياة أي شخص.

## استشرفوا المستقبل.

"كان والت يعمل دائماً على أساس نظرية ايفاء دَيْن الغد اليوم،" هكذا يقول أخوه وشريكه روي ديزني، العبقري الذي دعم امبراطورية ديزني. ان استشراف المستقبل ساعد والت ديزني على تخطي أعظم نكسات حياته.

حتى ميكي ماوس كان فاشلا بادىء الامر. فبعد عودة والت ديزني من نيويورك بفكرة الفأر بطلا لرسومه، قصد الرسام الوحيد الذي بقي مخلصاً له وهو يوب ايفركس. صمم ايفركس الفأر الجديد ونفذ الحلقتين الاوليين من ميكي ماوس. ولكن لم يقبل أحد أن يوزعهما. فهما كانتا صامتتين، وكانت الافلام الناطقة نالت اقبالا شعبياً كبيراً. فتبنى والت التقنية الجديدة، وكان الفيلم الثالث عن ميكي ماوس ناطقاً، وعُرض للمرة الاولى في ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٨، وأصاب نجاحاً باهراً.

وتوقع والت أيضاً أن يؤدي نجاح الافلام الطويلة الى إلغاء أفلام الرسوم المتحركة القصيرة من برامج العروض السينمائية. فصنع أول فيلم سينمائي طويل في الرسوم المتحركة. ولا يزال فيلم "سنو وايت والاقزام السبعة"، منذ عرضه الاول في ٢١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٧ ولاكثر من نصف قرن، أحد الافلام الاكثر ادراراً للربح.

## أطلقوا عنان الخيال.

في العام ١٩٦٥ خلال اجتماع حول فيلم "كتاب الغابة" (١) وهو آخر فيلم للرسوم المتحركة نفذ باشراف والت ديزني شخصياً، لفت والت منفذي الرسوم المتحركة الى الصعوبة الكبيرة التي تحط

(١) The Jungle Book

بها النسور. قال: "ان أجنحتها من الضخامة وقوة الرفع بحيث لا تستطيع ابقاءها منخفضة، فتظل تتخبط بالاشياء وتتواثب صعوداً وهبوطاً."

ويذكر مخرجا الرسوم فرانك توماس وأولي جنستون هذا الحادث في كتابهما "فكاهة لا تسعها كلمات" (٢): "فجأة أخذ والت يحرك ذراعيه كجناحين ويضحك وهو يقلد هذه الطيور الضخمة المضحكة قائلا: "وهي ثقيلة جداً حتى ان قوائمها تكاد لا تحمل وزنها فتتدحرج هكذا..." فبدأ الجميع يضحكون. هذا النوع من الايحاء تعودنا توقعه من والت."

أدرك والت ديزني أن في مقدور الناس عادة أن يعملوا أكثر مما يظنون وأفضل. وعندما كان يقلد طائراً أو حيواناً أو انساناً كان يحاول تحرير مخيلات منفذي الرسوم المتحركة وشحذ قوى الملاحظة لديهم لتصبح حادة كقوة ملاحظته.

## جاهدوا من أجل نوعية تدوم.

رفض والت ديزني انتاج أي فيلم ما لم يثبت له أنه يملك ميزة البقاء. ففي العام ١٩٣٨، بعد عملٍ دام ستة أشهر في فيلم "بينوكيو"، علّق والت فجأة انتاج الفيلم لمجرد اقتناعه بأنه يفتقر الى "قلب". قال والت: "أي شيء لا يملك قلباً لا يمكن أن يكون جيداً أو يدوم. بالنسبة الي، المرح يتضمن الضحك والدموع في آن."

كان الحل بالنسبة الى والت ابقاء صرار الليل الناطق، الذي قتل في مستهل الكتاب، قيد الحياة وجعله يلعب دور ضمير بينوكيو. ولاظهار "نفسية" صرار الليل النابضة بالحيوية طلب والت رسمه بسبعة وعشرين لوناً مختلفاً، "فجعل له، ليس فقط قبعة زرقاء وصدرة برتقالية وحذاء أصفر، بل أيضاً ألوان مختلفة لأهداب عينيه وداخل فمه وأخمص قدميه،" كما يروي مخرج الرسوم وارد كيمبال.

## تحلّوا بالمثابرة.

منذ نعومة أظفاري كنت أحلم بلقاء والت ديزني للاطلاع على أسراره التي تحقق الاحلام. وعندما بلغت السابعة عشرة ذهبت الى ولاية كاليفورنيا وحظيت بمقابلته.

في يوم أحد من شهر أغسطس (آب) ١٩٥١ اجتمعت بوالت في منزله الواقع في هولمبي هيلز، فأخبرني أن أحد أسراره كان المثابرة على العمل.

وقبل لقائي اياه بشهر تقريباً كان فيلمه "أليس في بلاد العجائب" أخفق في شبابيك التذاكر. فقال لي بصراحة: "أليس لا تملك قلباً. انك تشعر مع سنو وايت، لكنك لا تشعر مع أليس." وعلمت في ما بعد أن فشل الفيلم كان صفعة قوية لوالت لانه أقنع أخاه روي بأن الوقت غير مناسب لتوظيف أموال الاستوديو في انشاء حديقة عامة.

وكان انشاء الحديقة حلماً يراود والت منذ كانت بناته صغيرات وكان يأخذهن الى مدن الملاهي وحدائق الحيوان. ولأنه اعتبر أن تلك كانت أجمل أيام حياته، أراد أن يصمم أماكن كهذه لاسعاد الآخرين.

(٢) Too Funny for Words

لكن اخفاق فيلم "أليس" حدّ من نشاطه موقتاً. فرهن عقد تأمين على حياته ودفع لرسام من حسابه الخاص لوضع الخرائط الاولى لمشروعه. وفي العام ١٩٥٥ افتتحت "ديزني لاند" في أناهايم بولاية كاليفورنيا.

في جميع مشاريعه لم يقبل والت انحرافاً عن الخط القويم. لاحظ مرة أن قاطع التذاكر في القطار كان يعامل الزبائن بفظاظة، فأوعز الى أحد مساعديه: "أعطِ هذا الشاب شرحاً أفضل لطبيعة العمل الذي نتعاطاه. فإذا لم تستطع ابهاجه فعليه ألا يعمل هنا. اننا نبيع السعادة."

## تمتعوا بأوقاتكم.

قال لي والت: "لتنجح في أمر ما عليك ألا تقلق، بل اشغل نفسك بفكرة صغيرة تعطيك المرح، كأن تتخيل ماذا يمكن بيتر بان (٣) أن يرى وهو يحلق فوق مدينة لندن."

وبفصاحة يديه وصوته وعينيه وحاجبيه جعلني والت ديزني أرى بيتر بان والاطفال يحلقون عالياً فوق نهر التايمس المتعرج وأضواء العربات تلمع في الشوارع البعيدة. قال لي والت: "ربما حط بيتر والاطفال لحظة على عقارب ساعة "بيغ بن" قبل أن يتوجهوا الى أرض المستحيل في النجمة الثانية الى اليمين، وبعدها في خط مستقيم حتى الصباح." فتسمرت في مكاني.

واليوم في "ديزني لاند" و"عالم والت ديزني" يركب ملايين الناس في "رحلة بيتر بان الجوية" سالكين المسار ذاته الذي وصفه والت قبل سنوات.

بعد وفاة والت بزمن طويل (٤) لا تزال جماعة ديزني تتمتع بأوقاتها، كذلك ملايين الناس الآخرين في انحاء العالم، بفضل اسرار والت ديزني الخمسة التي تحقق الاحلام.

جون كالهين ■

(٣) هو بطل مسرحية "بيتر بان" للروائي البريطاني ج.م.باري.
(٤) مات بالسرطان عام ١٩٦٦ عن ٦٥ عاماً.



## ما احلى التواضع!

نقرأ في كتيّب قديم برسم المضيفات ان زميلاتهن اللواتي عملن للمرة الاولى في ١٥ مايو (ايار) ١٩٣٠، زوّدن المجموعة الآتية من التعليمات:

- حافظي على ساعة الحائط مدورة وعلى مقياس الارتفاع جاهزاً لتسجيل ارتفاع الطائرة.
- احتفظي بجدول لمواعيد القطارات في حال الهبوط الاضطراري.
- حذّري الرّكاب من رمي سيجاراتهم وسجائرهم من النوافذ.
- راقبي الركاب عند ذهابهم الى الحمام لئلا يضلوا طريقهم فيتوجهون الى مخرج الطوارىء.

**مأساة واقعية**

# حَريق في ناطحة سَحاب

ليلة الرابع من مايو (أيار) ١٩٨٨ كان كل شيء هادئاً في أعلى ناطحة سحاب في لوس انجلس. وكان نحو مئة من عمال الصيانة يؤدون أعمالهم الرتيبة في بناية "فيرست إنترستيت تاور" التي تضم ٦٢ طبقة. وفي الطبقة السابعة والثلاثين كان موظفان من "فيرست انترستيت بنك أوف كاليفورنيا" يعملان متأخرين، وهما ميلندا سكار المحللة المالية (٢٨ عاماً) وستيفن أوكساس مساعد نائب الرئيس (٣١ عاماً).

قرابة العاشرة الا ربعاً كانت ميلندا لا تزال منشغلة باعداد تقرير لمجلس أمناء المصرف. اتصلت بخطيبها ديفيد كيرك وتركت له على الآلة المسجلة المجيبة الرسالة الآتية: "أظن أنني سأنتهي قرابة العاشرة والنصف. أراك قريباً."

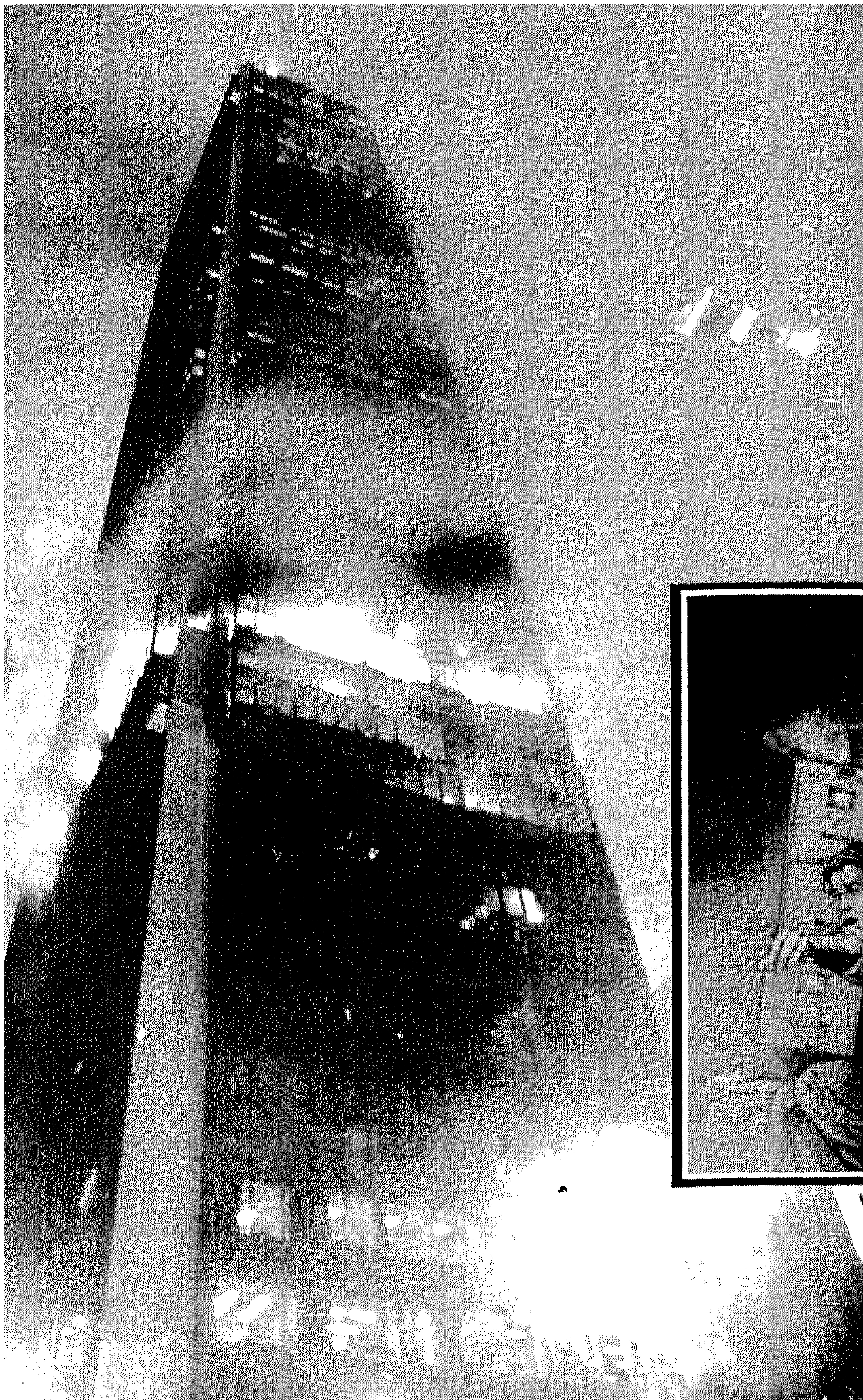
في العاشرة والنصف لاحظ عامل في الطبقة الخامسة دخاناً قرب السقف، فأطلق صفارة انذار بالحريق. وخلال الدقائق العشر التالية كانت أجهزة كشف الدخان في الطبقتين الثانية عشرة والثالثة عشرة بدأت تطن. وفي العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين أرسل ضابط الامن المهندس الكسندر هاندي للاستقصاء. دخل هاندي المصعد ذا الرقم ٣٣، وتوجه الى الطبقة الثانية عشرة.

في الطبقة السادسة والاربعين فوقه سمعت الموظفة زورا ايماموفيك صراخاً على جهازها اللاسلكي اليدوي. انه هاندي يصرخ: "المصعد ٣٣ مملوء دخاناً، انه يحترق." تفشت النار في الطبقة الثانية عشرة اثر مشكلة كهربائية واضحة. وانحبس هاندي هناك.



انحبس العمال وسط دخان خانق ودونهم اطفائيون يحاربون جحيماً أحمر في ناطحة السحاب

Photo: © Mark Richards / Picture Group.



حاولت ايماموفيك الاتصال بضابط الامن بواسطة جهازها اللاسلكي، ولكن لم يكن هناك من جواب كان هاندي يصرخ بألم مبرح. أما ايماموفيك فانكمشت معدتها حينما أخذ الصراخ يخف. ثم ران سكوت مخيف.

عبر الشارع رأى حارس النار في بناية المصرف، فاتصل بالرقم ٩١١ وهو رقم طوارئ المدينة. وفي العاشرة والدقيقة الثامنة والثلاثين أرسلت دائرة الاطفاء في مدينة لوس انجلس ست فرق اطفاء الى جادة ولشاير وشارع هوب. ولدى وصول رئيس الكتيبة دون كيت وجد أن النار تلتهم قسماً كبيراً من الجانبين الشرقي والجنوبي في الطبقة الثانية عشرة، فطلب خمس عشرة فرقة اطفاء اضافية.

في الطبقة الثانية عشرة فتحت الحرارة الشديدة رؤوس عشرات المرشات التي تُفتح آليا في حرارة معينة لاطفاء الحريق، وهي جزء من جهاز كلف انشاؤه ثلاثة ملايين ونصف مليون دولار. لكن نقطة واحدة من الماء لم تقطر. ذلك لأن الانابيب لم تكن وُصلت بعد وجهاز الماء الخاص بمكافحة الحرائق كان موقفاً.

**نار آكلة.** عندما سمع ستيفن أوكساس وميلندا سكار صفارات الانذار وشما الدخان أسرعا الى الرواق في الطبقة السابعة والثلاثين. كان الدخان في كل مكان منبعثاً من السقف. ركضا نحو المصاعد، لكن الدخان كان يتسرب من مهابطها، كما كانت بيوت السلالم الاربع في قلب البناية عابقة بالدخان الخانق.

عرفت ميلندا أن الحريق لا بد من أن يكون ضخماً، وحاولت أن تقرر ماذا عليها أن تفعل.

أسرعت هي وستيفن الى الهاتف، وطلب هو الرقم ٩١١. قال من غير أن يفكر: "نحن محبوسان في الطبقة السابعة والثلاثين من فيرست انترستيت."

في هذا الوقت تحلقت سيارات الاطفاء والاسعاف والمروحيات والاطفائيون حول البناية البرج. وقررت ميلندا الاتصال ثانية بديفيد، فالتفكير فيه كان معزياً لها. لكنها لما رفعت السماعة لم تسمع منها اي صوت. الصلة الوحيدة بالعالم الخارجي انقطعت.

لما كانت النار عالية جداً لم يستطع الاطفائيون استعمال سلالم أو خراطيم مياه خارجية. كان عليهم أن يصعدوا السلالم مجهدين مرتدين ثياباً كثيفة واقية وحاملين ما وزنه ستة وثلاثون كيلوغراماً من الاجهزة: خراطيم، وفؤوس، واسطوانات هواء مضغوط.

ضخت دائرة الاطفاء الماء الى جهاز مكافحة الحرائق في البناية، لكنّ أربعين دقيقة مرّت قبل أن يصبح الجهاز فاعلا.

في الطبقة الثانية عشرة انحنى الاطفائيون وصوبوا خراطيمهم الى الباب من بيت السلالم ودفعوها بتأن وهي مفتوحة. النيران تعصف كاعصار. تحطمت النوافذ وسقطت المصابيح والانابيب وطلاء السقف. وبلغت حرارة الهواء ١١٠٠ درجة مئوية فالتوت خوذ الاطفائيين، وغدوا لا يستطيعون الرؤية على مسافة تزيد على خمسة عشر سنتيمتراً أمامهم.

في الحادية عشرة والدقيقة الثانية

والعشرين تولى نائب رئيس دائرة الاطفاء دونالد أنطوني القيادة، وتم ارسال خمس وعشرين فرقة ومئة اطفائي الى مكان الحريق. مشى أنطوني دورة سريعة حول ناطحة السحاب، فرأى النار تندلع من النوافذ المحطمة في الطبقة الثانية عشرة وتنتقل الى الطبقة الثالثة عشرة.

ساعة قفز اللهب من خارج المبنى الى الطبقة الرابعة عشرة كان رئيس دائرة الاطفاء دونالدماننغ يرتجف خوفاً. فالحرارة الشديدة قد تضعف الدعائم الفولاذية التي تحمل خمسين طبقة فوق اللهب. قال أنطوني بهدوء: "اذا ما أصبحت هذه الدعائم حارة جداً فالبناية ستنهار."

**رسالة مروعة.** في الطبقة السابعة والثلاثين هبط الدخان من السقف غيوماً خانقة. أقفلت ميلندا باب المكتب الذي كانت هي وستيفن داخله، وسدت بسترة الفراغ تحت الباب. أما ستيفن فألقى بطاولة على النافذة محاولا ادخال الهواء، لكن الطاولة ارتدت.

لم يكن ثمة مهرب للدخان الذي تكثف حولهما. حاولا تحطيم النوافذ في مكاتب أخرى من غير جدوى. وجدا مقصات ونزعا المطاط الذي يمسك بالزجاج. ثم حطمت ميلندا النافذة بعلاقة قبعات. فكرت: لا يمكن أن نستسلم، لا يمكن.

أخيراً كان عليهما أن يتراجعا من المكتب المملوء دخاناً. اكتشفت ميلندا مستودعاً مجاوراً، فنادت: "يا ستيفن، هناك هواء أنظف، وثلاجة."

عثرت ميلندا أيضا على قوارير ماء بلاستيكية فارغة. أحدثت ثقوباً في قعورها ووضعت فوقها مناشف ورق مبللة، وتنشقت هواء مُصفّى. وفتحت هي وستيفن باب الثلاجة بضع ثوان لاستنشاق الهواء الانقى.

مشيا مضطربين مسافة خمسة وعشرين متراً من المستودع الى نافذة المكتب وضرباها بكل شيء ثقيل وجداه. لكن كسر الزجاج كان مستحيلا. سقط ستيفن وميلندا على الارض غير قادرين على مزيد من الجهد.

أثناء ذلك تمكنت زورا ايماموفيك من رفع زميلاتها أربعة أدوار من السلالم الى السطح حيث أنقذتهن المروحيات. وخلال تسعين دقيقة عصفت النار بالطبقتين الثانية عشرة والثالثة عشرة وانتشرت في الرابعة عشرة واندفعت الى الخامسة عشرة. أما الدخان فارتفع الى ما فوق سطح البناية البرج.

في هذا الوقت خشي أنطوني ألا يتمكن رجاله من التغلب على النار اذا ما تجاوزت الطبقة السادسة عشرة. كان اللهب يتسلق البناية من الداخل، ويقفز عشرة أمتار الى الخارج.

هبط فريق انقاذ بمروحية على السطح في محاولة تنفيذ مهمة بحث وانقاذ من القمة. لكن أعضاء الفريق اصطدموا، وهم يدخلون بيتي السلالم، بحرارة ودخان هائلين. كانوا كمن ينزلون في مدخنة. تدبروا أمر النزول طبقة واحدة، لكنهم اضطروا الى التراجع عندما فرغ الجهاز الذي يزودهم الهواء.

طوال المساء حاول عامل مقسّم

الهاتف الاتصال بالموجودين في الطبقة السابعة والثلاثين. سمع العامل الخط يرن، لكن أحداً لم يجب. لقد احترقت أسلاك الهاتف. لكن العامل حسب ان الجميع أخلوا الطبقة السابعة والثلاثين.

بعد منتصف الليل أدار ديفيد، خطيب ميلندا، الالة المسجلة المجيبة، وسمع ميلندا تقول انها ستترك المكتب في الساعة العاشرة والنصف. انما الرسالة الثانية هي التي أوقفته بارداً، فأحد زملاء ميلندا في العمل قال فيها: "أخبر ميلندا ألا تذهب غداً الى العمل، فقد شب في البناية حريق كبير."

اتصل ديفيد بادارة الاطفاء ليخبرها أن ميلندا كانت في الطبقة السابعة والثلاثين من البناية المحترقة.

**"انهم آتون!"** تجديداً للهواء، أمر ضابط الاطفاء روبرت راميريز رجاله بتحطيم نوافذ الطبقة السادسة عشرة بأدوات كماشة. فهو أدرك أنهم اذا ما خسروا هذه الطبقة فسيخسرون البناية. ان الجحيم دونهم نوّب الغراء تحت السجاد مطلقاً غازاً ساماً. ومن الطبقة العاشرة عاد اطفائي يقول: "هنالك حريق في المدخل ٦ – أ." وذلك كان بيت السلالم الذي صعدوا منه. لقد سدت عليهم طريق العودة.

اتصل راميريز لاسلكياً بمركز القيادة، وأخبر نائب الرئيس أنطوني: "أخفقنا، أنا في صدد سحب رجالي."

ارتجف انطوني لدى مرأى النار عاصفة من الطبقات الخمس. قال لراميريز: "حاول أن تمسك بالطبقة السادسة عشرة ما أمكنك ذلك، وابدأ العمل في الطبقتين السابعة عشرة والثامنة عشرة." كان هو وماننغ يراقبان بآمال واهنة، بينما كتل اللهب الصاعدة تلتهم بلا رحمة طبقة تلو طبقة.

كافحت ميلندا للتنفس عبر القوارير. التصقت هي وستيفن بالارض وأعينهما وحلقاهما في حال احتراق. يكاد أحدهما لا يرى الاخر عبر الدخان الخانق. ضغطت ميلندا أذنها على السجادة لتسمع أنين المصاعد. وتعزّت بما أملت أن يكون أصوات مصاعد. قالت لنفسها: هناك منقذون في طريقهم الينا. أدركت أن أملها الوحيد هو في أن تبقى آملة. وأخبرت ستيفن: "انهم آتون الينا، انني أسمع المصاعد. أعلم أنهم آتون!"

أمر راميريز اطفائييه باخلاء الطبقة السادسة عشرة. وخوفاً من امكان ترك أحد خلفهم اقتفى هو واثنان من الاطفائيين خطوط الخراطيم عائدين الى الحرارة والظلمة. وهناك شنا على اللهب هجوماً أخيراً يائساً.

ودهشا اذ رأيا النار تتراجع للمرة الاولى. وانضم الى قتال الماء مجندون جدد.

قرابة الثانية فجراً اتصل قائد مروحية لاسلكياً بمركز القيادة قائلا: "لا حريق اضافياً يلف البناية." وبعد عشرين دقيقة وردت رسالة أخرى تقول: "النار همدت."

**سباق مع الوقت.** في الثانية والنصف فجراً كان ستيفن وميلندا منطرحين على السجادة عندما سمعت هذه هدير

المروحيات. مشت متعثرة عبر الغرفة المسودة نحو النافذة التي حلّقت مروحية خارجها، وما كادت تقترب من النافذة حتى رأت المروحية تبتعد. لوحت بيديها غير أن أحداً لم يرها.

تساءلت: هل كتب لي أن أموت هنا؟ واذ تذكرت والدها وأمها وخطيبها ديفيد اغرورقت عيناها. يوم الاحد ذكرى ميلادها التاسعة والعشرون. وداعا يا ديفيد. لَهَفي على الخطط التي رسمناها. ولكن لا، لست مستعدة للموت!

في الغرفة المدخّنة سقط رأسها على الطاولة ولم تعد تسمع المروحية تحلق خارجاً.

ظل ديفيد كيرك يتصل بدائرة الاطفاء طوال الليل. أخيراً، في الرابعة فجراً، قال له أحد الاطفائيين: "لقد همدت النار، وكل من حُبس في البناية وُجد."

صرخ ديفيد: "لا، ميلندا في الطبقة السابعة والثلاثين."

أفاقت ميلندا على أصوات مختلطة. وكسراب جميل ظهر اطفائيان وسط الدخان. كان فريد فولكس وجورج أوفرترف، من فريق الانقاذ، يمشطان المنطقة بحثاً عن أحياء. ابتهلت ميلندا: شكراً لله، انتهى كل شيء، وسأحيا.

وجد المنقذون ستيفن فاقداً الوعي في غرفة خلفية. وأدركوا أنهم في سباق مع الوقت اذا ما بقي ستيفن وميلندا على قيد الحياة بعد أكثر من خمس ساعات من تنشق الدخان.

حضر المنقذون محملين من قماش الستائر، وأُنزل الاثنان بسرعة ستاً وثلاثين طبقة.

في السادسة الا ربعاً فجراً، عندما وصل الاطفائيان اللذان يحملان ميلندا الى خارج المبنى وتوجها نحو سيارة الاسعاف، تطلعت الشابة الى سماء الصباح. وتنسّمت باشتياق الهواء الخارجي ملء رئتيها. انه فجر جديد، هو الاغلى في حياتها.

أربعون من عمال ناطحة السحاب وخمسة اطفائيين أصيبوا في جحيم "فيرست انترستيت." وتوفي المهندس هاندي. أما ميلندا وستيفن فشفيا وعادا لاحقاً الى العمل.

بعد الحريق بعشرة اسابيع اتخذت سلطات مدينة لوس انجلس قراراً يلزم أصحاب قرابة ٣٥٠ بناية مرتفعة مشيدة قبل العام ١٩٧٤ تجهيز سقوفها بأنابيب رشاشة ذات صمامات تفتح آلياً عند حرارة معينة لاطفاء الحريق.

رينا ديكتور لوبلان ■

## أغنية عجوز

في أثناء ترتيبي غرفة الطعام في مأوى العجزة حيث أعمل، سمعت احدى المقيمات تدندن لحناً معروفاً بكلمات أجنبية. وسألتها بفضول عن معنى ما غنّته. فنظرت الي كما لو كنت متخلفة عقلياً وقالت بأناة: "حسناً، انه يعني الشيء نفسه، بالطبع."

م.م.

# درهم الحظ

## تستغرق بعض الاماني مدة طويلة لكي تتحقق

قصدنا في يوم ربيعي مشرق قبر جدي لكي نزرع حوله بعض الزنابق. جزت جدتي العشب لكي تتأكد من وضوح الاسم على الحجر، وأخذت تكلم جدي باللغة الهنغارية (المجرية). وبعد ذلك دمدمت صلاة.

أما أنا فساعدتها في ازالة العشب وسألتها هل تمانع في جلوسي على شاهدة القبر، فطلبت مني أن أتصرف بحرية لان ذلك المكان هو منزل جدي، وسيكون منزلها هي أيضاً في يوم من الايام. وكان اسمها حفر على الحجر الصواني قبل ذلك. كانت جدتي امرأة متدينة أتعبها الزمن فكانت تردد أنها أصبحت جاهزة لملاقاة بارئها.

بعد طلاق والديّ عشت أنا وأختي مع جدتي. كانت جدتي تجلس في كرسيها الهزاز على الشرفة الامامية في أمسيات الصيف تستمع الى صرار الليل. كانت تطرز المحارم وتسلينا وهي تقص علينا ما كان يقوله الصرار.

وقبل ذهابنا الى النوم كنا نتلو صلاة باللغة الهنغارية. وكانت جدتي تكرر على مسمعي بتأنّ الكلمات التي لا أستطيع لفظها. كانت امرأة قوية لكنها لطيفة سريعة الابتسام وذات ضحكة معدية. وكانت تتكىء على عصا وتتحرك ببطء، لكنها كانت دائماً تراقب خطواتها بحذر.

كنت في السادسة من عمري في ذلك

النهار الربيعي حين زرنا المدافن. وكنت ألبس ثياب العطلة، فستاناً منقطاً معقوداً بشريط من الخلف وجوارب قصيرة بيضاء وحذاء جلدياً أسود لماعاً. كنت أتعمد ضرب كعبيه الواحد بالآخر وأنا أثب بين شاهدات القبور لكي اعجل في بلائه.

وحذرتني جدتي: "أنظري أمامك وأنت تمشين." وكنت أحتاج الى هذا التحذير لانني كنت أركض دائماً متجاهلة العوائق في طريقي، فكان محتوماً علي الاختلال والتعثر والوقوع على الارض، وكانت لطخات الدواء الاحمر (مركوروكروم) على مرفقيّ وركبتيّ شواهد على تصرفي الطائش.

كانت جدتي تعني تحذيراتها تماماً. ولكن لكثرة تكرارها أخذت هذه التحذيرات معنى أعمق وكأنها ضرورة حياتية. لكنني كنت أتجاهلها وأتابع الركض اعتقاداً مني أن هذه التحذيرات هي محاولات من عالم الكبار لِلَجمي. وكنت ارجع عادة الى جانب جدتي، مثلما فعلت في ذلك النهار.

**الدرهم السحري.** ربما كانت مشية جدتي هي التي جعلت منها انسانة خارقة في ملاحظتها للقطع النقدية الضائعة.

ذلك الاحد كانت القطعة النقدية بين الاعشاب المجزوزة حديثاً أمام أحد القبور، ملطخة بالتراب والاعشاب. وكنت سأدوسها لولا جدتي التي وقفت في طريقي ونقرت القطعة النقدية بعصاها وقالت متحمسة وكأننا وقعنا على جوهرة: "أنظري إليه، انه درهم جالب للحظ. التقطيه."

كنت حينئذ صغيرة فآمنت بالسحر والتقطته.

في ذلك اليوم عرفت دراهم الحظ. انها كذلك لأنك أنت من وجدها ولم يرها آخرون اطلاقاً. انها بمثابة هدايا صغيرة. وعند التقاط أحدها عليك أن تخاطبه بلغة شعرية خاصة: "يا درهمي، يا درهمي، أجلب لي الحظ، لأني أنا رفعتك عن الارض."

أثناء وشوشة جدتي لي بهذه الكلمات كان صوتها حنوناً وموسيقياً، انه الصوت ذاته الذي كان يغني لي لأنام وأنا متكورة بين ذراعيها. واذ اتبعت تعليماتها البسيطة شعرتُ كأنها تشارك في أحد اعظم أسرار الكون.

انحنيت لالتقط الدرهم فقالت لي جدتي: "أطلبي أمنية واحفظيها سراً. ضعي الدرهم في مكان آمن وستتحقق أمنيتك ذات يوم."

نظرت الى الدرهم السحري في يدي ورددت التعويذة. وبدأ سباق في عقلي بين كل الامور التي أتمناها. أردت أن اتعلم قيادة دراجة بعجلتين، وأن أمزق جميع ثيابي المنقطة في الخزانة، وأن أنتعل حذاء رياضياً بدل حذاء الجلد اللماع أيام العطل.

ابتسمت جدتي كأنها أدركت ما يجول في خاطري وقالت: "تأكدي من أنك تتمنين شيئاً تريدينه حقاً."

تحت شمس الربيع وسط المدافن تمنيت أن تعيش جدتي الى الابد.

قالت لي: "حافظي على درهمك دائماً، لان بعض الاماني يستغرق وقتاً طويلا لكي يتحقق."

أسقطت الدرهم داخل حذائي كي لا أخاطر بضياعه. وعندما وصلت الى البيت وضعته تحت وسادتي. والى اليوم لا يزال في حوزتي.

**معجزات صغيرة.** توفيت جدتي في شهر سبتمبر (أيلول) من تلك السنة. وليلة وفاتها كانت الفوضى تعم بيتنا، فشعرت بأن هنالك خطباً ما. زحفت خارج سريري لآتي بالدرهم الذي وجدناه معاً. أطبقت عليه يدي بقوة مدركة أن الامنية التي أردتها لن تتحقق وأن زياراتي المقبلة للمدافن ستكون لجدتي أيضاً.

يوم الدفن وجدت درهماً آخر فقلت في نفسي متعجبة: "كيف يمكن أن أجد الحظ في يوم كهذا؟" وفكرت في عدم التقاط الدرهم، لكنني تذكرت ذلك اليوم في المدافن عندما نقرت جدتي درهماً مماثلا بعصاها. تذكرت أشعة الشمس وهي تلوّح وجهي ورائحة العشب المجزوز والزنابق على قبر أصبح اليوم بيت جدتي.

رفعت الدرهم وأسقطته داخل حذائي الاسود اللماع. أبقيته هناك طوال النهار. وعندما عدت الى البيت بعد الدفن تناولت كوب شاي كان لجدتي وأسقطت فيه الدرهم ووضعت الكوب على طاولتي.

ما زلت أملك ذلك الدرهم، وألوف الدراهم الاخرى الجالبة للحظ. لقد ورثت عن جدتي حاستها السادسة في العثور على هذه الدراهم. انها تملأ الزهريات وعلب المجوهرات وأكياس النايلون وحافظات النقود وعلب المربى والبسكويت والقهوة والاكواب الصينية.

أحياناً أذهب في "نزهات درهمية" عندما أكون مضطربة أو في حاجة الى اتخاذ قرار مهم. ترمز هذه الدراهم الى المعجزات الصغيرة التي أتمناها. وهي تقنعني بأن الامور التي اعجز عنها قد تصبح سهلة المنال في النهاية.

أدعوها "دراهم جدتي." وأشعر كأن جدتي تراقب سير حياتي وتقول لي لافظة اسمي بالهنغارية: "كل شيء على ما يرام يا ارينكي. ستنقشع عنك هذه الغيمة."

قد تكون أمنيتي الاولى تحققت فعلا. جدتي لم تمت، فكل مرة التقط درهماً أفكر فيها. أراها متكئة على عصاها تلاحظ كل خطوة، وأسمع الصوت الذي كان يغني لي لكي أنام وأنا صغيرة ويتمتم صلاة هنغارية في الليالي الهادئة.

يا درهمي، يا درهمي، أجلب لي الحظ، لأني أنا رفعتك عن الارض.

ارين فيراغ ■

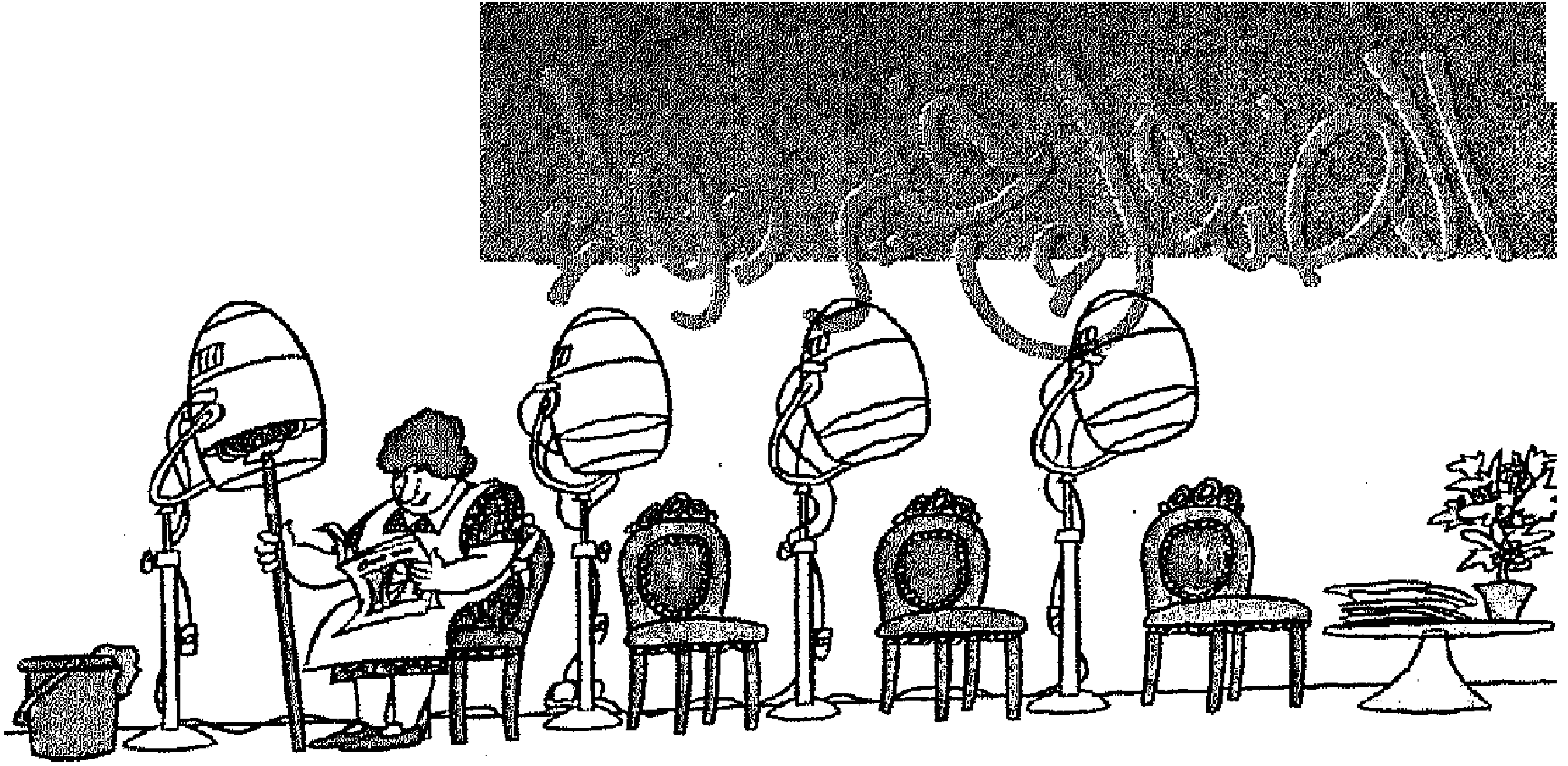


## ما أقصر الأيام!

يوم أخذت والدتي البالغة ٩٨ عاماً الى المستشفى لاجراء فحص عمومي، كما جرت العادة سنوياً، كانت تضع ساعة ذهبية تتدلى من رقبتها. أعجب الطبيب بالساعة وقال: "انها جميلة، هل هي قديمة؟"

فأجابت امي: "آه، لا، حصلت عليها يوم تخرَّجت في المدرسة الثانوية."

ف.ف.



## ام الزوج والزوجة

قال الزوج لزوجته: "لقد مرت عشرون سنة على اقامة امك معنا. الم يحن الوقت لتجد لها مكانا خاصا تقيم فيه؟"

فاجابت الزوجة: "امي؟ لقد اعتقدت انها امك."

ج.ل.

## نكتة كيميائية

كتب مدرّس الكيمياء بالطبشور على اللوح الاسود الرمز $HNO_3$ ثم استدار ودل باصبعه على اكثر طلاب الصف شروداً وسأله: "علامَ يدل هذا الرمز الكيميائي؟"

فتلعثم الطالب المستاء وتمتم: "أر، أر، آه، اوه... ان اسمه على طرف لساني يا استاذ..."

"في هذه الحال، افضل لك ان تبصقه، لانه حمض النيتريك."

ف.ر.

## السلامة غنيمة

تحلّق جمهور حول برج الغطس الذي يعلو ٣٠ متراً عن الارض، في انتظار قدوم الغطاس المعلن عنه. وبعد طول انتظار اقبل شيخ مسن واهن يتكىء على عصا. فتناول المذياع وقال: "مساء الخير. عمري ٩٩ سنة، وفي نيتي انْ اذهلكم. فلسوف اتسلق البرج ومِن عَل سأغطس في حوض الماء الصغير جدا، الذي ترونه تحت البرج. هل انتم مستعدون لمشاهدة ذلك؟"

فتوجس الجمهور خوفاً وصرخ: "آه، لا، لا تقدِم على هذا العمل!"

فقال الرجل: "سمعاً وطاعة. اذاً، العرض المقبل في الساعة العاشرة."

ا.ب.

## معجم المازوشيين

هل سمعت بمعجم المازوشيين الجديد؟ إنه يحوي كل الكلمات، ولكنها ليست مرتبة وفق حروف الابجدية.

ف.ت.

## بطارية تطلب سيارة

قال العامل الميكانيكي للزبون: "انني ارى ان مشكلتك تفوق توقعاتي. ان بطاريتك في حاجة الى سيارة جديدة."

ب.ت.

# الحرب ضد المخدرات:

# درسٌ من أسوج

عندما صمم الشعب الاسوجي (السويدي) على شن "حملة تطهير" ضد المخدرات أتت النتائج مذهلة. فقد توقف مدُّ تعاطي المخدرات، المتنامي في البلاد، وخف فعلا في أوساط الشباب. وألهم هذا النجاح نانسي ريغن، زوجة الرئيس الامريكي السابق رونالد ريغن، فدفعها الى تنظيم حملتها الشخصية لانقاذ الشباب الامريكي من المخدرات. وعندما زارت السيدة ريغن استوكهولم في يونيو (حزيران) ١٩٨٧ كان هدفها أن تتعلم كيف تُشن الحملات.

قد لا تكون الاجراءات القاسية التي طبقتها أسوج طريقة قابلة للتطبيق على نطاق عالمي. غير أن التصميم الصادق على تكوين مجتمع محرر من المخدرات في هذه البلاد سيشدد العزم ويصلّب الصراع ضد المخدرات في كل مكان.

في العام ١٩٨٠ حضرت كاترينا كناتينجيوس، معلمة التطريز في احدى المدارس الثانوية في بلدة تابي القريبة من استوكهولم، سلسلة محاضرات تتحدث على امتداد يوم كامل عن مخاطر تعاطي المخدرات ونتائجه. فأخذتها الرهبة، واكتشفت للحال تلميذاً يدخّن حشيشة الكيف. كان ابنها البالغ ١٥ عاماً. تقول

كاترين: لم يكن هناك من ألجأ اليه للمساعدة. فمجتمعنا كان يغرق في المخدرات، ولم نكن ندري بذلك."

منذ البدء ضربت المخدرات أسوج بقوة. وما ان أقبل العام ١٩٨٠ حتى كان نحو ١٤ ألف شخص يُصنفون في تقرير حكومي "مدمنين ادماناً جسيماً." وكانت الوفيات الناجمة عن الجرعات المفرطة في ازدياد. واشتهر في استوكهولم "ميدان ماريا" الذي يضج بشبيبة تصغي الى موسيقى الروك وتدخن سجائر حشيشة الكيف، حتى بات يسمى "ميدان الماريوانا." وعلى رغم ذلك تغاضى المدعون العامون عن كميات ضخمة من حشيشة الكيف والامفيتامين اقتناها المواطنون لاستعمالهم الشخصي، وكانت جهود الوقاية فاترة.

لكنَّ عامة الشعب في أسوج قررت على حين غرة أن الكيل قد طفح، فتحوَّل الموقف الاسوجي المتحرر حيال المخدرات مقاومة عدوانية. وتبلورت الحال النفسية الجديدة في ١٩٨٣ عندما صرح اينغفار كارلسون، الذي صار اليوم رئيساً للوزراء: "لقد آن الاوان لتنفيذ تدابير صارمة في اطار حملة تطهير تنظف البلد من المخدرات. فالشعب الاسوجي يريد نتائج ملموسة."

وفيما عرفت كارثة المخدرات منذ ذلك الحين تدهوراً نحو الاسوأ في معظم البلدان، كانت قصتها في أسوج مختلفة جداً:

□ فيما تضاعفت جرائم المخدرات مرتين في المانيا الغربية وثلاث مرات في فرنسا منذ منتصف السبعينات، تراجعت في أسوج بنسبة ٤٠ في المئة.

□ أنزل الاسوجيون الى النصف ثم الى الربع عدد المراهقين الذين يختبرون المخدرات. وفي أوائل السبعينات كان فتى من أصل سبعة فتيان وفتاة من أصل ست فتيات (في السن السادسة عشرة) يعبثان بالمخدرات. أما اليوم فان طالباً (أو طالبة) من أصل ٣٣ في هذه السن يتورط في المخدرات.

□ ان مجموعة مدمني الهيرويين والامفيتامين بالحقن الوريدية لا تزال مستقرة على عشرة آلاف، وعدد الشباب الذين ينتقلون الى عداد هذه الزمرة هو صفر عملياً.

العلاج الاسوجي ليس كاملا في أي حال. ولكن، يقول البروفسور غابريال نحاس من جامعة كولومبيا بمدينة نيويورك، وهو مرجع في شؤون الادمان: "لا تزال أسوج تسيطر على مشكلة المخدرات سيطرة تفوق كثيراً مثيلاتها في أي بلد غربي آخر."

عندما يتعلق الامر بالحرص على مصالح الشعب يتحسس المجتمع الاسوجي واجبه في التدخل. فمن خلال جهاز للعناية الاجتماعية يكلف الاسوجيين غالياً، لكنه يعمل مثل الساعة، وعبر تقليد طويل من الاهتمام بحياة الكحوليين والجانحين، يحتل شعب أسوج افضل موقع بين الشعوب يؤهله لاتخاذ موقف متصلب من المخدرات. ولكن كان عليه أولا أن يريد ذلك.

بدأ الجدل العنيف في منتصف الستينات. في جهة يقف أهل مدمني

المخدرات، الذين كوَّنوا فريق ضغط فتح أول مقر لمعالجة المدمنين الشباب وأدار حملة ضد المواقف المتغاضية عن المخدرات. وممن تتبعوا مشكلة المخدرات أيضاً وقادوا الصراع من أجل فرض تقييدات صارمة على مقتنيها، البحاثة الرائد في التحليل النفسي الدكتور نيلز بيجوروت. وحجته في ذلك أن ضرع تجارة المخدرات سيجف حتماً اذا لم يعد هناك من يقتنيها. وفي ذلك يقول: "نحن نعرف من يكون مستعملو المخدرات وأين نجدهم، ولذا يمكننا التصرُّف."

ولكن، في الجهة المقابلة، طالب آخرون باسم الحرية الفردية بحظر كل الاجراءات القمعية. واليهم أشار منسق الانعاش أوفي روسنغرن، الذي يشغل الآن منصب رئيس "الجمعية الوطنية لمجتمع خال من المخدرات" وهي فريق ضغط نافذ، عندما قال: "كان المنظرون المتمشون مع آخر ما يهم الشباب يحاولون تسهيل وصول المخدرات الى المدمنين فيما كنا نحن ننتشلهم من حمأتهم. وكان واضحاً أن الحل المتحرر سلوك أحمق. ولكن كيف السبيل الى ايقاظ مؤيديه من غفلتهم؟"

أخيراً تفتحت البصائر عندما اتخذت مشكلة المخدرات أحجاماً لا تُخفى. ويشرح المرشد الاجتماعي بنجت فورسمان: "ازداد تفشي المخدرات في الشوارع فخفنا على أولادنا."

[illegible] ما إن بدأ مؤشر الرأي العام الترجُّح حتى تابع تحركه الحثيث. وأظهرت الاستطلاعات أن دعم الجمهور لسياسة صارمة هو شبه شامل. ولكن لن تكون هناك حملة واحدة، ولا رد بسيط، ولا تسويات.

باديء ذي بدء لم يُقِمْ أي تمييز بين مخدرات "ثقيلة" وأخرى "خفيفة." فحشيشة الكيف اعتبرت خطرة مثل الهيروبين. والمدعون العامون امتنعوا عن التماس العذر لأحد. فامتلاك مقدار ذرة من مادة مخدرة محرَّمة يقود الى دفع غرامة او الى المحكمة، والاتجار بها يعني السجن. وبموجب قانون جديد يُعتبر تداول المخدرات، كما تعاطيها، عملا جرمياً منذ يوليو (تموز) ١٩٨٨.

واليوم غدا الاعلام الصحيح حول المخدرات مادة الزامية في مناهج التدريس لكل الاعمار. فالكتب المدرسية تطرح أسئلة للنقاش من شأنها أن تساعد الشبيبة على مناصرة القيم وعلى اتخاذ الخيارات الصعبة. ورجال الشرطة يزورون غرف التدريس أيضاً ويقولون: "فكروا في أن جرائم المخدرات هي جنائية، وأن سجلا عدلياً ملطخاً يعني أنكم ستلاقون مشاكل في الحصول على رخصة سوْق أو على عمل."

ومع أن الاهل هم الحصن الحقيقي ضد مفسدة المخدرات، فهم غالباً مترددون حائرون: هل ابنهم المراهق يتعاطى حقاً المخدرات أم انه يتصرّف على نحو أخرق مجتازاً مراحل مراهقته؟ كيف لهم ان يعرفوا الحقيقة؟ ماذا في وسعهم ان يقولوا لولد يناقشهم في أن تدخين لفافة حشيشة أقل خطراً من جرع كوب جعة؟

في كل سنة يرسل "مجلس الصحة والانعاش الوطني" الى أهالي كل الاولاد

الذين بلغوا ربيعهم الرابع عشر منشوراً بعنوان "كتاب حشيشة الكيف" يخاطبهم بواقعية فظة: "ليست حشيشة الكيف مخدراً غير مؤذ أو خفيف المفعول... إنها تولّد خوفاً وذعراً وهلوسات وحساً مشوهاً بالواقع... والحشيشة تبقى في الجسم بين أسبوع وأربعة أسابيع بعد تدخينها...".

إنقاذ الشبيبة. كل ما يتعلمه الولد عن المخدرات في المدرسة أو في المنزل يلقى دعماً من المؤسسات الخيرية ونقابات العمال ونوادي الشبيبة والرياضة. يقول رولف برسون رئيس الحملة المناهضة للمخدرات التي تقودها "جمعية الفرسان" التي تضم نحو ٣٠ فريقاً مؤثراً وتشترك في النضال ضد المخدرات: "لقد بُذلت جهود كبيرة لضمان حصول الشبيبة على مثل أعلى للحياة كي لا ترغب في العودة الى المخدرات."

وقد وُضع قيد التنفيذ برنامج اجتماعي مكثف للشباب الذين لا تزال تجربة المخدرات تراودهم. وكانت حملة التطهير أُطلقت في مدينة ابلاندس فاسبي شمال استوكهولم في العام ١٩٨٤. فخلال محادثة عادية أخبرت تلميذة في الرابعة عشرة من مدرسة غريمستا الثانوية الممرضة بريجيت اغرين أنها هي وثماني رفيقات في صفها يدخّنّ حشيشة الكيف سراً. تقول اغرين: "كانت تلك المدرسة تضم خمسة صفوف في المرحلة ذاتها، والمدينة تضم خمس ثانويات اخرى. فلم تكن لدينا فكرة حقيقية عن أبعاد المشكلة، ولكن كان علينا أن نعمل."

وسرعان ما نظم المرشدون الاجتماعيون في المدينة محاضرة دامت نصف يوم لكل الراشدين العاملين في المدرسة. وأحرقت الشرطة أمامهم حشيشة الكيف كي يتعرفوا الى رائحتها. وفي نهاية السنة أجريت محاضرات مماثلة للاهل والمدربين الرياضيين وغصّت قاعات المدرسة بالحضور. وتقول اغرين: "لقد صُعقت جماعة الاهل برمتها."

وأفاد من غضب المدينة أولريك هرمانسون، رئيس المرشدين الاجتماعيين في قسم المخدرات التابع لمصلحة الشؤون الاجتماعية في مدينة ابلاندس فاسبي. فحظي بدعم شعبي من أجل تنظيم دفاع منهجي ضد غزو المخدرات يكون شبكة أمان يبسطها عبر المدينة كل الراشدين الذين هم على صلة بالشبيبة.

بدأ انقاذ الشبيبة المهددة بتأليف شبكة متيقظة من عيون وآذان راشدة تولت تنسيقها العاملتان الاجتماعيتان أنيتا سترومباك وأولا أسك. كان المعلمون ورجال الشرطة وقادة الشبيبة وعدد من الاهلين يراقبون علامات الافراط في تعاطي المخدرات. وممن كانوا يزورون المراقص بانتظام، لاستطلاع أنباء الشباب المتورطين بالمخدرات، اليزابث ستربورغ التي أنشأت فرعاً محلياً لـ"جمعية الاهل المناهضين للمخدرات" بعدما اكتشفت أن ابنتها ميفا كانت تدخن الحشيشة في الرابعة عشرة من عمرها. وتشرح اليزابث: "ميفا هي الآن أم شابة سعيدة، وهي لم تكن لتتورط في

المخدرات لو كنتُ أكثر يقظة منذ البداية."

**قمع حسن.** يواجه الشباب المعرضون للمتاعب بأربعة مستويات من التدخل. في البدء يتلقون انذاراً فظاً أمام أهلهم مفاده أنهم اذا لم يغيّروا سلوكهم فسيتعرضون لمضايقات صعبة جداً. وفي حال متابعتهم تعاطي المخدرات يتولى المرشدون الاجتماعيون الاشراف على حياتهم لمدة سنة. أما المرحلة الثالثة فهي بقاؤهم نحو سنة على اتصال دقيق بمرشد مدرَّب. بعد ذلك يستطيع المرشدون الاجتماعيون ارسال الشباب المشاغبين الى مركز رعاية أو علاج "جماعي" بعيد جداً.

من أصل ٩٦ مراهقاً "متعباً" وقعوا في شبكة الوقاية في أبلاندس فاسبي بين العامين ١٩٨٣ و١٩٨٥، أرسل ١٣ خارج المدينة. ومن بين ١١ جانحاً أعيد تأهيلهم، تخلص تسعة نهائياً من مشاكلهم. يقول كنت أولسن (١٩ سنة) الذي أرسل ليعمل في مزرعة: "أنه أفضل حدث في حياتي. أنا الآن شخص جديد ولن أعود أبداً الى المخدرات."

ولقد برهن العمل الاجتماعي في ابلاندس فاسبي عن نجاح كبير حتى ان مخططاته للاحتراز ضد المخدرات اعتمدت في نحو ٤٠ مدينة، على أمل أن تغطي أنحاء البلاد.

يقول بير لاغرستروم منظم حركة "الجنود المناهضين للمخدرات" الذين يحاربون تعاطي المخدرات في أوساط العسكريين: "لا أحد فوق القانون. اذا أفرطت في المخدرات فتلك جريمة وعليك أن تتوقف."

الادارة القمعية كانت "قانون العناية بالشبيبة" الذي أقر عام ١٩٨٢. وهو أثار جدلا لانه يجيز للمرشدين الاجتماعيين من خلال المحاكم أن يحيلوا من هم دون السن العشرين على مراكز العلاج واعادة التأهيل. وفي العام ١٩٨٥ عُدل القانون ليعطي المرشدين الاجتماعيين سلطة تنفيذ اجراءات أكثر اعتدالا من الاعتقال. تقول كارين فلمستروم المديرة الاجتماعية لعيادة "ماريا" التي تعالج سنوياً قرابة ٦٠٠ من الحالات الاكثر صعوبة في منطقة استوكهولم: "القانون يعني أن ثمة رجاء دائماً. علينا ألا نرجع أبداً الى الوراء ونراقب مدمني المخدرات يموتون لتعذر الوصول اليهم."

**اعادة تأهيل.** من الصعب على المرء أن يجادل في صواب اجراءات صارمة ما دامت فاعليتها بادية للعيان. فهذه أولريكا زونجر من استوكهولم تدمن الهيرويين منذ الرابعة عشرة، وقد حاول مساعدتها كل من والدتها ومعلميها وفريق عيادة "ماريا"، لكنها كانت حالة عاصية. لذلك أرسلت في العام ١٩٧٨ الى مركز "هاسيلا" الجماعي على بعد ٣٠٠ كيلومتر شمالا، وهذا واحد من عشرة مراكز نموذجية لعلاج الشباب.

ليس في المكان أقفال او قضبان حديد، ولكن ما من مهرب. وتستعيد أولريكا ذكرياتها: "سرقت قارباً وجذّفت عبر البحيرة ثم سافرت "أوتو - ستوب" متطفلة على السائقين، لكن رجال

الشرطة قبضوا علي. وسئلت أمام الجميع كيف استطعت أن أقدم على عمل كهذا؟ كيف أمكنني أن أهرب من أصدقائي؟

"ثم أعطيت ذات يوم بعض المال لاذهب وأتبضع. تحققت من أن اعضاء الهيئة هم حقاً أصدقائي ويثقون بي. ومنذ تلك اللحظة بدأت أسدل ستار النسيان على حياتي السابقة."

مما يثير الاعجاب أن أربعة من كل خمسة طلاب في مركز "هاسيلا" الجماعي يبتعدون عن المخدرات مدة ثلاث سنوات أو اكثر بعد أن يتركوا المركز. فالعلاج يُنظر اليه كمسألة تدرُّب. والعاملون في المركز وعائلاتهم يعيشون مع الطلاب ويتصرفون حيالهم مثل أهل أقوياء ولكن محبين. وتستنفد المزرعة قسماً من نشاط الطلاب الذين يهتمون بإطعام الحيوانات وإنماء المزروعات. وقد حُشرت جلسات تشاور مكثفة بين المهمات الدراسية. وفي عطلة نهاية الاسبوع يذهب الجميع في رحلات تزلج وتسلية.

بعد ١٤ شهراً يبدأ الطلاب إما حياة دراسية أو تدريباً مهنياً أو أعمالا في مدينة قريبة، فيما يعيشون في محيط شبه عائلي مراقب. وهذا هو الاختبار الحقيقي، لان عليهم التعويض عن السنين الضائعة. تقول أولريكا وقد تخرجت صحافية وهي اليوم في السن السابعة والعشرين: "كنت أهدر حياتي كاملة بالتسكُّع والتربُّص، وكنت سأظل أعيش على هذا المنوال لو لم أُكرَه على التوقُّف."

تُثبت أسوج، بمزيج من اجراءات حكيمة واهتمام تقليدي بالانسان، أنها تسير في الطريق الذي يوقف مد تعاطي المخدرات. ويقول الدكتور كريستيان بروليه وهو محلّل نفسي فرنسي كان في ما مضى أميناً عاماً لفريق "بومبيدو"(*) ودرس الاسراف في تعاطي المخدرات في أوروبا الغربية: "ان تصميم المرشدين الاجتماعيين في أسوج على النجاح هو أمثولة لنا جميعاً، ترينا أن الموقف المتصلّب هو أساسي في تعاملنا مع المدمنين."

ويقول ريتشارد هارتنول منسق مشروع مرشّدي المدمنين في جامعة لندن: "وظّفت أسوج موارد واسعة نظراً الى حجم مشكلتها. وفي وسع أي مجتمع آخر يملك هذا التصميم على العمل أن يستدر تشجيعاً أكثر من ذاك النجاح."

لا شك في أن نانسي ريغن وافقت على هذا القول. ففي مأدبة عشاء أقيمت خلال زيارتها التي دامت يومين للاطلاع على وقائع الحملة الاسوجية، أعطت شهادة من شأنها أن تشجع مناهضي المخدرات في كل مكان عندما قالت: "ان العبرة التي نستخرجها من نجاح اسوج المؤثر هي أننا نستطيع، على رغم عقبات صعبة، أن نربح هذه المعركة."

جون دايسون ■

(*) هو فريق تعاون أوروبي في مجال مناهضة تعاطي المخدرات وتجارتها.

---

حين لا يعرف أحد ماذا يجب أن يُفعل، يقول الجميع: "يجب أن يُعمل شيء ما."
هـ.ك.

تقرير خاص

# الطريقة الذكية لشراء سيارة

## أمضى هذا الكاتب المتخصص بأمور السيارات الوف الساعات يختبر أحدث الطرازات وهنا ثمرة خبرته عما يجب فعله قبل شراء سيارة

إن كلفة السيارة هي أعلى ثمن يدفعه كثيرون منا في حياتهم، بعد ثمن البيت. فمن المهم اذاً أن نحصل على ما نريده تماماً في مقابل ما ندفعه.

لكن كثيرين من الراغبين في شراء سيارة جديدة لا يتم لهم ذلك. فما ان تزول البهجة والاثارة حتى يجدوا أن عليهم التكيف مع سيارة ثمينة لا تفي بمتطلباتهم، وقد تكون مزعجة فعلا. فلماذا يحدث ذلك؟ لأن الراغبين في الشراء لا يفيدون من الوسيلة الفضلى لانتقاء السيارة الفضلى، الا وهي القيادة الاختبارية.

ان قيادة السيارة على سبيل الاختبار هي لكثيرين من الزبائن مجرد تقليد لا معنى له: قيادة سخيفة لخمس عشرة دقيقة في الشوارع المحيطة بمكتب الوكالة فيما يتحدثون بعصبية مع البائع. حتى ان البعض يهمل هذا الاختبار، وفي ذلك منتهى الحمق.



Illustration: Daniel Pelavin

يجب أن تكون القيادة الاختبارية فحصاً دقيقاً جداً بموجب شروطك أنت. ألست انت من سيقود السيارة في الزحمة صباحاً ومساء ولمسافات طويلة في اوقات العطلة وعلى طرق جليدية وأخرى غير مألوفة؟ لذلك، نصيحتنا لك أن تكون حكيماً وتستغل الوقت المتاح لـك. واقتراحنا أن تقود السيارة لمدة لا تقل عن ساعة، وبالامكان الترتيب لذلك مع البائع.

واليك قائمة بما يجب التدقيق فيه لكي يثمر اختبارك. خذ هذه المقالة معك الى وكيل البيع ودقق في القائمة بنداً بنداً، التفاصيل التي ترضيك وتلك التي لا ترضيك في دفتر ملاحظات لدى مقارنة السيارات في الوكالة.

## قبل أن تدير المفتاح

□ **الراحة، الاتساع، سهولة الدخول والخروج.** اذا كان اثنان أو ثلاثة من أفراد العائلة ملمين بالقيادة، فليجربوها. واذا ما كنت تخرج بالسيارة والمقاعد ملأى كلها، فاجمع فيها الاشخاص كلهم. هل الجميع مرتاحون؟ هل يثبت مقعد الطفل جيداً في الخلف؟ وأهم من ذلك أن تتأكد من جودة النوابض(١) على محاور العجلات وقدرتها على تحمل الثقل. فاذا كنت معتاداً أن تنقل حمولة زائدة أو أن تجرّ مقطورة، فيقتضي أن تكون في السيارة نوابض للأعمال الثقيلة.

ومن ثم عليك التفكير في سهولة الدخول والخروج من السيارة. فهل يحتمل أن تصدم ركبتك بلوحة الاجهزة أو أن تعلق التنورة بضابط المقعد؟ دقق في الفسحة المتاحة للرأس والرجلين. اذا كانت فسحة الرأس ضيقة فقد تضرب به سقف السيارة لدى تخطيها نتوءاً في الطريق. فاذا بلغ طولك ١٨٨ سنتيمتراً فقد تضطر الى اختبار عدد كبير من السيارات قبل أن تنتقي ما يناسبك منها.

ثم تفحّص المقاعد لترى ما اذا كانت قوية ويمكن تعديلها الى وضع مريح لك. تأكد من قدرتك على اسناد رأسك، لا رقبتك، على سناد الرأس. فاذا رغبت في فرش غير ذلك المبيّن في الدليل، فانتق ما يناسبك من فرش في مكتب البيع. أطلب من صحبك أن يربطوا أحزمة مقاعدهم للتثبت من كونها مريحة وسهلة الاستخدام.

ثم تفحص درج القفازات وأجزاء اخرى في الواجهة والابواب وبين المقاعد. وتأكد من كون صندوق السيارة والفسحة الخلفية للأمتعة واسعين كفاية. واذا اعتدت نقل دراجة هوائية أو عدة تخييم فيجب التأكد من سهولة تحميلها وإنزالها.

□ **الضوابط والأجهزة.** ما هو شعورك وأنت جالس وراء المقود؟ قد تجد أن المقود المضبوط مهم جداً، بل ضروري. ويجب أن تكون الضوابط التي تستخدمها تكراراً سهلة المنال. جربها جميعها. تأكد من أن المسّاحات تعمل بنعومة وهدوء، وأن الغاسلات ترش حاجب الريح جيداً. تأكد من عدم وجود أي عائق دون رؤية مقاييس السرعة ودوران المحرك والوقود والحرارة وغيرها.

بعد ذلك شغّل ضوابط القدمين وتيقن

(١) Suspension

من وجود فسحة كافية بين دواستي الوقود والكابح، ومن أنك تضغط القابض(٢) من دون أن تعلق قدمك بشيء، لان هذا قد يتسبب في مشكلة، خصوصاً في السيارات الحديثة ذوات السقف المنخفض. يجب أن يكون مقبض ناقل السرعة(٣) سهل المنال، واذا كانت القيادة أوتوماتيكية تيقن من سهولة انتقاء السرعة. تفحص النوافذ ومساند اليدين.

اذا كنت راغباً في جهاز راديو أو مسجلة فالوقت مناسب لاختبار الالتقاط وحجم الصوت وسهولة التشغيل.

## قيادة السيارة

لا بأس اذا قسوت قليلا في قيادة السيارة. لا تتصرف كأنك استعرتها من جار صعب الارضاء، اذ يجب ان تستجيب لمتطلباتك.

□ **المحرك وناقل الحركة**(٤). يجب أن يكون المحرك ناعماً ويعمل بهدوء نسبياً من دون ارتجاج زائد أو تقلبات في القوة أثناء دورانه والسيارة متوقفة. وبعد الانطلاق انتبه لصوت السيارة أثناء سيرها. هل يعمل ناقل الحركة بنعومة من دون أنين؟ أدر جهاز تكييف الهواء. هل يسحب قوة ملحوظة من المحرك؟ وماذا يحدث لاي تسلّقك تلة شديدة الانحدار؟ اذا كان هناك من سحب قوي فربما ارتأيت حاجة الى محرك أقوى.

بعد ذلك توجه الى الطريق العامة مصطحباً في السيارة بعض الاشخاص لكي ترى تأثير الثقل في فاعليتها وقيادتها. فاذا كانت سيارة بأربع اسطوانات، فان الفرق قد يكون فاضحاً بين قيادتها بمفردك وقيادتها ومعك ركاب.

اضغط دواسة الوقود الى الارضية. هل هناك تقصير أو "تردد" في المحرك؟ في معظم السيارات يجب أن يؤمن المحرك قوة كافية تمكنك من تجاوز سيارة بأمان، وإن كان مكيّف الهواء يعمل والسيارة ملأى بالركاب. توجه الى التلال حيث يمكنك اختبار سرعة السيارة وقوة كوابحها على نحو أفضل. ما من احباط يوازي اكتشافك ان سيارتك الجديدة تكاد تعجز عن صعود أول طريق جبلية تسلكها حين تكون في عطلة مع العائلة.

□ **الكوابح والمناورات**. فيما تسير بسرعة ٧٠ كيلومتراً في الساعة نبّه ركابك ثم دُس الكابح بقوة. يجب أن تتوقف السيارة بيسر وفي خط مستقيم. ولا يجوز أن ينخفض مقدم السيارة الى حد كبير (في السيارات الكبيرة يزيد انخفاضه قليلا على نحو طبيعي). تطلّع حواليك لتؤمن طريقك، ثم لفّ منعطفاً بسرعة فوق العادة لتتبين ان كنت لا تزال مالكاً جيداً زمام القيادة، وهل تميل السيارة بقوة أو تنزلق.

اذا كنت توقف سيارتك يومياً وسط مجموعة سيارات في فسحة ضيقة، فيجب ان تكون سهلة القيادة. ولكي تتأكد من ذلك أوقف السيارة غير مرة. تأكد من عدم

---

(٢) القابض هو جهاز تعشيق التروس (دبرياج).
(٣) ناقل السرعة هو جهاز تغيير التروس (فيتاس).
(٤) Transmission

وجود مشكلة في ما يختص بالفسحة على جانبي السيارة وفوق سقفها في مرأب منزلك أو مكتبك.

وانتبه: هل الطريق الفرعية الى بيتك شديدة الانحدار بحيث قد يلامسها مخفف الصدمة أو انبوب العادم؟

□ **الرؤية والصوت.** للقيادة بأمان يجب أن تتيسر لك الرؤية في جميع الاتجاهات. فهل هناك عوائق تصعب عليك الرؤية حين القيادة الى الوراء، كدعامة جانبية كبيرة أو خلفية؟ اختبر السيارة بعد انسدال الظلام اذا أمكن. اضبط رؤية لوحة الاجهزة لتتأكد من انتفاء الوهج، وافحص ايضاً الاضاءة الداخلية وقوة المصابيح الأمامية.

من المهم أيضاً أن يكون صوت السيارة ناعماً هادئاً في السير البطيء كما في السير السريع، اذ ربما تحول الهدوء في السير الخفيف كابوساً من الاصوات العالية المتنافرة في السير بسرعة ٩٠ كيلومتراً في الساعة. وقد يصحب الجلبة صوت المحرك العالي أو صوت السيارات الاخرى في الخارج اذا كان العزل غير واف. لذلك اختبر السيارة في طريق وعرة فتنبئك عن حالها. يجب ان تكون خالية من الطقطقة والقعقعة.

## بعد القيادة

□ **التناسق والقولبة.** ينطبق هذا التعبير على المنظر الخارجي العام للسيارة، وهو دليل على جودتها. مرر يديك على بدن السيارة وتفحص الطلاء. هل مدّه متساوٍ؟ وهل هو صقيل وناعم ولامع؟ لاحظ طريقة جمع الالواح والقولبة وهل تمت بطريقة متينة ومتّسقة، والفسحة حول الابواب حين تقفل يجب أن تكون متساوية.

أنظر تحت غطاء المحرك، فاذا كنت ممن يهتمون بأنفسهم بصيانة السيارة واصلاحها، فيجب أن تكون السيارة فسيحة يسهل العمل فيها.

اجعل ما ألفته في سيارتك القديمة من فضائل ونقائص مقياساً لتقويم مزايا سيارتك الجديدة. واذا عرفت أشخاصاً يملكون سيارة كتلك التي تنوي شراءها، أطلب منهم أن يفيدوك عنها. فهل صادفتهم مصاعب مفاجئة؟ واذا كنت لم تزل عاجزاً عن تكوين فكرة صحيحة فما عليك الا أن تستأجر سيارة مماثلة وتختبرها خلال عطلة الاسبوع.

ان شراء سيارة جديدة هو غالباً تسوية بين الثمن والحجم والمنظر والانجاز والاقتصاد والواقعية. فقد تقرر أن تضحي فتقبل بفسحة داخلية أضيق على أن يكون شكل السيارة جميلا. ومصروفها الوقودي اقتصادياً. وفي نهاية المطاف، اذا لم تعجبك السيارة على رغم ايجابياتها أثناء اختبارها، فلا تشترها.

معظمنا يتوخى التدقيق وحسن الاختيار في ما يختص بمشترياتنا البيتية. ولكن حيال شراء سيارة قد نطرح الحذر جانباً. ان قيادة السيارة بهدف اختبارها بدقة لا تستغرق سوى جزء يسير من الوقت الذي ستقضيه في سيارتك الجديدة. لكنها قد تكون السبيل الى الرضى والارتياح على المدى الطويل.

**بوب سيكورسكي** ■

حاولت الفتاة المختطفة
أن تحافظ على سلامة عقلها
وانتظرت أشهراً
بهدوء وشجاعة

# العطلة الخياليّة

مساء الاثنين الموافق عشرين ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٤ كانت بيريكا مارشيوريلو تتكلم على الهاتف. كانت الفتاة الشقراء البالغة من العمر سبعة وعشرين عاماً ممتلئة اثارة، فبعد اثنتي عشرة ساعة فقط ستطير الى ريو دي جانيرو في البرازيل لقضاء عطلة اسبوعين. وكانت تقول لمكلمها: "أليس ذلك أمراً خيالياً؟ قريباً سأتدفأ بنور الشمس."

تفقدت ساعة الحائط. انها السابعة والنصف مساء. لكنها، للحظة، لم تفقه ما رأت. في المدخل رجلان مقنعان حاملان مسدسين أسودين لامعين. رفع أحدهما



سلاحه الى فيه مما يعني: "اسكتي." ثم أخذ السماعة من يدها وأعادها الى موضعها. وذهب الآخر يفتش عن والدة بيريكا، أنجيلا دل كورنو. دفعا المرأتين برأسي مسدسيهما نزولا على السلالم الى المطبخ.

كان هناك ثلاثة ملثمين آخرين اقتحموا الدارة المترفة المشيدة في القرن السابع عشر في ضاحية مدينة روزا، دخلوها من نافذة خلفية في الطبقة الارضية. بدأ رجلان يتسلقان السلالم الى الطبقة الاولى، أما الثالث فظل يحرس ثلاث نساء مروعات جالسات في المطبخ، هن: أليسندرا المعاقة شقيقة بيريكا البالغة من العمر ثلاثة وعشرين عاماً، وممرضة أليسندرا ليتيزيا كريستاني البالغة من العمر عشرين عاماً، وأرمينيا بيغورارو التي كانت في وقت ما مربية بيريكا المحبوبة وأصبحت الآن مدبرة المنزل.

كانت الدرجات السفلى من السلالم مبللة بالدم. كان جيري، أحد كلبي الصيد الخاصين بالعائلة، منطرحاً على الارض وعنقه مشقوق.

سأل أحد الدخلاء: "من منكن هي بيريكا مارشيوريلو؟" ودل على بيريكا قائلا: "أنتِ هي، أليس كذلك؟"

أجابت بيريكا بصوت هادىء: "أنا صديقة ليتيزيا، أنا زائرة فقط." ان بيريكا، الفتاة الناحلة ذات النظرة الهادئة والقسمات الواضحة المعالم، ورثت عن ابيها العقل الحاد والعزم الحديد، هاتين الصفتين اللتين استغلهما ليصبح أحد أعظم رجال الاعمال البندقيين الناجحين.

ولما طلب الدخلاء أوراق الهوية رأت بيريكا من غير المجدي أن تتابع الانكار. قالت: "حسناً، أنا بيريكا مارشيوريلو.".

وإذ هم الخاطفون بوضع معطف على كتفها تبادلت ووالدتها نظرات الحب التي تعني أكثر مما تعني أي كلمات. كلتاهما أدركت أن احداهما قد لا ترى الاخرى ثانية.

قاد الرجلان بيريكا الى سيارة منتظرة حيث جعلوها تضطجع على ركب ثلاثة خاطفين في المقعد الخلفي. وبعد قرابة نصف ساعة توقفوا وأبدلوا سيارتهم بأخرى. وفي دقائق خمس وصلوا الى الجهة التي يقصدون.

أمسك رجلان بيريكا من ذراعيها واقتاداها عبر مدخل ثم نزلا بها الى ممر. وسمعت صوت باب حديد يُفتح.

"رجاءً افهمني." الزنزانة متران ونصف متر طولا ومتر ونصف متر عرضاً، ومعظم مساحتها مشغول بفراش ضيق. وهناك دلو لقضاء الحاجة ومدفأة كهربائية. ومن كوة التهوئة المصبّعة بالحديد في أحد أطراف الغرفة رأت بيريكا في الخارج رزماً من التبن. وفي أسفل الباب المقفل في الطرف الآخر فتحة صغيرة تتسلم عبرها بيريكا الطعام. كان سجنها ذات مرة محضنة دجاج.

كانت قسمات معتقليها مخفية بجوارب مشدودة حول رؤوسهم. قال أحدهم بلهجة الآمر: "انزعي مجوهراتك."

فتشوا المجوهرات وفتشوها بحثاً عن



Illustrations: Tim O'Brien

اداة تنصت الكترونية او جهاز لاسلكي.

بعد ذلك أرادوا أن يعرفوا كم من المال يملك والدها حاضراً، وما هي الموجودات التي يستطيع أن يحولها نقداً. قالت بيريكا منكرة: "أمسكتما الشخص الخطأ، نحن لا مال لدينا."

انهما يريدان ستة مليارات لير (٤،٦ ملايين دولار). في الليلة الاولى قُيّد معصم بيريكا بسلسلة ربطت بوتد في الحائط. لم تتمكن من الرقاد. وكلما تقلبت جلجلت السلسلة برسالتها الاذلالية. ذاقت طعم الاستسلام المخيف الذي يعانيه حيوان بري وقع في فخ. معتقلوها يستطيعون أن يفعلوا بها اي شيء يريدون. ولا سبيل لها الى المقاومة.

صباح الثلثاء دفعت يدُ سجّانها ذات القفاز الاسود طبق الفطور من فتحة الباب. من الواضح أنه كان مرؤوساً، اما صانعا القرار فهما الرجلان اللذان فتشاها. عادا بعد ثلاث ساعات أو أربع بكتاب، وبعض مجلات، وصحيفة صباحية، وقلم وورقة. طلبت منهما بيريكا أن يفكا قيدها.

أخذا لها صورة وهي تحمل الصحيفة والتاريخ ظاهر كبرهان على أنها ما زالت على قيد الحياة. ثم جعلاها تكتب مذكرة: "ادفع ولا تخبر أحداً، والا فسيأخذان مني الثمن. ادفع مهما طلبا.".

وأضافت من عندها: "رجاء، رجاء، افهمني."

**حنو واعتزاز.** بيريكا وحيدة. لا صوت في غرفتها الا صوت تنفسها، ولا حركة الا حركة جسمها.

أول شيء فعلته بدؤها تقويماً. ثم باشرت عملا يومياً رتيباً: بعد تنظيف أسنانها، تجلس القرفصاء على الفراش، وتؤدي تمارين تنفس عميق. بعد ذلك يأتي ثني الركبتين والنهوض. عليها أن تظل قوية.

أما مواد القراءة فتضمنت مجلة "بانوراما" الاسبوعية وكتاباً هزلياً ورواية سخيفة. كانت بيريكا تقرأ قرابة أربع ساعات، تعجز بعدها عن مزيد من التركيز. ثم تستحم بماء من دلو. وقد أعطياها الخاطفون ثوب رياضة قرمزياً لتغيير ثيابها. بعد كل ذلك لم يبق شيء تفعله الا الانتظار.

أخيراً تسمع وقع أقدام على البلاط، وصوتاً عند الباب، ويبدل طبق فطورها بطبق آخر عليه طعام العشاء.

صرخت: "إنتظر، لا تذهب، رجاء دعني أمسك بيدك."

توانت اليد في النافذة الصغيرة، أخذتها بيريكا بيدها برفق. ثم انسحبت اليد وعادت بيريكا وحيدة ثانية.

تمددت على الفراش. كم ستطول اقامتها، وكل ثانية من يومها تستمر دهراً؟ سالت دموعها بصمت ثم صرخت من صميم فؤادها.

يوم الاربعاء وصلت الرسالة والصورة المرفقة بها الى دينو مارشيوريلو. امتقع وجهه عندما قرأ مذكرة الفدية، لكنه فهم رسالة بيريكا الحقيقية. ان العبارة "افهمني" الواردة في المذكرة تعني في الواقع "لا تدفع." كان هو وبيريكا غالباً يبحثان في ما يفعلان اذا ما خطف أحد أفراد العائلة. ففي العام ١٩٨٣ كان

الخطف في ايطاليا يجري بمعدل عملية واحدة في الاسبوع. بعض الضحايا، كالصناعي ليفيو برناردي، لم يعد أبداً، وبلغت الفِدى التي دفعت مليارات من الليرات. وقد اتفق الاب والبنت على أمر واحد: ألا يدفعا مهما يكن الامر. فما دامت الفِدى تدفع فالخطف سيستمر، وينتشر.

غمرت الاب موجة من الحنو والاعتزاز بقوة ابنته وذكائها وشجاعتها. كانا اثنين من صنف واحد. لن يأخذ الخاطفون قرشاً واحداً، بل سيعمل هو وبيريكا معاً على زجهم في السجن.

أدرك دينو ماذا يجب ان يفعل: يفاوض، يَعِد، ويراوغ لكسب الوقت. فكل ساعة تمر تزيد امكانات القبض على المجرمين.

**قشرة فوق هوة.** هناك صوت قرب الباب. الفطور. أرادت بيريكا أن تعود الى الرقاد. كان الرقاد أغلى ما لديها. الرقاد حرية.

لكن الحقيقة لا يمكن أن تحجب وقتاً طويلا. وأخيراً جلست في فراشها. قدرت أن الوقت عصر. أضاءت المصباح العاري المدلى من السقف. وصلت الى الطبق على مهل، وبعناية وحركة بطيئة رفعت فنجان القهوة الى شفتيها. كانت تعطي كل حركة أكبر مقدار من الوقت. الوقت، انه العدو المكار الذي عليها أن تحاربه كل يوم. وبحركة بطيئة أيضاً أشعلت سيجارة وراقبت الدخان يتصاعد متجعداً نحو السقف.

ساعتان من النهار حفظتهما للتفكير وحلم اليقظة. شعرت غير مرة بأنها في اتصال تخاطري مع والدها. كان يقول لها: كوني هادئة، كوني شجاعة، سنخلصك سريعاً.

فترد: لا تستسلم، لا تدفع. اذا ما قتلوني فهذه كلماتي الاخيرة: لا تدفع.

جلب لها سجانها يوم عيد الميلاد كعكاً وشوكولاته. وكانت على طبقها زهرة. ويوم عيد رأس السنة كانت هناك هدية أخرى: أحجية صورة مقطعة تمثل راعية صغيرة تلعب مع حمل. وهي جمعت الصورة وفككتها عشرات المرات.

مرت أيام، شهر، ستة أسابيع، على التقويم الذي وضعته. لم تُجَنّ بعد. لكنّ أمواجاً من الهلع طغت عليها ذات يوم.

قالت لنفسها مشجعة: ظلّي هادئة والا انتهيت. وحضرتها كلمات سبق أن قرأتها: "يقضي الناس حياتهم سائرين على قشرة رقيقة تخفي هوة مروعة. وفكرت: ترى هل زلقت عبر شق في تلك القشرة وسقطت في الهوة؟

أخيراً قررت أنها محظوظة. لا بد من أنها استقرت على طبقة صخرية، لان الازمة النفسية انقضت. بدأت تنظف أسنانها وهي جالسة على الفراش.

**شريعة الانتظار.** خلال الاسبوع الثاني من فبراير (شباط) جاءها الخاطفان ثانية مقنعين بجوارب. أرادا أن يعرفا أمراً تعرفه هي: كنية مربيتها، كبرهان لاقناع عائلتها بأنها ما تزال على قيد الحياة وأنهما هما الخاطفان الحقيقيان.

صرخت بيريكا: "الى متى ستحتفظان بي ههنا؟ لم أعد أقدر على الاحتمال."

ضحكا: "ستبقين هنا أبداً اذا لم يدفع والدك."

بعدما ذهبا تجدد روعها. وسالت على ظهرها سيول من العرق. لم تستطع ضبط تنفسها. جرّت نفسها الى كوة التهوئة حيث رأت رزم التبن في الخارج. أشعلت عود ثقاب. لأجعلنّ منه النهاية. لا يسعني أن احتمل أكثر.

تركت عود الثقاب يسقط على الارض. الانتحار استسلام، وذلك ما لا تفعله أبداً. انها ابنة دينو مارشيوريلو.

وفرض الانتظار ضريبته على عائلتها أيضاً. كانت والدة بيريكا منفعلة جداً بحيث تقفز كلما رن جرس الهاتف. تبكي غالباً من دون سبب ظاهر، ويداها ترتجفان. وفي الليل كانت وزوجها يتقلبان ساعات على الفراش، وينبلج الفجر قبل أن يخلدا الى النوم.

في تلك الاثناء كانت الشبكة التي نسجتها الشرطة تطبق بتأنّ على خاطفي بيريكا. وفي منتصف فبراير (شباط) قدّرت الشرطة أن الخاطفين موجودون في مناطق بادوا وتريفيزو وبلونو، وأنهم يستعملون هواتف عمومية لابلاغ طلباتهم المتعلقة بالفدية.

راقبت الشرطة ٣٥٠٠ كشك هاتف ضمن دائرة يبلغ شعاعها ٢٠٠ كيلومتر.

وفي احدى الليالي حلمت بيريكا أن



والدتها جاءت لتفك أسرها. سمعتها تنادي: "بيريكا، بيريكا." ولما استيقظت اقتنعت بأن هذا هو اليوم الذي ستتحرر فيه. ارتدت ثيابها وجلست على الفراش تنتظر فتح الباب. انتظرت طوال النهار.

ذات مساء لم يأتها طعام العشاء. ربما حصل خطأ ما. ربما تركوها. ولم تتلقَّ أي تفسير من سجانها عندما جاء في اليوم التالي. بعد ذلك بدأت بيريكا تدخر بعضاً من طعامها اليومي بحيث تبقى لها مؤونة في حال قطع الطعام عنها حقاً.

كانت تتبادل وسجانها بعض الكلمات عندما يجلب لها الطبق، وتكتب له رسائل تشرح فيها أفكارها وعواطفها. وهو أسرَّ اليها مرة: "لم أعد استطيع التحمل وقتاً أطول."

فردت: "لا تقلق، سينتهي الامر قريباً."

يا للعجب! سجينة تواسي خفيرها!

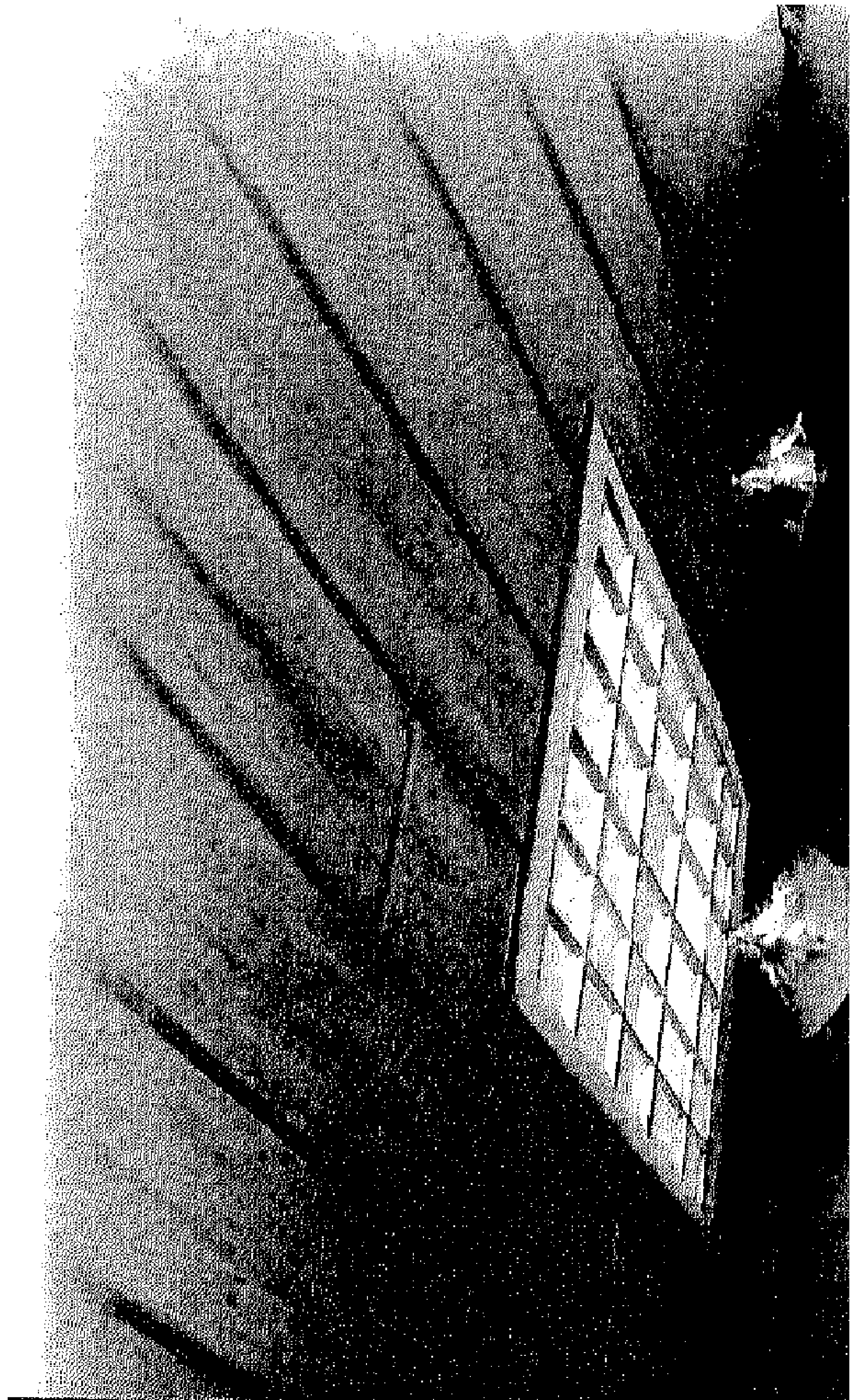
"بيريكا! بيريكا!" في ٧ مارس (آذار) لاحظ شرطي متخفٍّ في ثياب مدنية في ضاحية كاستلفرنكو فينيتو رجلين داخل كشك هاتف. أثارت طريقة انحنائهما على السماعة شكوكه. فاقتحم الكشك وقبض على لويجي نييرو، وهو مجرم سابق يبلغ من العمر سبعة وأربعين عاماً، وأخيه لينو (٣٨ عاماً). كانا يغطيان السماعة بصحيفة طمساً لصوتيهما. أخذا الى مركز الشرطة في باسانو دل غرابا، وأخضعا لتحقيق دام ساعات، فاعترفا بعيد الفجر.

في الثانية بعد ظهر الثامن من مارس (آذار) طوّق خمسة عشر جندياً بيت مزرعة في مونتيبلونا. وقبضوا داخل البيت على إينس كازاغراندي، وأمسكوا لاحقاً زوجها أليسندرو أدامي (٥٨ عاماً) وهو السجان صاحب اليد ذات القفاز.

كان قرب البيت اسطبل مملوء تبناً. وعثرت الشرطة على ممر يؤدي الى حجرة بيريكا.

فتحت بيريكا عينيها. انه يومها الثامن والسبعون في الاسر. يا ألله! كم تفتقد الشمس ونورها وحرارتها! اذا ما قيض لها أن تخرج من هنا فلن تستخف بأي نعمة.

"بيريكا! بيريكا!" لا شك في أنها



تهذي. لكن الصوت ظل ينادي: "بيريكا! بيريكا! "

تجمدت رعباً. باعوها من عصابة أخرى، من رجال أشرار متوحشين سيعذبونها.

رأت أمام النافذة الصغيرة شاباً مسلحاً في بزة ضابط شرطة. لم تصدق عينيها.

حطم الشرطي الباب. وإذ ساعدها في الخروج من السجن الى نور الشمس الوهاج شعرت بساقيها رخوتين. اشرقت الشمس على وجنتيها. أشرقت داخلها حين ضحكت وصرخت وتلفظت بكلمات لا معنى لها. عرفت بيريكا أنها منذ تلك اللحظة العجيبة ستعتبر كل يوم ثميناً. أما اللحظة الأبهج فكانت عندما دخل والدها مكتب مفوض الشرطة في كاستلفرنكو فينيتو. ذابت بين ذراعيه القويتين حينما ضمها الى صدره وقال لها ما كانت تنتظر أن تسمع: "يا حبيبتي، أحبك حباً جماً، وأنا فخور بك."

بعد ذلك، عندما اجتمعت بأمها في البيت، أنستهما دموع الفرح الكلمات. جاءت كل القرية ترحب بها. وكانت هناك أزاهير، وابتسامات، وقهقهة.

انها في بيتها.

في ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤ قضت محكمة باسانو دل غرابا بسجن جيانفرنكو دالاّ سانتنا كازا مدة ٢١ سنة، وهو "الدماغ" المخطط للخطف. وحُكم على أليساندرو آدامي بسبع عشرة سنة وثلاثة أشهر حبساً، وعلى إينس كازاغراندي بست عشرة سنة وثمانية أشهر حبساً. أما الاخوان نييرو فأفادا من قانون يخفض العقاب عن المجرمين الذين يتعاونون مع الشرطة. وفي ٢٤ أكتوبر (تشرين الاول) خفضت محكمة الاستئناف في البندقية الاحكام قليلا عن المحكومين ما عدا إينس كازاغراندي.

**كريستوفر ماثيوز** ■



## اذا كان حبيبك عسلا...

جارنا بائع زهور متساهل مع زبائنه. وقد استغلّ أحدهم طيبته فراح يشتري منه دَيناً. وأرسل اليه صاحبنا فواتير بالحساب غير مرة، لكنه ظل غير قادر على التحصيل. وذات يوم اتصلت زوجة البائع بالزبون الدائم المتأخر في الدفع، وعرّفت بنفسها ثم بادرته بإنشاد أغنية "سنة حلوة." فأخذته الدهشة وأكد لها أن اليوم ليس عيد مولده. فردت: "أعرف ذلك، ولكن مضت سنة كاملة على أول فاتورة لم تسددها."

ج٠م٠

---

ثمة أمر رهيب، وجميل في آن، في العودة الى مكان سبق أن عشت فيه. فهناك تغدو جزءاً من ذكرياتك الخاصة.

م٠م٠

# أضواء من عالم الطب

## إبرة عجيبة

بلغ قطر البقعة التي ظهرت في صورة الاشعة السينية للصدر حوالى سنتيمترين. ربما كانت سرطاناً، لكن بقية الفحوص لم تؤكد ذلك التشخيص. لذلك غرز الاطباء، مستدلّين بصورة الاشعة، ابرة دقيقة مجوّفة في جلد المريض وصولا الى البقعة، وانتزعوا منها خلايا لفحصها مجهرياً. فتبيّن أنها لم تكن سرطاناً وإنما عدوى فطرية. الابرة الجديدة جنّبت المريض جراحة رئيسية كانت تعتمد روتينياً قبل سنوات، فهي ليست لمعالجة المرض بل لمجرد التشخيص.

يبلغ عرض الابرة أقل من سبعة أعشار المليمتر، مما يتيح اختراق الجسم الى مناطق كالكبد والبانكرياس والبروستات والعقد اللمفيّة. وحين تغرز الابرة تسحب الخلايا بواسطة محقنة لفحصها. ويلاحظ الدكتور جيري وايسمان من المركز الطبي بجامعة نيويورك أن هذه التقنية مفيدة أيضاً للاماكن التي يسهل الوصول اليها كالصدر والغدة الدرقية.

بانتفاء الحاجة الى جراحة كبرى والاقامة لمدة طويلة في المستشفى تنخفض الكلفة. وتمكن معاينة المرضى بهذه الطريقة في العيادات. ويحذّر الاطباء من أن هذه التقنية تتطلب مهارة في سحب العيّنات وتحديد التشخيص، ويجب أن تتم بواسطة طبيب خضع لتدريب خاص.

"نيويورك تايمس"

## بالون للبروستات

مئات الالوف يدخلون المستشفى سنوياً لمعالجة التضخم في غدة البروستات. وهناك اليوم معالجة تجريبية لا تستند الى الجراحة يؤمل أن تكون بديلا.

تتركّز غدة البروستات حول الإحليل (مجرى البول) الذي يضيق كلما تضخمت الغدة مما يسبب صعوبة في التبويل. وتحدث هذه الحالة لاكثرية الرجال في مرحلة متقدمة من حياتهم. بحسب الدكتور فلافيو كاستانيدا من جامعة مينسوتا في مينيابوليس، يولج أنبوب دقيق مرن في رأسه شبه بالون، داخل القضيب، ويوجه الى المكان الضيق من الاحليل. ثم ينفخ البالون فيوسّع المكان المقلص بضغط الفصوص الجانبية للغدة.

وقد عولج بهذه الطريقة ما يزيد على ١٠٠ مريض، فانتفت مشكلة صعوبة التبويل في ٧٥ في المئة من الحالات المعنية بالفصوص الجانبية. وهناك حاجة الى دراسة لتقويم فاعلية هذه المعالجة في المدى الطويل.

وكالة "أسوشييتد برس"

فقر ورجاء
وصلاة مستجابة



# رحلة كمان

"مطلوب: كمان. الماديات قليلة. الاتصال بالرقم..."

تساءلتُ لِمَ لاحظتُ هذه الفقرة، فأنا نادراً ما أقرأ الاعلانات المبوبة. وضعت الجريدة في حضني وأغمضت عيني أتذكر ما حصل قبل سنوات كثيرة خلال الأزمة الاقتصادية الكبرى عام ١٩٢٩ عندما كانت عائلتي تكافح في مزرعتنا من أجل تأمين لقمة العيش. أنا أيضاً أردتُ الحصولَ على كمان، ولكن لم يكن لدينا مال.

لمّا أبدت أختاي التوأمتان هارييت وسوزان اهتماماً بالموسيقى، تعلمت الاولى العزف على بيانو جدتي فيما اتجهت الثانية نحو العزف على كمان والدي. ومع التمرين تحولت النغمات

البسيطة ألحاناً جميلة تعزفانها معاً. وكان أخي الصغير يندمج بالموسيقى فيرقص فيما يدندنُ والدي وتصفر والدتي. أما أنا فاكتفيتُ بالسماع.

لما بلغت ذراعاي من الطول ما يكفي حاولتُ أن أعزف على كمان سوزان. فأحببت صوت قوسه على الأوتار. آه، لكم أردت كماناً! لكنني أدركتُ أنَّ الحصول عليه مستحيل.

ذات مساء فيما كانت التوأمتان تعزفان مع فرقة المدرسة، أغمضتُ عينيَّ لألتقط صورة واضحة في مخيلتي. وأقسمت بصمت بأن أجلس هناك في يوم من الأيام.

لم تكن السنة خيِّرة، إذ انه عند الحصاد لم يدرّ المحصول الأموال التي أملناها. الا أنني على رغم الأحوال الصعبة لم أقوَ على الانتظار أكثر، فسألتُ أبي: "متى يصير لي وحدي كمان؟"

قال: "ألا تستطيعين العزف على كمان سوزان؟"

أجبتُ: "أودُّ أن أنضمّ أنا أيضاً الى الفرقة الموسيقية، ولا يمكننا أن نستعمل الكمان ذاته في آن."

ارتسمت علامات الحزن على وجه أبي. وقد سمعته في تلك الليلة يصلي من أجلي.

ذات مساء جلسنا جميعنا الى الطاولة. كنتُ والتوأمتين ندرس فيما والدتي تخيط ووالدي يكتب رسالة الى صديقه جورج فينكل المقيم في كولومبوس بولاية أوهايو. وقال والدي إن جورج فينكل عازف كمان جيد. وفيما هو يكتبُ الرسالة قرأ على مسمع والدتي بعض أجزائها.

بعد أسابيع تبين لي أنه لم يقرأ سطراً هو الآتي: "هل يسعك أن تجد كماناً لابنتي الثالثة؟ لا أستطيع ان أدفعَ ثمناً غالياً، لكنها تحب الموسيقى وتود لو تحصل على آلة خاصة بها."

**كمان ودموع.** بعد بضعة أسابيع تسلمَ والدي رسالة من كولومبوس. بعد ذلك بلّغنا أننا سنذهب الى كولومبوس لقضاءِ ليلة عند عمتي آليس، وذلك ما إن يعثر على أحد يهتم بالماشية.

وأخيراً حان ذلك اليوم، فذهبنا الى عمتي آليس. بعد وصولنا سمعتُ والدي يجري مكالمة هاتفية، ثم أعاد السماعة الى موضعها وناداني قائلا: "هل تريدين الذهاب معي لزيارة السيد فينكل؟"

فأجبته: "بالطبع."

قادَ سيارته الى منطقة سكنيـة وأوقفها في طريق خاصة أمام منزل أنيق قديم. فصعدنا درجات المدخل وقرعنا جرساً موسيقياً. وما لبث رجل طويل هو أكبر سناً من أبي أن فتح لنا الباب. رحّب بنا وسلم على أبي بحرارة.

قال لي السيد فينكل: "سمعت قصصاً كثيرة عنك يا ماري لو."

وأدخلنا قاعة الاستقبال حيث التقط صندوقاً وفتحه وأخرج منه كماناً بدأ يعزف عليه لحناً عارماً كشلال. ففكرتُ: آه، كم أود ان أعزفَ مثله.

بعدما أنهى السيد فينكل عزفه تطلّع الى أبي قائلا: "لقد وجدته يا كارل في متجر يبيع أشياء مستعملة. سعره سبعة دولارات. إنه كمان جيد ستتمكن ماري لو من عزف ألحان جميلة عليه."

ثم أعطاني الكمان. ولاحظتُ الدموع تبرقُ في عيني أبي عندما رآني. فهمت الأمر، فالكمانُ لي. مررتُ يدي عليه بلطف. كان خشبُه ذهبياً دافئاً في النور. وقلتُ وأنا أكاد لا أقوى على التنفس: "انه جميل!"

حين وصلنا الى بيت عمتي آليس كانت العيون تحدق الي عند دخولنا. رأيت أبي يغمز والدتي، فأدركتُ أن الجميع، باستثنائي أنا، عرفوا المفاجأة سابقاً. وأدركتُ أن صلوات والدي استجيبت.

لا يستطيع أحد أن يعرف الشعور القوي داخل قلبي يوم حملتُ كماني الى المدرسة لكي أحضر درسي الاول. وعلى مرّ الاشهر كنتُ أتمرن يومياً فأحسّ بالخشب الدافىء يلامس ذقني ويصبح امتداداً لجسمي.

ولما صرتُ جاهزة للانضمام الى فرقة المدرسة ارتعشت من شدة الاثارة. فجلست في الصف الثالث لعازفي الكمان وأنا أرتدي سترة الفرقة البيضاء التي خلتها كثوب ملكي.

وراح قلبي يطرق بقوة خلال أدائي الاول أمام الجمهور في مغناة مدرسية. وفيما كنا ندوزن آلاتنا امتلأت القاعة ثم سلّطت علينا الأضواء وساد صمت عميق حين بدأنا العزف. كنت أكيدة من أن كلّ فرد في الصالة ينظر إليّ.

وكان والداي يبتسمان بفخر لابنتهما الصغرى وهي تمسكُ بكمانها العزيز فيقدّره العالم بأسره.

وبدت السنون كأنها تركض بسرعة. وقبل تخرّجِ أختيَّ رأيتني أعزف في الصف الاول من الفرقة.

**رحلة جديدة.** تخرّجتُ بعد سنتين ووضعت كماني العزيز في صندوقه ودخلت عالم الكبار. انشغلت بدراسة التمريض، وبالزواج، وبالعمل في المستشفى، وبتربية أربع بنات.

ومرت سنون تنقّل خلالها الكمان معنا. فكنتُ أوضبه بانتباه فأتذكر لوقت قصير مدى حبي له وأعد نفسي بأن اعزف عليه قريباً.

ولم تهتم أي من بناتي بالعزف على الكمان. وما لبثن أن تزوجن الواحدة تلو الاخرى وغادرن المنزل.

وها أنا الآن أقرأ في الصحيفة الاعلان الذي أرجع اليّ ذكريات الطفولة. وضعت الصحيفة جانباً وتمتمتُ: "عليّ أن أجد كماني."

وَجدت الصندوق في أسفل خزانتي. رفعتُ الغطاء وحملت الكمان الذي كان يرقد على بطانة مخملية زهرية اللون. وداعبتُ بأناملي خشبه الذهبي، وضبطت أوتاره التي بقيت سليمة يربطها قوس الكمان. ثم دهنت بمادة الراتينج القلفوني أوتاره المأخوذة من شعرات ذيل فرس.

وعزفتُ على كماني تلك الألحان المفضلة التي لم تفارق ذاكرتي قط.

لا أعرف كم بقيتُ على هذه الحال. تذكرتُ أبي الذي فعل وسعه كي يشبع حاجاتي وأنا طفلة.

وأخيراً أرجعتُ الكمان الى صندوقه والتقطتُ الصحيفة وسرتُ نحو الهاتف وطلبت الرقم المذكور.

في وقت لاحق من ذاك النهار توقفت سيارة قديمة في الطريق الفرعية أمام

منزلي وقرع بابي رجل في عقده الرابع. وفيما هو يتفحص الآلة قال: "لقد صليت كي يستجيب أحد لاعلاني. فابنتي في حاجة ماسة الى كمان. كم تريدين ثمناً له؟"

كنت أعرف أن أيَّ متجر للآلات الموسيقية سيقدم لي سعراً جيداً. لكني سمعتني أجيبُ: "سبعة دولارات."

فسألني الرجل مبهوتاً: "هل أنت جادة؟" فذكرني بأبي.

وكررت: "سبعة دولارات." ثم أضفتُ: "آمل أن تتمتع ابنتك الصغيرة بالكمان بمقدار ما تمتعت أنا."

أغلقتُ الباب وراءه ورحت أنظر خلسة من خلف الستار. فرأيتُ زوجته وأولاده ينتظرون في السيارة. وفُتح باب السيارة فجأة وركضت منه بنت صغيرة ناولها والدُها صندوق الكمان.

فضمت الصندوق الى صدرها ثم ركعت وفتحته محدثة طقطقة. ثم أخرجت الكمان ودارت وعانقت والدها الباسم.

**ماري لو كلينفر** ■



## حاسبة ناطقة

جُهز متجر كبير في مدينتنا بآلة حاسبة "ناطقة". وحين ذهبت الى هناك واشتريت ما يلزمني وقفت أصغي الى الصوت الآلي يذكر اسم كل سلعة وثمنها اذ أمرَّتها الموظفة أمام الشاشة الفاحصة. وبعد تمرير كل السلع أمام الحاسبة التي لا ترحم، أطلعتني هذه على ما يتوجب علي دفعه ثم حددت للموظفة "الصرافة" (الفكة) التي عليها أن تعيدها اليّ.

كل ذلك وموظفة الصندوق لم تنبس ببنت شفة. وأخيراً أعطتني الصرافة وأقفلت درج الحاسبة. ثم نظرت الي وقالت: "لقد أبقوا لي أن أقول شكراً."

ك.ك.د.

---

## سباق ضد الشرطة

عندما كنت اقود سيارتي في طريق عام يسميه مراهقو المنطقة "المدرج"، توقفت عند الاشارة الضوئية، فسمعت للحال محرك سيارة محاذية يتسارع بشكل اثار اشمئزازي من هؤلاء السائقين الشباب الذين ينطلقون باقصى السرعة عند الاشارة الحمراء، فيقاطعون جدتي في اثناء حديثها. لذا نظرت قُدُماً امامي وقد صمّمت على تلقين مجانين السرعة هؤلاء درساً. فما أنْ تغيّر الضوء حتى الصقت دوّاسة البنزين بالارض سابقاً السيارة الاخرى حتى الضوء التالي. وعندما اصطفّتْ بقربي ثانية القيت على سائقها نظرة عجلى تنمُّ عن اعتداد بالنفس، فوجدتني احدّق مبغوتاً الى وجه ضابط شرطة في سيارته الجوّالة وهو يهزّ رأسه.

ف.ت.



# فَنّ الاختلاف مع ربِّ العَمل

## عندما تختلف مع رب عملك تذكّر هذه القواعد فهي قد تحفظ وظيفتك

أرادت باتريشيا كوك الحصول على علاوة في بداية عهدها بالعمل في إحدى مؤسسات الابحاث بولاية مساتشوستس. وتقول متذكرة: "لم يوافق رب العمل على اعطائي علاوة، لكني أصررت على ذلك."

وتتابع: "تطور الحديث الى جدل قارنت خلاله بين راتبي ورواتب الموظفين الآخرين وأبديت وجهة نظري في ما أستحق وما يستحقون. ثم عنف النقاش فتبادلنا كلاماً قاسياً. وبعد ذلك بوقت قصير تركت عملي في الشركة."

لقد كسرت كوك القاعدة الاساسية في التعامل مع رب العمل: إياك ان تبدأ مشادة لا تستطيع الانتصار فيها. هل يعني هذا ان عليك أن تتجنب أي صراع مع رؤسائك؟ حتماً لا. إن فاعليتك في الاختلاف ورئيسك قد تكون حاسمة في مستقبلك المهني.

من منا لم يسبق أن اصطدم مع رب عمله في وقت من الأوقات؟

يقول روبرت ليفتون وهو مستشار في شؤون علاقات الموظفين: "إن تجنب

الخلافات قد يكون مفيداً على المدى القصير، ولكن ليس على المدى الطويل. فالموظف يخسر نومه وشخصيته، كما يحرم رئيسه المعلومات التي تمكنه من تأدية العمل على نحو أفضل."

وهنا قواعد يجب أن يتذكرها الموظف لدى كل خلاف يحصل مع رب عمله.

## ■ انتبه الى التوقيت.

تقول كوك، وهي اليوم شريكة مؤسسة "وارد هوال انترناشونال للابحاث": "قبل أن تواجه رب عملك، تكلم مع سكرتيرته للتأكد من مزاجه. فاذا كان مزاجه عكراً فليس مستحسناً أن تطلب منه أي شيء."

حتى من دون اللجوء الى السكرتيرة هنالك بعض الامور التي تجب مراعاتها: لا تطلب من رب العمل شيئاً عندما يكون وقته ضيقاً. لا تقابله قبل الغداء مباشرة عندما يكون غير قادر على التركيز. ولا تقابله قبل عطلته أو بعدها مباشرة.

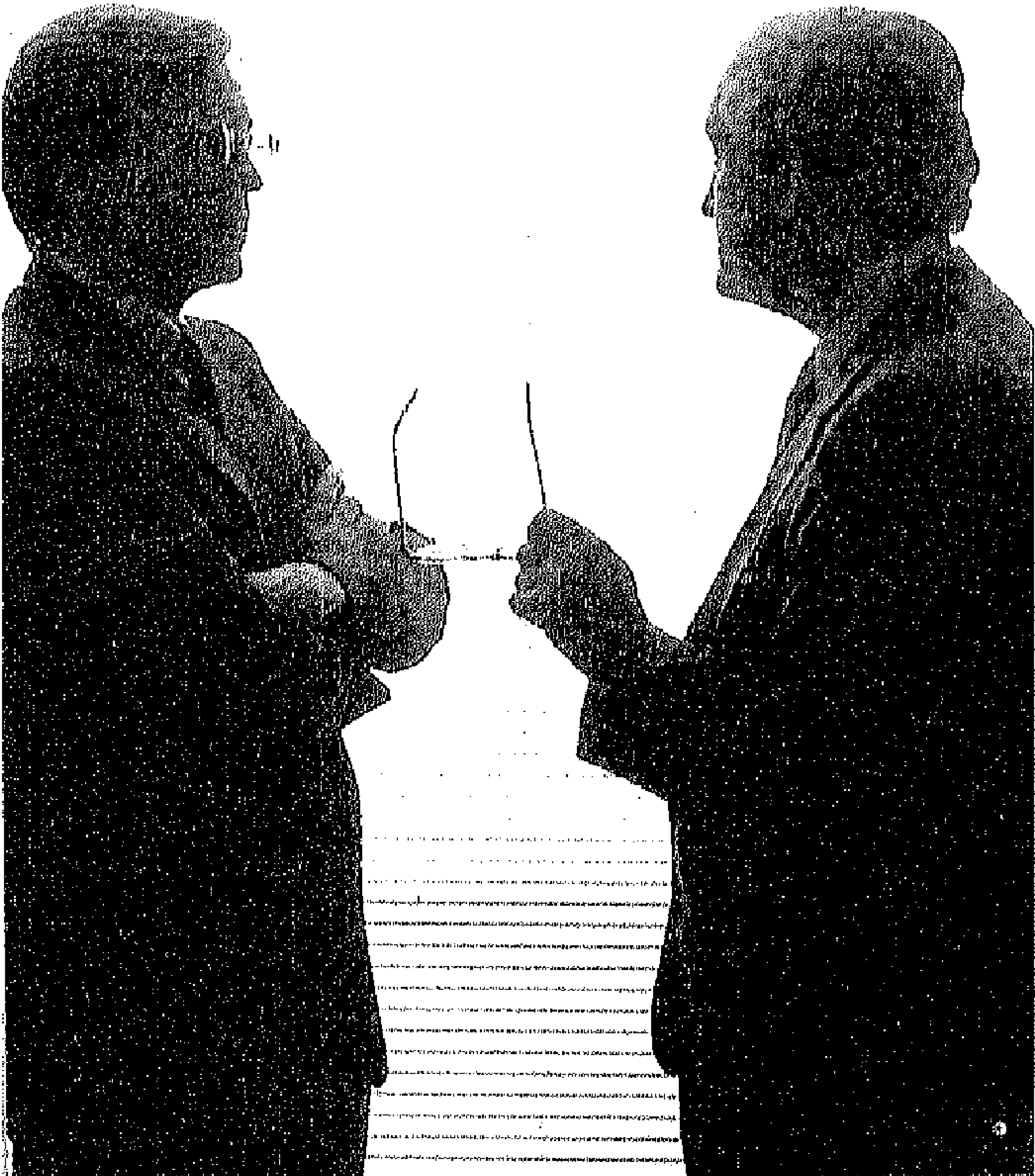
## ■ لا تدخل على رئيسك وأنت غاضب.

يقول روبرت سميث وهو إختصاصي بعلم النفس في واشنطن يستشيره الناس في شؤون الحصول على ترقية: "اذا كنت غاضباً، فستغضب رب عملك. هدىء نفسك اولا."

ولا تدع أمراً معيناً يفجر جميع مشاعرك المكبوتة، يقول وسلي كانتريل رئيس شركة"هاريس/٣إم" لمنتجات التوثيق: "اذا بدا موظف ما سلبياً حيال الشركة، فهو يعطي انطباعاً ان من المستحيل ارضاءه فيستحسن أن يجد عملا جديداً."

## ■ وضّح مواضيع البحث.

تقع نزاعات قوية عندما لا يعرف رب العمل ماذا يجول في رأس الموظف، والنقيض صحيح. تقول ليليان وايلدر وهي مستشارة في فنون الكلام: "ينتهي الخلاف احياناً كثيرة عندما تتوضح مواضيع البحث. على الموظف أن يطرح موضوعه بوضوح وايجاز لكي يتمكن رب العمل من استيعابه جيداً." تعمل كلير تالاريكو لدى رئيس دائرة المال في مدينة نيويورك، ونادراً ما تتجادل مع رئيسها، ولكن حين يعارض رئيسها إجراء تعتقده هي مهماً، تدون أفكارها على



ورقة وتطلب منه أن يلقي نظرة عليها. تقول: "إن ذلك يساعد على تحديد الموضوع."

## ■ اقترح حلولا.

يقول الدكتور نورمان ساسمان أستاذ الطب النفسي في المركز الطبي بجامعة نيويورك: "هنالك أمور كثيرة تشغل بال رب عملك، فلا حاجة الى أن تزيد مشاكله. فإذا تعذر عليك ان تقترح حلا فورياً، اقترح على الاقل سبيلا لمقاربة المسألة."

ويحذر ساسمان الاشخاص الذين يعرضون مشاكل من غير حلول على أرباب العمل من أنهم سيجدون أنفسهم في القريب العاجل غير قادرين على اجتياز السكرتيرة. ويضيف: "قد يكون رب العمل عاجزاً عن تحديد المشكلة تماماً، لكنه يعرف أنه كلما دخل عليه فلان، يشعر بالانزعاج. وبعد فترة يمنع دخوله."

## ■ ضع نفسك مكان رب عملك.

يقول المستشار ليفتون: "لكي يكون تعاملك مع رب عملك مجدياً، عليك أن تتفهم أهدافه وضغوطه. واذا أمكنك أن تضع نفسك في موضع شريك له، فعندئذ يصبح ميالا الى العمل معك من أجل تحقيق أهدافك."

يخبر روبرت كيلي، وهو أستاذ ادارة أعمال في جامعة كارنيغي مالون، قصة مبرمج دماغ الكتروني ورب عمله في شركة للادمغة الالكترونية في كاليفورنيا، حول خلاف يختص بحسنات برنامج معين. يقول كيلي: "اقترحت أن يتبادلا الادوار ثم يتجادلا في الموضوع. وبعد مضي خمس دقائق تحقق واحدهما خلالها من سخافة الآخر، وشرعا في الضحك ثم توصلا الى حل خلال وقت قصير."

## ■ استعمل المنطق.

تذكر أن القوة هي في يد رب العمل وأن دفع الخلاف الى النهاية قد يكون له مردود أبعد من الموضوع قيد البحث. فالرئيس يستطيع صرفك من العمل في أي وقت يشاء. كن متعقلا وتذكر: إياك أن تبدأ مشادة لا تستطيع الانتصار فيها.

**ريتشارد غرين** ■



## حيلة بولمان

يروى أن جورج بولمان، مصمم الحافلات السياحية التي تحمل اسمه، استخدم مهندساً معمارياً يُدعى سولون بيمان ليخطط بلدة نموذجية لعمال "بولمان". وعندما انتهى المشروع طلب المهندس أن تحمل البلدة اسمه.

لم يوافق بولمان على الامر وقدم الاقتراح الآتي: "دعنا نعتمد حلا وسطاً. سوف نستخدم المقطع الاول من اسمي (بول) والمقطع الثاني من اسمك (مان)."

وهكذا سميت المدينة "بولمان"، وهي الآن حيّ كبير من شيكاغو في ولاية ايلينوي.

ت.ب.

قصة قصيرة

في ضوء القمر وقف صبي المزرعة الابيض
يراقب دروع محاربي الزولو اللامعة في أرض افريقيا



# مغامرة في بلاد الزولو

يبدأ "ممر القدماء" في سهل واسع مرتفع حيث قرية الزعيم إنسمبي، ويمر عبر الوادي ليصل الى التلال الشرقية.

كانت مزرعتنا جزءاً من المستوطنة البيضاء في الوادي، تقسم أرض العشيرة. وكان السكان العابرون من طرف الى آخر يسلكون عادة الطريق الحكومية، لكن بعضهم كان من وقت الى آخر يسلك ممر القدماء. فاذا شاهدهم أبي نهرَهم مشيراً الى لافتة: "ممنوع المرور." وقد ترجمها أبي الى لغة الزولو، لكن ذلك لم ينفع بسبب جهل المنتهكين القراءة.

وبات المكان الذي رفعت فيه اللافتة يسمى "أرض التأنيب."

أحياناً كان يصر أحدهم على المرور، فيشتعل والدي غضباً لكنه لم يكن يردعه. كان يقول: "أعتقد أن لهم حقاً في المرور بداعي الاستعمال السحيق في القدم." لقد وضع الممر قيد الاستعمال قبل تسعة أجيال، عندما قاد الزعيم دوما أسلاف العشيرة من الجبال ليحلوا في هذه البقعة المغطاة بالأشواك. فاذا أردت أن تشكر أحداً أو تظهر له احترامك، كنت تدعوه "دوما" أو "ابن دوما."

عرفت ما عرفت عن الممر وعن دوما وإنسمبي لأن نغومبان، وهو كبير العمال، كان صديقي. عندما تعسرت ولادتي ركض نغومبان مسافة ٣٥ كيلومتراً لاستدعاء طبيب. وقد وصل هذا متأخراً فلم يستطع انقاذ حياة والدتي. أما قطع تلك المسافة ركضاً فقد سبب لنغومبان عرجاً دائماً وجعله سنداً دائماً لي خلال فترة نموي. وإذ بدأت أدرج، أخذ يحدثني عن تاريخ العشيرة وحياة العمال. كنت لفترة طويلة أكثر طلاقة في لغة الزولو(*) مني في الانكليزية. وكان والدي يعلم أنني في أيد أمينة مما جعله حراً في الذهاب بعيداً في رحلات الصيد.

وعندما بلغت الخامسة عشرة ذهب والدي في رحلة طويلة أثناء عطلتي المدرسية. بقيت في المزرعة كالعادة. وبعد ظهر يوم سبت، قال لي نغومبان: "هنالك أمر يجب أن نتحدث عنه يا نكوسان."

شعر نكوسان، والكلمة تعني "الرئيس الصغير"، بأن هنالك أمراً خطيراً.

قال: "أنت تعلم يا نكوسان أن الزعيم الاعلى الذي نسميه الأسد، زعيم أمتنا بأسرها، سيأتي الشهر المقبل لزيارة إنسمبي. وستجتمع العشائر كلها في هذه المنطقة لتقيم له استقبالا ملكياً."

وتابع نغومبان: "ستقام رقصات الحرب كما في الايام الخوالي. لكن الشبان لا يتقنون كل الرقصات، لذلك سيمرنون على الرقص في منزل إنسمبي. سيكون على كثيرين عبور الوادي للوصول الى هناك. يقولون إنهم سيسلكون ممر القدماء كما في الماضي."

قلت له: "سأعطي إذناً لكل من يطلب إذناً."

حدق نغومبان الى قدميه وقال: "لن يطلبوا إذناً، يقول الفتيان إن هذا اليوم سيكون مثل زمن أجدادهم عندما كان أبناء العشيرة يمرون بحرية عبر أرضهم. الغطرسة تملأهم. لماذا لا تذهب في زيارة الى القرية البيضاء الليلة؟ في غيابك سيمر الناس فلا ترى إساءتهم، وسيمضي كل شيء بسلام."

قلت له: "سأبقى هنا في المنزل وأتظاهر بأنني لا أعرف شيئاً عن الموضوع."

هز نغومبان رأسه موافقاً على مضض: "سيكون هذا حسناً."

## أسود وأبيض

طالما استمتعت بأيام الآحاد وأنا وحيد في المزرعة. ولكن في ذلك الاحد طغى على زقزقة العصافير طنين شبيه بطنين النحل الآتي من مكان بعيد. أخذت منظاري وتسلقت شجرة عالية كاشفة.

كان ممر القدماء مزدحماً بصف طويل متواصل من الناس. الرجال يحملون دروعاً من جلود الثيران وعصياً للقتال ويعتمرون ريش النعام وطيور الهويد. أما النساء والفتيات فتزيّنّ بالخرز وتخضبن بالحناء وحملن أوعية الشراب وصواني الطعام على رؤوسهن.

سيكون المشهد رائعاً عندما يجتمعون في قرية إنسمبي. فلماذا لا أكون هناك؟

أسرجت حصاناً ووضعت في أحد جيوب

(*) الزولو شعب قديم يعيش في افريقيا الجنوبية، وقد اشتهر بمحاربيه الشجعان.

**82. Staatliche Nordwestdeutsche Klassenlotterie**

**دورة اليانصيب الوطني رقم ٨٢ لشمال ـ غرب ألمانيا**
خاضع لرقابة الدولة

# „إليك عرضنا الخاص: كيف تصبح مليونيرا!“






## إن طريقة الاشتراك سهلة:

- إرسل إلينا قسيمة الاشتراك في أسفل الصفحة، أو رسالة إذا فقدت القسيمة.
- إرفق بها قيمة أوراق اليانصيب التي تريد أن تشتريها إما نقداً بالبريد الجوي المسجل، أو بواسطة حوالة بريدية دولية، أو شيك عادي، أو شيك مسحوب بواسطة بنك أو شيك سياحي. ويمكنك أيضاً دفع قيمة ورقتك بعد إستلام الفاتورة.
- سوف نبعث لك أوراق اليانصيب والمعلومات الإضافية وجدول السحب الرسمي. ثم بعد كل عملية سحب نرسل إليك القائمة الرسمية للأرقام الرابحة وكذلك ورقتك للسحب التالي.
- في كل مرة تربح فيها، سوف نخطرك بذلك في عنوانك. وستحول إليك الجائزة بواسطة شيك إلى أي مكان أو عنوان تريده. إن الجائزة معفاة من الضريبة الألمانية وتدفع بكامل قيمتها بدون أي خصم. كما أن إسم الرابح يبقى سرياً تماماً.
- إننا نضمن لك خدمة سريعة موثوقة وسرية في كافة أنحاء العالم.

**لهذا السبب فإنه أمر مشوق لكم بالإشتراك في هذا اليانصيب:**
**جوائز مالية بقيمة ٣٤١ مليون مارك ألماني**
٣ × ٣ مليون مارك ألماني الجائزة الكبرى
٣ × ٢ مليون مارك ألماني
٢٣ × ١ مليون مارك ألماني
وإضافة إلى ذلك:
٢٧٩ ٩٩٩ جائزة أخرى تصل إلى ٥٠٠٠٠٠ مارك ألماني

تطرح ٧٠٠٠٠٠ ورقة يانصيب فقط للبيع. من هذه السبعمائة ألف ورقة يربح ٢٨٠٠٢٥ رقماً في دورة السحب: وبهذا فإننا نخصص ربحاً لكل ثالث رقم!

## والآن: كل يوم جمعة جائزة بقيمة مليون مارك ألماني ...

يقدم لكم اليانصيب الوطني لشمال ـ غرب ألمانيا، الخاضع لرقابة الدولة، هذه الفرصة الفريدة وجوائز أخرى عديدة. إنه مدهش حقاً! فأقل من كل ثالث رقم يربح مضموناً خلال مدة السحب. ويبلغ مجموع الأرباح التي ستوزع خلال دورة اليانصيب رقم ٨٢ حوالي ٣٤١ مليون مارك ألماني، حيث تبلغ قيمة الجوائز الكبرى وحدها ٣٢ مليون مارك ألماني.

## قيمة الجائزة الكبرى وحدها تبلغ ٣ × ٣ مليون مارك ألماني.

تدفع الجوائز بإحدى أقوى العملات في العالم "المارك الألماني". تجري دورة اليانصيب لمدة ٢٦ أسبوعاً. ويجري سحب كل أسبوع كما يجري سحبان إضافيان في الأسبوعين الأخيرين. وهذا يعني إجمالاً ٢٦ سحباً وبالتالي ٢٦ فرصة لكي تصبح مليونيراً! وتتزايد قيمة الجوائز المالية من سحب لآخر. يشرف على كل عمليات السحب مراقبون حكوميون.

إرسل إلى: **Walter Ruge · Heidenkampsweg 32 · D-2000 Hamburg 1 · West Germany**

---------------- قسيمة الاشتراك ----------------

**82. Staatliche Nordwestdeutsche Klassenlotterie**

دورة اليانصيب الوطني رقم ٨٢ لشمال ـ غرب ألمانيا ※ تجري السحب ابتداء من ٣١ مارس ١٩٨٩ لغاية ٢٣ سبتمبر ١٩٨٩

إربح ١٠٠٪ بشراء ورقة كاملة، أو ٥٠٪ بشراء ١/٢ ورقة أو ٢٥٪ بشراء ١/٤ ورقة. ولا تنسى: كل ثالث رقم يربح مضموناً! جرب حظك!

**الرجاء ذكر عدد الأوراق التي تريد طلبها بهذه القسيمة**

| | | |
|---|---|---|
| | [illegible] | |
| | ١/١ ورقة | ٧٤١ مارك ألماني (حوالي ٤٣٠ دولار أمريكي أو ٢٤٠ جنيه إسترليني)* |
| | ١/٢ ورقة | ٣٨١ مارك ألماني (حوالي ٢٢٢ دولار أمريكي أو ١٢٤ جنيه إسترليني)* |
| | ١/٤ ورقة | ٢٠١ مارك ألماني (حوالي ١١٧ دولار أمريكي أو ٦٦ جنيه إسترليني)* |

※ سوف تحوّل إليك الجائزة سرياً بواسطة شيك إلى أي عنوان أو بنك في أي بقعة من أنحاء العالم.

※ يقبل دفع قيمة الورقة بواسطة شيكات عادية بالمارك الألماني أو الجنيه الإسترليني أو الدولار الأمريكي، أو بواسطة حوالة مصرفية، أو بطاقة أمريكان إكسبريس، داينرز كارد، يوروكارد، أكسس، ماستر كارد أو ڤيزا.

تدفع جميع الجوائز لكل عمليات السحب متضمنة رسوم البريد الجوي ومرفق بها قائمة الأرقام الرابحة بعد كل سحب، ولا تستوجب أية تكاليف إضافية! تعد الورقة صالحة فقط إذا كانت قانونية!

إضمن لنفسك الآن فرصة الربح! إرسل القسيمة اليوم!

إرسل إلى: Walter Ruge · Heidenkampsweg 32 · D-2000 Hamburg 1 · West Germany

الرجاء الكتابة باللغة الألمانية ○ الإنجليزية ○ سيد ○ سيدة ○ آنسة ○
إملأ القسيمة من فضلك بحروف واضحة

First name ______ الإسم
Surname ______ اللقب
Street ______ الشارع
P.O.B. ______ ص . ب
City ______ المدينة
Country ______ الدولة

Charge my ☐ DINERS CLUB ☐ AMERICAN EXPRESS ☐ EUROCARD ☐ VISA

Handling charges for payment by credit card 6% رسوم المعاملة للدفع ببطاقة الإئتمان ٦٪

Name of Card Holder ______
Acc. No. ______
Expiration Date ______
Signature ______

AM 1

بحلتها الجديدة

مجلة كل بيت



اسبوعية فنية اجتماعية شاملة

مواضيعها مفيدة، غنية، مبسطة، تهتم بشؤون كل بيت :




- منوعات
- تحقيقات ومقابلات
- فن
- ثقافة
- تجميل
- اناقة
- مشكلة وحل
- طب
- مطبخ
- طبيعة
- حديث الابراج

بالاضافة الى عدة ابواب اخرى

السرج بعض الشطائر، وتبغاً وعلب ثقاب في الجيب الآخر بغية تقديمها هدايا.

وصلت الى الممر وانتظرت لكي أحظى بثغرة في الموكب أدخل منها. توقف الناس عدة مرات قائلين: "إذاً، ستأتي معنا." لكنني كنت أهز رأسي نفياً لأنني كنت أدرك أن الحصان يشكل حرجاً وسط مجموعة من المشاة. كان الرجال المسنون يسيرون ببلادة، متمتمين أغنية "أضرموا النار يا أبنائي، أضرموا النار." وكان الفتيان ينشدون أغنيات الحرب القديمة: "عار على الرجل الذي يحرق في كوخه. أخرج وقاتل!"

أخيراً سمحت لي ثغرة في الخط بأن أدخل الممر. كنت أنوي الخروج منه لاحقاً، لكن الرجل الذي كان أمامي مدّ يده مانعاً ومؤنباً: "الطريق ليست من هناك." عندما وصلنا الى لافتة "ممنوع المرور" في "أرض التأنيب" تطلع صوبي عدد من الناس مبتسمين، لكن أحداً لم ينطق بكلمة.

ابتداء من هنا أخذ الممر يعلو حول جرف، متعرجاً حول عدة منعطفات. واضطررت الى النزول عن حصاني. وفي منتصف الطريق توقف الموكب. كان رجل عجوز ناحل يجلس هناك وقد التوى رسغه. أخذ بعض الشبان يخفف عنه. فقلت له: "هل تستطيع ركوب الحصان يا جدي؟".

أجاب العجوز مكشراً: "لم أركب حصاناً في حياتي يا نكوسان. سيستاء حصان البيض هذا من ركوب رجل عجوز أسود اياه وسيرميني عن ظهره."

أجبته بثقة: "لا، فأنا وحصاني نحترم الشيخوخة."

قدت الحصان صعداً نحو التلة وأنا أشعر كأنني أحمق. ليس محتملا أن يراني رجل أبيض وأنا كالخادم أقود حصاناً على ظهره زولوي عجوز. ولكن لم يكن في وسعي أن أجزم بذلك، فأبقيت رأسي مطأطأ.

خارج القرية في مكان مستوٍ شاهدت مئات الرجال يشكلون مجموعات. وكان معظمهم يحمل دروعاً متباينة الألوان: سوداء وبيضاء وبنية ومختلطة. وكانوا يتراصفون واحداً واحداً أو اثنين اثنين ويضربون الارض على إيقاع أناشيدهم.

ابتعدت عن الجمع الرئيسي وركبت حصاني الى مؤخر القرية. ظهر أمامي رجل، فترجلت وحييته. سألني: "ما الأمر يا ابن الابيض؟ لماذا أتيت؟"

شرحت له أنني أردت ان أشاهد الرقص، وسألته عما اذا كان الزعيم يتكرم ويسمح لي بذلك. قدمت اليه التبغ فتنشق رائحته مستحسناً وقال لي: "إنك تملك جرأة كبيرة لتأتي الى بلادنا، بلاد السود، في مثل هذا اليوم. لكنك تعرف كيف تظهر احترامك. أين تعلمت لغة الزولو؟"

أخبرته عن نغومبان فقال: "الرجل الاعرج كان راقصاً جيداً في ما مضى. سأخبر الزعيم أنك هنا."

ومع تقدم النهار أصبحت التمارين على المنبسط أكثر انتظاماً. تقدمت المجموعات ببطء وهجمت ضاربة الدروع ثم تراجعت ثم تقدمت من جديد. وفي فترة ما بعد الظهر تقطعت التمارين

وجلس معظم الراقصين يرتاحون. حصلت بعض مشاجرات فتدخل الزعيم وبعض الرجال صارخين ومنهالين على الفتيان بالهراوات والسياط.

لم يمض وقت قصير حتى أطل فتى في مثل سني كان ينزف من جرح في رأسه وعلى صدره أثر ضربة سوط. وقف أمامي متحدياً وقال: "أيها الرجل الابيض الصغير - قالها محقراً - إسمع كلمات الزعيم. يقول إنسمبي إنه ينبغي أن تذهب الآن. يقول إن الرجل الابيض يبدو في الغسق كأي كائن متوحش آخر."

أمتطيت صهوة جوادي بسرعة وقلت للفتى: "إنني أشكر الزعيم وأرسل اليه احترامي."

لم يفسح لي أحد في الطريق. وقف نفر من الرجال أمام الحصان وطلبوا أن آخذ واحداً منهم ليرافقني، فانثنيت عنهم. وقد سمعت هذه العبارة غير مرة: "ماذا تفعل هنا أيها الرجل الابيض؟"

قررت ألا أخاطر بسلوك ممر القدماء، فسلكت طريقاً طويلة ووصلت الى المنزل بعد الغروب.

تناولت طعام العشاء وكنت استعد للنوم عندما صهل حصاني متوتراً. وكنت ربطته في حقل ذرة قرب المنزل ليرعى خلال الليل. ثم سمعت في البعيد أغنية حرب ينشدها عدد غفير من الرجال.

الصوت يصل ثم يتلاشى. صوت القائد واضح وعالٍ أما أصوات المرددين فمخنوقة ولكن قوية. وبعد لحظة صمت بدأت أغنية جديدة. لم تكن فيها كلمات بل أصوات: "اي يوه هاه هاه هاه" تعلو ثم تنخفض الى أدنى نبرة يستطيع المنشدون إخراجها. عرفت الاغنية، لأن عمال المزرعة أنشدوها ذات يوم فصرخ فيهم نغومبان: "لا تنشدوا أغاني كهذه هنا." وأخبرني أنها كانت تنشد في الايام الخوالي كلما توقع المحاربون أعمال قتل كثيرة. قال: "عندما ينشدها المرء يغلي الدم في عروقه فيطلب الدم." فسميتها في نفسي "أغنية الدم."

تراجع الصوت عندما وصل المنشدون الى مكان من الممر وراء قمة المرتفع، ثم تلاشى عندما نزلوا الى مقلع الحجار القديم.

دخلت البيت مرتاحاً، اذ كانوا في طريقهم الى التلال. ثم بلغتني صرخة عظيمة من أغنية الدم. مجموعة كبيرة من المحاربين تسلقوا القمة بصمت وها هم يتجمعون في الفسحة التي توصل الى المنزل.

أقفلت النوافذ وأوصدت جميع الابواب الا النصف الاعلى من باب المطبخ. وضعت المصباح بحيث يشع من الباب وجررت أكياس المؤونة والبذور لأجعل منها متراساً، وحشوت بندقيتي خرطوشتين.

## مقتلع الاشواك

في ضوء القمر دروع المحاربين العظيمة تلمع كلما استداروا. كانوا ينشدون أغنية التحدي للقتال: "عار على الرجل الذي يحرق داخل كوخه. اخرج وقاتل!" وأثناء إنشادهم كانوا يرتبون مجموعاتهم في شكل معين. ثم بدأوا يزحفون أرتالا عبر الفسحة. حاولت تقدير المسافة فتحيرت، لأن بعضهم كان يتقدم منحرفا صوب حقل الذرة.

توقف الغناء فجأة. وبعد صرخة حادة من الآمر هجموا جميعاً صارخين صرخة العشيرة لبدء المعركة. زحفت الى غرفة المؤن وفتحت النافذة وصوبت فوهتي البندقية الى الخارج متهيئاً لأطلاق النار على أول رجل يصل الى مدى الرمي.

لم يكن أحد هناك. ولكن في حقل الذرة كان الجميع يضربون حزمات الذرة صارخين: "الموت! الموت!" أو يقفزون في قتال وهمي. وبعد فترة وجيزة جلس معظم المحاربين. عددت منهم اثني عشر. سار أحدهم نحو المنزل ووقف في ضوء المصباح. أسند درعه وعصاه الى الحائط ووقف ينتظر.

قلت صارخاً: "ماذا تريد؟" وبدوت مرتاحاً لأن صوتي كان خشناً لا ينم عن خوف، فرد الشاب بتحية أطلقها نحو مصدر الصوت وقال: "نكوسان، نريد ماء، اننا نموت من العطش."

أجبته بفظاظة: "انتظر. إنني آتٍ." أفرغت بندقيتي مذعوراً لمرأى يديّ المرتجفتين. وبعد ذلك خرجت من المنزل وفتحت قفل خزان المياه وأعطيت الشاب كوباً من التنك.

لوح بيده الى الآخرين، فأسندوا دروعهم وعصيهم الى الحائط وحيوني باحترام. كانوا جميعهم فتياناً. شربوا واحداً بعد الآخر. انتظرت ذهابهم، لكنهم جلسوا.

سألني واحد منهم: "هل كنت تعرف الرجل العجوز ذا الكاحل المكسور يا نكوسان؟"

وقال آخر: "قمت بعمل لطيف يا نكوسان. وقد جاءت فرقتنا الصغيرة لتشكرك. ان ذلك العجوز صاحب شرف عظيم في عائلتنا. كان وصياً على والدي وعلى والد هذا الفتى." وأشار الى شاب آخر بدا كأنه قائدهم.

فقال القائد: "يا جوني، لقد اقتلعت شوكة من قدم رجل غريب، لذلك نطلق عليك هذا الاسم لمدحك: مقتلع الاشواك."

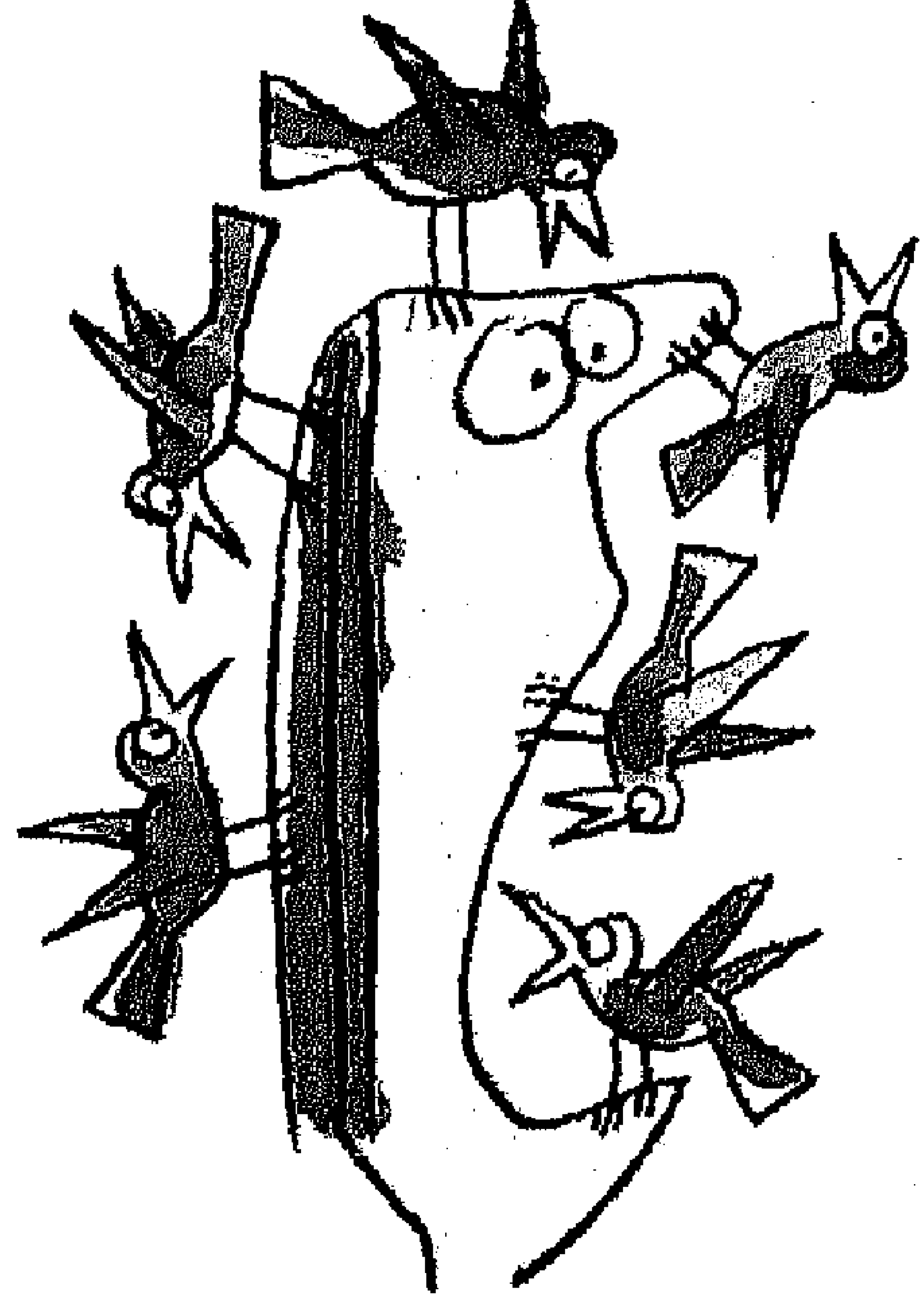
دخلت المنزل واحضرت علبة كبيرة من البسكويت وبعض التبغ. إلتهم الفتيان الطعام ولفوا بعض السجائر بغير إتقان. سألوني اذا كنت شعرت بالخوف في منزل إنسمبي لكوني الرجل الابيض الوحيد هناك. وقال لي بعض الفتيان الذين كانوا مع العجوز: "لو حدث أمر ما، لكنا حميناك."

كان القمر بدأ يغرق نحو المنبسط الغربي حين رحلوا. ولدى انطلاقهم قالوا لي، واحداً واحداً، "حفظك الله يا أخي." وكانوا يشدون ذراعي مصافحين. ثم استداروا نحوي جميعاً صارخين: "يا مقتلع الاشواك، إنك واحد منا،" ورفعوا دروعهم محيين. وخلال نصف الساعة التالي كنت أسمع أصواتهم وهي ترتفع بصفاء مرددة: "إي، يوه" ثم تنخفض مرددة بعمق: "هاه، هاه، هاه." كانت أغنية الدم تضمحل ثم ترتفع ثم تضمحل، حتى تلاشت أخيراً في أودية التلال الشرقية.

التقيت بعض أفراد المجموعة في ما بعد يتبضعون في المتاجر أو يعملون في المزارع أو يسيرون في الطرق. كانوا دائماً يحيونني بمودة عظيمة، لكن أحداً لم يدعوني "أخي" ثانية أو يقل لي: "إنك واحد منا."

إرنست هافمان ■

# عجائب الأخبار



كانَ المنظر شبيهاً بأحد مشاهد فيلم ألفرد هيتشكوك "الطيور."

حين أضاء مايكل غلوفر وزوجته وندي غرفة الجلوس في منزلهما، وجدا الجدران والأثاث مغطاة بطيور صغيرة سود. لقد انقضّ على منزلهما عبر المدخنة نحو ألفين من طيور السمامـة الشبيهة بالسنونو. قال مايكل: "كان معظمها نائماً. أما الطيور الواعية فقد اخذت تطير حولنا في كل أتجاه."

وقد عمل عدد من رجال شرطة لوس انجلس أربع ساعات في طرد الطيور، وأمضى الزوجان أربعة أسابيع وهما ينظّفان الاوساخ ويجددان الطلاء.

هذه احدى الطرائف الغريبة التي جمعتها. واليكم المزيد:

## فطيرة تسقط من السماء

رجعت بيكي فرار، من هِنكلي بولاية ايلينوي، الى منزلها لتجد ثقباً في مطبخها الذي أعادت تجديده حديثاً، وأرضه مكسوّة بيقطينة محطّمة.



Condensed from Family Safety & Health (Summer '88), © 1988 by The National Safety Counsil, Chicago, Ill. Illustrations: Roy McKie

أظهر التحقيق الذي أجراه رجال الشـرطة أن اليقطينـة سقطت من بهلوانين مظليّين كانا يتقاذفانها في الجو.

## قطار النوم

وُجد صبي في الحادية عشرة من عمره حافي القدمين يمشي على خط السكة الحديد على بعد ١٠٠ كيلومتر من بيته في دانفيل بولاية إيلينوي. وقد ذكرت أمه أنه يمشي وهو نائم.

كان الصبي قفز الى مقطورة للشحن في دانفيل، وانتهت به الرحلة في بيرو بولاية انديانا. وأفاد رجال الشرطة أنه لا يتذكر شيئاً عن رحلته. وأضاف المفوض بيل بايج: "لقد استيقظ ونزل من القطار وفي اعتقاده أنه ما زال في دانفيل."

وقالت أمه: "لم يحدث قبلًا أن خرج وهو نائم."

## سيارة تطارد ذيلها

بدأت هذه القصة الطريفة حين وصلت مديرة مدرسة ابتدائية في احدى ضواحي واشنطن الى الطريق الدائرية الخاصة بالمدرسة. نزلت من السيارة مسرعة لتحضر شيئاً كانت نسيته، وتركت المحرك دائراً. وإذ أقفلت الباب عَنَّ لجهاز ناقل الحركة أن ينتقل من ترس التوقف الى ترس السير الخلفي.

فاندفعت السيارة الى الوراء تلفّ الطريق الدائري مئات المرات والمصابيح الأمامية مضاءة. وظلت على الحال لمدة ساعتين ونصف ساعة، ورجال الشرطة واقفون جانباً في حيرة من أمرهم.

وأخيراً جيء بشاحنة قطر. وتمكن السائق الماهر من شبك مؤخر السيارة الشاردة ورفعها براقعة شاحنته. فعلت عندئذ العجلتان الخلفيتان وتـوقفت السيارة من غير أن تصاب بضرر.

لكن مديرة المـدرسة شعـرت أن كبرياءها قد مُسَّت. وهي تقول: "لم يكن ذلك مضحكاً."

## اوزة تسقط مروحية

وقعت في سماء سيبيريا معركة جوية بين إوزة ومروحية كانت تحمل عمالا



لخطوط أنابيب الغاز. فقد هاجمت الاوزة المروحية، وظلت على مدى ١٣ دقيقة ترصد تحركاتها الى أن اضطرتها الى تغيير مكان هبوطها.

## سيارة طائرة

يعمل عجوز في الحادية والثمانين منذ ٤٦ سنة مراقباً في موقف للسيارات

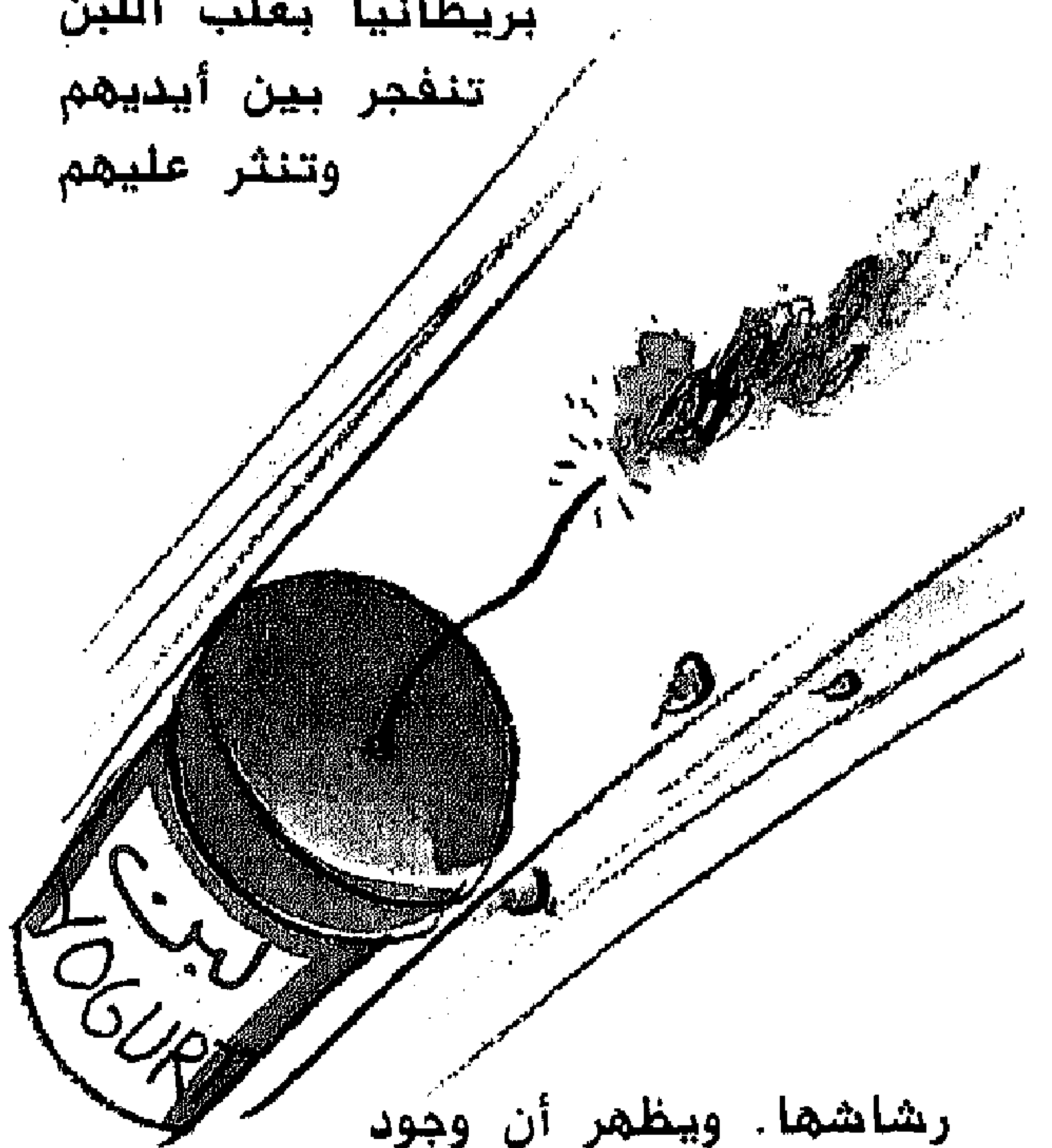
بمدينة شيكاغو. وقد اندفع ذات مرة بسيارة عبر جدار في الطبقة الثانية من المرأب فصدم سلّم حريق وشاحنة متوقفة قبل أن يهوي من علو ستة أمتار فيستقر في أحد الازقّة.

لكن كورنيليوس روبنسون خرج من السيارة من دون أن يلحق به خدش.

ويقول رئيس فرقة الاطفاء وليم كروفورد: "أنه أمر لا يصدّق. لقد استطعنا قيادة السيارة بعد الحادث. لم تكن في حال ممتازة، انما كان من الممكن قيادتها."

## لبن متفجر

يبدو اللبن المحلى بالسكّر والكرز الأسود طعاماً غير ضارّ. إنما فوجىء المتسوقون في أحد المحلات الكبيرة في بريطانيا بعلب اللبن تنفجر بين أيديهم وتنثر عليهم




رشاشها. ويظهر أن وجود كمية كبيرة من الخميرة في اللبن قد يسبب انفجاراً.



## حمامة تلعب البايسبول

في ١٣ أبريل (نيسان) ١٩٨٧ حصل اصطدام في الجو غيَّر المعادلات على الارض. ففي مباراة بايسبول بين فريقي "متس" و"اتلانتيك برايفز" في نيويورك صدمت حمامة طائرة فوق الملعب كرة قذفها ديون جايمس من فريق البرايفز.

فهوت الكرة والحمامة معاً الى الارض.

فركض جايمس في انطلاقته التي بدأت عادية، وسجل إصابة لاحقاً. وفاز فريق البرايفز في المباراة.

## عصفور في اليد

حدث ذلك حين لاحظ دونالد هودسن من مدلاند بولاية ميشيغن أن صحيفته الصباحية تتحرك. وكان التقطها من الحديقة ووضعها إلى جانبه في السيارة. ويبدو أن عصفوراً كان دخل الصحيفة. فأوقف دونالد السيارة وبقي المحرك دائراً.

وما ان أطلق دونالد العصفور وهمّ بركوب السيارة، وكانت إحدى رجليه لا تزال خارجاً، حتى انزلق مقبض التروس

تلقائياً وتحركت السيارة. فعلقت رجله تحت المقعد. وحاول الوثب برجله الطليقة ليتمكّن من مجاراة السيارة.

واخيراً انعتقت قدمه العالقة وسقط من السيارة فاصطدم رأسه بالارض. وتابعت السيارة سيرها فاخترقت شرفة أحد الجيران.

## طائرة بلا طيار

حين أقلعت الطائرة الخاصة من مهبط صغير بالقرب من ميناء ساكيتس في نيويورك كان هناك خطأ واحد، وهو أن ربان الطائرة لم يكن فيها.

كان دوغلاس يونغز عوّم محرك الطائرة بالوقود حين حاول تشغيله. فأقفل المغنيط (الذي يحدث الشرر) وفتح المخنق وأدار المراوح للسير الى الوراء بهدف انقاص فائض الوقود. وحين عاد ليدير المغنيط نسي أن يقفل المخنق أولاً، فدار المحرك وانطلقت الطائرة مترنحة على المدرج الى حقل ذرة مجاور، جارّة يونغز مسافة ١٥٠ متراً وهو يحاول الصعود اليها لايقافها.

وحين أخفق أخذ يراقب الطائرة ترتفع في خط لولبيّ وتختفي. وعثر عليها لاحقاً عالقة بين أغصان شجرة حور بالقرب من بحيرة ستار على بعد ١٠٠ كيلومتر.

## فيلة مرحة

دخل عدد من الفيلة الجائعة بلدة في مقاطعة آسام في الهند حيث عثرت على براميل من الشراب المسكر. فشربت كل ما فيها، وغلبها النوم فنامت.

وغادرت الفيلة في الصباح. ولا شك في أنها كانت تشكو من صداع في رؤوسها وغثيان. ومع ذلك عادت في المساء تبحث عن مزيد من الشراب.

طوم دودس ■



## دليل ذاتي!

يعمل زوجي سائقاً حراً لشاحنة جديدة تلفت الانتباه. مرة قصد مخزناً للتجهيزات، مستهدياً بالتعليمات الآتية: "خذ المخرج الرقم ٤٠، در الى اليمين، ثم ادخل المفترق الثاني الى اليسار." نفذ التعليمات فوجد نفسه في الطريق العامة. فلفّ ودار وأعاد الكرة، فحصل له الامر نفسه.

استنجد بالمخزن فأعطي تعليمات جديدة استرشد بها مرتين، لكنه في كل مرة كان يجد نفسه في الطريق العامة من جديد.

شعر بالاحباط. ثم تذكر أنه شاهد سيارة شرطة متوقفة الى جانب الطريق العامة، فذهب الى هناك للمرة الخامسة، وتوقف ومشى نحو الشرطي وسأله كيف يتجه الى المكان المقصود.

فرد هذا بلا تردد: "عليك بالصبر قليلا. لقد مرت شاحناتكم من هنا طوال هذا الصباح. وكل ما عليك أن تفعله هو أن تنتظر الشاحنة التالية وتتبعها فتصل الى حيث تريد."

ب.ك.

# كنوز بلوريّة في جبال الالب

**منقبو العصر الحديث يحملون بمطارق وأزاميل ويبدأون رحلتهم في جبال الالب بحثاً عن كنوز بلورية**

متسلق الجبال بول ممبريني يتمايل ذات اليسار وذات اليمين وهو مدلّى بحبل من الواجهة الصخرية شبه العمودية لقمة أوري مريستنستوك وبكل صلابة وعزم راح يصعد على الصخر فهو يتسلق في المنطقة منذ عشرة أيام، متمعنا النظر في الجدار الصخري لكن جهوده لم تثمر. ثم

متسلق الجبال المنقب بول ممبريني.

بعدما ارتقى حَيْداً ناتئاً من الجبل اكتشف شرخاً في الصخر. وإذ وسّع الثغرة بهرته صخور الكوارتز المتلألئة والمفتولة على نحو جميل. يقول: "يا للشعور المجيد بأن تكون أول من يلمس بلّورة بقيت في العتمة منذ عشرة ملايين سنة!"

يزداد عدد الباحثين عن كنوز كهذه في مناطق جبال الالب النائية خلال عطل نهاية الاسبوع. ومنهم الآن ٣٠٠٠ عضو في "جمعية المنقّبين السويسريين الهواة" التي تأسست قبل ٤٢ عاماً. وتنتشر عبر سويسرا مخازن تجارية متخصصة ببيع البلور وشرائه. وتتداول الايدي ألوف الحجار، من بلورات الصخر الرخيصة الثمن الى حلى الجَمَشْت (١) وهو حجر كريم يساوي ألوف الدولارات. وفي العام ١٩٨٦ جذب المعرض الدولي للمعادن في زوريخ، الذي شاركت فيه ٢٦٠ مؤسسة وفرداً، اكثر من ٦٠٠٠ زائر.

التنقيب عن البلور حرفة قديمة تتطلب براعة. فصيادو العصر الحجري في المنطقة المعروفة اليوم بكانتونَيْ فاليه وبرن استخدموا اقواساً ذات رؤوس بلورية. وقد وصلتنا من العصور القديمة كؤوس جميلة وزهريات ومجوهرات من الصخر البلوري الذي كان يُظن أنه جليد غير قابل للذوبان! وكان القدماء يتقلّدون هذا الجماد المتألق كحرز قيل إنه يقي من العين الشريرة ووجع الاسنان والدوار. فاذا سُحن ومُزج بالعسل أوصي به للامهات المرضعات والمصابين بداء الصرع. وقيل عن الجمشت إنه يُفيق من السكر. وكما تزعم قارئات البخت، تساعد كرات البلور على التكهن بالمستقبل. ويقول طوني إيمهوف ابن بلدة ريد في كانتون فاليه: "ما زلت أتلقى طلبات للحصول على كرات بلورية." غير أن كرة يبلغ قطرها عشرة سنتيمترات، من صخر بلوري خال من الصدوع، تكلف اليوم أكثر من عشرة آلاف فرنك سويسري (٧٠٠٠ دولار).

**بلورات جميلة.** ظل الصخر البلوري من القرن السادس عشر الى القرن الثامن عشر مطلوباً بكثرة من الحرفيين الذين كانوا يصنعون منه الكؤوس والزهريات والشماعدين، وحتى أزرار القمصان. وعندما اكتملت التقنيات التي تنتج بلوراً اصطناعياً، ووصل الى اوروبا بلور رخيص من البرازيل، فقدت صخور الكوارتز في جبال الالب أهميتها كمادة أولية. ولكن في العام ١٨٦٨ اندلعت "حمىّ البلور" من جديد في وادي هاسلي حيث اكتشف أربعة منقبين من قرية غوتانن في كانتون برن مغارة من الكوارتز الادخن في مَجْلدة تيفن. ولا تزال أكبر بلورة وُجدت هناك، وارتفاعها ٦٩ سنتيمتراً ووزنها ١٣٣ كيلوغراماً، معروضة في متحف التاريخ الطبيعي في بودابست عاصمة هنغاريا (المجر).

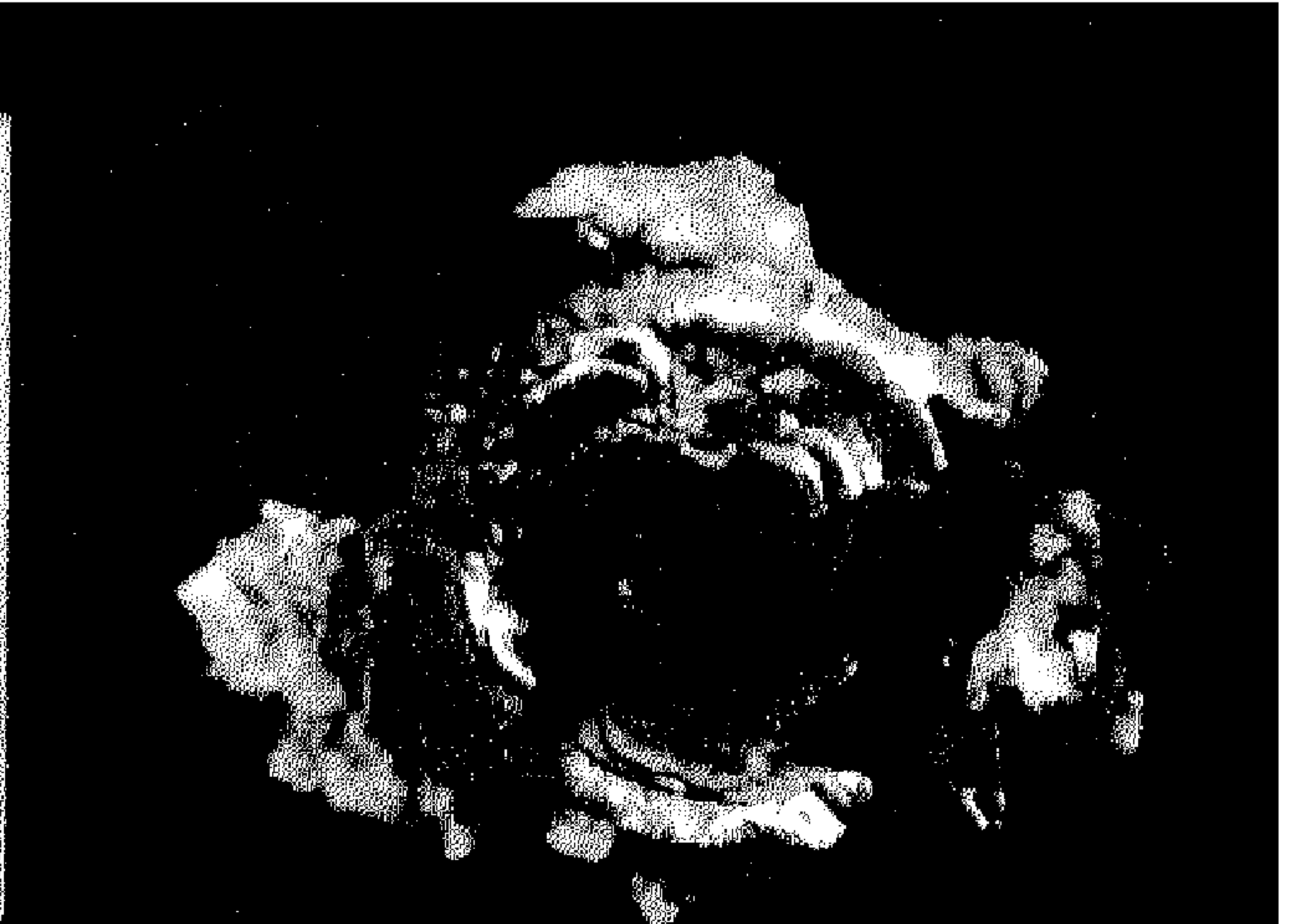
تكوّنت الكتل البلورية السويسرية قبل ما يراوح بين ١٠ ملايين و ١٥ مليون سنة، عندما ضغطت قوى هائلة من جوف الارض قشرتها فثنتها مشكّلة جبال الالب. والمياه الساخنة التي حُبست في نخاريب الصخور امتصّت عناصر معدنية تبلّرت لاحقاً بأشكال هندسية.

المعدن الاكثر شيوعاً في الالب هو

---

(١) Amethyst





الكوارتز الذي يظهر كصخر بلوري شفاف. وعندما يتلون الكوارتز بإشعاع صادر عن الصخور المجاورة يتحول جَمَشتاً بنفسجي الظلال. وأقل شهرة هو حجر القمر الجميل، البلورة البيضاء التي تعطي بريقاً فضياً، والامْيَنْت او الاسبستوس المنسوج من إبرَ بيض حريرية، والميكا الصفراء أو بيريت الحديد (٢).

ولقد وجد عامل منجم، في نفق لمحطة ماجيا للطاقة الكهربائية في منطقة تيشينو، مكعبات متألقة بلون الذهب ووضعها في جيبه. وفي ما بعد تعرف اختصاصي الى مكعب كامل من البيريت كان بينها. ولأنه نادر جداً اشتراه فوراً، وهو اليوم معروض في "متحف التاريخ الطبيعي" في برن.

**قصر البلور.** تخبىء جبال الالب كنوزاً لا توجد في مكان آخر: أوكسيد الحديد المتشكل مثل الورود، وفلورسبار و"غويندل" تترجّح ألوانهما بين الزهري الباهت والفريزي (الفراولي) الضارب الى السواد، وبلورات كوارتز جميلة التلولب. وفي العام ١٩٧٤ اكتشف عمال يحفرون نفقاً لمحطة أوبرهاسلي للكهرباء في منطقة غريمسل (مرتفعات برن) مغارة مليئة بمئات البلورات المذهلة والفلورسبار الوردي. فوضعت حكومة كانتون برن المغارة تحت الحماية الرسمية. وموّلت الدولة، بالاشتراك مع واهبين كرماء، بناء نفق جديد مواز يتيح للزائرين الوصول الى نافذتين منفتحتين على "قصر بلوري" يبهر الانفاس.

كان صيد البلور في الايام الخوالي يؤمّن لقاطني الجبال مصدراً جيداً للدخل، أما اليوم فضربات الحظ السعيد نادرة جداً. ومع ذلك فلا بد من أن يكون المنقبون من أرومة عنيدة. بول ممبريني، مثلاً، أمضى مرة ثمانية أسابيع في منطقة تشينجلستوك فوق ديزانتي ينقب جدران الغرانيت على ارتفاع ٢٧٠٠ متر. وفي الليل كان يرقد في خيمة صغيرة نصبها فوق دثار من الثلج. واضطر الى مغادرة المكان قبل أن يجد شيئاً ذا شأن. وهو يقول: "لكن المرء سرعان ما ينسى الخيبات. فالامل في العثور على عرق صخري واعِد أقوى كثيراً من الاستسلام."

من متطلبات النجاح المعرفة والعين الحادة والعزم الاكيد. والى ذلك، يضيف ارنست روفيباخ الذي ظل صياد بلور طوال ٣٠ سنة في أوقات فراغه، "أن الحظ يؤدي دوره ايضاً. فلقد اجتزتُ احدى البقع عشرين مرة على الاقل، ثم شاهدت فجأة شيئاً يتوهج تحت الشمس، ورأيتَني أقبض بيدي على حجر كريم من أوكسيد الحديد الوردي الجميل!"

في أحد أيام أغسطس (آب) ١٩٨٦ بدأ روفيباخ رحلة من بلدة غوتانن في الخامسة صباحاً، ومعه مطرقة وإزميل وقضيب معدني مستدق الطرف. وبعدما غادر النطاق الشجري تسلق منطقة جبلية شديدة الانحدار. وكانت عيناه تتفحّصان الصخور بدقة وتبحثان في المناطق التي تلتقي فيها عدة طبقات صخرية. وعندما

(٢) Adularia, amianthus, and yellow mica

(من أعلى اليمين) كوارتز "غويندل"، حجر وردي من أوكسيد الحديد، مكعب من البيريت، كوارتز أدخن، بلورات من مجلدة نهر الرون.

Photos (From top left): Ernst Rufibach; Ernst Rufibach; Fernand Rausser; Ernst Rufibach; Natural History Museum Berne




مغارة جرستنغ البلورية في منطقة غريمسل.

رأى الماء والرمل يرشحان من أحد الشقوق وسّعه بازميله ومخله المعدني. وإذ بمنظومة مدهشة من الصخور البلورية تتدلى من سقف الغار. وبعدما أخذها الى بيته ونظفها بالماء والصابون والحمض تجلت تشكيلة كاملة من البلور الباهر الجمال. وتمكن رؤيتها في متحفه البلوري في غوتانن.

**خطر الموت.** تزعم الاسطورة أن الاقزام والحوريات والضفادع تحرس قصور البلور بيقظة شديدة، وأن الإحسان الى هذه الكائنات يُكافأ والإساءة اليها تُعاقَب. وأحياناً يكون صيد الكنوز خطِراً. ففي العام ١٩٦٨ وجد كاسبار فاهنر من بلدة هاسليبرغ، قطعة كوارتز دخناء في منطقة غالنستوك في كانتون أوري. فجأة بدأت الصخور الصغيرة "ترجمه". وتجنب بأعجوبة انجرافاً صخرياً هدر صوبه كالتيهور (٣). والحادث الاكثر مأسوية وقع في العام ١٩٧١ عندما كان منقّبان ينقلان صخراً بلورياً أدخن بزن ٣٠٠ كيلوغرام من منطقة زينجنستوك على ارتفاع ٨٠٠ متر فوق بحيرة غيمسل. فقد أفلتت كتلة صخرية فجأة فقضى أحد المنقبين وابناه التوأمان ومساعدان.

واليوم، على رغم المخاطر، لا يزال منقبون كثيرون يعالجون جوانب الجبل. أمسكْ بيدك صخراً بارداً وانقر سطحه الاملس. تأمّلْ تلاعب الضوء واللون في بلورة تتلألأ في ضوء الشمس. اذذاك تؤخذ بهذا السحر فتفهم حماسة عدد لا يُحصى من المنقبين الذين يرودون جبال الالب بحثاً عن كنز دفين.

بربارة فوناربورغ ■

(٣) التيهور هو ما انهار من رمل أو حجار.



## في اليسر يُعرف الصديق

يقولون إن المرء لا يعرف مَن هم اصدقاؤه الا في وقت الشدة. لكني أقول إنه يعرفهم في أيام اليسر. فاذا كان رجل صديقك حقا فلسوف يُسرُّ بلا تحفظ بما أنت فيه من نعمة. أما اذا كان زائفاً فكل خطوة لك في طريق النجاح سوف يعتبرها خزياً له بل حتى إهانة، وستدخل دودة الحسد قلبه وتعمل فيه نخراً.

ألبرتو مورافيا، روائي ايطالي

## بين "لا" و"نعم"

رغبة المرء في ان يكون حسن السمعة تجعله كارها قول "لا" لكل واحد يطلب شيئاً ما. علينا ان ننمي القدرة على قول "لا" للنشاطات التي لا نملك لا الوقت ولا الموهبة للقيام بها، ولا نرى فائدة منها او لا تعنينا حقاً. فاذا تعلمنا قول "لا" لامور كثيرة سنتمكن حينئذ من قول "نعم" للامور التي تهمنا بالاكثر.

كاتب مجهول

## التطوُّر سُنة الحياة

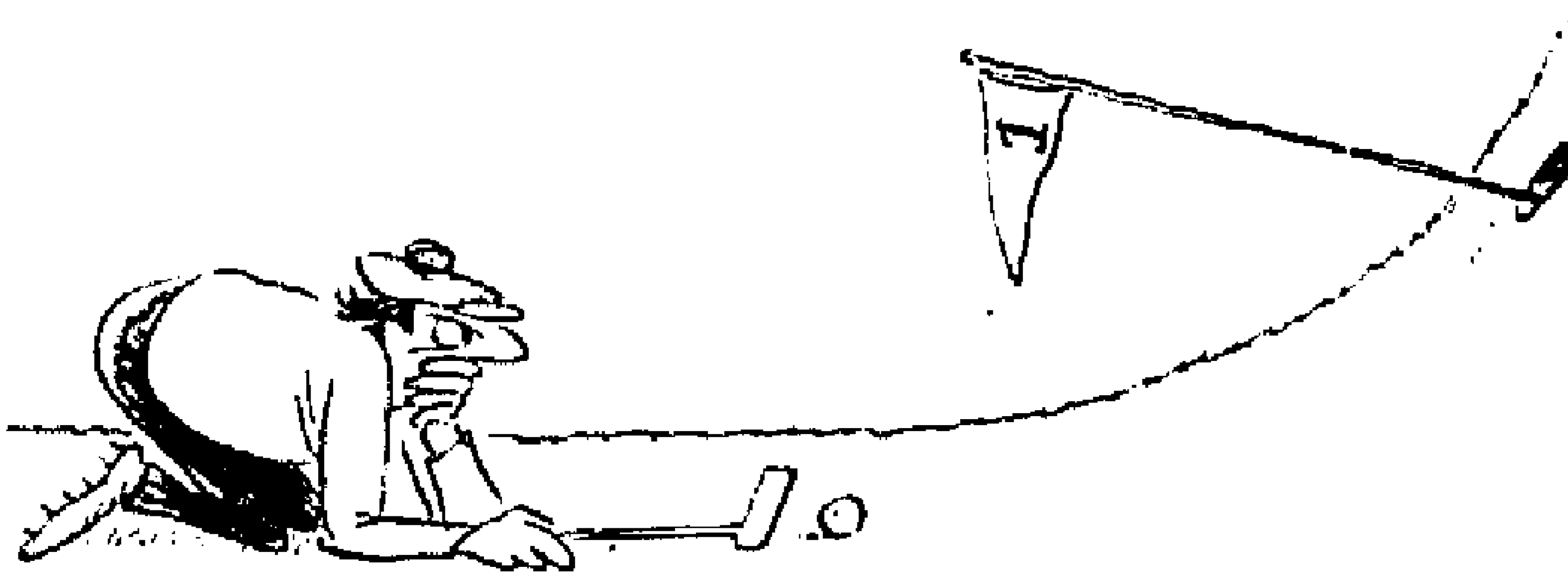
ليس عديم الكفاية من يدمِّر مؤسسة. فعديم الكفاية لا يصل أبداً الى مركز في مؤسسة يسمح له بتدميرها. ان من يعوقون تطور المؤسسة هم أولئك الذين حققوا بعض الانجازات فيها ويريدون أن يناموا على أمجادهم. فلكي تحافظ على نقاء صناعة، عليك أن تبقيها في اختمار دائم.

هنري فورد، صناعي أمريكي

## العالم الداخلي

شكسبير وليوناردو دا فنشي وبنجامين فرنكلين وابراهام لينكولن ما شاهدوا قط فيلما ولا سمعوا راديو ولا شاهدوا تلفازاً. كان عندهم "عالمهم الداخلي" وعرفوا كيف تعاملوا مع وحدتهم. ولم يخشوا قط ان يكونوا وحيدين لانهم عرفوا ان طبعهم الخلاق لا يبدع الاّ في سكون العزلة.

كارل ساندبرغ
(شاعر امريكي ١٨٧٨ - ١٩٦٧)



# كارثة جوية:
## ماذا يحصل حين تتحطم طائرة؟



في الساعة ٨:٣٤ من بعد ظهر يوم الاحد ١٦ أغسطس (آب) ١٩٨٧ أعطيت الاشارة في مطار مترو في ديترويت بولاية ميشيغان للانطلاق في الرحلة ٢٥٥ لشركة "نورثوست" الى فينكس بولاية أريزونا، فدرج القبطان جون موس (٥٧ عاما) ومساعده ديفيد دودز (٣٥ عاماً) بطائرتهما، وهي من طراز "ماكدونيل دوغلاس م د - ٨٠" الى المدرج الرقم ٠٣ وفي الساعة ٨:٤٢ كان دودز يعلن: "سيداتي، سادتي، ها نحن على أهبة الانطلاق في رحلتنا. سنقلع خلال بضع دقائق."

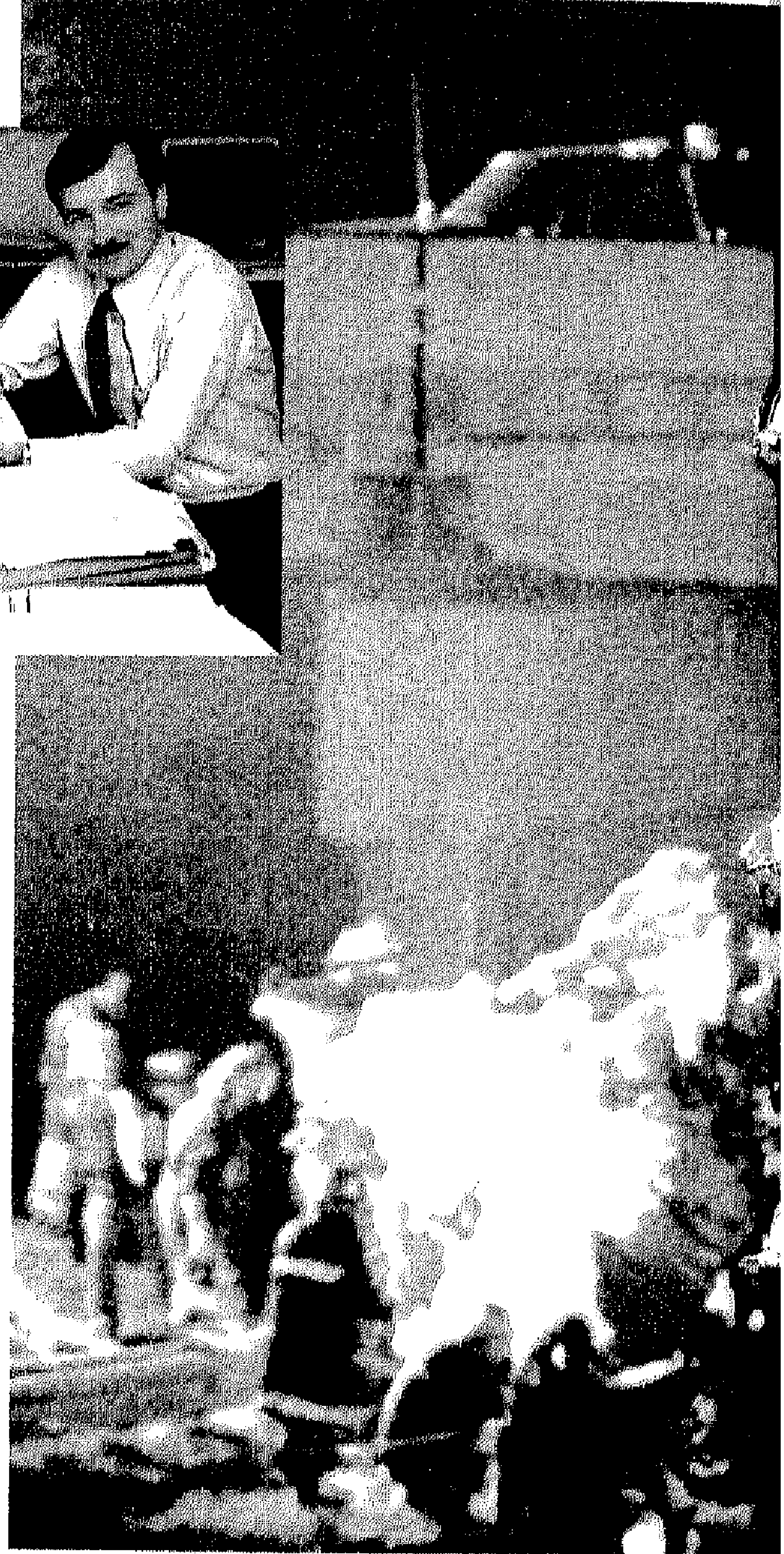
في أقل من ثانية بعد الاقلاع ظهرت أولى اشارات الخطر في الطائرة. اهتز عمود القيادة. وكان في الطائرة ١٤٩ راكباً وستة ملاحين. فارتفعت ببطء ومالت يميناً ثم انعطفت بحدة الى اليسار. وفيما حاول موس ضبط الطائرة المتمردة سُمع في قمرة القيادة صوت نسائي صادر عن دماغ الكتروني يقول: "توقف... توقف... توقف...".

بعد ١٤ ثانية من الاقلاع، حين كان يجب أن تكون الطائرة على علو ١٨٠ متراً، اصطدمت بعمود كهرباء في موقف لتأجير السيارات. فتمزق من جناحها الأيسر خمسة أمتار ونصف متر، وتسرّب

رحلة "نورثوست ٢٥٥" هي ثانية أسوأ الكوارث الجوية في تاريخ الولايات المتحدة. وهنا تفاصيل التحقيق الذي جرى لكشف مسبباتها



جاك درايك رئيس فريق التحقيق في المجلس الوطني لسلامة النقل، يتفحص الادلة.



الوقود من محرّكها الأيسر واندلعت فيه النار. واصطدمت الطائرة بعمود ثان وانحرفت ٣٥ درجة الى اليسار، فكشطت سقف بناء وهوت على جسر. فانفصل ستة أمتار من مقدمها وانزلق في الطريق ناثراً أجزاء معدنية وأجساداً بشرية.

**يد تحت الحطام.** كان كورت دوبسون (٢٨ سنة) يحب الذهاب الى مسقط رأسه ديربورن في ميشيغن حيث كان لا يزال يعد بطلا بعد انقضاء عشر سنين على تسميته أغلى لاعب في فريق كرة القدم بمدرسته الثانوية. وفي جامعة ميشيغن المركزية ذُكر على لائحة الشرف الوطنية كلاعب في خط الدفاع. وبعد تخرّجه عام

١٩٨١ ونيله شهادة في التجارة تعاقد مع فريق "أريزونا رانفلرز". لكن كسراً في يده أنهى نشاطه الرياضي.

مكث دوبسون في أريزونا يعمل مع عم له في تجميل الاراضي. وفي يوليو (تموز) ١٩٨٧ خطب تشيريل كولاكوفسكي واتفقا على أن يكون لهما ولدان.

في عطلة نهاية الاسبوع في ١٦ أغسطس (آب) طار دوبسون الى ديترويت ليكون شاهداً لقران رفيقه في الكلية. وخلال العشاء التقليدي الذي يسبق العرس قال لرفيقه: "جو، أرجو عند بلوغك الخمسين من عمرك أن تتذكر هذه الاوقات الحلوة التي قضيناها معاً."

وفي الغد اصطحبه والداه الى المطار وعادا لمشاهدة ابنهما الاصغر يلعب في مباراة بايسبول. وفيما كان الوالدان يغادران المكان لوّح كورت بيده مودعاً، فقالت أمه: "أليس ابننا وسيماً حقاً؟"

قبل الفاجعة بدقائق شاهد أحد مراقبي حركة الطيران الطائرة "نورثوست ٢٥٥" تترنّح كعصفور جريح، فأطلق صفارة الانذار في محطة الاطفاء في المطار. وما هي الا دقائق حتى كان المنقذون يفتشون حطام الطائرة المحترقة بين لعب الاولاد وحقائب الثياب المتناثرة والاجسام الممزقة.

سمع الاطفائي دان كيش أنيناً. فمضى هو ورفيقاه جون تيدي وروي برندامور يبحثون وسط الحطام. فرأى جون ذراعاً تتحرك تحت أحد المقاعد. ويقول برندامور: "كانت هناك طفلة."

مزّق الطبيب الفستان الابيض ليتبين





علامات الحياة. وبعد ١٥ دقيقة من سقوط الطائرة كانت الطفلة الشقراء ذات الاربع السنوات، بضفيرتها المعقودة وأظفارها المطلية باللون الارجواني، في طريقها الى المستشفى. كانت سيسيليا سيشان الناجية الوحيدة من الطائرة، وكانت جثث والدها ووالدتها وأخيها الى جانبها.

فيما كان جاك درايك عائداً الى بيته مع زوجته وأولاده الثلاثة، بعد قضاء يوم الاحد في منزل والديه بالقرب من بلتيمور، انطلقت صفارة جهاز الاتصال الالكتروني الذي يحمله. فتوقف في أحد المحلات واتصل بمكتبه. فأفيد أن طائرة مقلعة من ديترويت قد هوت، وأن عدد الضحايا كبير.

**تبادل المعلومات.** ظهر الاثنين وصل أكثر من ١٠٠ محقق من شركات "نورثوست" و"ماكدونيل دوغلاس" و"برات أند ويتني" (صانعة المحركات) و"جمعية طياري الخطوط الجوية" وسواها من الافرقاء المعنيين. فنظمهم درايك في عشر مجموعات يقودها أعضاء فريقه.

رسمت مجموعة التركيب خريطة الحطام ومساره البالغ ١٠٤٤ متراً. وللتحقق من امكان حصول تحطم خلال الطيران أدى الى الكارثة، مشّط متطوعو دورية الطيران المدني المدرج البالغ طوله ٣٥٩٠ متراً والطريق الى العمود الكهربائي الاول، بهدف العثور على قطع ربما سقطت من الطائرة أثناء اقلاعها. فلم يجدوا شيئاً.

ثم بدأت مجموعات فحص الحطام ودراسة السجلات واجراء مقابلات مع شهود عيان ومع مراقبي الطيران وأصدقاء الملّاحين وعائلاتهم. وراحت تجتمع ليلياً لتبادل المعلومات.

وفيما عمل مجلس السلامة على ضمّ التفاصيل التقنية للاحجية كان عدد من الاختصاصيين بعلم الامراض والمحققين والخبراء القضائيين يعملون ١٦ ساعة يومياً في مشرحة موقتة. كان عليهم التعرف الى الجثث من خلال الاسنان والمجوهرات وحتى الاحذية. وانتظر بعض الاقارب ستة أيام، وأخيراً غادرت سيارات نقل الموتى السوداء أرض المطار في رحلتها النهائية.

في اليوم التالي عثر فريق العمل على دليل مهم في الدواسات بقمرة القيادة: وضع مقبض الجنيحات المتحركة



الناجية الوحيدة سيسيليا سيشان (٤ سنوات) في سريرها في المستشفى. (أعلى اليمين) الضحية كورت دوبسون، نجم كرة القدم سابقاً. (أسفل اليمين) ماري سكوت وحفيدها سام.

ودرايك (٤٣ سنة) مفتش في "المجلس الوطني لسلامة النقل" ينقب وسط حطام الطائرات لمعرفة سبب حصول الحوادث. ففي اثر كل حادث رئيسي ينطلق "فريق عمل" من مجلس السلامة يضم اختصاصيين بمجالات تراوح بين المحركات والاحوال الجوية وعلم النفس. كان درايك طياراً في سلاح البحرية، واستهواه التحقيق في الحوادث على أثر مقتل صديق عزيز له خلال طيران تدريبي. وبات درايك يعمل قائد فريق.

طار درايك وتسعة من أفراد فريقه من مطار واشنطن الى ديترويت، فوصلوا في الثانية صباحاً. وبعد تلقي شرح موجز للحادث توجه درايك مباشرة الى مكان وقوعه.



Photo of Cecelia Cichan: Sygma

والاضلاع. عند اقلاع الطائرة تُبسط الجنيحات والاضلاع في الأطراف الخلفية والأمامية للجناحين لتحسين ارتفاع الطائرة وتسييرها. وبسطها عند الاقلاع شأن روتيني مماثل لضبط المرآة الخلفية للسيارة حين الرجوع الى الوراء. لكن مقبض جنيحات الطائرة واضلاعها وُجد في وضع الضمّ، وعدم بسطها يبطىء الارتفاع الى حد خطير.

وسيظهر الفحص لاحقاً ما اذا كان المقبض مضموماً حين الاقلاع أم ان الصدمة سببت ضمه. وقد شهد طيار في "نورثوست" أنه رأى الجنيحات والاضلاع مبسوطة حين الاقلاع. لكن المسجل الالكتروني لمعلومات الطيران(★) الذي يحفظ معلومات عن سير الطائرة لمدة ٢٥ ساعة، أظهر العكس. ومسجلة الاصوات في القمرة، أي "الصندوق الاسود" الذي يسجل محادثات الملاحين، لم تحتوِ على قراءة اللائحة الاساسية التي يتلوها الطيار ومساعده ويدققان بموجبها في الترتيبات الضرورية قبل الاقلاع.

فلماذا لم يطلب قائد الطائرة موس قراءة اللائحة حسبما يقتضي النظام؟ وحين أهملها موس، لماذا لم يبادر دودز الى قراءتها بنفسه حسبما هو مطلوب منه أن يفعل؟

وسُمع نداء واحد من الانذارين: "توقف!" ولم يسمع تحذير بشأن الجنيحات والاضلاع. وتنبعث الأصوات بواسطة جهاز مصمم لانذار الملاحين الى المشاكل. فهل كان جهاز الانذار السمعيّ معطلا؟ كان في وسع الانذار اعطاء الملاحين الوقت الكافي لبسط الجنيحات والاضلاع أو لاجهاض الاقلاع في حال تعذر ذلك.

بعد خمسة أيام أنهي التحقيق في موقع الكارثة. وأرسلت أجزاء محطمة ذات أدلة حاسمة الى المختبرات. ثم أمر درايك بتنظيف المكان. وفي اليوم التالي أقفلت المشرحة الموقتة. وبقيت أشياء لم يطلبها أحد، كنظارات مكسورة وصور متفحمة وعدسات لاصقة وساعات يد محروقة.

وبعد ثمانية أيام من قدومه رجع درايك الى واشنطن في طائرة لشركة "نورثوست". كان فحص الحطام انتهى، وبدأ التحقيق.

**أسئلة بلا أجوبة.** كانت ماري سكوت (٥٣ سنة) بحسب افادة احدى صديقاتها، "جارة قديمة العادات لا شغل يمنعها من الزيارات." كانت تدعو الغرباء الى مشاركتها في الاحتفال بالاعياد. وكانت في معظم هذه المناسبات تنسى الحلوى في الفرن وتتركها تحترق. كانت تحب الخياطة. وهي خاطت حراماً لكل مولود في الجوار.

كانت متزوجة فلويد سكوت ولها ثلاثة أولاد. لكن محور اهتمامها كان حفيدها سام (٨ سنوات). وتقول والدته كيم وهي ابنتها الكبرى: "والداي يعطيان سام أكثر كثيراً مما أقدر عليه أنا."

في يوليو (تموز) اصطحبت ماري حفيدها في عطلة الى ميشيغن دامت ثلاثة أسابيع سعيدة، لعب فيها سام مع أولاد عمه على طوف أصفر في بحيرة غول.

(★) Digital Flight Data Recorder

وفي ١٦ أغسطس (آب) أخذ عم فلويد ماري وسام الى المطار. وقد قالت ماري مودعة: "لا تقلق. نحن في مؤخر الطائرة. سنكون على خير ما يرام".

في واشنطن بدأ اختصاصيون كبار في مجلس سلامة النقل دراسة الطائرة التي بلغ عمرها ٥ سنوات. وانتفى عامل الطقس كمسبب للكارثة. وكان أفيد عن عواصف رعدية على بعد ٣٠ كيلومتراً شمالا، ولكن سقطت رشة من المطر ما لبثت ان انقطعت قبل اقلاع الطائرة. وهكذا كان شأن التحذيرات عن تغيّر خطير في سرعة الريح واتجاهها. وسافر المحققون الى شركة "ماكدونل دوغلاس" في لونغ بيتش بكاليفورنيا حيث فككوا قاعدة قمرة القيادة وعثروا على علامات تدل على أن مقبض الجنيحات والاضلاع لم يتحرك من وضع الضم بفعل الصدمة.

فلماذا لم يتم بسط الجنيحات والاضلاع؟ بحسب التسجيل الالكتروني للمعلومات كان موس ودودز بسطاها ست مرات في ذلك النهار خلال رحلات سابقة.

لدى اجراء اختبار عمل جهاز الانذار السمعيّ من دون أي خلل. ويتذكر ربان "نورثوست" روبرت بريت الذي ركب الطائرة في رحلتها من ديترويت الى ساغينو ساعتين قبل الكارثة، أنه سمع الانذار في شأن الجنيحات أثناء لفة عنيفة. كانت تلك هي التجربة الاولى لبريت في قمرة القيادة، ويتذكر أنه فكر: إن الطائرة تكلمك! فلماذا اذاً لم "يتكلم" الجهاز في رحلتها الاخيرة المشؤومة؟

واستكشف مجلس السلامة ما اذا كان قاطع الدائرة الكهربائية، الذي يحفظ جهاز الانذار السمعيّ، معطلا أو مفصولا أو محملا فوق طاقته. فهل نزع موس ودودز قاطع الدائرة لتجنب إزعاج الانذارات؟ ذلك لم يكن من صفاتهما، لانهما لم ينزعاه في الاقلاعات سابقاً.

بحسب احصاءات مجلس السلامة كان خطأ الربان سبباً رئيسياً أو عاملا في ٤٧ في المئة من حوادث الطائرات التجارية بين ١٩٨٠ و١٩٨٥. ولكون كثيرين من محققي مجلس السلامة ربابنة سابقين فانهم لا يستسيغون عبارة "خطأ الربّان". يقول درايك: "إنها تعني أن هناك تفسيراً سهلا يعزى اليه سبب الكارثة. ولكن هناك عادة أمر أهم يجدر أخذه في الاعتبار."

ويضيف ستيفن موتس وهو ربان سابق حائز شهادة في علم النفس ورئيس "فريق الانجاز البشري" الذي تعمّق في دراسة حياة جون موس وديفيد دودز: "نقول ان إنساناً ارتكب خطأ. دعونا نكتشف لماذا."

لم يعثر لدى تشريح الجثتين على أي أثر للمخدرات، أو الكحول. والنقطة السوداء الوحيدة في سجل دودز خلال ثماني سنوات كانت تغريمه للطيران فوق ملعب كرة قدم من دون ترخيص أثناء مباراة. وكان سجل موس خلال ٣١ سنة نظيفاً. ومع أنه شعر بالخيبة لدى خفض راتبه بعد اندماج شركتي الطيران "نورثوست" و"ريببلك" عام ١٩٨٦، إنما ذلك لم يكن دليلا وافياً لينسب اليه أي هبوط في قوة التركيز.

"سبب محتمل." بعد أقل من أسبوع على الكارثة رفعت دعاوى ضد "نورثوست" و"ماكدونيل دوغلاس" و"برات أند ويتني." وبلغت التعويضات ملايين الدولارات. ووافق معظم المحققين على أن الجنيحات والاضلاع كانت مضمومة، ولم يكن هناك جواب على السؤال: لماذا؟

واخيراً، في اجتماع عام في مايو (أيار) ١٩٨٨، أعلن المجلس رسمياً السبب "المحتمل" (وهذا التعبير يتسم بالحذر دائماً) الذي يعزى الى سلسلة اخطاء الملاحين بما فيها اهمال قراءة قائمة الضبط وبسط الجنيحات والأضلاع. كذلك عامل انقطاع التيار الكهربائي، الذي لم يوجد له تفسير، عن جهاز انذار الطائرة عند الاقلاع. أما قول المجلس بسبب "محتمل" في تحديد المسؤولية فلا يؤخذ في الاعتبار بموجب القانون. وقد عينت مواعيد المحاكمات بين يونيو (حزيران) وأغسطس (آب) ١٩٨٩.

على رغم اكتمال التحقيق فان الحزن لا يزال مسيطراً.

بلغ والدة كورت دوبسون نبأ الكارثة حين أدارت جهاز التلفزة حال رجوعها الى المنزل من مباراة البايسبول. فقالت: "أول ما خطر لي كان أن أبتهل كي لا تكون الطائرة هي ذاتها التي هو فيها. ثم قلت في نفسي: لا، ليس في امكاني أن أتمنى ذلك لاي شخص آخر." وقد عثر المنقذون على خاتم جامعة ميشيغن المركزية التي درس فيها دوبسون. ويضعه والده في اصبعه حاليا.

وبعد الكارثة انفصمت حياة فلويد سكوت لبعض الوقت، فانقطع عن العمل ومكث في البيت برفقة كلب سام. ووهب مدرسة سام أربعة آلاف دولار ثمناً لكتب ولشجرة خرّوب. يقول سكوت: "إنها شجرة حسنة للتسلق، كتلك القائمة أمام منزلنا والتي غالباً ما كانت ممتلئة بسام وأصدقائه."

أما الطفلة سيسيليا سيشان، التي أصيبت بكسر في رجلها وترقوتها وبجروح في رأسها وكسر في جمجمتها وحروق من الدرجة الثالثة غطت ٣٥ في المئة من جسمها، فقد لازمت المستشفى لمدة ٥٤ يوماً. وجمعت لها تبرعات بلغت ١٥٠ الف دولار مع تمنيات بالشفاء. وأرسلت اليها ٣٢ الف بطاقة ورسالة و٢٠٠٠ هدية ذهب معظمها الى مستشفيات الاطفال، وبينها لعب وحلى. ومنها أيضاً ٣٥ زجاجة طلاء أرجواني للأظفار، وهو الذي طلت به جدتها أظفارها والذي أدى الى كشف جدّها هويتها بعد الكارثة بيوم واحد.

وفي ٩ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٧ ركبت سيسيليا طائرة، في رحلة هذه المرة الى منزلها الجديد بالقرب من برمنغهام بولاية ألاباما حيث تسكن مع عمتها وعمها.

اما السؤال الأحجية الذي يتردد بالحاح فهو: كيف نجت سيسيليا من الموت؟ يقول درايك: "كانت الطائرة محطمة الى حد جعل البقاء قيد الحياة مستحيلا. لا أحد يعرف كيف نجت سيسيليا. أنا لا أدري كيف تتم العجائب."

**جورج هاو كولت**

**وجين بريفز - بانتنغ** ■



# الإسكافي الشاطر

## ينبع رضاه الاعمق من فخره بانجاز عمل جيد

هو اسكافي قديم يملك حانوتاً في ماريه وهي منطقة تاريخية في باريس. لمّا أتيته بحذائي قال لي أولا: "ليس لديّ وقت. خذه إلى الاسكافي في الشارع المجاور فيصلحه بسرعة."

لكنني كنتُ تنبّهت الى محله قبل مدة واستنتجت أنه حرفي ماهر بمجرد أن نظرت الى أدواته وقطع الجلد على مقعده. فأجبت: "لا، الاسكافي الآخر سيرقعه حتماً فيفسده."

والاسكافي الآخر من الحانوتيين الذين يصلحون أعقاب الأحذية ويصبّون المفاتيح بسرعة خاطفة فيما أنت تنتظر، من دون أن يلمّوا كفاية باصلاح الاحذية أو صبّ المفاتيح.

أدرك هذا الاسكافي أنني لن أستسلم، فابتسم ومسح يدَيْه بوزرته الزرقاء. تفحّص حذائي وطلب مني أن أكتب اسمي بالطبشورة على النعل، وأخيراً قال: "إرجع بعد أسبوع."

وفيما كنتُ أهمُّ بالرحيل تناول عن الرف جزمة رائعة من الجلد الطري وقال لي بفخر: "أرأيت ما في وسعي فعله؟ لا يقدر على عمل من هذا النوع إلا ثلاثة من زملائي." وأضاف بفخر: "انني أعمل للحرس الجمهوري."

لمّا عدتُ الى الشارع بدا لي العالم جديداً. فكأن هذا الاسكافي يبرز من احدى أساطير القرون الوسطى. هذا الحرفي القديم يتكلّم بلهجة أليفة لا يُحدّ مصدرها ويعتمر قبعة غريبة مغبّرة. ومع ذلك يفخر بممارسة مهنته.

في هذه الايام تكمنُ أهمية الأحداث في خاتماتها، ويعمل المرء بحسب أي طريقة ما دامِ عمله يكسبه ربحاً، ويعتبر الناس العملَ سبيلا الى مردود مادي وليس وسيلة يبرهنون من خلالها مقدراتهم الفعلية. في زمن كهذا يندر العثور على اسكافيّ ينبع رضاه الاعمق من فخره بانجاز عمل جيد

العمل الجيد عنوان نبل، إذ ان العامل المخلص الصادق الذي يؤدي واجبه، مهما يكن عمله، من دون أنْ يطمحَ الى أكثر من المحافظة على احترامه الذاتي، هو في منزلة فنان شهير. فلا ارستقراطية وراثية، الاشخاص المحترمون هم الارستقراطيون الوحيدون.

آرييل ماريني ■



## ثقة غير كهربائية

كنت أمد أنبوباً لتصريف المياه في حرم احدى الجامعات تنفيذاً لعقد التزمته شركة بناء كنت أعمل لديها. وفي أثناء الحفر بان لنا سلك كهربائي ممدود في طريقنا. فاشتبهت بأنه خط قديم مهمل. غير أني زيادة في الحيطة اتصلت بقسم الكهرباء في حرم الجامعة وطلبت كهربائياً لتحديد حقيقة السلك.

وصل الكهربائي ونظر الى السلك وأكد أنه غير مكهرب قائلا: "اقطعه فقط وأزحه من طريقك."

فسألته: "أمتأكد أنت من أن لا خطر في ذلك؟"

– نعم، أنا أكيد.

"حسناً، هَلّا قطعته أنت إذاً؟"

تردد لحظة وارتسمت على وجهه ابتسامة صفراء وقال: "لست واثقاً الى هذا الحد."

و.غ.

---

## بريد الشعب الراقي

عندما كان الروائي الفكاهي البريطاني بيلهام وودهاوس (١٨٨١ – ١٩٧٥) في مدينة لندن، حلّ مسألة المسيرة الطويلة الى مكتب البريد بقذفه رسائله خارج نافذته. فهو ارتأى أن الشخص العادي، اذا وجد على الرصيف رسالة معنونة وعليها طوابع بريدية، فسوف يضعها في أقرب صندوق بريد. ولم يخب ظنه مرة واحدة.

س.ف.

كان وحيداً
وخائفاً في الظلمة
عندما أتاه فجأة
صوت عميق

# صَديُق في الظلام

عندما تقاعد لاري غتمن كان يملك كل شيء: زوجة محبة، ثلاثة أولاد ناجحين، حلقة من الاصدقاء، وبيتاً جميلا على قمة جبل في كلارمونت بولاية نيوهمشير.

ثم اكتشف أنه في طريقه الى العمى. ذات يوم جلس هو وزوجته جوني يائسين ساعات طوالا على شرفتهما الخارجية ذات المناظر الجبلية التي لم يعد بمقدوره أن يشاهدها، يحاولان أن يقررا ماذا يجب أن يفعل. جرَّب الجراحة، لكن خمس جراحات مؤلمة في عينيه باءت بالفشل.

واستجابة لإلحاح جوني تسجل في مركز "كارول" للعميان في نيوتن بولايـة مساتشوستس. وهذا المركز ذائع الصيت في تعليم العميان العناية بأنفسهم. لكن لاري كان ممتلئاً بالهواجس.

كان الحضور في المركز أشد ايلاماً مما توقع. انه ملزم متابعة ثماني حصص دراسية يومياً، وهو يكرهها كلها: العصا البيضاء، الآلة الكاتبة بطريقة "بريل" للعميان، الدماغ الالكتروني المتكلم، تمارين الكاراتيه، المبارزة بالسيف، كل هذه ملأته يأساً.

خلال أسبوعين في متابعة البرنامج حل الغضب محل اليأس. لقد تدفقت عليه أمور كثيرة جديدة في وقت قصير جدا، وما زال أمامه أربعة عشر أسبوعاً. وكان أسوأ التمارين التدريب الحسّي: ترفع المعلمة يدها قريبة من خده وتقول: "هل هذا هو الجانب الايمن أم الايسر؟" ومن المفترض فيه أن يشعر بحرارة يدها. أو تأخذه الى ساحة مسوَّرة وتقول: "أشر الى الفتحة في الحائط." وكان عليه أن يحدد الفتحة بالاصغاء الى حركة المرور. قالت له المعلمة: "خلف الحائط تسمع حركة المرور مكبوتة أو مختلطة. أمام الفتحة تتوضح، ثم تعود فتختلط. كل ما عليك أن تفعله هو أن تتعلم الاصغاء."

**في المترو.** كابوس أن تكون أعمى، أما أن تخفق في اختبار تلو اختبار فهذا اذلال. حين عزم لاري على ترك المدرسة أبلغته معلمة الحركة أنه جاهز لاعظم اختبار حاسم: عليه أن يسافر وحده في القطار النفقي (المترو) الى بوسطن، ويمشي الى محطة الحافلات، ويأخذ حافلة الى منزله لقضاء عطلة الاسبوع.

أخبرها لاري بفتور أنه لا يستطيع ذلك.

أخيراً اذعن لاري قائلا: "سأحاول، لكنني اذا ما أخفقت فأذهب الى البيت نهائياً."

قالت المعلمة: "احفظ الشمس الى الجانب الايمن من أنفك، وفي المترو عدّ أربع محطات واخرج. واحذر الاشخاص الذين يعرضون المساعدة. ان العميان عرضة للمهاجمة دائماً بقصد السلب، وهم لا يستطيعون وصف مهاجميهم."

انطلقا معاً، لكن المعلمة ودعته بعد أربع عمارات. لم يشعر لاري قط أنه وحيد هكذا. واذ سار الى الامام أصغى الى السيارات تعبر بجانبه.

حينذاك شعر بيد على كتفه. قالت المعلمة: "كنت أتبعك يا لاري، أنت تفعل حسناً. تذكر أن ركوب القطار يستغرق نصف ساعة، ثم تخرج في المحطة الرابعة من النفق. ولن يحصل لك أي سوء."

فكّر لاري بمرارة: اهذا صحيح؟ وزجّه الجمهور المتدافع في القطار. شعر لاري بالقطار يدخل النفق، لكنه توقف مراراً ليسمح بعبور قطارات اخرى. وخاطب لاري نفسه: لا تهلع، فلن تضيع. ثم توقف القطار وأحس لاري هواء بارداً يتدفق عبر المقطورة. فكر: شكراً لله على أنه الشتاء.

أحصى ثلاثة دفقات أخرى من الهواء البارد وخرج من القطار.

كانت محطة الحافلات على بعد ثلاث عمارات فقط، لكن لاري لم يجد السلالم للخروج من النفق. ساعدته امرأة في صعود الدرج ووجهته نحو المحطة.

**صوت ويد.** وجد لاري المحطة، لكنه لم يعرف كيف يتوجه. وقف وسط المحطة مذعوراً. وشعر بقلبه يهبط عندما أدرك أن الوصول والاقلاع كانا يعلنان عن يمينه بدلا من يساره حيث قالت المعلمة انهما سيعلنان. يبدو أنني دخلت عبر الباب الخلفي.

سار حذراً بجانب الحائط محاولا تعيين مكان يضع فيه حقيبته ما دام سينتظر الحافلة ساعتين ونصف ساعة. فجأة سمع صوتاً عميقاً: "أتبحث عن خزانة فارغة؟"

هز لاري رأسه.

"اذاً سنجد لك واحدة." جاء الصوت من فوق، مما يدل على أن الرجل طويل القامة. "هل لديك قطع نقدية بثلاثة أرباع دولار؟"

أخرج لاري محفظته، فاختطف الرجل النقد الورقي وانصرف وهو يدمدم: "سآتي بالفكّة."

فكر لاري: لقد ذهب ولن يعود. وفي بضع دقائق عاد الغريب ومعه النقود المعدنية. دفع الحقيبة الى الخزانة ثم أخذ بيد لاري وقال: "مرحباً، أنا بيلي."

شكره لاري ودعاه الى شرب فنجان قهوة. وبينما هما جالسان معاً سأله لاري الى أين كان متوجهاً. فأجاب: "يجب أن أعود الى نيويورك بطريقة ما."

وفيما كان لاري يتمعن في الجواب قال بيلي بهدوء: "تستطيع أن تقول انني في الحضيض. ولا أرى أن تغييراً ما سيحصل في حياتي." ثم انجلت لهجته وأضاف ضاحكاً: "لكنني لا أشعر بسوء، فتلك هي حالي دائماً. وأنت يا لاري؟ آه، لقد عاد الشرطي."

قطع حديثهما صوت تهكمي: "هل وجدت صديقاً يا بيلي؟ قلت لك انني

أريدك أن تخرج من هنا. هيا!" ومضى الشرطي متبختراً.

قال بيلي: ذلك الشرطي يصعب علي الامور يا رجل. لقد أمضيت الليلة هنا، ولن يستقبلوني ليلة أخرى. تعال، سآخذك الى خزانتك.

قرب الخزانة أمسك بيلي بيد لاري فأحس هذا قوة تسري فيه. قال بيلي: "أصبر يا رجل، وتذكر أنك إن تكن خسرت نظرك فحياتك حتماً لم تنته." ثم ذهب.

وجد لاري حافلته. وحين اتكأ في مقعده شعر بأنه في وضع جيد وكثير الرجاء. فكّر: انها حتماً لم تنتهِ.

سيتابع الدروس المضنية في مركز كارول. وقد يصبح بعد ذلك رجلا أعمى مستقلا ومعتمداً على نفسه.

أنهى لاري غتمن المنهج الدراسي. أتقن الضرب على الآلة الكاتبة الخاصة بالعميان، وأتقن حفظ الاوراق ومسك الدفاتر والخياطة والطبخ. انه الان يستطيع أن يسافر وحده بسهولة.

وهو مأخوذ بكلمات مأثورة: "الايمان جوهر الاشياء المرجوة، ودليل على الاشياء غير المرئية." وهو أيضاً يفكر يومياً في كلمات بيلي، انه شاكر مقابلة الرجل الذي ساعده ليفهم وضعه، الرجل الذي ساعده ليرى.

**ناردي ريدر كامبيون** ■

## عيادة المنتظرين

استولى التعب عليّ وعلى زوجي بعد يوم طويل أمضيناه في عيادتنا المتخصصة بعلاج الاعصاب. ورحنا ننتظر حضور زبوننا الاخير في ميعاده في السادسة مساء. ودقت الساعة السادسة ولم يأتِ الزبون. وانتظرنا الى السادسة والربع ثم الى السادسة والنصف، ولا زبائن.

أخيراً قال زوجي بسخط: "حين ينسى الناس مواعيدهم عليهم أن يتذكروا واجب الاتصال هاتفياً لاعلام المنتظرين."

ج.ب.هـ.

---

## المرأة والغوريلا

في حديقة الحيوان في سان دييغو بولاية كاليفورنيا غوريلا معروف عنه أنه "يمثّل" أمام الزائرين. توجهت الى قفصه مع عائلتي، لكن أملنا خاب لأن القرد الكبير لم يحلُ له في ذلك اليوم غير التمدد في الشمس. ومن شدة حماستي لجعله يؤدي "تمثيليته المعهودة" أخذت أؤدي بعض التهريجات التي سبق أن شاهدت السعادين تفعلها. وفي غمرة دوراني سمعت رجلا واقفاً في الجوار يقول لزوجته: "غلاديس، دعي الغوريلا وشأنه وخذي صورة لهذه السيدة."

م.م.ج.



## أصيب المتزلج الشاب في ركبته، لكن عزمه الصلب وارادته الجبارة مكناه من الفوز

# متزلج لا يعرف اليأس

كيتزبيول، ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥. يقترب بيرمن زوربريغن من المنحدر الأخير في سباق هاننكام المخيف للمنحدرات بسرعة تفوق ١٤٠ كيلومتراً في الساعة. فهذا الشاب ابن الحادية والعشرين وبطل العالم في التزلج لموسم ١٩٨٣ - ١٩٨٤ يريد أن يكرر الحدث المثير الذي شهده اليوم السابق. كما يريد أن يكون الاسرع مرة أخرى من الناحية التقنية، في أصعب سباق انحدار في التزلج الألبي.

بعدما وصل إلى حافة هوزبورغ انعطف بحدة نحو حلبة التعرج. فأحسّ فجأة بتكسّر في ركبته اليسرى. الا أنه انتصب بعزم خارق مندفعاً ليجتاز الامتار المئة الأخيرة من السباق الوعر.

Foto Key - color / Keller

وألقى نظرة خاطفة على لوحة التوقيت: إنه متقدم أخطر منافسيه، النمسوي هلموت هوفلنر بفارق جيد هو عُشرا ثانية.

إلا أنه عندما انحنى ليخلع مزلجتيه انتابه ألم حاد في ركبته. فعرج بطل كيتزبيول متأوهاً وغادر نقطة الوصول يساعده بعض الاصحاب.

وعاين طبيب الفريق السويسري الدكتور هانس سبرينغ ركبة بيرمن في الفندق. وارتاب في أن أذى لحق الغضروف المفصلي وربما أربطة الركبة. فكان لا بد من إجراء جراحة. وفي اليوم التالي اصطحب مريضه الى عيادة رينيان في موتينز بالقرب من مدينة بال، حيث كان في انتظاره اختصاصيون بالطب الرياضي.

خُدر بيرمن تخديراً كاملاً. وأُدخل مجسّ عبر شق صغير في جلد ركبته، فتبين أن هناك تمزقاً نصف دائري في الغضروف المفصلي الأيسر. إلا أن اربطة الركبة لم تتأذَّ لحسن الحظ. فانتزع جرّاحٌ بعناية الغضروف المتأذي البالغ طوله ثلاثة سنتيمترات. وانتزاعه لن يعيق حركة الركبة.

وقال الأطباء ان في وسع زوربريغن العودة الى التزلج بعد أسبوعين على الأقل. ولكن هل هذا الوقت كافٍ للتمرن قبل سباقات بطولة العالم التي ستجرى في بلدة بورميو الايطالية في الثلاثين من يناير (كانون الثاني)؟ لم يرغب الاطباء في المغالاة في بعث الأمل، فقالوا لاصحاب زوربريغن ومدربيه: "عليكم ألا تنتظروا معجزات."

**سباق خيالي.** وُلد هذا الشاب الموهوب في ٤ فبراير (شباط) ١٩٦٣ في ساس ألماجيل أنأى القرى في وادي ساس، لأبوين يديران فندقاً. انتعل بيرمن مزلجتين للمرة الاولى وهو في الثالثة من عمره. وبعد سنتين تلقى مزلجتين حمراوين مصقولتين هدية في عيد الميلاد. ولما كانت العائلة تقيم بالقرب من مصعد للتزلج، فقد كان بيرمن يمضي ايامه على المنحدرات باستثناء اوقات يشاهد فيها سباقات المنحدرات على شاشة التلفاز.

وعندما كان بيرمن لا يزال تلميذاً بعد، كان يهرع الى البيت فور انتهاء الصفوف ويصنع بنفسه منحدرات متعرجة، اذ تكون المصاعد متوقفة، ويتمرن حتى حلول الظلام. وفي الثامنة من عمره، عندما يكون الثلج قليلاً أو الطقس رديئاً، كان يستعمل الدبابيس لتعيين حدود سباق التعرج الطويل ومنحدراته على الطاولة في غرفة نومه، ثم يشق طريقه بينها في مخيلته.

ولم يمضِ وقت طويل حتى بدأ أبوه آلوا، وهو نفسه متزلج ممتاز، يصطحبه كل نهاية أسبوع الى السباقات التي ينظمها فرع الناشئين في جمعية التزلج. وفي الثالثة عشرة من عمره كان بيرمن بطلاً للناشئين واشترك للمرة الاولى في سباقات اتحاد التزلج الدولي. ولم تمضِ أربع سنوات حتى فاز بكأس أوروبا في التزلج المنحدر في مورزين – أفورياز. وقُبل في منتخب سويسرا للدرجة الثانية. وفي ٢٤ مارس (آذار) ١٩٨٢، بعدما أصبح عضواً في المنتخب الوطني، احتفل

بتحقيق أمنية قديمة هي احراز أول انتصار له في سباقات كأس العالم للتعرج الطويل في سان سيكاريو بايطاليا.

إلا أن بيرمن خرج في العام نفسه من بطولة العالم التي جرت في شلادمينغ، في سباقي التعرج والتعرج الطويل، لكنه سرعان ما تجاوز خيبته هذه، أذ لم تمض ثلاث سنوات حتى أصبح من أنجح المتزلجين الذين أنجبتهم سويسرا.

ركبة الأمّة. موتينز، ١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥. انهالت على عيادة رينبان مئات الرسائل تتمنى الشفاء العاجل لأشهر مريض في سويسرا. وتدفقت عشرات من باقات الزهر والطرود. لم يفقد بيرمن الامل بعد في الاشتراك في بطولة العالم، وأخضع عضلاته التي مر عليها وقت طويل من دون حركة، لعلاج كهربائي، كما استعمل الثلج لتخفيف الورم وزيادة وتيرة جريان الدم. وحسّن ليونته بالحركات السويدية، وبدأ في اليوم الرابع يلقي بعض وزنه على رجله المصابة.

وبعد الجراحة بعشرة أيام أخذه أبوه الى البيت. وفي صباح اليوم التالي كان الشاب المتعافي ينتعل مزلجتيه ويؤدي أول حركة دائرية. يا له من شعور. وعندما قام بمحاولتين أخريين على منحدرات التعرج بعد الظهر أحس بألم في ركبته. إلا أن الالم زال بعد استراحة قصيرة. ولم يرَ الطبيب الذي عاين "ركبة الأمّة" في المساء أي خطب يحول دون اشتراك بيرمن في بطولة العالم.



بيرمن زوربريغن بعد انتصاراته في بطولة العالم في بورميو عام ١٩٨٥.

وفي بورميو في الاسبوع الاخير من شهر يناير (كانون الثاني) شعر بيرمن بالألم مجدداً عندما انحنى ليثبّت حذاءي التزلج قبل بدء أول التمارين. وأخذ يراقب النمسوي انتون شتاينر يقفز في الهواء ليهبط على بعد ٥٠ متراً إضافية. فتساءل: هل تتحمل ركبتي صدمة كهذه؟ إلا أن ركبته كانت على ما يُرام في المنعطف الاول نحو اليمين حيث ألقى وزنه كاملاً على مزلجته اليسرى. وأدهش بيرمن منافسيه عندما سجل أفضل وقت خلال التمارين.

الا أن اليوم المنتظر في "السباق الملكي" (★) كان الاحد ٣ فبراير (شباط). ولكن في يوم الجمعة السابق

(★) Royal Discipline



Foto Huegin / RDZ

تنافس أفضل المتبارين في سباق انحدار منفصل، كما أجري بعد أربعة أيام سباق جماعي في مباراة تعرج حاسمة. حينذاك أثبت الرجل الآتي من ساس ألماجيل أنه لا يُقهر. فبتفوقة بعُشري ثانية على مواطنه بيتر لوشر أصبح واضحاً أنه سيحرز الميدالية الذهبية.

مساء السبت كان على بيرمن أن يكون البادىء في السباق. وهكذا لن يكون أمامه زميل في المنتخب يحذره من المنعطفات الصعبة. كما سيتعين عليه أن يتزلج على ثلج جديد مما يحد من سرعته. الا أنه وجد الثلج في التاسعة من صباح الاحد أقسى مما كان في اليوم السابق، وهذا ما يحتاج اليه المتزلج ليصل الى خط الوصول في وقت جيد.

ذهبية أولى- أمضى بيرمن الساعتين الباقيتين قبل السباق يؤدي تمارين لتحمية جسمه. فكان يتزلج قليلاً على منحدر قريب ويقوم بحركات سويدية. وفي الحادية عشرة والنصف أنجز آخر التمارين وانتعل مزلجتيه وأجال مخيلته في رحلة درس خلالها المنحدر مرة أخرى. لا تزال هناك مرحلة من السباق كان يخسر فيها وقتاً ثميناً خلال التمارين. وقد اكتشف المدرب سيب شتالدر السبب لدى مشاهدته شريط فيديو مسجلاً. ففي إحدى القفزات مال بيرمن إلى الخلف ثم عاد وانتصب لئلا يفقد توازنه، مما زاد مقاومة الهواء وأدى بالتالي إلى تخفيف سرعته.

في الساعة ١٢،٠١ أندفع بيرمن من نقطة الانطلاق بقوة عظيمة، وحبس نحو مليونين ونصف مليون من مشاهدي التلفاز السويسريين أنفاسهم. إن بيرمن يتزلج بتهور أكثر من العادة. إلا أنه أبقى جسمه منحنياً حتى في أصعب المراحل. وقبل القفزة الاخيرة واجهه هواء قوي، إلا انه طار من دون أن يحيد عن اتجاهه قيد أنملة، وهبط بسلام بسرعة مئة كيلومتر في الساعة. وتوقف جهاز التوقيت ليشير الى دقيقتين و٦،٦٨ ثانية. ولكن هل هذا كاف لاحراز ميدالية؟

تلت ذلك دقائق مقلقة. تأخر مواطن بيرمن بيتر مولر عنه ٠،١١ ثانية. ولم يشكل النمسوي فرانتز كلامر بدوره أي خطورة. هوفلنر سريع لكنه لم يهزم بيرمن في المرحلة الاخيرة من السباق. ثم وصل الامريكي المغمور دوغ لويس الى بداية "السحبة" الاخيرة بعد دقيقتين محتلاً المركز الـ... ثالث بفارق ٠،٠٣ ثانية عن مولر. لقد أحرز بيرمن زوربريغن ميدالية الانحدار الذهبية بعد مرور ثلاثة أسابيع تماماً على إجرائه الجراحة. وغمرت مواطنيه وعائلته سعادة كبيرة. (شقيقته هايدي الاصغر منه بأربع سنوات هي بدورها متزلجة وعضو في المنتخب الوطني للدرجة الاولى.)

والآن راح الجميع يصلّون لكي يحرز بيرمن الميدالية الذهبية في السباق المتنوع.

أخطأ الخبراء- قليلون جداً هم المتزلجون الذين نجحوا في التنقل من سباق الانحدار السريع الى سباق التعرج الذي يتطلب مهارات بهلوانية. قال سيب شتالدر: "ميدالية التزلج المتعرج لا تحق إلا لأفضل المتزلجين "الطائرين"

والقادرين على تكيف عقلي كلي." ولدى بيرمن كل ما تتطلبه. يساعده برنامج تدريب صيفي متعدد الأوجه للمحافظة على قوته غير العادية وقدرته على التحمل. وتؤمن له عائلته الراحة التي يحتاج اليها بعد تعب السباق. ويبعث فيه ايمانه شعوراً بالطمأنينة.

جرى سباق التعرج المتنوع في اليوم الذي تلا عيد ميلاده الثاني والعشرين. توجه بيرمن الى نقطة الانطلاق وهو مرتاح ومستعد تماماً. وما ان انطلق حتى تكيّف كلياً. كان يشق طريقه بين القوائم المهتزة وهو مسيطر كل السيطرة على سرعته، ففاز بميداليته الذهبية الثانية. وحاز الميدالية الفضية في سباق التعرج الطويل بفارق ٠،٠٥ ثانية عن الالماني الغربي ماركوس فاسماير الذي أحرز فوزاً مفاجئاً.

بدأ المتزلجون يتخصصون إما بسباق التعرج وإما بسباق الانحدار، بعد فوز الفرنسي جان - كلود كيلي بالسباقات الالبية الثلاثة مجتمعة، وهو آخر متزلج حقق هذا الانجاز. وهكذا اشتد وطيس المنافسة في كل من هذه السباقات. واعتبر خبراء الرياضة أنه يستحيل على أي كان أن يحرز نتائج مشرفة في جميع السباقات. لكن بيرمن زوربريغن، الذي قال عنه جان - كلود كيلي إنه "رياضي قَبِل التحدي بين الانسان والجبال"، برهن خطأ اقوال الخبراء. هذا الشاب الاشقر البالغ طوله ١٨٣ سنتيمتراً أصبح نجماً بفضل ارادته الصلبة وتمرينه الشاق وتشجيع معلميه.

إنه شاب لطيف فخور بميدالياته وممتن لأهله ومدربيه لدعمهم اياه وشاكر الله على عافيته. وله تصورات مستقبلية كثيرة، الا أن طموحه يكاد لا يظهر حين يقول بتواضع: "أود أن أتزلج جيداً لوقت طويل".

**بربارة فونانبرغ ■**

---

**يشترك زوربريغن في سباقات كأس العالم للتزلج عام ١٩٨٩، وهو في طليعة المتبارين الى الآن.**



## المعرفة والجهل

تتذكر انجيليكا هيوستون فصلا من نماء شخصيتها في ظل والدها جون هيوستون، عملاق هوليوود:

في الصباح كان من عادتي ان اذهب الى غرفته حيث كان يحلو له ان يجعل مجلسه في الفراش. وكنت مع شقيقي طوني نقبع قربه ونلعب الورق ونتحدث في مشاريع يومنا. لكننا وجدنا أنه اكثر ميلا نحو أمارات الرشاد في الاولاد بدلا من تصرفاتهم الصبيانية.

مرة دار الحديث في غرفة الطعام على الرسام الهولندي فينسانت فان غوغ. فقلت بما يشبه قلة الاحترام إني لم احب فان غوغ. فعاجلني بالقول: "انتِ لا تحبين فان غوغ؟ اذاً سمي سناً من لوحاته وقولي لي ماذا لا يعجبك فيها." طبعاً لم استطع تسميتها، لجهلي الموضوع. فقال لي: "غادري الغرفة الآن وعودي عندما تعرفين ما تتحدثين عنه. وحاذري ان تتحدثي الى المائدة عن امور تجهلينها."

# دائرة المعارف

تتضمن الدائرة في هذا العدد صفات تختص بالنساء. وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. آنسة: مؤنسة – غير متزوجة – خجول – كثيرة النسيان.

٢. بضَّة: رقيقة الجلد في سِمَن – طِفلة – بيضاء – طويلة الشعر.

٣. رَزان: بدينة – سيئة الخلق – ذكية – وقور.

٤. عنقاء: عنيدة – نمّامة – طويلة العنق – تتدخل في ما لا يعنيها.

٥. ضاويَّة: سَكوت – نحيفة – لازمة بيتها – مشرقة الوجه.

٦. شهلة: سريعة – جميلة العينين – عجوز – طويلة القامة.

٧. هيفاء: ضامرة البطن – شابة – سمراء – عريضة الجبين.

٨. صَناع: حاذقة في الصنعة – خادمة – كريمة – كثيرة التبرُّج.

٩. سليطة: مهيمنة – غير هيّابة – نهمة – طويلة اللسان.

١٠. بلهاء: عوراء – ضعيفة العقل – بليغة – كبيرة الاذنين.

١١. نَزُور: بخيلة – صغيرة الانف – قليلة الولد – ثرثارة.

١٢. خَوْد: امرأة شابة – عروس – أخت – أمة.

١٣. ناهد: باسمة – كثيرة التنهد – راشدة – من أشرف ثديها.

١٤. غادة: جارية – امرأة لينة ناعمة – غزالة – شجرة بان.

١٥. بَخْراء: جدة – منتنة رائحة الفم – لطيفة – نظيفة اللسان.

١٦. وَقاح: ذات وقاحة – رصينة – كبيرة العينين – سافرة.

١٧. كَرْواء: طبّاخة – كريمة الاصل – ناعسة – ضخمة الذراعين.

١٨. رَفْلاء: متكبرة – غافلة – خرقاء – كثيرة طَرْف العينين.

١٩. وَرْكاء: عظيمة الورك – عرجاء – حبلى – لا اخوة لها.

٢٠. طَفْلة: جريئة – صغيرة – مزعجة – رخصة ناعمة.

٢١. رعناء: ثكلى – دائمة التشكي – حمقاء هوجاء – راعية.

٢٢. ممصوصة: لئيمة – مهزولة – فقيرة – بلا أسنان.

٢٣. بَهْنانة: كَذُوب – طيّبة الرائحة – جاهلة – كثيرة الكلام.

٢٤. غانية: عزباء – جميلة الصوت – متوردة – غنية بحسنها عن الزينة.

٢٥. خَواريَّة: حَضَرية – سوداء – عجمية – دميمة.

# الأجوبة الصحيحة

١. الآنسة: الطيبة النفس. أيضاً: الفتاة غير المتزوجة.
٢. بَضّة: رقيقة الجلد ناعمته في سِمَن. بضّت العين: دمعت.
٣. الرّزان: الوقور. مذكرها رزين، ولا يقال رزينة.
٤. العنقاء: الطويلة العنق. عنقاء مُغْرِب: طائر خرافي.
٥. الضاويّة: النحيفة الدقيقة الهزيلة. الضاوي: الطارق والآتي ليلاً.
٦. الشَهْلة: العجوز. الشهلاء: من خالطت سواد عينيها زرقة.
٧. الهيفاء: الضامرة البطن الرقيقة الخصر. مذكرها أهْيَف.
٨. الصَناع: الحاذقة في الصنعة والماهرة في عمل اليدين.
٩. السليطة: الطويلة اللسان الصخّابة.
١٠. البلهاء: الضعيفة العقل العاجزة الرأي. بَلْهَ: اسم فعل بمعنى دَعْ واترك.
١١. النزور: القليلة الولد أو القليلة اللبن. الوَلود: الكثيرة الولد.
١٢. الخَوْد: المرأة الشابة. جمعها خَوْدات وخُوْد.
١٣. الناهد: المرأة التي كعب ثديها وأشرف. أيضاً: الأسد.
١٤. الغادة: المرأة اللينة البيّنة الغَيد أي النعومة.
١٥. البَخْراء: المنتنة رائحة الفم.
١٦. الوَقاح: (للمذكر والمؤنث) ذو الوقاحة. الموَقّح: الذي أصابته البلايا.
١٧. امرأة كَزْواء: ضخمة الذراعين أو دقيقة الساقين.
١٨. الرَفلاء: الخرقاء في اللباس وكل عمل. الرَفلة: المتبخترة.
١٩. الوَركاء: العظيمة الورك. وَرْكى الخبر: أصله.
٢٠. الطَفْلة: الرخصة الناعمة. الطِفْلة: البنت الصغيرة.
٢١. الرعناء: الحمقاء والهوجاء في كلامها. أيضاً: الطويلة الانف.
٢٢. امرأة ممصوصة: مهزولة. يقال "فلان مُصاص قومه" أي أخلصهم نسباً.
٢٣. البَهْنانة: المرأة الطيبة النَفس والرائحة واللينة في عملها ومنطقها الضحّاكة الخفيفة الروح.
٢٤. الغانية: المرأة الغنية بحسنها وجمالها عن الزينة. أيضاً: المتزوجة، والمستغنية.
٢٥. الحَواريّة: الحضرية، سميت كذلك لبياضها. جمعها حواريات.

## المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٤ - ٢٠: جيد جداً
٩ - ١٣: مقبول

الصحة العالية

# وحدة دم خالية من الامراض أنقذت حياة ثلاثة أشخاص

أوصلت سيسيليا فايك (٣٩ عاماً) ولديها الصغيرين الى المدرسة وتابعت قيادة سيارتها الى مركز الاسعاف الكائن في نيوبورت نيوز بولاية فيرجينيا. هناك استقبلت بابتسامة مميزة، إذ أنها المرة الرابعة تتبرع سيسيليا بالدم خلال ١٢ شهراً. لم تكن خائفة من الاصابة بمرض الايدز (١) أو بالتهاب الكبد، وكانت تقول لزوجها بيل: "كيف يمكن أن يلتقط المرء العدوى من طريق حقنة تستعمل مرة واحدة ثم ترمى؟" لذلك كانت سيسيليا مرتاحة عندما أدخل التقني الحقنة في شريانها.

انساب دمها بسهولة عبر أنبوب بلاستيكي يؤدي الى كيس وضع بجانبها، كان هذا الانبوب الذي يبلغ طوله متراً ونصف متر يمر عبر ميزان نقال يزن الدم المتجمع. وعندما امتلأ الكيس والانبوب معاً أوقفت أداة كالمخل جريان الدم. سحب التقني الحقنة بلطف من ذراع سيسيليا وأدخلها ثلاثة أنابيب مخبرية متصلة بكيس الدم المتجمع. فعبئت الانابيب بثلاث عينات ليتم فحصها في المختبر.

كل ١٢ ثانية يعطى شخص ما دماً في مكان ما. لكن سيسيليا كانت تتساءل عن مكان ذهاب هذه الكميات من الدم. لم يحتج أحد من أفراد عائلتها الى دم يوماً من الايام. وكانت تقول: "الجميع بصحة جيدة. ليست هناك مأساة طبية في حياتنا."

لكن سيسيليا فايك كانت على خطأ. فهي غادرت المركز بعد ٤٥ دقيقة من حضورها اليه صباح ٨ ديسمبر (كانون الاول) من العام ١٩٨٦. لكن دمها الذي رُقم "الوحدة هـ - ٣٩٣٧٧" كان على وشك ولوج سلسلة من المآسي الطبية.

عندما خرجت سيسيليا من الباب حُمل ما تبرعت به الى اثنين من التقنيين كانا ينتظران. أدخل الانبوب المثبت الذي كان لا يزال موصولا بالكيس آلة كبسته وختمته في مواضع يبعد الواحد منها عن الآخر ثمانية سنتيمترات. وبقي هذا

(١) هو داء فقدان المناعة المكتسبة.

"الحبل" المؤلف من قطع تشبه النقانق متصلا بوعاء التبرع، مما يتيح للمستشفى الذي يتلقاه التحقق من فئة الدم وهي «O» ايجابي.

في الحادية عشرة والنصف قبل الظهر حمل سائق متطوع دم سيسيليا، اضافة الى دماء ١١ متبرعاً آخرين، في صندوق داخل شاحنة مقفلة ونقلها الى مركز خدمات الدم التابع للصليب الاحمر الامريكي في نورفوك، فيرجينيا. كانت تلك بداية رحلة الوحدة هـ - ٢٩٣٧٧.

أخضعت عينات الانابيب الثلاث لفحوص مخبرية كاملة في المركز للتحقق من صلاح نقلها الى شخص آخر. وطوال فترة بعد الظهر أجريت للعينات عمليات طويلة من خفق وفصل وفرج بمواد كيميائية مختلفة. ترفض عادة سبع وحدات من كل مئة لاظهارها دلائل تشير الى وجود مرض معدٍ، أو لعدم ملاءمتها قواعد النقل السليمة. لكن دم سيسيليا خرج من هذه الاختبارات بنتائج ممتازة.

فككت الوحدة "هـ - ٢٩٣٧٧" السليمة ثلاثة أجزاء حيوية عبر العمليات الآتية: "أولا، خفق لطيف في ممخضة لمدة خمس دقائق ترك طبقة من الكريات الحمراء في قعر الكيس. وبعد نقل البلازما السائلة العائمة فوق الكريات الحمراء الى كيس آخر أضيفت مادة حافظة الى الكريات الحمراء، بعد ذلك خفقت البلازما الصفراء ثانية بسرعة أكبر لمدة ست دقائق، وأخيراً، "عصرت" في مكبس وأسفرت عن صفائح(٢) هي الجزيئات الاصغر والاكثر قابلية للتلف في دم سيسيليا.

وفي الصباح التالي وضعت العناصر الحيوية الثلاثة في دم سيسيليا فايك على رف مخزونة داخل أكياس بلاسيتيكية متينة. لقد باتت جاهزة للاستعمال بعدما صنفت وأعطيت رموزاً.

## شفاء محروق

نظر المدير المساعد في مركز الاصابات الطارئة بمستشفى سنتارا نورفوك العمومي الى سجل لويس ستيفنسون وهز رأسه. لقد أصيب هذا الشاب الذي يبلغ الثالثة والعشرين من العمر بحروق استنشاقية وأخرى من الدرجتين الثانية والثالثة في ٧٥ في المئة من جسده بعدما انفجر أنبوب بخار داخل المصنع الذي يعمل فيه. ونظراً الى امتداد اصابته، قدر الطبيب حظه في النجاة بواحد في المئة.

وللحد من تدهور حاله كان ستيفنسون في حاجة الى سوائل: محلول الملح لتعزيز افراز البول، وبروتيينات سائلة لتعويض الوزن. والى هذا كله كان جسده في حاجة الى منتجات الدم وبكميات كبيرة جداً. فأرسل "بنك الدم" التابع للمستشفى يطلب امدادات طارئة من وحدات البلازما المجلدة من مركز خدمات الدم في نورفوك. فكانت وحدة سيسيليا فايك هي الاولى يتلقاها ستيفنسون.

دخلت البلازما من الوحدة "هـ ٢٩٣٧٧" جسد ستيفنسون الذي كان شبه جرح مفتوح. وبدأت تحارب الصدمة والالتهابات القوية والخسارة الكبرى للانسجة السليمة والسوائل الحيوية. لقد

(٢) صفائح أو لويحات (platelets) .

أحرقت الحرارة اللافحة الغلاف الواقي المتمثل في جلد ستيفنسون ودمرت شبكة الشعيرات الدموية التي تنقل الدم الى الاعضاء الحيوية. وباتت تلك الشعيرات تسرّب الدم. فأخذ الجسد يقاوم بتعجيل الدورة الدموية، وهذه وسيلة تهدد الحياة التي تعمل هذه الدورة على خلاصها.

كان جسد الشاب خسر أكثر من ٩٠ في المئة من مائه. فبدأت البلازما المستخرجة من دم سيسيليا العمل على الفور لتعويض الكمية المهدرة. وأثناء مرورها في الشرايين والاوردة التي يزيد طولها، مجموعة، على ١٠٠٠ كيلومتر، كانت البلازما تحمل معها جنداً من المواد الشافية، منها المغذيات والهورمونات والفيتامينات لاعادة احياء الجسم وخلايا الدم البيضاء والبروتيين لمحاربة الالتهابات.

ومع أن لويس ستيفنسون كان غير مدرك للاعجوبة المتحققة داخل جسده فقد كان على وشك التغلب على احتمال الواحد في المئة حياة بفضل سيسيليا فايك.

## نفحة حياة

أدخلت كونستانس كورتس (٩٣ عاماً) مستشفى سنتارا نورفوك العمومي لتحديد سبب اصابتها المتكررة بأعراض السكتة الدماغية وبنوب الاغماء التي تتعرض لها. وأظهرت الفحوص المخبرية اصابتها بفقر دم يهدد حياتها وسببه نزف داخلي. ولكن أين؟ وممَّ؟

وجدت آثار دم في براز كونستانس. فطُلب اجراء فحص للمعدة والامعاء بواسطة أنبوب مرن مجهز بمنظار. وكان من المحتمل أيضاً اخضاعها لجراحة. لكن قلبها كان مزوداً جهازاً ضابطاً للنبض(٣) لا يمكن الاعتماد عليه أثناء الجراحة في تزويد الجسم الدم اللازم. فكان على الاطباء الاهتمام بدورتها الدموية ما أمكن. ولتغذية الدم الذي يصل الى القلب أمر الاطباء بتزويدها كمية كبيرة من الخلايا الحمراء الآتية من دم سيسيليا ودماء سبعة أشخاص آخرين.

عندما دخلت خلايا سيسيليا الحمراء مجرى الدم انضمت الى ملايين الخلايا المحتواة في كل سنتيمتر مكعب واندفعت الى الرئتين لتزودها الاوكسيجين. هذه الخلايا الصغيرة جداً تحتوي على الهيموغلوبين الذي يتماسك مع الاوكسيجين وينقله الى خلايا الجسم. فعمدت جزيئات الهيموغلوبين داخل جسد كورتس الى طرح الاوكسيجين الواهب الحياة والتقاط نفاية ثاني أوكسيد الكربون لنقله الى الرئتين حيث يزفر خارجاً.

بالنسبة الى كونستانس كورتس كانت هبة سيسيليا فايك تعني نفحة الحياة.

فتح الجراح صدر هوراس كرلينغ العريض بينما راح مساعده يقطع جزءاً من وريد سطحي في ساقه اليمنى. سيستخدم هذا المقطَع لتطعيم الشريان التاجي في عملية لتحويل مجرى الدم(٤) هي الثانية من نوعها يخضع لها المريض. عُزل قلب كرلينغ الكسول وحول دمه الجاري الى جهاز يضخه الى الجسم.

---

(٣) Pacemaker

(٤) Coronary bypass

استغرقت العملية ٤٥ دقيقة عمل الجراح خلالها بابرة معقوفة صغيرة لا يتعدى حجمها قرامة ظفر الابهام. بعد ذلك حُلت الملازم الطبية سامحة للدم بالجريان تدريجاً من خلال الممر الجديد. وأعاد تيار كهربائي النبض الى القلب.

وبينما كانت الحياة تسري في قلب هوراس كرلينغ، بدأت تمزقات صغيرة فيه تنز. وهي ظاهرة عادية بالنسبة الى جراحة التحويل التاجي، وفي تسع حالات من أصل عشر يتوقف النزف تلقائياً. لكنه هذه المرة لم يتوقف.

أمر الجراح بحقن هوراس عشر وحدات من الصفائح الدموية. فأرسلت على الفور وحدات من بنك الدم في الطبقة السفلى من المستشفى، وكانت احداها لسيسيليا فايك. وبينما عاود القلب المتعافي الضخ اندفعت صفائح "هـ ٣٩٣٧٧" داخل عضلته تحملها موجة من البلازما، فأطلقت مادة كيميائية في مواقع التمزقات الصغيرة، فأثارت هذه انتاج بروتيين يدعى "فايبرين". وبدأ النز يتخثر على الفور فزال الخطر عن هوراس كرلينغ.

□ عاد لويس ستيفنسون الى المستشفى بعد مرور تسعة أشهر على خروجه منه، لكنه أتى هذه المرة للتخفيف عن مريض حديث الحروق. وكان جذع ستيفنسون ملفوفاً بكساء ضاغط مطاط يساعد على تشكيل البشرة الملتئمة تحته. وعلى رغم أن جراحات أخرى كانت في انتظاره، فان جلده المحروق كان تجدد بنسبة الثلثين، وما تبقى من البشرة أبدل بجلد مستأصل من مناطق في الجسم لم تمس في الحادث. وباستثناء قشرة جرح في أنفه وبقعة غير مندملة في أحد خدّيه، خلا وجهه من أي شائبة. وكان مجمل ما تلقى من مشتقات الدم ١٧٧ وحدة.

□ في شهر فبراير (شباط) من العام ١٩٨٧ استأصل جراح ورماً سرطانياً في حجم قبضة يده من أسفل الامعاء الغليظة (القولون) لكونستانس كورتس بعدما تم تحديده بواسطة الجهاز المزود منظاراً. وبعد تنشيطها بالكريات الحمراء المستخرجة من دم سيسيليا وسواها خرجت كونستانس من الجراحة متعافية وعادت الى بيتها.

□ تقاعد هوراس كرلينغ من عمله. وهو يتعاطى اليوم أعمالا موقتة بغية التسلية ويشعر بالامتنان للفرصة التي سنحت له ويقول: "تبرعت بنحو ثمانية ليترات من الدم في شبابي. وأشكر الله اذ توافر لي دم آخرين عندما احتجت اليه."

لويس ستيفنسون وكونستانس كورتيس وهوراس كرلينغ لم يلتقوا سيسيليا ولا أياً من الواهبين الآخرين. وقد لا يلتقونهم أبداً. لكنهم يعلمون جميعاً أنهم مدينون بحياتهم لكرم متبرع غريب.

**جاك فينشر** ■

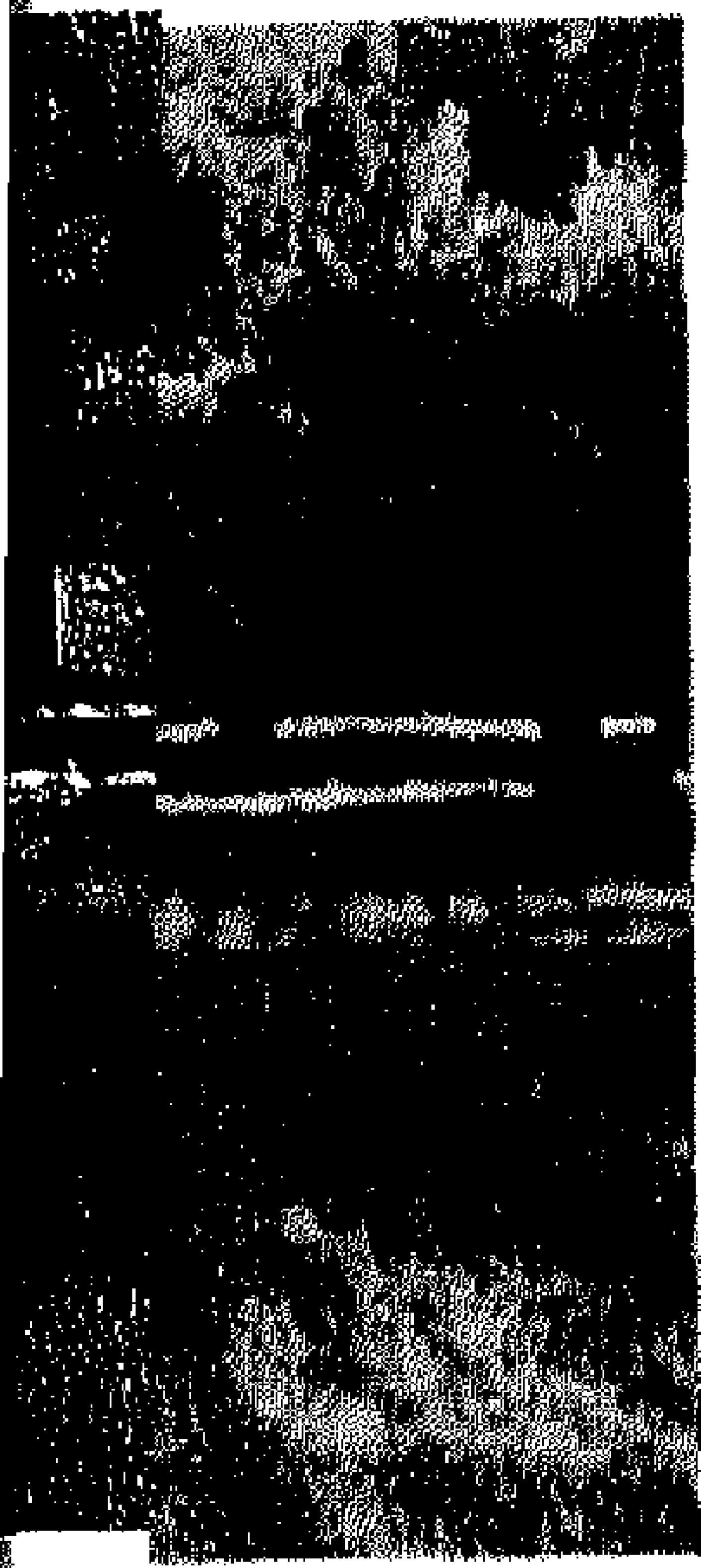
---

نحن نحب أولئك الناس الذين يعطون بتواضع أو يقبلون من دون تكلُّف.

فريا ستارك، كاتبة بريطانية

# أرضُ الأساطير

في مكان ما وراء الافق تقع أراضٍ أسطورية. لا يمكننا أن ننكر وجودها على رغم أن حدودها هي حدود رؤانا الداخلية، وهذه هي الحال مع دروم بروفنسال (*) في فرنسا، نقطة الالتقاء بين دوفينيه وبروفانس، بين الشمال والجنوب، صنعها التاريخ وصنعتها الاسطورة. تبدو كأنها تتردد في مكان ما بين الماضي





(أقصى اليسار) قرية بويه - لافال القديمة المهيمنة على وادي جبرون ملتصقة في جنب جبل "بويه". هنا في القرن الثاني عشر أنشأت كتيبة فرسان كبرى المقاطعات العسكرية في بروفانس.

(في الوسط) ورق الزيتون يلمع تحت نور بروفانس.

(فوق) في نيون، كما في كل قرية أخرى في دروم بروفنسال، تعتبر لعبة الكرات الحديد التسلية المفضلة.

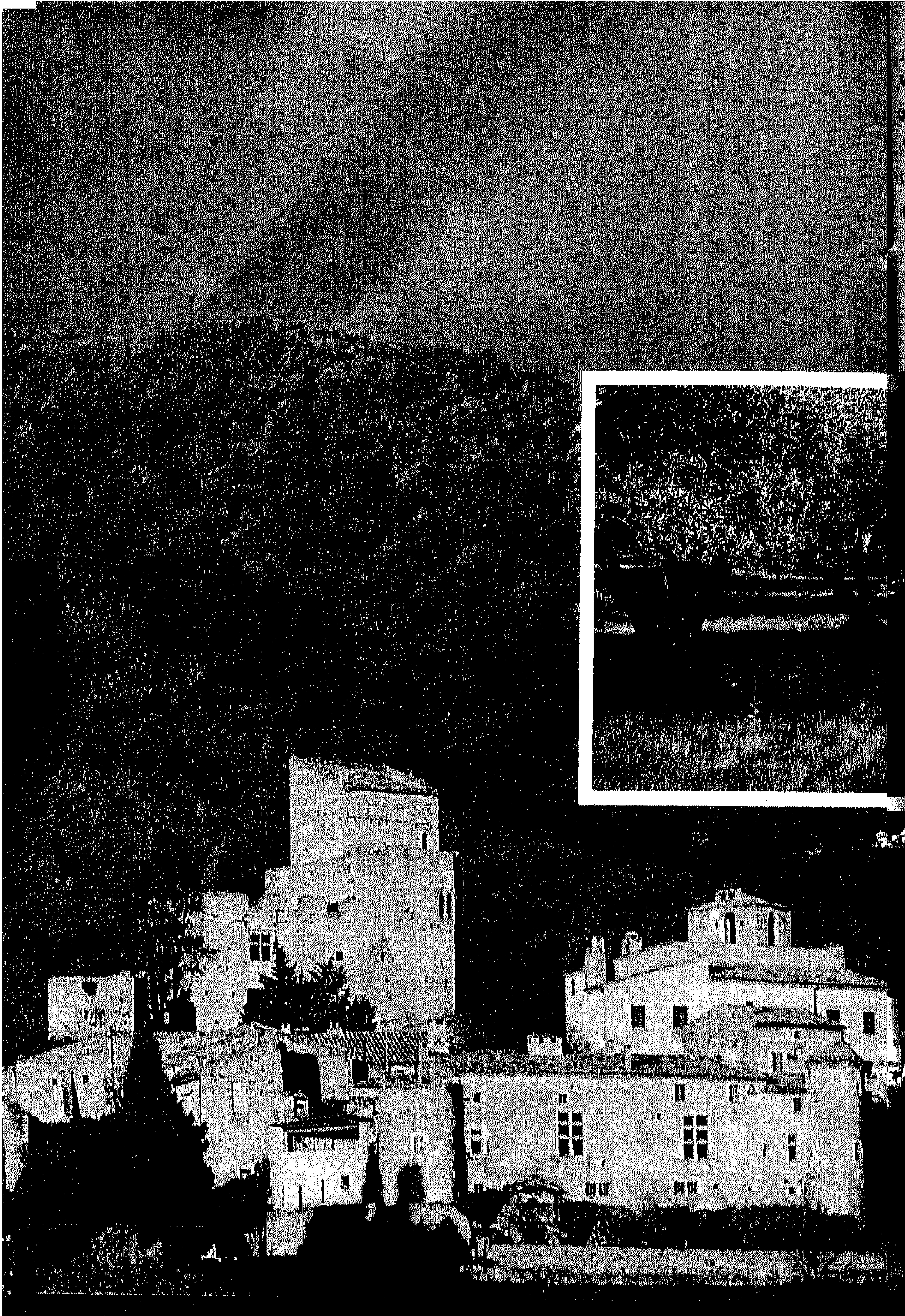
والمستقبل. كأنها مكان في الحاضر يمد جسراً بين شاطئين.

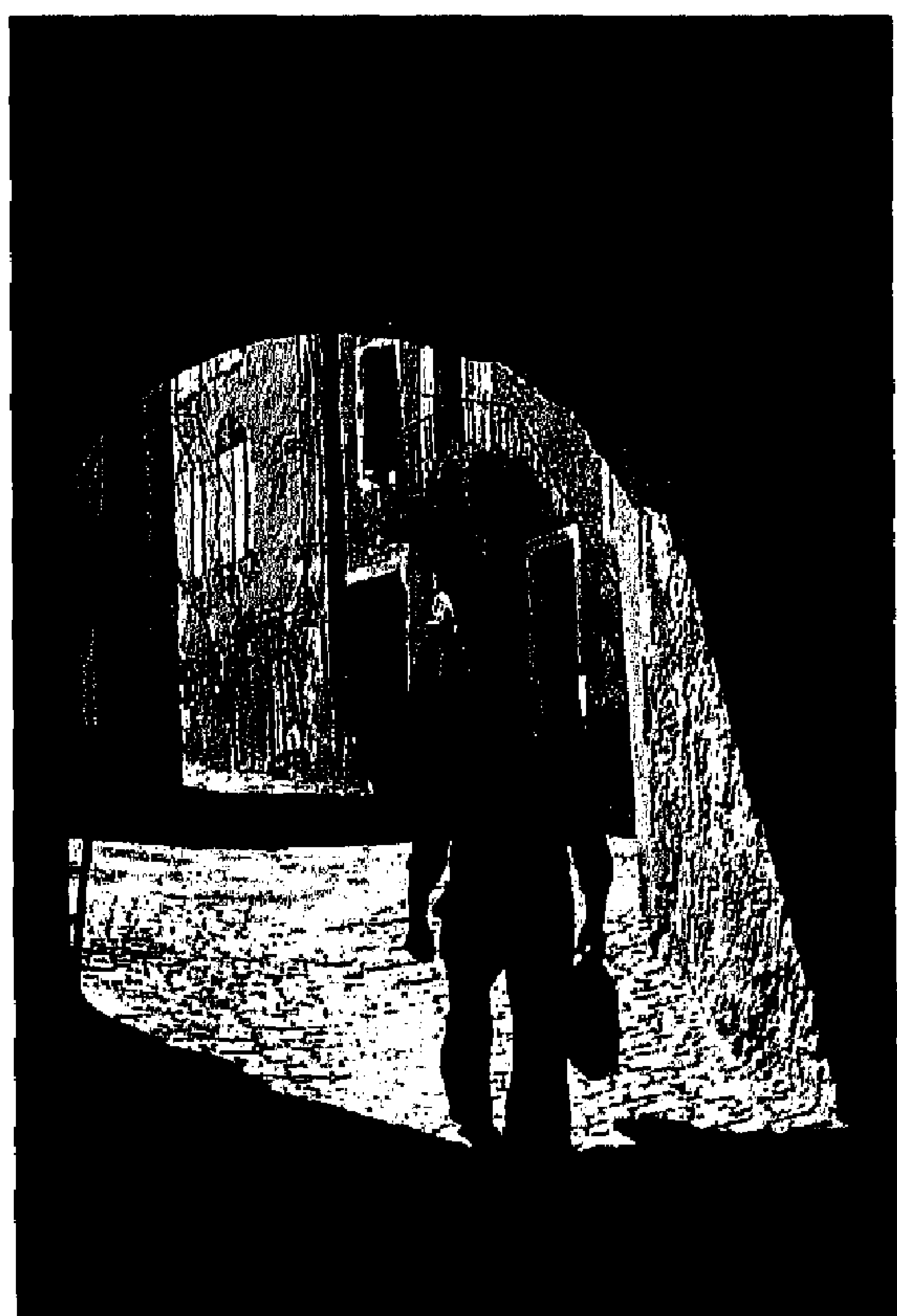
انها جغرافية الخيال. ان دروم بروفنسال بلد بلا حدود واضحة، لكن له حدوده الداخلية الذاتية. هذه الارض المستديرة كرحم خصب تبدو كأنها تلد بروفانس.

أرض "ديوليفي" و"تريكستان" و"نيونسيه" و"باروني" رباعية الاضلاع بسبب طبيعة أنهارها. وكل من هذه

---

Drome Provençal (*)





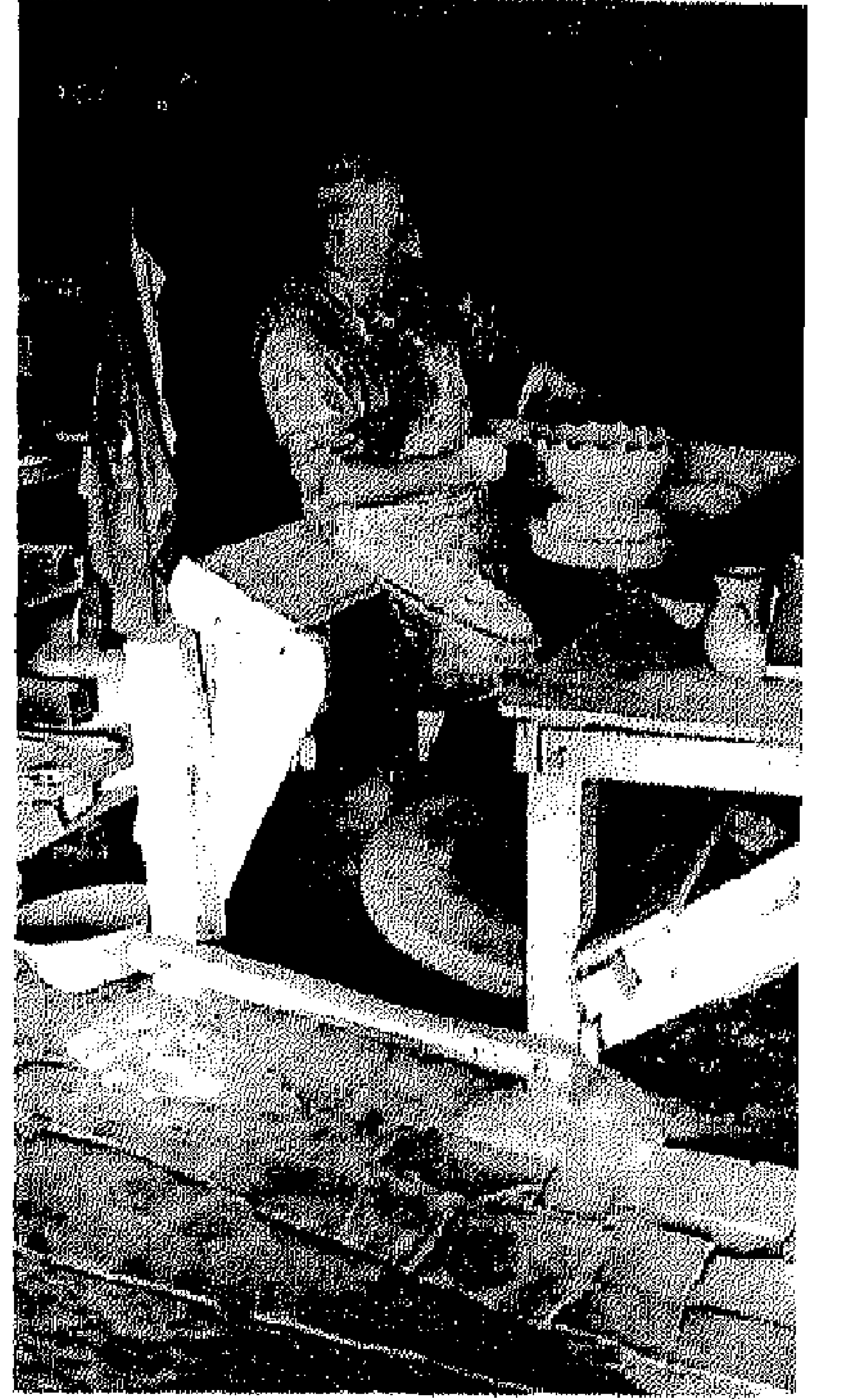
عصر يوم هادىء في ديسمبر (كانون الاول)
على جسر من القرون الوسطى في نيون.
متنه الممتد ٤٣ متراً
يتقوس فوق نهر ايغ.

(الصورة الدخيلة) سوق ديولفي التي
أنشئت في القرون الوسطى احتفظت بحي
فيال القديم بشوارعه الضيقة
المرصوفة بالحصى.

الاجزاء يشبه احدى المجموعات الاربع في ورق اللعب (الشدة أو الكوتشينة)، فيشكل مملكة هي جزء من كل. هناك التكامل والتنافر، الوحدة والاختلاف، وظلال من القوى الحية. ان تلك الارض هي أرض التقاليد حيث تركت القرون أثرها في معابد وقلاع وقرى، كمجموعة حراس تخفر حقول الخزامى وأشجار الزيتون.

يوماً بعد يوم جمع فرنسوا ايسلر صوراً هي لحظات في حياة الناس يتلاعب فيها الضـوء والظـل. ان جمـال صـوره الفوتوغرافية ذاتي التعبير، وكل منها يحمل رسالة خاصة. ومن هذا الايحاء تنبثق دروم بروفنسال كما هي اليوم، حية نابضة.

ج.م. ماتونيير ■



(الى اليسار) في نيون التي تسمى "نيس الصغيرة" بسبب مناخها وشمسها المشرقة، لا تزال هناك بقايا استحكامات قديمة وقلعة اقطاعية من القرن الحادي عشر وأبراج قديمة وممرات ضيقة محفورة في الصخر.

(فوق) من بين ٨٠ مشغلا للاواني الخزفية كانت تستعمل طين وادي جبرون في أواسط القرن التاسع عشر، لا يزال مشغل "غراند - شومينيه" في بويه - لافال ينتج خزف ديوليفي.

# سَاعات الجَسدْ تنظمُ حَياتنا

**أنت في التاسعة صباحاً شخص مختلف كثيراً عما ستكون في الثالثة بعد الظهر. هنا دليل يفيدك متى يكون أداؤك أفضل وشعورك أحسن وتفكيرك أعمق**

كل شيء يتهاوى. مي أم شابة تعمل في مكتبة عامة. بدأت تأكل أكثر وتشعر غالباً بالنعاس. ومزاجها عكر أيضاً، خصوصاً عندما تستيقظ صباحاً. فهي تبذل كل طاقتها لتنتشل نفسها من الفراش. وظلت هذه الاعراض مثابرة حتى ابريل (نيسان) عندما بدا أن دفء الطقس وطول النهارات راقا مزاجها وخففا شهوتها الجامحة الى الطعام والنوم.

يوسف مهندس في الثامنة والاربعين من عمره يعمل لدى شركة للادمغة الالكترونية. يشعر بارهاق عصبي في الصباح الباكر. ولكن مع تقدُّم النهار يغدو صدوقاً وخدوماً أكثر.

كل الكائنات الحية، من الرخويّات الى الرجال والنساء، تنطوي على دورات



Condensed from "The Secrets our Body Clocks Reveal," copyright © 1988 by Susan Perry and Jim Dawson, published by Rawson Associates, MacMillan Publishing Co., New York, N.Y.
Illustration: Manos

بيولوجية. بعض هذه الدورات قصير يمكن ان يُقاس بالدقائق أو الساعات. وبعضها يدوم أياماً أو أشهراً. فذروة حرارة الجسم، التي تحدث عند معظم الناس في الصباح، هي جزء من دورة يومية. والطمث الانثوي جزء من دورة شهرية. وازدياد الفاعلية الجنسية في الخريف – وليس في الربيع كما يريدنا الشعراء أن نصدّق – هو نمط من دورة فصلية أو سنوية.

إنها لفكرة مستجدة تلك التي تقول إن أجسادنا هي في مدّ ثابت، وهي تخالف التنشئة الطبية التقليدية. في الماضي تلقّى أطباء كثيرون تعليماً ينصّ أن للجسم بيئة داخلية متزنة ومستقرة. وكانت التقلبات الملحوظة فيها تعتبر عارضة ولا تحمل ما يؤهلها لتُدرس.

بيد أنه في الاربعينات اعترض بعض العلماء على فكرة الاستقرار المتزن في الجسم. فلاحظ فرانتس هالبرغ، العالِم الاوروبي الشاب العامِل في الولايات المتحدة الامريكية، أن عدد خلايا الدم البيض في فئران المختبرات كان يرتفع أو ينخفض على نحو ملحوظ تبعاً لاوقات اليوم. وتعمَّم مثل هذا البحث تدريجاً ليشمل دراسة دورات أخرى في أشكال حياة أخرى، وكانت الاكتشافات مثيرة أحياناً. فعلى سبيل المثال، الوقت الذي يتلقى خلاله المرء أشعة سينية (إكس) أو علاجاً بالعقاقير للسرطان يمكن أن يؤثّر في منافع العلاج وأن يعني الفرق بين الحياة والموت.

**ذروة التيقظ.** يُدعى هذا العلم الجديد "البيولوجيا التوقيتية" (١) والبيِّنة التي يعتمدها تزداد إقناعاً. ومع مرور الوقت بدأت الاوساط العلمية والطبية تعيد النظر في أفكارها حول طريقة عمل الجسم البشري، وشيئاً فشيئاً أخذت الجامعات الكبرى والمراكز الطبية في أنحاء العالم تدرِّس ما كان يُعتبر قبل سنوات قليلة علماً قليل الاهمية.

اليوم يعلمنا باحثو البيولوجيا التوقيتية، استناداً الى نتائج أبحاثهم، أموراً قد تغيِّر حياتنا بمساعدتنا على تنظيم أنفسنا بحيث نستطيع العمل بموجب دوراتنا الطبيعية لا ضدها. ومن شأن ذلك أن يجمِّل نظرتنا الى الحياة مثلما يعزِّز أداءنا في العمل واللهو.

ولأن الدورات اليومية أسهل سبراً وقياساً، فهي معروفة أكثر من ضروب الدورات الاخرى. وأشهرها وضوحاً دورة النوم فالاستيقاظ. لكن هناك دورات يومية مثل الحرارة وضغط الدم ومستويات الهورمون. فبين هذه والدورات المتغيِّرة الاخرى في الجسد قد تكون أنت في التاسعة صباحاً انساناً مختلفاً عما ستكون في الثالثة بعد الظهر. كيف تشعر؟ ما مقدار حسن أدائك لعملك؟ ما مستوى تيقُّظك؟ ما حدة حاسَّتَيْ الذوق والشم لديك؟ الى أي درجة تستمرىء الطعام أو تستسيغ الموسيقى؟ كل هذه تتبدَّل خلال اليوم.

يتراءى لمعظمنا أنه يبلغ ذروة تيقُّظه قرابة الظهر، ثم سرعان ما يهبط نشاطه الى أن يراوده النعاس عصراً.

تكون ذاكرتك القصيرة الاجل فضلى خلال الصباح، وفي الواقع تزداد فاعليتها

(١) Chronobiology

بنسبة ١٥ في المئة قياساً على أي وقت آخر من اليوم. لذلك، أيها الطلاب، أعيروني انتباهكم: عندما تُواجَهون بامتحان صباحي، يفيدكم حقاً أن تراجعوا منكّراتكم قبيل الامتحان مباشرة.

أما الذاكرة الطويلة الاجل فمختلفة. فبعد الظهر هو أفضل وقت لتعلّم المواد التي تريد استرجاعها بعد أيام أو أسابيع أو أشهر. والسياسيون ورجال الاعمال وسواهم ممن ينبغي لهم حفظ خطبهم يتصرفون بحذق إن هم استظهروها في ذلك الوقت من النهار. واذا كنتَ طالباً جامعياً فمن الحكمة أن تدرج المقررات الاكثر صعوبة في جدول بعد الظهر وليس في الصباح. وعليك أيضاً أن تحاول انجاز معظم درسك في فترة بعد الظهر، بدلا من ان تؤخّره الى المساء. فكثير من الطلاب يعتقدون أنهم يستظهرون على نحو أفضل في آخر الليل لان تذكّرهم القصير الاجل يكون خلال الساعات المبكّرة جداً من الصباح أفضل من تذكرهم بعد الظهر. لكن الذاكرة القصيرة الاجل لن تساعدهم كثيراً بعد عدة أيام عندما يواجهون الامتحان.

على نقيض ذلك، ننزع الى أداء أفضل في المهمّات الادراكية - كتلك التي تتطلّب التلاعب الفكري بالكلمات والصور - خلال ساعات الصباح. وقد يكون هذا هو الوقت الافضل لموازنة دفتر الشيكات.

**حمائم وخفافيش.** في ساعات بعد الظهر تبلغ ذروة مهارتك اليدوية، أي السرعة والتنسيق اللذين يميزان انجاز مُهمّات معقّدة بيديك. فأعمال مثل النجارة او الطباعة على الآلة الكاتبة أو الخياطة تكون اسهل قليلا في ذلك الوقت من النهار.

ماذا في شأن الالعاب الرياضية؟

خلال بعد الظهر والصباح الباكر يكون تناسقك في ذروته وتكون قادراً على ردود فعل سريعة على محرّض خارجي، مثل كرة مقذوفة في اتجاهك. كذلك بيّنت الدراسات أنه في ساعة متقدمة من النهار، عندما تبلغ حرارة جسدك أوجها، ستلاحظ أن التمرين الرياضي يكون أسهل وأقل إتعاباً، أكان حقيقة كذلك أم لا. هذا يعني أنك قد تتمرن أكثر اذا تدربت في ساعة متقدمة من بعد الظهر أو في المساء الباكر، وبالتالي تفيد أكثر من تدريبك. والدراسات التي شملت السبّاحين والعدّائين ورماة كرة الحديد والمجذفين أظهرت بثبات أن الاداء في الصباح أفضل منه في المساء.

والواقع أن كل أحاسيسك - الذوق والبصر والسمع واللمس والشم - قد تكون على أشدّها خلال بعد الظهر المتقدم والمساء المبكّر. ولربما فسّر ذلك لماذا نستسيغ الوجبة الرئيسة في اليوم - غداء كانت أم عشاء - أكثر مما نستسيغ فطور الصباح، ولماذا تزعجنا الاضواء الساطعة في الليل.

حتى ادراكنا للوقت يختلف من ساعة الى ساعة. فالوقت لا يبدو متسارعاً عندما تكون في ساعات لهوك فقط، بل يبدو أكثر تسارعاً اذا كنت تلهو في ساعة متقدمة بعد الظهر أو مبكرة مساء، عندما تكون حرارة جسدك في أعلى درجاتها.

وفيما نتبع جميعاً النمط العام ذاته

في صعودنا وهبوطنا، يتغيّر التوقيت الصحيح من شخص الى شخص. فكل الامور تتعلق بطريقة تنظيم يومك "البيولوجي" وبمدى انتمائك الى فئة الحمائم النهارية أو الخفافيش الليلية. فبمقدار ما يبدأ يومك البيولوجي باكراً، يرجح بلوغك - أو تجاوزك - المبكّر ذروة نشاطك ومنتهى أدائك مهمات شتى. فالشخص "الصباحي" قد تكون له دورات يومية تفرق بضع ساعات عن دورات شخص "مسائي."

في وسع كل منا أن يزيد معرفته بدوراته الفردية. تعلّمْ كيف تصغي الى نبضات قلبك الحميمة. دعْها تحدّد سرعة يومك، فتحيا حياة أكثر صحة وأكثر سعادة. ألم تقرأ هذه الحكمة الخالدة: لكل أمر أوان ولكل غرض على الارض وقت؟

**سوزان بيري وجيم داوسون** ■



## تعقيدات الدماغ الالكتروني

بينما كنت اشتري من الصيدلية عقاقيرَ وُصفت لي، لاحظت اني دفعت ثلاثة دولارات زيادة على المبالغ المدونة على علب العقاقير. فقال لي الصيدلي إنه سيبقي المبلغ الزائد في ذاكرة الآلة الحاسبة ويحسمه في الشراء المقبل.

وبعد اسابيع عدت الى الصيدلية فنسي الموظف حسم المبلغ من قيمة مشترياتي فاشرت عليه ان يراجع الكومبيوتر فتوجه رأسا اليه. كانت المعلومة هناك، لا غبار عليها: فقد أُلصقت بمرقاب الكومبيوتر قطعة ورق مسوّدة كتب فوقها: "نحن مدينون للسيد ت.هـ. بثلاثة دولارات."

ت.هـ.

---

## بريد العجوز

فيما كان زوجي يوزّع البريد لاحظ أن عدداً كبيراً من صناديق البريد الموضوعة امام المنازل واقع أرضاً أو مصاب بأضرار، كنتيجة بيّنة لرعونة السائقين أو لاعمال تخريب متعمد. ثم بلغ صندوقاً قديماً في حال مثالية. ولم يستطع اكتشاف السبب حتى أسقط فيه الرسائل ومضى بسيارته، إذ لاحظ من خلال مرآته الخلفية امرأة كهلة تتجه الى الصندوق وتسحبه من مكانه وترفعه الى كتفها ثم تسير بهمة صعوداً في الطريق المؤدية الى بيتها.

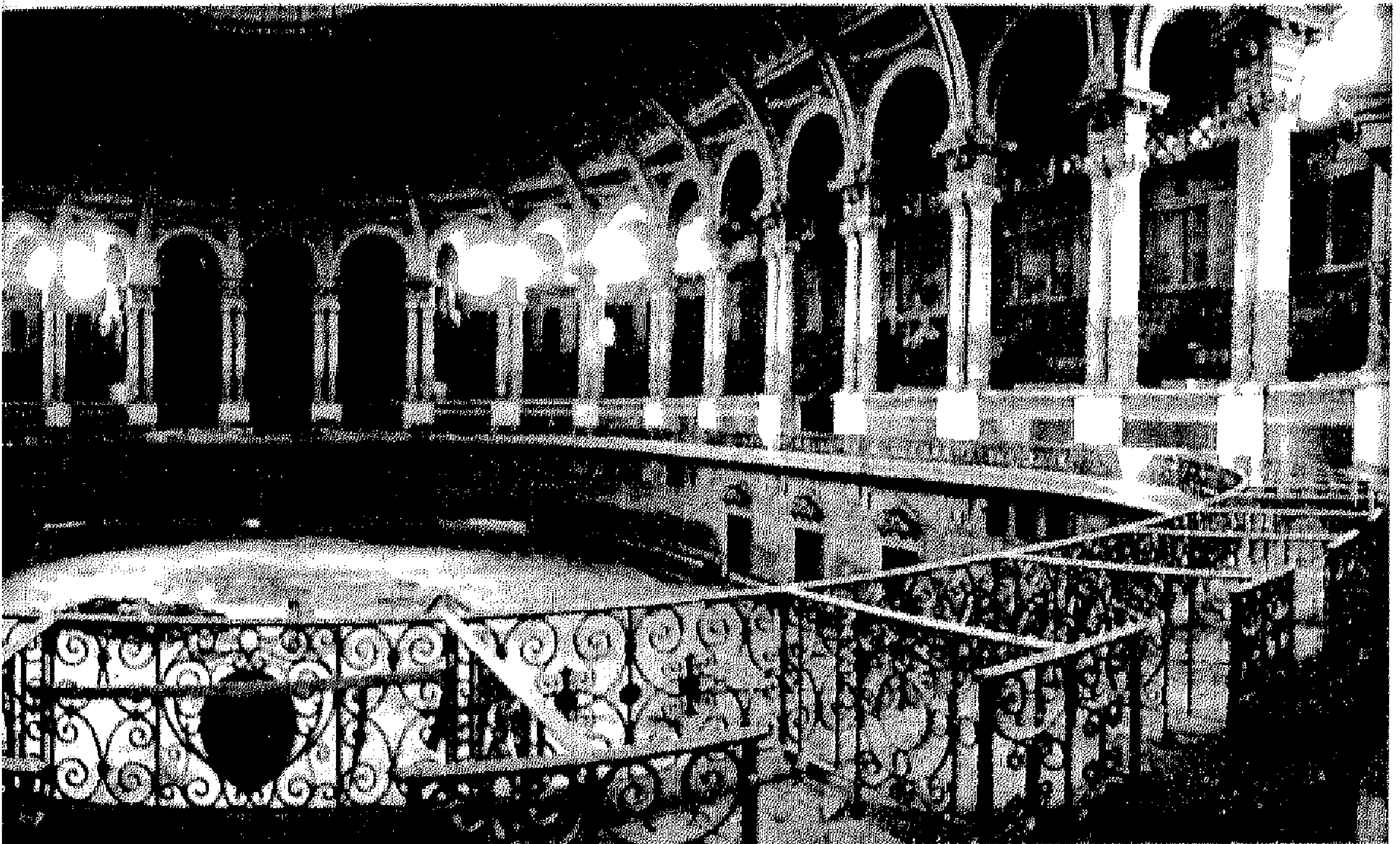
ج.ل.

---

الآداب هي وعي حسّاس لمشاعر الآخرين. فاذا ملكت هذا الوعي فأنت امرؤ ذو أدب، أياً تكن الشوكة التي تأكل بها.

اميلي بوست، خبيرة بآداب السلوك

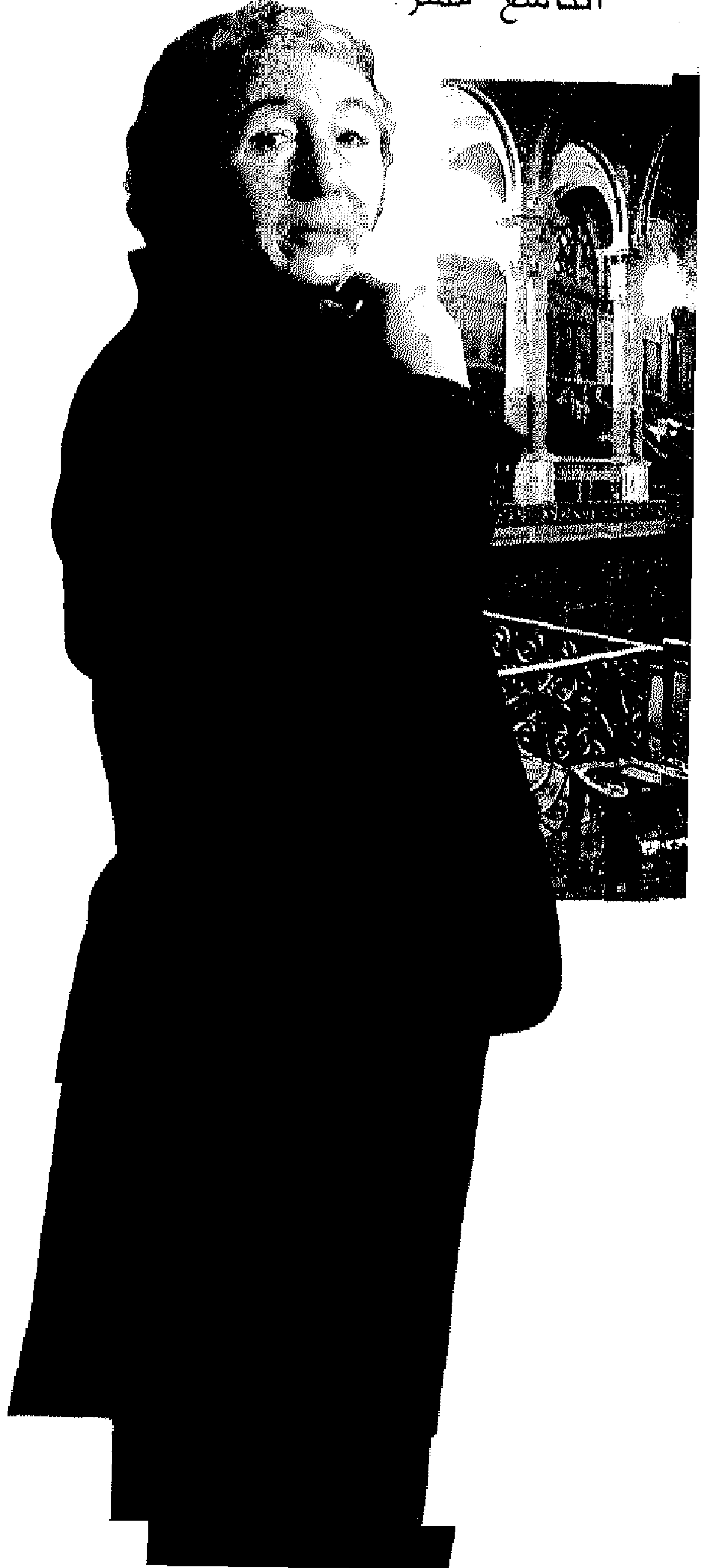
# مهندسة
# شغلت أوروبا




تعمل أولنتي على تجديد قصر مونتجويك الوطني في برشلونة.

**في أقل من عشر سنين**
**ترك أسلوبها الفريد وتجديداتها الفذة**
**أثرا باقيا في تصميم المتاحف**

كانت غاي أولنتي آخر من وصل الى الاحتفال، في منتصف ليلة منعشة من شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٩٨٧ في مدينة ميلانو الايطالية. وقد توافد الضيوف في ملابس حرير عصرية وبذلات أنيقة الى منزل مضيفهم المصمم ماريو بيليني، وهو قصر كبير يعود الى القرن التاسع عشر.



بالنسبة الى الذين لا يعرفون أولنتي - وهذه فرضية مستحيلة في مجموعة من المهندسين والمصممين المجتمعين عشية معرض ميلانو الدولي للمفروشات - كان يمكن دخولها الهادئ أن يبدو غريباً. كانت ترتدي تنورة قاتمة ذات مربعات غير عصرية وسترة فضفاضة زرقاء وخفين مسطحين. ولفتت النظر فور دخولها. وفي الحقيقة، يبدو أنه أينما حلت مهندسة ايطاليا التي يكثر الحديث عنها، فانها تحدث عاصفة من الجدل.

همس أحد الضيوف: "ان أسلوب غاي هو أن تأتي متأخرة. فهي دائمة الانشغال." واصطفّ ضيوف آخرون ليسلموا عليها ويهنئوها على تجديدها قصر بيليني ويقدموا اليها المديح على تحويلها "غار دورسي"(١)، وهي محطة قديمة للقطار في باريس "متحف دورسي." ففي صباح اليوم التالي كانت أولنتي ستطير الى باريس حيث سيقلدها الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران "وسام الشرف" من رتبة فارس تقديراً لمساهمتها في احياء التراث الفرنسي. كانت واحدة من المهندسات القليلات اللواتي لقين هذا التكريم.

قالت بعد بضعة أيام وهي تتحدث عن مشروع "غار دورسي" الذي بدأته عام ١٩٨٠: "ان النظر الى ما تحقق خلال السبع السنوات الاخيرة يبدو مدهشاً." ثم أضافت: "ان الاشهر الستة الاخيرة كانت الاكثر إرضاء والاكثر ايلاماً."

ان تصنيفها في "العصبة العالمية للمهندسين" قد يقبل الجدل، أما

(١) Gare d'Orsay



"غار دورسي" بعدما حولته أولنتي "متحف دورسي."

شهرتها فثابتة. ولكل فرد رأيه في أولنتي البالغة الحادية والستين من العمر. كثير من الرجال الفرنسيين يتحولون نقاداً لاذعين عند ذكر اسمها، مدعين أنها جلبت السخرية الى مَعْلم "غار دورسي" الذي يعود الى القرن التاسع عشر والذي صممه فيكتور لالو. لكن كثيراً من الايطاليين يدافعون عنها بحماسة وغيرة لانها مواطنتهم. أما الاسبان فبعدما شاهدوا انجازها الاخير في برشلونة يمكن اعتبارهم من محترميها... ولكن بحذر.

**موهبة فذة.** يدعي النقاد أن عمل أولنتي هو أساساً الترميم الداخلي. وفعلا، باستثناء المساكن الخاصة لم تصمم أولنتي أي مبنى جديد على الاطلاق. ولكن في أقل من عشر سنين تركت أثراً مميزاً في تصميم المتاحف الاوروبية لم يسبقها اليه أحد، وهو قصة نجاح شخصية تزامنت ومشاريع لاحياء المتاحف في العالم أجمع.

ومع ازدياد اهتمام الناس بالفن على نحو مثير تغير مفهوم الدور التقليدي للمتحف كمؤسسة ثقافية خاملة. فشهدت متاحف كثيرة ترميمات رئيسية واعادة بناء. فيعمل ريتشارد ماير، مثلا، على تشييد بناء جديد لمتحف "غيتي" في لوس انجلس. ويرمم إ. م. باي حالياً قسماً من متحف "اللوفر" في باريس.

بينما يعمل روبرت فانتوري على توسيع متحف "ناشونال غاليري" في لندن. وقد كلفت أولنتي تجديد أربعة متاحف منذ العام ١٩٨٠: متحف دورسي، ومجموعة المعارض الدائمة في مركز بومبيدو في باريس، وقصر غراسي في البندقية، ومشروعها الاخير قصر مونتهوش الوطني(٢) في برشلونة.

وفيما الالتزامات والعقود تتلاحق، أسرع نقاد أولنتي الى الاشارة الى أن سجلها لا يشبه سجل ماير أو باي، بل هو ينبع من بيئة ميلانوية محدودة انتقائية وفريدة. لكن أولنتي اجتذبت لفترة طويلة مؤيدين مهمين من بينهم جيوفاني أنييلي رئيس شركة "فيات" الذي كلفها ترميم قصر غراسي الذي تملكه الشركة وتصميم مستجَمّ للتزلج له في سان موريتز بسويسرا. يقول أنييلي: "التقيت غاي قبل ٣٠ سنة. ومنذ ذلك الوقت اتضح لي انها ستكون شخصية مهمة وموهبة فذة."

وعلى رغم أن غاي ينقصها السجل المعماري المصطلح عليه فأنها ليست دخيلة على الساحة العالمية اطلاقاً. يقول رنزو بيانو وهو مهندس معماري ايطالي اشترك في تصميم مركز بومبيدو في السبعينات: "عندما شرعت غاي في أعمال ضخمة مثل أورسي أتتها شهرة واسعة. لكن كفايتها تعود الى سنوات من العمل اليومي في كل الميادين. انها تعرف الفن، وقد طوّرت أسلوباً عملياً."

بالنسبة الى أولنتي لا علاقة لتصنيف التصميم بالموضوع: "من غير الممكن تحديد أسلوب ما في عملي." والموضوع الأكثر أهمية هو انسجام تصميم ما مع العمل الفني الذي سيتكيف واياه. نظرياً، هذا الاتحاد الذي تسميه أولنتي "الشرط المزدوج" لتجديد هندسة المتاحف يجاور بين عناصر الماضي والحاضر.

**مهندسة وفنانة.** على رغم أن أولنتي قلما تذعن لناقديها فهي ترد الضربة في حينها. تقول في ردود الفعل على موضوع "غار دورسي": "ان الفرنسيين ليسوا متطورين في تفكيرهم الهندسي، اذ انهم عادة يعارضون كل جديد في تصميم المباني. ففي باريس كانت الصحافة قاسية جداً في نقدها لعملي، ولكن كان هناك أكثر من ١٢ ألف شخص يقفون يومياً في الطابور ينتظرون دورهم للدخول."

في العام ١٩٧٨ صدر قرار رسمي يقضي بتحويل "غار دورسي" متحفاً، فكانت منافسة محدودة، أوكل المشروع الى شركة «ACT» الهندسية الباريسية. ثم أجريت مباراة أخرى لاعادة تجديد المبنى من الداخل اشتركت فيها أربع شركات معروفة عالمياً، ففازت أولنتي. يقول ميشال لاكلوث، وهو الآن رئيس متحف اللوفر والعقل المدبر لفكرة المتحف الجديد: "أولنتي تفهم الفن كما تفهم الهندسة المعمارية."

كانت مهمة أولنتي وموظفي المتحف مربكة. انه مشروع بقيمة مليار و٣٦٠ مليون فرنك لترميم محطة قطار وفندق بمساحة ٣٥ ألف متر مربع لاستيعاب

(٢) Palacio Nacional de Montjuich

٢٣٠٠ زيتية ومائية و٢٥٠ لوحة باستيل و١٥٠٠ منحوتة و١١٠٠ قطعة فنية و١٣ ألف صورة فوتوغرافية تعود الى القرن التاسع عشر. يقول لاكلوت: "وضعنا برنامجاً يحدد مكان كل قطعة وتناقشنا في خططنا يومياً لمدة سنتين، وقد تخللت أحاديثنا بعض المناقشات الحامية. وأذكر أن غاي في نهاية أحد الايام الشاقة نظرت الي وقالت: "متعب للمرء أن يضطر دائماً الى أن يكون قوياً."

**ثقافة متنوعة.** نشأت غاي أولنتي في بلدة بييلا في شمال ايطاليا حيث كان والدها يعمل مستشاراً في ادارة الاعمال. وتتذكر: "كان أهلي يريدونني حقاً أن أكون فتاة مجتمع لطيفة. لكنني كنت متمردة، فالتحقت بمدرسة للفن المعماري." وفي السن الخامسة والعشرين تخرجت أولنتي في مدرسة ميلانو للهندسة المعمارية حيث كانت واحدة من الاناث القلائل في الصف. وفي العام ١٩٥٧ عملت في مجلة "كازابيلا" في ميلانو وهي مجلة طليعية عن الفن المعماري، حيث بقيت في قسم التحرير قرابة عشر سنين.

خلال بحث أولنتي وزملائها المعماريين الميلانويين عن اسلوبهم الجديد وهويتهم الخاصة، توصلوا الى معرفة ثقافية متنوعة. تقول أولنتي: "في ايطاليا تسير النظرية والتطبيق جنباً الى جنب، يطلب منا أن نتعلم كل وجوه التصميم، اضافة الى الفلسفة والتاريخ والفن والموسيقى. نحن نعتبر دائماً أن عملية التلقيح بين فروع المعرفة مهمة جداً."

عندما كانت أولنتي تصمم متحف "دورسي" مثلا قصدت صديقاً قديماً هو المؤلف الموسيقي سلفاتوري شيارينو بغية الافادة من وجهة نظره. تقول: "الموسيقى والفن المعماري يعتمدان المنطق والشكل. والتعرف الى طريقة عمله ساعدتني في تصميمي."

**بدوية.** بدأت أولنتي عملها في أواسط الستينات عندما كانت ميلانو مركزاً للتصاميم الخلاقة. وكانت واحدة من مصممات الاثاث المختارات في ايطاليا. كما انها أوجدت تصاميم لمسارح دور الاوبرا الكبرى في اوروبا. تقول: "انها تجربة غنية، لان التصميم المسرحي يجبرني على مواجهة تعقيدات معمارية بطريقة مختلفة."

في سنواتها الاولى كمهندسة معمارية كانت الاعمال تأتيها من أصدقائها. أحد أوائل أعمالها كان تصميم مبنى قرميدي من طبقتين يحتوي على اسطبلات وعلى جناح للسكن، يخص ايلينا كوماني التي تعمل حالياً مديرة لمكتب أولنتي. بعد ذلك أشرفت أولنتي على اعادة تصميم حديقة من القرن الثامن عشر في ضاحية قرب فلورنسا يملكه مصمم الازياء اميليو بوتشي.

أما منزل أولنتي الخاص الذي صممته بنفسها فمتعدد السطوح، يحوي جناحاً للسكن ومكتباً ويقع في "بيازا سان ماركو" في ميلانو. يحتوي القسم المخصص للسكن على اريكات مريحة وتحف فنية. وتقود سلّم معدنية الى حجرة للجلوس وحديقة على السطح.

ومع أن أولنتي تزوجت مرتين فانها تعيش الآن وحيدة، وإن تكن ابنتها جيوفانا بوزي وحفيداها يزورونها دائماً.

يعم المكتب جو عائلي. وفريق العمل المؤلف من ١٣ مهندساً معمارياً موزع حالياً: "يعمل ثلثاهم في مكتب ميلانو والباقون في برشلونة. وتقسم أولنتي وقتها بين المدينتين.

**الانوثة لا تمنع.** تعمل أولنتي في برشلونة على نطاق واسع. فقد بني قصر مونتهوش الوطني النيو - كلاسيكي الضخم ليكون مكاناً احتفالياً للمعرض الدولي عام ١٩٢٩. وفي السنوات اللاحقة كان يحوي متحف كاتالونا للفنون. وعندما ينتهي تصميم أولنتي ستصبح مساحة المعرض ١٨ الف متر مربع تعرض فيها آثار فنية وزخارف من القرن الثاني عشر الى اليوم.

لكن الاسس ضعيفة والمبنى كله في حاجة الى ترميم. تقول جوان سوريدا مديرة متحف كاتالونا: "من الناحية المعمارية، المشاكل القائمة تشبه مشاكل متحف دورسي الباريسي. لذلك وجدنا في غاي الاختيار الطبيعي كمهندسة معمارية. انها تفهم الابنية القديمة."

وفي حين تحاول أولنتي الابقاء على أصالة المظهر الخارجي فان الاقسام الداخلية ستتغير جذرياً. وستقسم مساحة ٥٠٠٠ متر مربع من ساحة مقببة، طبقات ومنصات للعرض يخصص كل منها بعهد مختلف.

بدأت أولنتي وفريقها العمل على هذا التصميم في أواخر العام ١٩٨٥. وهي تسترشد في عملها بخطة وضعها أمناء المتحف وتراجع دائماً الخرائط التي تظهر المكان الصحيح لكل قطعة فنية. وتقول: "نحن ندرس كل عصر على انفراد ونقدر المساحة المطلوبة، ثم نصمم الجزء المحيط بكل قطعة فنية، هذه هي الطريقة الوحيدة التي توحد بين الفن والهندسة المعمارية."

عرفت برشلونة منذ القدم بدعمها للفن المعماري المتطور لكن أولنتي ستكون المهندسة المعمارية الانثى الاولى التي تترك أثراً في المدينة. لم تعتبر أولنتي يوماً أن الانوثة معضلة: "هناك كثير من المهندسات المعماريات الموهوبات، ولكن يظهر أن معظمهن يرتبطن بالرجال. لقد عملت دائماً لنفسي. وكان ذلك تثقيفاً كبيراً لي."

ويقول جيوفاني أنييلي: "كانت أولنتي ستواجه رد الفعل ذاته والحسد ذاته من زملائها لو كانت رجلا. لقد أثارت حولها جدلا لأنها ناجحة جداً، وهذه هي مشكلتها الكبرى حالياً."

كارول فوغل ■

---

المعلم العظيم لا يجهد نفسه لشرح رؤياه، بل يكتفي بدعوتك ببساطة الى الوقوف بجانبه لكي تنظرها بنفسك.

ر.ا.و.

# المشاهير والنساك

## يا له من عصر ترى المشاهير فيه يكشفون كلّ تفاصيل حياتهم

على الطريق التي تؤدي الى ساحل المحيط الهادىء يمرّ قطار عبر جبال ولاية يوتا. وفي سفح أحد هذه الجبال كهف صغير يؤوي ناسكاً.

ولقد لفتني إليه قاطع تذاكر أمضى سنين وهو يجوب تلك الطريق في القطار، إذ قال لي: "لا أعرف اسمه، لكنه تناهى إلى مسامعي أنّه كان يعيش في إحدى المدن ويشغل وظيفة ناجحة. وقبل بضع سنوات تخلّى عن ذلك كلّه. واني رأيته يخرج من كهفه عندما يمرّ القطار في محاذاة الجبل. فيقف هناك ويتفرج من دون أن يومىء إلينا أو يأتي حركة."

واقترح عليّ صديق كنت أسافر في صحبته: "لمَ لا تنزل من القطار في طريق العودة وتستأجر سيارة وتذهب لاجراء مقابلة معه؟ قد تأتينا برواية مدهشة، فالنسّاك الحقيقيّون باتوا نادرين."

تأملت الأمر ملياً ثم أدركت أنها فكرة سيّئة، ليس لأنني شككت في أنها ستثمر قصة شائقة، بل لأنني فطنت إلى عواقبها. فلو أجريت المقابلة لرأيت جحافل من الصحافيين والمصورين التلفزيونيين يحذون حذوي ويتسلّقون الهضبة بعناء طالبين معرفة السبب الذي جعل الرجل يفضّل الكهف على البيت الفخم. ومن يدري؟ لربّما انهالت عليه بعد ذلك عروض لنشر كتاب عن سيرته. وقد ينتهي الأمر بصديقنا المسكين إلى الظهور في إحدى المجلات التي تنشر أخبار المشاهير. ومن يقدّر عاقبة ذلك؟ ربما آل به الأمر إلى عالم الفن أو إلى عالم الدعاية والاعلان.

لا، لن أجازف باجراء المقابلة، فليس هناك عدد كاف من الراغبين في تحاشي الظهور أو التكلّم علناً، ولا يجوز أن نزعج تلك الفئة الضئيلة من الناس. فنحن في أمسّ الحاجة إلى عدد أكبر من النساك وعدد أقل من المشاهير. نحتاج إلى مزيد من الذين يقولون: "لا تعليق،" بدلا من أن يقولوا: "عقدت هذا المؤتمر الصحافي لأعلن نهجي في ما يختص..."

لكننا ويا للأسف نعيش في عصر التشهير بالذات، اذ نرى المشاهير يكشفون جميع تفاصيل حياتهم لكلّ من يصغي إليهم. وتشمل نزعة التشهير بالذات "الصرعات" الآتية:

**صرعة الحب والاطفال.** عندما تحمل إحدى الممثلات، ألا يمكنها أن ترتاح

وتلزم بيتها؟ أهي ملزمة أن تستدعي المصوّرين كي يأخذوا لها صوراً وهي حبلى؟

**صرعة الاستشفاء من ادمان الكحول أو المخدرات.** وهي أكثر الفضائح تداولا. فالممثلة "أ" تعترف بأنها كانت تشرب ليتراً من الجن في اليوم الواحد وستدخل أحد مصحّات كاليفورنيا للتخلّص من الرعشات التي تصيبها. والممثلة "ب" التي لا تريد أن تظهر مظهر المغلوب على أمره تعلن هي أيضاً أنها كانت تشرب ليتراً من الفودكا في اليوم وتبتلع حنجوراً من المسكّنات وستدخل المصحّ نفسه لتعالج زوغان عينيها. وتسمع أيضاً نجم كرة المضرب "ج" يقول إنه يشمّ كليوغراماً من الكوكايين في اليوم الواحد وسيدخل المصح ليفيق من ذهوله.

ربّاه! لمَ لا يلازمون الفراش كلّهم صباح يوم أحد ويرثون لحالهم بصمت كأي شخص آخر؟

**صرعة المذكرات.** لا بدّ من أن هذه أسوأ الصرعات، خصوصاً عندما يبدأ النجوم الذين تقدموا في السن الكتابة عن كلّ من التقوه لحظات، أو عندما يبدأ أولاد النجوم يشرحون في منكّراتهم سوء معاملة آبائهم وأمهاتهم لهم. ان قراءة مثل هذه الكتب تجعلك تتمنى لو أدّت حقارة أولئك الآباء والامهات إلى رمي أطفالهم من النافذة.

لا شك في أن السبب الذي يحدو المشاهير على التشهير بأنفسهم هو أن التشهير أصبح يلقى سوقاً رائجة.

فلنأخذ مثلا كتاباً ألّفته زوجة الفيس برسلي السابقة وبيعت منه ملايين النسخ. وتتساءل لمَ التهافت على شرائه. الجميع يعلم اليوم أن برسلي أدمن المخدّرات حتى الموت وأنه عاش حياة غريبة وأطلق العنان لأهوائه وشهواته. لكن الكتاب يلقى رواجاً لان السيدة برسلي تسرد فيه تفاصيل حياتهما الحميمة. وترى أولئك الذين لم يقرأوا كتاباً منذ انهائهم المرحلة الابتدائية يتلهّفون للنظر عبر نافذة برسلي الضيقة.

نعم، يمكنني أن أتفهم حاجة المرء الى اقتسام هذه التفاصيل الحميمة مع شخص آخر، ربما مع صديق على فنجان قهوة. ولكن أيقتسمها مع ألوف الغرباء؟ أتستدير أنت نحو الشخص الجالس إلى جانبك في الحافلة وتسأله: "هل أخبرك بما نفعله أنا وزوجتي؟"

ما نحتاج اليه في عصرنا هو المزيد من النسّاك. وقد يكون هذا الاسراف في التشهير بالذات هو الذي حدا صاحبنا في ولاية يوتا على أن يصبح ناسكاً. فهو أيضاً لم يعد يحتمل الاصغاء الى المزيد.

مايك رويكو ■

# العنف في المدارس



**يؤكد عالم نفساني أسوجي رائد أن للعنف بين الاطفال نتائج مدمرة تتجاوز سن الطفولة**

□ في ضاحية من ضواحي إستوكهولم عاصمة أسوج (السويد) خرج بيتر، البالغ من العمر عشر سنين، من مدرسته وقفز الى دراجته. واذ بولدين من عمره يثبان من وراء عليقة ويدفعانه عن دراجته ويرميانه أرضاً. اختطف أحدهما نظارتيه بعنف، ولف الآخر ذراعه خلف ظهره. ولما اقترب معلم فرّا تاركين بيتر متكوماً على الارض وهو ينشج.

□ في دوسلدورف بألمانيا الغربية كان ايمانويل البالغ من العمر ثلاثة عشر عاماً يسير في ملعب المدرسة عندما قبض عليه فجأة ثلاثة طلاب أكبر منه سناً. وفيما ثنى أحدهم ابهامه طلب الآخر مالاً، فأذعن ايمانويل. وذات يوم عندما رفض اعطاءهم المال تناوبوا على رفسه ثم جروه في الملعب وهو يبكي وألقوا به في صندوق نفايات.

ان اعتداءات كهذه تحدث يومياً في أروقة المدارس وملاعبها في أنحاء العالم. وينزع المعلمون والآباء الى التغاضي عنها. فهم يشعرون بأن "الاستئساد" ليس الا طوراً يمر به الاولاد.

أما البروفسور دان اولويوس، العالم النفساني الاسوجي البارز والمحاضر في جامعة برغن في النروج، فيزعم أن الامر ليس كذلك. ودراساته المتطورة عن مستأسدي المدارس في أسوج وضحاياهم، التي بدأها في العام ١٩٧٠ وهي تشمل مقابلات مع مئات من الاساتذة والاهلين وألوف الاولاد، جاءت بمفاجئات عدة. والامر الاكثر اقلاقاً هو أن للاستئساد تأثيرات مدمرة تتجاوز سنوات الدراسة، على المستأسد والضحية معاً. "أن تكون مستأسداً في مدرسة خطوة أولى وقوية للتصرف الاجرامي والمشاكل الكحولية في المستقبل." هذا ما يقوله اولويوس الذي برهن أن أربعين في المئة من أولئك الذين أثبت أنهم مستأسدون قد حُكم عليهم بثلاث جرائم على الاقل وهم في الرابعة والعشرين من العمر. وهذا العدد من الجرائم هو أربعة أضعاف ما يقترفه غيرهم من تلاميذ المدارس.

**مرض متفشّ.** بدأ ليونارد إرون، من جامعة ايلينوي، دراسة في العام ١٩٦٠ متتبعاً مسار ٨٧٥ تلميذاً من السن الثامنة حتى بلغوا الثلاثين. في السن التاسعة عشرة ترك المدرسة التلاميذ الذين كانوا أكثر تعدياً من سواهم وهم أطفال، وكانت لهم سجلات اجرامية. وفي الثلاثين نزع الذين كانوا اعتدائيين وهم في الثامنة من العمر الى تنشئة اطفال اعتدائيين أيضاً، محدثين حلقات مؤسفة من الفساد.

ان النتيجة دمار الضحايا والمستأسدين بالتساوي. يقول أولويوس: "انهم يعانون البؤس سنوات، وشخصياتهم مجروحة أبداً."

وفي الاحوال القصوى قد تكون للمضايقة نتائج محزنة. في العام ١٩٨٢، عندما انتحر ثلاثة أولاد تراوح أعمارهم بين العاشرة والثانية عشرة في شمال النروج، ثبت أن الاستئساد ساعد في موتهم. وفي العام ١٩٨٥، في اليابان، دُفع تسعة طلاب دون الرابعة عشرة من العمر الى الانتحار في سنة واحدة، أحدهم صبي هادىء تحرش به باستمرار سبعة من رفقاء صفه. ضربوه وجعلوه يبتلع حشائش كريهة وحليباً ممزوجاً بمادة مطهرة. وعقدوا حبلا حول عنقه وطافوا به كحيوان أليف. أخيراً شنق نفسه يأساً. وعندما أُوقف معذبوه قالوا انهم لم يقصدوا الا "المداعبة."

الاستئساد مشكلة تمس عشرات ألوف الطلاب في أنحاء العالم. وفي دراسات حديثة شملت أكثر من ١٥٠ ألف طالب أسوجي ونروجي، اكتشف البروفسور

أولويوس أن سبعة أو ثمانية في المئة من تلاميذ المدارس الابتدائية هم مستأسدون وأن عشرة في المئة هم ضحايا. وهذا يعني أن نحو ١٤٠ ألف ولد في أسوج وثمانين ألفاً في النروج هم متأثرون.

وفي العام ١٩٨٣ في الولايات المتحدة الامريكية أظهر مسح أجرته الجمعية الوطنية لرؤساء المدارس الثانوية أن الهم الاعظم للتلاميذ في المدارس كان الاستئساد. وفي العام ١٩٨٥، في اليابان، قدر أن هناك مستأسداً في واحد من كل ثلاثة صفوف في المدارس الابتدائية والثانوية البالغ عددها نحو ٤٢ ألفاً. ويقول كازوكو فوكايا العالم النفساني السريري والاستاذ في جامعة غاكوجي في طوكيو: "هذا يدل على أن المرض متفش بين اولاد اليابان."

**عنف مشؤوم.** كان أولويوس خبيراً في دراسة العدائية ومديراً لمؤسسة "اريكا"، وهي معهد تدريبي لطب الاطفال النفساني السريري في استوكهولم، عندما قرر في أوائل السبعينات أن يبحث في تأثير الاستئساد على الصغار وعلى ضحاياهم. وصدم بالمعدل المرتفع للاجرام في أسوج الى ثلاثة أضعاف ما كان في السنوات العشرين السابقة، ورأى امكان وجود صلة.

يتذكر أولويوس، وهو والد ابنتين راشدتين: "عندما بدأت في أسوج كان العنف في المدارس موضوع بحث محرّماً. وقد قال المعلمون والمديرون انه لم تكن لديهم مشاكل من هذا النوع."

أما اولويوس وباحثوه فاكتشفوا أن "الاستئساد ليس وحده مشكلة، بل ان الاولاد أنفسهم كانوا يهاجمون الآخرين تكراراً. ووجدنا أيضاً أن الضحايا سيكونون على الارجح ضحايا بعد سنوات."

وكان لأولويوس في أيامه المدرسية صديق كان هدفاً للاستئساد. يقول أولويوس متذكراً اعتداءات عدة: "ان تلك الاحداث سهلت لي الشعور مع الضحايا، وأظهرت أنهم لا يستطيعون حل هذه المشاكل بأنفسهم."

ويوضح البروفسور: "ليس كل نزاع بين الاطفال استئسادا. الاستئساد هو مضايقة شخص واحد أو أكثر للآخرين تكراراً وعلى مدى وقت طويل."

قد يكون الاستئساد هجوماً، كالدفع أو الضرب أو الرفس، وهو الشكل الاكثر شيوعاً في الصفوف الدنيا وبين الصبيان. أما الفتيان الاكبر سناً فيستعملون غالباً أساليب أكثر شؤماً. علّق بريطانيان مراهقان رفيقاً لهما من رسغي قدميه على علو خمسة عشر متراً مهددين اياه بتركه يسقط. وفي ألمانيا الغربية حجزت جماعة من الفتيان صغيراً في التاسعة من عمره في المرحاض، وأمسكوا برأسه وغطسوه في الحوض وجذبوا سلسلة السيفون فراح يشهق طالباً الهواء.

أما في الصفوف العليا، وبين الفتيات، فتأخذ المعاملة السيئة شكلا شفوياً أكثر، كنعت غير لائق. قد يغيظ الطلاب بعضهم بعضاً بما يقولونه عن الملابس أو عن صفات جسمانية غير عادية، أو عن غرابة في التكلم أو اللهجة. وقد يخفون ممتلكات شخصية أو يتلفونها.

**اسباب الاستئساد.** من هم هؤلاء الاولاد الذين يروّعون أقرانهم؟ ولماذا يفعلون ذلك؟

وفقا لاكتشافات أولويوس، ينزع الفتيان المستأسدون الى أن يكونوا أقوى من أترابهم الذين هم في سنهم (وذلك أقل حدوثاً بين الفتيات). وهم ينظرون الى ضحاياهم كمن لا قيمة لهم. ومما يحيّر أن لهم نظرة ايجابية معتدلة الى أنفسهم، وهو اكتشاف يحطم الظن السائد أن الاستئساد هو تعويض للشعور بعدم الامان.

ان الاسباب التي تجعل الصغير يستأسد تعود في معظمها الى الطريقة التي يعامل بها في البيت. اذا ما كانت علاقاته المبكرة بوالديه واهية، واذا ما أظهرا هما اهتماماً قليلا به، فهو على الارجح سينتهي فتى مستأسداً. واذا لم يضع الاهلون قواعد واضحة تحدد تصرف ولدهم الاعتدائي، فهذا التصرف سيستمر على الارجح. أما الاهلون الذين يستعملون القصاص الجسماني فهم أيضاً يزيدون من احتمال صيرورة ولدهم مستأسداً.

يقول أولويوس: "ان الابوين الغيورين اللذين يضعان قواعد واضحة يكون لهما غالباً أولاد غير اعتدائيين، مستقلون ومنسجمون مع محيطهم." وان برامج التلفاز العنيفة وافلام الفيديو تزيد هي أيضاً من النزوع الى الاستئساد.

من جهة ثانية، يكون الضحايا غالباً أضعف جسمانياً من المعدل، قلقين، غير واثقين بأنفسهم. ويشرح أولويوس: "انهم يرون أنفسهم كمن لا قيمة لهم، غير جذابين، وغير ناجحين، وكأنهم يبعثون باشارات صامتة تقول: أنا غير خطِر، يمكنك أن تهاجمني."

**ما العمل؟** مع أن أولويوس أجرى جميع أبحاثه في أسوج، ففي النروج وضع كل اكتشافاته قيد الاستعمال. فانتحار ثلاثة فتيان في العام ١٩٨٢ حرك وزير التربية النروجي، فنظم في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٣ حملة وطنية واسعة على الاستئساد بلغت تكاليفها مليون كرونر (١٥٠ ألف دولار).

بمساعدة أولويوس وُضع برنامج تدخل اصلاحي متطور، من أدواته كتيّب باثنتين وثلاثين صفحة يظهر للمعلمين كيف يعالجون الاستئساد في الصف وفي ساحة المدرسة، ونشرة وزعت على ٦٠٠ ألف من أولياء تلاميذ المدارس الابتدائية تشرح لهم كيف يساعدون المستأسدين والضحايا معاً.

ولما كان هناك أهلون كثيرون يستطيعون كبح التصرف الاستئسادي أو منعه، قدم أولويوس الاقتراحات الآتية في كتابه "مشاكل المستأسدين والضحايا - ماذا نعرف وماذا يمكننا أن نفعله":

□ ضعوا قواعد عائلية وواظبوا عليها. كتب أولويوس: "اذا ما تعلّم الاولاد الطاعة في المنزل فستكون الطاعة أسهل في المدرسة." ومتى اتبعوا القواعد فأظهروا لهم استحساناً، أما اذا لم يتبعوها فليكن هناك بعض القصاص غير الجسماني، كحرمانهم امتيازاً أو خفض مصروف جيبهم.

□ شجعوا الصغار على البحث عن نشاطات في أوقات الفراغ. الرياضة

جيدة، خصوصاً لان الاولاد يتعلمون أن يلعبوا ضمن قواعد. والتدريب الجسماني يرفع أيضا ثقتهم بأنفسهم بحيث لا "يستجلبون" المضايقة.

□ أقضوا وقتا اكثر مع أولادكم. ابحثوا عن النشاطات التي تستطيعون مشاركتهم فيها، كالرياضة والهوايات والنزهات وزيارة مواقع محلية.

□ على ذوي الضحايا أن يساعدوا أولادهم على التفاعل مع أقرانهم، فيشجعوهم على دعوة صديق الى طعام أو الى قضاء ليلة أو الى رحلة عائلية.

□ قاوموا النزوع الى أن تكونوا وقائيين وحُماة أكثر من اللزوم، وادعموا سعي أولادكم الى الاستقلال.

يقدم أولويوس في كتابه أيضاً برنامج تدخل اصلاحي لاساتذة المدارس:

□ على المعلمين أن يوضحوا أن الاستئساد غير مسموح به، واذا ما حدث فيجب أن يكون العقاب غير جسماني. أما اذا لم يتدخل المعلمون فسيُعتبر ذلك اشارة استحسان.

□ عينوا مشرفين راشدين كافين للمراقبة في أوقات الاستراحة ولكتابة تقارير عنها. واجعلوا ملعب المدرسة أكثر تشويقاً، بزيادة تجهيزات وتنظيم مباريات ونشاطات أخرى، لان الاستئساد يزداد مع الملل.

□ ابحثوا في موضوع الاستئساد اثناء الصف. ويلاحظ أولويوس: "ان هذا يضغط اجتماعياً على المستأسدين ليوقفوا تصرفهم."

□ أقيموا خطاً هاتفياً خاصاً للاتصال بعالم نفساني في المدرسة أو بمعلم أو مرشد اجتماعي، وحضوا الاهلين والاولاد على الاتصال، من غير ذكر الاسم اذا ما أرادوا، لبحث مشاكلهم. في مايو (أيار) ١٩٨٥ أنشأت شرطة طوكيو خطا هاتفياً "ساخناً"، وتلقت ١٢٤١ مكالمة هاتفية في الاشهر الستة الاولى.

كانت للحملة التي شنت في النروج نتائج مشجعة. ولمراقبة فاعليتها أجرى أولويوس مسحاً على ٢٥٠٠ طالب في ٤٢ مدرسة حول برغن، فوجد ان الاستئساد نقص منذ العام ١٩٨٣ اكثر من خمسين في المئة. وفضلا عن ذلك انخفضت أيضاً السرقات الصغيرة، وعمليات التخريب وحالات السكر. وأهم من ذلك أن التلاميذ بدوا أكثر اقتناعاً بحياتهم المدرسية.

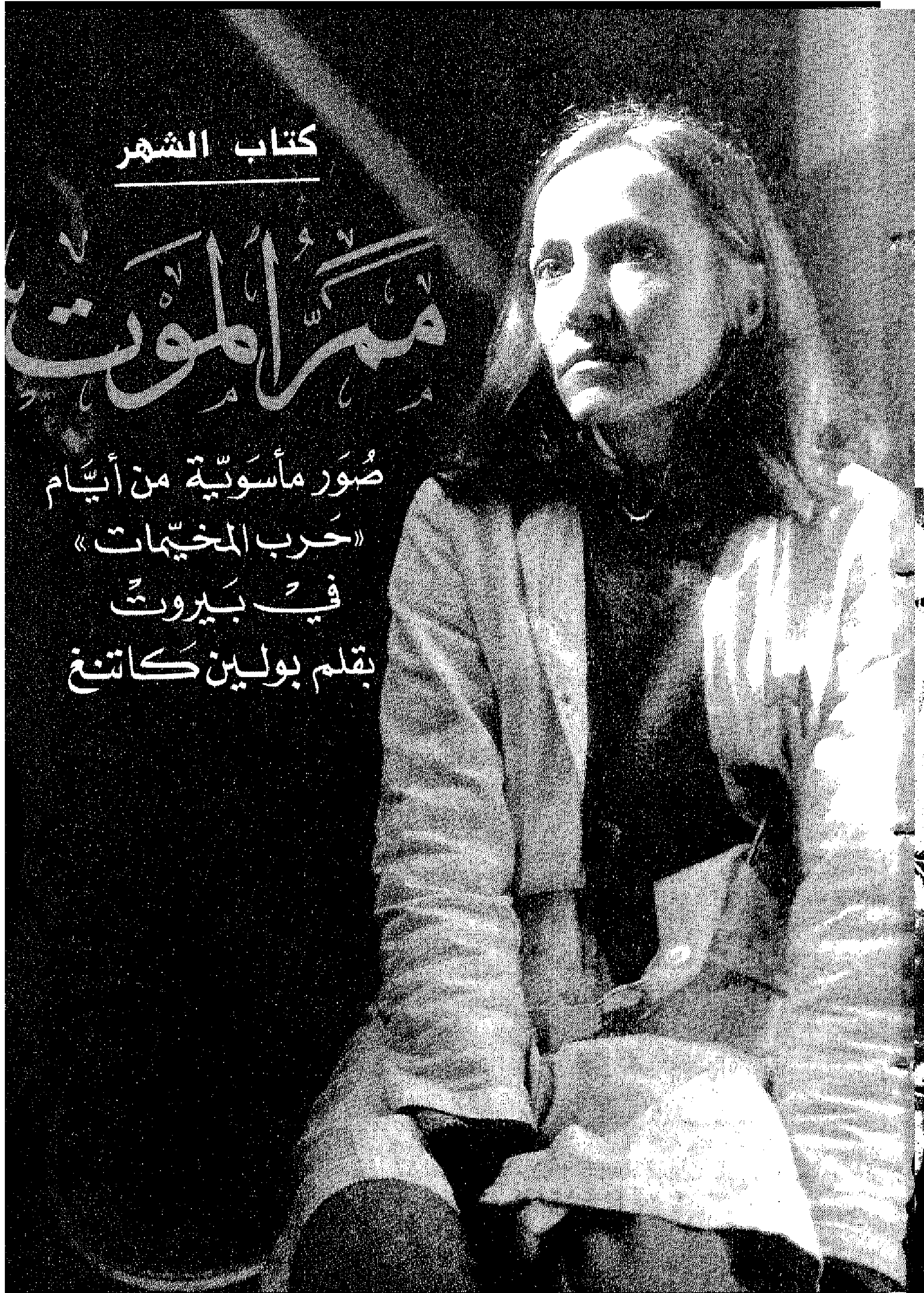
يقول أولويوس: "أنه اذا ما تحقق الاهلون من هذه المشكلة وعملوا مع المعلمين على حلها، فلنا حظ في اعادة الحياة السعيدة الى عشرات الالوف من الاولاد. وهذا حقاً أمل سار."

ديبورا كاولي ■



منذ البداية حارب الناس الطبيعة جيلا بعد جيل. والآن، على امتداد حياة جيل واحد، يتعين علينا أن نستدير ١٨٠ درجة ونغدو حُماة الطبيعة.

جاك ايف كوستو، مستكشف بحري
وكاتب ومنتج افلام فرنسي


كتاب الشهر
ممر الموت
صُوَر مأسَويّة من أيّام
«حَرب المخيّمات»
في بَيروت
بقلم بولين كَاتنغ



# ممر الموت

كان المستشفى المشرف على مخيم للاجئين الفلسطينيين في بيروت رمزاً للعنفوان والتحدي. وعلى رغم اصابته بقنابل المدافع والدبابات وبالصواريخ ورصاص القناصين، وافتقاره الى الادوية والتجهيزات،
فقد أمكن معالجة عدد كبير من المصابين
وكانت اصابات كثيرين منهم خطرة.
وحين ضاق الحصار وجدت الجرّاحة البريطانية المتطوعة
بولين كاتنغ نفسها مهددة بالموت،
ومع ذلك لم تكن نادمة على بقائها في المخيّم.
وسط القذارة والجوع وخطر الموت كانت تشارك سكان المخيم في روحهم العالية وارادتهم الصلبة في الصمود والبقاء على قيد الحياة. وكتابها "أولاد الحصار" هو القصة المثيرة لذلك الكفاح الذي أنقذ حياة كثيرين في احوال تكاد تقرب من المستحيل. انها قصة فريدة في ذاتها تحمل كل معاني الشجاعة والمشاركة والايمان.

في ٢٦ مايو (أيار) ١٩٨٦، منذ الخامسة والنصف صباحاً، تعرض مخيّم اللاجئين في برج البراجنة ببيروت الغربية للهجوم. حتى في الطبقة التحتية للمستشفى كنا نسمع أصوات الطلقات النارية والانفجارات. وبصفتي الجرّاحة الاولى كان علي اتخاذ قرار مؤلم.

لم نكد ننتهي من اجراء جراحات لأربعة من المدافعين الفلسطينيين المصابين ونجلس لتناول الشاي العربي المحلّي، حتى أُدخل جريحان في حالة الخطر الشديد. كان أحدهما، ويدعى فادي، مصاباً بجروح في بطنه وفي جنبي صدره. وكان تنفسه مخنوقاً وهو يتلهف لاستنشاق الهواء. أما خالد الجريح الآخر، فكان اسوأ حالاً، واقتضى أن يتنفس بواسطة أنبوب وكيس تهوئة كان يضغطه ديرك فان دوبين الطبيب البلجيكي الشاب.

كانت لدينا غرفة عمليات صغيرة واحدة وآلة تخدير واحدة وطبيب تخدير. لذا كان علينا اجراء الجراحات افرادياً. وكان الجريحان على شفا الموت، وربما أمكنني انقاذ احدهما. ولكن أيهما أنقذ؟ علي أن اتخذ قراراً فورياً.

قرّ رأينا على انقاذ فادي لانه أوفر حظاً في النجاة، اذ كان تنفّسه ذاتياً. ودامت الجراحة ست ساعات وكانت أول اختبار لي في معالجة جروح الرصاص والشظايا المعقدة. ولكن لم يكن ثمة مجال للتردد. فاستأصلنا طحال فادي واحدى كليتيه وقطّبنا ثقباً في الشريان الأبهر وآخر في الامعاء، ورأينا تمزقاً في الحجاب الحاجز. وتوقف قلب فادي مرتين خلال العملية، فأعدنا خفقانه بالتدليك. وحقنّاه خمسة ليترات دماً فبقي حياً.

لكن خالداً توفي، فشق ذلك كثيراً على الدكتور ديرك اذ شعر بأنه لم يعمل كفاية لانقاذه. فحين أدخل الجريحان المستشفى أعطي فادي أنبوب الاوكسيجين الوحيد لدينا بسبب الجرح في صدره.

وقد لاحظ خالد ذلك فقال محشرجاً: "تريدونني أن أموت؟" ثم انهار وفارق الحياة. ومع علم ديرك بما يقرب اليقين أنه لم يكن في الامكان انقاذ حياة خالد، فانه أبى أن يتعزى.

استقبلنا خلال ثلاثة أيام ما يزيد على ٥٠ جريحاً، كثيرون منهم في حالة الخطر الشديد وأربعة منهم توفوا قبل الوصول الى المستشفى. وبلغ مني الارهاق حداً لم أعد معه قادرة على أن أتذكر أيهم أجريت له جراحات في الليل وأيهم في النهار. واذا بالدبابات تتمركز وتضرب حصاراً حول المخيم. وفي ٣١ مايو (أيار) استيقظت باكراً

---

ولدت الكاتبة عام ١٩٥٣. ودرست في جامعة ليفربول ببريطانيا. وبعد نيلها شهادة عضوية الكلية الملكية للجراحين عملت مستشارة في مستشفى ميدواي في غيلينغهام. وقبل سفرها الى لبنان كانت طبيبة في قسم الحروق والجراحة التجميلية في مستشفى كوين ماري في سوثمبتون. وكثيرون ممن ورد ذكرهم في كتابها لا يزالون مقيمين في بيروت؛ انما أبدلت أسماؤهم حفاظاً على خصوصياتهم.

مذعورة اذ تلقى المستشفى اصابة مباشرة بقذيفة استقرت فوق غرفتي الارضية. فأحسست لطمة على صدري لشدة الصدمة. ووسط جلبة تحطّم الزجاج والطوب المتناثر سقطت قذيفتان مباشرتان اخريان.

ومن المدهش أن أحداً لم يصب في المستشفى. وأخبرني ولد مصاب بكسر في رجله بلهجة مثيرة كيف اخترقت قذيفة زجاج نافذة غرفته منطلقة تحت سريره عبر الباب الى الممشى فالى غرفة وضعت فيها امرأة مسنّة، ودفنت في الجدار من دون أن تنفجر.

وفيما استمر القتال أخبرني أحد الممرضين أن قنابل الدبابات تنطلق في خط مستقيم حين اطلاقها، فتصيب طبقات المستشفى العليا البارزة فوق المنازل المحيطة به، بينما تنطلق قذائف مدافع الهاون صعوداً ثم تسقط على نحو شبه عمودي.

وذات يوم كنت أعالج مصاباً بشظية في صدره حين سقطت قذيفة هاون، على الارجح، كادت تودي بحياتي. وكنت أستعد لسحب الدم النازف من صدر الرجل وهو ملقى على فراش تحت النافذة حين حدث التماع ودوى انفجار قوي في الممشى الملاصق.

انهمرت علينا الحجار وعلا الغبار. فنهضت وتحققت من أن أحداً لم يصب، ونقلت الجريح الى سرير آخر. وانتهى كل شيء قبل أن أعي ما حدث تماماً. وكان خوفي من سقوط قنابل بالقرب مني أخف وقعاً مما تصورت.

## ميدان المعركة

بدأت رحلتي الى لبنان ذات مساء من صيف ١٩٨٥ اذ كنت أتصفح المجلة الطبية "بريتيش ميديكال جورنال" ووقعت على اعلان للجمعية الخيرية البريطانية «MAP» (١) تطلب متطوعين للعمل في مخيمات اللاجئين.

وكانت لي معرفة قليلة بلبنان، لكن الوظيفة أوحت إليّ التحدي. وكجرّاحة مؤهلة متخصصة بالحالات الطارئة، رأيت أن مهارتي ومؤهلاتي قد تكون مفيدة. لقد راعني وحزّ في نفسي أن هناك مرضى يموتون بسبب غياب العناية الطبية في مستشفى.

زوّدتني «MAP» معلومات عن التعقيدات السياسية في لبنان، ونبهتني الى ترقب مواجهة الخطر والقلق. ولكن ليس من وصف، مهما يكن دقيقاً، يهيىء المرء للمأساة الفاجعة التي تعانيها بيروت.

تبدو المدينة من الجو جاثمة على صخور رأس بيروت البارزة، تحتضنها سلسلة جبال لبنان المكلّلة بالثلوج، فتوحي إلى الناظر جمالا أخّاذاً سرمدياً. لكن هذه الصورة الرائعة سرعان ما تلاشت حين حطت الطائرة في مطار بيروت. فقد تجلّت آثار عشر سنين من الحرب المدمّرة في الابنية المهدّمة المحيطة بالمطار. وكان رجال

(١) Medical Aid For Palestinians وتعني "إعانة طبية للفلسطينيين."

الميليشيات منتشرين على مفترقات الطرق، وآثار الرصاص ظاهرة على سيارة الاسعاف التي أرسلت لتنقلني الى المخيّم.

كان مخيّم برج البراجنة أحد أربعة مخيمات في بيروت الغربية، تحولت ساحات قتال في ما عرف بـ"حرب المخيمات." ولدى وصولي صدمتني مشاهد البؤس والعوز والقذارة في هذا المخيم القائم منذ الخمسينات ومساحته عشرون هكتاراً. وقد بني بالطوب وأصبح مدينة أكواخ مزدحمة مهدّمة بفعل القنابل، تخترقها أزقة ضيقة تعج بالاولاد الذين يلعبون وسط مجار مكشوفة للمياه القذرة تفوح منها الروائح الكريهة وتنتشر فيها الجراثيم والاوبئة.

أما "مستشفى حيفا" الذي تديره جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني فهو في شكل «L» ويتألف من أربع طبقات، وهو يقع في طرف المخيّم الذي تصله به طريق ترابية ضيقة. وقد أصيبت الطبقتان العلويتان بأضرار حالت دون استخدامهما. ويجاور غرفة العمليات في الطبقة التحتية للمستشفى مختبر وغرفة طوارىء وغرفة للاشعة.

وكانت "وحدة العناية الفائقة" مجرد غرفة حُشر فيها خمسة مرضى كانوا يتماثلون بعد جراحات رئيسية، ومضاءة بمصباح كهربائي عار من أي غطاء. وفي زاوية، طاولة للممرضة وضعت حجار اسمنت في مكان احدى قوائمها. أما أكياس المصل فكانت مثبتة بمسامير في الجدران.

كانت في المستشفى ثلاثون ممرضة يعملن بأقصى طاقاتهن في فرق مناوبة تضم كل منها عشر ممرضات. كنا نجري الجراحات يومياً في محاولات لانقاذ مصابين ميؤوس منهم، أملا بنجاح غير مرتقب.

كانت عائلات الجرحى عوناً لنا وعائقاً في آن. كان الاقرباء يأتون بالثياب والطعام، لكنهم كانوا عثرة في طريقنا. وكانت الامهات والزوجات والعمات والخالات والاخوات ينمن بين الاسرة وتحتها وبين أنابيب التمييل وقوارير أنابيب الصدر. وقد ألغينا هذه العادة عندما انقلبت احداهن وهي نائمة ففصلت أحد الانابيب عن قارورته.

عالَم بكامله كان يفصل بين مستشفى حيفا و"مستشفى كوين ماري" في روهامبتون في بريطانيا حيث عملتُ. وعلى رغم كوننا ستة أطباء في المستشفى، منهم جراحان زميلان كنت أبحث معهما في تعقيدات المرضى، فلم يكن لي مرجع من الاختصاصيين المتمرسين الجأ اليهم للاستنارة بنصائحهم.

وغالباً ما شعرت بوحدة موحشة قاتلة.

## فترة راحة

صباح يوم سبت، مباشرة بعد اتخاذ القرار بمعالجة فادي، سقطت على المخيم ١٥٠٠ قذيفة في ثلاث ساعات.

أثناء قتال كهذا كنا نضطر الى سحب المرضى، على سبيل الوقاية، الى المماشي

الداخلية. وكان بين المرضى رجلان مصابان بكسرين في فخذيهما ومربوطان الى جهاز مصّ. وكانا دوماً مرحين. وكلما اشتد القصف ازدادا مرحاً وزادت نكاتهما التي أنعشا بها من حولهم وساعداهم على الاحتفاظ برباطة جأشهم. وذات مرة تصنّع أحدهما الارتجاف خوفاً وناداني لمشاهدته، فغلب علي الضحك وقهقهت عالياً.

في ١١ يونيو (حزيران) بعد قتال دام أكثر من ثلاثة أسابيع أُعلن التوصل الى اتفاق لوقف النار. وكتبت في مذكراتي اليومية: "أجْلَوا ثلاث نساء ورجلين. ثم بدأ قصف المخيم من جديد، فأسرع المسعفون الى مغادرة المخيم من دون أن يأخذوا المريض الذي كان في حاجة ماسة الى معالجة في الخارج. اللعنة!"

وعلى رغم وصول قوة فصل في ٢٤ يونيو (حزيران) تكررت المأساة بعد أربعة أيام اذ عاد القصف فجأة فطاول السكان وهم في الشوارع خارج بيوتهم. وما هي الا بضع دقائق حتى وفدت الينا تسع اصابات. الجرحى يملأون المقاعد في غرفة الطوارىء ومدخل المستشفى والمماشي. والدماء في كل مكان. وزاد في المأساة صراخ الاهل والاصدقاء الذين رفضوا مغادرة أحبائهم المصابين. وقد توفي ثلاثة من الجرحى حالا، وتبعهم آخر، واحتاج اثنان الى جراحة فورية.

وبعدما أنهينا كل ما وجب عمله سمعت أحد اطبائنا يتمتم مرتعشاً: "هذا فظيع، فظيع جدا."

كان الممرض الهولندي بن ألوفس الذي أصبح صديقاً حميماً لي، غادر مخيم برج البراجنة قبل ١١ يونيو (حزيران) تاريخ وقف اطلاق النار، للعمل في مستشفى آخر في بيروت. ثم رجع وأخبرنا عن الجرحى الذين تم اجلاؤهم من المخيم.

قال: "أُخذوا اولا الى "مستشفى بيروت." ثم جاء مسلّحون واندفعوا داخل المستشفى شاهرين مسدساتهم واقتادوا الجرحى الى مستشفى آخر بادارة نسيب لأحد المسلحين، وهذا طلب مالا لمعالجتهم. فغلب علي الأسى.

## متطوعون جدد

ثبت وقف اطلاق النار فأجلي ٤٥ مصاباً بواسطة الصليب الاحمر الدولي. وكانت تسمع أصوات المطارق طوال النهار فيما سكان مخيم برج البراجنة يصلحون بيوتهم. وركّب لنا درويش، وهو سمكري بدين، بضعة أنابيب جديدة، فتوافر لنا الماء الجاري ثانية. وأصلح بن ثقوب الشظايا التي أصابت خزان الماء المخصص للاسعاف الاولي في العيادة على بعد ١٥٠ متراً من المستشفى، مستنبطاً وسائل لسدّها من مطاط القفازات والخشب والعلكة.

في آخر يوليو (تموز) طرت الى بريطانيا لزيارة والديّ ولتقديم تقرير الى جمعية «MAP». وكما في زيارتي السابقة في فبراير (شباط) لم يغب عن فكري ما أنجزت في بيروت، كشفاء ندب في قدم فتاة عمرها ١٣ سنة، وتدعى سوزان مما مكّنها من انتعال حذاء للمرة الاولى في حياتها. ولم أنسَ كل ما ينتظر عودتي، كجراحات لمرضى

آخرين. فلازمني شعور بأنني أضيع وقتي في بريطانيا. ووافقت «MAP» على رجوعي الى برج البراجنة لمدة ثلاثة أشهر.

وصلت الى مطار بيروت في أغسطس (آب) وكان بن في استقبالي في جو لاهب. وكنت مسرورة لعودتي الى بيروت على رغم الخطر الماثل دائماً، فقد اجتذبني، كما اجتذب سواي من الذين عملوا في لبنان، حسن ضيافة السكان ومحبتهم وعزمهم وقدرتهم على الاستمرار وسط ظروف الحرب القاسية.

ثم وصلت الى مخيم برج البراجنة سوزي وايتون وهي عاملة صحية اسكوتلندية، وهانس وهو نمسوي خبير في العلاج الفيزيائي، كمتطوعين من «MAP». وكانت اقامة ديرك وزوجته لسنة واحدة في لبنان شارفت نهايتها، وكانت البلاد على أحسن ما عرفت من الهدوء. فاعتزمت أنا وبن أخذ عطلة قصيرة قبل مغادرتهما. وذهبنا نحن الاربعة الى جبل الشوف.

في قرية بيت الدين زرنا قصر الامير بشير الشهابي، وهو آخر الامراء اللبنانيين الحاكمين وكانت وفاته عام ١٨٥٠. وفي سهل البقاع الخصب توقفنا في بعلبك حيث رحب بنا العاملون في عيادة للهلال الاحمر هاتفين: "أهلا وسهلا." وشددوا على أن نتناول وجبة لبنانية من البيض المسلوق والخبز والحمّص والزيتون.

يحكى أن بعلبك كانت مأهولة منذ خمسة آلاف سنة وأن سيدنا آدم عاش قريباً منها وأن سيدنا نوح دفن في قرية كرك نوح الواقعة غرب بعلبك.

أمضينا أربعة ايام جميلة في الريف، وبت أعرف شيئاً عن تاريخ هذه الارض العريقة. لكنني لم أتوصل الى فهم "حرب المخيمات" التي حاول بن شرح أسبابها، ووجدت أن تفهمها يفوق ادراكي، اذ كان لكل فريق تفسيره الخاص.

لكن الواضح أن العداء بين الافرقاء كان تعمّق وبلغ حدا من المرارة جعل معاودة القتال أمراً لا مفرّ منه. واذا بالميليشيات تتجمع حول مخيم برج البراجنة يوم الاحد ٢٩ أكتوبر (تشرين الاول).

## المستشفى الملجأ

عصر ذلك اليوم سمعت الناس يركضون صارخين: "افتحوا الطريق." واذا بأربعة رجال يحملون على نقالة مصاباً يغطي الدم وجهه. وكانت الكهرباء مقطوعة - كما يحدث تكراراً - فوضعنا الجريح في مدخل غرفة الطوارىء حيث كان النور شحيحاً.

جثوت الى جانبه فوجدت نبضه متوقفاً. فمسحت الدم المتخثر من فمه وعنقه وبدأت انعاشه بالتنفس من الفم الى الفم. وكان بن يدلك قلبه.

وكان ثمة أناس في حال هيجان يزدحمون حولنا ويحجبون ما تبقّى من الضوء. فهتفت أن علينا نقل الجريح الى غرفة العمليات حيث لدينا مصباح كهربائي يضاء ببطارية. هناك تفحّصت حلقه بمنظار الحنجرة لأتبين إمكان ادخال أنبوب للتنفّس، فوجدت ثقب رصاصة في جنب رقبته الايسر وثقباً أكبر في الجنب الايمن، وهذه هي

الجروح النموذجية المخيفة التي تحدثها بندقية "إم - ١٦"، اذ تنطلق الرصاصة بسرعة فائقة فتولّد ما يشبه موجة صادمة تخترق الجسم فتسبّب أضراراً هائلة.

كانت حنجرة الرجل متلفة كلياً. كان ميتاً.

وحصل قتال عنيف آخر. وفي تلك الليلة، على سبيل الوقاية، وضعت خزانة الثياب بين النافذة وفراشي الممدود على الارض لتوفّر لي بعض الحماية.

كانت هناك ٣٠ عائلة تحتمي في مدخل المستشفى. وقد جاء أفرادها لكون منازلهم لا تحتمل اصابة مباشرة أو لأنهم يسكنون في أطراف المخيم. كان المستشفى لهم الملجأ الأمين، فوفدوا اليه حاملين الحرامات والطعام ومواقد الكاز.

والى المصابين في القتال، كان هناك مرضى في المخيّم يحتاجون الى عنايتنا، منهم امرأة جبرت ذراعها بعد جراحة لمرفقها، وفتاة من عائلة فقيرة تعالج بسلسلة من الجراحات بغية تصحيح تشوه في رجلها سببه الشلل.

كان المسلحون يمرون أمام المستشفى ليتخذوا مواقعهم القتالية في أطراف المخيّم، وقد شاهدت بينهم أولاداً لا تتجاوز أعمارهم ١٢ سنة. وشرح لي أحد الرجال قائلا: "هذا هو واقع حياتهم. يشبّون في مناخ من العنف والحرب ويريدون أن يكونوا كآبائهم. انهم لا يقاتلون، بل يذهبون الى الجبهة للتدرّب على النظام ونبذ الخوف. إنهم الجيل الطالع الذي سيتولى حمايتنا، فالافضل لهم أن يتمرسوا في القتال منذ الآن."

خلال احدى دورات القتال العنيف شاهدت فتى جعد الشعر في الخامسة عشرة من عمره يدخل المستشفى راكضاً في بدلة القتال الجديدة ويجلس في مقعد وبندقيته في يده. بدا خائفاً والعرق ينصبّ منه بغزارة. وأخذ يتطلع الى غبار المعركة من خلال الباب. وما هي خمس دقائق حتى نهض وهو يصر بأسنانه، فتنفّس عميقاً ورجع راكضاً الى موقعه. وقد رأيته مراراً في ما بعد، انما ليس في حال ذعر كما كان في المرة الاولى.

## مغامرة جراحية

في ٤ نوفمبر (تشرين الثاني)، وعلى رغم اعلان وقف اطلاق النار، سقطت قنبلة في احدى الساحات حيث كان أولاد يلعبون، فكانت الفاجعة. هرع الينا الاهل ملتاعين، حاملين أولادهم وهم ينزفون.

فاستقبلنا ١٥ مصاباً كدفعة أولى. وكان منظر الاولاد والدماء تسيل من أجسادهم الطرية يفتت الاكباد.

وكانت الحصيلة ٢٥ ولداً جريحاً وثلاثة قتلى. وقد دعونا ذلك اليوم "يوم مجزرة الاولاد."

في الليلة التالية تلقى بيت درويش السمكري قنبلة أدت الى أصابة زوجته بجرح بالغ في رأسها كشف الدماغ الذي استقرت شظايا داخله. اتصلنا بالميليشيا

المحاصرة لاسلكياً طالبين السماح باخراج المرأة لاجراء جراحة عاجلة لها. فلم نلق جواباً.

أمام هذا الواقع لم يعد أمامنا سوى خيارين: فاما أن نجري نحن الجراحة واما أن نترك المرأة تموت. لم يسبق لاحد من أطباء المستشفى أن أجرى جراحة في الدماغ. ولكن كانت لي خبرة نظرية في هذا المجال. فتباحثنا في الامر مع درويش وقرّ الرأي على اجراء الجراحة.

ساعدني الدكتور رضا، مدير المستشفى، وهو فلسطيني في أوائل الثلاثينات من عمره. كنت في غاية الخوف، فلدينا عدّة جراحية غير متقنة لمثل هذا العمل الدقيق. وكانت الممرضة الشابّة نُهى التي تشرف على غرفة العمليات، شهدت اجراء جراحات دماغية في لندن وباريس، فكانت خير عون لي.

وفيما كنت أشق رأس المرأة نصحتني نهى: "يجب أن توسّعي الشق أكثر لاجراء الجراحة بسهولة أكثر."

انتزعنا بالكلّابات شظايا القذيفة والعظم المحطّم، وأزلنا نسيج الدماغ التالف بجهاز مصّ منخفض القوة. وبيّنت لنا نهى كيف نوقف النزف باستخدام محلول "هيدروجين بيروكسيد."

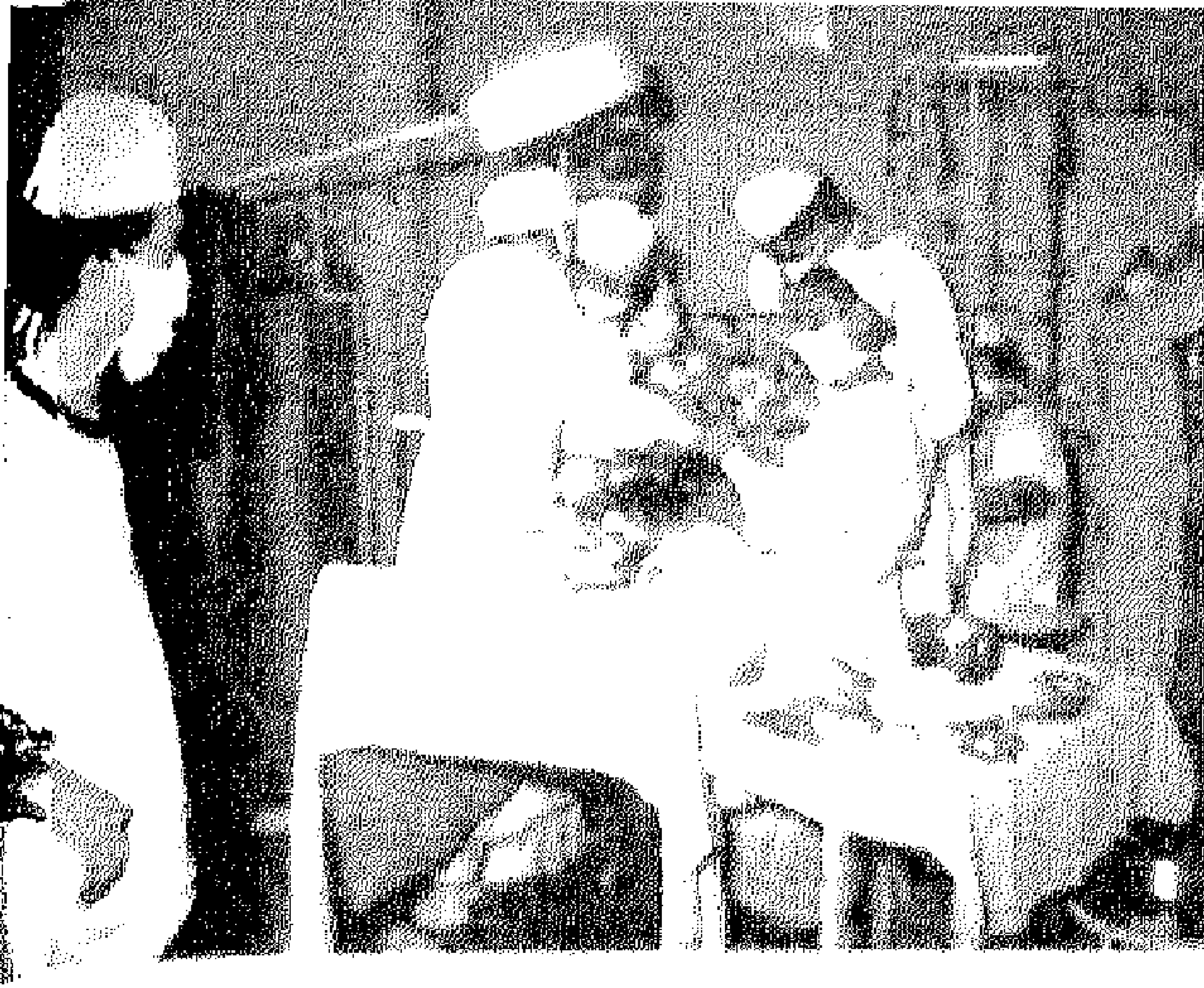
استغرقت الجراحة خمس ساعات وانتهت في الرابعة والنصف صباحاً. ولم اشعر بألم الظهر والارهاق والتيبّس الا عندما بدأت المرأة تستعيد وعيها.

وشفيت زوجة درويش. ويعود الفضل في بقائها حية الى نهى.

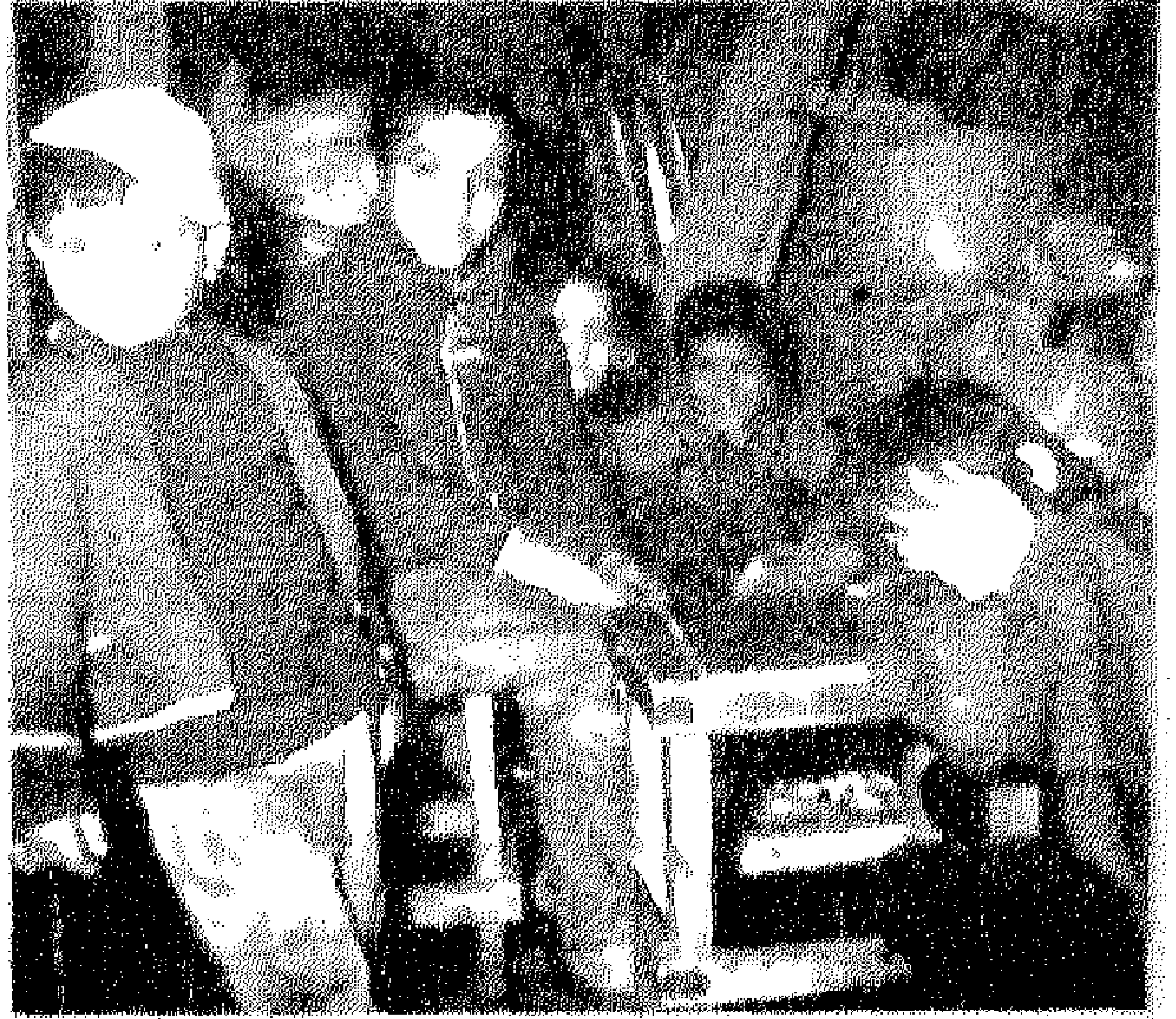
## أصدقاء في الضيق

في الاسبوع التالي انقطع التيار الكهربائي عن المخيم كله، فاعتمد المستشفى مولّدين يعملان بالديزل. ومن حين الى آخر كانت تسقط قذائف على المستشفى فيصاب خزان الماء فيجري منه الماء الى المماشي ويتجمّع بعمق بضعة سنتيمترات يستحيل معها الحفاظ على الاقدام جافة. وعقد المطر المشكلة.

في ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) دوّنت في مفكرتي: "كان الطقس بارداً ورطباً طوال خمسة أيام. والى استحالة تجفيف ملابسي المبللة، كانت ملابسي الجافة تتحول رطبة. ولكم حلمت بالجلوس أصطلي بنار تتوهج في الموقد فتبعث فيّ الدفء، وبطبق يخنة شهية وزلابية تشدد عزيمتي المتراخية. بدأت أشعر بالوهن يدب في نفسي ومفاصلي. لقد سئمت هذه الحرب الفارغة إلاّ من هدف الهيمنة والخطف والارهاب وقتل الأبرياء وهدم بيوتهم على رؤوسهم. هؤلاء السكان الغارقون في ظلام اليأس والعتمة باتوا رهائن في لعبة القوى الدولية المتصارعة، وضحايا سياسة التفرقة التي تفجّر الأحقاد والصراع بين أبناء الشعب الواحد والوطن الواحد والمذهب الواحد بغية التسلّط. فعسى أن تكون معاناتهم وآلامهم قرابين تشفع بهم فيخلصون ويخلّص لبنان من الجحيم الذي زجته فيه الأطماع والمؤامرات الدولية والاقليمية.



في غرفة العمليات.



عائلة فلسطينية في كوخها داخل المخيم.



امرأة فلسطينية تحتضن الدكتورة كاتنغ امتناناً.

كنت قلقة على بن. وحين جيء بثلاثة قتلى في ذلك اليوم حدثتني نفسي أن أتطلع تحت البطانيات لاتأكد من أن بن لم يكن أحدهم. لذلك بت أدرك شعور أهل المصابين حين يصرّون على البقاء خارج غرفة الطوارىء لشدة لهفتهم لمعرفة حال أعزائهم.

بدا المستشفى كأنه أصبح هدفاً متعمداً للقصف. ففي ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) انتقلت الى الطبقة التحتية مع العاملين في غرفة العمليات بعدما حطمت الشظايا نوافذ غرفتي. كذلك فعل الدكتور رضا مدير المستشفى. وكان عشرة منا ينامون في تلك الرقعة الضيّقة على أسرّة وفرش معدة للمخيمات. كان المكان أكثر دفئاً ووداً. انما الافتقار الى الخصوصية كان مصدر ازعاج كبير في كثير من الاحيان.

فشلت المساعي لوقف القتال وبقي المخيم صامداً. واستمر القصف على مستشفى حيفا فتحطمت النوافذ التي كانت لم تنزل سالمة. وبترت احدى القذائف قدم فتاة كانت تلعب في مدخل المستشفى، وطاولت شظايا سيارة اسعاف متوقفة. وبعد قصف طويل بقذائف الدبابات انهارت الطبقة العليا من المستشفى.

وحين قدم أحد القادة الفلسطينيين ذات ليلة الى غرفة العمليات ليرى ما نحن في حاجة اليه، سألته نهى كم سيستمر الحصار. فأجابها: "تسعين يوماً على ما أعتقد."



"مستشفى حيفا" بعد فك الحصار.

## هجمات انتحارية

كانت رؤية الاولاد المصابين يستعيدون عافيتهم مكافأة طيبة لجهودنا. والاولاد يتماثلون أسرع من البالغين. ولكن ما ان استعادت الدفعة الاولى منهم نشاطها حتى أصيب آخرون بجروح. وفقدت ابنة ١٨ شهراً بصرها من جراء شظية صغيرة مثلّمة في حجم حبة فستق اخترقت احدى عينيها وخلفيّة أنفها وأتلفت عينها الثانية واستقرت تحتها.

وأصيب بالتفجير ذاته صبي عمره ١١ سنة في صدره وبطنه. فأجريت له جراحة. وعندما أفاق غلب عليه الأسى حين رأى ثمانية أنابيب مربوطة بجسمه. فكان يبدو رزيناً كلما نزعت عنه أحد الانابيب ويحاول الظهور مظهر الرجال. لم يصرخ



الدكتورة بولين كاتنغ والعاملة الصحية سوزي وايتون في برج البراجنة.

ولم يتأوه مرة وأنا أغيّر ضماداته، بل كان يساعدني في نزع قطب جروحه وهو يضحك.

كان القتلى يسقطون في المخيم بمعدل قتيل واحد يومياً. وبعد اقامتي هناك لمدة سنة بت أعرف كثيرين من السكان. وكان الحزن والالم يكادان يصعقان الدكتور رضا كلما مات قريب له أو صديق.

كان التبرع بالدم في مستشفى حيفا أفضل منه في مستشفيات أخرى لأن عائلات المصابين وأصدقاءهم في المخيم كانوا جاهزين للتبرع في أي لحظة بدم جديد. وحين أصيب شاب بشظايا قنبلة خلفت فيه ٥٠٠ جرح من رأسه الى قدميه، نقلنا اليه ستة ليترات من الدم (علماً أن الجسم يحتوي على أربعة ليترات فقط) وبذلك أمكن إنقاذه.

واذا احتجنا الى مزيد من الدم كان النداء يعلن في مكبّر صوت في الجامع، وسرعان ما يفد المتبرعون للعطاء. ولم تُجْدِ توسلاتنا المتكررة للسماح لنا بنقل الطفلة الضريرة الى مستشفى آخر. وكان أحد الاطباء يوليها عناية دائمة، فينظف عينيها يومياً ويمسحهما بمرهم مطهّر. وبعد أسبوعين فتحت عينيها قليلا وظهر أن في امكانها الرؤية بإحداهما، فاذا حُرك شيء أمام عينيها كانت تتابعه بتحريك رأسها.

كان هانس، الاختصاصي بالعلاج الفيزيائي، مؤمناً تقياً. فأخذ يبكي. وقد أخبرني لاحقاً أنه كان يصلي بحرارة ويطلب من الله أن يشفي الطفلة.

في أوقات الهدوء كنت اتحدث الى نهى التي، ادراكاً لمسؤوليتها، نادراً ما غادرت مركز العمليات التي تشرف عليه. فسألتها ذات مساء عن أهلها.

قالت لي: "قتلت شقيقتي خلال إحدى الغارات الإسرائيلية. وذهب والدي يفتش عنها فعثر عليها ميتة. وفي طريق عودته الى البيت قتل بانفجار سيارة ملغومة. وقد قررت ألا اتزوج وأنجب، لأن الاولاد والازواج يموتون بكثرة في هذه البلاد."

لم أدرِ ماذا أقول لها. وتابعت: "فكّرت في أن أواصل عملي في "مستشفى غزة" في مخيم صبرا. لكن الاسرائيليين جاؤوا ودمروا كل شيء. ثم أعيد بناء المستشفى. لكنه وقع لاحقا تحت سيطرة الميليشيات. وفي الشهر الاول لحرب المخيمات نُهب المستشفى وحطمت المعدات ثم أحرق البناء. وقد قتل بعض العاملين والمرضى في المستشفى وهرب الباقون. ومستشفى غزة خال تماماً الآن."

وتبادر الى ذهني: وسيلقى مستشفى حيفا المصير ذاته. لكنني حاولت كبت هذه الأفكار التشاؤمية التي راودتني.

## تضييق الحصار

ثم برزت مشكلة دفن القتلى. في بعض الاحيان كان البراد الذي يتسع لستّ جثث يحمّل فوق طاقته فتحشر فيه ١٥ جثة كانت تدفن دفعة واحدة. وذات مرة خلال دفن جماعي في المقبرة الواقعة في طرف المخيم، وقف أحد الحمّالين في مكان مكشوف.

وما ان صرخ رفيق له محذراً حتى دوى طلق ناري فسقط على وجهه يعضّ الرمل ومات لاحقاً. على أثر هذا الحادث أصبح الدفن يجرى في بقعة مصوّنة قريبة من المستشفى.

بدأ الحصار المرهق ينال من الشباب المدافعين عن المخيم. كانوا يتناوبون القتال لفترات طويلة في خط الدفاع الاول، ويشاهدون رفقاءهم يموتون الى جانبهم، ويتساءلون عمن سيليهم. وطلب بعض المقاتلين مسكّنات من بن في عيادة الاسعافات الدولية، بحجة أن أمهاتهم وشقيقاتهم لا يستطعن النوم.

كان سكان المخيم على قسط وافر من الاخلاق العالية والسلوك القويم، انما كانت هناك تجاوزات وانحرافات.

قرابة نهاية ديسمبر (كانون الاول) أصبحت الاحوال المعيشية قاسية جداً واستمر القصف عنيفاً من دون توقف. وكانت مئات العائلات تجمعت في الملاجىء والطبقات السفلى طوال شهرين. وكانت النساء من دون غيرهن يخاطرن بالخروج لجلب الماء من صنابير في أطراف المخيم. ولم تكن للملاجىء أية نوافذ أو وسائل صحية أو اضاءة. وزارت سوزي وايتون بعض المرضى في تلك الملاجىء وقالت ان الروائح فيها لا تطاق. جُمعت النفايات في الساحات وفي مواقع المنازل المهدّمة، وكانت الجرذان تسرح وتمرح في كل مكان. وذات يوم بعد الظهر جيء بامرأة مسنّة الى المستشفى كانت مقعدة بسبب سكتة دماغية (فالج) ولازمت فراشها ثلاث ليال. ولكونها عاجزة عن طلب المساعدة فقد أكلت الجرذان إصبع احدى قدميها. وأنقذها أهلها أثناء فترة توقف القتال ونقلوها الى المستشفى. لكن الالتهاب السام كان تفشى في قدمها الى حد أنها توفيت بعد عشرة أيام.

وزادت صعوبة الحياة بعدما انهارت الطبقة الثالثة من المستشفى، اذ دُمّر خزان الماء ولم يعد الماء الجاري متوافراً لدينا. وكاد وقود الديزل للمولّدات الكهربائية أن ينفد. لذلك كنا نستخدم الكهرباء للحالات الطارئة فقط. وكان المستشفى، وأكياس الرمل تسدّ نوافذه، مظلماً حتى في النهار.

وحين نفدت كل شموع الاضاءة لديّ زوّدنا بن شموعاً مصنوعة في المنازل من مادة دهنية للطهو جرى تذويبها وسكبها في فناجين قهوة وصنعت فتائلها من الشاش. حاولت وبن أن نكون متحفظين، لكن ابنة أم جمال التي كانت تعمل في التنظيف أحبت بن. وكانت الطفلة في السادسة من عمرها، واسمها شمس، تصحب والدتها الى المستشفى، وكانت تسألني بصوت عال كل يوم: "هل سيأتي بن ليقابلك؟" وكانت امها تنهرها لكي تلزم الصمت.

كانت الخضر نفدت قبل وقت طويل، في ما عدا القليل من البصل والبطاطا. وأصبحت وجباتنا مزرية. كان غذائي اليومي رزاً مسلوقاً وبرغلا وعدساً، فضلا عن بعض أطباق كان يجلبها لنا الاصدقاء أحياناً، ووجبات سريعة يحضرها بن بخبز مقلي محلى بالسكر والزبدة والحليب.

كان موضوع حديثنا المفضّل في أي من المطاعم سنأكل بعد انتهاء القتال. وكنا

نعدّ الوجبات والمآكل الشهية التي تناولها كل منا في مناسبات كثيرة، فيسيل لها لعابنا.

وفيما اقترب عيد الميلاد بدأنا نحن الاربعة الاجانب العاملين في المستشفى تحضير بطاقات معايدة بما تيسر لنا من علبة الالوان لدى سوزي وكرتون العلب وأقلام الحبر الملوّن. فرسمتُ لصديقي بن مستشفى حيفا وفوقه نجمة الميلاد والقذائف تتساقط عليه. وابتدعت سوزي روزنامة رسمت فيها صورة من وحي العيد. وصنع هانس بطاقات كتب فيها آيات جميلة. وكان بن يهيىء طعام العيد.

ولم تكن هناك أية هدايا نتبادلها.

## عشاء لا يُنسى

كانت مهمتي الاولى صباح عيد الميلاد مساعدة الطبيب المولّد في جراحة قيصرية عسيرة. ولدت الطفلة في الثامنة والنصف صباحاً، وذهبت بعد ذلك لتفقد عماد، الشاب الذي بترت ساقه.

تبعنا نظاماً يقضي باخلاء الغرف من الزائرين في أوقات تغيير ضمادات الجرحى، أكثرهم لم يريدوا كشف أجسادهم. وإذ تباطأ الزوار هتف عماد بنزق: "اخرجوا كلكم." وكان الى جانب سرير عماد شاب يدعى صافي كانت عيناه مضمدتين على أثر سفع رملي ولده انفجار كاد يفقده بصره. فنادى أصدقاءه: "هاي، الى أين أنتم ذاهبون؟"

فرد عماد بغضب: "ان هذا أوان تغيير ضماداتي." فاحتج صافي واحتدم الجدل بين الشابين. فهتف عماد مهدداً: "أسكت والا قطعت رأسك."

فصرخ صافي: "أسكت أنت والا قطعت رجلك."

عندئذ ساد الوجوم الجميع. فهمست في أذن عماد بالعربية: "هل يعلم أنك فقدت ساقاً؟"

أجابني: "نعم، وهو ينوي بتر الساق الاخرى!"

وتنفست الصعداء حين عادا بعد قليل الى الضحك والممازحة.

وبعد الظهر أُدخل شابان على عجل غرفة الطوارىء. وكان أحدهما ميتاً بشظايا القنابل والآخر مصاباً بكسور عدة في جمجمته. وحاولنا على مدى ساعتين أن نبعث فيه الحياة بضخ الهواء يدوياً الى رئتيه، ولكن لم يبدر منه أي جهد للتنفس.

ألقى موته ظلا كئيباً على عشاء الميلاد الذي أقمناه في العيادة على طاولة بين محفّات الاسعافات الاولية وعربة التضميد. كان بن جمع من الجيران علبة لحم معلب وقليلا من رب البندورة (الطماطم) وبصلة وقطعة جبنة، وطها بها معكرونة. وكان هذا التغيير عن أكل الرز المسلوق لذيذاً ومنعشاً.

كان الماء يرشح من سقف المستشفى، وكان فطر أخضر وأسود أخذ يتكون ويزحف نزولا على أحد الجدران. لكن غرفة العيادة ظلت جافّة. وكانت الرفقة جيدة والطعام والشراب لذيذين بعثا فيّ الدفء والنشاط.

كانت مأدبة عشاء لن أنساها أبداً.

في ٢٩ ديسمبر (كانون الاول) أعلنت هيئة الاذاعة البريطانية (BBC) في نشرة أخبارها العالمية أن الميليشيات قررت وقف اطلاق النار كتعبير عن حسن نية لمناسبة عيد رأس السنة. وبعد يومين أدخل بلال، وعمره سبع سنوات، منقولا على حمّالة.

كان منظر الصبي بشعره الجعد وعينيه البنيتين الغامقتين ووجهه الملائكي مؤثراً لن أنساه ما حييت. كان بلال يجتاز أحد الازقّة فيما انتصب أحد القناصين في بناية عالية خارج المخيّم يرصده، الى أن مرت صورته في منظار التسديد فضغط الزناد. واذا بالرصاصة تخترق ذراع بلال اليمنى وجنبي صدره وتخرج من ذراعه الثانية. وفي غرفة الطوارىء كان بلال يختنق وهو يشهق ناشدا الهواء كسمكة خارج الماء.

أولجنا أنبوبا لسحب الدم من جنبي صدره. فانتفخت رئتاه وتحسن تنفسه. ولدى نقله لتصويره بالاشعة لاحظت أنه لم يحرك رجليه منذ وصوله الى المستشفى. فأجريت الفحوص اللازمة للحال. أخذت أقرص رجليه، لكنه لم يحس شيئاً. كانت الرصاصة قطعت الحبل الشوكي وسببت له شللا نزولا من خصره سيلازمه مدى الحياة.

كنت رأيت قبلا كثيرين من الاولاد المصابين، لكني وجدت في مأساة بلال فاجعة أثارت فيَّ الشفقة والمرارة والنقمة. اذ ماذا جنى هذا الولد البريء الطري العود ليستحق هذا المصير المؤلم؟ ألمجرد أن شاءت المصادفات أنه كان في المكان غير المناسب في الوقت غير المناسب؟

شكرت الله لأن الجروح في ذراعي بلال كانت سطحية، فهو سيحتاج اليهما كثيراً. ثم أجلسناه في السرير ورأسه مرتفع قليلا مما يساعد في استكمال سحب الدم من صدره النازف.

تبسّم بلال للاهتمام الذي أوليناه اياه. وكتبت تلك الليلة في يومياتي: "السلام على من يصدق وقف القتال."

## نهش الجوع

في منتصف يناير (كانون الثاني) غدا قصف المخيم متقطعاً. وكان معظم المصابين ضحايا القناصين حين يخرجون الى الازقة من كابوس الملجأ الذي لم تبقَ لهم قدرة على احتماله.

ثم حدث أن انهارت أحدى رئتي بلال. فأولجنا في صدره أنبوباً آخر للسحب، فلم يتذمّر وكان يتماثل وروح المرح تغلب عليه. كنت أعوده يومياً وكان يلعب بسمّاعتي ويصغي الى نبضه. وكان بن يجلب له لعباً. وخفّت حدة أزمة الوقود في المخيّم حين وصل رجل أمضى ثلاثة أسابيع يحفر نفقاً بلغ طوله ٤٠ متراً، الى خزانات في الارض تحت محطة وقود في الطريق قبالة المخيّم. كانت الخزانات شبه ملآنة وكافية لتشغيل المولّدات الكهربائية ١٢ ساعة يومياً لمدة ستة أسابيع.

رفع ذلك معنوياتنا الى حد كبير، وإن لم يكن من السهل المحافظة على معنويات عالية.

وكنا نشاهد التلفزيون ذات ليلة، فاذا بنا أمام مباراة يسعى فيها المشتركون الى تحطيم الرقم القياسي العالمي في صنع أكبر شطيرة (سندويش). وكدنا لا نصدق ما رأينا حين أخذوا يحشون النقانق وسمك السلمون والمخللات وكثيرا غيرها في شطيرة بلغ طولها ٣٠٠ متر. كنا نشاهد هذا العرض والألم يحزّ في نفوسنا اذ كانت مؤونتنا من الطعام نفدت. لم يعد هناك حليب مجفف للاطفال، فاستعضنا عنه باعطائهم الشاي مع السكر. ونفد الدقيق أيضا فلم يعد لدينا خبز.

ثم بدأ الجوع يعضني بنابه. كنت أعلم ان الجميع جائعون، لكن أحداً لم يتكلم في هذا الامر. وكان أدهم، شقيق أحد المرضى السابقين، يجلب لي بعض الرز والزيتون، فأحتجُّ لأني لا أريد حرمان عائلته الطعام.

فيقول لي: "ما دام لدينا القليل فسأجلب لك القليل. وحين لا يعود لنا شيء فلن أجلب لك شيئا."

## استغاثات ملحّة

لم تعد "حرب المخيمات" تستأثر بنشرات الاخبار التي ركز معظمها على موجة الخطف التي اجتاحت بيروت الغربية، بما فيها خطف تيري ويت المبعوث الخاص لرئيس أساقفة كانتربري. فغلب علينا اليأس اذ شعرنا أن العالم نسينا.

في الاسبوعين الأخيرين من يناير (كانون الثاني) زادت مخاوفي من اجتياح المخيم والقضاء علينا جميعاً. وعزز خوفنا مقتل نبيلة برابر من منظمة اليونيسيف، وكانت مسؤولة عن معالجة شؤون الفلسطينيين في بيروت وتأمين العون والمأوى لهم.

فأرسل الدكتور رضا نداء عبر جهاز اللاسلكي الى وكالة "الاونروا" يناشدها ادخال المؤن الى المخيم. لكن نداءه لم يلق جواباً. وذلك لم يدهش بن الذي قال: "لم يعد أحد يهتم بالفلسطينيين. لقد باتوا مشكلة يود العالم كله أن يتخلص منها."

لذلك، على رغم تعرضنا شخصياً للخطر بسبب جنسياتنا الاجنبية، قررت أن علينا نحن اسماع صوتنا للعالم وايقاظ الضمائر المتحجّرة. ووافق بن وسوزي وهانس على الفكرة. فلن نقف مكتوفين عاجزين ونرى سكان المخيم الأبرياء من أطفال ونساء وشيوخ يتضورون جوعاً ويعانون البرد ويموتون تحت سمع العالم الغافل اللامبالي وبصره، ضحية السياسة المجرمة التي لا يد لهم فيها.

فحررت بياناً أرسله الدكتور رضا لاسلكياً بعد ظهر ٢٣ يناير (كانون الثاني) الى الطبيب المسؤول في مخيّم مار الياس للاجئين الفلسطينيين الذي يبعد كيلومترين ونصف كيلومتر، وجاء فيه:

"الحال في مخيم برج البراجنة خطيرة جدا. ويعيش السكان في ظروف قاسية.

فالمخيم لا يزال محاصراً منذ أكثر من ثلاثة أشهر، ونحن وسكان المخيّم العشرة آلاف نعاني البؤس والحرمان. وهناك عائلات كثيرة ينقصها الغذاء وتكاد تقضي جوعاً."
واختتم البيان بالآتي: "نرجو باسم الانسانية والرحمة رفع الحصار حالا." الامضاء: "الدكتورة بولين كاتنغ، جراحة بريطانية، بن ألوفس، ممرض هولندي، سوزان وايتون، عاملة صحية اسكوتلندية." وشاء هانس أن يبقى مجهول الهوية لان أمه، كما شرح لنا، عصبية المزاج. واذا عرفت بالمأزق الذي هو فيه فقد يقضي ذلك عليها.

طلبنا من طبيب مخيّم مار الياس أن يوزع بياننا على منظمتي "الاونروا" والصليب الاحمر وعلى أي هيئة فاعلة كما يرى هو مناسباً. وفي اليوم التالي أخبرتني احدى ممرضاتنا أن البيان أذيع في نشرات الاخبار باللغة العربية. ورأينا في ذلك بارقة أمل. ورجوت أن تتصدر "حرب المخيمات" الاولوية في مباحثات مؤتمر القمة الاسلامي الذي كان من المقرر عقده في ذلك الاسبوع.

في المؤتمر احتلت حرب الخليج بين العراق وايران معظم أعمال الجلسات. ونوقشت "حرب المخيمات" وأعلنت إدانتها.

لكن الحصار استمر.

## المجاعة

اشتد الجوع فعمد السكان الى ذبح بغلين وزع لحمهما. وقد حزن بن لذبح أحد البغلين اذ كان عالجه لاصابته بشظية.

وفي ٢٨ يناير (كانون الثاني) حاول بعض الانصار ادخال علب حليب مجفف، لكن الشاحنة التي كانت تنقلها تعرضت للرصاص لدى اقترابها من مدخل المخيم مما أفزع السائق فتركها ولاذ بالفرار. في تلك الليلة تسلل ثلاثة أولاد الى الشاحنة وأخذوا بعض علب الحليب وعادوا بها الى المخيّم. فتسنى لنا أن نشرب حليباً مغذياً. ولكن سرعان ما نفدت الكمية.

في ٢٩ يناير (كانون الثاني) أصيبت امرأة في ساقيها حين جازفت بالخروج لاقتلاع بعض العشب من أطراف المخيم لتقيت أولادها الجياع. وهي لم تذق طعاماً منذ ثلاثة أيام.

كتبت في مذكراتي: "يسيطر الخوف على السكان ويعضّهم الجوع. إنها التعاسة تستحيل ألماً صارخاً في عيونهم." الا أن بعض الشبان ما زالوا يسترون لوعتهم بمظاهر الشجاعة. وأحدهم، وهو متزوج امرأة بدينة، قال مازحاً انه في أتم حال لان في امكانه أكلها اذا ازدادت الأمور سوءاً. وهذا أضحك الجميع. فما كان من زوجته الا أن شدّته بأذنيه. أما في ما يختص بي فقد وافق الجميع على أني نحيفة لا أصلح لان أؤكل.

كان السكان الجياع يتجمعون خارج مطبخ المستشفى أملا بالحصول على بعض فضلات الطعام. لكننا نحن أيضاً لم يعد لدينا طعام ولا فضلات طعام لنعطيهم.

واجتمع ذات يوم نحو ثلاثين شخصاً حاملين طاسات وهم يتصايحون ويتزاحمون طالبين بعض الفتات. فبكيت تأثراً لهذا المشهد المفجع.

وقلت للممرضة الفلسطينية التي كانت الى جانبي: "انه لامر فظيع جداً أن تصل بهم الحالة الى هذا الدرك من البؤس."

فأجابتني: "ارجوك، كفي عن البكاء، ان هذا لقدرنا."

وعلى رغم انه كان لا يزال لدينا في المستشفى ما يؤمن أودنا، فقد خفف استهلاكنا الى ٨٠٠ وحدة حرارية يومياً. وأخذنا نفقد وزننا بمعدل ينذر بالخطر. فقد نهض هانس ذات صباح فشعر بدوار ووقع على الارض فلازم فراشه. وأصبحت تحركاتنا بطيئة حذرة، نمشي ساهمين سادرين كأننا في حلم. أما أنا فشعرت بأنني أموت جوعاً، واضطررت الى البقاء جالسة لعجزي عن الوقوف طويلا.

كتبنا بياناً ثانياً هو التماس يائس للمساعدة:

"بلغت الحال في مخيم برج البراجنة حداً لا يطاق. نناشد جميع الافرقاء المتقاتلين أن يوقفوا الحرب. ونلتمس من منظمة الامم المتحدة أن تعمل على وقف فوري للنار لكي تتمكن وكالات الغوث الدولية من ادخال الغذاء والدواء الى المخيّم."

في اليوم التالي سمعنا هذا النداء مذاعاً في نشرة أخبار هيئة الاذاعة البريطانية (BBC) مع ذكر اسمي. فقلت في نفسي: أخيراً لا بد من أن يحصل شيء ما.

## حزن وفرح

كانت دورتنا الصباحية على المرضى محبطة في ١٣ فبراير (شباط). كان هناك فتى في الحادية عشرة من عمره وفتاة في السادسة على وشك الموت بسبب جروح ملتهبة. لم تعد لدينا مضادات حيوية (أنتيبيوتيك) ولم يكن في مقدورنا سوى رؤية الولدين يموتان. وكنت في حال اعياء شديد ولم أكن تناولت طعام الفطور.

بدأ القصف في العاشرة صباحاً. فذهبت الى غرفة الطوارىء حيث راعني أن أرى وصول اول الجرحى. كان مراهقاً يغطيه الغبار وقد بترت كلتا ساقيه.

وتتابع وصول الجرحى. أحضر سبعة رجال وأولاد بترت ساقا كل منهم، وسبعة آخرون يعانون اصابات خطيرة. وعلمت أن قنبلة سقطت وسط جماعة من السكان كانوا يشربون الشاي وأدت الى هذه الكارثة الكبيرة. وبدت غرفة الطوارىء مثل مسلخ.

ومن الذين قطعت سيقانهم مات أربعة للحال. وعمّ الذعر المخيّم لدى انتشار النبأ، وأقبل الأهلون ينوحون ويولولون فيما انصبّت جهودنا اليائسة على انقاذ الباقين. وكان ستة منهم يحتاجون الى جراحات رئيسية. وما ان مضت ساعة حتى سقطت قنبلة على الطريق المؤدية الى المستشفى، فقتل شخصان وجرح أربعة. فهرعنا وثيابنا ملطخة بالدم الى غرفة الطوارىء حيث رأيت أحدهم يحاول اسعاف رجل على الارض بانَ جلياً أنه ميت. فصحت: "اتركه واهتم بغيره."

كان ذلك كابوساً رهيباً، والحصيلة ستة قتلى و٢٤ جريحاً.

توقف القصف في المساء. وكنت مستلقية في سريري منهكة واذا بشاب يدخل ليخبرني انني مطلوبة على اللاسلكي. واضاف: "تعالي بسرعة، انه أمر مهم جداً."

كانت بطاريات اللاسلكي في المستشفى قد خبت. فتوجهت الى مقر احدى المنظمات في المخيم برفقة بن. أخذت سمّاعة اللاسلكي هناك وقلت: "هالو" واذا بي أتكلم مع جيم موير، مراسل هيئة الاذاعة البريطانية في قبرص. فشرحت له تفاصيل أحداث النهار. وكم كانت دهشتي كبيرة حين سمعت بعد ذلك صوت والديّ. وعلى رغم سوء الاتصال فقد هتفت عالياً انني بخير وأتطلع الى تناول يخنة وزلابية من صنع أمي.

سألني جيم موير عما اذا كنا نحن الاجانب نريد أن "نُنقذ." لم تكن الفكرة مرت في خاطري قبلًا. واذ عرضت علينا الآن فقد بدا التخلّي عن مرضانا وزملائنا وأصدقائنا منافياً للمهمة الانسانية الشاقة التي ندبنا لها أنفسنا، وخصوصاً في هذه الظروف القاسية حيث يموت سكان المخيم قصفاً وجوعاً ومرضاً ويتعذر إنجادهم بالمساعدات الحياتية الضرورية.

أجبت موير: "لن أترك المخيم قبل أن تنتهي المأساة."

ووافقني بن على ذلك.

رجعنا الى المستشفى في ضوء القمر. بعد كل ما جرى، رأيت أنه قد لا يكون هناك وقف للقتال مطلقاً. وقلت لبن: "من المحتمل أن نموت هنا." فرد: "أعرف ذلك."

غادرنا المستشفى وعدنا الى غرفتي التي لفّها الظلام. ولم يكن لدينا شيء للأكل ولا للشرب. فقال بن: "لست بنادم على مجيئي الى هنا على رغم كل شيء."

أجبته: "وأنا أيضاً." فمنذ نشأتي غرس فيّ والداي الايمان بالعدالة والحق. ورأيت أن ما يجري في مخيم برج البراجنة ظلم صارخ وقتل متعمّد للاطفال والعجزة والنساء الابرياء. وعزمت على أن أبقى مع سكان المخيم وأشاطرهم مأساتهم ومصيرهم حتى الرمق الاخير وأموت معهم اذا اقتضى الامر.

ثم سمعنا صوت سيارات فهرعنا متعثرين الى مدخل المستشفى. وهناك رأينا سيارتين متوقفتين مملوءتين صناديق فيها دقيق وحليب مجفّف. وكان السائقان تمكنا من رشوة بعض الرجال لادخال السيارتين، وهو ضرب من الشجاعة الفائقة. فافرغت السيارتان وغادرتا المخيم في ظلام الليل.

دوّنت في مذكراتي: "كان هذا النهار الاغرب والافظع في حياتي."

## ممر الموت

توفي أحد الذين بترت أطرافهم وبدأ الباقون يتحسّنون جسدياً. ولم يطل الوقت حتى كان أصغر الاولاد يؤدي تمارين لتقوية ذراعيه. لكن التأثير النفساني في بعضهم بعد فقدانهم أرجلهم كان عميقاً فجر في نفوسهم الغضب والمرارة والاحباط، وأصبح مراسهم صعباً معنا وأسوأ مع عائلاتهم. وكان تغيير ضمادات جريح في الخامسة

والثلاثين من عمره معاناة للجميع. فلكي يلهي نفسه عن أوجاعه كان يردد أبياتا من الشعر بأعلى صوته ويقبض على ذراعي بشدة كانت تؤلمني.

كان الشريط اللاصق للضمادات نادراً جداً. فجاء أحد المقاتلين الى العيادة وطلب قطعة منه. فسألته سوزي عن الغاية من طلبه وقد ساورها الشك، لأنه كان يمسك شيئاً في يده بحذر شديد. فقال لها: "لقد ارتخت حلقة الأمان في قنبلتي اليدوية."

فصرخت فيه: "اخرج حالا قبل أن تنسفنا جميعاً أشلاء ممزقة." فانسحب الشاب بهدوء على رؤوس أصابعه وقصد رجلا أكبر منه سناً فثبّت له حلقة القنبلة.

من خلال اتصالات الصحافيين بي لاسلكياً علمت أن الميليشيات منشغلة في تصادمات في بيروت الغربية، مما خفف الحصار على مخيّم برج البراجنة. وفي ١٧ فبراير (شباط) أعلن السماح للنساء بالخروج ساعتين يومياً لشراء الطعام. فكان على النساء المشي مسافة ٥٠ متراً في أرض مكشوفة الى نقطة تفتيش. ومن هناك يذهبن تحت الحراسة الى متجر كان يحاسب بضعفي – أو ثلاثة أضعاف – ثمن الحاجات الغذائية.

في ٢١ فبراير (شباط) دخلت دبابات الجيش السوري بيروت الغربية لوقف القتال. وكان السوريون يرددون أنهم سيتقدمون الى الضاحية الجنوبية. فانتظرناهم كل يوم، ولكن مرت أسابيع ولم يظهر منهم أحد.

دامت موجة الصقيع الى أواسط مارس (آذار) خلافاً للعادة في لبنان. ورأيت فتاة قضم الصقيع أصابع قدميها. وكان المستشفى كثلاّجة، فلا كهرباء ولا وقود. ولكي أدفأ ذهبت الى العيادة حيث أعطي بن موقداً صغيراً. وبعدما أشعل كل ما كان متيسراً لديه من الحطب قطع إحدى خزانات الكتب.

ودعاني أدهم، الفتى الذي كان يأتيني باطباق الرز والزيتون، الى بيته لتناول وجبة من البيض والخبز واللحم اللذيذ كان أحضرها عبر "ممر الموت." كان شعوري بالفرح والارتياح عظيماً لرؤية هذا المقدار من الطعام، الى حد أن عينيّ غشيتا بالدموع حين فقس البيض في المقلاة.

في ٤ مارس (آذار) أجرت "الاونروا" ترتيبات لادخال أربع شاحنات ملأى بمواد غذائية، بشرط ان تأخذ الميليشيات اثنتين منها. فارتفعت معنوياتنا موقتاً، وما لبثت أن هبطت حين جيء الى المستشفى بفتاة قتيل عرفتها للحال. فندت مني صرخة ألم عميق، اذ انها كانت سوزان التي عالجت ندباً في قدمها بتطعيم الجلد فشفيت وبات في امكانها انتعال حذاء للمرة الاولى في حياتها. وتذكرت كم كانت فخورة وهي تريني حذاءها الجديد.

## تهديدات واشاعات

أصبح "مستشفى حيفا" رمز المقاومة في المخيم. وصممنا على ألا نتوقف عن العمل. وحين غامرت زوجة صلاح، رئيس الممرضين، بعبور "ممر الموت" ذات صباح

سألها مقاتلو الميليشيات عن المستشفى: "من يعمل فيه؟" فذكرت لهم بضعة أسماء، وذكرت أيضاً "طبيبة أجنبية." فعبس المسلحون وقالوا لها: "سنقطّعها إرباً."

كتم الناس عني هذا الخبر حرصاً منهم ولباقة. ولكن حين ذكرت للدكتور رضا أنني في حال خروجي من المخيم أنوي الذهاب الى صيدا في عطلة لبضعة أيام، أجابني: "لا أعتقد هذا ممكناً." ثم أخبرني لماذا.

وأعترف بأني خفت كثيراً لأن توقيع البيانات التي أرسلناها أثار نقمة الميليشيات وقيل لي إن مسلحين هاجموا بلدة بالقرب من صيدا وقتلوا شخصين أتهموا بمساعدة الفلسطينيين. لكن ذلك لم يزدني الا اصراراً وعزماً على متابعة ما كرست له حياتي. فلن أسكت عما يعانيه سكان مخيم برج البراجنة من جوع وبرد وقهر ومهانة وخوف على حياتهم، وخصوصاً حياة اولادهم، فلا يعرفون إذا هم خرجوا أيرجعون اليهم سالمين أم تتلقفهم قنبلة مفاجئة في الأزقّة فتمزّق أجسادهم الندية وتنثر أشلاءهم الدامية على جدران أكواخهم.

كنت عاهدت نفسي منذ نشأتي على أن أتكلم بالصدق وقررت: سأقول الحقيقة ولن يرهبني التهديد. ان الحقيقة أقوى من المدفع ولن تموت، ولا بد من أن يعلو صوتها فوق أصوات القنابل والصواريخ.

وخطر لي أن أرسل كتاباً الى أهلي أشرح فيه الظروف التي أعيشها ليطلعوا عليه في حال وفاتي. ودونت ملاحظة في مفكرتي: "سأكتب اليهم غداً." لكني لم أفعل.

وعاد القتال متقطعاً.

في بداية شهر ابريل (نيسان) انتشرت اشاعات في المخيم أن السوريين ومسعفي الصليب الاحمر الدولي هم في طريقهم الينا. لم أصدق الخبر الذي خلته كسابقاته من نسج الخيال. وقلت في نفسي: لن أصدق حتى أراهم هنا. لكن الاشاعات هذه المرة كانت صحيحة. ففي ٨ ابريل (نيسان) أوقفت الميليشيات اطلاق النار ودخل السوريون مخيم برج البراجنة حيث قوبلوا بمزيج من الفرح لانتهاء القتال، والمرارة لتأخرهم ستة أسابيع. فخلال هذه الاسابيع قتلت في "ممر الموت" ١٨ امرأة وجرح أكثر من خمسين.

وفي اليوم التالي دخل مندوبو الصليب الاحمر ومعهم ١٣ سيارة. فقررنا اجلاء أكبر عدد ممكن من المرضى لأن المستشفى كان أصيب بأضرار بالغة وكان الموظفون منهكين. وعمّت الفوضى وعلا الصياح فيما الاهل يتزاحمون حول المرضى الذين سيُخرجون للمعالجة. وعندما حان دور المرأة التي أصيبت وهي تجمع العشب لتقيت عائلتها، انفجرت باكية فبكيت معها.

وهكذا، بعد ١٦٣ يوماً رفع الحصار عن مخيم برج البراجنة. ولكن كانت لا تزال هناك مفاجأة. فقد قادنا أحد أصدقاء بن الى بناء من خمس طبقات قائم بمفرده في الزاوية الشمالية الشرقية المهدّمة من المخيم. وكان عدد كبير من الابنية المحيطة هدم



بولين كاتنغ اليوم.

في يونيو (حزيران) ١٩٨٧، استقبلت الدكتورة بولين كاتنغ الصبي بلال، وعمره سبع سنوات، لدى وصوله الى مستشفى ستوك مانديفيل في بكنغهامشير لمعالجة خاصة يدفع تكاليفها "صندوق جيمي سافيل."

وكان في رفقة بلال صبي فلسطيني آخر هو سمير وعمره ثماني سنوات، مصاب برصاصة حطمت عموده الفقري. وقد عولج الولدان وبات في امكانهما المشي مستعينين بعكازات خاصة. وعادا بعد ذلك الى مخيم برج البراجنة.

في يوليو (تموز) ١٩٨٧ مُنحت الدكتورة كاتنغ "وسام الامبراطورية البريطانية" لعملها الانساني في المخيم. وسيعقد قرانها على بن في وقت لاحق من هذه السنة. وهي تسعى حالياً الى العمل في امستردام حيث يعمل بن كطبيب متمرن.

وسوّي بالارض. فصعد بنا الشاب الى الطبقة الثانية. وفي غرفة محصنة من جميع جهاتها بالفرش والخزانات والكراسي جلست امرأة فائقة البدانة ترتدي وشاحاً وثياباً للنوم.

فشرح لنا الشاب: "انها عاجزة عن المشي، لذلك لا تستطيع مغادرة المكان. ونحن نحضر لها الطعام والماء يومياً."

وقالت المرأة بامتنان: "هؤلاء الشباب كانوا يهتمون بي كل الوقت."

ان ذلك لا يصدّق. انها في أخطر نقطة على خط النار. وقد بقيت هناك طوال الحصار.

## العودة

ودعت أنا وبن وسوزي وهانس زملاءنا وأصدقاءنا وداعاً عاطفياً. ثم أخذنا السفير البريطاني في سيارته المصفحة الى منزله خارج بيروت. وصدمت بذلك التغيير المفاجىء، من المخيم القاتم المحاصر الى قاعة فسيحة مفروشة بالسجاد الفخم. وجلسنا للطعام، فبسطنا فُوط السفرة في أحضاننا وتناولنا وجبة لذيذة من حساء ودجاج وخضر وحلوى.

ركبنا معدّية نقلتنا الى لارنكا في قبرص. ومن هناك طار هانس الى النمسا وطرنا نحن الثلاثة الباقين الى مطار هيثرو في لندن.

ذلك المساء أخذنا قسطاً من الراحة في منزل والديّ. وأثناء الاحتفاء المؤثر بنا لاحظت سوزي وبن ساهمَين يحدقان الى الفراغ ولا يصغيان الى ما يجري حولهما من أحاديث. فعلمت أنهما راجعان بالذكرى، كما كنت أنا، الى مخيم برج البراجنة، يفكران في الاشخاص الذين عشنا واياهم أشهراً عدة عيشة قاسية وشاطرناهم محنتهم ومصيرهم.

وتساءلت عن احتمال رؤيتهم ثانية. هل سيكونون في مأمن من خطر القتل والاضطهاد؟ وهل سيعرف الاولاد حياة يعيشونها غير مهددين برصاص القناصين وسقوط قذائف الهاون على رؤوسهم؟

قد ينسى العالم هؤلاء الناس والمأساة التي يعيشونها. أما أنا فلن أنساهم ابداً وسأعود اليهم ذات يوم.

**الدكتورة بولين كاتنغ ■**

ترجمة الياس عقل



## عودة الى الطفولة

اشترى صديق لي سيارة جديدة، ونظرا الى ان القديمة لم يكن فيها شيء ذو قيمة باستثناء عجلاتها الاربع، قرّر ان يبيعها بمئة دولار. وقد اشتراها منه رجل محترم في نهاية العقد الثامن من عمره يعيش في الجهة المقابلة من الشارع، فقادها صديقي الى منزل الشاري واوقفها تحت شجرة كبيرة.

في كل صباح كان هذا الشيخ النشيط يخرج الى السيارة مبتهجا لينفض الغبار عنها. ثم يمضي بعض الوقت جالسا في المقعد الامامي. ونادرا جدا ما كان يرفع غطاء المحرك او يفتح الصندوق. وبعدما راقب صديقي هذه التصرفات المتكرّرة بعض الوقت سأل جاره: "هل لي ان اعرف لماذا اشتريتِ هذه السيارة العتيقة؟"

فاجاب: "حسناً، الامر بسيط: لقد رغبت طوال حياتي في اقتناء سيارة ولكني لم احظَ بواحدة. والآن تحقق حلمي!" واكمل نفض الغبار عن السيارة وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة رضى.

ب.ك.ب.

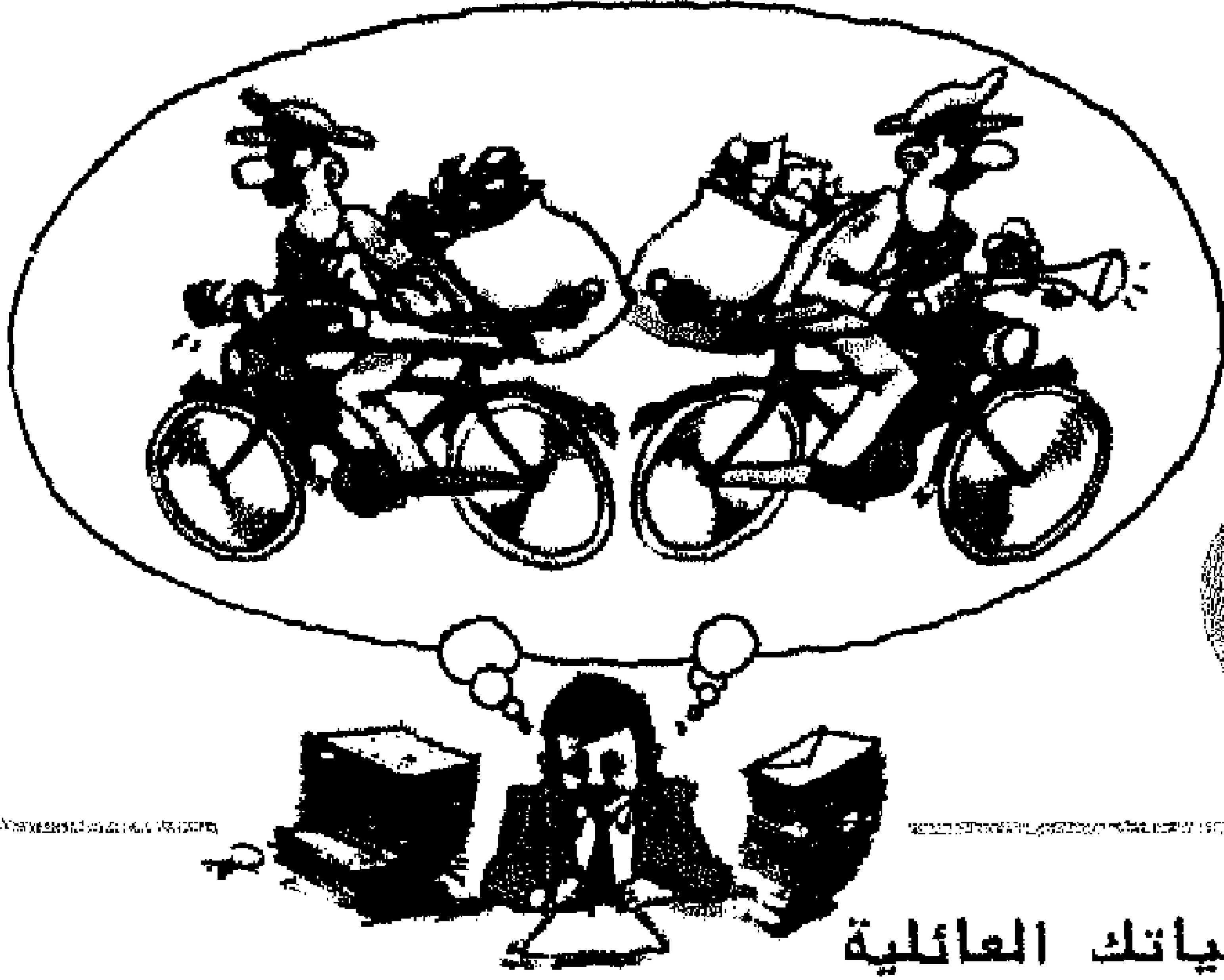
---

## كلنا شعراء

سئل الشاعر وليم ستافورد مرة: "متى قررت أن تصبح شاعراً؟" فأجاب ان السؤال في طريقة طرحه غلط. وأضاف: "كل منا يولد شاعراً بطبيعته، فيكتشف أسرار الكلمات ويهتم بها ويبتهج. أنا ثابرت على ما يشرع فيه كل انسان. والسؤال الحقيقي الذي ينبغي أن يطرح هو: لماذا توقف الآخرون؟"

ج.م.

# اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

**صور من الحياة:** القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

**تأملات معاصرة:** مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

**حديقة أفكار:** أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

**الضحك خير دواء:** تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

**السدات:** هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

## شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص. ب ٥٥٢٣٨، المتن الشمالي، لبنان.



"بيوت في الريف" للرسام الهولندي فنسنت فان غوغ

مارس (آذار) ١٩٨٩، شعبان ١٤٠٩

# المختار

من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest March '89 N° 124



## رهينة تتذكر بيروت

(ص ١١)



أوسع المجلات انتشاراً في العالم
٣٨ طبعة. ١٥ لغة. ٢٨ مليون نسخة شهرياً



## الليغو لعبة السلام

(ص ٢٦)

## عقدة الصمت بين الرجل والمرأة

(ص ٢١)

## أطعمة تخفف الكولسترول

(ص ٥٣)



# المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية


رئيس التحرير - المدير المسؤول ادمون صعب.

امانة التحرير راغدة حداد. الاخراج جورج عالي. الخطوط جبران مطر.

---

الامتياز شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت

رئيس مجلس الادارة - المدير العام الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون داني دحداح - باز.

التحرير والادارة مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.

الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.

الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE

الصف والتنفيذ المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

---

AL MUKHTAR min Reader's Digest





Editor-in-Chief: Edmond Saab

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Centre Myrna Chalouhi, Blvd Sin el-Fil, P.O.Box 55228,

El-Metn, Lebanon.

Tel: 492670 — 491630, Telex: MUKTAR 44615 LE.





MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

March '89 N° 124 (New Series) Vol. 11

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

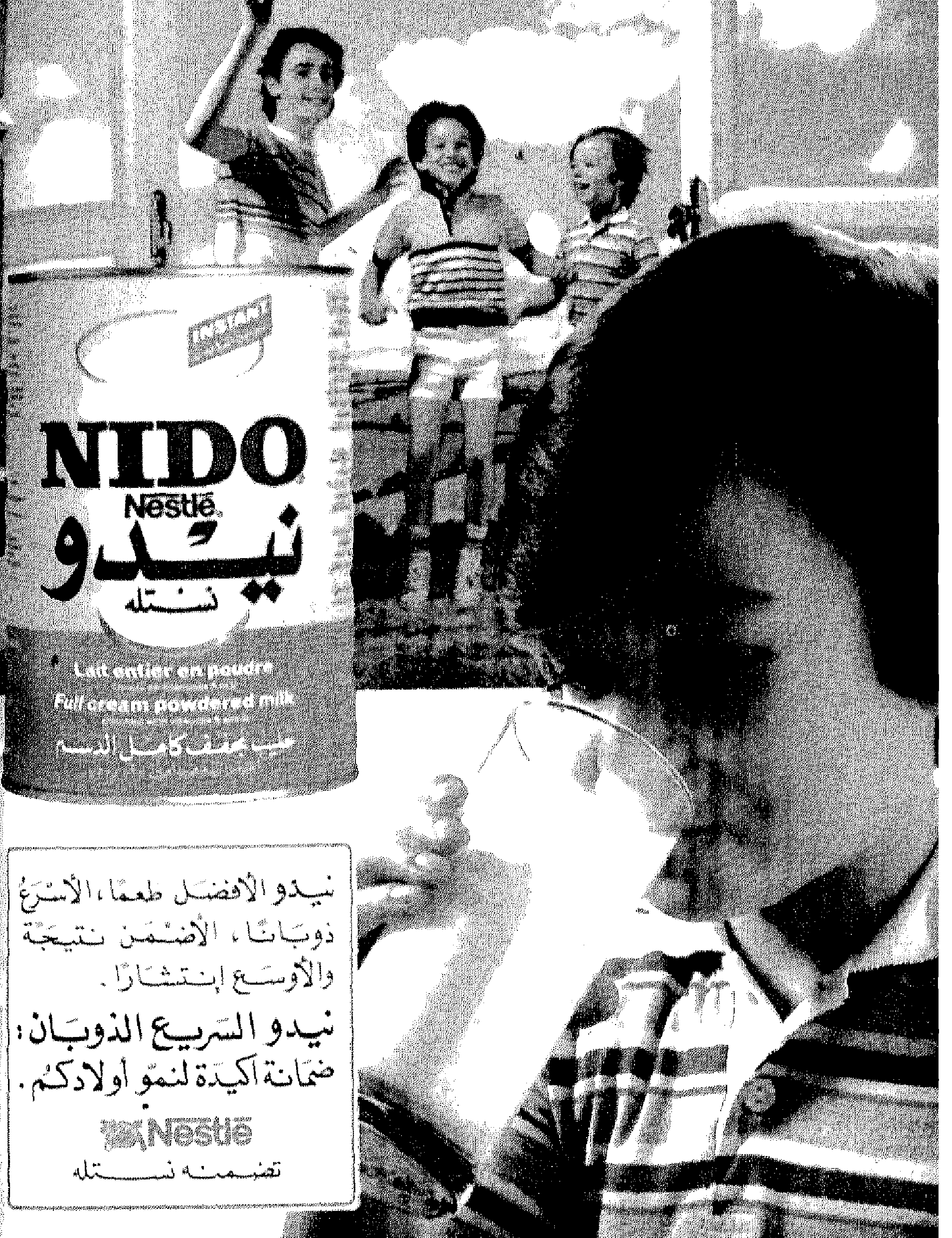
رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والاسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.





لبنان ٣٥٠ل - سورية ١٥ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربيه المتحده ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ١،٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٧ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - تونس ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د



نيدو الحليب الأفضل
NIDO
Nestlé
نيدو
نستله
Lait entier en poudre
Full cream powdered milk
حليب مجفف كامل الدسم
نيدو الأفضل طعماً، الأسرع ذوباناً، الأضمن نتيجة والأوسع إنتشاراً.
نيدو السريع الذوبان: ضمانة أكيدة لنمو أولادكم.
Nestlé
تضمنه نستله

# حديقة أفكار

- عندما لا نقوى على البقاء وحدنا فهذا يعني أننا لا نقدر صحبة رفيقنا الوحيد من المهد الى اللحد - الا وهو ذاتنا.

إ.ل.

- بالمثابرة وصلت السلحفاة الى فلك نوح.

ش.هـ.س.

- عساك تلتفت الى ماضيك باللذة ذاتها التي تتطلع بها نحو مستقبلك.

ب.د.

- ليس الاحتفال مجرد شعور بالفرح، إنه تجربة تحب فيها الآخرين وتقبلهم كما هم وتضحك معهم.

د.س.

- أنا لا أسأل عن معنى أغنية عصفور أو شروق شمس في صباح ضبابي. فوجودهما وجمالهما يكفيان.

ب.هـ.

- أحياناً تكون الراحة التامة هي العمل الأهم والأكثر الحاحاً.

أ.ب.

- نحتاج الى أصدقائنا القدامى لكي نتقدّم في العمر، ونحتاج الى أصدقاء جدد لكي نجدد شبابنا.

ل.ك.

"إنها لنعمة أن تكون بسيطاً
إنها لنعمة أن تكون حراً"
هنري ديفيد ثورو



# نعمة البساطة

كنا عشرة رفقاء، نجدف زوارق صغيرة في النهر عصر يوم خريفي تحت أشعة شمس غاربة. كانت على الضفة أيائل ترعى وتلوّح بأذيالها وهي تراقب مرور أسطولنا الصغير. ذلك المساء نصبنا خيماً، وشوينا لحماً وتمددنا حول نار المخيم نحدق الى النجوم بأعين ناعسة. ثم التقط أحد الرفقاء غيتاره وأنشد أغنية قديمة: "انها لنعمة أن تكون بسيطاً، انها لنعمة أن تكون حراً."

تلك كانت عطلة رائعة. لكنها انتهت. وعدنا الى عالم الصخب والاعمال وآلات الغسل المتعطلة. "انها لنعمة أن تكون

Photo: © David Stoecklein / The Stock Market

بسيطاً، انها لنعمة أن تكون حراً." وجدتني أردد هاتين العبارتين في مواقف غريبة. كم تقت الى البساطة، ولكن أين اجدها؟

"حياتنا تمزقها التفاصيل. أوجزوا أوجزوا." هذا القول المأثور هو للكاتب وعالم الطبيعة الامريكي هنري ديفيد ثورو، وقد تردد صداه منذ عهد الزوارق البخارية والمحاريث التي تجرها الثيران. وهو انتابني مدة طويلة. لكن ثورو نفسه لم يطق البقاء أكثر من سنتين في الكوخ الذي بناه قرب بركة وولدن. وهو كان بلا زوجة، ولا أولاد، ولا عمل، غنياً عن الاهتمام بتفاصيل مثل الاسعار المتقلبة للاسهم.

استهوت حياتي التفاصيل، كأنما شعاري "عقِّد، عقِّد." ووجدت انني لم أكن وحيداً. لكنّ تفكيري في البساطة انقلب ذات يوم.

**جزء من الطبيعة.** كنت أزور عالم فيزياء في مكتبه في بناء شاهق منتصب وسط مزارع. تطلعنا عبر نافذته الى مختبر للابحاث الذرية يحتل دائرة فسيحة المرج تحتنا. قال: "انه مثل عربة زمنية،" شارحاً أنه يتيح للفيزيائي درس أحوال مشابهة لتلك التي كانت في البدء. ذكر أن الكون كان حينذاك أبسط مما هو الآن، مجرد نقطة تشتمل ربما على نوع واحد من القوة ونوع واحد من الذرة. اما الآن ففي الكون أنواع من القوى لا تحصى وعشرات من الذرات والجزيئات، وفيه كل شيء، من النجوم والكواكب غير المنظورة الى الهندباء والفيلة وقصائد الشاعر الانكليزي كيتس (١٧٩٥ - ١٨٢١).

ان التعقيد، كما بدأت أراه من ذلك البرج، هو جزء من الطبيعة.

في العمق ندرك ذلك. نتكلم باستخفاف عن البسطاء. لا أحد يريد أن يقترف ذنب التفكير البسيط.

أما أن نُعمي أنفسنا عن التعقيد فأمر خطر. اشتريت ذات مرة بيتاً. أحببت موقعه كثيراً وبعدما أصبح ملكاً لي وجدت انه يحتاج الى عزل، والى تسقيف، والى جهاز جديد للتدفئة، والى نوافذ جديدة، والى مجار جديدة، والى كل شيء. ذلك المنزل القديم أضحى عبئاً يكلف أكثر مما أتحمل، وحتى الكلفة المختصرة الضرورية كانت أكبر من امكاناتي لقد رفضت أن أنظر الى التعقيدات.

حتى الامور المالية اليومية نادراً ما تكون بسيطة. ماذا تغطي وثيقة تأمينك فعلا؟ ومع ذلك فعلم الاقتصاد هو البساطة عينها اذا قورن بالمسائل المعنوية والمسلكية.

**قمح على الارض.** عندما كنت في العاشرة وجدتني ذات أصيل قائداً لعصبة من الصبيان. كان علي أن أسليهم، وإلا كان عملي كقائد وجيزاً. ثم رأيت جو.

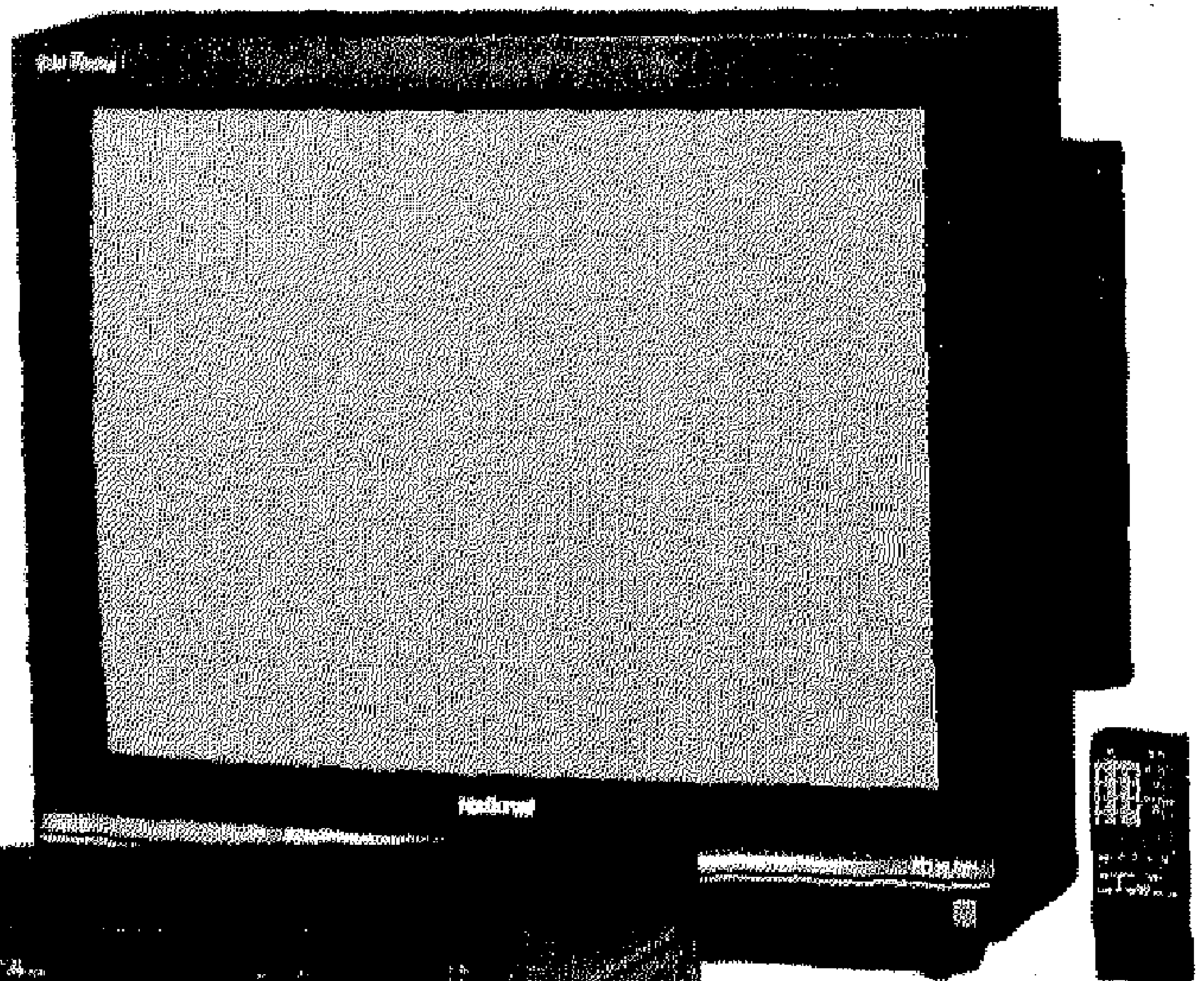
كان جو عملاقاً أبله، هاجرت أسرته الى الولايات المتحدة من أوروبا وكانت انكليزيته ضعيفة.

تجمعت فرقتي الصغيرة حول جو. خطف أحدهم قبعته وأخذنا نتقاذفها. ركض جو الى بيته وأخذت أنا القبعة كتذكار انتصار.

تلك الليلة قرع جرس بابنا، فاذا بوالد جو، المزارع المضطرب ذي اللهجة الخشنة،

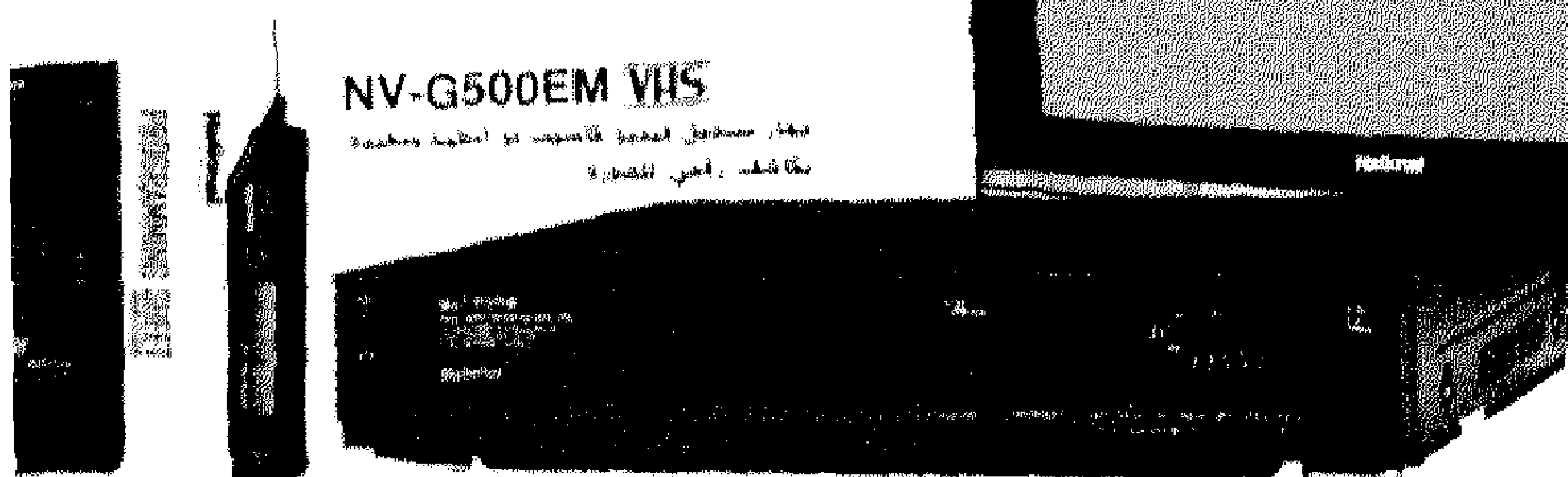
(التتمة في الصفحة ٨) 

# نوعية تستحق التقدير



TC-2995

Super VHS

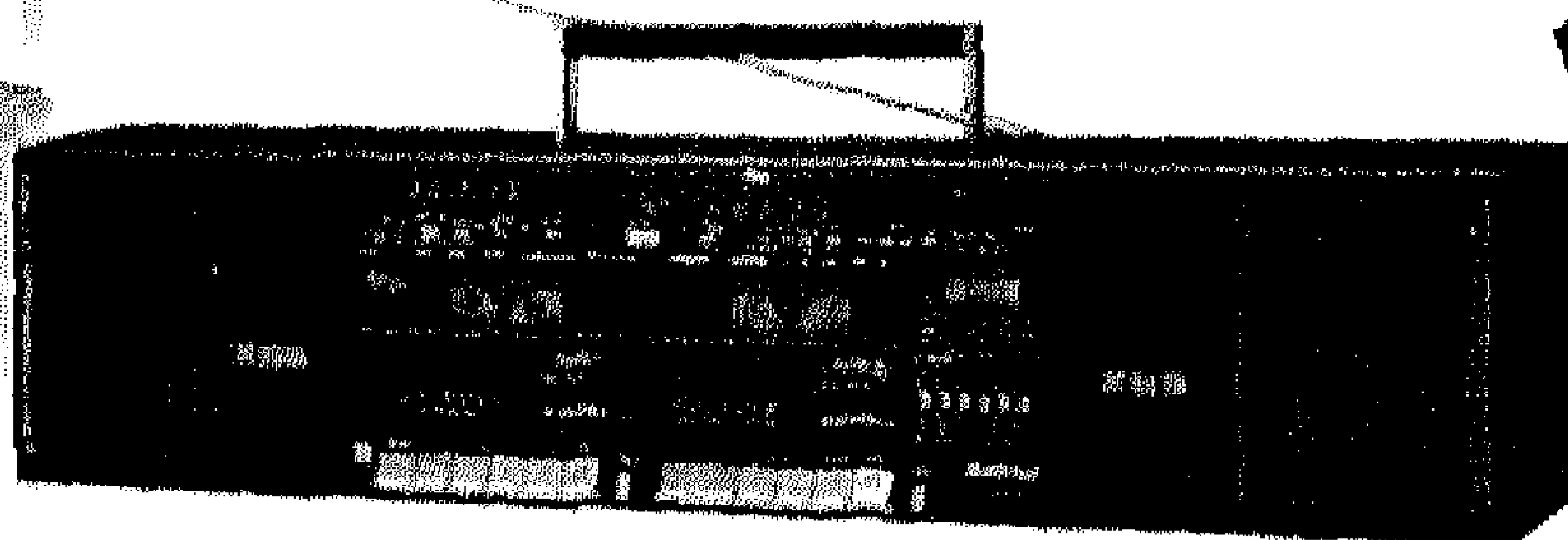


NV-G500EM VHS



NV-M7EM VHS

كاميرا تصوير بالفيديو VHS مكتملة الحجم بوظيفة ضبط بؤري تلقائي



RX-CW55F

جهاز ستيريو متعدد الاجزاء مزدوج الكاسيت مع راديو بـ٤ موجات (اف ام / متوسطة قصيرة ١ / قصيرة ٢) ونظام استجابة تردد الصوت الفائق الانخفاض XBS

## مصر

- شركة بغداد للتجارة △ القاهرة – الهاتف ٨٣٨٣٦٥
- شركة بغداد للتجارة △ القاهرة – الهاتف ٢٠٤٧٨٣/ ٢٠٨٣٣٥/ ٢٠٨٣٠٣
- مركز التحرير للتجارة والخدمات △ القاهرة – الهاتف ٧٧٧٧٧٠/ ٧٧٧٩٩٩
- مركز ابو علم للخدمات △ القاهرة – الهاتف ٧٥١٥٨٣/ ٧٦٣٣٦٣
- مركز تنتولي للخدمات △ القاهرة – الهاتف ٢٢٠٦٤٩/ ٢٧٣٣٥٠
- الشركة المصرية المحدودة للالكترونيات △ القاهرة – الهاتف ٣٤٠٩٤٤٣/ ٣٤٠٠٣٤٣/ ٣٤٠٠٣٢٨/ ٣٤٠٣٨٦٨
- الشركة المصرية المحدودة للالكترونيات △ القاهرة – الهاتف ٥٣٦٧٠١
- الشركة المصرية المحدودة للالكترونيات △ القاهرة – الهاتف ٣٤٤٩٥٥٨
- مصر حلوان للتصدير والاستيراد ◊ القاهرة – الهاتف ٣٩٠٠٤١٦/ ٣٩٠٨٥٨٤

الملحقات السمعية/ البصرية فقط △
ادوات منزلية فقط ◊

## المملكة العربية السعودية

- شركة م. جميل العلوي جدة – الهاتف ٦٤٧٠٠٠٠، مكة – الهاتف ٥٣٧٠١٧٤ المدينة – الهاتف ٨٣٣١١٣، الطائف – الهاتف ٧٣٢١٤٣٧، خميس مشيط – الهاتف ٢٢٣٣٢١٦، الرياض – الهاتف ٤٠٣٦٧٠٧، الخبر – الهاتف ٨٦٤٧٨٤٠، الدمام – الهاتف ٨٢٣٦٠٨٧، الحسا – الهاتف ٥٨٢٣٠٨،

## الامارات العربية المتحدة

- ناشيونال عمان للالكترونيات دبي – الهاتف ٢٢١٩٤٧، ابو ظبي – الهاتف ٣٤٣٨٧٢، العين – الهاتف ٦٥٤٩٥٠، الشارقة – الهاتف ٥٩٣٩٤٥، راس الخيمة – الهاتف ٣١٤٣٩، الفجيرة – الهاتف ٢٢٩٢٦

## الكويت

- عيسى حسين اليوسفي الكويت – الهاتف ٢٤٣١٤٣٩/ ٢٤٣٤٩٩٨/ ٢٤٤٠٠٣١/ ٢٤١٧٦٦٦،

يختار معظمنا منتجات ناشيونال لنوعيتها المتفوقة. وهذا سبب وجيه، فالمنتجات ذات النوعية الجيدة تعمل بشكل أفضل. ولكن هناك سبب وجيه آخر، وهو شبكة خدمات ناشيونال. إذا طرأ أي عطل على آلة ناشيونال خاصتك، فما عليك سوى اخذها الى أي مركز من مراكز خدمات ناشيونال المعتمدة والمدرجة أدناه حيث يتم اصلاحها سريعاً وعلى نحو صحيح.

إذاً، لديك الآن سببان وجيهان لاختيار ناشيونال: النوعية الممتازة والخدمة الموثوقة. وهذان السببان يسفيان بالطلب.

FULL SERVICE National NETWORK

NN-9507NVS
فرن ميكروويف وحمل حراري بأربع درجات للطهي

NR-436TE
ثلاجة من الطراز "الواسع" مع تشغيل "من دون صقيع".

MC-7540
مكنسة كهربائية مطروحة مع محرك ١٢٠٠ واط قوي.

NA-760H
غسالة اوتوماتيكية بالكامل مع تشغيل بلمسة واحدة عن طريق الميكروكمبيوتر.

خدمة موثوقة

## الهند

- مركز اسكواير للخدمات △ بومباي - الهاتف ٣٣٠٣١١/ ٣٣٤٣٣٦
- مركز اسكواير للخدمات △ بومباي - الهاتف ٤١٣١٨٥٧/ ٤١٣٣٤٧٠
- الدس للتكييف، خاصة، محدودة ◊ بومباي - الهاتف ٤٣٣٣٧٣٩/٤٣٣٣٧٣٧
- الوكالات الكهربائية المتحدة △ مدراس - الهاتف ٤٧٨٥٥٩
- الوكالات الكهربائية المتحدة △ بنغلور - الهاتف ٣٣٠٣٧٥/ ٣٢٥٥٧٧
- مركز اسكواير للخدمات نيودلهي - الهاتف ٦١١٣٣٧/ ٦٩٧٣٨٥
- شركة بوزيلف للتجارة نيودلهي - الهاتف ٣٦٣١٧٩/ ٣٦٨٩٦٤

- مؤسسة توتنجيان ش.م.ل.، بيروت - الهاتف ٤١٣١٨٤/ ٤١١٢٥٨

## سوريا

- هـ. سرامنديان وابناؤه، حلب - الهاتف ٢٢١٠٠٨/ ٢١٠٣٣٥

## ايران

- شركة كيفارد للتجارة، محدودة، طهران - الهاتف ٥ - ٧٦٩٠٥١

## باكستان

- مركز خدمة ناشيونال، كراتشي - الهاتف ٤٣٣٣٧٣/ ٤٤٤٣٥٦
- مركز خدمة للتلفزيونات ومسجلات الفيديو ناشيونال △ كراتشي - الهاتف ٤٣٣١٦١
- مراكز خدمة لناشيونال حيدر ابا ... - الهاتف ٨٤٤٠٠٧/ ٨٤٧٩٣٣، فيصل

National

يطلب قبعة ابنه. اعدتها اليه وأنا مرتبك. قال بصدق: "أرجو ألا تزعج جو. انه مصاب بداء الربو، ومتى دهمته نوبة فمن الصعب أن تتحسن حاله."

أحسست كأن رصاصة خرقت صدري. وفي المساء التالي سرت الى بيت جو. كان في الحديقة يحرث الارض. راقبني بحذر حينما صعدت اليه. سألته ما اذا كنت أستطيع المساعدة. قال: "أجل." بعد ذلك بت أذهب اليه غالبا، وأمسينا أفضل صديقين.

لقد خطوت خطوة نحو البلوغ. وجدت داخلي امكانات شبيهة بأسلاك متشابكة. السلك الاحمر كان احتمالا للشر لا يستلزم أكثر من تجاهل آلام الآخرين. والسلك الابيض للتعاطف. كان في وسعي أن أتحكّم بوصل هذين السلكين. الامر منوط بالقرارات التي اتخذها. لقد اكتشفت التعقيد ووجدته فرصة للاختيار وللنمو. أما الثمن فهو المسؤولية.

ربما كان ذلك سبباً في توقنا الى الحياة البسيطة. نحن نريد أن نكون أطفالا لندع غيرنا يحمل ذلك العبء من المسؤولية.

نحن كالقمح على الارض، هنا ننضج. ننضج عقلياً باستيعابنا ما أمكن من تعقيدات الكون، وننضج معنويا بصنع خياراتنا، وننضج روحياً بفتح عيوننا على خليقة الله عز وجل.

**حكمة القيقب.** ذات أصيل التقطت ورقة ساقطة من شجرة قيقب في باحة منزلنا. قرّبتها من عيني فرأيتها صفراء تتخللها مسحات حمر. وحين مددت ذراعي أمامي بدت لي برتقالية. كان لونها متوقفاً على طريقة نظري اليها.

كنت أعرف قليلا كيف تقضي هذه الورقة حياتها، تحوّل نور الشمس وثاني أوكسيد الكربون مواد غذائية. وعرفت أننا نحن البشر ننشق الاوكسيجين الذي تنتجه هذه النبتة، فيما تنمو هي على ثاني أوكسيد الكربون الذي نزفره. وعرفت أن لكل خلية في الورقة نواة تحتوي على مادة كيميائية تدعى حمضاً نووياً (★) وتنطوي على التعليمات الضرورية لانماء نبتة قيقب. ان العلماء يعرفون أكثر مما أعرف، ولكن حتى علمهم لا يمتد الا مسافة قصيرة داخل بحر التعقيد الذي يختزنه القيقب.

أظنني بدأت أفهم ما تعني البساطة. انها لا تعني أن نعمي أنفسنا عن التعقيد المذهل للعالم، أو أن نتحاشى الخيارات التي تنضجنا. ان ثورو بقوله "بسّطوا، بسّطوا" عنى أن نبسّط أنفسنا.

لبلوغ ذلك يمكننا أن:

## نركز على الامور الاكثر عمقاً.

ان الحياة البسيطة ليست بالضرورة أن نعيش في كوخ ونزرع الحبوب، انها رفضنا ترك التفاصيل تبدد حياتنا.

## ان نقطع رحلة الحياة خطوة خطوة.

ذات مرة التقيت زوجين أعميين منذ الولادة. لهما ابنة تبلغ من العمر ثلاث سنوات، وطفل، وكلاهما مبصر. بالنسبة الى ذينك الوالدين، كل شيء معقد: استحمام الطفل، مراقبة الابنة، جز

(★) Deoxyribonucleic acid «DNA»

العشب. ومع ذلك كانا ممتلئين ابتساماً وقهقهة. سألت الام: "كيف تعرفين مكان ابنتك الدائمة الحركة؟" فأجابت وهي تضحك: "أربط بحذائها أجراساً صغيرة."

سألتها: "ماذا ستفعلين عندما يبدأ الصغير المشي؟"

تبسمت وقالت: "كل شيء معقد بحيث لا أحاول أن أحل مشكلة الا متى تعيّن حلها. أعالج شيئاً واحداً في وقت واحد."

**ان نشذب رغباتنا.** أدرك الروائي والمؤلف المسرحي البريطاني جيروم كلابكا جيروم مغزى هذا المقصد حينما كتب: "لتكن سفينة حياتك خفيفة محملة بما تحتاج اليه فقط: بيت بسيط، وملذات بسيطة، وصديق أو صديقين يستحقان هذا الاسم، وشخص تحبه وشخص يحبك، وهرة، وكلب، وغليون أو غليونين، وما يكفي للمأكل، وما يكفي للملبس، وأكثر مما يكفي للمشرب لأن العطش أمر خطر."

قبل مدة وجيزة سافرت جواً الى مسقط رأسي لأعود والدي في المستشفى. كان مرضه من النوع الذي يثلب العقل. وكنت أنا كتلة من الهموم. العلاجات؟ دور العجزة؟ المال؟

كان أبي مسترخياً في كرسي متحرك، متجعداً، بقية من الأب الذي عرفت. وحين وقفت هناك متألماً مضطرباً تطلع الى فوق ورآني. ثم رأيت شيئاً غير متوقع وعجيباً في عينيه: المعرفة والمحبة. اغرورقت عيناه. كذلك عيناي.

ذلك الاصيل رجع والدي من المجهول الذي أخذه اليه مرضه. فرح وضحك وعاد الرجل الذي عرفت. ثم تعب فوضعته في فراشه. وفي الغد لم يتذكر أني أتيت. وفي الليلة التالية توفي.

كل موت هو باب مفتوح على الغامض. الباب يفتح لكننا لا نرى إلا الظلام. في تلك اللحظة الرهيبة أدركت كم الكون فسيح، تعقيد فوق تعقيد. لكن ذلك هو العطاء الحقيقي للبساطة: أن نقبل التعقيد السرمدي للعالم، والانذهال.

حينئذ يمكننا أن نتذوق الاشياء البسيطة: وجهاً نحب، أو عينين مفعمتين بالحب.

انها أبسط الاشياء. لكنها كافية.

**ريتشارد فولكومير** ■



## طبيب نفسه

كان طبيبان نفسيان، واحد كهل والثاني شاب يحضران كل صباح الى عملهما وهما بكامل أناقتهما ونشاطهما. وفي نهاية النهار يخرج الطبيب الشاب مُنهكاً مُشعَّث الشعر مغضّن الملابس، فيما يحافظ الاكبر سناً على نشاطه الدائم.

سأل الطبيب النفسي الشاب زميله: "كيف تحافظ على نشاطك بعد سماعك المرضى طوال النهار؟"

فأجاب هذا: "لا أصغي اليهم البتة."

رونالد ريغن، الرئيس الامريكي السابق

المختار

مارس (آذار) ١٩٨٩ من ريـدرز دايجست السنة الحادية عشرة (سلسلة جديدة)

مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

# رهينة تتذكر بيروت:
# الموت لاشيء الظلم هو الأهم

**احتجز الصحافي الفرنسي جان – بول كوفمان رهينة في بيروت ثلاث سنوات وأطلق في ٤ مايو (أيار) ١٩٨٨ فعاد الى زوجته جويل وولديه.**
**شقاؤه حرّك نفسه ودفعه إلى اعادة النظر في كثير من آرائه وقناعاته. وهو يصف محنته في هذه المقابلة، مفصحاً عن الدلالات الجديدة التي أضفتها تلك التجربة على كلمات مثل "الحرية" و"السعادة" و"التضامن" و"الايمان".**

**س. لقد رجعت إلى الحياة، إلى حياتك في فرنسا، فما الامر الذي استوقفك أكثر من سواه؟**

ج. أمور صغيرة هي أكثر أهمية مما تظن. مثل الرقم "٤" الذي أضيف الى كل أرقام الهاتف في باريس، والاغطية اللولبية التي تسد قناني المياه المعدنية. فبسبب الرقم "٤" هذا مر ردح من الزمن لم أستطع اجراء مكالمات هاتفية، كما اضطررت في البدء الى الاستعانة بالآخرين ليفتحوا لي زجاجات المياه المعدنية.

**س. هل ألفيت الفرنسيين كعهدك بهم؟**

ج. قبل خطفي كانت نظرتي إلى المستقبل متشائمة. كنت أرى فرنسا بلداً شكوكاً، بالياً إلى حد ما، منزوياً عاكفاً على تجارته الخاصة. وهذه هي الكلمات ذاتها التي استعملتها في التعبير عن مقاصدي في حديث سجله الخاطفون على شريط في أغسطس (آب) ١٩٨٧. حسبت يومذاك أن الفرنسيين تخلوا عنا، وأن كلمة "اخاء" طواها النسيان.

كنت على خطأ. فالأمة هي أولا، وقبل

كل شيء، اتحاد عظيم. ومن خلال معاناتي وجدت أن بلدي لم يفقد الفضيلة التي تشكل سر عظمته، وهي الجود. لقد اعادنا رئيس الوزراء السابق جاك شيراك إلى موطننا، لكن الفرنسيين هم الذين أطلقونا.

**س. متى أدركت مبلغ مشاعر الشعب حيال الرهائن الفرنسية الثلاث؟**

ج. لقد تحدثت جويل مطولا عن ذلك في الاسبوع الاول لعودتي، أما أنا فالتجأت الى منزل أحد أصدقائي في تالمون بمنطقة شارانت - ماريتيم. ولم أكن على علم بأي أمر. وفي ١٢ مايو (أيار)، بعد انتهاء مؤتمري الصحافي، ذهبت أتسوق مع جويل في سوق روان. ذهلت لسلوك الناس نحونا. صاحب دكان صغير جاءنا بصندوق شراب هدية الينا من كل الدكاكين في السوق، ولم يقبل أحد استيفاء ثمن أي شيء اشتريناه. كان المارة يدنون منا قائلين: "عشية ٤ مايو (أيار) شربنا نخبكم."

لقد بلورت معاناتي مشاعر سخاء لا حدّ لها، اذ "عاش" الناس مأساتنا. وقد تأثرت لذلك كثيراً.

**س. أيعاودك التفكير غالباً في الرهائن الاجنبية المحتجزة حالياً في بيروت؟**

ج. انهم هاجسي الدائم، فهم اخوتي بالدم. وأنا لا أطيق التفكر في أنهم يقاسون الأهوال في هذه الآونة. عليك أن تتخيليهم في زنزانة بلا شبابيك، لا يدخلها هواء ولا نور نهار. والى أن تنقذ الرهائن المسماة "أجنبية" لن أشعر بأني طليق كلياً. وستبقى غمامة من الحزن تظللني وتلازمني حتى موتي.

**س. أيراودك شعور بالذنب على غرار الناجين من معسكرات الاعتقال الذين لم يطيقوا فكرة التخلي عن رفقائهم؟**

ج. في اعتقادي أن علينا أن نتكلم ببساطة عن أخوّة الاسى. كنت ومارسيل كارتون ومارسيل فونتين نواجه العذاب كل يوم. لقد شعرنا معاً بالجوع والبرد والخوف. أحسسنا، ورأينا بأم العين، الويلات التي سببها لنا الشقاء والتغيرات التي أكلت من وجوهنا وأرواحنا.

في الأول من مارس (آذار) ١٩٨٧، في مقلع مهجور، ظننا أننا تركنا لنموت في "تابوت" من الفولاذ. وقد بقيت أنا ومارسيل فونتين متلازّين لمعاركة البرد القارس والرعب.

أخوّة الفولاذ هذه ستربط في ما بيننا أبداً، وتشدنا باحكام إلى الرهائن الباقية. ونحن بهذا الميسم الذي لا يمحي، وبالعبودية المشتركة، ننتمي إلى "اخوية" خاصة بالمساجين. ويتعرف واحدنا الى الآخر بعلامات منها جَرْس الصوت ونظرات العيون والهزال والوجوم وحتى طريقة تدخين سيجارة. لطالما تفكرت في أن سنواتي الثلاث تلك هي الفاتحة، مدركاً أن شقائي سيتمخض عن أمور صعبة.

**س. هل خطر لك الموت مراراً؟ أيعتاد المرء ذلك الخاطر؟**

ج. فكرة الموت مفزعة في الوهلة

الاولى. كان أدنى صوت منبعث من الخارج يجعل حراسنا سريعي الغضب. وعند أي انذار كانوا يقتحمون الباب ويصلون علينا رشاشاتهم. حين يكون المرء معصوب العينين شاعراً بأن ثمة رشاشاً مصوباً نحوه، ينتابه احساس بأنه مغلوب على أمره تماماً. لقد استحضرت في ذهني مرة تلو مرة تلك اللحظة حين يغدو كل شيء أسود، أكثر سواداً من الفحم.

غير أننا اعتدنا الموت الوشيك، وصار من دأبنا أخيراً أن نهزأ بوعيد سجانينا واشاراتهم. يقول الروائي الفرنسي ألبير كامو: "الموت لا شيء، الظلم هو المهم." وكنا نتوقع الأسوأ حين يوقظنا أحدهم في الثالثة أو الرابعة صباحاً قائلا: "انهضوا." كانوا آنذاك ينقلوننا إلى مكان آخر، لكني أحسب أن سجانينا كانوا يتلاعبون بحيرتنا. كان التعسف أمرٌ ما في أسرنا.

مرَّ بي أسبوع عصيب في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦ حين طالبت بعض المجموعات خاطفيَّ باعدام "الجاسوس الصهيوني كوفمان" أثناء زيارة رئيس الوزراء الاسرائيلي السابق شمعون بيريز الى باريس. لم تغمض لي عين خمسة أيام بلياليها، وأذناي صاليتان لسماع أدنى صوت. لكن فؤاد الانسان لا يسعه أن يحيا في مسرّة دائمة أو كمد مقيم. لقد انتشلني الادب من وهدتي.

**س. أي كتب قرأت في الأسر؟**

**ج.** ثلاثة كتب كانت ذات شأن لي: الكتاب المقدس و"دروب الحرية" لسارتر ورواية "الحرب والسلم" لتولستوي. لم



أكل من قراءة الفقرة التي يراود فيها الامير أندريه حس داخلي بدنو أجله في معركة بورودينو. اذ ينظر عند الغسق إلى صف من قنابل المدفعية لامعة في أشعة الشمس ويقول "أن أموت... قد أقتل... غدا... وأمحي من الوجود..." تخيلت، كرّة تلو أخرى على غراره، أني غير حي. حدقت الى جدار زنزانتي بالشعور الممض ذاته: "سيبقى هذا الجدار، ولن أبقى أنا." هذا الادراك أن الحياة تمضي من دونك صعب القبول بادىء الأمر، لكنه يغدو مطمْئناً.

**س. أتكثر الرهائن من الأحلام؟**

**ج.** كانت الاحلام حياتنا الأخرى. أمضيت وكارتون وفونتين الساعات في تحليل أحلامنا، وجلّها عن طفولتنا. كنت أمضي معظم الليل في كورنو، القرية حيث عشت طفلا. وفي النهار تراودنا أحلام يقظة شتى. استرجعت ماضيَّ مستذكراً أدق التفاصيل في حياتي. لا أظن أن ذاكرتي أغضت عن أي وجه قابلته



Photo: l'Amateur de Bordeaux / M. Guillard

وإن لوقت وجيز. وقد شغلت بالتفكير في مناظر الريف الفرنسي. وشعرت بجسمي مفتقراً إلى تربة فرنسا. وكثيراً ما رددت في سري كلمات رائعة للكاتب شارل بيغي اذ قال: "كل براري العالم لا تساوي حديقة فرنسية جميلة."

**س. هل راودك أي أسف على أنك كنت، على نحو ما، خائباً أو فاشلا قبل اختطافك؟**

ج. ثمة منعطف لا يقوى المرء إلا أن يكون فيه عدوّ ماضيه. كانت ذاكرتي كخزانة استودعتها ذكرياتي وكدستها بترتيب. كنت أفتح مصراعها متفكراً: "الليلة استدعي كريات كورنو او بلزاك أو الجسر القائم على نهر اللوار في بوجنسي." كانت في حوزتي خزائن بقاء وذكريات.

لكن ذكرياتي جعلتني غير راضٍ اذ مازجتها الحسرات ومشاعر الاسف والندم. فكرت في سنواتي السابقة، في عزلتي الخاصة التي حرصت عليها، وقلت في سرّي: "يا لها من حياة رصينة!" صحيح أن البليّة لا تمنحني حق الحكم على الاشياء وكأني انسان متفوق، لكن انعكافي السابق يبدو سخيفاً الآن.

**س. ألديك اليوم ردود فعل لم تكن موجودة قبلا؟**

ج. لقد أمضيت ثلاث سنوات بائسة. كان عالمي مقتصراً على أربعة حيطان عارية وفراش من مطاط اسفنجي. لا أغراض شخصية، لا شيء يخصنا، حتى ملابسنا يمكن أن تغسل وتعطى لأي كان.

اما الآن فإن كثرة الاشياء، خصوصاً اذ تكون متفرقة، تصيبني بالإرباك. اني أمقت الفوضى والفضلات أكثر من أي شيء آخر. عندما كنت ألتهم تفاحة هناك في محبسي كنت آكل لبها وبزرها وأكاد أبتلع عنقها. كنا نقسم ثمرة ليمون صغيرة أربعة أجزاء. لقد انتقلت فجأة من دنيا كنا نفتقر فيها إلى كل شيء، إلى دنيا فيها أشياء زائدة على الحاجة، فغدوت لا أطيق طرح الطعام.

**س. ألم يبق الخاطفون في حوزتك أغراضاً شخصية باستثناء كتبك؟**

ج. تمكنت خلال سنة من حفظ قميصي. تحوّلت الياقة مِزَقاً، لكني أوليت ذلك القميص أهمية كبرى. ويوم اختفى أضعت آخر رموزي كرجل حرّ.

**س. ولم يعد لك اسم آنذاك؟**

ج. كانوا يسمونني "لبيب" فيما أطلق على مارسيل كارتون اسم "حبيب" وعلى مارسيل فونتين اسم "نجيب". والى الآن، اذ نتحدث هاتفياً يخاطب كل منا الآخر بلقبه حين كان سجيناً. وحين عاود الحراس مناداتي باسم "جان – بول" قبل بضعة أسابيع من اطلاقي كان ذلك عن قصد. وحدست في أن أمراً ما يجري.

**س. أكنتم تصلّون هناك؟**

ج. حتماً. دأبت على قراءة الكتاب المقدس كل صباح لساعة أو اثنتين. وكان السجانون يؤدون فريضة الصلاة لله تعالى خمس مرات في اليوم. وكنت أقول أحياناً في سريرتي إنني وسجّانيّ ندعو الرب نفسه.

**س. لقد رغب أصدقاؤك في ادخال السرور الى نفسك، فأثنوا عليك اذ بقيت على حالك لم تتغير. ما قولك في ذلك؟**

ج. انهم مصيبون ومخطئون في آن. أنا لا أمارس رياضة البؤس، لكني أومن بجانبه الانقاذي. لقد بذلت ما عندي لاجنب نفسي ومن أحب الاهوال. بيد أن البلوى نزلت علي، فلا خيار لي.

لقد تعهدت غضباً أعمى نما فيّ ضد خاطفيّ. غير أني اضطررت إلى كظمه، ومن عجيب التناقض أن ذلك العنف المحشوّ داخلي جعلني متسامحاً بعد اطلاقي. اني لا أكل من قراءة آية مأثورة: "أي فائدة للبشر من كل تعبهم تحت الشمس؟ جيل يمضي وجيل يأتي والارض قائمة مدى الدهر."

**س. أصفحت حقاً عن سجّانيك؟**

ج. كثير من أصدقائي، وحتى زوجتي، لم يفهموا اصراري على الغفران إلا بعد عناء. الأمر ليس بالسهل، واني مدرك مبلغ الصعوبة في أن يحيا المرء اليوم متسامحاً، اذ يفترض فيه اذا ما مكر به أحدهم أن يجازيه بالمثل، أو يعدّ جباناً.

**س. أكنت خسرت أمراً لولا المعاناة؟**

ج. تلك السنوات كانت فظيعة. لقد دنونا من حماقة البشر أقرب ما يكون انسان. ولكن اذ تنزل على المرء عُسرة كهذه، في وسعه استخدام الشدّة لكي يتعافى، وامتحان نفسه على نحو ما. البلاء يسفر عن أمور جمة. قد تظنني جننت اذ أقول هذا، لكنني كنت سأموت أبله لو لم أنصهر في هذه المحنة. كنت أحيا في برج عاجي بين كتبي وصحبي، وكانت حياتي معوَّذة من الخطر.

**س. زبدة القول اذاً أن لا شيء بقي على حاله بالنسبة اليك؟**

ج. لا، لم يتبدل شيء، ولكن مع ذلك كل الاشياء مختلفة. قبل ٢٢ مايو (أيار) ١٩٨٥ كانت الحرية فكرة مجردة. ينبغي أن تُسجني فعلا لتدركي معنى ان يكون الانسان حراً. لقد نسيت رائحة المطر المتساقط على الاسفلت، وارتجاف الاشجار. أرى الحرية اليوم درباً مألوفة في الفجر، مترقرقاً بين صفّي شجيرات.

**جان - بول كوفمان**

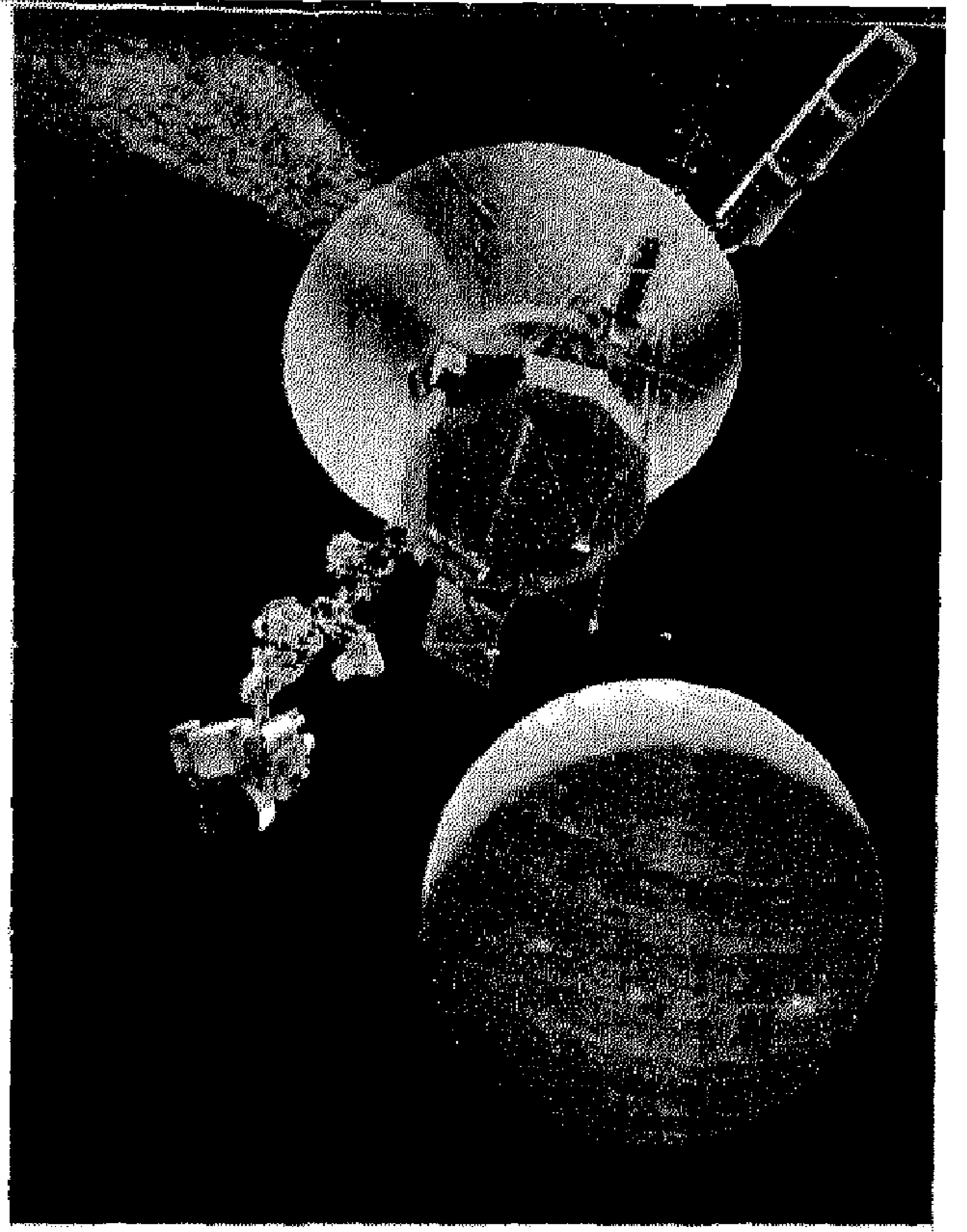
**قابلته ليليان سيشلر ■**



## "أمين" صندوق

جمع أمين الصندوق في المصرف قيمة شيكاتي بآلته الحاسبة، وقارن مجموعه مع المجموع المدون في بيان الايداع، وهتف: "انهما متقاربان." صدمني أسلوبه في العمل وسألته: "كيف توازن حساباتك في نهاية النهار؟" فجاء رده السريع: "بالطريقة نفسها."

س.د.



لا تزال هذه المركبة الفضائية تسبر كواكب النظام الشمسي منذ ١١ سنة وستغادرها بعد أشهر منطلقة الى... اللانهاية

# «فويجر» في أوقيانوس النجوم

قِفوا خارجاً مساء الرابع والعشرين من أغسطس (آب) المقبل (١٩٨٩)، وانظروا فوق الافق داخل المجرة. سيكون كوكب نبتون الغازيّ، بلونه الازرق المخضوضر، مختبئاً بين ذلك الرذاذ من النجوم، والمركبة الفضائية "فويجر ٢" تلفّ مبتعدة عن ذلك الكوكب الثامن في نظامنا الشمسي. تلك هي المحطة الاخيرة في جولة "فويجر" الكبرى التي تشمل أربعة كواكب في النظام الشمسي. بعد ذلك تومىء اللانهاية.

صُمِّمت "فويجر ٢" في الاساس لسبر كوكبين خلال أربع سنوات، لكنها لا تزال تدور منذ ١١ سنة بعدما زارت ثلاثة كواكب. انها بحق نجمة برنامج الفضاء الامريكي. أحياناً أخفقت أجهزتها الالكترونية وحَبست تروسها، لكن المشرفين على تسييرها أصلحوها بواسطة التحكم من بعيد. ولهذه المركبة، مع شقيقتها "فويجر ١"، نصيب كبير في البقاء لاجراء قياسات تتخطى النظام الشمسي، حيث لم تتوجه من قبل مركبة من صنع الانسان.

أكثر من ٣٠٠ عالم ومهندس يعملون على تشغيل مركبتي "فويجر". معظمهم يعمل في مختبر الدفع النفاث(١) في باسادينا التابع لمعهد كاليفورنيا

(١) Jet Propulsion Laboratory

للتكنولوجيا والمتعاقد مع وكالة الفضاء الامريكية (ناسا).

وكان مختبر الدفع النفاث جهز رحلات غير مأهولة الى القمر والمريخ وعطارد والزهرة. لكنه يفتخر خصوصاً بمركبتي "فويجر"، فقد اظهرت رحلاتهما البراكين الكبريتية في قمر المشتري "إيو" والتضاريس النافرة لـ"ميرندا" قمر أورانوس. وتعلّق صورهما عن العواصف الجبارة في المشتري على جدران المدارس في كل مكان. كما قدّما تقارير حول الضفائر الغريبة والبرامق(٢) السود في حلقات زحل التي جعلت علماء الكواكب يتعمقون في دراستها بحثاً عن جواب.

**عاديات الزمن.** تخيّلوا هذه الاداة الغريبة الشكل، البيضاء والسوداء، منطلقة في اتجاه نبتون بسرعة تفوق ١٦ كيلومتراً في الثانية. هوائيّاها التوأمان يتجهان خارجاً لالتقاط نسمات الراديو الكوكبية(٣). وثمة هوائي ثالث طوله ثلاثة أمتار ونصف متر موجه نحو كوكب الارض. وفي أسفل صحفة ثمة صهريج مستدير من وقود الهيدرازين الذي يتيح اجراء مناورات في الفضاء. وتحوط الصهريج حلقة سميكة عشارية الاضلاع يبلغ محيطها حوالى ١،٧٥ متر. تضم الحلقة ستة أدمغة الكترونية ومسجّلة وجهاز راديو وعدداً من الجيروسكوبات(٤) وسخانات كهربائية بالغة الصغر تومض وتخبو لكي تحفظ الحرارة داخل المركبة فوق درجة التجمد بقليل. وتتعلق بخارج الحلقة أسطوانة مطلية بالذهب ترسل أصواتاً مسجلة وصوراً عن الارض لعلّ "غريباً" يكتشفها.

و"فويجر" محفوفة أيضاً بالنواتىء. ففيها برج علوه ١٣ متراً يحفظ الادوات التي تقيس الحقول المغنطيسية. ومثل "عفريت" العلبة، كان البرج محشوراً في ما يشبه الدلو في أثناء الاطلاق، ثم أفلتته صواعق متفجرة لدى وصوله الى مداره. وهناك ناتىء آخر يحمل خمسة أجهزة علمية على منصة دوّارة للمسح. اثنان منهما آلتا تصوير تلفزيوني، منهما واحدة مجهزة بعدسة تلسكوبية تستطيع "رؤية" ناطحة السحاب الشهيرة "امباير ستايت" في نيويورك من مدار فوق لوس انجلس. ويتضمن الناتىء الثالث ثلاثة مولدات كهربائية حرارية. فكل سنة يحدث تناقص تلقائي في وقود البلوتونيوم المشعّ في "فويجر ٢"، الأمر الذي يحرمه نحو ٧ واط من القوة الكهربائية.

ولقد عانت المركبة الفضائية بعضاً من عاديات الزمن، أسوأها أذى في علبة تروس مشغّل ميكانيكي(٥) يدير منصة المسح. ففيما "فويجر ٢" تدور على محورها بعدما تجاوزت زحل في العام ١٩٨١ انحبس المشغّل وجعل آلات التصوير ترنو الى الفضاء السحيق. وامتدت يد الاتهام الى نقص في تشحيم أحد كراسي التحميل. وتوصل العلماء الى اعادة تشغيل الجهاز، لكنّ الاختبارات

(٢) البرمق هو شعاع العَجَلة.

(٣) Planetary radio auras

(٤) الجيروسكوب (gyroscope) أداة لحفظ التوازن وتحديد الاتجاه.

(٥) Gearbox or actuator

أظهرت أنه قد يكف عن أداء وظيفته بعد نحو ١٠٠ دورة، فيعطل نصف آلات المركبة.

يقول مهندس المنصة جورج كوكس: "الى الآن دارت المنصة ٩٩ مرة." وبالتالي فان أي اقتراح لتنشيط المشغّل الميكانيكي يخضع لمراجعة دقيقة. ومعظم ما تبقى من حياته ادُّخر للكوكب نبتون.

**شمس نبتون.** مثل المشغّل، هناك دماغان الكترونيان يعانيان مشاكل، واحد رئيسي وآخر بديل، وفيهما معطيات الرحلة وهما فقدا أجزاء وافرة من الذاكرة بسبب "العمر". والذاكرة المتبقاة تعمل ما يكفي لتكثيف المعلومات الآتية من آلتي التصوير - وهذا ضروري بسبب الوقت القصير المتاح للإرسال عبر الراديو، اذ ان عبور "فويجر" للكوكب لا يستغرق اكثر من ساعة تتم خلالها عملية التصوير.

في البدء لم يكن تكثيف المعلومات ضرورياً، لذا كان على مختبر الدفع النفاث أن يعيد برمجة الدماغين في منتصف الرحلة. وكان على علمائه أيضاً أن "يعلّموا" المركبة الفضائية ان تحتفظ بآلتي التصوير مصوبتين نحو الكوكب ومتتبعتين اياه. ففي ضوء الشمس الباهت في نبتون لا بد من وقت عرض ثابت قبل التصوير. وضوء الشمس وقت الظهر في نبتون شحيح كأشعة الشمس عند غيابها فوق الارض.

وهناك مشكلة أخرى تتعلق بالملاحة الفضائية. فنبتون يدور دورة كاملة حول الشمس كل ١٦٥ سنة تقريباً. ويقول دونالد غراي رئيس فريق الملاحة: "لم يكن من الممكن ملاحظة الكوكب وهو يتم دورة حول الشمس منذ اكتشافه قرابة العام ١٨٤٠." ولأن أحداً لا يعلم مدة دورته تماماً، ليس الفريق متأكداً من لحظة وصول "فويجر" الى الكوكب.

كذلك يجهل العلماء القوة الحقيقية لجاذبية نبتون التي ستحدد مقدار التحريف الذي يطبعه الكوكب في مسار المركبة الفضائية. ويتكل علماء الملاحة على هذا التحريف لارسال "فويجر"، بعد تجاوزها نبتون، جنوباً لتمر قرب القمر "تريتون". واستخدام الجاذبية لتصحيح مسار "فويجر" أساسي. فلولا الدفع الذي أمنته جاذبية المشتري لكانت الرحلة مستحيلة.

**صعوبات منتظرة.** في هذه الاثناء لا تزال "فويجر ٢" محافظة على وجهتها في الفضاء. وأهم نقاطها المرجعية هي الشمس والنجمة "كانوبوس" الشديدة النفع حتى ليصح أن يطلق عليها اسم "مرشدة مختبر الدفع النفاث." فأجهزة التحسس في المركبة تركز على هذين الجرمين السماويين فتحتفظ "فويجر" بطيرانها الثابت. وعندما يكسف كوكب ما هذين النجمين تتولى الجيروسكوبات زمام الملاحة.

غير أن هذه القدرات في "فويجر ٢" تقتضي تلقيها تعليمات منتظمة بالراديو، وهنا تكمن مشكلة قد تكون قاضية. فمختبر الدفع النفاث زوّد المركبة بجهازي راديو لاقطين، لكن واحداً فقط،

البديل، يعمل الآن، وليس كما يرام. وقد نسي المختبر أن يجري اتصالا مبرمجاً بـ"فويجر ٢" في ابريل (نيسان) ١٩٧٨، في وقت كانت كل الانظار منصبة على مشكلة "فويجر ١". اذذاك تحولت المركبة الى اللاقط البديل "لظنّها" ان هناك وهناً في اللاقط الرئيسي، ثم بعد ٣٠ دقيقة تحولت اليه مجدداً ونهائياً، لأن نفخة كهربائية عطلت اللاقط الرئيسي.

روِّع علماء المختبر عندما علموا أن اللاقط البديل يعاني مشكلة أخرى. فقد ضيِّقت دارة كهربائية قصيرة موجات الذبذبات التي يتلقى بها الاشارات. فبدلا من ٣٠٠ ألف هرتز باتت "النافذة" أضيق ألف مرة. ولا تقف الصعوبات عند هذا الحد، فتسخين اللاقط ثُمن درجة مئوية فقط يُزلِق "النافذة" حوالى نصف عرضها. وبعد اطلاق صواريخ دافعة لتصحيح المسار يظل المختبر عاجزاً مدة يومين عن بث رسائل طويلة.

والتقاء المركبة الفضائية نبتون يَعِد، بدوره، بصعوبات إضافية في حقل الاتصالات. فان "فويجر ٢" ستكون بعيدة جداً من الارض الى حد أن اشارات الراديو البالغة سرعتها ٣٠٠ ألف كيلومتر في الثانية، ستحتاج الى أكثر من أربع ساعات للوصول. فاذا "تلعثمت" المركبة أو ترنحت، ضاعت كمية كبيرة من المعطيات قبل أن يتسنى للمختبر التدخل. وسيكون على "فويجر" أن ترسل المعلومات بأقصى سرعة ممكنة كي تشمل كل النتائج العلمية. وتستوعب آلة التسجيل على متن المركبة نحو مئة صورة فيديو فقط، فيما فريق التصوير على الارض يخطط لتسعين ضعف هذا المقدار. وفي كل ثانية يجب أن تحشر صفحتان مطبوعتان من المعلومات عبر جهاز إرسال لا تتعدى قوته القصوى خمسة أضعاف قوة الموجة القصيرة المخصصة لهواة اللاسلكي.

وسوف ينجز بعض ذلك بسلسلة عمليات بارعة على الدماغ الالكتروني، لكنه لن يكون ممكناً لولا الآذان الضخمة لـ"شبكة أعماق الفضاء"(٦) التابعة لوكالة الفضاء الامريكية التي "تتحدث" الى المركبات الفضائية عبر هوائيات صحونها الضخمة(٧) في اسبانيا وأوستراليا وكاليفورنيا. وفي عملية نبتون ستوفر محطة الاقمار الاصطناعية في غولدستون بكاليفورنيا رؤية جيدة.

**أين الحدود؟** تقع غولدستون على بعد ثلاث ساعات في السيارة من لوس انجلس في عمق صحراء موهافي. يزن الجزء الدائر من الصحن الاكبر ٤٠٠٠ طن. وقد أعيد بناء هذا الصحن ووسِّع حتى غدا أكثر حساسية من أجل لقاء المركبة الفضائية كوكب نبتون، مما أعطاه مظهر صحن طائر هائل في حوض جاف.

وهو يحتل مساحة تزيد على ٣٨٠٠ متر مربع، ومع ذلك فسيحاول أن يطلق اشارة أضعف ٤٠٠ مليار مرة من واطيَّة ساعة يد رقمية. ويتطلب هذا العمل الفذ دقة في حدود ثلاثة مليمترات عند تحريك هذا الصحن الضخم.

والى الاستقبال، يتولى الهوائي البث

(٦) NASA's Deep Space Network

(٧) Huge dish antennas

أيضاً، ولدى زيارة المرء قلب جهازه الارسالي في وسط الصحن يشعر أنه مثل فأرة تدب في جهاز راديو من الطراز القديم. وينتصب أنبوب خوائي(٨) بارتفاع مترين ونصف متر. وطاقة الارسال (حتى حدود ١٠٠ كيلوواط بالنسبة الى "فويجر" و٤٠٠ كيلوواط لغيرها من المشاريع) من شأنها أن تجعل كل ما يعلو الصحن في خطر. لذا كُلِّف موظفان إبعاد الطائرات عن هذا المجاز الخطِر.

بعد أن تغمر "فويجر ٢" العلماء بمحصولها السخي ستهبط عمودياً في اتجاه الحافات المظلمة للنظام الشمسي بسرعة ٥٨ ألف كِيلومتر في الساعة. وإذ لا يبقى هناك ما تُركِّز عليه آلات التصوير، سيوصدها المختبر الى الابد.

ستبقى مركبتا "فويجر" سنين كثيرة ضمن النظام الشمسي. فحدود هذا النظام المسماة "الدائرة الشمسية"(٩) هي حيث الريح الشمسية(١٠) تضيع أخيراً في التحركات العشوائية للغبار الواقع بين النجوم وللهيدروجين وغيره من جزيئات المجرة. وعندما تجتاز المركبتان الدائرة الشمسية سترسل آلاتهما أول معرفة مباشرة عن ذلك العالم الفضائي. لا أحد يعلم أين تقع الحدود، لكن جهاز الراديو سيبدأ استشفافها في أواخر التسعينات.

قد لا تظل مركبتا "فويجر" تعملان عندما تصلان الى هناك. فاستناداً الى مختبر الدفع النفاث، لن تبقى في سنة ٢٠١٧ طاقة كافية لتشغيل أي من المركبتين. وقود المناورة سيغدو ضئيلا، ولا يمكن المركبة الفضائية أن تظل مستقرة من دونه. وتبدو هذه العراقيل غير قابلة للتذليل، ولكن نظراً الى السجل الرائع للمشروع فقد يتدبر العاملون في المختبر طريقة لمنح "فويجر" بضع سنوات اضافية. وأخيراً تتحول المركبة جسماً بارداً عديم الحركة الذاتية، منطلقاً بسرعة ملايين السنين، مواصلا الابحار في أوقيانوس النجوم.

**جايمس تشايلز** ■

(٨) Vacuum tube

(٩) Heliopause

(١٠) الريح الشمسية هي هبّات الجزيئات دون الذرية المنطلقة من الشمس.



## درس في الاسترخاء

ظل زوجي يعاني أرقاً لعدة أسابيع. وقرأتُ بعض المقالات في تقنيات الاسترخاء وقررت أن أجرب عليه واحدة منها. فعندما كان زوجي يأوي الى الفراش كنت أقول بنعومة: "تصور أنك جالس على ضفة البحيرة تصيد السمك. الشمس دافئة والنسيم يهب بليلا. وفلينة قصبة الصيد تترجّح في الماء صعوداً وهبوطاً، صعوداً وهبوطاً..."

فأغمض عينيه. وقبل أن أهنىء نفسي بالنجاح استوى جالساً في فراشه وقال: "لكني لا أستخدم الفلين في صيد السمك!"

ش.ب.

هل تجدون صعوبة
في التحدث مع شريك
الحياة؟ اليكم بعض الافكار
التي تفتح خطوطاً جديدة
للاتصال

# حَديثُ المَرأة...
# ... وحَديث الرجُل

جودي رسامة. وهي كانت قلقة في شأن التحضيرات لمعرضها الوشيك، فأسرت الى زوجها كليف أنها في حاجة الى دعمه وعطفه.

وبدل تشجيعها أخذ كليف يطلق تعليماته: اولا، اجمعي الرسامين. ثانياً، ارسلي في طلب المحاسب، اذ ربما استطاع خفض المصاريف. ثالثاً، راجعي المصرف لتعلمي كم هو رصيدك بالضبط. رابعاً، اتصلي باختصاصيي العلاقات العامة.

شعرت جودي بأنها منبوذة وقالت لنفسها: لا يكترث كليف لمشاعري. انه يريدني أن أكف عن مضايقته.

واعتقد كليف أنه كان يحاول المساعدة، فهو أسدى الى زوجته فضلى نصائحه. لكن جودي كانت في الحقيقة تسعى الى صلة عاطفية وليس الى حل لمشكلة.

تظهر هذه الرواية الفرق بين "حديث الرجل" و"حديث المرأة".

خلال استشارة الازواج لي أسمع تعابير كهذه:

- "زوجي لا يصغي أبداً الى ما أقول."
- "هي تتكلم عن كل موضوع حتى الثمالة."
- "انه يتخذ موقفاً دفاعياً كلما طرحت عليه سؤالا."
- "انها تحوّل كل حديث جدلا."

وترى الخبيرة اللغوية ديبورا تانن أن الرجال والنساء ينتمون الى "ثقافتين" مختلفتين في طريقة التعبير.

ولقد خبرت هذه الحقيقة في حياتي. فمنذ سنوات أمارس رياضة كرة المضرب مع مجموعة من الرجال. نتكلم عن اللعبة وعن السياسة، لكننا لا نتحدث أبداً عن مسائلنا الخاصة.

فتصوروا مفاجأتي عندما قالت لي زوجتي بعد اجتماعها بزوجة أحد الرجال الذين ألعب معهم: "أليس جميلا أن يتزوج ابن تشاندلر؟"

"يتزوج؟ ان والده لم يأتِ على ذكر ذلك اطلاقاً."

وهناك لاعب آخر ترك مجموعتنا بسبب مشاكله المادية بعد انفصاله عن زوجته. لم يلمح أبداً الى أن زواجه كان في مأزق. ومرة ثانية فكرت في الاختلاف الجوهري بين حديث الرجال وحديث النساء.

ويحب صديقي المحامي أن يتكلم في السياسة لدى عودته الى البيت، فتظن زوجته أنه يملي عليها محاضرة. أما هي التي تعمل في أحد المتاجر، فتحب أن تقص عليه حديث زملائها. وصديقي يعتبر حديثها تافهاً ويفضل سماع تفاصيل تتعلق بالعمل. وعندما يقطع عليها حديثها تظن أنه يجدها سخيفة.

لخص عالما الانثروبولوجيا (علم الانسان) دانيال مالتز وروث بوركر فوارق أساسية في أنماط التبادل الكلامي بين الرجال والنساء:

## طرح الاسئلة.

في الاحاديث المتبادلة بين رجل وامرأة تطرح المرأة معظم الاسئلة. وترى النساء في الاسئلة سبيلا الى متابعة حديث ما، بينما يعتبر الرجال الاسئلة طلباً للمعلومات. فالرجال اذاً لا يطرحون عادة أسئلة شخصية، فهم يعتبرونها تطفلا. لكنها بالنسبة الى النساء تعبر عن الالفة والاهتمام.

## تشجيع الشريك.

غالباً ما تستعمل النساء هذه الاصوات: "آ...ه!" و"ا...م م!" لتشجيع الشخص الآخر على الكلام. قد يرى الزوج في ذلك دليلا على موافقة زوجته اياه، وبعد قليل يشعر بأنه خدع عندما يكتشف أنها كانت، ببساطة، تساعده على متابعة حديثه. وفي المقابل تشعر الزوجة بأنها

Condensed from «Love Is Never Enough,» copyright © 1988 by
Aaron T. Beck, M.D., published by Harper & Row, Publishers, Inc., New York, N.Y.
Photo: © Whitney Lane

مهمَلة لان زوجها يقلل من استعمال هذه الاصوات الموحية بالاصغاء.

والى ذلك تمد المرأة جسوراً كلامية مثل: "نعم، ولكن..." للدلالة على سماع تعليق سابق. أما الرجال عموماً فلا يفعلون ذلك. وهذا يزيد شعور المرأة بأنها مهملة.

## المقاطعة في أثناء الكلام.

يعمد الرجال عادة الى تعليقات سلبية هامشية أكثر من النساء، أما النساء فتزعجهن هذه التعليقات لأنهن يعتبرنها مقاطعة لهن فيكون رد فعلهن "احتجاجاً صامتاً." ويفسر هذا الفارق تذمر نساء كثيرات من أن "الرجل لا يصغي أبداً."

في حين ترى النساء في التعليقات الهامشية تهجماً، يعتبرها الرجال أسلوباً في المحادثة.

## تعزيز المشاركة.

تظهر النساء نزوعاً أكبر الى استعمال الضميرين "أنت" و"نحن" اللذين يعبران عن احترام المخاطب ويعززان الوحدة بينه وبين المتكلم. أما الرجال فغالباً ما يصرحون بأفكارهم ويعلنون الحقائق. بعض النساء يظهرن استياء من "الصوت السلطوي" غير مدركات أنه قد يجسد "الاسلوب الذكري" أكثر مما يعبر عن الشعور بالتفوق.

## تقرير ما هو مهم.

تناقش النساء المشاكل في ما بينهن، يتقاسمن التجارب ويقدمن التطمينات. ويعتبر الرجال أن النساء اللواتي يناقشن المشاكل معهم انما يطلبن منهم حلا لها أكثر من بحثهن عن آذان صاغية.

ولدى العمل على تخطي الصراعات تشعر النساء بأن زواجهن ناجح ما دام في امكانهن التكلم عنه. في حين يعتقد الرجال أن العلاقة تكون فاشلة إذا تواصل الكلام عنها.

ان تعلمنا ادراك هذه الفوارق يحصّننا ضد سوء الفهم. والى ذلك، وجدتُ ان في وسع الازواج تحسين أسلوبهم في الكلام.

قليلة هي التجارب التي تدعو الى البهجة أكثر من معرفتنا أن الشريك يتفهمنا تماماً. فالقدرة على المحادثة بلغة خاصة ذات مدلولات غامضة وتلميحات مبطنة ونظرات مدركة تمثل تقارباً خاصاً فقدته علاقات زوجية كثيرة.

القواعد الخمس الآتية قد تساعدكم على استرجاع هذا التقارب.

## ١. كونوا حساسين تجاه حاجات الشريك العاطفية.

إذا اكتشف الرجل أن نصائحه تزعج زوجته فعليه أن يحاول خطة أخرى. ربما كانت الزوجة تريد مجرد الكلام عن مشاعرها. أما الزوجة فيمكنها أن تتوقع نزعة زوجها الى اسداء نصائح فضولية، فيمكنها القول: "أعتقد أنني أعرف الأجوبة، لكنني أود الحديث عما أشعر به."

## ٢. دعوا الشريك يشعر بأنكم تصغون اليه.

أسمعوه كلمة "نعم" بين الفينة والاخرى. إذا كنتم من النوع السكوت،

أظهروا اصغاءكم من خلال تعابير الوجه والحركات. عندئذ لن يكون الشريك متحيراً في ما إذا كنتم حقاً تصغون اليه.

## ٣. لا تقاطعوا.

اكبحوا رغبتكم في التعبير عن أفكاركم حتى يفرغ الشريك من الكلام. واذا قاطعكم الشريك فلا تعتبروا ذلك تصرفاً سلبياً، بل مجرد أسلوب في الكلام. ثم عودوا الى متابعة الحديث.

## ٤. اطرحوا أسئلتكم بذكاء.

ان الاسلوب الرشيق في طرح الاسئلة يطلق المحادثة ويحافظ على تتابعها.

في احدى الامسيات عاد الزوج الى منزله فسألته زوجته:

"كيف كان الاجتماع؟"

– كان جيداً.

"من حضره؟"

– الاشخاص أنفسهم كالعادة.

"عن أي موضوع تكلمتم؟"

– ليس عن أمر معين.

في حال كهذه كان هناك خطر أن تبدي الزوجة ملاحظة مريرة تتبعها بسؤال من نوع: "أرى أنني أزعجك بحديثي. هل تفضل السكوت؟"

وذات مرة بدأت الزوجة ذاتها محادثتها بطلب رأي زوجها في مشكلة واجهتها في عملها. وفي مناسبة أخرى سألته:

"ماذا حدث في المستشفى اليوم؟"

– ليس من شيء مميز.

"لقد قلت لي انك ستناقش مشروعك مع الرئيس. فماذا كانت النتيجة؟"

عندئذ بدأ الزوج الكلام مطولا عن نهاره.

## ٥. اعتمدوا الديبلوماسية.

قد يبدو ذلك مستهجناً في العلاقات الحميمة، أما عملياً فلكل فرد نقاط حساسة، وحتى الشريك المحب ذو النيات الحسنة يمكنه الحاق الاذى بشريكه. عندما تلمّحون الى أن الشريك سمين، أو أنه ضعيف في قواعد اللغة، فانكم تضعون نهاية لحديث ممتع معه. ولا تعني هذه القاعدة وجوب الحذر الشديد، بل تدعوكم الى الوعي والتعقل.

ليس هناك زوجان منسجمان تماماً. ان اختلاف الطبع والاسلوب هو الذي يشد شخصين واحدهما الى الآخر في الدرجة الاولى. تعلموا اذاً تقبُّل الفوارق وإغفال نواقص الشريك. تنبهوا الى أن هذه الفوارق لا تعود الى سوء نية أو الى عدم الاحترام أو الاهتمام. إهدأوا وابدأوا تفهم أسلوب الشريك في الحديث.

**الدكتور أرون بيك** ■

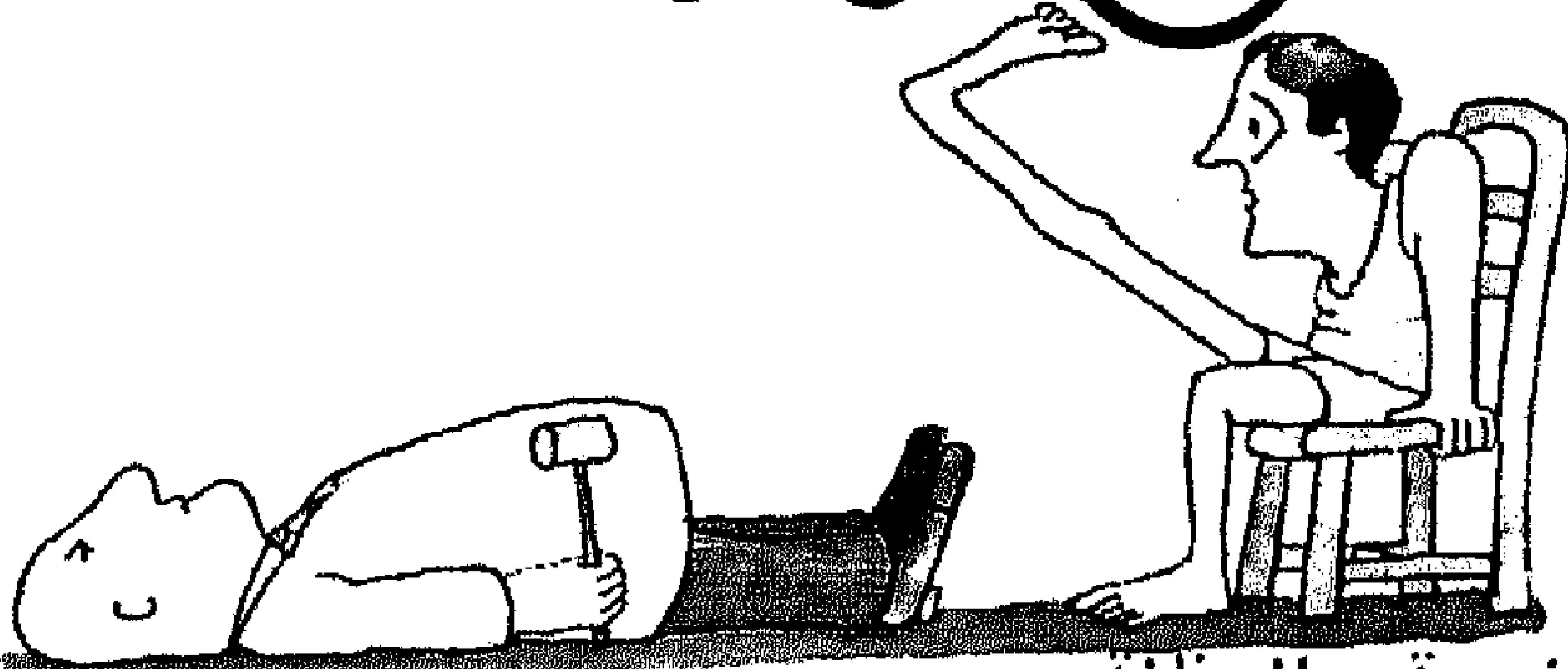


## "لا تمزحي!"

سألت المرأة زوجها: "ماذا تحب فيّ أكثر: جمالي الطبيعي أم جسدي الرائع؟" فأجاب: "بل روح الفكاهة لديك."

ف.ش.ب.

# الضحك خير دواء



## الشجرة والمظلة

قررت صديقة لي ان تغرس شجرة تضفي ظلا على فناء دارها الاجرد، فقصدت صاحب مشتل في الجوار وقالت له: "اريد شجرة لا تمتد كثيراً لكنها تعطي ظلا، ولا تسقط اوراقها في استمرار، وتتيح لي ان اشاهد الشمس في الشتاء."

فنظر اليها صاحب المشتل مُحرَجاً وقال: "يا سيدتي، انتِ لا تريدين شجرة بل مظلة."

ب.ج.م.

## وصفة الحكيم... سليمان!

قصد المريض طبيبه فعاينه وكتب له وصفة بخطه غير المقروء كالمعتاد. وضع المريض الوصفة في جيبه، لكنه نسي ان يركّب الدواء بموجبها. ولمدة سنتين ظل يريها كل صباح لسائق القطار على انها بطاقة سفر، ومرتين دخل بواسطتها صالة السينما، ومرة ملعب البايسبول، واخرى استعملها لحضور حفلة سيمفونية. وحصل على زيادة معاش في العمل عندما عرضها كمذكرة من رب العمل. وذات يوم اضاعها، فالتقطتها ابنته واستعانت بها للعب على البيانو فربحت منحة دراسية في المعهد الموسيقي!

ت.د.ب.

## عمة ظريفة

كنتُ في زيارة عمة لي بالغة البدانة. فقالت لي ساخرة: "فرض عليّ طبيبي الجديد حِميَة غذائية، فهل تستطيعين تصوُّر ذلك؟ في عمري!"

ثم بدأت التهام فطيرة محشوَّة باللحم. فسألتها بانذهال: "هل هذه هي حميتك؟"

فردت بحدة: "بالطبع لا. هذا غذائي، أما حميتي فأكلتها قبل ساعة."

ل.ب.

## مدير "مثالي"

ذات يوم تسلم مدير شركة مذكرة مطوَّلة من موظف جديد. وبعد دقائق عاد الموظف الى مكتب المدير مع تعديل للمذكرة. فقرأ المدير التعديل وتوجّه الى سلة المهملات وسحب منها المذكرة وألصق بها التعديل الملحق ثم رمى الورقتين في سلة المهملات.

د.ج.ك.



# الليغو عالم أقزام

## مدينة عجيبة مبنية بمداميك صغيرة
## أثارت مخيلات ٣٠٠ مليون طفل في أنحاء العالم

قد لا تكون "اللبنة" الاساسية في تركيبة الكون هي الذرة، بل جزيئة أولية تدعى "طوبة ليغو"(١). وهذه قطعة مزرّرة صغيرة من البلاستيك، فيها ثقوب تخرقها "أزرار" القطع الأخرى. قد تركّب قطعتا ليغو بثمانية أزرار في أربعة وعشرين شكلا. كما تركّب ست قطع ليغو في ١٠٢٩٨١٥٠٠ شكل.

في هذا العالم الواسع المتمدد، عناصره المميزة من تروس وعجلات ومفاصل ونوافذ وأذرع وأرجل، نجد مقادير هائلة من الأشياء الطبيعية والاصطناعية: أشخاص ومنازل وآلات وعربات وأشجار وأزهار وحيوانات.

إنه عالم مصغّر.

مع الليغو تصبح الصناعة لعبة أطفال. وخلال تسويقها كلعبة في السنوات الأربعين الماضية، بلغت متناول ٣٠٠ مليون ولد وبيعت في ١١٥ بلداً. وفي أوروبا الغربية نجد الليغو لدى سبع عائلات من أصل عشر تضم أطفالا. وفي

(١) Lego brick

أسوج (السويد) وسويسرا تصل النسبة الى ٨٦ في المئة من العائلات. وتأتي الدانمرك في المرتبة الثالثة بنسبة ٨٤ في المئة.

بلدة بيلوند الدانمركية التي يسكنها ٤٨٩١ نسمة هي التي أطلقت الطائرات والرجال الآليين والمحطات الفضائية، جواً، والقطارات والسيارات ومظاهر التمدّن، براً. وتتطوّر مصانع الليغو وتزدهر فتنتج ما يفرح أطفال العالم، من دون أن تنسى أهاليهم. وفي البلدة أيضاً "متنزه ليغولاند" وهو حديقة ريفية تعتبر الموقع السياحي الثاني في الدانمرك بعد العاصمة كوبنهاغن.

**صناعة فذة.** ترسل مصانع في هولندا وألمانيا الغربية حبيبات "أكريلونيتريل بوتادين ستيرين"(٢) المصبوغة بحسب وصفة ليغو السرية، الى بيلوند لتختبر في الحرارة (٢٢٥ درجة مئوية) والضغط (٢٤ الى ١٥٠ طناً). وتحوّل هذه العملية الحبيبات معجونة تُحقن في قوالب تنتج وحدات غير ملحومة. يزخرف عدد كبير من هذه الوحدات، وتتولى آلات الكترونية تجميعها. تُسقط الوحدات الصالحة الى اليسار فيما تسقط المرفوضة الى اليمين. هناك اكثر من ١٣٠٠ قطعة مختلفة، يمكن صبغ كل منها باثني عشر لوناً، مع أن ألوان الليغو الأساسية هي الأبيض والأصفر والأحمر والأزرق والأسود.

يتمّ اختيار النماذج عشوائياً وتُجرى عليها اختبارات دقيقة للتحقق من حجمها وحدة أطرافها وزواياها ومتانتها وليونتها ودرجة احتراقها وسُمّيتها وثبات



كيلد كريستيانسن رئيس شركة "ليغو" منذ ١٩٧٩.

لونها وتماسكها، أي مقاومتها للانفصال عن قطعة أخرى. وتبلغ قطعة الليغو المستوى الأمثل من التماسك بعد استعمالها بين ثماني وعشر مرات. وهناك فكوك فولاذية تشبه أسنان الاولاد وتعمل بالهواء المضغوط، تختبر مدى صلابة قطع الليغو أمام العضّ.

يبتكر فريق التطوير أجزاء جديدة في ورشة يُحظّر دخولها على من لا يحمل تصريحاً. وقبل فترة قصيرة أضافت الشركة الى مجموعتها متزلجاً صغيراً ينحدر على زلاجتيه فيقع ويكسر ذراعاً أو ساقاً. وقد أعاد زبون حزين متزلجه الى الشركة في تابوت صغير. فلقي عمله تجاوباً إذ عمل الفنيون على تحسين النموذج.

(٢) Acrylonitrile butadiene styrene

اعتادت شركة "ليغو" صنع قوالبها في الدانمرك، إلا أنها تفيد الآن من دقة الصناعة في ألمانيا الغربية وسويسرا. ويستغرق صنع قالب واحد ساعات من العمل، ولكن تصنع منه قطع من الليغو لا تحصى. وتعمل آلات القولبة من دون توقف في ثلاث نوبات عمل يومياً. واجتناباً لاحتيال المنافسين تعمد الشركة الى طمر القوالب التالفة في الاسمنت المستخدم في بناء أجنحة جديدة.

**ليغولاند.** تقع أفخم منشآت الليغو في متنزه ليغولاند، عالَم الاقزام في الدانمرك. مساحته عشرة هكتارات وفيه ٣٣ مليون قطعة ليغو. وقد زاره ١٥ مليون شخص منذ افتتاحه عام ١٩٦٨. يضم المتنزه نماذج لمرفأ كوبنهاغن (ثلاثة ملايين قطعة ليغو وسنتان عملا لثمانية من صانعي القوالب)، وقصر أمالينبورغ الذي تقطنه العائلة الدانمركية المالكة، وقنوات أمستردام، ومعبد "أبو سنبل" المصري، وهيكل "بارثنون" اليوناني، وتمثال الحرية الامريكي (يعلو تسعة أمتار وهو مؤلف من ١،٤ مليون قطعة).

يبلغ حجم معظم البنى المعروضة ٥ في المئة من حجمها الحقيقي. ويشرف الراشدون والأولاد على البنى والهضاب الاصطناعية والاشجار القزمة والشجيرات المصغّرة. وفي المدخل ترى "ابن الدانمرك" هانس كريستيان أندرسن سيد القصص الخرافية وقد تحوّل تمثالا من الليغو في حجمه الطبيعي. وتوفر مراكز التسلية للزوار قطعاً من الليغو للّعب في أثناء زيارتهم.

يؤخذ الأولاد في جولات منظمة للتفرج على المتنزه. ويركب الزوار، من كل الاعمار، قطارات سريعة دوّارة صاخبة. أما أصحاب الفكر التحليلي فيجدون نماذج شغّالة لسدود القنوات والقطارات الحديد والطواحين الهوائية والجسور المتحركة، كذلك نسخات عن مدن قديمة وجديدة. وتنبعث ألحان معزوفة على الارغن من صرح في بلدة ريب المصغّرة. ويبتكر صانعو النماذج تصاميم هندسية فريدة لكل بناء.

عندما تقفل ليغولاند أبوابها في الأحد الثالث من كل عام(٣) تستعدّ لاستقبال أشكال جديدة ابتكرها المصممون ومركّبو النماذج. فتُجمَّع قطع كل بناء ثم تُفصل لتُجمَّع من جديد. وأخيراً، تغرّى القطع على طاولات عمل كبيرة تعلوها حاويات شفافة ينزلق منها الغراء على فرشاة البنّاء. وفي المستودع حالياً نماذج لقاعة الاستقلال في فيلادلفيا، وقصر مغربي، وحلبة اسبانية لمصارعة الثيران، و"بينوكيو"، ومبنى "الكابيتول" مقر الكونغرس الامريكي (عرضه ٨،٥ أمتار وعلوه ثلاثة أمتار، وزنه ٥٩٠ كيلوغراماً).

في بيلوند يعمل الحرفيون على نحو متواصل لارضاء الهواة المتحمسين. لقد ركب صبي دانمركي في الخامسة عشرة من عمره رجلا آلياً من الليغو يمشي ويدور ويحمل أشياء ويأكل المعكرونة ويبرق عينيه الخضراوين بعد تناول وجبة طعام. وركّب ثلاثون مهندساً دارات فخمة من الليغو. واستخدمت شركة أسوجية (سويدية) للمستحضرات الصيدلية

(٣) تفتح في الأول من مايو (أيار).

عناصر من الليغو في صنع تجهيزات المعايرة(٤). ووُضعت نماذج ليغو في أنفاق هوائية(٥) لاختبار تصميم البناء. وفي أوستراليا تستعمل جامعة آديلايد قطع ليغو شفافة لتعليم طلاّب طب الاسنان طريقة سدّ الفجوات.

**"إلعب جيداً."** مخترع الليغو هو أولي كيرك كريستيانسن. ولد عام ١٨٩١ في فيلسكوف وهي قرية تقع شمال غرب بيلوند. بدأ يعمل وهو في السادسة من عمره، فكان يرعى الغنم ويتعلم النجارة. وبعدما علّمه أخوه البكر النجارة الصعبة اشترى عام ١٩١٦ "مشغل بيلوند للنجارة" وراح يبني المنازل ونجر الأثاث والنوافذ والأبواب.

وغالباً ما كان يصنع نماذج مصغرة لاختبار مصنوعاته، الأمر الذي أدى به الى صنع ألعاب خشبية.

إلا أن أولي كيرك لم يملك موهبة التجارة لترويج بضائعه. فأنجده اخوته وأخواته التسعة مؤمنّين له قرضاً مصرفياً. لكنهم التمسوا منه "صنع أشياء مفيدة أكثر من الألعاب."

لكن أولي كيرك ظل على عناده وأضاف قطعاً خشبية صغيرة الى مجموعته، ثم كرسياً للحلاّب وقاعدة لشجرة الميلاد. وفي العام ١٩٣٤ اخترع الاسم "ليغو" وهو ترخيم للكلمتين الدانمركيتين «leg godt» أي "إلعب جيداً". وعرف أولي

(٤) Titration — analysis equipment

(٥) النفق الهوائي مجاز نفقي الشكل ينفخ فيه الهواء لتقرير أثر ضغط الريح على طائرة أو قذيفة موجهة.





في متنزه ليغولاند، تمثال كريستيان أندرسن من قطع الليغو يحرس المدخل. والى اليسار، قاعة للعب (فوق) ونموذج مصغر لمدينة أمستردام (تحت).

Courtesy of the LEGO Group

في ما بعد أن هذه العبارة في اللاتينية تعني "أقرأ" و"أجمع".

عام ١٩٤٩ انتجت الشركة قطعها البلاستيكية الأولى. إلا أن منشورة دانمركية متخصصة بتجارة الألعاب تضمنت التحذير الآتي: "لن تحلّ الألعاب



البلاستيكية في مكان الألعاب الخشبية الجيدة المتينة." وفي العام ١٩٥٦ قارعت شركة "ليغو" المنطق ثانية اذ صدّرت ألعاباً الى ألمانيا الغربية الشهيرة عالمياً بصنع الألعاب.

وبعد سنتين تحقق الانجاز العظيم: مبدأ الزر والثقب المتداخلين. وما لبثت الطلبات أن تدفقت على الشركة بكميات فاقت طاقتها الانتاجية. وفي العام ١٩٦٩ أدخلت نوعاً ثانياً في مجموعتها هو "دوبلو" (٦): لبنات يفوق حجمها ثماني مرات حجم لبنة الليغو لتناسب أصابع الأطفال الصغيرة ولتصعّب عليهم عملية ابتلاعها. لكن الدوبلو انسجمت مع الليغو اذ بات الاطفال الذين بلغوا مرحلة اللعب بالليغو(٧) يركبون القطع الصغيرة في الكبيرة.

ثم وُلدت "ليغو تكنيك" (٨) وهي قطع

(٦) Duplo

(٧) الليغو مصممة للأولاد بين الثالثة والثانية عشرة من العمر.

(٨) Lego Technic



أكثر تعقيداً معدّة للأولاد في السن السابعة وما فوق.

**لعبة سلمية.** عمل أبناء أولي كيرك الاربعة في شركة "ليغو" لبعض الوقت. وذات مساء أخبر غوتفريد والده بفخر أنه اقتصد في التكاليف اذ أغفل طبقة من الدهان في شحنة الالعاب الأخيرة. فما كان من أولي إلا أن ارسل ابنه لاسترداد الصناديق لانها دون المستوى، وأجبره على طلي الالعاب في تلك الليلة.

كان شعار أولي كيرك: "أفضل الأشياء أجودها."

بعدما تعلّم غوتفريد دروساً كثيرة مماثلة تسلّم زمام الأمور اثر وفاة والده عام ١٩٥٨. وفي العام ١٩٧٩، خلفه ابنه كيلد كيرك كريستيانسن. أما اليوم فللشركة ثلاثة مصانع في بيلوند ومصنع في كل من سويسرا (بار) والبرازيل (ماناوس) وكوريا الجنوبية (سيول) والولايات المتحدة (إنفيلد).

كيلد اليوم في الحادية والأربعين وينوي الحفاظ على "ليغو" ضمن الأسرة. لديه ثلاثة أولاد دون العاشرة، وهو لم يتخلّ قط عن الحب الأول في عائلته، فيقول: "لا أعتقد أنني سأسأم يوماً من الليغو."

تجنبت "ليغو" طويلا موضوعاً تقليدياً تستغلّه صناعات كثيرة. فقد وضع أولي كيرك قراراً بجعل الليغو لعبة سلمية، لذلك تمتنع الشركة عن صنع الألعاب الحربية وأدوات القتال. ويعترف بيتر امباك - مادسن مدير العلاقات العامة في الشركة: "لقد رأينا دبابات ومدافع وبنادق جميلة تركّب بقطع الليغو، لكننا لم نوحِ الى الاطفال فكرة تركيبها."

مع أن قطعة الليغو الأصلية صنعت وفق نموذج بريطاني، فالشركة تنهر المقلّدين. وهناك شركة كورية جنوبية تنتج "كوكو" و"كوكولاند" التي تشبه الليغو كثيراً. وتنتج الهند "أوتو ماك". وتنظر بيلوند بغضب الى التقليد السوفييتي لقطعها، إلا أنها معجبة على مضض بانتاج صيني مبتكر لا يبرز اسماً بل الرقم "٠٩٣٧".

اسرل شنكر ■



## بيت في اسطبل

أمضينا ثماني سنوات نحوّل اسطبلا قديماً منزلا جميلا. ولفرحنا بالنتائج دعونا بعض الاصحاب والجيران الى حفلة استقبال. وكان أحد ضيوفنا مقيماً قديماً في الجوار شارك في بناء الاسطبل الاصلي.

أريته بفخر مرابط الخيل التي تحولت غرفة نوم فسيحة، ومخزن التبن وقد صار غرفة ضيوف وحماماً، وغرفة النوم الرئيسية، وكلها تشرف على مناظر رائعة بعد زيادة ٢٨ نافذة. وسألته: "حسناً، ما رأيك في المكان الآن؟"

فجاء جوابه المتعمّد: "مليح، لكنك خرّبتِ اسطبلا جيداً للبغال!"

ب.ت.

### ألهم هذا العالم الكبير ثلاثة أجيال من علماء الطبيعة في الهند والعالم

# سَليم علي هِنديٌّ عشق الطيُورْ

جثمت أراقب أمواج المحيط الهندي بقلب واجف. عندما انضممت الى "جمعية التاريخ الطبيعي" في بومباي قبل بضعة أشهر، لم يكن في نيتي أن تتقاذفني الامواج وأنا على متن زورق ضيق. ولما بدأت احدى رجلي تنتفض على نحو لاإرادي سألني الرجل الصغير الملتحي الجالس بجانبي: "هل تتقن السباحة يا دانيال؟"

قلت متلعثماً: "أتقن السباحة؟ نـ... نعم!" وتساءلت عما اذا كان سليم علي، الشخصية الاسطورية والأمين الفخري لجمعية التاريخ الطبيعي، على وشك اصدار الأمر باخلاء الزورق. لكنه عوض ذلك نظر إلي لحظة ثم قال بهدوء: "أنا لا أجيد السباحة."

كلماته الهادئة بددت الكثير من خوفي في لحظة، ومنذ ذلك الوقت تعلمت، ليس

P. Irani. courtesy: BNHS

فقط أن أتكيّف ومحيطي القاسي، بل أن أستمتع أيضاً بكل دقيقة كما يفعل عالِم الطبيعة الحقيقي.

هذا نوع من التأثير الذي يتركه فيك سليم معز الدين عبد العلي. كان، بالنسبة الى بقية العالم، شخصية مدهشة متعددة المواهب، اذ كان عالماً بالطيور ومستكشفاً وعالم بيئة وأستاذاً وكاتباً. أما بالنسبة الينا نحن أعضاء الجمعية التي ارتبط بها لمدة ثمانين سنة، فكان هذا الرجل ذو العينين اللامعتين اباً كلّيّ المعرفة، وكنا ندعوه "الرجل العجوز". وكأب حقيقي كان يبهرنا بانجازاته.

بدأ سليم علي أبحاثه في علم الطيور في وقت كان هذا الموضوع في الهند مجرد تسلية للرجل الانكليزي فجعل منه قضية جدية. درس الطيور في معظم مناطق شبه القارة وكتب عنها بأسلوب ذكي متقن فاستحق إدراجه في كتاب مختارات أدبية بعنوان "أسياد الانكليزية الهنود" (١) الى جانب العملاقين رابندرانات طاغور وساروجيني نايدو. ومن ضمن الجوائز الكثيرة التي مُنحها "جائزة بادما فيبهوشان" وثلاث شهادات دكتوراه فخرية. ورشح لدخول البرلمان ونصّب أستاذاً وطنياً. وفي عهده أصبحت "جمعية التاريخ الطبيعي" في بومباي مركزاً رئيسياً للابحاث، ومجلتها "جورنال" مرجعاً لعلماء البيولوجيا في أنحاء العالم.

**زوجة صالحة.** ولد سليم علي عام ١٨٩٦ لعائلة ميسورة في بومباي. وكان الاصغر بين عشرة أولاد، لكنه تيتم في سن مبكرة. وكان بطل طفولته عمه المتألق أمير الدين تيابجي وهو رياضي كان يشارك طبقة الاشراف في حفلات الصيد الكبرى. عندما كان سليم في العاشرة أهدى اليه عمه بندقية هوائية من نوع "ديزي". وذات يوم اصطاد سليم الشاب عصفوراً دورياً غريب المنظر. ولمّا لم يستطع عمه تفسير وجود خط أصفر تحت رقبته، اقترح على سليم أن يعرض العصفور على الجمعية. هناك انتهى الأمين، وهو رجل انكليزي، الى تصنيف العصفور أنه دوري ذو حلقوم أصفر. ثم أطلع الصبي على مجموعة الطيور المحنطة التي تحفظها الجمعية. وقف سليم أمامها مشدوهاً، وبقي متعلقاً بالطيور وبالجمعية طوال حياته.

تابع سليم علي دروسه بصعوبة في المدرسة الثانوية. وكان دائم التردد على الجمعية. وفي الجامعة واجه صعوبات جمة. وهرباً من مسائل الجبر والرياضيات أبحر الى بورما حيث أمضى السنين العشر التالية شريكاً لاخوته في تجارة الاخشاب والتنغستين. وعندما كان يرسَل الى الغابات النائية لاختيار الاخشاب، كان يمضي معظم وقته متأملا الطيور والكائنات الاخرى في الطبيعة، فلم يكن غريباً أن تنهار أعماله التجارية، وعاد الى بومباي بصحبة زوجته تهمينا بعدما كثرت عليه الديون.

عام ١٩٢٧ حصل على وظيفة دليل مُحاضر في متحف أمير ويلز في بومباي، لكنه قرر بعد سنتين أن يدرس علم الطيور في متحف الحيوان التابع لجامعة

(١) Indian Masters of English

برلين في إشراف البروفسور إروين ستراسمان. ولما عاد بعد سنة واحدة الى بومباي أكتشف أن وظيفته كدليل محاضر ألغيت، ولم يتمكن من الحصول على وظيفة حكومية أخرى، وكان قبل ذلك ببضعة أعوام رُفض في وظيفة تختص بعلم الطيور بحجة أن ليست لديه شهادة جامعية.

في ذلك الوقت كان من السهل على شخص في حيوية سليم علي وتمكنه من اللغة الانكليزية، أن يجد عملا مريحاً في إحدى شركات بومباي، لكنه لم يكلف نفسه عناء تقديم طلب. أما أفراد عائلته فظنوه مجنوناً، اذ كان متزوجاً وعاطلا عن العمل، ومع ذلك بدا سعيداً ومكتفياً بمراقبة الطيور كل الوقت.

لكن زوجته وقفت الى جانبه. كانت امرأة تطفح حناناً وحيوية، وهي ابنة عائلة غنية أنهت علومها في احدى مدارس البنات الراقية في بريطانيا. لكنها في الوقت نفسه كانت تحب الريف وتشاطر زوجها كثيراً من اهتماماته. قال سليم علي عن زوجته مازحاً: "ان مدرسة البنات لم تنفع معها." وكانت عائلتها تملك كوخاً صغيراً في كيهيم، وهي قرية ساحلية جنوب بومباي، فانتقل الزوجان الشابان الى هناك. كانت كيهيم خضراء وملأى بالعصافير. مما أبقى سليم علي منشغلا. كانت تهمينا تقول له: "لا ترتبط بوظيفة اذا كنت لا تستطيع التمتع بها." وكان ذلك ما فعله تماماً.

**صداقات لا تحصى.** عام ١٩٣٠ قصد سليم علي جمعية التاريخ الطبيعي ومعه



BNHS

سليم علي وزوجته تهمينا.

اقتراح. الطيور الهندية لم تكن درست على نحو منظم، فهل توافق الجمعية على تكليفه اجراء أبحاث حول هذا الموضوع؟ لم يطلب راتباً، بل التكاليف فقط. وهكذا طاف سليم علي، على مدى السنوات العشرين التالية، في شبه القارة دارساً الطيور، من كاتش الى سيكيم ومن أفغانستان الى كيرالا. كانت أساليبه فريدة، اذ كان يحوك التاريخ والبيئة والجغرافيا في وصفه لعصفور ومحيطه، مما حدا العالم البيولوجي الامريكي الشهير أرنست ماير الذي كان أميناً لقسم الطيور في متحف نيويورك للتاريخ الطبيعي، على الكتابة اليه عام ١٩٣٦. وجاء في رسالة ماير الذي كان متتبعاً



مع شريكه الكاتب ديلون ريبلي.

تقارير سليم علي في مجلة الجمعية: "تهانينا! آمل ان يكون عملك نموذجاً يحتذى لأبحاث مماثلة."

بالنسبة الى سليم علي كان هذان العقدان فترة من الانجازات والأسى في آن. عام ١٩٣٩ توفيت تهمينا فجأة إثر عملية جراحية بسيطة، بعدما رافقته في كل رحلاته العلمية. بقي مشوشاً لعدة أشهر عاش خلالها مع أخته في بومباي. ولم تأته التعزية إلا بعدما عاود العمل.

عام ١٩٤١ نشر سليم علي مؤلّفه "كتاب الطيور الهندية" (٢) فأصاب نجاحاً فورياً، ومكنت عائداته سليم علي من دفع ديونه القديمة. قرأ الزعيم الهندي جواهرلال نهرو الكتاب وأعجب به الى حد أنه أرسله هدية الى ابنته انديرا في عيد ميلادها. وقالت انديرا بعد ذلك بسنوات: "لقد فتح الكتاب عيني على عالم جديد، وللمرة الاولى تنبهت الى أغاني العصافير وتمكنت من تحديد أنواعها."

في تلك الفترة أنشأ سليم علي صداقات لا تحصى، كصداقته مع س. ديلون ريبلي وهو عالم حيوان شاب عمل مع الجيش الامريكي في سيلان (سري لانكا حاليا) وأصبح في ما بعد اميناً لمؤسسة سميثسونيان في واشنطن. وأدى اشتراك الرجلين لاحقاً في معرفتهما الواسعة الى نشر كتاب من عشرة اجزاء بعنوان "دليل الطيور في الهند وباكستان" (٣).

**حب الرسائل.** عندما أصبحتُ قيِّماً لدى جمعية التاريخ الطبيعي في بومباي عام ١٩٦٠، كان الرجل الذي حُجبت عنه الوظائف الحكومية في الماضي، لعدم حيازته شهادة جامعية، أصبح مشرفاً على طلاب شهادة الدكتوراه. كنت أراقبه وهو يعمل وسط الطيور المحنطة وأكوام الكتب والاوراق المنضدة بترتيب. كان شديد الدقة الى حد أنني كنت أحرص على الوصول باكراً كلما كان لي موعد معه. وكان، لدى انتهاء عمله مع أي زائر، يرفع حاجبيه ويربّت ذراعي كرسيه. فإذا أخفقت هذه الطريقة في ابلاغ الزائر وجوب الرحيل، كان يطلب منه بلطف أن يتركه ثم يتابع عمله.

(٢) The Book of Indian Birds

(٣) Handbook of the Birds of India and Pakistan




BNHS

سليم علي
على دراجته النارية
في أبسالا بأسوج
(السويد) عام ١٩٥٠
ومعه مندوبان آخران
الى المؤتمر.

كان العمل السيىء يغضبه كثيراً، فيحمر وجهه ويهتز رأسه. وبعد نظرة واحدة الى تقرير رديء كان يرميه جانباً وهو يزيد غضباً. كان تعبيره المفضل لإظهار اشمئزازه: "سخيف!" وكان يقول ذلك بنبرة تجعلك تتمنى ألا تسمعه ثانية. ذات مرة نسي فينوغوبال وهو كاتب في الجمعية، أن يضع في البريد رسالة كان سليم علي أعطاه اياها قبل يومين. وعندما علم سليم علي بالأمر قال غاضباً: "شاب سخيف!" ثم تناول محبرة وأفرغها على رأس فينوغوبال.

لكن غضبه كان يتلاشى سريعاً. كان فينوغوبال، مثلا، من هواة جمع الطوابع، وكان سليم علي يتلقى رسائل من أنحاء العالم ويعطيه الطوابع باستمرار. وبعد حادث المحبرة ذهب فينوغوبال الى منزله، وعندما عاد اعتذر اليه سليم علي وأعطاه مجموعة أخرى من الطوابع.

كان سليم علي يلاحظ كل شاردة وواردة ويظهر اهتمامه الشخصي بكل واحد منا. كان على العلماء في جمعية التاريخ الطبيعي، في رحلاتهم الميدانية، أن يكتبوا اليه أسبوعياً. ويتذكر ف.س. امبيدكار وهو اول تلميذ لسليم علي: "كان يرد على الرسائل فوراً. ولم يكتفِ بالتعليق على ملاحظاتي حول الطيور، بل كان يشدد على أهمية المواظبة والعمل الدؤوب وكتابة الانكليزية الصحيحة."

عام ١٩٦٣ كان أمبيدكار في مهمة في غابات كوماون المليئة بالنمور، فزار سليم علي والدته القلقة، ثم كتب الى أمبيدكار: "أبلغتها أن النمور لم تأكلك بعد." وأضاف بظرفه الجاف المميز: "بدت مسرورة لتطميناتي."

في الواقع، كانت كتابة الرسائل من اهتماماته التي مارسها بحماسة. كان يصرف مبالغ طائلة من ماله الخاص على البريد، ليبقى على صلة مستمرة بأصدقائه وليعبر عن اهتمامه العميق

بشؤون البيئة. وإن التكريس الاقليمي لبهاراتبور وكارنالا كمحميتين للطيور، والقرار الذي اتخذ بعدم تخريب "الوادي الصامت" في كيرالا من أجل بناء مشروع لتوليد الطاقة، اضافة الى عدة اجراءات مماثلة، كانت كلها نتيجة رسائل الرجل العجوز الصارمة الى رؤساء حكومات ومسؤولين رسميين عن الغابات. لكن رسائله لم تكن كلها توجه الى النافذين وأصحاب المناصب الرفيعة. فكان يكتب أيضاً الى القرويين الفقراء الذين يلتقيهم خلال رحلاته العلمية على رغم معرفته بأنهم أميّون ولن يستطيعوا الإجابة.

**على دراجة.** في بومباي كان سليم علي يتبع برنامجاً صارماً. ينهض في الخامسة صباحاً ويذهب في نزهة على القدمين، ثم يعمل ساعتين قبل أن يتوجه الى مقر الجمعية. كنت أسمع صوت محرك دراجته النارية خارج المكتب كل صباح في العاشرة إلا ربعاً تماماً. وعلى رغم انه كان يعمل ١٤ ساعة يومياً على الاقل، فلم يكن يسهر بعد العاشرة ليلا. كان يقول: "أنا كالعصافير، أفضل العمل نهاراً." وكان يأكل كالعصافير أيضاً، يتذوق الطعام الجيد لكنه يأكل قليلا، قليلا من الكري وفطيرة محلاة واحدة.

هذه العادات الصارمة في الطعام كانت تزعجني أحياناً في رحلاتي الميدانية مع الرجل العجوز. كنت أشعر بالحرج اذا تناولت أكثر من ثلاث فطائر، لذا صادقت الطباخ وبتّ أتناول وجبة عشاء في المطبخ وأخرى مع سليم علي.

وكانت للآخرين مشاكلهم أيضاً. كان الجميع يعرفون أبغض الامور على قلبه، لذلك لم يكن أحد يجرؤ على التدخين أو تناول الكحول في حضوره. وخلال الأسفار يكره سليم علي الذين يغطون (يشخرون) في نومهم. ولم يكن يتقاسم خيمة مع أحد يغط. وذات مرة عينت حكومة مدراس حارساً للمخيم يغط في نومه، فرفضه سليم علي.

كانت متطلبات سليم علي قليلة، لذلك لم يكن يحتاج الى المال إلا في ما ندر. درت عليه كتاباته وجوائزه مبالغ ضخمة، لكنه لم يبق لنفسه إلا القليل. أما البقية فكانت تعطى منحاً مدرسية وهبات الى الطلاب المعوزين. وفي العام ١٩٧٦ نال جائزة بقيمة ٥٠ ألف دولار، وهي "جائزة بول غيتي للحفاظ على الحياة البرية"، فقدمها الى صندوق أبحاث في جمعية التاريخ الطبيعي.

حتى في الايام التي كان سليم علي يتقاضى مبالغ زهيدة في مقابل اعماله، كان يفيض عنه بعض المال، وكان يردد دائماً على مسمعي: "لا تصرف المال من دون هدف، انك مسؤول، ليس أمام الجمعية فحسب، بل أمام نفسك أيضاً." وكان يتحاشى شراء أشياء جديدة، مفضلا الابقاء على سكينه وبندقيته ومنظاره وسيارته ودراجته النارية في حال جيدة.

كان له افتتان مراهق بالدراجات النارية. وكان يحب اصلاحها بنفسه وقيادتها بسرعة جنونية. وعام ١٩٥٠ شحن دراجته الضخمة من طراز "صن بيم" الى أسوج (السويد) وكانت أمتعته محزومة عليها، فدخل قاعة مؤتمر حول

علم الطيور وهو يقودها، مما أذهل أعضاء الوفود الذين ظنوا أنه أتى من الهند راكباً عليها. وبعد المؤتمر قاد دراجته في أوروبا مقابلا الاصدقاء، بشراً وطيوراً. وفي فرنسا أصيب في حادث اصطدام مع شاحنة مسرعة، لكنه في اليوم التالي غادر المستشفى وأصلح دراجته بنفسه. وكان رأسه لا يزال مضمداً عندما ذهب الى غداء في وقت لاحق من ذلك النهار.

**سقوط دوريّ.** لم يستطع شيء إضعاف معنويات سليم علي، حتى تقدمه في السن. في السابعة والثمانين من عمره رأس بعثات مهمة. وفي العام ١٩٨٣ أمضى أربعة أسابيع في غابة نامدافا قرب حدود بورما، وهي مكان ناء ووعر. وبعد ذلك بسنتين تهيأ للذهاب الى جبال حملايا بحثاً عن طائر السماني الجبلي الذي لم يعد يُرى منذ قرن. لكنه مرض فجأة. وعوض الذهاب أنهى كتابة سيرته الذاتية "سقوط دوريّ" (٤).

واحدة من أمنيات سليم علي الاخيرة كانت اقامة معهد لعلم الطيور في بومباي. وفي العام ١٩٨٧ بعدما تبين أنه مصاب بالسرطان، ذهب الى دلهي لحضور مؤتمر بغية اقناع رئيس الوزراء راجيف غاندي بضرورة انشاء هذا المعهد. وأدخل المستشفى فور وصوله، لكنه بقي مصراً على حضور المؤتمر الى أن عاده غاندي وأكد له دعمه للمشروع.

بعد ذلك بأسبوعين توفي سليم علي عن عمر واحد وتسعين عاماً، وكان موته ربما الامر الوحيد الذي رضخ له من غير أن يريده، لأنه كان يشعر بأن امامه المزيد مما يجب فعله. كان يقول لي: "لست مستعداً للموت، فأنا لم ألمس بعد إلا القشور."

**ج.س. دانيال** ■

كما رواها لموهان سيفاناند

(٤) The Fall of a Sparrow

## "حوار" مفصَّل

حضر منير حفلة التقى فيها أحد معارفه. فبادره: "مرحباً يا سامي، كيف تتدبر امورك في تجارة الثياب؟ سمعتُ أنك خسرتَ مبلغاً وافراً في تلك الشحنة الخريفية من الملابس."

– هذا صحيح.

"وأنك شارفت الافلاس."

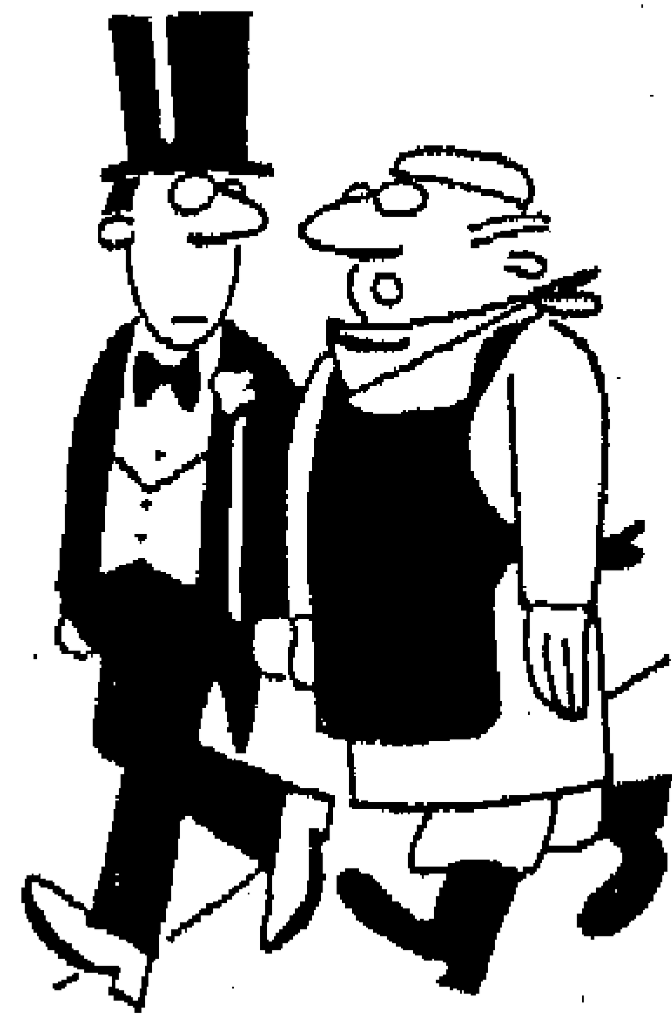
– وهذا أيضاً صحيح.

"لكني فهمت أنك حققتَ ربحاً كبيراً من شحنة أخرى فختمت الموسم بنجاح."

– بالضبط. يبدو أنك تعرف القصة كلها يا منير.

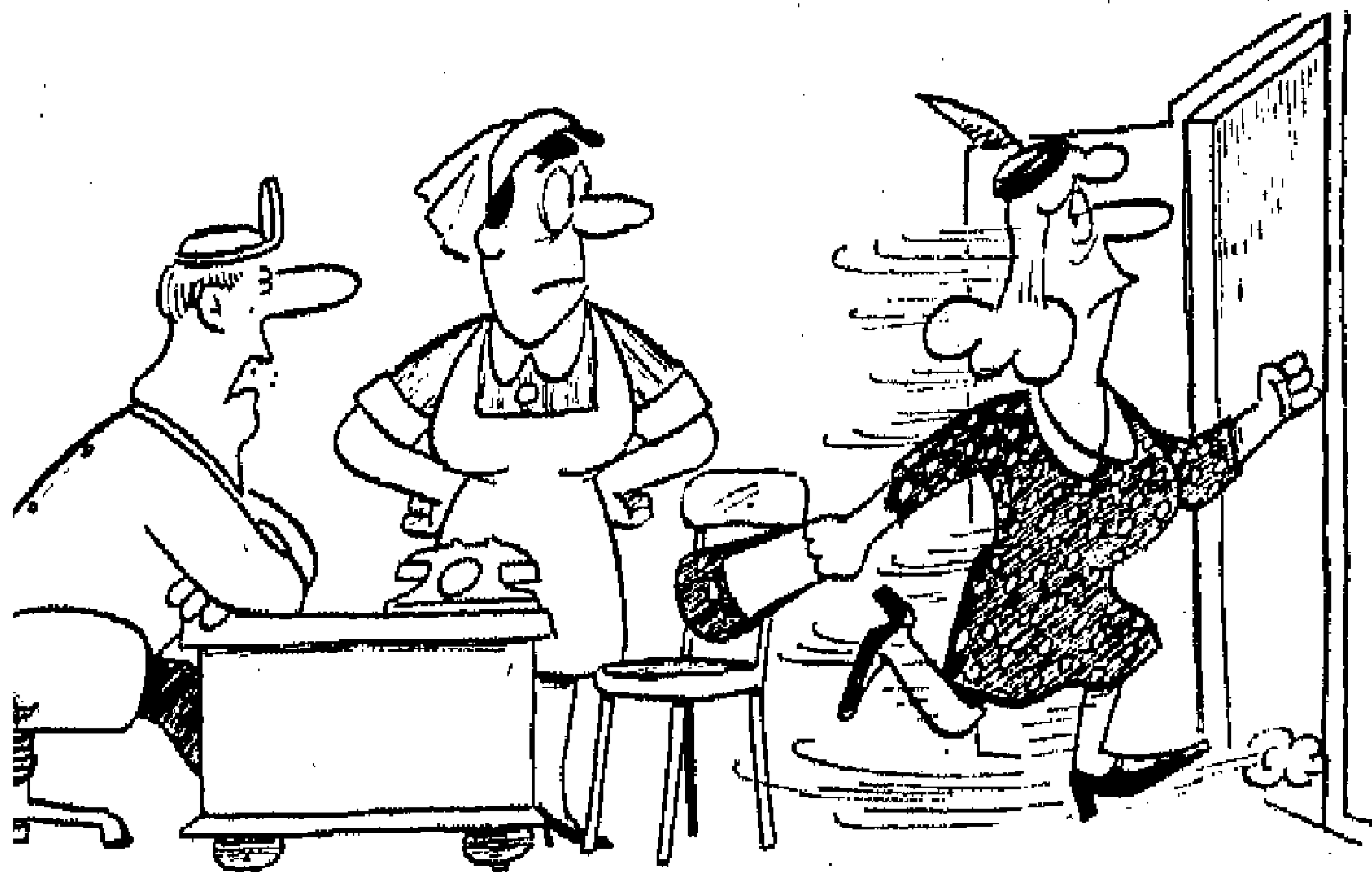
"أجل، لكنها المرة الاولى أسمع كل التفاصيل."

م.ك.



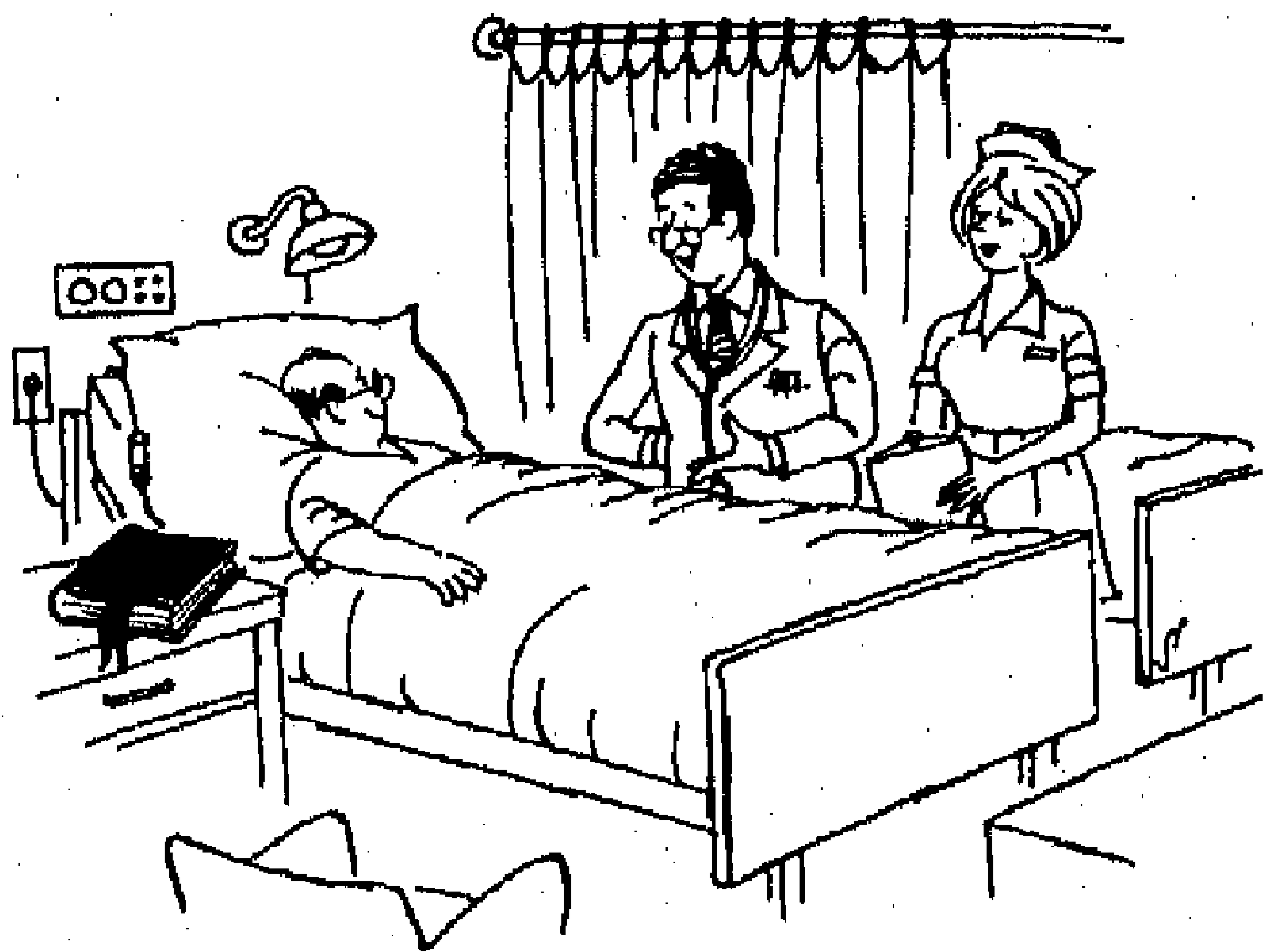

"صحيح أن الجراحة ستكون
على التلفزيون، ولكن عليك حتماً
أن تلبس برنساً أبيض."

Goldy in HÖRZU



"شعرتْ بتحسُّن حالما قلتُ لها إنها تشكو
أحد أمراض الشيخوخة."

Halbinger in Stuttgarter Zeitung



"لا تقلق، ستوقفك سريعاً على ركبتيك."

Al Kaufman / A.L.I



"يعجبني سعالك. هل تسمح لنا باستعما
في حملتنا ضد التدخين؟"

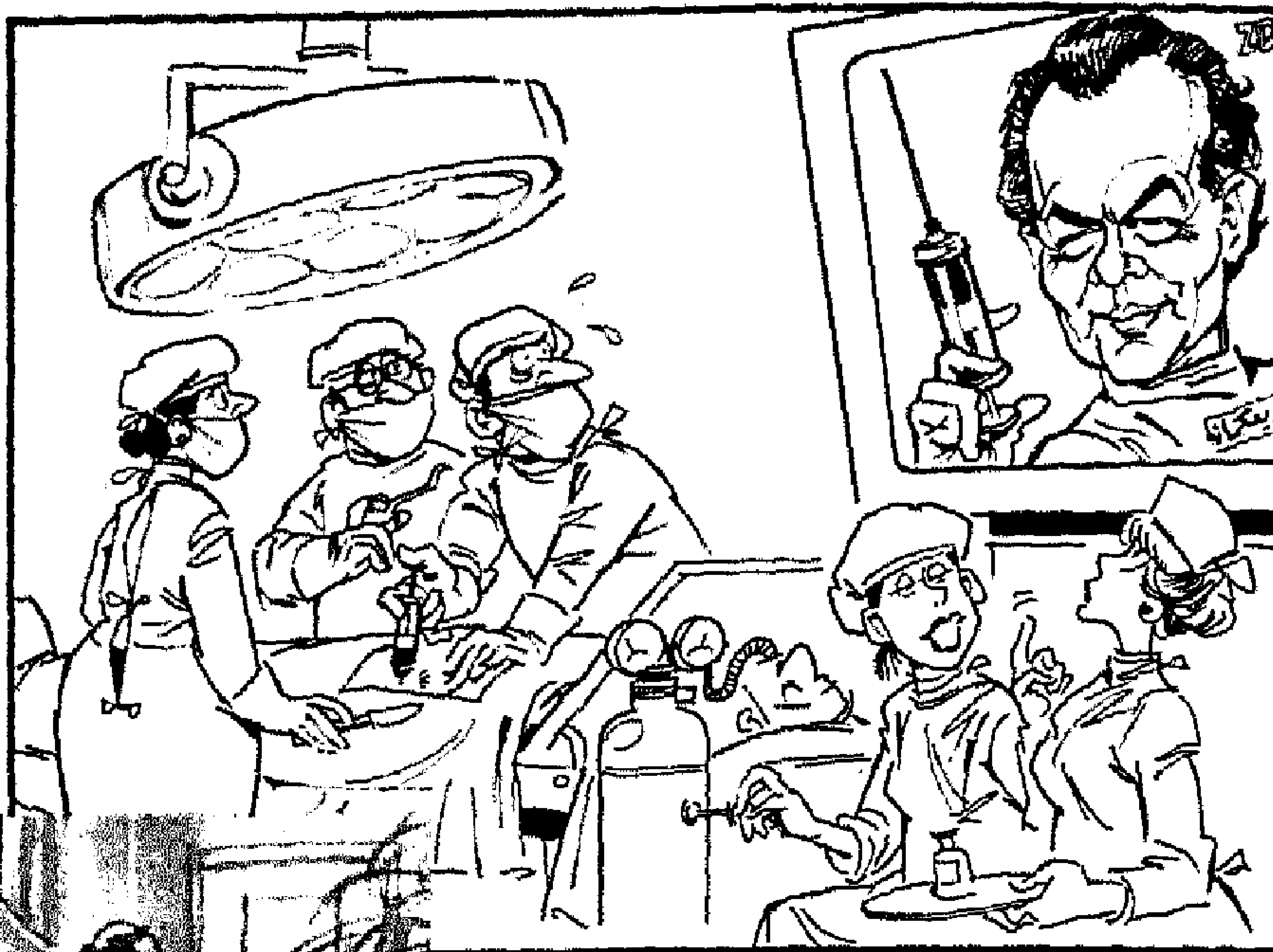
Punch / Bunte




بدون تعليق

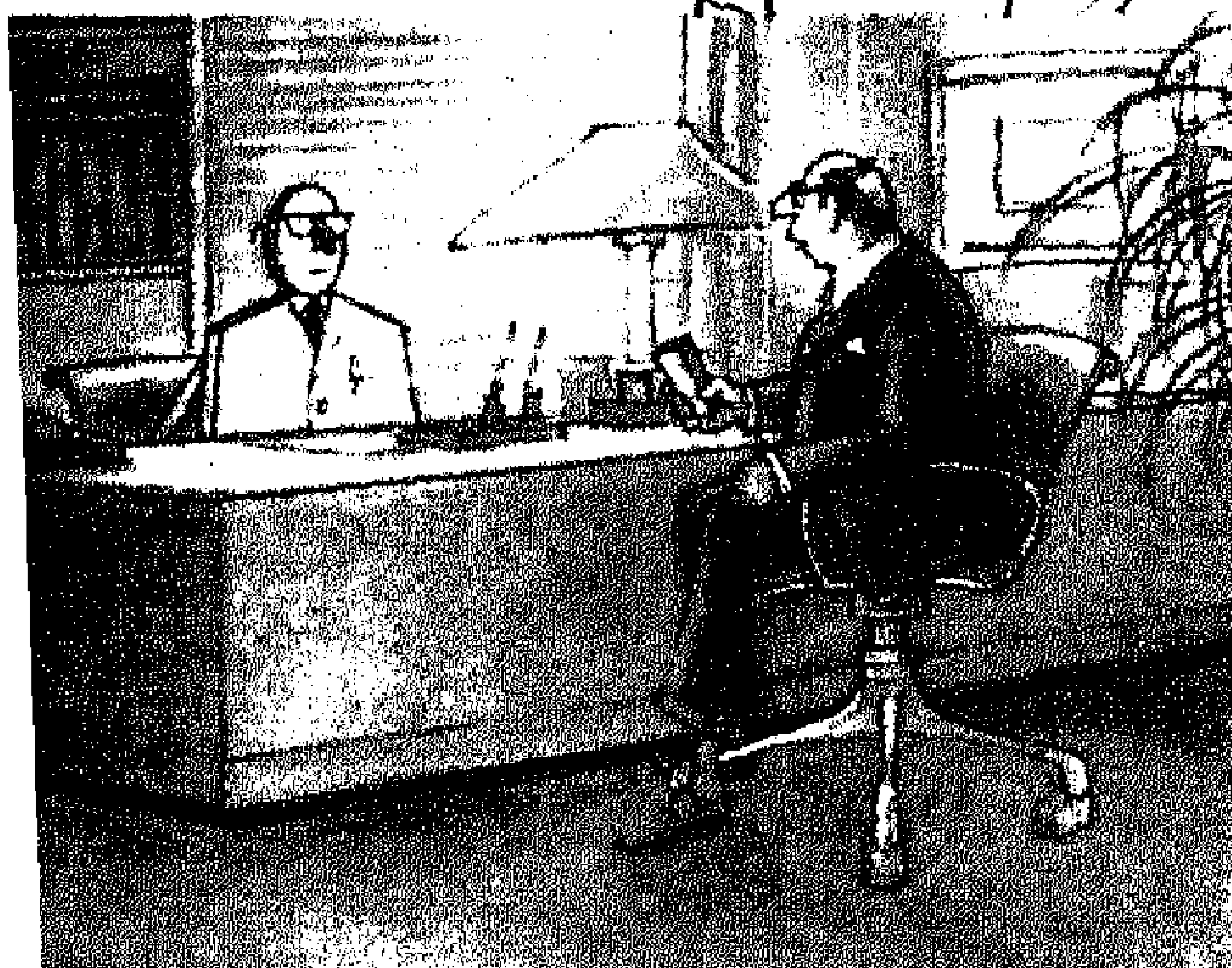
Karl — Heinz Brechels in HÖRZU

# في المستشفى



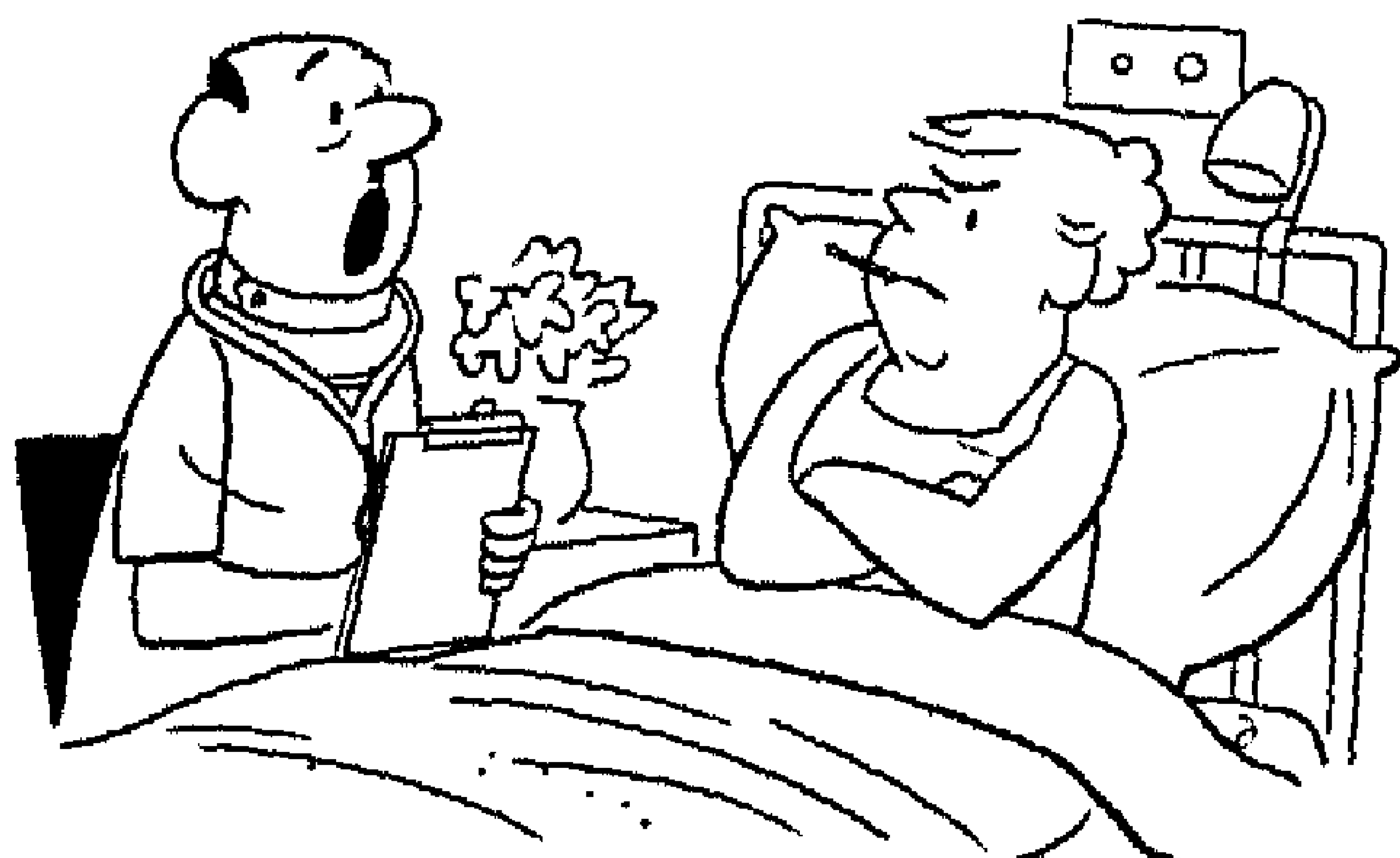
"لا أحد يعطي حقنا بالأناقة التي يحقن بها البروفسور برينكمان"(★).

Klaus Bohle in Die Welt



"قل لي، يا دكتور، انك لا تصف لي علاجات تمويهية، أليس كذلك؟"

Peter Neugebauer in Stern



"آسف، يا سيدتي، ولكن، ليس الزبون هنا على حق دائماً."

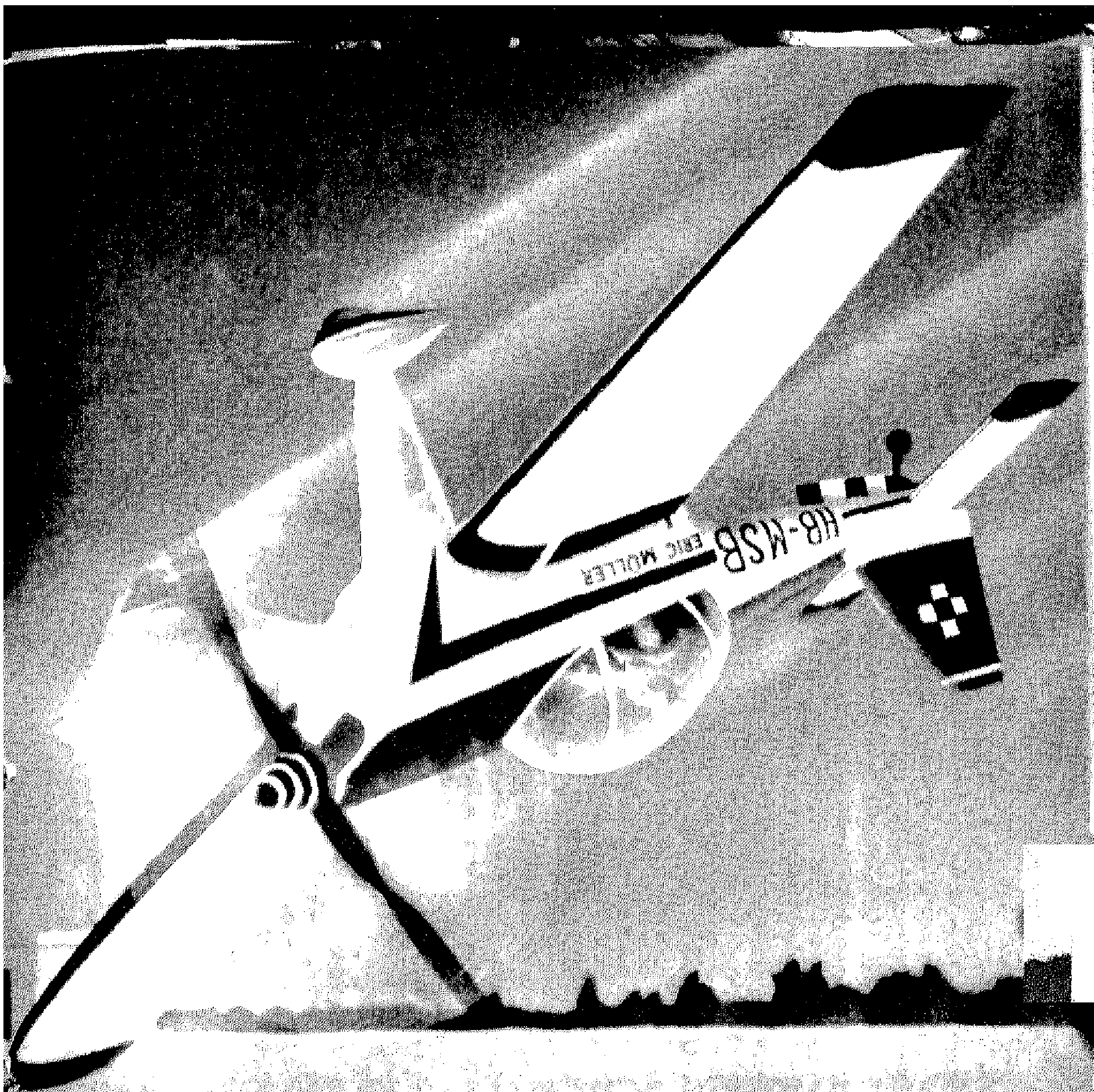
Boltinoff in Punch / Die Welt



"صحتك جيدة، وستتعافى بسهولة من المعالجة في المستشفى."

Langdon in Punch / Die Welt

(★) إلماع الى الدكتور برينكمان: نجم المسلسل التلفزيوني الالماني "عيادة الغابة السوداء."




# كادت تسقط
# فوق ٤٠,٠٠٠ مشاهد

**بقي الطيار السويسري بضع ثوان**
**لكي يتجنب السقوط وسط الحشد الغفير**
**الذي أتى لمشاهدة عرضه الرائع في البهلوانيات الجوية**

[illegible] تم جنوبي غرب فرنسا. ولم تلبث الطائرة أن وجهت مقلوبة في السماء.

حدث ذلك بعد ظهر الاحد في ١٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٤ حين كان ميولر يؤدي عرضه الجوي الاروع والاخير في ذلك الموسم. وبلغ عدد المشاهدين ٤٠ ألفاً تجمعوا لمشاهدة تلك المهارات الجوية.

حلق ميولر الى ارتفاع ٢٠٠٠ متر لبدء مناورته الاولى. كان في الثامنة والاربعين من العمر، وقد تحول من مهندس معماري ناجح الى أحد أبرع محترفي البهلوانيات الجوية في العالم. كان ميولر مفضّلاً لدى أنصار هذه الرياضة، وحاز بطولة أوروبا في [illegible] التي [illegible] وأحرز بطولة [illegible] للمرة الثامنة.

تعود جذور الألعاب البهلوانية الجوية الى السنوات التي تلت الحرب العالمية الاولى. كانت تعرف حينذاك بـ"الطيران الجسور" (١) وكان محترفوها يدعون "الطيارين المتهورين." ولأنها تقوم على الارتجال في معظم الاحيان، فقد كانت تنقصها القوانين والمعايير الرياضية التي تميز الرياضة الحقيقية. لكن هذا المفهوم تبدل في أول بطولة عالمية أجريت في باريس عام ١٩٣٤، ونظمت البهلوانيات الجوية

(١) Stunt flying



بعدها بدقة وأصبحت رياضة شهيرة ومتألقة في أوروبا مثل رياضة سباق السيارات، اذ هي امتحان لبراعة المشتركين وشجاعتهم.

وقع ميولر، مثل كثيرين، في حب هذه الالعاب، وهي معقدة مثل رقصة كلاسيكية تؤدي فيها الطائرة "خطوات" أنيقة في الجو. ان فنان البهلوانيات الجوية "يقهر" الجاذبية قليلا ليتمكن من تأدية حركات جديدة ومدروسة. والمجازفة هنا خطر يجب التقليل منه ما أمكن. وقد عرف عن ميولر تميزه بالحذر الشديد.

قبل بدء العرض كان يتبع وتيرة معينة بغية تخفيف الخطر: يفرغ جيوبه من المفاتيح والاقلام داخل علبة على الارض. فأثناء تقلب الطائرة في الجو قد يفلت أحد هذه الأشياء ويعلق في آلة داخل الطائرة مما قد يسبب حادثاً مميتاً. ولا يجوز أن يبقى في ركن الطيار سوى الطيار ومظلته. وكان ميولر يفرغ الطائرة من بطاريتها لجعلها أخف وزناً، وإلا لما تمكن من تأدية معظم مناوراته.

**"سوف أسقط!"** بعد تفحص مظلة الهبوط صعد ميولر الى ركن الطيار. ثم جرب سمّاعتي الرأس وتحقق من حسن اداء جميع الاجهزة العاملة على اللوحة أمامه بتحريكه الرافعات وقضيب التحكم. كان كل شيء يعمل على نحو طبيعي. وفي الساعة ٤،٤١ أغلق ميولر الغطاء الشفاف وبدأ يوجه طائرته، وهي من طراز "أكروستار"، نحو موقعها على المدرج.

في الساعة ٤،٤٨ تلقى ميولر اذناً بالاقلاع، وأتمَّه بنجاح. حلق فوق مدينة بو وأخذ يفكر في المناورات التي سينفذها. ستكون احداها "البرج اللولبي" وهي رقصة عمودية اخترعها عام ١٩٧٤ تعرف حالياً باسمه "لو ميولر" (٢). وستكون "ربطة العنق" (٣) لوحة أخرى تتطلب دقة متناهية في تنفيذ شكل الربطة.

في الساعة ٤،٥٥ بعدما ركز ميولر وضع الطائرة عالياً فوق الطرف الجنوبي للمدرج، اتصل ببرج المراقبة وقال: "انني جاهز لبدء العرض."

فجاءه الجواب: "هيا يا أكروستار."

أطفأ ميولر المحرك فبدأت الطائرة تهبط عمودياً بدوران متوازن راسمة دائرة تامة (٣٦٠ درجة) كل ٤،١ ثانية مثل عود عالق داخل دوامة ماء. راقب ميولر مقياس الارتفاع بينما كان طائراً بسرعة فوق جبال البيرينيه.

في الساعة ٤،٥٦، خلال الدورة الاربعين، أراد ميولر أن يخرج من الدوران على ارتفاع ٧٠٠ متر، فسحب قضيب المصعد لكن هذا لم يعمل.

حاول تحريك الجنيحات للتوصل الى وضعية متوازنة. وفي تلك الاثناء كانت ابرة مقياس الارتفاع تدور بسرعة مشيرة الى ٦٠٠ متر ثم ٥٥٠ ثم ٥٠٠. وأخيراً توصل الى وقف الدوران على ارتفاع ٤٠٠ متر فأخذت الطائرة في الهبوط تدريجاً.

في الساعة ٤،٥٧ اتصل ميولر ببرج المراقبة قائلا: "لدي مشكلة."

وعلى رغم صوته الهادئ أدرك المراقب أن الطيار المتمرس يعاني حقاً مشكلة. فأجابه: "نعطيك اذناً بالهبوط."

(٢) Zwirbelturm or spiraling tower or le Müller

(٣) Krawatte or necktie

قال ميولر: "أعتقد أنني لا أستطيع الهبوط. سوف أسقط."

ساد الهدوء غرفة المراقبة ثم قال المراقب: "حاول الانتظار. ستصل سيارات الاطفاء حالا."

فكر ميولر: سيارات الاطفاء! انني في حاجة الى سيارة اسعاف. كان أمام "أكروستار" عشر ثوان قبل أن تتحطم. فلمس ميولر المصراع ليفتح الغطاء الشفاف واستعد للهبوط بالمظلة.

وإذ حان الوقت للقفز وترك الطائرة تقع حيثما أرادت، تبين للطيار أن السقوط سيكون وسط الحشد تحته. قبل دقائق كان ينظر الى ٤٠ ألف مشاهد كفرباء عنه، لكنه بات الآن قريباً منهم الى حد أنه استطاع تمييز وجوههم المتطلعة الى العلاء.

لا! لا أستطيع الهبوط بالمظلة! سيقتل مئات الناس نتيجة اصطدام الطائرة والنار التي ستنتج انفجارها. في هذه اللحظات كان عليه أن يفكر في ما يجنبه الكارثة الوشيكة، أو يموت داخل الطائرة.

تذكر أن طائرة "كاب - ١٠" تحطمت في ولاية نيويورك قبل مدة وجيزة بسبب مفك براغ كان منحشراً داخل جهازها الرافع، وأن طائرة "زلين ٥٢٦ ل" سقطت في سويسرا بسبب ملزمة كانت ملتصقة بمقبض الجهاز الرافع. وتذكر أيضاً ما خطر له آنذاك من أنه كان في وسع الطيارين النجاة لو هما قلبا الطائرة لحل العوائق.

فكر ميولر في أن يقلب



الـ"أكروستار". فجمع قواه وسحب قضيب الجنيحات وهو يصلّي لكي تنجح خطته.

انقلبت الـ"أكروستار" على ظهرها بروعة. أحس ميولر الدم يندفع الى رأسه وهو معلق في الفضاء، فشد قضيب الجهاز الرافع. لكنه كان لا يزال عالقاً.

وعلى ارتفاع ٢٥٠ متراً فوق المشاهدين أوقف هبوطه. وفي وضعية الطائرة المنقلبة أصبح قضيب الهبوط ناتئاً من الارضية التي باتت الآن هي سطح الطائرة، وأصبح أسفلها ناعماً مما جعلها تنزلق كأنها طائرة شراعية. عندئذ استطاع ميولر السيطرة على الطائرة من جديد، فاستدار بها وانزلق بعيداً عن الحشد في اتجاه المدرج.

أدرك ميولر أنه أنقذ مئات الارواح. ولكن ماذا عنه؟ فهبوطه بالطائرة منقلبة يعتبر انتحاراً. لعن ساعة أزال البطارية. فلو أبقاها لأمكنه ادارة المحرك والصعود بالطائرة الى ارتفاع آمن ومن ثم القفز بالمظلة. ولكن ماذا يفعل الآن؟

انتظر بضع ثوان مؤلمة. كان عليه أن

يعيد الطائرة الى وضعيتها السليمة، لكن هذه المناورة تتطلب دقة متناهية. فإن انتظر طويلا ليدير الطائرة على ارتفاع منخفض، لامس الجناح الارض وتحطمت الطائرة. وإن أدارها عالياً انخفض مقدمها مما يؤدي الى النتيجة ذاتها.

على ارتفاع ثمانية أمتار فقط عن الارض شد ميولر الجنيح. وبعد لحظة انقلبت الطائرة مستجيبة وأخذت تهبط.

أسرعت الارض لملاقاته. وبعد ثوان قليلة حرثت الطائرة أرض المطار في هبوطها الأخير. أما آخر شيء شاهده ميولر فكان الزهور البيضاء الصغيرة في العشب أمامه، وبعد ذلك شعر بقوة الاصطدام وغاب عن الوعي.

تلك الليلة استيقظ ميولر في أحد مستشفيات بو. كان مصاباً بجروح خطرة في الجمجمة وأربعة كسور في فقرات ظهره وتمزقات في فمه. الا أن الاطباء طمأنوه الى أنه سيتعافى كلياً.

وبعد يومين نقل ميولر الى سويسرا. وعاده سيل غير منقطع من الزوار في المستشفى بمدينة بال وكان كثيرون منهم أعضاء في جمعية الطيارين الذين يمارسون البهلوانيات الجوية. أخبره هؤلاء أن الصحف في أنحاء فرنسا تشيد بالطيار الذي جازف بحياته لانقاذ حشد من المشاهدين.

**استقبال الابطال.** ظل البريد طوال أسابيع يحمل الى ميولر، المتعافي ببطء، حزمات من الرسائل. احداها من ولد صغير كان حاضراً في بو يوم الحادث، وجاء فيها: "عزيزي اريك، كنت خائفاً جداً عليك. اسمي غيوم وعمري ست سنوات. أتمنى أن تتحسن بسرعة لتعود الى الطيران."

وفي ٢٤ فبراير (شباط) ١٩٨٣ عاد ميولر الى بو ليحلق بطائرته "روبين در ٤٠٠". كانت المدينة في انتظاره وقد هيأت له استقبال الابطال. لكن محطته الاولى كانت مدرسة غيوم. هناك عانق ميولر الصبي ووعده هو ورفقاء صفه برحلة في طائرته أذا وافق أهلهم على ذلك.

وحضر وجهاء المدينة جميعاً احتفالا خاصاً قدّم خلاله عمدة المدينة ميدالية ذهبية الى ميولر تقديرا لروحه الرياضية الفريدة، وقال: "لقد أنقذت حياة كثيرين في ذلك اليوم. لن ننساك أبداً."

في السادس عشر من سبتمبر (أيلول) ١٩٨٤ عاد ميولر الى مدينة بو للمشاركة في عرض جوي آخر على متن طائرته الجديدة "بيتس س - ٢ س". ومرة أخرى احتشد ٤٠ ألف مشاهد في مطار المدينة. راقبوا العرض فيما راح ميولر ينفذ أشكالا معقدة ببهلوانياته. وعندما أنهت طائرته، المزودة بطارية هذه المرة، تحويمها الأخير، أسرع بها نحو المدرج. وعندما هبط بها هلل الحشد وعلا الهتاف والتصفيق ووقف الجميع لتحية الطيار السويسري الذي ملك قلوبهم قبل عامين اذ حوّل عرضه البهلواني أمثولة شجاعة عجيبة.

لورانس شيري ■

---

العادات الحميدة هيّنة التكوين مثل العادات السيئة. ت.م.



# المعداد

# آلة حاسبة عمرها ٥٠٠٠ سنة

يروى أن ناسكاً جليلاً قال مرة وهو يشير باصبعه الى شهيوو هواي - ون في مدرسة شينيانغ: "هذا رجل يملك فنوناً رياضية غريبة." وإذ أشار الى شجرة عناب سأل هواي - ون أن يستخدم المعداد ويعلن كم ثمرة هنالك على الشجرة. لم يكتف هواي - ون بتحديد العدد الكلي، بل عين عدد الثمرات الناضجة وتلك الفجّة وتلك المائلة الى النضج. وعندما أحصيت الثمرات نقصت واحدة، لكن الرياضي قال: "لا يمكن أن يخطئ المعداد، فهلا هززتم الشجرة ثانية؟" ومن غير ريب سقطت ثمرة أخرى.

عن "سيرة شهيوو هواي - ون
من سلالة "شمي" الشمالية، القرن السادس



Photo: Ernest Coppolino

قد يكون كاتب السيرة جمّل القصة، ولكن بالنسبة الى القارىء المعاصر تبدو الآلة "الحاسبة" الى حد بيّن شبيهة بالمعداد(١). وما ذكر أعلاه هو أقدم مرجع مكتوب عن هذا الاختراع في الصين القديمة. واليوم يعيد مربو الغرب اكتشاف المعداد بعدما ظل مبعداً نحو خمسة قرون، إذ يرون فيه أداة لا مثيل لها لتعليم مبادىء الحساب، أفضل كثيراً من القلم والورقة والحاسبات الالكترونية.

تبصّروا في هذه الأمثلة:

□ في مدرسة ابتدائية في أوكلند بولاية كاليفورنيا، خلال دروس عن الحضارة الآسيوية، استخدمت المعلمة جان ستنمارك معداداً لجذب انتباه الطلاب الذين كانوا يعانون مشاكل سلوكية. شرحت لهم أولا كيف أن الآسيويين يقدرون التهذيب: "كانوا ينسجمون مع الآخرين ويعتنون جيداً بأدواتهم، كما فعلوا بهذا المعداد." وناولت الطلاب معاديد ليتناقلوها، وبعد مشاهدتها عن كثب تبادلها الطلاب بعناية. وعندما هدأ الصف استخدمت المدرّسة معداداً لتجري بواسطته عمليات جمع وطرح.

□ في مدرسة ماريلاند للعميان استخدم نورمان أندرسون المعداد لمساعدة طلابه على استيعاب المفاهيم الرياضية. فالاولاد، وكان عدد منهم معاقاً عقلياً أيضاً، يستشعرون حلول المسائل. ويشرح أندرسون، وهو أعمى أيضاً: "يسمح المعداد للاولاد بتكوين فكرة كاملة عن الاعداد."

ويضيف بوب مارتن الذي يُعد منهاج الدراسة وهو من المتحمسين لاستخدام المعداد: "انه يساعدهم على استيعاب المفاهيم الملموسة قبل التطرّق الى أفكار رياضية أكثر تجرداً. هو أداة ملائمة ساكنة وغير غالية الثمن، لا تأخذ مكاناً ولا تنكسر ولا تحتاج الى بطاريات."

□ في مدرسة «AFCENT» الدولية في برونسوم بهولندا علّم ليو ريتشاردس، وهو أستاذ تربية من جامعة جنوب كاليفورنيا، فريقاً من طلاب الصف الابتدائي الرابع استخدام المعداد. كان هؤلاء متعددي الجنسية، بينهم ألمان وهولنديون وأمريكيون وكنديون يتلقون دروسهم باللغة الفرنسية. ولأن ريتشاردس لا يتقن الفرنسية، فقد كان عليه أن يخاطب الطلاب بالايماء. ومع ذلك استطاع الطلاب خلال ساعة واحدة أن يحلوا مسائل حسابية على المعداد.

بفضل ريتشاردس، ومعهد سوروبان الذي يتولى ادارته والتابع لجامعة جنوب كاليفورنيا، يكسب المعداد مناصرين جدداً في صفوف المربين الغربيين. ومعهد سوروبان الذي تأسس في العام ١٩٧٧ فريد من نوعه، لانه يقف كل نشاطاته على النواحي التعليمية في المعداد، ويشرح ريتشاردس قائلا: "همنا الاول أن نظهر للمعلمين والمسؤولين التربويين في أنحاء العالم أن المعداد يتمتع بأعظم مقدرة تملكها أداة لمساعدتهم على ايصال المفاهيم الحسابية الى الطلاب."

**ألواح حاسبة.** قد يكون الصينيون القدماء استخدموا قبل ٥٠٠٠ سنة نماذج

(١) Abacus

من المعداد، مثل الالواح الحاسبة وهي صفائح خشبية أو صخرية حُفرت عليها خطوط تمثل الارقام ومجموعات الاعداد من ١٠ الى ١٠٠ الى ١٠٠٠ فما فوق. واستخدم الرياضيون الصينيون القدماء أيضاً عيداناً بسيطة للعد، وفي ما بعد عيدان عد عليها أرقام. وقد ظهرت هذه على قطع نقدية مسكوكة في القرنين الثالث والرابع قبل الميلاد.

أقدم لوح حاسب لا يزال باقياً هو صفيحة من المرمر الابيض صنعت قبل نحو ٢٤٠٠ سنة. وقد اكتشفت في جزيرة سالاميس قرب أثينا في منتصف القرن الماضي، وتحفظ الآن في المتحف الوطني اليوناني.

ولقد أتت البيّنة على أن ألواحاً كهذه كانت تستخدم في "جداول احصائية"، من "زهرية داريوس" التي اكتشفت في حفرية قديمة في أبوليا وهي بلدة تقع على الشاطىء الجنوبي الشرقي لايطاليا وكانت في الماضي خاضعة لحكم الاغريق. فهذه الزهرية المصنوعة في القرن الرابع قبل الميلاد تحيي ذكرى الحروب الفارسية. ومن الاشكال الكثيرة التي تحويها، اضافة الى الملك الفارسي داريوس فوق عرشه، صورة رجل جالس الى طاولة عدّ (كونتوار) يجدول ثروات المملكة على لوح حاسب يختلف قليلا عن لوح سالاميس.

وفي ما بعد طوّر الرومان "معداداً يدوياً"، وهو أداة حفرت عليها أثلام ورموز عددية ويمكن المرء أن يحويها في باطن يده. وعلى رغم أن المعداد اليدوي أخفق في تثبيت وجوده في الغرب بعد سقوط الامبراطورية الرومانية، فقد ظلت الالواح الحسابية العريضة تستخدم في أنحاء أوروبا حتى القرن السادس عشر عندما بدأ الورق يحل محلها في الغرب. وازدهر المعداد في آسيا.

**الأصل والفصل.** لربما كان الـ"سوان بان"(٢) الصيني هو الاصل الذي تفرعت منه كل المعدادات الآسيوية. وأول وصف كامل للمعداد الحديث ظهر في كتاب تشنغ تا – وي "سوان فا تونغ تسونغ"(٣) الذي يعود الى العام ١٥٩٣. غير أن رسمة لمعداد ظهرت عام ١٤٣٦ في مؤلّف بعنوان "هسن بين توي هسينغ سو ين"(٤). والى ذلك، هناك أوصاف لـ"كرة حسابية" تعود الى نحو ألف سنة خلت وتشبه المعداد الى حد بعيد.

اعتمد المعداد في أنحاء آسيا حيث ابتكر. وعدّل اليابانيون الـ"سوان بان" الذي يحوي شريطاً مقسوماً بقضيب، في أعلاه خرزتان وفي أسفله خمس خرزات، فحولوه الى ما يدعونه "سوروبان"(٥) حيث وضعوا خرزة واحدة فوق القضيب. والواقع أن الـ"سوروبان" يشبه المعداد اليدوي الروماني أكثر مما يشبه الـ"سوان بان" لأن أداة الرومان لحظت فراغاً لحصاة واحدة فوق أخدود محفور.

يعرف الاطفال الصينيون أن من السهل تعلم طريقة الجمع والطرح بالمعداد. يُحمل المعداد بحيث تكون "قضبانه"

(٢) Suan pan

(٣) Suan Fa Thung Tsung

(٤) Hsin Pien Tui Hsing Ssu Yen

(٥) Soroban

عمودية. وتُحسب كل خرزة تحت الشريط الافقي وحدة من المرتبة التي يمثلها القضيب، سواء أكانت آحاداً أم عشرات ام مئات أم غير ذلك. وكل خرزة فوق الشريط تحسب خمسة أضعاف القيمة تحته. وحدها الخرزات التي تحرَّك صعوداً أو هبوطاً عبر الشريط تحسب، وبهذه الطريقة تتم عملية الجمع أو الطرح.

وتتطلب عمليتا الضرب والقسمة تجزئة المعداد عدة مناطق، وهما بالتالي أكثر تعقيداً. وتستوعب هذه المناطق العدد المضروب فيه أو المقسوم عليه، والمضروب أو القاسم، وفسحة للجواب. ولقد ثبت غالباً أن شخصاً ماهراً بتقنية المعداد يستطيع اجراء عمليات ضرب معقدة أو قسمة طويلة والتوصل الى أرقام لا يستوعبها معظم الحاسبات الالكترونية. وفي المسابقات يربح المعداد في معظم الاحيان.

**مدارس "سوروبان".** برهن الاولاد في أمريكا أيضاً أنهم قادرون على البراعة في المعداد. فهذا مارسيلوس، الصبي المكسيكي المهاجر، كان تلقى قليلا من التعلُّم المنهجي قبل وصوله الى لوس انجلس، فوُضع في الصف الابتدائي الثالث حيث لم يكن في استطاعته الجمع أو الطرح أو التحدث بالانكليزية. ولكن عندما أدخل مدير المدرسة، بروس ماتسوي، المعاديد ضمن الصف تضلع مارسيلوس بسرعة من الجمع والطرح. وخلال أشهر قليلة بدأ يحل مسائل ضرب بواسطة المعداد وأصبح نجم الصف في الحساب. وإذ تعززت ثقته بنفسه واحترامه لذاته بدأ يتعلم الانكليزية.

وفي خريف ١٩٨٠ أقام مارسيلوس وبضعة طلاب آخرين عرضاً للمعاديد أمام هيئة المعلمين الذين أُعطوا حاسبات. وتحدى التلاميذ معلميهم كي يحلوا مسائل حسابية قبلهم. وكان الاولاد في كل مرة يعطون أجوبة صحيحة قبل الراشدين.

وجد ماتسوي أن المعداد يستطيع مساعدة الطلاب الذين يشكون صعوبة في الحساب على اللحاق بأترابهم. ويشرح الامر على النحو الآتي: "بدأنا نحرز زيادة ملحوظة في التحصيل لدى أولاد الصفين الابتدائيين الثالث والرابع الذين أخفقوا من قبل."

ولاحظ ماتسوي منافع أخرى: "لقد ثبت أن المعلم، كلما ضمَّن برنامجه "طرائق تعليمية" سمعية – بصرية – لمسية، تعلم الطالب أكثر. والمعداد يجمع كل هذه الصفات، فالاولاد يلمسونه ويرون الخرزات تتحرك ويسمعون طقطقتها."

والمدارس الخاصة التي تعلِّم الحساب بالـ"سوروبان" آخذة في الازدهار في جنوب كاليفورنيا. يقول ماتسوي: "معظم طلابها يابانيون. وقد بدأ المواطنون البيض أيضاً ارسال أولادهم اليها. فهم رأوا مقدار تأثيرها في تحسين أداء الطلاب في الحساب في المدارس الرسمية."

**معداد للعميان.** حتى بداية الستينات لم تكن هناك من وسيلة بسيطة لتعليم الاولاد العميان المفاهيم الرياضية، الى

أن تساءل تيم كرانمر، مدير "مصلحة خدمات العميان" في ولاية كنتاكي، كيف يمكنه أن يصنع معداداً مفيداً لهم. فالخرز في المعاديد السوية يزلّ عن موضعه.

بمساعدة "دار الطباعة الامريكية للعميان" في كنتاكي صمم كرانمر نماذج مختلفة وجربها، الى أن توصل أخيراً الى ضرب من قماش التقوية يُحدِث احتكاكاً ملائماً بين القضبان والخرز. كذلك جعل حجم المعداد صغيراً بحيث يستطيع الرجل وضعه في جيبه والمرأة في حقيبتها اليدوية. واليوم يُعتبر معداد كرانمر من السلع الاكثر مبيعاً في منتجات الشركة، وكثير من الطلبات يأتي من آسيا.

وتنتج دار الطباعة أيضاً معداداً كبيراً يحوي خرزاً أكبر من المعتاد مشطوب الحافات، وهو ما يفضّله الافراد الذين يعانون مشاكل في التناسق الحركي، والعميان الذين يجدون صعوبة في المعالجة السوية باليد وفي التمييز اللمسي.

والاولاد المصابون بالشلل الدماغي، مثلاً، الذين يعجزون عن استعمال الورقة والقلم، يجدون أنهم قادرون على حل المسائل الحسابية بالمعداد الكبير.

في شهر أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٥، خلال اجتماع في تشنغ دو في الصين، وافق ممثلو "الجمعية الصينية للمعاديد" وشركة "زن شورن" اليابانية و"معهد سوروبان" على انشاء جمعية دولية للمعاديد، هدفها التشارك في الابحاث وتسهيل الاتصال وتبادل الزيارات بين الباحثين والمربين العاملين في هذا المجال. ويأمل ريتشاردس أن تتوصل "الجمعية الدولية" الى تحقيق مسعى أكثر تنظيما وتناسقاً لتعزيز التعليم بالمعداد.

ويتلقى ريتشاردس باستمرار استعلامات من مدرّسين من أوستراليا وفرنسا والهند وكندا ونيجيريا وألمانيا وبريطانيا. وهناك مربون اسكنديناڤيون طلبوا منه أن يأتي الى بلدانهم ويقدم شروحاً عملية، لكن المعلمين لا يستطيعون وحدهم اطلاق المعداد في ميدان التربية. ويقول ليو ريتشاردس: "يصعب عليهم أن يكرسوا وقتاً كافياً لتعلّم تشغيل المعداد. علينا أن نجد محترفين يتبرعون بمهاراتهم في سبيل التربية، فيتسنى لمحترف المعداد في بريطانيا أو فرنسا أو المكسيك، مثلاً، أن يكيف معرفته وفقاً للنظام التربوي الوطني." لذلك من أولى مهمات الجمعية الجديدة استقطاب اهتمام المتطوعين.

أكان الطلاب عمياناً أم مبصرين، أتكلموا الصينية أم الانكليزية أم الاسبانية أم الفرنسية ام العربية أم البرتغالية أم الالمانية، فالاعداد هي ذاتها بالنسبة اليهم. ان لغة المعداد القديم الجديد لغة عالمية.

جاي ستولر ■

---

تنتقل الثقة بالعدوى، مثلها مثل عدم الثقة. م.أ.

# مأكولات تخفّف الكولسترول

## نصف بصلة نيئة يومياً
## أو ثلاث تفاحات أو قليل من السمك وثمار البحر
## يمكن أن ترد عنكم غضبة الكولسترول

عام ١٩٧٦، قبل أن تشيع معرفة قيمة الحمية الليفية في تأمين الصحة للقلب والشرايين، كان الدكتور جايمس أندرسون، من معهد الطب في جامعة كنتاكي، لاحظ أمراً غريباً لدى المصابين بالسكري الذين يتبعون حمية غذائية غنية بالمواد الليفية وفقيرة بالمواد الدهنية. فقد تدنّت مستويات الكولسترول في دمهم أكثر مما يتوقع لدى الممتنعين عن الدهون. وحاول الدكتور أندرسون أن يعرف السبب، وكان مقدار الكولسترول يرتفع في جسمه هو الى المستوى المقلق ٢٨٥.

ثم تذكر دراسة هولندية تعود الى العام ١٩٦٣. ففي كل يوم كان كل من ٢١ رجلا يُعطى خبزاً يحوي ما يعادل خمس طاسات من دقيق الشوفان بدلا من الخبز السوي. وبعد ثلاثة أسابيع تماماً انخفض مستوى الكولسترول في دمهم بمقدار ملحوظ. فقال أندرسون في نفسه: لعل الالياف هي السر. وهو يقول مفسراً: "المادة التي تلتصق بالمقلاة عندما يُطبخ دقيق الشوفان هي مادة ليفية صمغية."

لكن الكمية المطلوبة من دقيق الشوفان كانت كبيرة، وأكلها غير عملي.

واشتبه الدكتور أندرسون بامكان حصوله على نتيجة أفضل إن استهلك نخالة الشوفان الاكثر تركيزاً. لذا اتصل بشركة لمنتجات الحبوب أرسلت اليه برميلا يحوي ٤٥ كيلوغراماً من نخالة الشوفان. وبدأ أندرسون يغير حميته الغذائية بتخفيف ما في جسده من دهن وكولسترول. بدأ يتناول كل صباح طاساً ساخناً من الرقائق المصنوعة بنخالة الشوفان، وخلال النهار يأكل أربع فطاير من النخالة مع وجبات أخرى. أي انه كان يستهلك يومياً ٩٠ غراماً من نخالة الشوفان الجافة.

يقول: "سقط كولسترول دمي على نحو "عمودي" ١١٠ نقاط في خمسة أسابيع. وصُعق الزميل الذي حلل دمي كيميائياً وسألني أي عفريت أنا وماذا فعلت."

ما فعله أندرسون هو امدادنا ببيِّنة جديدة عن وقع الحمية الغذائية على مرض القلب. فالارتباط بين نخالة الشوفان والكولسترول هو حقاً أحد آخر الاكتشافات التي بينت أن الاطعمة يمكنها أن تحارب مشاكل صحية معينة. وما نادت به الحكمة التقليدية مئات السنين يأخذ العلم الآن في تثبيته.

وجد أندرسون أن تناول ٤٠ غراماً من نخالة الشوفان يومياً (ملء طاس اذا طبخت) يخفض بسرعة، وبنحو ٣٠ في المئة، كولسترول البروتيين الدهني المتدني الكثافة (١) وهو النوع الذي يسدّ الشرايين. أما النخالة فترفع مستوى كولسترول البروتيين الدهني العالي الكثافة (٢) نحو ١٥ في المئة ولكن بسرعة أقل. وهذا النوع الثاني من الكولسترول مفيد اذ انه يساعد على افراز الكولسترول الضار من الدم. ويخفض الكولسترول كذلك بكوب يومي (غير مطبوخ) من دقيق الشوفان الاقل فاعلية.

**ثلاث تفاحات في اليوم.** بعض الاطعمة يعطي، على نحو مدهش، النتيجة ذاتها التي تعطيها العقاقير المخفضة للكولسترول، بغسل أحماض الصفراء (٣) المحتوية على كولسترول في الجهاز الهضمي، وخصوصاً في الامعاء. فالعقار الواسع الانتشار "كولستيرامين" يخفض الكولسترول بالطريقة ذاتها.

وهناك أطعمة أخرى تقيد الانتاج الداخلي للكولسترول في الجسم. فاذا أوهنت قدرة الكبد على صنع الكولسترول تنخفض عادة مستويات كولسترول البروتيين الدهني المتدني الكثافة المدمِّر في الدم. وبمقتضى هذا المبدأ يعمل العقار الجديد لخفض الكولسترول "لوفا ستاتين".

يؤكد الدكتور أندرسون وأطباء آخرون أن حمية غذائية متوازنة لا تحتوي على كميات كبيرة نسبياً من الدهون المشبعة (٤) ومن الكولسترول، اذا أرفقت بتمرين منتظم، هي التدبير الابرع ضد مرض القلب. فتناول نوع واحد أو نوعين من الطعام بكميات كبيرة، مع استبعاد الانواع الاخرى، من شأنه أن يضر فعلا. ومع ذلك يتابع الاختصاصيون البحث عن المقوِّمات النافعة في الاطعمة.

(١) Low-density lipoprotein cholesterol
(٢) High-density lipoprotein cholesterol
(٣) Bile acids
(٤) Saturated fats

وعلى سبيل المثال، اكتُشفت مواد كيميائية قد تساعد على خفض الكولسترول في التفاح والشعير والجزر والباذنجان وزيت الزيتون والحليب المقشود واللبن.

وفي أحد الاختبارات أكل كل من ٣٠ رجلا وامرأة في منتصف العمر تفاحتين أو ثلاث تفاحات يومياً لمدة شهر. النتيجة: أنزل التفاح كولسترول الدم لدى ٨٠ في المئة من هؤلاء. وكانت نسبة الهبوط لدى نصفهم أكثر من ١٠ في المئة. وارتفع مستوى كولسترول البروتيين الدهني العالي الكثافة المفيد، وانخفض مستوى كولسترول البروتيين الدهني المتدني الكثافة المدمر.

ويحوي الليمون الهندي (غريبفروت) أيضاً مادة مدهشة مضادة للكولسترول تفيد القلب. فقد وجد الدكتور جايمس سيردا، أستاذ الطب في جامعة فلوريدا في غاينسفيل، أن الناس ذوي الكولسترول المرتفع في الدم، اذا تناولوا ١٥ غراماً من برشامات بكتين الليمون الهندي (٥) يوميا لمدة أربعة أشهر، انخفض مستوى الكولسترول لديهم بمعدل ٨ في المئة. وفي ثلثهم هبط كولسترول الدم بين ١٠ و١٩ في المئة. يقول سيردا: "هذه النتائج مثيرة نظراً الى أن خفض الكولسترول بنسبة واحد في المئة يخفف من خطر مرض القلب بنسبة ٢ في المئة."

ليس عملياً استهلاك الليمون الهندي لمحاربة ارتفاع الكولسترول، لان عدد الليمونات المطلوبة يجب أن يزيد على دزينة. غير أن سيردا هو في صدد دراسة امكان اضافة البكتين المستخرج من الليمون الهندي الى منتجات الحبوب والخبز والمعجنات.

**الفاصوليا المفيدة.** وجد الدكتور أندرسون أن الفاصوليا اليابسة المطبوخة قد تكون ذات منافع جليلة. فالى الاطعمة المصنوعة من الشوفان، يصف أندِرسون كوباً يومياً من الفاصوليا المنقّطة أو البيضاء المطبوخة لخفض كولسترول الدم. ولقد سجّل أن مستويات الكولسترول يمكن أن تهبط بمعدل ١٩ في المئة، حتى لدى رجال في منتصف عمرهم يشكون من مستويات مرتفعة للكولسترول. فبعدما أبدل أطعمة نشوية بفاصوليا في حمية رجل، انخفض مستوى الكولسترول في دمه من ٣٠٦ الى ٢٢٠، وآخر من ٢٩٧ الى ٢١١.

ويمكن أن يكون للبروتيينات المستخرجة من حبوب الصويا الوقعُ المذهل ذاته لدى أناس يشكون ارتفاعاً مفرطاً في كولسترول الدم، ولربما ساعدت على محو الضرر الحاصل في الشرايين. وفي احدى الدراسات الايطالية أبطلت بروتيينات الصويا مفعول نظام غذائي غني بالدهون. لذا يتعيَّن على ملتهمي اللحوم أن يبدلوا نصف مقدار ما يتناولونه من البروتيينات الحيوانية ببروتيينات نباتية.

وتبين أيضاً أن تناول نصف بصلة نيئة متوسطة الحجم يُحدِث تغيرات في نسبة الكولسترول المتوسط المستوى، إذ يبدل كمية وافرة من كولسترول البروتيين

(٥) Grapefruit-pectin capsules

الدهني الخفيف المدمِّر بكولسترول البروتيين الدهني الكثيف الحامي للقلب. وتكون زيادة النوع الثاني أكبر بتناول البصل الابيض والاصفر النيء، وكلما كان حِرِّيفاً كان أفضل، وتقل الزيادة اذا طبخ البصل.

**ثمار البحر.** سمعتم بلا ريب أن تناول المحار وصدف البطلينوس والسرطان (السلطعون) يحمل خطراً على القلب والاوعية الدموية لانه يرفع كولسترول الدم. أزيلوا هذه الفكرة من أذهانكم. فالحميات الحاوية أسماك البحر ورخوياته غير الغنية بالدهون تخفض فعلا الكولسترول الخفيف المدمِّر نحو ٩ في المئة، وفقاً لدراسة أجرتها البروفسورة ماريان تشايلدز، الخبيرة في أيض الدهنيات (٦) في جامعة واشنطن بمدينة سياتل.

تختلف نباتات المحيط التي تقيت الاسماك عن غلال الارض وحبوبها من الوجهة الكيميائية. ويبدِّل السمك الذي نتناوله المفاعيل الداخلية في أجسادنا، كطريقة تدفُّق الدم وتقلُّص الشرايين والتنظيم الذاتي للخلايا ووظيفة الانظمة المناعية.

يتألف الطعام النموذجي لشعب الاسكيمو القاطن في جزيرة غرينلند من لحوم الفقمة والحوت والسمك، وكثير من هذه الاطعمة مشبع بالدهن. ومع ذلك قلّما يشكو الاسكيمو من مرض القلب. فزيت السمك في غذائهم يغلب التأثيرات المضرة للطعام الغني بالدهون، مقللا من خطر الامراض المزمنة. إذ عندما تحلل خمائر الجسم زيوت السمك، تفعل المواد الكيميائية الناتجة فِعلَ الاسبيرين ومسكِّنات الالم والمواد المضادة للالتهاب والتوتر والتخثر.

لا تتوافر هذه الزيوت المفيدة بمقادير مرتفعة في كل الاسماك. فالسمك المربّى في الاحواض يُغذّى عادة بحبوب الصويا وغيرها، وبالتالي تكون زيوته ضئيلة القوة، خلافاً للاسماك التي تحيا في المياه المالحة الباردة، كالرنكة والماكريل والسلمون والتُّن (التُّن المعلب أغنى قليلا بزيت السمك اذا كان محفوظاً في الماء وليس في زيت الصويا).

يقول وليم لاندس، أستاذ الكيمياء البيولوجية في جامعة ايلينوي بشيكاغو وواحد من أوائل العلماء الذين أدركوا أهمية زيت السمك: "كثير من الامراض المزمنة ناتج من تراكم الاذى الذي كابده جسدك عبر السنين. فاذا صنت نفسك عن أذيات متراكمة يوماً بعد يوم، أمكنك تفادي كثير من الامراض المزمنة."

من هنا أهمية استعلامنا عن القدرات العلاجية للطعام. فهو أحدث فهماً جديداً لافتاً: كيف أن إدخال بعض الاطعمة الشائعة في حمية حسنة التوازن يمكن أن يساعد على التحكم بالكولسترول. وستتكشف للجمهور قريباً حقائق مذهلة حول فوائد بعض هذه الاطعمة.

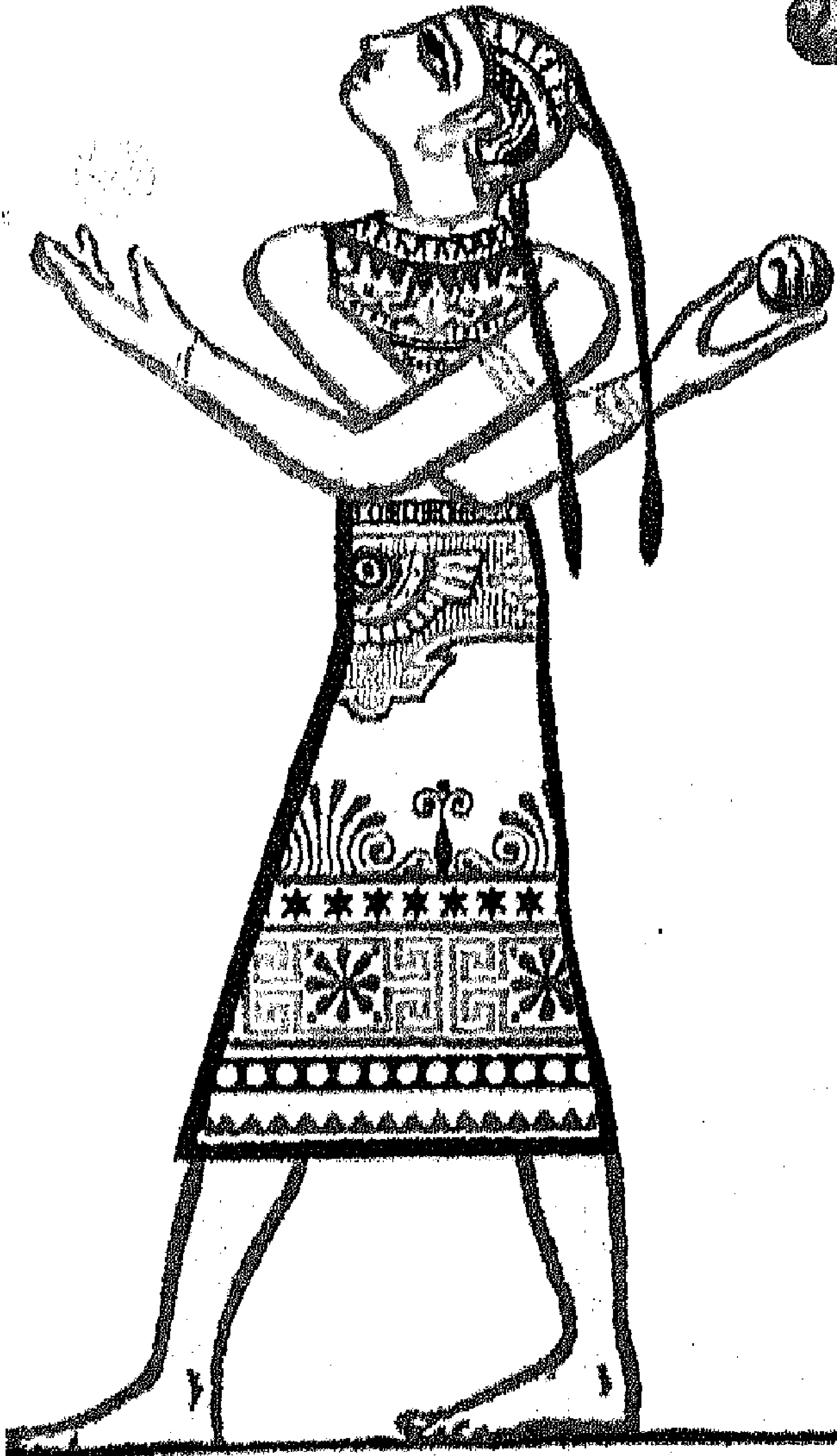
جين كاربر ■

(٦) Fat metabolism

---

العلم بوجود سر إفشاء لنصفه. ج.م.ص

# الألعبان



## هل حاولت مرة التلاعب بثلاث كرات في آن؟ لا تنفعل قد تتوصل الى ذلك في دقائق

لا شيء أبسط من لعبة التقاط كرة بين شخصين. ولكن زد كرة ثانية وثالثة فتتحول اللعبة ضرباً من السحر، إذ تأخذ الكرات حياة خاصة بها. وفجأة تغدو الحركات البسيطة والاجسام المألوفة عناصر غامضة في عرض مذهل.

في السنوات الاخيرة خبرت الألعبانية (١) نهضة، فكثر الألعبانيون ذوو الانجازات المدهشة في الشوارع، واتخذ الهواة المهرة الحدائق العامة والساحات وأهرام الجامعات في أنحاء العالم أمكنة لممارسة هوايتهم. ومنذ ١٩٧٩ تضاعف عدد أعضاء "جمعية الألعبانيين الدوليين" (٢) الهواة.

(١) Juggling

(٢) International Jugglers' Association

عمر الألعبانية في الواقع ٤٠٠٠ سنة. ففي مصر وآسيا والامريكتين كانت جزءاً من الشعائر. وفي أوروبا القرون الوسطى كان المغنون والشعراء والممثلون المترحلون يمارسون هذه الالعاب.

والألعبانيون المدهشون "المستورَدون" من الشرق أقنعوا أوروبا خلال القرن الماضي بأن الألعبانية قد تلقى نجاحاً خارقاً في العروض الفنية. وممن لمع نجمهم في القرن التاسع عشر رامو سامي الآتي من الهند الذي يروى أنه كان يُسلِك خرز السبحات في فمه وهو يدير حلقات بأصابع يديه وقدميه. كذلك الفنان الياباني تاكاشيما الذي كان يتلاعب بكرة قطنية بعصا يعضها بأسنانه.

ربما كان أعظم ألعبان على الاطلاق فنان مسرح المنوعات إنريكو راستيلي. فقبل موته في العام ١٩٣١ كان درب نفسه على التلاعب بثماني هراوات أو ثمانية صحون أو عشر كرات، حتى انه كان يستطيع ترقيص ثلاث كرات على رأسه.

يفترض كثير من الناس أن ألعباناً ماهراً يستطيع التلاعب بعشرين جسماً في آن. والواقع أن من الصعب التلاعب حتى بخمس كرات، اذ تتطلب السيطرة عليها سنة كاملة من التدرُّب. وقليلون من الالعبانيين في العالم برعوا في عرض يشمل سبع كرات. وفي مباراة نظمتها جمعية الالعبانيين الدوليين عام ١٩٨٦ استطاع منتسب جديد أن يتلاعب بتسع حلقات وبثماني كرات وبسبع هراوات.

يستخدم الالعبانيون مجموعة منوعة مذهلة من الاجسام، بما فيها كرات البولينغ والسياط وأحواض السباحة البلاستيكية ومكعبات الاحاجي والثمار والمشاعل الملتهبة وأوراق اللعب (الكوتشينة). وأصحاب الانجازات من الالعبانيين الذين يحاولون التلاعب بأوسع مجموعة من الاجسام، يختارون عادة الحلقات التي تسمح بنمط محكم من الحركة وتَثبُت عندما تقذف الى ارتفاعات عالية. وهناك عدة ألعبانيين يستطيعون التحكم بعشر حلقات أو ١١ حلقة.

تعتبر الهراوات ومضارب الكرة أجمل الاجسام وأبهجها للنظر عندما تتراقص في الجو. وهي مناسبة لأن أصحاب الاداءات الرائعة يتقاذفونها تارة من الامام وطوراً من الوراء. ولأنها تأخذ حيزاً كبيراً عندما تدور على ذاتها وينبغي أن تُلتقط من طرفها، يُعتبر التلاعب بخمس منها كحد أقصى عملا بارعاً.

استخدم كل الالعبانيين على امتداد التاريخ والجغرافيا، من سكان جزر جنوب المحيط الهادىء الى الهنود الازتيك في المكسيك القديمة، الانماط الاساسية الآتية:

● **الشلال.** هنا تنتقل كل كرة من يد الى الثانية، وبالعكس، متبعة مجازا يشبه الانشوطة، اذ يبدو مثل الرقم «8» راقداً على جانبه. يبدأ الالعبان بكرتين في يده اليمنى، مستخدماً حركة مِغرفة ومُعتقِاً كرة عندما يتساوى مستوى يده القاذفة مع سُرّته. وعندما تبلغ الكرة أعلى نقطة لها تغرف اليدُ الاخرى وتعتق كرة ثانية، وعندما تبلغ هذه ذروتها يعتق الالعبان الثالثة. يستطيع الالعبانيون المهرة التلاعب بثلاث كرات أو خمس أو

سبع تتتالى كالشلال، لكنهم يعجزون دائماً عن التلاعب بأربع أو ست. فاذا كان عدد الكرات شفعياً (زوجياً) فانها تتصادم عند تقاطع الشكل «8» النائم.

**الوابل.** في هذا النمط الاصعب تتبع الكرات مجازاً دائرياً عند قذفها الى علٍ باليد اليمنى وامساكها باليسرى وامرارها السريع مجدداً الى اليمنى. ولأن اليد هي التي تستأثر بالقذف الطويل، فان الوابل غير متماثل في الاساس، وبالتالي غير فعال. ومن الصعب اجراؤه بأكثر من ثلاثة أجسام.

**النافورة.** يجيز هذا الشكل قذف عدد كبير من الكرات. في النافورة ذات الكرات الاربع تلاعب كل يد كرتين مستقلتين في حركة دائرية. ويكون عدد الطابات عادة شفعياً توخياً للتناسق. واذا تناوبت اليدان اطلاق الكرات وتشابَكَ النمطان، فيصعب التمييز أن النافورة مؤلفة من عنصرين لا من واحد.

ولان الجاذبية تدفع بالاجسام الى التسارع عند سقوطها، لا يبقى أمام الالعبان الا وقت قصير للقبض على كرة ثم رميها قبل أن يقع غيرها بين يديه، وإن كان رَفَعَها عالياً. فالالعبان الذي يرفع الكرة مترين ونصف متر في الهواء، مثلا، عليه أن يمسك بها بعد ١،٤ ثانية، لكنه اذا رماها أربعة أضعاف هذا الارتفاع فانه يطيل فترة طيرانها ضعفين فقط.

الطريقة الفضلى لفهم الالعبانية هي أن تتعلم تأديتها بنفسك. ثمة أناس يتوصلون في بضع دقائق الى البراعة في معالجة ثلاث كرات وفق شكل الشلال، لكن معظم الناس يحتاجون الى عدة أيام لتحقيق ذلك. حدِّد جلساتك بعشر دقائق بدلا من أن تثبِّط عزيمتك بأمثولة مركَّزة تدوم ساعتين.

**الخطوة الاولى: كرة واحدة.** تمرَّن على قذف كرة من يدك اليمنى الى اليسرى وبالعكس، تاركاً اياها ترتفع الى مستوى رأسك تقريباً. اجعل الكرة تتبع مجازات الشكل «8» النائم من طريق "غرف" الكرة وإطلاقها قرب سُرَّتك. أمسك بالكرة عند جانب جسمك، ثم كرر سلسلة الحركات.

**الخطوة الثانية: كرتان.** ضع كرة في كل يد. أقذف كرة اليد اليسرى كما في الخطوة الاولى، وما ان تصل الى أعلى نقطة في مسارها اقذف كرة اليد اليمنى. تجنَّبْ إطلاق الكرة الثانية في وقت مبكر جداً أو قذف الكرتين الى ارتفاعات غير متساوية.

في البدء قد يكون من العسير الامساك بالكرتين، فلا تقلق. بدلا من ذلك ركِّزْ على ضبط الرميات وارتفاعها. والقبض الجيد على الكرة سيأتي عفوياً حالما تبلغ الرميات الهدف. واذا بدت لك الامور قلقة حاول رميات أكثر ارتفاعاً.

**الخطوة الثالثة: كرتان معكوستان.** أقلب نظام الرميتين بحيث تبدأ برمي الكرة اليمنى وتتبعها باليسرى.

### الخطوة الرابعة: ثلاث كرات.

الآن ضع كرتين في يدك اليمنى وواحدة في اليسرى. حاول اكمال الخطوة الثانية فيما أنت قابض على الطابة الثالثة. توقّف ثم قم بالخطوة الثالثة.

الكرة الثالثة قد تجعل القبض على الرمية الثانية صعباً. ولحل ذلك ارمِ الكرة الثالثة حالما تبلغ الثانية نقطتها الارفع. وتكون سلسلة الرميات: يميناً، يساراً، يميناً. في البدء قد يكون عسيراً أن تقنع يمناك بتأدية رميتها الثانية. تذكّر: في البداية لا علاقة لامساك الكرات بالموضوع. ارمِ كراتك عالياً بدقة وبطء. لا تستعجل حركتك ولا تنسَ نموذج الشكل «8» النائم.

بعد أن تبرع في شلال الكرات الثلاث قد ترغب في تجربة نماذج أخرى. فالالعبان لا ينتهي أبداً من ألاعيبه، وثمة دائماً كرة أخرى.

**جو بوهلر ورون غراهام** ■



## زبون مسلوب

تملك عائلتي محلا لبيع آلات التصوير ولوازمها وتظهير أفلام الزبائن. ومرة تجادل زبون مع أبي حول تظهير احدى الصور. فالسلبية (النيغاتيف) تظهر مشهداً بديعاً يتوسطه عمود كهربائي يحجب جزءاً من المشهد.

أصرّ الزبون: "أنظر ليس عليك الا أن تقلب السلبية فيكشف التظهيرُ ما هو محتجب خلف العمود!"

ح.و.

---

## شحاذ وله شروط!

**دخل سائق بسيارته محطة صديقي وقال انه مفلس وليس في خزانه نقطة وقود.**

فعرض عليه صديقي الكريم ان يزود سيارته بضعة ليترات من الوقود. فتردد الرجل ثم سأل: "هل لك أن تعطيني مالا بقيمة الوقود؟ فالمحطة في الشارع المجاور تبيع بأسعار أرخص."

ج.م.

---

## سياحة فندقية

في أثناء إقامتنا في اليونان صعدنا الدرجات العديدة للوصول الى هيكل البارثينون في أثينا. ولدى بلوغنا القمة أخذتنا روعة المنظر الشامل المدهش للمدينة تحتنا وفيما نحن مسمّرون بذاك السحر سمعنا امرأة تهتف لرفيقتها لاهثة: "انظري، يا نادية. يمكنك ان تشاهدي فندق الميلتون من هنا!".

ح.أ.ب.

في اختبار جريء تساعد مجموعة من العسكريين المتقاعدين الجانحين الشباب على مغادرة السجن والعودة الى الحياة السوية



# فكرة ثوريَّة لتأهيل الجانحين

"أهلا بكم في جيت،" يقول الاميرال كريستيان براك دو لا بيريير بصوته الجهير. "سوف تمضون هنا ثلاثة أشهر. وسنصوغ معاً مستقبلكم. سوف تكدون وتعرقون، ولكن يمكنكم الإعتماد علينا."

وقف امامه في القاعدة الجوية المهجورة قرب كراي، بمقاطعة الواز شمال فرنسا، أربعون شاباً في بزات كاكية وزرقاء متقنة جامدين متأهببن. من الصعب التصديق أن هؤلاء الشبان الحليقي الذقون كانوا، الى البارحة، مجرمين: لصوصاً ونشالين ومعتدين ومبتزين ومهاجمين للنساء العجائز.

"جيت"، أو فرق الشبيبة العاملة(★)، هي بوتقة هذا التحول. وعلى رغم صفوف

(★) Jeunes en Equipes de Travail «JET»

Photo: Philippe Bacheller

الثكنات هناك فالمكان ليس مخيم تدريب عسكري، بل مخيم عمل خارج السجن أنشأته وزارة العدل الفرنسية لتخفيف الازدحام في الاصلاحيات. إنه نظام للتأهيل من خلال العمل، وهو فريد لكون مديريه رجالا عسكريين يعلّمون المحتجزين حسن التصرف وأنظمة العيش التي تساعدهم في التأقلم مع المجتمع.

يعلّق القاضي م. داميكور قائلا: "لم نكن أكيدين من امكان نجاح هذا الاختبار. لكننا الآن نملك البرهان: إن النظام العسكري والحياة العسكرية يناسبان الجانحين الاحداث. والسلطات القضائية في كل فرنسا باتت تعتبر جيت نموذجاً فاعلا."

منذ تأسيس "جيت" في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦، خضع أكثر من ٤٥٠ فتى لبرامج الاشهر الثلاثة في مراكز "جيت" في كراي وحصن بارو، سُجل تسعون انسحاباً فقط، تشمل الذين حاولوا الهرب والذين اعتلت صحتهم والذين أرادوا العودة الى السجن بملء ارادتهم. وقد التحق نحو نصف المحتجزين السابقين بالقوات المسلحة أو شغلوا وظائف مدنية.

يأتي البرهان على نجاح "جيت" من الحماسة التي يظهـرها المحتجـزون السابقون، بمن فيهم الذين أخفقوا في البرامج، عندما يتكلمون عن المخيمات. أحد هؤلاء جوليان هينو وهو لص سيارات محترف طرد من "جيت" ولا يزال نزيل أحد السجون، لكنه يتبجح حول خبرته في البرنامج أمام زملائه السجناء.

ومما يثير الدهشة أيضاً المكالمة الهاتفية التي أجراها جاك فالمي بعد عدة أشهر من عودته الى الحياة المدنية. أبلغ براك الأميرال دو لا بيريبير انه حصل على شهادة مهنية، وأضاف: "أوصيكم بادخال أخي الصغير. انه في زنزانة في فرين، واتمنى له الحظ الذي حصلت عليه."

**متطوعون مرموقون.** ولدت "جيت" من التقاء حاجتين. في العام ١٩٨٦ بلغ الاميرال كريستيان براك دو لا بيريبير سن التقاعد (٦٠ عاماً) بعد حياة عسكرية مميزة، وأراد أن يتابع خدمة وطنه. وفي الوقت ذاته كانت الحكومة تحاول ايجاد حل لمشكلتي اعادة تأهيل الجانحين الاحداث والسجون المكتظة. وكان وزير الدفاع آنذاك أندريه جيرو ووزير العدل ألبان شالاندون مهتمين باعطاء الجيش دوراً في الحياة المدنية. فسأل وزير العدل الاميرال براك دو لا بيريبير مرة، وكانا في حفلة: "قل لي، يا حضرة الاميرال، ما رأيك في العمل مع المجرمين؟"

رحب براك دو لا بيريبير بالاقتراح. كان معتاداً قيادة الشباب. وهو يقول: "كنت أيضاً أعرف انني محظوظ، فقد عشت حياة مهنية مثيرة ورزقت خمسة أولاد وحظيت بعائلة متماسكة. ولا يمكنني أن أتخيل حياة تعاش في تجاهل مقصود لتعاسة الآخرين."

سرعان ما بدأ الاميرال يستعمل نفوذه. خصص له سلاح الجو القاعدة المهجورة قرب كراي حيث أنشأ أول مراكزه. وزوده الجيش معدات وألبسة، وأعاره حصن بارو الذي أصبح مدرسة

التدريب الثانية. وفي الوقت ذاته تولت وزارة العدل تغطية تكاليف اطعام السجناء. ثم عمد براك دو لا بيريير الى تطويع عدد من رفقاء السلاح القدامى في البحرية، وكانوا كلهم ضباطاً متقاعدين بمن فيهم ستة أميرالات ونواب أميرالات، مما أعطى "جيت" لقب "وابل النجوم."

في الرابع من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦ تلقت كراي مجموعتها الاولى المؤلفة من أربعين محكوماً، وهم شباب ارتكبوا جرائم صغيرة. قبلوا في "جيت" بثلاثة شروط: أنهم متطوعون، وأنهم سيطلقون بعد اتمام البرنامج، وأنهم في سن الخدمة العسكرية.

ويفسر الاميرال ذلك: "ان الفكرة تقضي بأن يباشر هؤلاء الشباب الخدمة العسكرية فوراً بعد برنامج التدريب. فذلك يوفر لهم فترة انتقالية ثانية قبل عودتهم الى الحياة الطبيعية واغراءاتها."

**الجميع متساوون.** بين ليلة وضحاها وجد السجناء أنفسهم في مساحات رحبة من غير جدران ولا قضبان ولا حراس بعدما كان كل ثلاثة أو أربعة منهم محشورين في زنزانة تبلغ مساحتها تسعة أمتار مربعة. ويضع الأميرال دو لا بيريير النقاط على الحروف منذ البداية: "أحذرهم من أننا في جيت لا نأوي الذين يبغون الترؤس. أطلب احترام الغير والسيطرة على الذات."

ومما يدعو الى الدهشة استجابة المحتجزين لهذه اللغة، ربما بسبب النوعية العالية لموظفي "جيت". فكلهم عسكريون مفصولون لهذا العمل بملء ارادتهم. هم يضحون بأعمالهم وأوقاتهم وحياتهم العائلية لمدة ثلاثة أشهر ليتقاسموا والنزلاء ظروف حياتهم. يقول محمد ب. وهو شاب في الثانية والعشرين: "لا يمكنك أن تكون لامبالياً مع أناس يكابدون المشقات من أجلك."

يوافق براك دو لا بيريير على أن هؤلاء المتطوعين هم أعظم سند. إنهم لا يكتفون بالدعوة الى احترام الآخرين، بل يجسدون ذلك عملياً. ويختلفون عن حراس السجون الذين يعاملون سجناءهم بازدراء، اذ يخاطبون الرجال بلهجة رسمية وينادونهم بأسماء عائلاتهم. يقول الآمر جوليان أوليفييه الذي يرئس البرنامج في كراي: "الجميع متساوون هنا، ولا أحد يجبر النزلاء الاضعف على تأدية أعماله القذرة. كل واحد هنا يرتب سريره ويغسل ثيابه."

ليس من شيء يميز ظاهراً بين الموظفين والنزلاء: فهم يتناولون الطعام ذاته ويؤدون الاعمال ذاتها ويلبسون الثياب ذاتها. وهذا مبرّر، اذ انه يهدف الى تشجيع روحية العمل الجماعي.

في "جيت" يتعلم الجميع، بمن فيهم الموظفون، العيش من دون تلفزيون أو كحول أو حتى عقاقير. يقول القاضي داميكور: "الامتناع عن تناول العقاقير خطوة أساسية. ففي السجن يتناول معظم السجناء كميات كبيرة من الحبوب المنومة والمهدئات. وبعد تسريحهم سرعان ما يزيدون الكحول على ذلك مما يجعل عودتهم الى الحياة الطبيعية أكثر صعوبة لأنهم يعجزون عن التعاطي الايجابي مع أرباب العمل."

**أعمال مثمرة.** يبدأ اليوم العادي في "جيت" في السادسة والنصف صباحاً بعشرين دقيقة من تمارين الجمباز والمرونة. ثم يتناول الشباب طعام الفطور ويرتبون أسرتهم ويستحمون. وبعد التفقد ورفع العلم يذهب الجميع الى العمل. إنه اجراء قاس لشبان اعتادوا حياة البطالة في السجن.

يقول دانيال مارفال: "كنت أنام الى الظهر. في البدء تشعر أن النهوض في السادسة والنصف صباحاً عمل شاق، لكنك لا تلبث أن تعتاده. والمسؤولون هنا يحاولون قبولنا على ما نحن. ونحن نتعلم أن نعيش من جديد."

ويخبر جيرار سيلوي: "حين هرولت للمرة الاولى أغمي علي. لم أكن معتاداً الهواء النقي، لكنه أحيا فيَّ حب الرياضة وما زلت أمارس السباحة."

ينقسم الشباب فرقاً يضم كل منها ثمانية يعملون من التاسعة صباحاً الى الخامسة مساء. والعمل لا يُفرض كعقاب أبداً. يقول الآمر أوليفييه: "اذا كان العمل عقاباً، فكيف نعلمهم أنه نشاط نبيل ومعزز للذات؟"

يقول الاميرال جان لوي لودوف نائب رئيس "جيت": "نحاول تكليف الشباب أعمالا منظورة لا تمسّ بالعاطلين عن العمل. في شتاء ١٩٨٨، مثلا، تولى بعض المحتجزين تشذيب غابة صنوبر تابعة لمصلحة الغابات الوطنية. وأرسل آخرون الى بريتاني للمساعدة في اصلاح الاعطال الناتجة من إعصار. وعمل آخرون في كراي مع اتحاد الصيادين في تثبيت سياجات مكهربة حول الاراضي الزراعية لمنع الطيور من الحاق ضرر بالمحاصيل. وتولى غيرهم تنظيف الممرات الجبلية. وبما أن المتدربين هم، ادارياً، جزء من برنامج العمل الحكومي، فهم يتقاضون ١٢٥٠ فرنكاً في الشهر تدفع لهم عندما يغادرون.

**مشاكل خاصة.** يبدأ الاميرالات التحضير لتخرج النزلاء لحظة وصول هؤلاء. فهم يعطون على الفور ضماناً اجتماعياً وبطاقة هوية ويعلّمون قيادة السيارات. ويخضعون لمجموعة اختبارات جسدية ونفسية واختبارات ذكاء، ثم لفحوص طبية وكشف على أسنانهم، ويعالجون.

وتجرى امتحانات لتحديد أي من الصفوف المدرسية الاصلاحية الاربعة يلتحقون به. وكل يوم يشترك كل النزلاء في صفوف ترتكز على التمارين التطبيقية: يقرأون الصحف، يملأون البيانات أو افادات الضرائب، يكتبون التقارير، يجرون مقابلات مع أرباب عمل، وسوى ذلك.

بعد الخضوع لفحص طبي آخر في نهاية فترة الاقامة يعلن نحو ٥٠ في المئة من الشبان صالحين للخدمة العسكرية.

لوران ألفي شاب في الثانية والعشرين من عمره حكم عليه بالسجن لمدة سنتين بتهمتي السرقة والاعتداء. ولولا توصية من "جيت" لما استطاع الانخراط في البحرية. يقول: "لا أعرف ماذا كان سيحدث لي. لقد مكنتني جيت من تقرير ما أريد أن أفعل في الحياة ومن وضع خطط للمستقبل."

بعض النزلاء الذين لم يُقبلوا في الخدمة العسكرية يوجهون الى "جمعية التدريب المهني للبالغين." جيرار سيبو واحد من هؤلاء. توفي أبوه عندما كان في الخامسة من عمره، فأعالته أمه مع اخوته التسعة بدخل وحيد هو اعانة من الحكومة. بدأ جيرار يمارس السرقة عندما كان في العاشرة. وفي السن الثامنة عشرة، بعدما أمضى عدة أحكام وراء القضبان، حوِّل الى "جيت". حادث سيارة سابق منعه من تأدية الخدمة العسكرية، لكنه قُبل في ميتز في دورة دامت ستة أشهر لتعلم صناعة البناء. ومنذ يوليو (تموز) ١٩٨٨ يعمل موظفاً لدى بناء في اللوكسمبور. وهو يؤكد: "لولا جيت لما أتيحت لي هذه الفرص."

لكن بعض النزلاء يُرفضون حتى في "جمعية التدريب المهني للبالغين" بسبب أميتهم أو عدم استقرارهم العقلي. ولهؤلاء أقامت "جيت" شبكة للمساعدة المتبادلة. أحد أعضاء الشبكة صديق للاميرال دو لا بيريير ويدعى جيل بوييه، هو صاحب مؤسسة متخصصة بالخدمات العامة في مدينة نانت. لقد استخدم خمسة من شباب "جيت" الذين يعانون مشاكل خاصة.

**متعاونون في الخارج.** المهمة الاشق في البرنامج قد تكون مهمة الاميرال جاك دو فينويل المتعلقة بمرحلة ما بعد "جيت". يقول: "يتركنا الشباب وهم ممتلئون بالتصميم الخيّر. ولكن اذا تركناهم فقد يرتكبون حماقات جديدة. اذا تركوا وحيدين ومن غير دعم عاطفي، فلن يعرفوا دائماً كيف يتدبرون أمر حريتهم."

ولمساعدتهم على اجتياز هذا الحاجز يلجأ فينويل الى أناس يتعاطفون مع "جيت" في الاهداف.

كان على فيليب لامي الانتظار مدة ثلاثة أسابيع بعد مغادرته حصن بارو ليبدأ المرحلة التمهيدية من تدربه المهني في "جمعية التدريب المهني للبالغين."

كانت عائلته تخلت عنه، فتعين عليه أن يجد من يأويه خلال فترة الانتظار تلك.

انطوان رينار مهندس في السابعة والثلاثين من عمره ومتعاون مع "جيت" في لو كروسو. وهو وجد لفيليب غرفة في نزل للعمال ووظيفة في شركة دهان. وكان يمرّ كل مساء ليتفقد أحوال محميِّه.

كل موظفي "جيت" يوافقون على أن العمل مع المحكومين فتح أعينهم على عالم كانوا يجهلون كل شيء عنه. ان مهمة الملازم أوبري في "جيت" غيّرت نظرته الى الجنوح. يقول: "كل واحد من المحتجزين لدينا جاء من بيت مفكك حيث الاهل إما مدمنون وإما مجرمون. كان يتعين على هؤلاء الشبان أن يمتلكوا قوة جبارة كي لا يجنحوا."

ويذكِّر القاضي داميكور: "إن الجنوح هو من المشاكل الرئيسية في مجتمعنا، ولا يمكن التغلب عليه إلا بتضافر جهودنا جميعاً. والعمل الذي يؤديه هؤلاء العسكريون المتقاعدون في جيت هو مثال يحتذى."

**كاترين غاليتزين ■**

# أضواء من عالم الطب

## مخاطر العدسات اللاصقة

في موازاة الراحة التي يوفرها استعمال العدسات اللاصقة، فان الاستعمال المتواصل لهذه العدسات قد يشكل خطرا متعاظما يؤدي الى الاصابة بقرحة في القرنية. وقد حاول بعض اطباء العيون ثني مرضاهم عن استعمال العدسات اللاصقة التي يمكن وضع بقعها في العين مدة ٣٠ يوما متواصلة.
وافاد حديثا الدكتور اوليفر شابن من جامعة هارفرد في كامبريدج بولاية ماساتشوستس، وزملاء له في اجتماع لـ"اكاديمية العيون الاميركية" ان وضع هذه العدسات على نحو متواصل يرتبط بثمانين في المئة من القروح لدى المرضى المصابين بالتهاب في القرنية ناتج من كائنات مجهرية.
ويقول الدكتور بيتر لايبسون من مستشفى ويلس للعين في فيلادلفيا، بنسلفانيا، انه وزملاءه يلاحظون ان ١٢ الى ١٥ مصابا سنويا بقرحة القرنية يستعملون عدسات لاصقة. وهذه الزيادة توازي سبعة اضعاف ما كانت عام ١٩٨٣. ويضيف: "وكان بعض المرضى الذين عوينوا خلال هذه المدة ضعف بصرهم بصورة دائمة فيما اظهر آخرون حاجة الى زرع قرنية".
وفي دراسة لويلس تبين ان نحو اربعين في المئة من المرضى لم يتبعوا نظام التنظيف الصحيح للعدسات. ولكن الدكتور شاين يقول انه حتى المصابون الاكثر عناية قد يصابون بالعدوى.
فبعض انواع الكائنات المجهرية تلتصق بشدة بالعدسات المغشاة بطبقة من افرازات العين. ويقترح الدكتور جورج ستيرن من جامعة فلوريدا في غاينزفيل نقع العدسات اللاصقة تكرارا في انزيم منظف اضافة الى تعقيمها.

عن "فيزيشنز ويكلي"

## معاودة سرطان الثدي

يحضّ "المعهد الوطني للسرطان" في الولايات المتحدة المريضات بسرطان الثدي اللواتي لا تظهر العقد اللمفية تحت آباطهنّ أي دليل على السرطان، على وجوب خضوعهن للمعالجة بالادوية لتجنيب الاصابة ثانية بالسرطان.
وتستند توصية المعهد الى ثلاث دراسات أجريت على قرابة ٤٠٠٠ امرأة خضعن لجراحة استئصال الثدي والاورام بالاشعة ولم تكن لديهن دلالة على أن السرطان امتد الى العقد اللمفية. وعولج نصف مجموع النساء المعنيات بالادوية من دون النصف الآخر. وفي الدراسات الثلاث تبين أن اللواتي عولجن كنّ أحسن حالا.
يقول الدكتور فنسنت ديفيتا مدير المعهد، ان المعالجة الكيميائية بعد الجراحة أو بعد المعالجة بالهورمونات تتيح انقاذ حياة ألوف النساء اللواتي يمتن بسرطان الثدي سنوياً.

صحيفة "واشنطن بوست"

## هذا المرفأ الذي أنشأه المستعمرون البرتغاليون لاشباع امبراطوريتهم صمد في امتحان الزمن

إن باراتي واحدة من أثمن الهدايا الى عصرنا الحديث: أنها تذكار حيّ لنمط أصبح منسياً بفعل تقدم التكنولوجيا ونزوات التاريخ، لكنه بقي نضراً ونابضاً اذ حفظته العزلة.

وعلى رغم أن باراتي تقع على مسافة ١٤٥ كيلومتراً فقط الى الجنوب من ريو دي جنيرو ولا يستلزم الوصول اليها أكثر من ثلاث ساعات في السيارة – وهذا سهل في زمننا الحاضر – فإنها المنطقة الاستوائية التي تهفو اليها الاحلام. كيلومترات من الشواطىء الرملية الملساء تمتد في محاذاة بحر أزرق مخملي منقط بعشرات الجزر المورقة. أما غابة المطر(١) الحاضرة أبداً فهي مرقشة بالازهار المحلية البراقة الالوان، وهواؤها العطر تحييه صرخات الببغاوات.

يصل الزائر عبر طريق ريو – سانتوس، وهو "شريان" حيوي من الاسفلت أكمل عام ١٩٧٣ ويعرف باسم "ب ر – ١٠١". ولا يساور المرء أي شك في ان البلدة هي بقعة راكدة أخرى. جيش من الاولاد والكلاب يهيمن على الشوارع التي تحف

(١) Rain forest



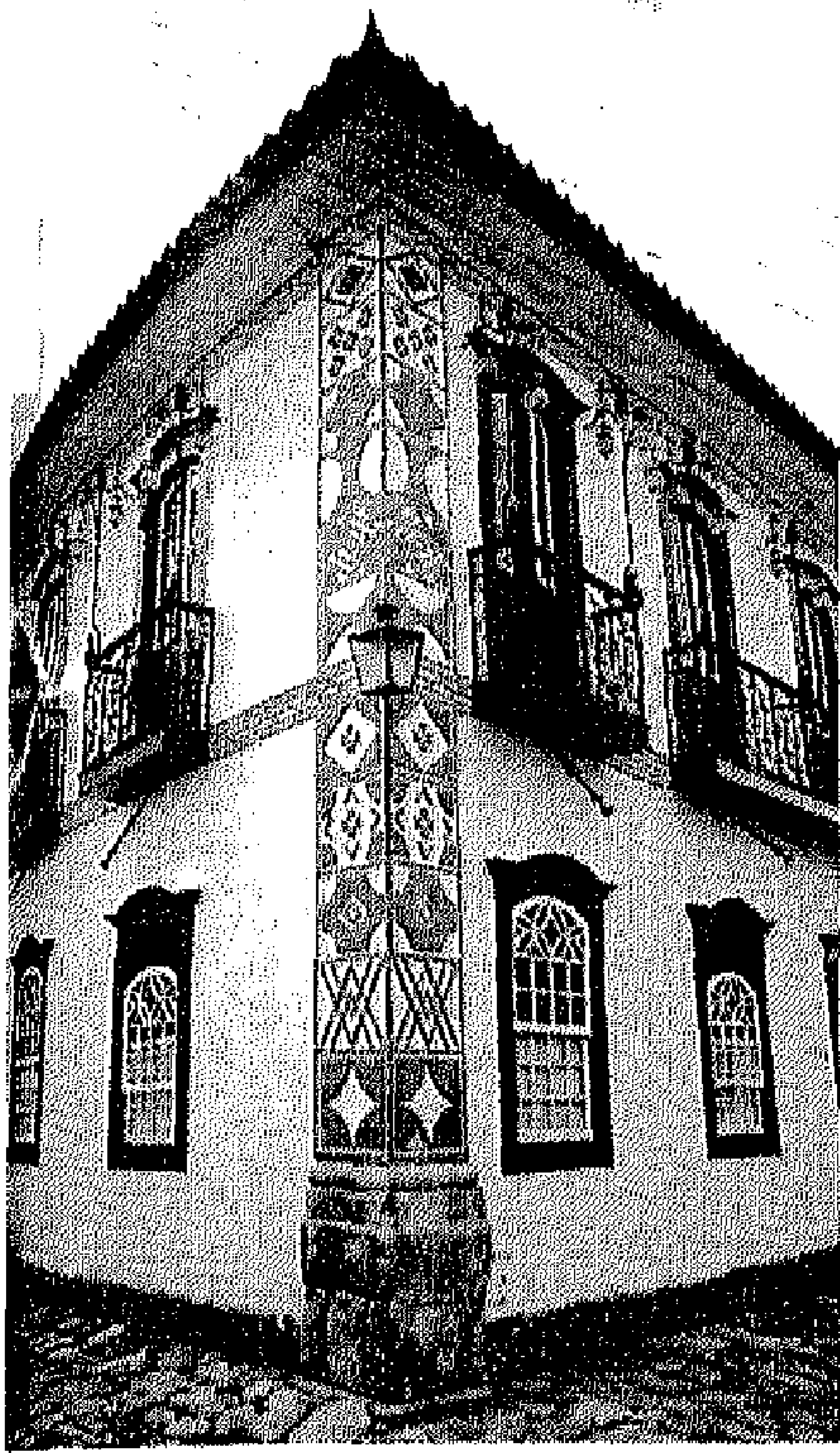
# بَاراتيْ: لؤلـؤة ال

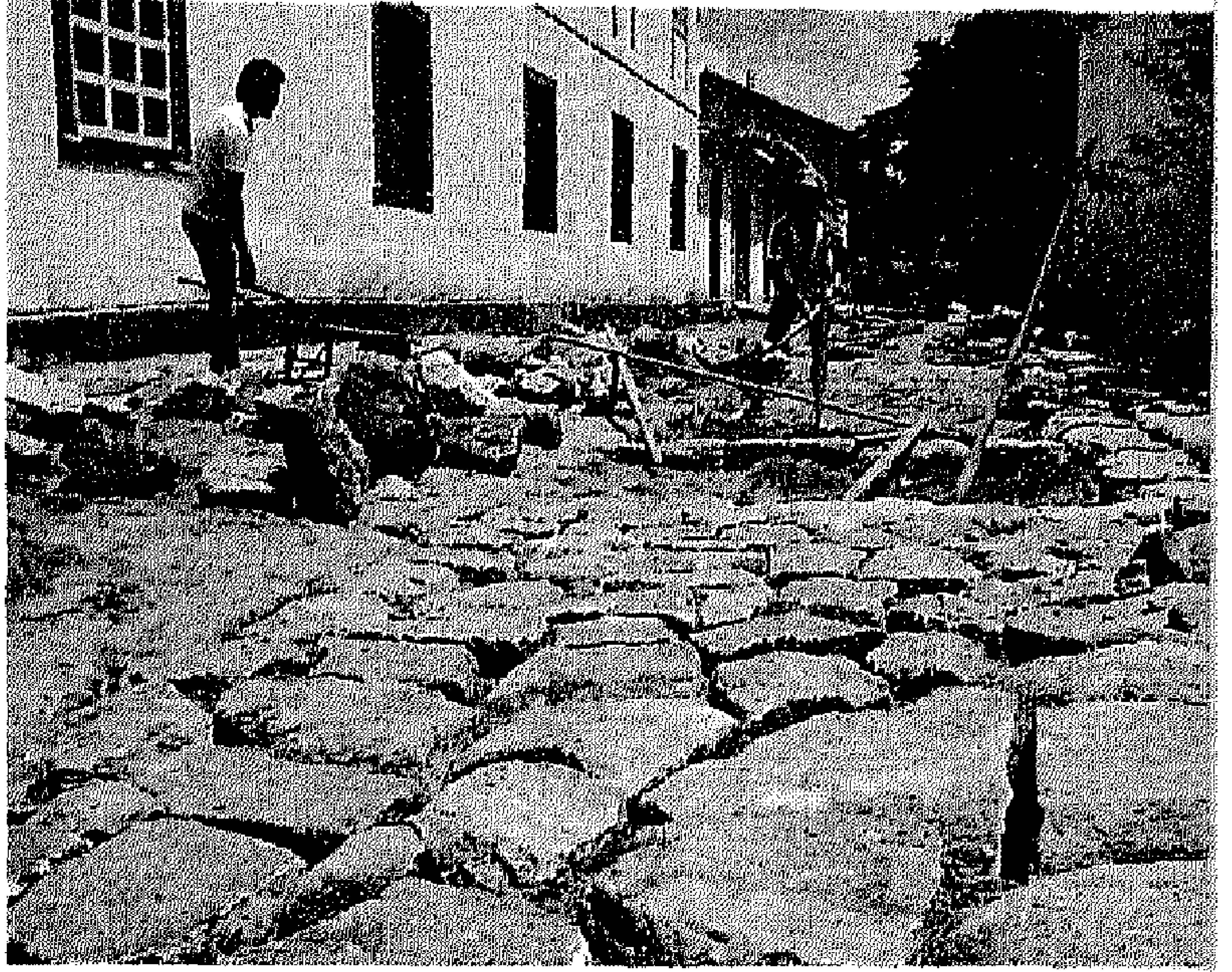
بها المخازن والمنازل المتواضعة والفنادق الصغيرة. لكن هذه ليست سوى باراتي القرن العشرين التي نمت على حواشي المركز التاريخي. إن دخول باراتي الاسطورة يعني اجتياز السلاسل الثقيلة الصدئة التي تتدلى عبر كل شارع ودخول القطاع الذي بناه المستعمرون.

هذا المرفأ الذي صممه المهندسون البرتغاليون في مستهل القرن السابع عشر أُنشىء لسد حاجات امبراطورية تتسع وتمتد، اذ كان البرتغاليون في حاجة الى تسهيل نقل الذهب وغيره من الثروات البرازيلية من قلب المستعمرة الجديدة الى الوطن الام في أوروبا. فسعوا الى ايجاد مرفأ يكون آمناً لأسطولهم ويمكنهم من الوصول الى مناجم الذهب في ما هو اليوم ولاية ميناس جيريس البرازيلية. هذا الموقع في الطرف الجنوبي لخليج واسع سماه البرتغاليون "خليج الجزيرة الكبيرة" بدا مثالياً. وعلى رغم أنه حُجب لاحقاً بازدهار مرافىء أخرى مثل سلفادور وريو وسانتوس، فإن مرفأ باراتي أدى دوراً أساسياً في تاريخ البرازيل.

**متاهة للقراصنة.** أعطي القطاع الاستعماري في باراتي صفة "معلم أثري وطني" في عهد الرئيس البرازيلي همبرتو كاستلو برانكو في ٢٤ مارس (آذار) من العام ١٩٦٦ وتمنح القوانين









(فوق) يعمل المسؤولون على إبقاء الوسط التاريخي في باراتي على حاله، بما فيه الشوارع المرصوفة بالحجار.
(أعلى اليسار) بناء نموذجي من الطراز المعماري الذي كان سائداً في عهد الاستعمار.
(تحت) شابان يحملان "شخصاً" عملاقاً سيشارك في الكرنفال.
(أقصى اليسار) رسّام في شارع.

الاتحادية الصارمة استعمال المركبات الآلية داخل البلدة التاريخية، وهناك مجموعة ضخمة من القوانين سنت من أجل الحفاظ على نقاوة المكان تحرّم اجراء أي تعديلات غير متجانسة في البناء أو في الدهان.

ويحتل القطاع التاريخي مساحة ضيقة، على رغم أن تصميمه الشبيه بالمتاهات يوحي أنه أعظم مما هو. والتلوي الغريب لشوارع البلدة يمنح الزائرين المعاصرين تجربة فريدة في دراسة المدن، لكن البرتغاليين المستعمرين كانوا يفكرون في نوع آخر من الزوار عندما وضعوا حجر الاساس عام ١٦٠٦. كان القراصنة المتعطشون الى الذهب يشكلون تهديداً أساسياً لأمن البلدة، لذلك فان الانطباع الاولي عن شوارع "مسدودة" أعطى المدافعين عن

البلدة تفوقاً استراتيجياً على المهاجمين الذين كانوا يتيهون ويضعفون ويخفقون في غاراتهم.

حتى درجة انحدار الشوارع صممت لغرض محدد. تصل مياه البحر مع المد الى أبعد النقاط في البلدة ثم تنحسر مع الجزر جارفة معها النفايات المتراكمة الى البحر. والنتيجة ان باراتي كانت واحدة من اكثر المدن نظافة في ذلك الزمان.

والمواد التي استعملت في إنشاء تلك الشوارع المتعرجة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بفترة الاستعمار. كان البرتغاليون



القادمون من بلادهم يفرغون سفنهم من أطنان الحجار ويبدلونها بسبائك الذهب من ميناس جيريس. تلك الحجار المستخرجة من المناطق الريفية حول لشبونة أصبحت المادة التي رصفت بها شوارع البلدة.

إن فن البناء الذي اعتمد في ذلك الوقت أعاد المباني الى الشكل الاستعماري الاستوائي الاساسي، كما تظهر أبنية الجزء التاريخي من باراتي المكونة من طبقة او طبقتين، وهي ابنية بيضاء مزركشة بالاصفر والازرق والبني والاحمر. وكثير من أبناء باراتي البالغ عددهم ٣٥ ألفاً يسكنون في هذه البيوت.

**مع الديك.** في شهر أكتوبر من كل عام يقام "كرنفال الوردية" المتلوّن بالتقاليد المحلية القوية التي تناقض الصخب الفاسق في احتفالات الريو. الاشكال المقنعة العملاقة أساسية في كرنفال باراتي. يقام هيكل عال من الاطواق والقدد الخشبية يلبّس ثياباً زاهية ويتوج برأس ضخم من الورق المعجّن، فيصير شكلا مهيباً قد يرتفع ثلاثة أمتار. تسير هذه الاشكال المقنعة متموجة عبر الشوارع، فرادى وجماعات، ليلا ونهاراً، ويسير وراءها الاولاد والفضوليون.

أمّن الحرفيون المحليون الموهوبون استمرار أشكال الفن المحلّي التي تمتد جذورها الى قرون عدة خلت. وتنشط صناعة الاقنعة في موسم الكرنفال. أما الحرف الاخرى التي تختص بتراث باراتي فتشمل أقفاص العصافير (وهي مصممة بذكاء لتستعمل أوعية تزرع فيها الزهور) والرابيكا (وهي كمان بدائي يستعمل لعزف الموسيقى الشعبية) والكنوا (وهو زورق طويل محلي محفور في جذوع أشجار الأرز) ونماذج مصغرة للمراكب الشراعية ذات الصاريين التي تخترق مياه الشاطىء جيئة وذهاباً.

إن الطريقة الفضلى لرؤية البلدة هي أن تبدأ باكراً. تشرق شمس الصباح ببطء على الخليج تاركة لوناً ذهبياً سريع الزوال

على الواجهات البيضاء الناصعة في قلب البلدة. وعندما يصيح أول ديك معلناً طلوع نهار جديد يضيف هوزيه، أحد عمال البلدية، أيقاعاً متوحداً بمجرفته وهو ينظف الشاطىء مما لفظه البحر في الليل.

وفي الجوار تشهد السوق الصغيرة المكشوفة بدء وصول المنتجات الطازجة واللحوم. وفي وقت لاحق من فترة الصباح يعرض للبيع ما صيد من السمك والقريدس (الجمبري). وعندما تبدأ زمر الطلاب سيرها المتكاسل نحو المدرسة يشرع أصحاب المتاجر في تزيين واجهاتهم بالتحف والمنتجات الحرفية لاجتذاب السياح الآتين من الارجنتين في سيارة نقل كبيرة والمحتمل وصولهم في أي لحظة.

وهؤلاء يأتون عادة لإغناء عقولهم بالقيمة الروحية الخاصة بهذا المكان. لكن باراتي ليست فقط لأولئك الذين يريدون أن يتناغموا مع الذبذبات الثقافية لزمن آخر. فالخليج يحتضن مياه البرازيل الأكثر متعة للابحار، وأحد أجمل شواطىء البلاد يمتد على مقربة من هذا المكان.

**صمود أمام التغيير.** في السنوات الاخيرة أصبحت باراتي محجة للجماعات الفنية في البرازيل، حتى ان بعضهم فتح فيها متاجر. كما أن الاغنياء والمشاهير في الريو وسان باولو هم من الزوار الدائمين.

لقد فتح عالم الفن نافذة على



منتجات حرفية محلية معروضة على نوافذ البيوت التي حوّلت متاجر.

الخصائص الفريدة للبلدة. إن جزءاً من الفيلم البرازيلي "غابرييلا وكرافو وكانيلا"(٢) صوِّر هنا، فزادت النفحة الاستعمارية الاصلية في قوة الفيلم المستند الى قصة جورج أمادو. كذلك فعل ميك ياغر قائد فرقة "رولينغ ستونز" عندما أتى الى باراتي لتصوير أحد أشرطته الغنائية في الشوارع الحجرية.

تلك البلدة الصغيرة الواقعة على الخليج قطعت شوطاً بعيداً. إن باراتي التي بقيت منسية سنوات طويلة بسبب الركود الاقتصادي وغياب الطرق، هي في طور النهوض الآن. ولكن لا يمكن التكهن بمدى تأثير النهضة السياحية والنمو الاقتصادي على حياة باراتي الريفية. وبعد قرار الحكومة الاتحادية تكريس باراتي موقعاً أثرياً، سيصمد قلب البلدة التاريخي في وجه التقدم العصري.

وكما يقول أحد المقيمين في باراتي: "يجب أن تبقى بعض الامكنة على حالها كي تكون لنا وللاجيال المقبلة وسيلة للمقارنة."

مارك هولستون ■

(٢) Gabriela, Cravo e Canela

# نسَـــاء عامـلاتْ

## هل أنت متحامل على النساء اللواتي يرغبن في التقدم؟
## نعم، أنت كذلك، الا اذا أكدت أنك تتعالى عن الآراء الآتية:

**على مكتبه صورة العائلة:**
آه، انه رب عائلة مسؤول.

**على مكتبها صورة العائلة:**
هه! عائلتها تأتي قبل مهنتها.

**مكتبه مقفل:**
من الواضح أنه ناشط في عمله.

**مكتبها مقفل:**
من الواضح أنها فوضوية.

**هو يتحدث مع زملائه:**
انهم يتناقشون في صفقة.

**هي تتحدث مع زملائها:**
لا بد أنها تنشر الاشاعات.

**هو ليس في مكتبه:**
لا ريب في أنه يحضر اجتماعاً.

**هي ليست في مكتبها:**
إنها في غرفة السيدات.

**هو يتناول غداءه مع المدير:**
إنه في طريقه نحو الترقي.

**هي تتناول غداءها مع المدير:**
ان بينهما قصة غرامية.

**انتقده رب العمل:**
سوف يحسِّن أداءه.

**انتقدها رب العمل:**
سوف تتضايق كثيراً.

**تلقى معاملة جائرة:**
هل ثار غضبه؟

**تلقت معاملة جائرة:**
هل بكت؟

**لقد تزوج:**
سيتوطد وضعه ويستقر.

**لقد تزوجت:**
سوف تحبل وتغادر العمل.

**لقد رُزق طفلا:**
سيحتاج الى علاوة.

**لقد رزقت طفلا:**
ستكلف الشركة ثروة.

**هو ذاهب في رحلة عمل:**
هذا مفيد لمستقبله المهني.

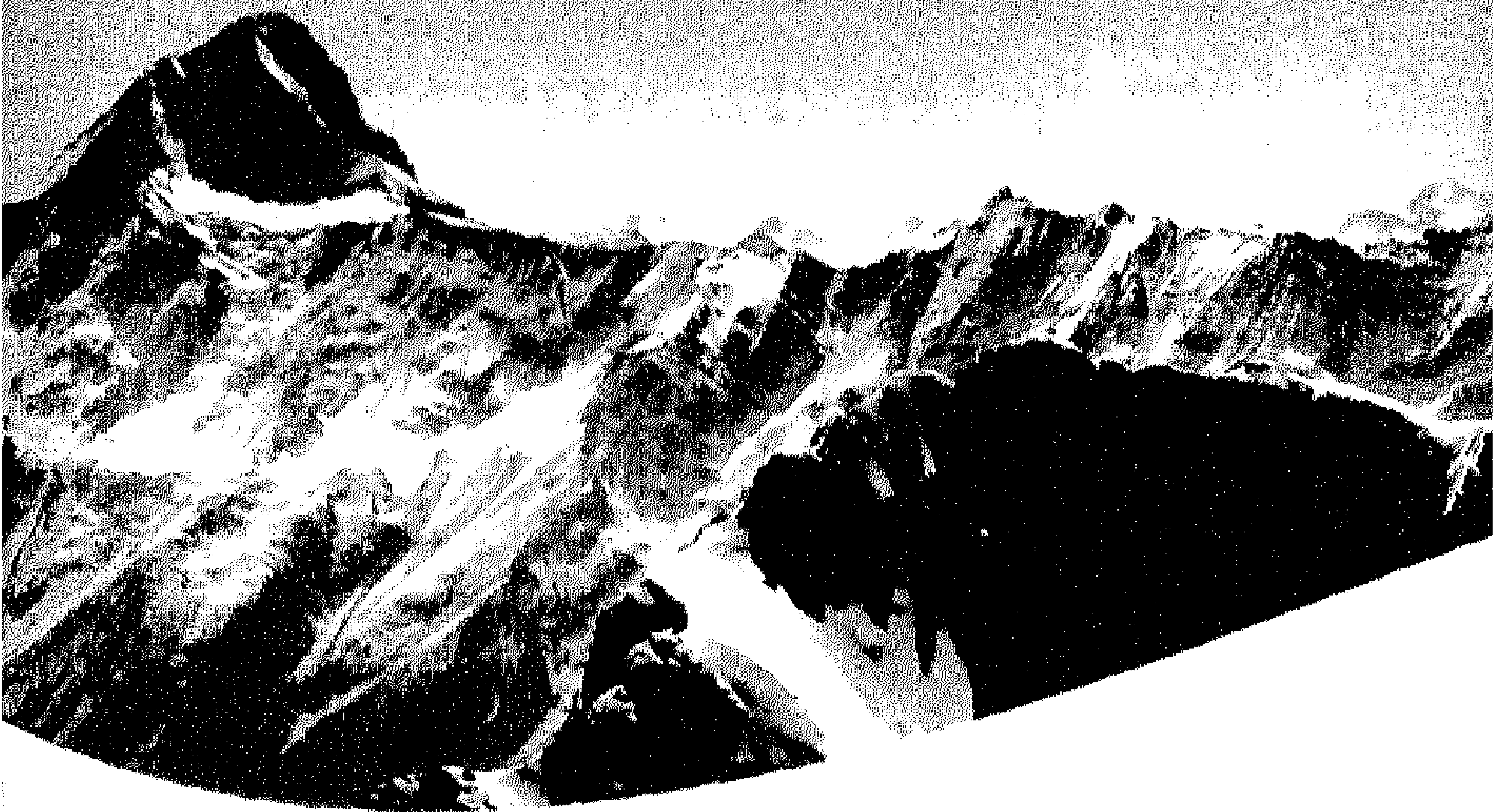
**هي ذاهبة في رحلة عمل:**
ما رأي زوجها في ذلك؟

**هو يغادر الشركة لوظيفة أفضل:**
انه يعرف كيف يقدّر سانحة جيدة.

**هي تغادر الشركة لوظيفة أفضل:**
لا يُركن الى النساء.

**ناتاشا جوزفويتز** ■

# جمال وجلال ورقة وبهاء في عالم الالب الجبلي حبستها عدسة متسلق فنان



على جبل ماترهورن بعند "السرج" الطريف في منتصف الثلج ويقود الى سنسهورن.

بعد جولة في جبال الالب ينزع بعض ما نتذكره الى التلاشي وينمو البعض الآخر: الصدع المخيف يزداد اتساعاً والعاصفة الثلجية تصبح أعنف والهوة التي خشيناها أعمق كثيراً.

ان التصوير يعطي فرصة فريدة لالتقاط أي لحظة وحبسها على نحو شبه كامل.

عالمنا الجبلي مثالي للصور السوداء والبيضاء، لان الثلج والصخور والغيوم هي ذات لون ذاتي قليل. لا نخسر كثيراً اذا ما فاتتنا زرقة السماء وحمرة الجوارب التي يرتديها المتسلقون. وفي المقابل نحصل على خطوط وأشكال واضحة محددة جيداً وبدائع جوية رقيقة من نوع لا تباريه صور ملونة.



أكمة، وشخصان، وثلج ناعم، وضوء مناسب... عناصر لصورة بهية.

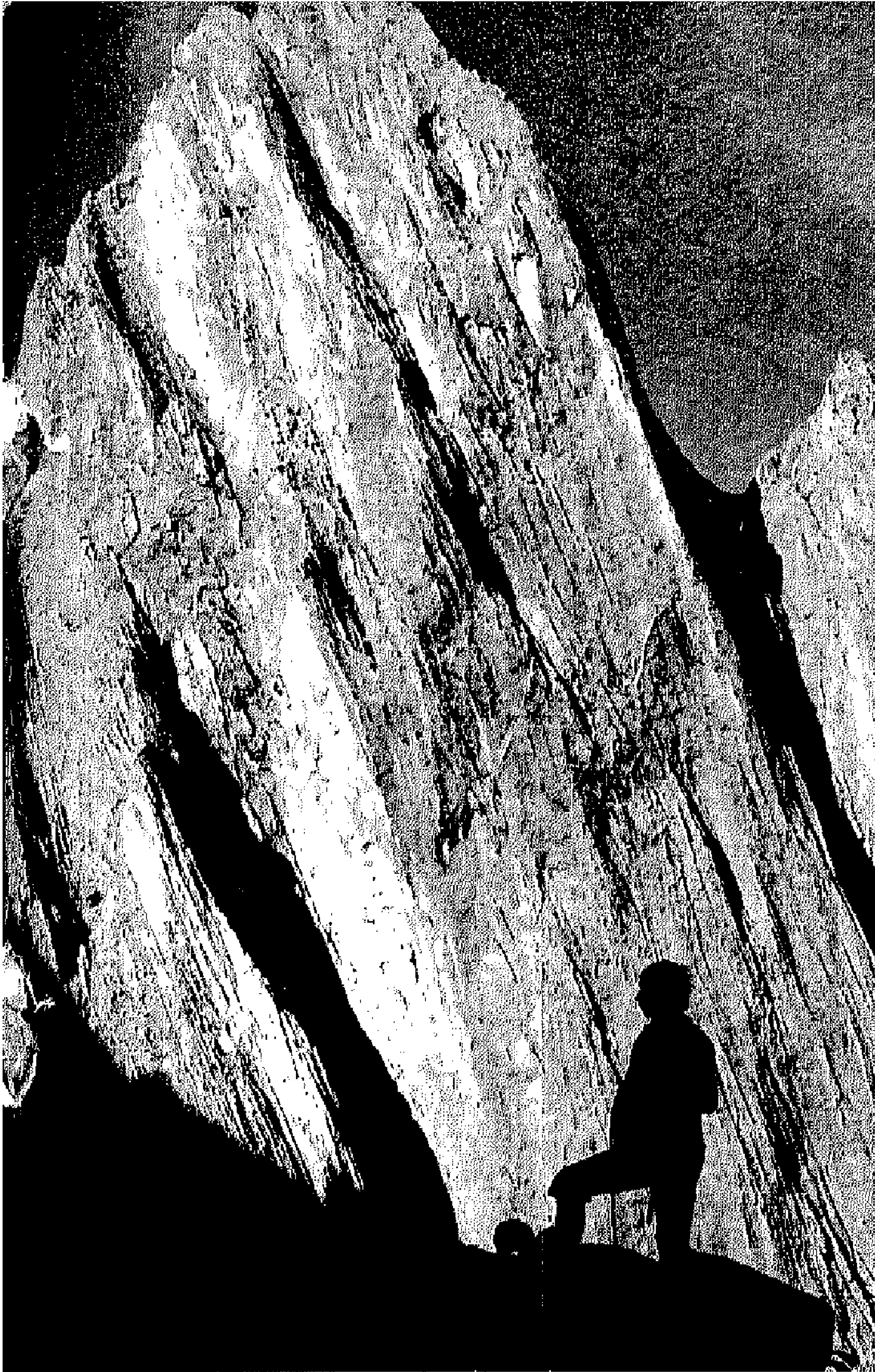


جدار بلانشهورنر الاسود يرتفع متوعداً قرب ممر جيمي، وحقول الثلج المتموجة في لامرنبلانن تكشف تبايناً صارخاً بين الاشكال القاسية والاشكال الناعمة.

وعلى المصور الجبلي الذي بلغ موقع عمله أن يتحمل كل أنواع المشقات. قد تكون يداه وقدماه مخدرة من البرد، وقد يكون هو مضنى من التعب، أو يكون الطقس مخيفاً. ولئن التقط الصورة أم لم يلتقطها فالامر غالباً هو قوة ارادة.

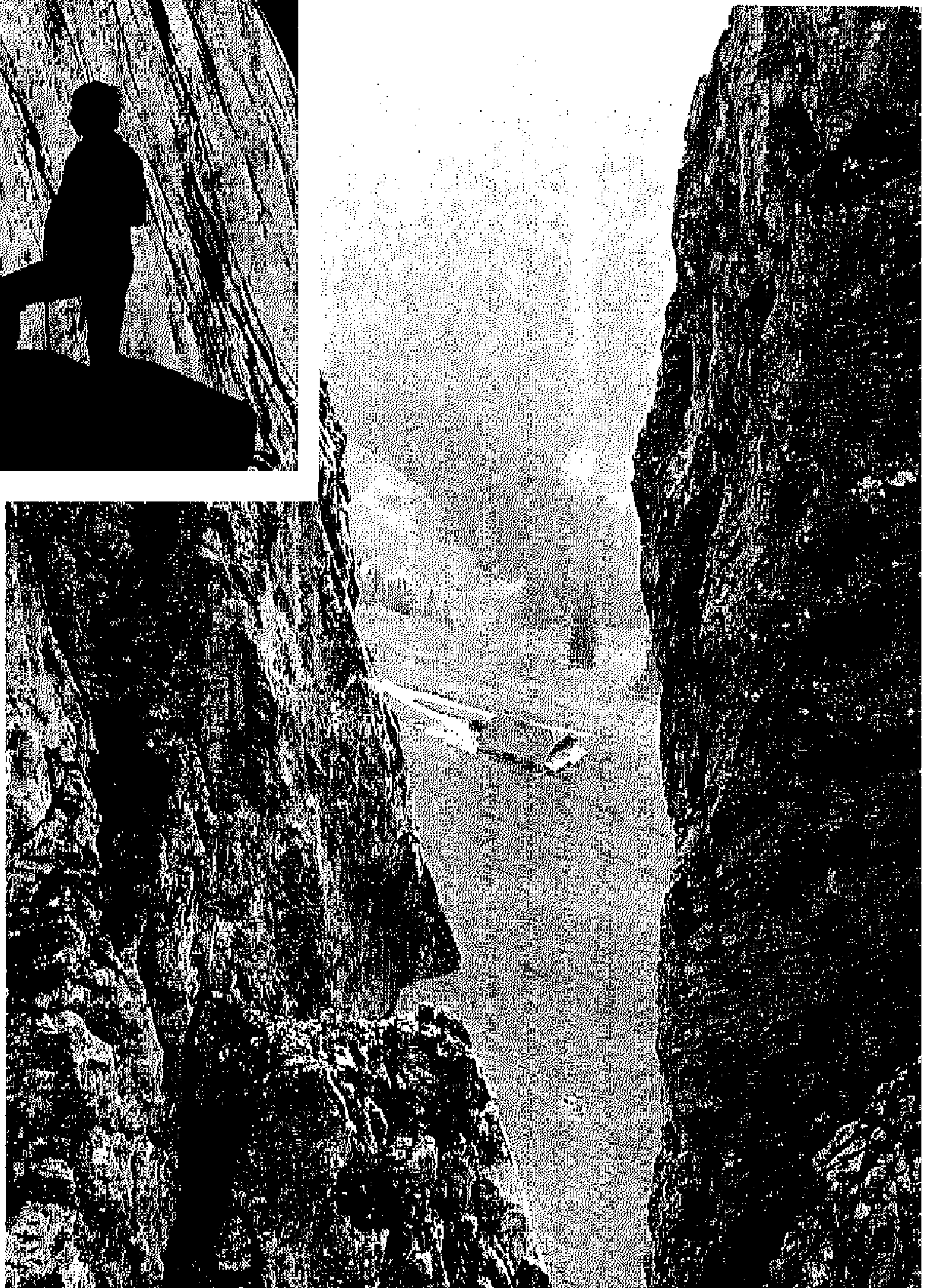
يقول جورج بودميغر مدير متحف الالب في برن عاصمة سويسرا: "في حين يستطيع الشاعر أن يعيد النظر في كلماته، ويستطيع الرسام أن يصلح ألوانه، فالمصور يأمل فقط أن تعمل البديهة والمهارة والتقنية والتصميم والضوء معاً في اللحظة القاطعة، تلك اللحظة التي لن تكون أبداً ذاتها تماماً مرة ثانية.

**ماركوس ليكتي** ■



→

بالوقوف وجهاً لوجه أمام هذا الجدار الأخاذ لمجموعة انجلهورن، نعي حجمها الكامل.



صخور غاستلوسن الوعرة المرتفعة من مرج في منطقة الألب، تكوّن جزءاً من الحدود الفاصلة بين كانتوني برن وفريبور.

النزول من لونشنلوك، على رغم طول المسافة، يبدو قصيراً في أحوال جيدة، لكنه يبدو بلا نهاية في أحوال سيئة.



الطقس السيىء حوّل شلال مرنباخ قرب ستيشلبرغ شلالا مخيفاً.

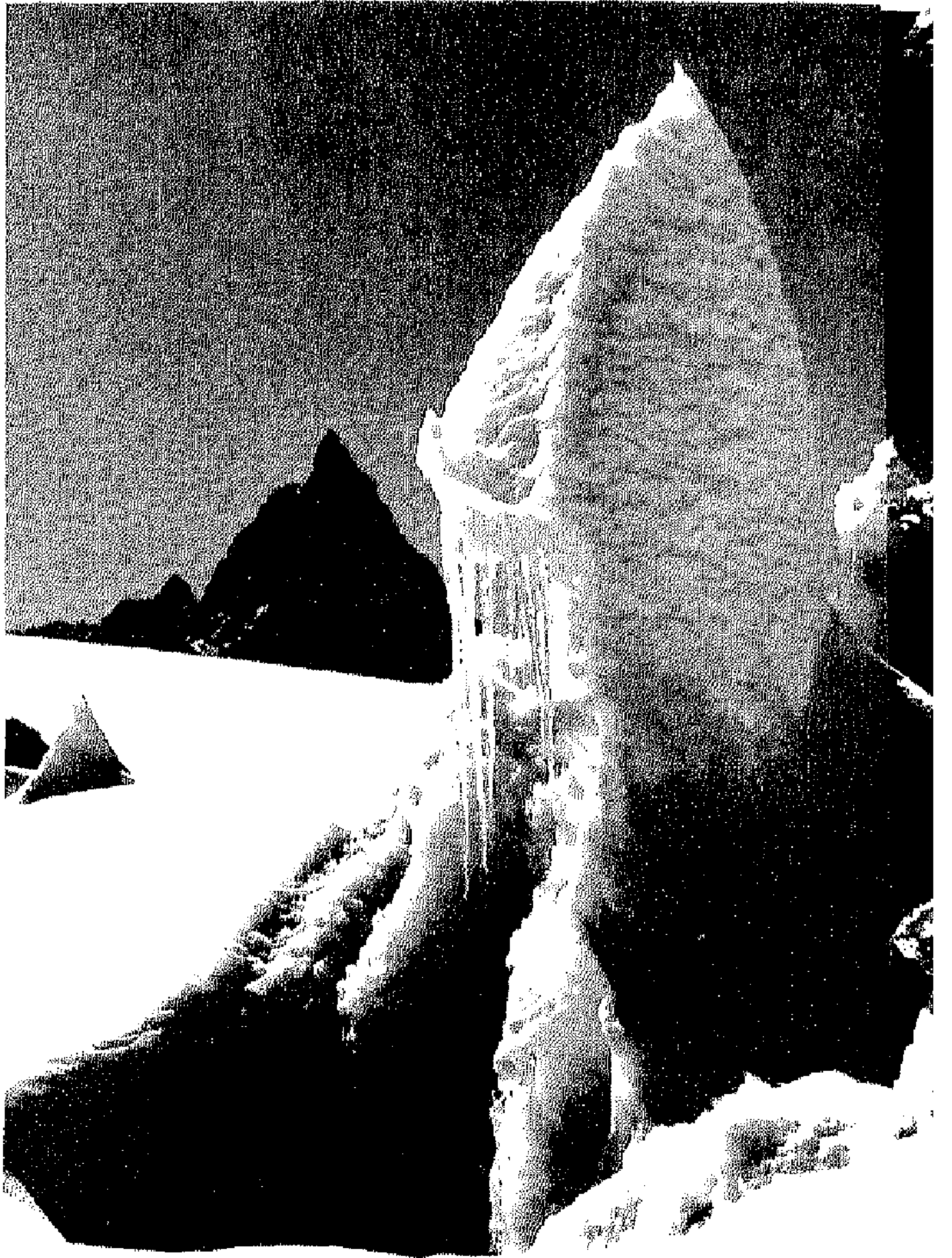




المنظر من بيشورن ليس غالباً صافياً ومؤثراً كما يبدو هنا . الضباب الخفيف يفصل سلاسل الجبال مما يزيد من احساسنا بالأبعاد.



ينتصب فنفنفرستوك كحيد بحري فيما تطبق عليه العاصفة وتوشك السحب أن تغلف القمم.



هذا البرج الجليدي المزدان بكتل الماء المتجمد، يرتفع حيث يلتقي نهرا غورنر وغرنز الجليديان.





ارتقاء هذه القمة جزء من جولة باهرة تبدأ من كوخ توبالي فوق وادي ماتر.



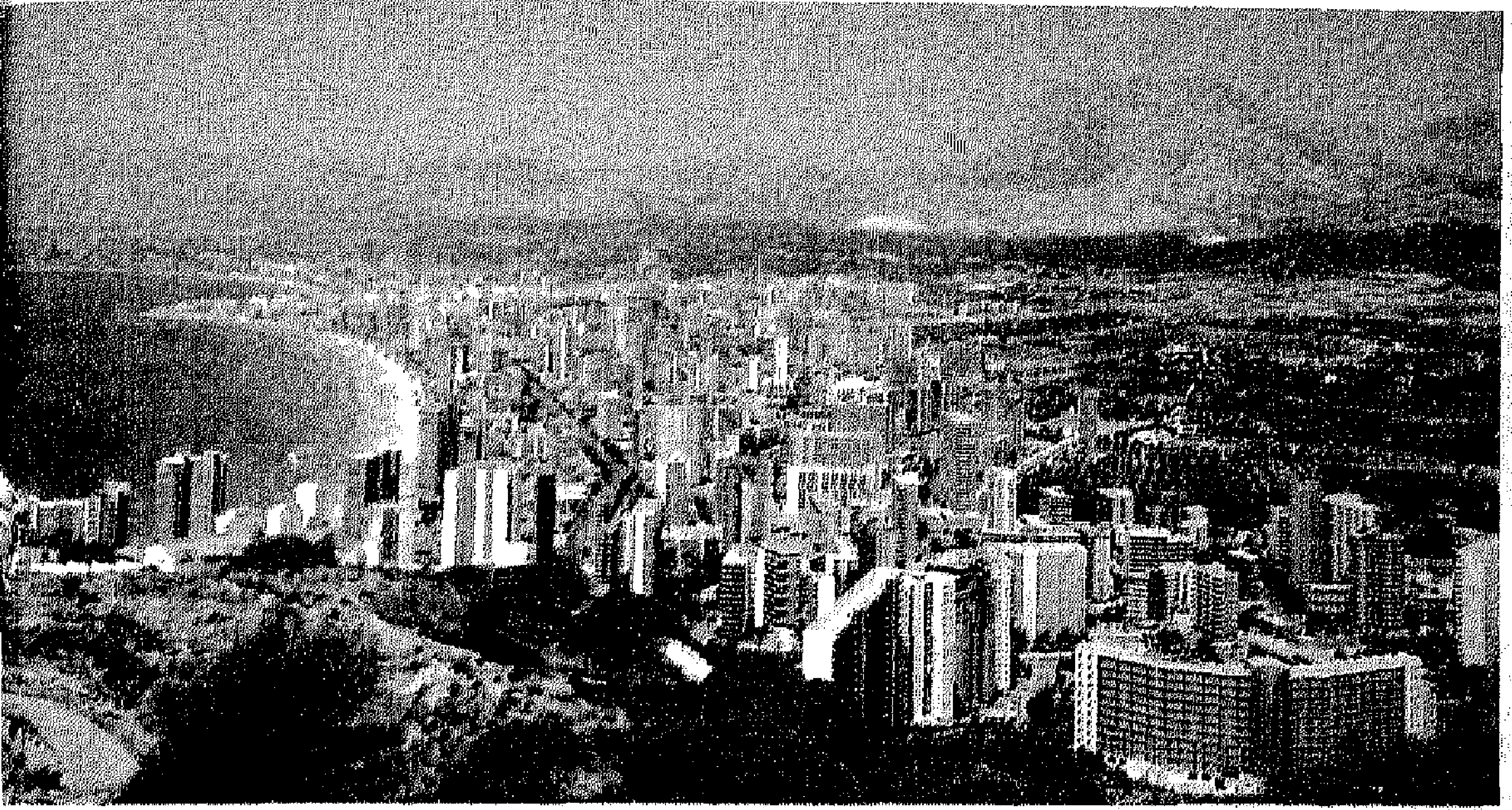
وقع إشعاع غير عادي على اقليم سالينا يجعل هذه الكوكبة السحابية تتألق مثل هالة.

# إسْبَانيا الجَديدة



Photo: G. Spengler — Sygma

# بزعامة رجلين نشيطين
# هما الملك خوان كارلوس الاول ورئيس وزرائه
# فيليبي غونزاليس، طرحت اسبانيا ماضيها المضطرب
# وها هي تنطلق في نهضة ثانية



Plessner International Messerschmidt / The Stock Shop

ساحل اسبانيا الجنوبي على المتوسط يغوي السياح بالسباحة والتبضع.

يوم وفاة الديكتاتور الاسباني الجنرال فرنشيسكو فرنكو قبل أكثر من ثلاث عشرة سنة كانت اسبانيا بلداً متخلفاً ومعزولا، يتلطى بكآبة خلف جبال البيرينيه. أما اليوم، وقد غدت عضواً جديداً في السوق الاوروبية المشتركة وأعيد تثبيتها عضواً غير عسكري في حلف الاطلسي، فقد أصبحت دولة مقبولة، بل مرغوب فيها، بعدما كانت منبوذة عالمياً. وشهدت "اسبانيا الجديدة" نهضة سياسية واقتصادية وثقافية، وتنشق الشعب بأسره نسيم الحرية والحياة في ظل حكم ديموقراطي مستتب للمرة الاولى في تاريخه المعاصر المضطرب.

ولاسبانيا الجديدة زعيمان هما الأكثر شعبية ونفوذاً، أحدهما في الحادية والخمسين من العمر والثاني في السابعة والاربعين. أكبرهما، الملك خوان كارلوس الأول، يعقد مئة مقابلة رسمية أسبوعياً، يدفع ضرائب ويقود طائرات "ف - ١٨" المقاتلة ويطوف في العاصمة متنكراً على دراجة نارية.

أما الآخر، وهو رئيس الوزراء فيليبي غونزاليس، فسياسي صبياني الشكل ذو موهبة قيادية يكب على عمله ١٢ ساعة

في اليوم. غونزاليس، الجمهوري والاشتراكي طوال عمره، واقعي أيضاً يعمل على دمج الملكية والرأسمالية المرتكزة على السوق الحرة.

ويقول غونزاليس: "لقد اجتازت اسبانيا في السنوات الثلاث عشرة السابقة أهم ثورة في تاريخها." وساعدتها على ذلك الحصافة في الرأي وحافز على اللحاق ببقية الدول الاوروبية لتعويض ما فاتها.

بعد وفاة فرنكو في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٥ غدت التحولات هائلة وشاملة. ومع الحكم الديموقراطي، سُن دستور ليبرالي جديد وأجريت انتخابات حرة وظهرت صحافة قوية طليقة. وأعيد الاعتبار الى الحزبين الاشتراكي والشيوعي المحظورين. وفي دوامة الاصلاح التي حض عليها رئيس الوزراء السابق المعتدل أدولفو سواريز، بادر الحكم الديموقراطي الناهض في اسبانيا الى رفع الغرامة عن بيع موانع الحمل والغاء حكم الإعدام، وساوى بين الرجال والنساء في الحقوق، وعصرَنَ قوانين الضرائب العرجاء، وأذن بالطلاق المدني، ومنح مقداراً كبيراً من الاستقلال الذاتي لأقاليم البلاد ذات القلاقل الدائمة. وبذلك أصبحت اسبانيا دولة اتحادية حديثة.

وكانت طفرة الازدهار في الستينات وأوائل السبعينات حسنت الاقتصاد الهزيل. واليوم ينعم الشعب البالغ تعداده ٣٨ مليون نسمة بمستوى أفضل كثيراً في المأكل والملبس والسكنى. تفخر اسبانيا، الأكبر مساحة من ألمانيا بيعبة وبريطانيا مجتمعتين، بناتج قومي اجمالي يدرجها في المرتبة الثامنة في العالم. ونسبة النمو السنوي فيها جيدة تبلغ خمسة في المئة. وقد أضحت البيزيتا من العملات الاوروبية الاكثر استقراراً.

**جيل واحد.** لكي أتعرف إلى اسبانيا الجديدة على نحو أفضل، ذهبت في جولة سياحية فاتنة على امتداد ستة آلاف كيلومتر في هذه الأرض المتنوعة التي أسميها الآن "موطني." وقد طفتُ من مناطق الاطلسي الشمالية الشاتية الى مناطق المتوسط الجنوبية اللطيفة المعتدلة، ومن أرياف الباسك الخضراء الالبية نزولا إلى السفوح الجرداء لتلال الأندلس. وتسكعت ما بين ميزيتا الوسطى، تلك البقعة المكشوفة شبه المهجورة حيث امتطى "دون كيشوت" حصانه ذات يوم، والواحات المدينية الصاخبة حيث يقطن نصف سكان اسبانيا.

تعالوا معي أولا إلى العاصمة مدريد، بوتقة اسبانيا الجديدة من دون منازع، حيث يُمتحن ذوو الطموح فيكرمون أو ينبذون. نساء مدريد من أكثر الاوروبيات أناقة، ومطاعمها من أرقى ما في القارة، وتباع في متاجرها أحدث الازياء والبضائع.

والى ذلك تغصّ مدريد التاريخية بالقصور الفسيحة والنصب التذكارية والمتنزهات الرائعة. وقد رممت الجادات الفخمة والمباني العتيقة الجميلة والساحات ذات النوافير الرشاشة في حملة تجديد بلغت كلفتها ملايين

البيزيتا. وهناك حملة من أجل البيئة شعارها "رمموا ولا تهدموا."

في هذه الخلفية المزركشة تلوح العلاقة الجوهرية التي أتاحت انشاء اسبانيا الجديدة: التفاعل بين ملك من سلالة البوربون فتيّ ونشيط، ورئيس اشتراكي أفتى ويضاهيه نشاطاً.

الملك خوان كارلوس سليل أسرة حاكمة مخلوعة ترقى إلى أكثر من قرنين. ولد في المنفى ولم يزر اسبانيا حتى العاشرة من عمره حين استدعاه فرنكو. تخرج في المعاهد العسكرية الثلاثة في اسبانيا، وانتقاه فرنكو خليفة له.

وخلافاً للملك، ولد فيليبي غونزاليس في اشبيلية بالاندلس لعائلة غير موسرة. وكان أبوه يبيع حليب أبقاره في حانوت صغير يملكه. وغدا طالب حقوق متململا ومناضلا في جامعة اشبيلية، وأصبح من بعد محامياً للعمال ذا طبع حاد. وتحت الاسم المستعار "ايسيدورو" انضم إلى الحزب الاشتراكي السري، وقبضت عليه شرطة فرنكو لوقت قصير. وفي نهاية المطاف قاد حركة "الشباب الطليعيين" الذين تمت لهم السيطرة على الحزب قبل ١٤ سنة.

والرجلان من جيل واحد، وقد تأثرا بالتيارات الاجتماعية نفسها، وهما صاحبا ذهن عملي متقد وصانعا قرار بالسليقة. وكلاهما سياسي معتدل، واداري وليس نظرياً. مفتونان بالتكنولوجيا المتطورة، ويعتقدان أن حاجة اسبانيا الأكثر الحاحاً هي الى التحديث. وكلاهما يمقت التعصب ويحبذ التوازن والحوار والتفهم.

والملك خطيب غير مفوه، فيما فيليبي متحدث مقنع بالفطرة. وللملك روح دعابة ساخرة، فيما يستاء فيليب من الانتقاد. لكن كليهما ظريف وغير رسمي ويأخذ الأمور بسهولة.

ويلتقي الملك رئيس وزرائه لتداول شؤون الدولة مرة كل أسبوع في قصر "سارسويلا". والملك، بصفته قائداً عاماً



Dennis Brack / Black Star

رئيس الوزراء فيليبي غونزاليس.

للقوات المسلحة، يمارس تأثيراً كبيراً في السلطة، وآراؤه راجحة دستورياً.

**نهضة اقتصادية وثقافية.** رحب الشعب بالملك منقذاً للديموقراطية في اسبانيا في وقفته الحازمة ضد محاولة الانقلاب عام ١٩٨١. ومنذاك كان له دور جوهري في منع تسييس القوات المسلحة.

أما رئيس الوزراء غونزاليس فهو رجل واقعي تعنيه النتائج أكثر مما تعنيه العقائد. وقد عمد الاشتراكيون الى

تسندهم غالبية في المجلس النيابي ودورة حكم ثانية تدوم الى العام ١٩٩٠، الى الاستعاضة عن عقيدة اليسار الاسباني القديم بجرعات كبيرة من الواقعية والاعتدال. يقول غونزاليس واعظاً: "عليكم أن توجدوا الثروات لتتقاسموها، ولذا طبّقنا سياسة اقتصادية تعزز الأعمال والتجارة."

غونزاليس: "القطاع الخاص ليس مقبرة للمشاريع الخاسرة."

والسياسة الخارجية مضبوطة. ففيليبي يدرك أن مهمته الجوهرية هي استعادة هوية اسبانيا وأهميتها كجزء لا ينفصم من الغرب. وهو يرغب في الوقت عينه في اعادة النفوذ الاسباني الى أمريكا اللاتينية فتكون اسبانيا جسراً



GAMMA

مستنبتات بلاستيكية في "إل اجيدو" بمنطقة الميرية: مادة "بوليبيثيلين" تمنع الرطوبة وتحجب الاشعة فوق البنفسجية فيما تستبقي الاشعة دون الحمراء.

لقد نجح غونزاليس وفريق عمله في التخفيف إلى حد كبير من الموازنة المنتفخة وخفض نسبة التضخم من ١٤ في المئة الى ٤،٥ في المئة.

وتظل نسبة البطالة أعلى مما في بقية أوروبا. ولكن ثمة دليل على وقف تناقص الوظائف واستحداث نحو مليون وظيفة جديدة. وفي غضون ذلك أفلست مؤسسات اسبانية عدة، بينها مصارف وأحواض لبناء السفن ومصانع فولاذ، فأغلقت أو بيعت أو دمجت بغيرها. ويحذر

بين أملاكها السابقة هناك وأوروبا.

والنهضة الثقافية في اسبانيا تمدها الدولة بمعونات مالية كبيرة بلغت ٥٨ مليار بيزيتا السنة الفائتة صرفت على مشاريع ثقافية ورياضية. وقد ردت الروح إلى الفنون الاسبانية بعد أربعين عاماً من القمع. وفي تفجّر مباغت للابداع حصد مخرجون سينمائيون شباب جوائز دولية من ضمنها جائزة "أوسكار" في العام ١٩٨٣. وثمة جيل شاب من الرسامين ومصممي الازياء والمهندسين المعماريين

والصحافيين والموسيقيين يبرزون للجمهور بجسارة. ويوضح الناشر بورجا كاساني مراده: "نحن، كأوروبيين، نطالب بمركزنا، اقتصادياً وثقافياً."

لكن الاسبان لا يكدحون في أي بقعة من اسبانيا الجديدة كما في برشلونة عاصمة كاتالونيا ذات الاستقلال الذاتي. وتحوي هذه المنطقة نحو ١٣٥ ألف مؤسسة. ولها رئيس ومجلس نيابي وعلم ولغة خاصة، شأنها شأن الأقاليم الستة عشر الاخرى المستقلة ذاتياً.

وموقع برشلونة على الساحل الشمالي الشرقي جعلها المدينة الثانية في اسبانيا ومرفأها الأول. ويطلق عليها لقب "محرك اسبانيا".

لقد وُهبت ساحات عامة مورقة وقلباً يرقى إلى القرون الوسطى. وهي بذلك حاضرة تجارية صاخبة للطموحين. وسكانها مصرفيون وتجار جملة وتجار تجزئة ومهندسون وأصحاب أفكار. وقد أقام فيها نحو ٦٠ شركة متعددة الجنسية ورشات وحوانيت، وبينها "نيسان" و"سوني" اليابانيتان و"يونيليفر" البريطانية و"فيليبس" الهولندية و"باير" الألمانية و"داو كيميكال" و"هيوليت - باكارد" الأمريكيتان.

وصناعة العنب ومشتقاته مزدهرة وبلغت قيمة محاصيل الفاكهة والخضر ٣٠ مليار بيزيتا (٢٦٠ مليون دولار) عام ١٩٨٨، وكانت الصادر الاسباني الثالث من حيث القيمة.

**شمس اسبانيا.** ها أنا أهبط إلى الساحل، وأسوق سيارتي عبر بساتين البرتقال والليمون الحامض والمندرين التي لا تحدّ في فالنسيا، وهي أكبر البساتين في أوروبا قاطبة. مئة وسبعون ألف هكتار مرصوصة أثمرت ٣،٤ مليارات طن من الفاكهة زادت قيمتها على ٩٠ مليار بيزيتا (٧٨٠ مليون دولار) خلال موسم ١٩٨٧ - ١٩٨٨.

والزرّاع الاسبان أنعم الله عليهم بأشعة شمس ساطعة على مدار السنة ومياه وافية. وتدفقت عليهم أموال الاستثمارات الأجنبية. وهم يعتمدون التكنولوجيا المتطورة ويحولون سريعاً أجزاء من أرض الجنوب الكاسدة وشبه المقفرة بستان فاكهة وخضرة لا مثيل له في أوروبا. وعبر منطقة الاندلس الجنوبية الفسيحة تنحدر سفوح الجبال مغطاة بصفوف ملزوزة من شجر الزيتون. ويتماوج دوار الشمس والقطن وسنابل القمح في ملايين الهكتارات. ويطلع الخس والفراولة (الفريز) والبطيخ بكثرة في سهل ولبة الخصيب المروي.

وألقي نظرة على الميرية، أكثف البقاع زراعة في اسبانيا. نحو ١٢ ألف هكتار من المستنبتات البلاستيكية التي تدفئها أشعة الشمس ممتدة على مساحة طولها ٣٠ كيلومتراً وعرضها ١٠ كيلومترات بين سلسلة الجبال الساحلية والشاطىء. وحول منطقة "إل اجيدو" الغبراء الحديثة الغنى يقطن نحو ١٠ آلاف أسرة عملت على تصدير قرابة ٣٥٢ ألف طن من أجود أصناف الفواكه والخضر سنة ١٩٨٧ - ١٩٨٨، وهي درّت ثروة كبيرة تقدر بـ٣٥ مليار بيزيتا (٣٠٠ مليون دولار). ويقول مزارع هناك: "احد العوامل الرئيسة

لنجاحنا هو المخزون الذي لا ينضب من الطاقة المجانية."

وفعلا، لا شيء اكثر مبيعاً من شمس اسبانيا. ففي العام ١٩٨٨ أمّها ٥٠ مليون سائح أجنبي أنفقوا ما يزيد على ١٧ مليار دولار، مما اثمر فائضاً في ميزان المدفوعات الاسباني.

لكن اسبانيا لا تخلو من مشاكل. فعلى امتداد شهرين في أوائل العام ١٩٨٧ تظاهر نحو مليون ونصف مليون مراهق مطالبين بوظائف وبتسهيل دخول الجامعات. وحدثت صدامات مع الشرطة جرح فيها بعض الشباب. ومع ذلك فإن الحكومة تقدر سوء حال الطلاب. ففي اسبانيا نسبة بطالة تبلغ ٢٠ في المئة وهي الأعلى في أوروبا. وترتفع النسبة بين الشباب (١٦ - ٢٤ عاماً) لتبلغ ٢٧ في المئة. يقول أحد علماء الاجتماع: "هذا الجيل يجد طريق نموه مسدوداً. وهو لا يسعى إلى تغيير المجتمع بمقدار سعيه إلى الانخراط فيه."

وقد اجتمع وزير التربية خوسيه ماريا مارافال مع الطلاب في محاولة لحلّ المشاكل، دارساً مشروعاً تبلغ كلفته ٤٠ مليار بيزيتا (٣٥٠ مليون دولار) لإصلاح التعليم الثانوي، يفضي الى زيادة المقاعد الدراسية قرابة ٦٨ ألف مقعد، وإلغاء الأقساط في المدارس والجامعات الحكومية لابناء العائلات ذات الدخل المنخفض، ورفع سن مغادرة المدرسة إلى ١٦ عاماً.

**حب العيش.** الى الاضطرابات الطالبية التي أمكن استيعابها، يقضّ مضجع اسبانيا الجديدة بلاء آخر مقيم هو الإرهاب المتفشي كالسرطان. ففي الشمال، في بلاد الباسك المستقلة ذاتياً، تنشط عمليات منظمة "إيتا" الانفصالية.

لم تنحصر أهداف منظمة "ايتا" بأفراد الجيش والشرطة بل طاولت المدنيين كذلك. ففي العام ١٩٨٧، أكثر الاعوام عنفاً، كان ٣٧ من بين ضحايا "ايتا" الـ٥٢ من المدنيين، وذلك يشمل العشرين الذين قتلوا في انفجار سيارة مفخخة في موقف للسيارات تحت الارض تابع لمتجر ببرشلونة. وبعد ثلاثة أيام اجتمع نحو ٧٥٠ ألف مواطن في تظاهرة حاشدة منددين بالارهاب. ويقول السياسي المحامي خوان ماريا باندرسي وهو من أهل الباسك: "تحت الحكم الديموقراطي لا ضرورة للعنف."

وقد دأب قنّاصو المنظمة لأكثر من عشر سنين على اللجوء إلى فرنسا المجاورة. ومع أن الحكومة الفرنسية وافقت على ابعاد الارهابيين المعروفين، فثمة أمل ضئيل في القضاء نهائياً على ذلك العنف الأسباني في وقت قريب، اذ قوطعت في فبراير (شباط) ١٩٨٨ المحادثات التي كانت جارية بين ممثلي "ايتا" والسلطات الاسبانية لوقف العنف.

من حسن الحظ أن ليس ثمة ما يقلق في اشبيلية، العاصمة الاريستوقراطية لمنطقة الأندلس جنوب اسبانيا. وهي مدينة على نهر مستكنّة تحت جناح "الوادي الكبير"، وفيها كاتدرائية رائعة من الطراز القوطي، ومئذنة "جيرالدا" البالغ ارتفاعها ١١٠ أمتار، ونوافير ماء،

وأحياء مزهرة، ومتنزهات خضرة، ومناخ شبه استوائي. انها المدينة التي تجتذب أكثر من مليون زائر كل سنة.

سكان اشبيلية مرحون ومفعمون بالحيوية، وهم أظرف الناس في اسبانيا الجديدة. وتقدم المدينة العاكفة على ملذاتها عرض أوبرا "كارمن" للمؤلف الموسيقي الفرنسي بيزيه وأفضل عروض مصارعة الثيران وأجمل الاحتفالات وأفضل مغني الفلامنكو وراقصاته. وأهاليها الذين يعدّون ٧٠٥ آلاف نسمة يستحمون بأشعة شمس دائمة الاشراق ويلازمون الشوارع. هؤلاء الناس الميالون إلى التجمع والراضون بما قُسم لهم يحبون الاحتفال والتجوال والأكل والشرب والمشي. يقول المدير السياحي مانويل فلورانس: "بنا حاجة دائمة إلى الافصاح عما يعتمل في نفوسنا."

**الكونت المزارع.** اشبيلية مكان تشق على النفس مبارحته، لكني أرغب في رؤية مصارعة الثيران. فأمضي جنوباً عبر سهل الأندلس الفسيح صوب "مورون دي لا فرونتيرا" ومنها إلى أراضي الكونت ليوبولدو دي لا ماسا البالغة مساحتها ثلاثة آلاف هكتار. وأسرّ في نفسي: لم يتبدل شيء ها هنا.

والكونت من أصحاب الاراضي الاثرياء، وكان في شبابه مصارع ثيران هاوياً. وهو يتقفى شجرة نسبه إلى ألف عام خلت. ويعمل في امرته ٤٥ فلاحاً يزرعون القمح والزيتون ودوار الشمس. وفي مزارع خيوله تستولد أمهار لرياضة البولو وبعض من أفضل ثيران المصارعة في اسبانيا.

قبعنا في سيارة "لاندروفر" وسلكنا بحذر بين الثيران الضخمة السود التي تخور وتضرب الأرض بحوافرها. وأقرّ الكونت أن فريق عمل رئيس الوزراء فيليبي "ذو نية حسنة ويعمل بواقعية قصوى. انها أيام سعد لاسبانيا."

مشاعر كهذه تثير العجب اذ يعرب عنها نبيل اسباني متحفظ. لم يتبدل شيء؟ بلى، كل شيء يتغيّر.

واذ أسوق سيارتي عبر سلسلة الجبال القاحلة، أنحرف عشوائياً إلى قرية نائية طليت بيوتها بالكلس، تحوطها صخور صوان كبيرة. وأرى لافتة متقشرة كتب عليها: "مونتيجاك."

معظم الشباب غادروا القرية قبل سنين للعمل في برشلونة أو في المناطق الساحلية. أما العائلات الباقية فتزرع الزيتون والكروم في السفوح الجافة. وفي سكون الساحة أرى عجوزاً في رداء أسود جالسة تحبك بصنارتها، مطروبة، وعلى أذنيها سماعتا راديو.

مشهد كان ليروق الملك ورئيس وزرائه.

**كريستوفر لوكاس** ■



## صانعو الاحداث

قال رجل أعمال ناجح في الثانية والثمانين من عمره: "أنهض كل صباح وأنتظر أن يحدث أمر رائع. واذا لم يحدث قبل وقت الغداء فأنا أجعله يحدث!"

م.ك.

# خشبة خلاص لمرضى الفصام

**يقدم هذا المركز العلاجي مزيجاً فريداً من التطبيب والارشاد والرعاية وفرص العمل يعيد مرضاه الى الحياة المنتجة**

لم تكن كلير قادرة في بيتها على ازدراد أكثر من لقمة أو لقمتين قبل أن تشعر بالخطر. كانت تخرج من البيت بسرعة وتجول في الشوارع لساعات وتختبىء في اماكن مظلمة كي تتجنب السيارات المندفعة والتي "تعلم" أنها تقصد رهسها.

لقد جُنّت كلير نونان ووقعت ضحية الفصام، وهو أكثر الامراض العقلية إقعاداً ويصيب الملايين في انحاء العالم. ومعظم ضحاياه يمنون به في سن تراوح بين السادسة عشرة والخامسة والعشرين، وهو غير مألوف في السن الثلاثين ويندر بعد الاربعين.

**حكاية شفاء.** خلال السنوات الست التي أعقبت بداية مرض كلير دخلت أقسام الطب النفسي في المستشفيات عشرات المرات. وكانت تخرج منها عندما تعيدها العقاقير والعلاج النفسي الى

نال الرعب من كلير نونان (١) خلال السنة الاخيرة من دراستها الثانوية. كانت علاماتها دائماً تشير الى أنها تلميذة مجتهدة، لذا عزمت الشابة على الالتحاق بالجامعة. لكنها وجدت هناك أن الدراسة صعبة كثيراً، وكانت تفتقد الى التركيز فجاءت علاماتها ضعيفة في نهاية السنة الجامعية. وهي لم تدرك اخفاقها الاكاديمي كما يجب، بل انصبّ جلّ همّها على الفرار من أمام "الثعابين" التي خرجت من الجدران وتجنب الناس وحتى الاصدقاء الذين تحوّلوا في نظرها وحوشاً مخيفة.

(١) اسم مستعار.

حالها الطبيعية. غير أن العقاقير تلك كانت تسبب لها تقلصات عضلية مخيفة وحركات متشنجة، لذا كانت تضطر الى الامتناع عن تناولها فتعود اليها المخاوف.

وجدت كلير أنها اذا تناولت الكحول فانها تفقد وعيها وتنسى الجحيم الذي تعيش فيه.

وبعدما توفيت والدتها تزوجت وحملت وطلقت. ولما توفي والدها بعد شهر واحد من ولادة طفلها أخذت تعتمد على الانعاش الاجتماعي. واستمرت في تناول الكحول، ولم تكن تدري كيف تبدّل حفاض طفلها أو تطعمه على نحو صحيح. وخوفاً من أن تسبب له أذى فانها لم تضمه الى صدرها ولم تهز له السرير لينام. وكان الطفل المهمل في شهره الثامن عندما اكتشفه رجال الشرطة ذات ليلة بعدما أعادوا والدته ثملة الى البيت. وبدلا من انتزاع الطفل منها أمر قاض شفوق باخضاعها للمعالجة في مركز لاعادة التأهيل النفسي في شيكاغو يدعى "ثريشولدز" (٣).

اليوم بعد ثلاث سنوات تبدو كلير امرأة مرحة أنيقة تدير منزلا سعيداً يضم ابنها وزوجها. وكانت قررت الالتحاق بمدرسة لتعليم فن التجميل، بما في ذلك تصفيف الشعر، لان هذه المهنة تدرّ ربحاً وفيراً وتتيح لها البقاء وقتاً أطول مع عائلتها.

ولدى التكلم عن التجربة التي مرّت فيها تقول كلير: "لقد ساعدني مركز ثريشولدز على احترام الذات وشجعني على متابعة الدراسة وأضفى البهجة على حياة ولدي الصغير."

**أسباب بيولوجية.** في أوائل الخمسينات تمّ اكتشاف مركبات "عجائبية" تكبت الأعراض الغريبة للفصام. حتى ذاك التاريخ كان عدد المصابين بهذا المرض في ازدياد. وبعد ذلك أطلق مئات الالوف من المرضى وأغلقت مستشفيات عدة. وكان متوسط اقامة مرضى الفصام في مستشفيات الولايات المتحدة يقاس بالسنين. أما الآن فهو يراوح بين ١٤ و٢٠ يوماً.

إن العقاقير ليست كل الدواء. لقد أسس مركز ثريشولدز في العام ١٩٥٩ كناد اجتماعي حيث يتولى متطوعون مرافقة ضحايا الامراض العقلية، وخصوصاً مرضى انفصام الشخصية والسوداويين والانقباضيين، بغية مساعدتهم والتخفيف من اصاباتهم. ومنذ العام ١٩٦٥ اشتغل عالم النفس جيري دنسن مديراً تنفيذياً لمركز ثريشولدز، وكان هدفه استغلال العقاقير المضادة للاضطراب العقلي الى أبعد حد، كذلك العلاجات النفسية وبرنامج إعادة التأهيل بغية مساعدة اولئك الذين كان يظن أن لا شفاء لهم.

ويرى معظم العلماء في هذا المجال أن أساس انفصام الشخصية يعود الى سبب بيولوجي لا نفسي. ويعتقد كثيرون أن السبب يعود الى الخصائص الكيميائية للدماغ، وفي بعض الحالات الى أسباب وراثية تطلقها عوامل بيئية. ويضيف دنسن: "بالتأكيد يمكن أن يعزى الفصام الى أسباب نفسية. فاذا كنت مصاباً به وأنت خائب في عملك، أو اذا لم يكن

(٣) Thresholds

لديك أصدقاء، فقد يؤدي ذلك الى تحطيمك. لكنك لا تصاب بالفصام لانك، على سبيل المثال، لقيت معاملة فظة من والدتك."

**احتمال الاصابة.** لقد أيقن القيمون على مركز ثريشولدز أنه لا يكفي كبح المخاوف بواسطة العقاقير، بل ينبغي استرجاع الثقة المحطمة والمواقف الايجابية: كذلك يجب تعلّم - أو إعادة تعلّم - العادات المنتجة والمهارات الاجتماعية. ويفسر دنسن ذلك: "العمل عنصر أساسي في شفاء مرض الفصام، اذ له قيمة شفائية ويساعد على بناء احترام الذات والثقة ويعزز الشعور بالاستقلال."

وهكذا، بعد أن تتم السيطرة على أعراض الفصام بواسطة العقاقير، توكل الى المرضى الجدد أعمال في المطبخ أو الصيانة أو المكتب. وعندما يصبحون مؤهلين ينضمون الى مجموعة أخرى مؤلفة من خمسة الى عشرة أعضاء ويعملون بدوام جزئي في بعض الشركات بأجر يدفع لهم. أما في أوقات فراغهم فيعطون، أفراداً وجماعات، ايضاحات حول مرضهم إضافة الى جلسات تسلية ورياضة حيث يلهون ويشاركون في نشاطات اجتماعية.

لا أحد يعلم سبب حدوث الفصام، ولكن من المتفق عليه أن للاختلالات في التركيب الكيميائي للدماغ تأثيرها. إن نسبة اصابة شخص ليس في عائلته مرض بالفصام تبلغ واحداً في المئة. أما من أصيب أحد والديه بالفصام فاحتمال اصابته قرابة ١٠ في المئة. ومع والدين مصابين تبلغ النسبة نحو ٣٩ في المئة. وكما هي الحال مع مرضى السكري، فليس ثمة شفاء من الفصام، بل تجري السيطرة عليه بواسطة العقاقير.

يقول الدكتور مارك أمدور وهو طبيب نفسي يعمل في مركز ثريشولدز: "ان العقاقير تسيطر على أعراض عدة، لكنها غير كاملة. فهي قد تتسبب في النعاس والقلق واللامبالاة وفي حركات عضلية غير طبيعية. ولكن بالنسبة الى معظم المرضى، فيمكننا في غضون أسابيع قليلة تحديد الجرعات التي تسبب ادنى مفعول جانبي."

وربما أخطر ما يواجهه مستعملو العقاقير شعورهم بالثقة الزائدة، وظنهم أنهم شفوا وتوقفهم عن تناول العقاقير.

**عقدة الذنب.** أثناء الجلسات الجماعية في مركز ثريشولدز يتناقش الاعضاء في العقاقير وأهداف المركز والاحداث الجارية. وهم يزورون معاً المتاحف والمسارح ودور السينما والمطاعم لتنمية مواهبهم الاجتماعية. والمركز يدير أيضاً مدرسة مجازة. وفي امكان المنتسبين اليها أن يأخذوا مقررات جامعية تحضيرية أو يكسبوا نقاطاً تخولهم الحصول على شهادة نهاية التعليم الثانوي.

وثمة برنامج آخر تم اعتماده عندما وجد دنسن أن عدداً من أمهات الاعضاء في المركز فقدن ما كن يملكنه من معرفة حول الامومة. لذلك أسس حضانة وألحق بها اختصاصيين بتربية الاطفال يعلمون الامهات طريقة اطعام أولادهن والباسهم

وتغيير حفاضاتهم والتكلم واللعب معهم.

ويلتقي دنسن عائلات أعضاء المركز اسبوعياً، ومعظمهم آباء وأمهات. "فالاهل في الغالب يعانون شعوراً بالاثم في غير محله، ويظنون أن مشاكل أولادهم ناتجة من أمر فعلوه أو لم يفعلوه. ولكن ينبغي أن يفهموا أن هذا لا معنى له."

دنسن أيضاً يبدد مفاهيم اخرى خاطئة وشائعة. فالفصام لا يعني شخصية منفصمة، فذاك مرض آخر نادر يدعى تعدد الشخصية. ولا المصابون بالفصام ميالون الى العنف، بل هم بعيدون عن ذلك كثيراً، انهم يقعون فرائس الخوف ويريدون البقاء منعزلين.

ماذا ينبغي للأهل عمله عندما يلاحظ الطبيب أعراض مرض عقلي؟

يقول دنسن ان رد فعلهم الأساسي هو عادة انكار ذلك. لكن الطبيب يحضهم على قبول الأمر الواقع ويدعوهم الى الاسترشاد بآراء اختصاصيين آخرين وفي اسرع وقت ممكن للحصول على بعض المساعدة.

**خشبة خلاص.** عندما يرى دنسن وعضو ما في المركز أن الوقت حان للتدرب على العيش باستقلالية، يدخل العضو واحداً من عشرة بيوت تسكنها مجموعات تتقاسم غرف النوم ومسؤوليات الأعمال. وبعد مرور سنة ينتقل العضو الى دار يسكنها بمفرده في بناية من ثلاث يملكها المركز. وفي نهاية المطاف ينتقل العضو الى العيش المستقل.

أما بالنسبة الى المصابين المزمنين بالامراض العقلية الذين لا يستطيعون العمل ويعالجون في المستشفى على الدوام، فان مركز ثريشولدز يتابع برنامجاً يدعى "الجسر." ويقول دنسن: "يحتاج هؤلاء المرضى الى تنشئة ورعاية، لذا نقرع الابواب ونقول لهم اننا أتينا للمساعدة ولطرح أسئلة: هل سددت ايجارك؟ هل تناولت دواءك؟ ونزورهم بانتظام ونساعدهم في تنظيم انفاق موازنتهم التي تأتيهم من الاعانات الحكومية، ونتناول معهم طعام الغداء وندعهم يشعرون بان ثمة أحداً يهتم لما يحدث لهم."

وبفضل برامجه الفريدة والمتنوعة وجهوده الرامية الى سبر أغوار المصابين بالامراض العقلية، يتميز تاريخ مركز ثريشولدز بقصص ناجحة مثل قصة كلير نونان. فرحلتها الى التعافي التي دامت ثلاث سنوات تضمنت تناول عقاقير واعادة تأهيل تعليمي واجتماعي وبرنامجاً خاصاً لأمهات الاطفال يدعى "مشروع الامهات." وثمة امرأة أخرى سوداوية لم يكن في امكانها الفوز بوظيفة قبل مجيئها الى المركز، أما الآن فهي مسؤولة عن المكتبة في مؤسسة قانونية محترمة.

وهناك شاب يعمل كاتباً في مؤسسة استشارية نجح أخيراً في امتحان رسمي يخوله الحصول على إجازة ليعمل وسيطاً في البورصة. ويقول الشاب: "لا أعلم أين يمكن أن أكون لو لم أتوجه الى مركز ثريشولدز. ربما كنت في مستشفى أو في مكان آخر. فالمركز هو خشبة الخلاص التي جنبتني الغرق الى الأبد في لجة المرض العقلي."

جون هابل ■

# دائرة المعارف

جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٨ استحقها الأديب والروائي المصري نجيب محفوظ، وهو أول عربي يفوز بهذه الجائزة. فكانت تتويجاً لعطائه وانتصاراً عالمياً للأدب العربي.

هنا كلمات مختارة من ثلاثيته الشهيرة "بين القصرين" و"قصر الشوق" و"السكّرية". وقد وُضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً؛ ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

١. هندام: فستان – حسن القد واعتداله – حاجب – مشية.

٢. تقريع: ثناء – ادعاء كاذب – ثرثرة – تعنيف وتوبيخ.

٣. طويّة: معدة – حصير – نيّة – ذقن مزدوجة.

٤. يداري: يلاطف ويخاتل – يخبىء – يفتل – يجاور.

٥. نضح: رَشَح – احمرَّ وجهه صحة – عرج – تفوّه.

٦. جذوة: كسرة – جمرة ملتهبة – عباءة – ساق نبتة.

٧. ديباجة: صبغة – حُجّة – كلام منمّق – وجه.

٨. حِرْز: إصبع – صدر – موضع حصين – سر خطير.

٩. رزيّة: مصيبة – فتاة عاقلة – خدعة – عجوز.

١٠. هَنات: لفتات – أفكار مشوشة – كلمات – خصلات شرّ.

١١. ألحَفَ: أقسم – ألحّ – هرب – أكل.

١٢. هينمة: غناء – سيطرة – صوت خفي – نوم خفيف.

١٣. محذور: ممنوع – مبرَّر – ما يُحْذَر – مقطوع الطرف.

١٤. صوان: طبق طعام – زوجة – قاعة – وعاء تصان فيه الثياب.

١٥. رتيب: ثابت على وتيرة واحدة – مرتب – صامت – ليّن.

١٦. تكأكأوا: تفرقوا – تجمعوا – تداولوا على عَجَل – هجموا.

١٧. قَذال: لوم – وسخ في العين – حزام – مؤخر الرأس.

١٨. استنام: نسي – اعتذر – استأنس – تساءل.

١٩. تضوَّع: جاع – انتشرت رائحته – تبرَّع – انضمّ.

٢٠. كَلالٍ: قلة – إعياء – رفض – دلال.

٢١. تلفَّع: إشتمل وتغطى – احترق – تذمر – تلفّت.

٢٢. دَبيب: شاخ – مشى متثاقلا – تعطّف – أكبّ.

٢٣. رَيْق الشباب: طيشه – رقّته – طراوته – أوّله وأفضله.

٢٤. تلاحى القوم: بانوا – تلاعنوا وتنازعوا – تعانقوا – تتابعوا.

٢٥. أصفياء: أصدقاء مخلصون – بسطاء – أذكياء – عريقون.

# الأجوبة الصحيحة

١. الهندام: حسن القد واعتداله. هَنْدم الشيء: ظرّفه وأتقنه.
٢. التقريع: التعنيف والتوبيخ. تقارع القوم: ضارب بعضهم بعضاً.
٣. الطَويّة: النية والضمير. يقال "فلان حسن الطوية." الطوى: الجوع.
٤. يداري: يلاطف ويخاتل.
٥. نضح الاناء: رشح. والفرسُ: عرق. نضحت العينُ: فارت بالدمع. والسماء: أمطرت. نضح عليه الماء: رشه.
٦. الجذوة: (بتثليث الجيم) الجمرة الملتهبة. يقال "فلان جذوة شر" أي مثير للشر موقد لناره.
٧. الديباجة: الوجه. ديباجة الكتاب: فاتحته. الديباج: الثوب الحرير.
٨. الحِرْز: الموضع الحصين. أيضاً: النصيب. يقال "أخذ حرزه" أي نصيبه.
٩. الرُزْء والرزيئة والرزيّة: المصيبة العظيمة. جمعها رزايا.
١٠. في فلان هَنات: أي خصلات شرّ. الهَنا: النسب الخسيس.
١١. ألحَفَ في السؤال: ألحّ.
١٢. الهينمة: الصوت الخفي.
١٣. المحذور: ما يُحْذَر. يقال "وقع المحذور."
١٤. الصوان: (بتثليث الصاد) الوعاء الذي تصان فيه الثياب أو الكتب. الصِيوان: خيمة كبيرة.
١٥. الرتيب: الدائم الثابت على وتيرة واحدة.
١٦. تكأكأ القوم: تجمعوا. تكأكأ أيضاً: جَبُن ونكص. وفي كلامه: عييَ.
١٧. القَذال: مؤخر الرأس بين الاذنين. القَذَل: العيب.
١٨. استنام الى الشيء: استأنس به. استنام الرجلُ: نام، طلب النوم، تظاهر بالنوم.
١٩. تضوّع المسكُ: تحرك فانتشرت رائحته. كذلك الشيء المنتن.
٢٠. الكَلال: الاعياء. بصر كليل: أي ضعيف. سيف كليل: أي لا يقطع.
٢١. تلفّع الرجلُ بالثوب والشجرُ بالورق: اشتمل به وتغطى.
٢٢. حَدِب عليه: تعطّف. الحَدْباء: النعش. الأحدب: السيف.
٢٣. رَيْق الشباب: أوّله وأفضله.
٢٤. تلاحى القومُ: تلاعنوا وتشاتموا وتلاوموا وتباغضوا وتنازعوا. يقال "لحا اللهُ فلاناً" أي قبّحه ولعنه.
٢٥. الأصفياء: الأصدقاء المخلصون. واحدهم صَفيّ.

## المستوى

٢١ – ٢٥: ممتاز
١٦ – ٢٠: جيد جداً
١١ – ١٥: مقبول

# "لا أستطيع تمالك نفسي"
# عبارة تردد دائماً فتطعن صميم انسانيتنا

## بذاءات جديدة

قبل سنوات تابعت الصحف قضية وارث شهير حوكم بتهمة الاعتداء على فتاة في الرابعة عشرة من عمرها.

أخضع القاضي المتهم لدورة تأهيلية تناول خلالها دواء يخفض من افراز جسده لهرمون "تستوستيرون" الذكري. وقبل اصدار الحكم أعلن القاضي أن "هنالك بعض الرجال الذين تفرز أجسادهم كميات كبيرة من الهرمونات الذكرية فتقوي دوافعهم الجنسية على نحو عنيف وتضعف قدرتهم على مقاومة المغريات."

لكن الاكثرية الساحقة من الرجال الذين يفرزون مستويات مرتفعة من التستوستيرون لا يرتكبون جنحاً مماثلة.

ان تصريح القاضي هو أحد تلك الاوهام الخطرة التي كثر الكلام عليها في أيامنا. أما أنا فأسميها "البذاءة الجديدة." انها ليست كلمة بذيئة واحدة، بل هي عبارة نرددها دائماً وتطعن في صميم انسانيتنا وتنطوي على أربع كلمات هي: "لا أستطيع تمالك نفسي."

تعتبر هذه الفلسفة الانسان كائناً يتأثر بالعوامل البيولوجية والاجتماعية أكثر من كونه فاعلا يملك ارادة حرة. وتنظر الى المذنبين على أنهم ليسوا مجرمين وخطأة بل مجرد مرضى. وبتجاهلها حقيقة أن الناس معرضون للمغريات، وأن عليهم مواجهتها، تنكر هذه الفلسفة الميزة التي تفرق الانسان عن الحيوان.

لننظر الى أمثلة أخرى عن هذه "البذاءة الجديدة."

ملايين البالغين مدخنون. ومعظمهم مدمنون، وهذه كلمة توحي أنهم فقدوا السيطرة على أنفسهم. ومع ذلك نعلم أن كثيرين أقلعوا عن ادمانهم من دون معالجة طبية. لقد صمموا على الاقلاع عن التدخين، ونجحوا.

فإذا كانوا مدمنين، فكيف تمكنوا من الاقلاع عن التدخين؟ أوليس الادمان، تحديداً، حالة يفقد فيها المرء السيطرة على نفسه؟

أعتقد أن التدخين هو أولا عادة وليس ادماناً. ومهم أن نميز بين هذين الامرين عندما نتكلم مع المدخنين. ما هو عدد الذين يئسوا من الاقلاع عن التدخين بسبب "البذاءة الجديدة" القائلة بأن المحاولة عديمة الجدوى؟ صحيح أن الأعراض ومشاعر الضيق التي ترافق الانقطاع عن التدخين، أو أي عادة أخرى، تجعل محاربة الاغراءات أشد صعوبة. لكن الانتصار يبقى ممكناً في هذه المعركة.

ونتيجة أخرى لهذه "البذاءة الجديدة" تبرير العنف والغضب. كم من مرة سمعتم أحدهم يقول: "لقد قادني فلان الى الجنون." هذا هراء. فلا أحد يغضبنا حقاً. وتشير عالمة النفس الاجتماعية كارول تافريس في كتابها الرائع "الغضب: عاطفة يساء فهمها" (★) الى أننا نحن "نقرر أن نغضب" عندما نعتقد أننا عوملنا بغير عدل. فالعدوانية ليست حتمية بيولوجية، بل خطة مكتسبة للتعامل مع الغضب. وهناك كثير من الخطط، مثل كبت الغضب والتصريح به والصراخ، نختار منها ما أثبت فاعليته في ما مضى. هل لاحظتم أننا نادراً ما نفقد السيطرة على أعصابنا عندما نصطدم بأرباب عملنا، وغالباً ما نفقد أعصابنا مع أصدقائنا وأفراد عائلاتنا؟

تعلمت درساً في السيطرة على الغضب عندما كنت في الصف الثانوي الثاني. وكنت قبل ذلك مقتنعاً بأنني أعاني مشكلة في طبعي. في اليوم الاول من

(★) Anger: the Misunderstood Emotion

التمرن على لعبة كرة السلة جعلني المدرب ألعب ضد زميل، فكنت كلما فوّت هدفاً سهلا أضرب الارض بقدمي متذمراً. فاقترب مني المدرب صائحاً: "ان كررت هذا التصرف فسأمنعك عن اللعب في فريقي."

لم أحاول تبرير تصرفي بالقول: "لكنني، يا أستاذ، لا أستطيع تمالك نفسي." ان رفض المدرب قبول أي أعذار ساعدني على تعلم قوة الارادة الانسانية. بعد ذلك لم أفقد السيطرة على نفسي في فريقه ثانية.

وماذا عن الكحول والمخدرات؟ ألا يسعها أن تهزم الارادة الانسانية؟ أحد المفاهيم الشائعة أن مدمني هذه المواد يفرطون في استعمالها الى أن يفقدوا السيطرة على أنفسهم. لكن هذا المفهوم ينقضه أناس كثيرون تخلوا عن الكحول والمخدرات من دون أن يخضعوا لمعالجة طبية. وقد اعتمد معظمهم الارادة الذاتية.

ان مدمني المخدرات الذين نراهم في مراكز المعالجة الطبية ليسوا نماذج عشوائية. انهم أولئك الذين لم يتخلوا عن عاداتهم أو يعتدلوا في ممارستها، انهم الخاسرون في معركة المغريات. يقولون انهم لا يستطيعون تمالك أنفسهم، ويصدق الاختصاصيون هذا الخداع.

أنا لا أقول بالاحجام عن مساعدة الناس في الاقلاع عن عاداتهم الهدامة. ولكن يجب أن تكون الخطوة الاولى في طريق المعالجة تذكير هؤلاء بأنهم يملكون القدرة على مساعدة أنفسهم. ان أعظم قوة على الارض هي الارادة الانسانية. وستستمر خسارتنا في الحرب ضد المخدرات ما دمنا نعتبر الادمان مشكلة طبية. انها مشكلة أخلاقية. والناس يصبحون مدمنين بملء ارادتهم.

ان معالجة الانحراف بالوسائل الطبية تطورت الى حد أننا بتنا نسمع بأناس مدمني ميسر. وتقرّ مؤسسات رسمية المفهوم القائل بأن "المراهنة اللاإرادية" هي مرض تمكن معالجته عندما يعترف ضحاياه بأنهم فقدوا السيطرة على أنفسهم ويبحثون عن مساعدة. ولكن كيف يستطيع المسؤولون في هذه المؤسسات التمييز بين الميسر الذي لا تمكن السيطرة عليه وذاك الذي تمكن السيطرة عليه؟ جوابهم هو الآتي: إذا تخطى مقامر الحدود فانه يكون فقد السيطرة على نفسه.

ليس هنالك من منطق أسخف من هذا.

عندما نقبل مقولة أن "الادمان" سبب للانحراف السلوكي، فلا نهاية للاحتمالات والادعاءات الجديدة في أيامنا.

انني مقتنع بأن العلاج الأكثر أخلاقية وفاعلية هو جعل الناس مسؤولين عن تصرفاتهم. وعندما يقول لك أحدهم في المستقبل: "لا أستطيع تمالك نفسي،" فلا تصدقه. وفي مصارحتك اياه خدمة كبيرة له.

**وليم لي ولبانكس ■**

---

المحبة فخورة بذاتها. وهي ترشح منا وإن أغلقنا عليها بأقفال محكمة.

م.م.

## كتب الصياد التائه الى زوجته: "احمدي الله من أجل الذين يعطونك الحب، لأن الحب هو أعظم ذخر يأخذه المرء عند الفراق"

من تحت خيمة خشبية على متن مركب عائم مع التيار تفرس خمسة صيادين ذاهلين في السماء الاستوائية الصافية من الغيوم. لقد شرب كل واحد منهم في الليلة السابقة آخر نصف كوب من الماء، والآن يكاد الماء ينضب من أجسامهم الواهنة.

فكر جويل عُمَر غونزاليس ريفيرا (٢٧ عاماً): لقد غُلبنا أخيراً. لكنه لم يشعر بعار في ذلك. فالرجال صمدوا في هذا القفر المحيطي أكثر من أربعة أشهر. لم يثر بعضهم على بعض ولم يستسلموا للجنون. وتابع التفكير: كرجال كافحوا، وكرجال سيموتون.

أخرج غونـزاليس قميصاً وسـروالا أرجوانيين نظيفين من حقيبته. نزع ثيابه البالية وارتدى ثياباً جديدة وأعلن بصوت مبحوح: "هكذا سأموت."

فعل مثله الواحد تلو الآخر من زملائه الى أن وقفوا معاً على متن المركب المتمايل ينظرون الى المحيط الذي لا نهاية له، بالثياب التي ادخروها لليوم الذي ينزلون الى الشاطىء...

**زوبعة الشمال.** بدأت رحلة الصيد المخططة لثمانية أيام في ١٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ من دون أي عائق. وكان غونـزاليس والقبطان جيـراردو أنطونيو أوبريغون أوباندو (٣٢ عاماً) يتناوبان ادارة دفة مركب الصيد "القاهرة ٣" الذي يبلغ طوله تسعة أمتار، وسط مياه المحيط الهادىء قبالة ميناء بلدتهما بونتاريناس في كوستاريكا. ومع أن "القاهرة ٣" بدت متينة فهي لم تكن تصلح للملاحة البحرية. فخليط الاسمنت والالياف النباتية الذي سدت به السقوف في قصعة المركب وجوانبه كان مفتتاً، وكان الماء يتسرب ببطء داخل المركب.

مأساة واقعية

# ٢١ أسبوعاً

لكن البحار اللطيفة هدأت ستة أيام وكد الرجال ليصطادوا طناً من سمك الدورادو والقرش. تأمل أوبريغون ملياً في الامر وقال في نفسه: لا مراوغين هنا. كان غونزاليس لا يتعب. وجورج هيرناندز كاستيلو (٢٧ عاماً) الطويل القامة، الهادىء، جديد على الصيد لكنه طالب تعلم متلهف. وكان باستور لوبيز روهاس (٣٠ عاماً) يتكلم بسرعة ويعمل بسرعة. وهوان سيرنا بوليفار (٤٧ عاماً) المحنك الصارم يعرف البحر كما تعرفه قلة من الرجال.

قال أوبريغون: "شدة أخرى ونتوجه رأساً الى بلدنا."

لكن الامر لن يكون ابداً بالسرعة التي ينشدها غونزاليس. وكانت زوجته قبل ثلاثة أشهر أنجبت له ابنة رابعة.

في المساء أثارت هبات الريح المياه، ثم دوّى هدير بعيد وأظلمت السماء الشمالية.

زمجر أوبريغون: "زوبعة الشمال!" وارتج القارب وتمايل لدى اول صدمة للامواج، فتوترت أعصاب البحارة في القمرة. ومزق البحر الهائج شبكة الصيد وخلع باب القمرة. فهرع الرجال يجرفون المياه بالدلاء ويفرغونها خارجاً. ثم أقفلوا الباب وسمّروه.

أحنى أوبريغون رأسه حينما سقطت



دفقة من المياه الزرقاء وحطمت النافذة. واندفع نحو الجهاز اللاسلكي لكنه كان معطلا.

خشي غونزاليس، وهو جاث على ركبتيه يجرف الماء من دون انقطاع، أن يتكسر المركب. لكن المركب ثبت ساعة فساعة. ظل الرجال ثلاثة أيام يجرفون الماء باستمرار، وعَلَوا أمواجاً ترتفع عشرة أمتار بحثاً عن الشاطئ. ثم نفد الوقود وبقي المركب يتخبط في الماء بلا حول.

حض أوبريغون رفقاءه: "ابقوا في المركب يا شباب. ستأتينا النجدة عندما تسكن الريح."

لكن ريح الشمال تابعت هيجانها ولم يتحرك اي مركب في الطرق البحرية من بونتاريناس. أنزلت الى البحر فرقة من خفر السواحل بحثاً عن "القاهرة ٣"، وأرسلت اشارات طوارئ لاسلكية، لكن الامل كان قاتماً بالنسبة الى بقاء أعضاء الطاقم أحياء.

في الليلة الرابعة للعاصفة أضاءت اديث غونزاليس الأرِقة مصباح غرفة النوم، وتطلعت خارج النافذة وبدأت تكتب: "حبيبي، ماذا أفعل بحياتي إن لم تكن أنت هنا؟" كتبت في الليل تدعو زوجها الى البيت. فقد "أخبرها" قلبها أن جويل كان في مكان ما هناك يناضل من أجل العودة الى عائلته.

**رسالة في قمقم.** بعد أيام لمح بحارة "القاهرة ٣" قبل الفجر أنوار سفينة



شحن، فأشعلوا ناراً على المركب وصرخوا بأصوات مبحوحة. لكن سفينة الشحن مضت تمخر العباب. واذ تبددت آمالهم بالنجاة القريبة راحوا يفكرون في وسائل للبقاء على قيد الحياة. ألقوا في البحر معظم أسماكهم التي فسدت عندما ذاب الثلج الحافظ، ما عدا جزءاً صغيراً وُفّر ليكون طعماً وطعاماً، وكان قرش صغير يقيتهم الى أن يتمكنوا من اصطياد سمكة دورادو. لكنهم نادراً ما كانوا يتجاوزون نصف الطعام اليومي المشبع. أما بالنسبة الى الماء فهم وضعوا برميلا يسع مئة وخمسين ليتراً لالتقاط ماء المطر المتساقط عن سقف الخيمة.

عندما خفت الرياح بعد أسبوعين حمل التيار "القاهرة ٣" غرباً بعيداً عن بلدتها. وساءت خطوط الالتحام في قصعة المركب. وبات الرجال يجرفون الماء من دون توقف وأعصابهم تزداد توتراً.

وحين حصل صدام بين رفيقين تدخل القبطان مؤنباً: "أيها الزميلان، لا مجال للجدل. لقد تجاوزنا كل نجدة ممكنة، واذا ما كنا نبغي أن نبقى أحياء فذلك يتوقف على جهدنا. يجب أن نعمل كاخوة."

كان لكلماته تأثير سريع. وتعهد الرجال الكفاح كفريق متعاون.

رأى الصيادون أنهم اذا ما تابعوا الانسياق مع التيار غرباً فلا بد من أن يبلغوا اخيراً شاطئاً ما. وللاسراع في الابحار جمعوا أخشاب جدران القمرة وربطوا بعضها ببعض وجعلوا منها قاعدة وصارياً بطول ستة أمتار. وصنعوا شراعاً مثلث الجوانب من بطانيات وأغطية خيطت بخيوط الصيد. ولحظة رفع الشراع هب النسيم فملأه. وارتفع هتاف حين مضى المركب سريعاً يمخر عباب الماء.

كان السمك نادراً في تلك المياه العميقة، واستحق كل صيد احتفالا. وكان لوبيز يشوي السمك على أخشاب صغيرة يوقدها بولاعة سجائر.

في أوائل مارس (آذار) بات غونزاليس على شفا اليأس. أخرج من حقيبته قمقم دواء فارغاً، وعلى ظهر الوصفة الطبية بدأ يكتب بخط صغير: "زوجتي الحبيبة، لي رغبة عظيمة في أن أحيا، ولكن يبدو أنها صعبة التحقيق. اذا مت فلا تهدمي حياتك. أبلغي بناتي أنني بذلت حياتي بحثاً عن حياة فضلى لهن. أحبك حباً لن يحبك مثله أحد."

حشر الورقة داخل القمقم وأقفله، وبكى. فكر: في اللحظة الاخيرة سأرميه في الماء.

**أمل ضائع.** بعد مرور شهرين على ضربة العاصفة كان الرجال ذاهلين جوعاً وظمأ. كتب غونزاليس الى زوجته اديث: "توقف المطر. وليس هناك طعام. محنتنا قاسية والموت سيأتي راحة لنا. لا تزال فيَّ شعلة صغيرة لما تنطفىء."

وفي اليوم التالي جاءت سلاحف البحر.

على قصعة المركب المغمورة بالماء نبت حشيش البحر. وبدأت سعفه الريانة تجذب السلاحف. في ذلك اليوم سبحت ثلاث منها نحو المركب. جثم غونزاليس جانباً وفي يده خطاف معدني للسمك. رفعت احداها رأسها من الماء، وكان طول صدفتها حوالى متر. وصاح غونزاليس ببحّة: "أمسكتها!"

قفز الآخرون الى الامام لمصارعة الضيفة المشتهاة. ذبحها أوبريغون بسكينه وسلخ اللحم عن الغلاف. وطبخها لوبيز.

في ذلك الاسبوع سقطت زخة مطر روت ظمأهم. وجلب دم السلحفاة أسماك قرش فصادها الرجال بسلك وصنارة صنعوها من معدن خزان الغاز. وبقيت سمكة، طولها قرابة ثلاثة أمتار، بعيدة عن متناول اليد تدور وتراقب. فقال أوبريغون: "انها تنتظر غرقنا."

ذات يوم بينما كان الرجال منشغلين بقَشْر سمكة قرش لمح هيرنانديز مركباً أبيض كبيراً، فصرخ: "مركب!" كان الرجال متأكدين من أنهم سيُشاهَدون. لكن المركب تجاوزهم وتوارى.

طمأن لوبيز رفقاءه الحزانى: "الله يدخلنا في تجربة، ووحده يقرر ما اذا كنا سنبقى أحياء. يجب أن نكافح لنظهر اننا جديرون بالحياة."

مرت أسابيع واستنزفت قوى الرجال. وذات مرة، على بعد حوالى ستة أمتار من السفينة، غاص حوت كبير متوجهاً الى ما تحت قصعة المركب. ارتجف الرجال عندما اهتز المتن. ومرت عشرون دقيقة فظهر الحوت فجأة، وتوقف، ثم سبح بعيداً.

**"ليس الآن!"** أوهنت الامواج المركب الراشح، واضطر أوبريغون الى الغطس تحت قصعته ليسدها بقطع ممزقة من القمصان. اقتلع الحلازين الملتصقة وترك حشيش البحر للسلاحف. وكان الرجال ذبحوا أكثر من مئة سلحفاة طعاماً لهم.

أنهك نزح الماء الرجال. ولم يكن جوف المركب لدقيقة خالياً من الماء. ولتخفيف الحمل رموا المحرك خوفاً من الغرق. وبمشقة صنعوا دفة من الخشبة الاخيرة لديهم. فهم حطموا القمرة ليوقدوا خشبها، ولم يبق على متن المركب سوى الخيمة الخشبية على أربعة أعمدة. وكان الرجال ينامون متشنجين في برد الليل على متن المركب أو ينحشرون في صندوق الثلج الفارغ.

كتب غونزاليس الى زوجته في العاشر من مايو (أيار) يوم عيد ميلادها: "عجباً! أنا ما زلت حياً. كم عظيمة هي قدرة الله. حتى من هنا يمكنني أن أتمنى لك ميلاداً سعيداً. لا تنسي أنني أحبكنّ جميعاً. أنا لا أتعذب من آلامي بل من آلامكن."

نفد الوقود فجفف الرجال لحم السلحفاة على حرارة الشمس. لكن مضغ اللحم المجفف وابتلاعه كانا صعبين. ومرة جديدة كانت لكل منهم حصة من الماء مقدارها نصف كوب مرتين يومياً. وراحوا يرشفون ماء البحر يائسين، فأصيبوا بغثيان.

عند هبوط الظلام في ٣١ مايو (أيار) فرغ البرميل. وشعر الرجال بدنو الاجل. وفي الصباح التالي ارتدوا ثيابهم النظيفة.

كتب غونزاليس: "يا اديث، حتى وان كنت على شفير الموت فأنت كل شيء لي. انا غير متأسف على حياتي، اذ كان لي الجزء الافضل منها: أم عظيمة وزوجة مدهشة، وبنات ظريفات. أحبكنّ جميعاً، وأعلم أن الله سيجمع شملنا يوماً. وكتب غونزاليس عنوان بيته ولف الورقة

# فاجئوا من تحبون بهدية لا تنسى



تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).
كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او التخرج او عيد الحب...
فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟
فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٨٨/٥/١ و١٩٨٩/٥/٣٠ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٢٥ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العنوانين الآتيين:

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت لبنان
BANK ALMASHREK S.A.L.
P.O.BOX 1524
BEIRUT-LEBANON

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه نضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ____________

____________

عنوانه ____________

____________

المناسبة وتاريخها ____________

توقيع المهدي ____________

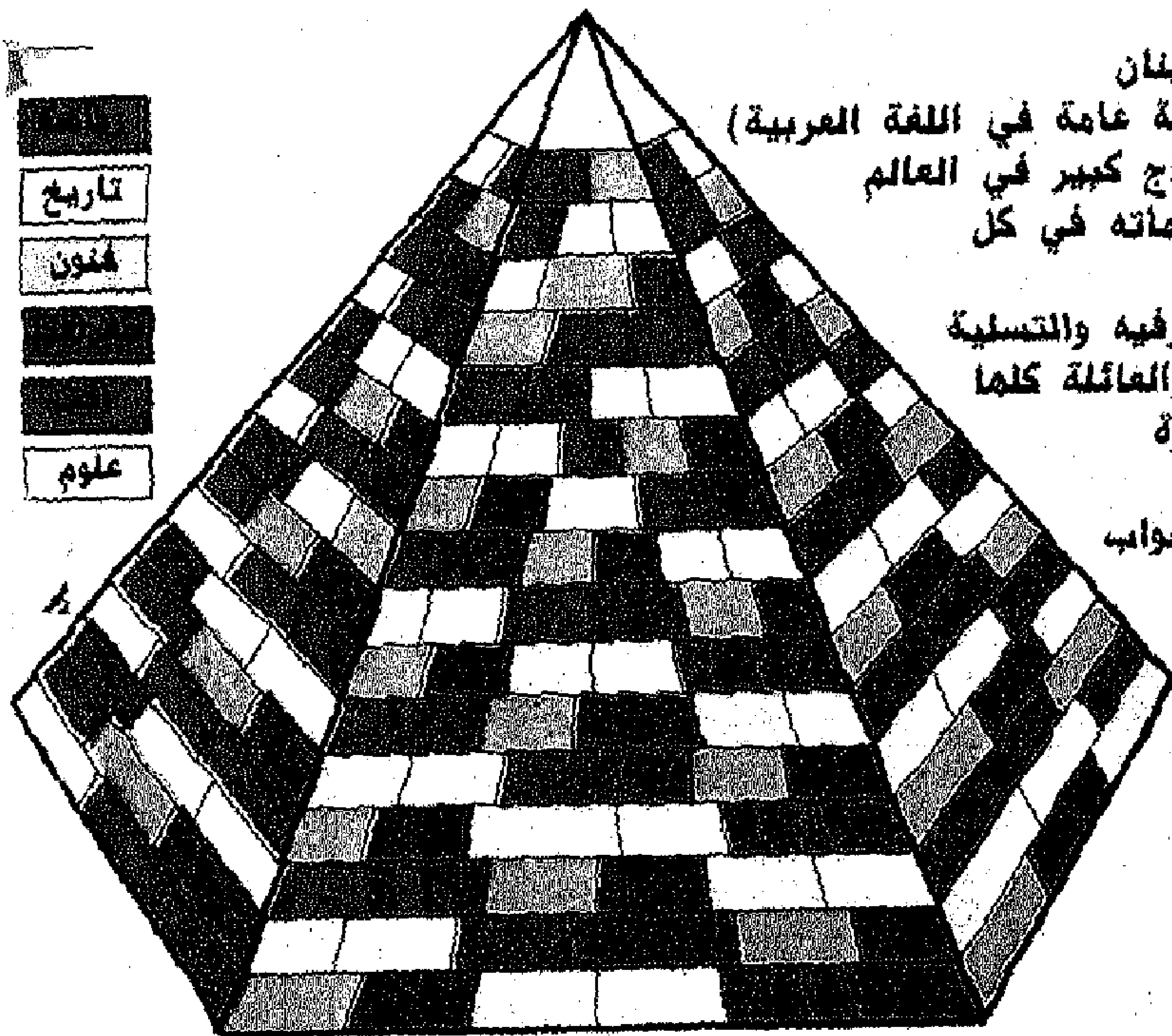


مع اخلص تمنياتنا

## لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

# هرم المعرفة

**لعبة عربية تثقيفية مشوقة**




▲ هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
▲ هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
▲ هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
▲ هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
▲ هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
▲ هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
▲ هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
▲ هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
▲ هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة



PRONEGA S.A.R.L.
AJAKRA - LE 201

ووضعها في القمقم وسدّه باكياً. ومد ذراعه ليرمي القمقم عن متن المركب.

قال له هيرنانديز رادعاً: "لا، رجاء، ليس الآن."

**هونولولو!** مر يوم واذا بنسيم يثير الماء. قال لوبيز: "انهضوا أيها الاخوة، ارفعوا الشراع. يجب أن نقاوم."

تحرك الآخرون طوعاً، وتقدمت "القاهرة ٣" مدة يومين قبل أن تسكن الريح.

في ٤ يونيو (حزيران) غشي الظلام السماء الاستوائية الزرقاء وتمدد الرجال على متن القارب متلفين عطشاً وجوعاً. وكانوا على يقين بأن النهار لن يطلع عليهم جميعاً.

كيف حصل ما حصل؟ لا أحد يملك تفسيراً منطقياً. بدأ الرذاذ يسقط ليلاً ميللاً وجوه الرجال المحتضرين ودافعاً اياهم الى حافة الهوس. ابتلعوا الهواء ليبتلعوا نقيطات الماء. ولعقوا القطرات المتساقطة على أعمدة الخيمة.

غزرت القطرات شيئاً فشيئاً متدفقة على البرميل. شرب الرجال حتى انتفخت بطونهم وهم يهذون طرباً. وعندما توقف المطر عصراً كان كل دلو وكل حق على متن القارب مليئاً ماء الى حافته. فكر أوبريغون: سيتحطم المركب قبل أن نعطش ثانية.

بعد ظهر ١٤ يونيو (حزيران) شاهد غونزاليس مركب صيد أبيض ناعماً يقترب، وقد وقف على منصة الربان رجل يتطلع الى "القاهرة ٣" عبر مرقب مزدوج. ومع القاء أول حبل نجاة غطس غونزاليس في البحر وجُذب الى المركب.

وسرعان ما جلس الصيادون الكوستاريكيون الخمسة متجهمين يلتهمون المعكرونة والخضر والرز على متن مركب الصيد الياباني "كيني مارو ١٢٨".

في الايام المئة والاثنين والاربعين منذ عاصفة بونتاريناس انساقوا مع التيار وأبحروا ٥٨٠٠ كليومتر عبر المحيط الهادىء. انه رقم قياسي، فلم يسبق أن انساق احد مع التيار في البحر طوال تلك المدة وبقي حياً. وفي نقطة النجاة كانت "القاهرة ٣" على بعد ١١٠٠ كيلومتر من جنوب شرق هونولولو في جزر هاواي. هناك تركت لتغرق على مهل.

عندما وصل الرجال الى ميناء سان هوزيه في كوستاريكا بعد أسبوع من انقاذهم لاقاهم الاهل والاصدقاء بترحيب مفعم بالصراخ والجلبة. وحين عانق الصيادون أحباءهم سالت الدموع.

أما جويل، فبعدما عاد الى منزله في بونتاريناس تذكر عبارة كتبها لزوجته اديث في احدى افظع لحظات الرحلة: "احمدي الله من أجل الذين يعطونك الحب، لأن الحب هو اعظم ذخر يأخذه امرؤ عند الفراق."

وفكر: وأعظم ذخر يتلقاه عند العودة.

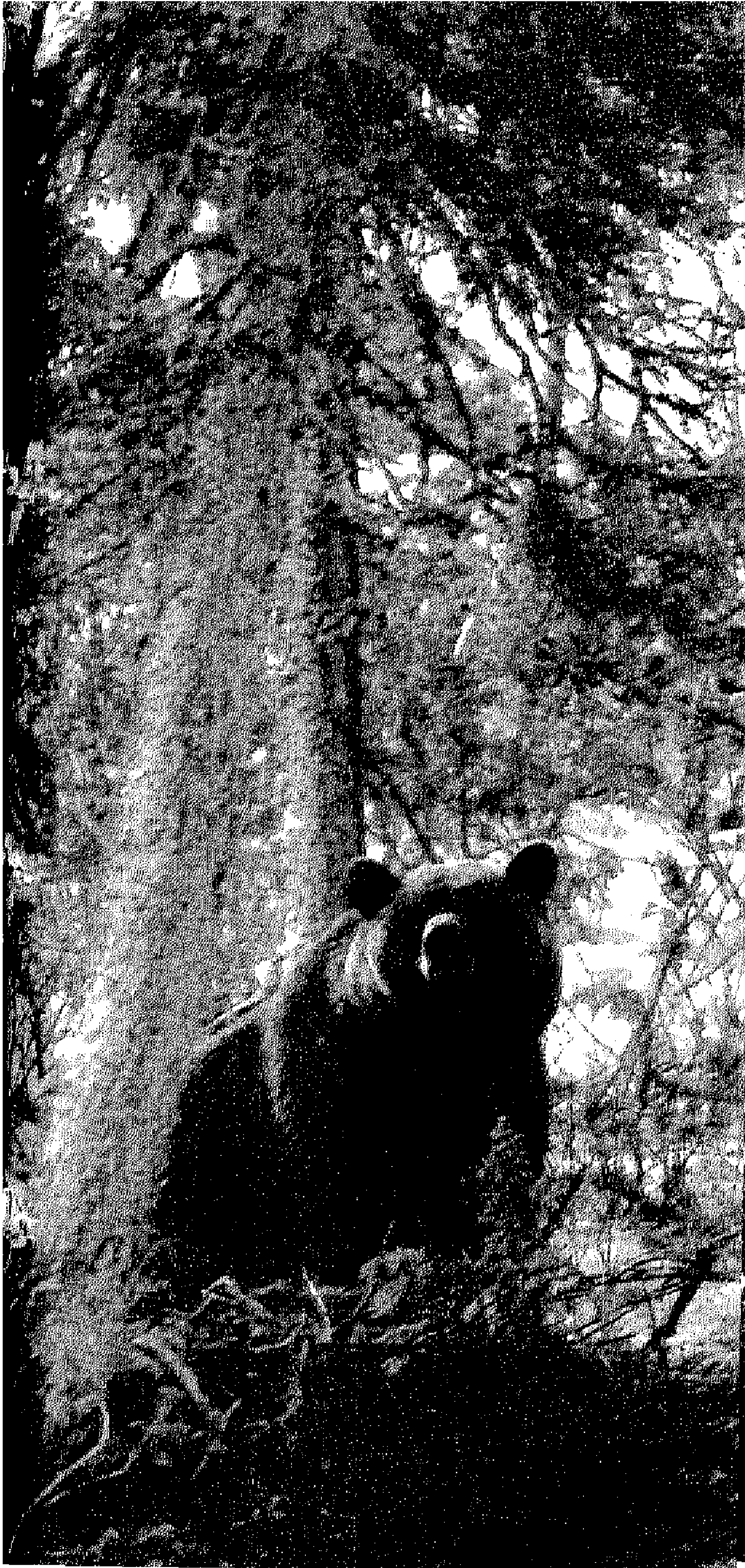
**بيتر مايكلمور** ■

---

الرجل الذي أُقنع خلافاً لارادته يبقى على الرأي نفسه

صامويل باتلر، شاعر بريطاني

# سَيِّد الغابَة



## ظل الدب على مدى العصور موضع إجلال واضطهاد في آن. وفي فنلندا يبسط هذا الوحش المهيب سلطته على الغابات

تسلّقتُ الاغصان الى عرزال للتصوير كنت بنيته على ارتفاع ثلاثة أمتار في شجرة تنّوب في غابة تولبيو. على بعد خمسين متراً وقف دب أشقر كبير على حافة مستنقع وراح يلعق جذع شجرة صنوبر كنت مسحته بالعسل.

بدأ اللعق من أسفل الجذع إلى أعلاه فصار واقفاً على قائمتيه الخلفيتين. ولما لم يعد في وسعه التطاول أكثر توقف عن اللعق وراح يحدق الى آلات التصوير.

هبط واقفاً على قوائمه الاربع وتوجّه ببطء نحو عرزالي مطأطئاً خطمه. ثم أسرع. ولم أدرك أنه يهجم

أحد أضخم الدببة التي التقاها سيبو ساري. كان يحفر في شجرة تنوب بنى فيها النمل قرية. لم ينزعج هذا الدب من حضور ساري، لذا صوّره هذا وهو مرتاح.

Photos: Seppo Saari

عليّ إلا عندما بدأ يعدو. ولمّا تنبّهت الى الخطر المحدّق أبعدت آلات التصوير وصرخت: "قِف! قِف!" وإذا بالدب يتوقف فجأة الى حدّ أن الطحالب تطايرت عن الأشجار. ولم تعد بيننا الا مسافة عشرة أمتار فقلت له: "إذا هجمت فلن أعطيك عسلا." فاستدار الحيوان مغادراً المكان. وكان من حين الى آخر يلقي نظرة نحو الخلف.

حصلت تلك الحادثة في يوليو (تموز) ١٩٨٣. ومنذاك تعلّمت أموراً كثيرة عن الدببة البنية في فنلندا. بالنسبة إلي يظل هذا الكائن الفولكلوري والاسطوري سلطان الغابة، بل الغابة في ذاتها.

ظل سيد الغابة على مدى العصور يحتل مرتبة عالية من التقدير. وأنشدت فيه أشعار وأغان.

ولدى الشعوب القديمة كانت قوة الدب تبقى حتى بعد نفوقه. وقد استعملت بعض أجزاء بدنه، مثل صفرائه وقوائمه، لأعمال الشعوذة. وكانت أمراض الحلق تعالج بشرب ماء أجري تسع مرات في قصبته الهوائية (الرغامى).

غير أن مستوطنات جديدة أنشئت في أحراج فنلندا قبيل القرن التاسع عشر، وغابت في النسيان شعائرُ الصيد ومعتقداته الغابرة، وبالغ الفنلنديون في صيد الدببة وأسرها مما أدى الى انقراض هذه الحيوانات في المناطق الساحلية الجنوبية والجنوبية الغربية، كذلك في منطقة البحيرات ووسط فنلندا.

خلال القرن العشرين تقلّصت مرتبة الدب أكثر فأكثر وبات مثل حشرة مؤذية. وبحلول العام ١٩٦٩ لم يبقَ في فنلندا إلا ١٥٠ دبا. إلا أن المواقف تبدلت مرة أخرى، فحظر في العام ١٩٦٤ صيد الدببة التي تسبت (*) طوال الشتاء. وفي العام التالي طبّقت قوانين تحد من صيد الدببة في الربيع على الدراجات الثلجية، كذلك حُرِّمت طرق الصيد القاسية ومنها استعمال الأقفاص والفخاخ.

ازداد عدد الدببة منذ السبعينات وعادت الى بعض مواطنها السابقة، من أوستروبوثنيا الى شبه جزيرة هنكو، وإن تكن غالبيتها باقية في شمال فنلندا وشرقها. ويقدر عددها بما يراوح بين ٤٠٠ و٥٠٠ دب.

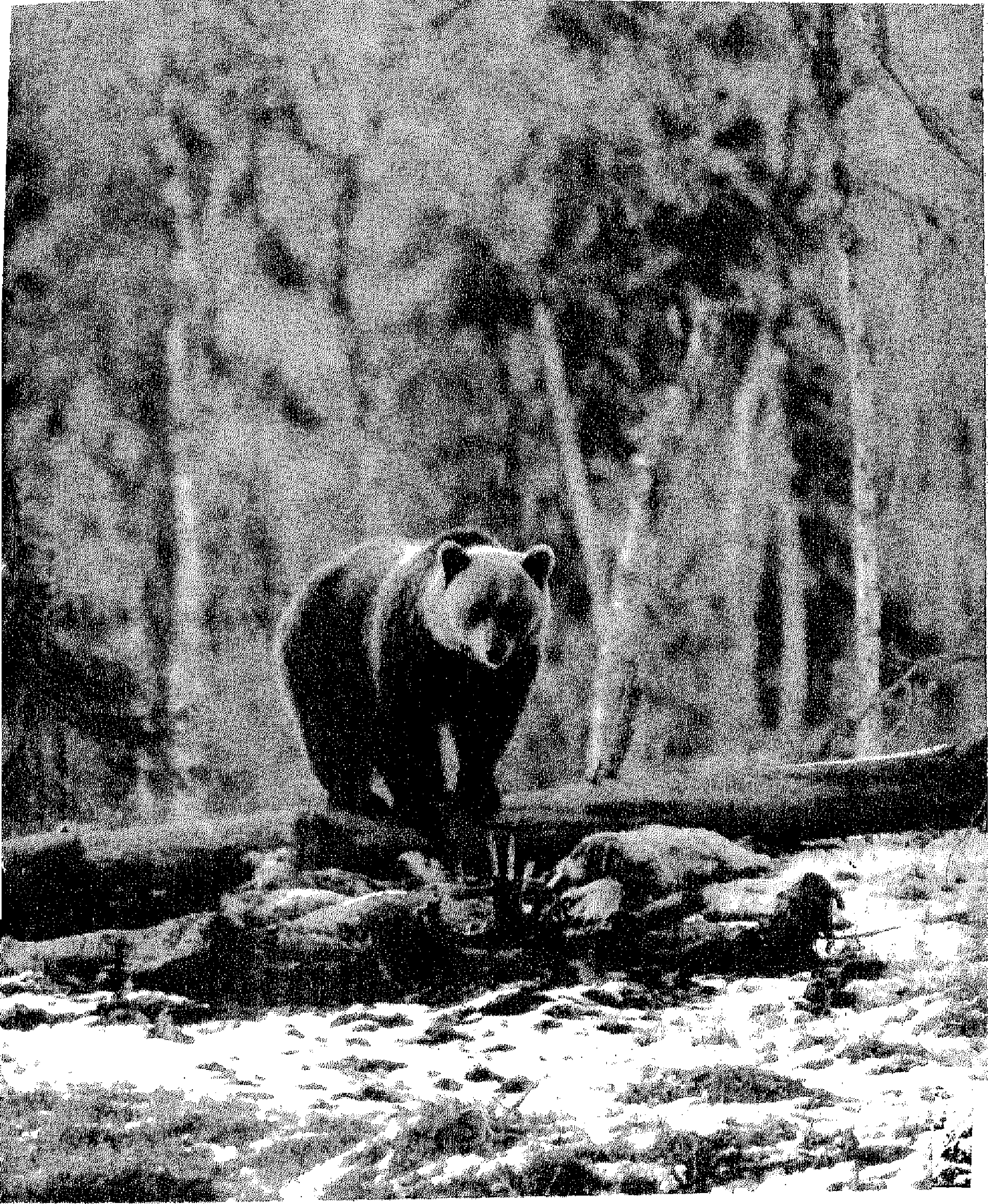
وفي العام ١٩٨٥ كرس الدب حيواناً وطنياً في فنلندا بعد استفتاء أجرته "جمعية الحفاظ على الطبيعة" وصحيفة "هلسنغن سانمات."

**عادات الدب.** يصنَّف الدب البني كأثقل حيوان مفترس في البر الأوروبي. وتزن الدبة نحو مئة كيلوغرام فيما يزن الذكر ٣٥٠ كيلوغراماً أو أكثر. ويعظم حجم الدب بفعل فروه الكثيف النابت من جلده. أما حدبته الظاهرة فمرجعها الى كتلة من الفرو في أعلى ظهره.

يبدو الدب أخرق في حركاته. إلا أن أوصاله الطويلة تمنحه مرونة. فهو يمشي بسرعة هرولة الانسان. لذا، عندما يهجم أو يهرب، لا يلبث تحركه المتثاقل أن يتحول جرياً نشطاً. وتصل سرعته إلى خمسين كيلومتراً في الساعة.

يعتمد الدب على حاستي السمع والشم لديه. فأيّ صوت يختلف عن الأصوات

(*) الاسبات (hibernation) هو نوم الشتاء.

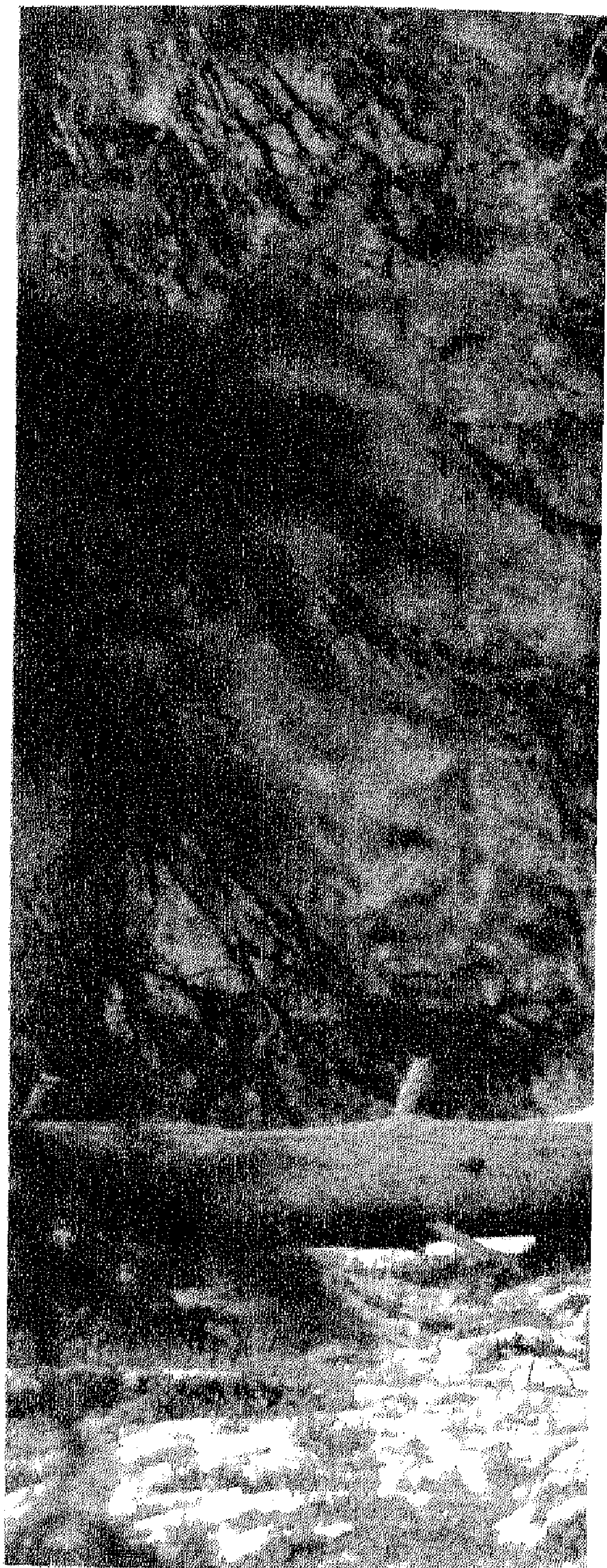


كثيراً ما حمل ساري الآلات الثقيلة
في الأحراج ومكث أياماً في مخبأ مموّه غير متبين
ليلتقط صورة لدب يعثر على جيفة.



أغري الدب برائحة العسل الذي مسحه المصور على جذع الشجرة، فراح يلعق الجذع من أسفله الى أعلاه حتى بات واقفاً على قائمتيه الخلفيتين.







يقدّر عمر هذا "العجوز" بعشرين سنة. وهو أفاق اليوم من نومه الشتائي الطويل وخرج ليروي ظمأه بمياه المستنقع.

الطبيعية ينذره بالخطر. حتى هسيس الزلاجات في البعيد يقلق الدب ويربكه. وحاسة الشم تمكّنه من تحديد مواقع الحيوانات النافقة والعثور على بنات جنسه في فترة التزاوج واكتشاف الوجود البشري حوله.

يختلف غذاء الدب من فصل الى آخر. ففي الربيع، أي بعد استيقاظه من الاسبات الشتائي الطويل، يبحث عن طعام غنيّ بالبروتيين. ويكون النمل عندئذ وجبته المفضلة. إلا أنه لا يلبث أن يبدأ صيد أيائل الموظ والرنة. ومع حلول الصيف يتلذذ الدب، المعروف بحبه الطعام الحلو، بتناول توت العليق البري على أنواعه، وخصوصاً "عنب الدب" وهو النوع المفضل لديه اذ يحتوي على

فيتامينات وهو غني بالسكر. لذا يلتهم الدب كميات كبيرة منه، وتستطيع معدته احتواء عشرة ليترات من عصير هذا العنب في أي وقت. ويضفي العسل نكهة فاخرة على وجبة طعامه.

**ورقة يانصيب.** تشكل الخضر ثلاثة أرباع غذاء الدب على الاقل. لكنه في الخريف يأكل اللحم أيضاً، طازجاً أم فاسداً، وذلك تحضيراً لشتاء يقضيه في وجاره من دون طعام. فالدب القاطن في الشمال مضطر الى النوم خلال الفصل الطويل المظلم. وبما أن تحرّكه صعب في الثلوج فهو يعجز عن افتراس الحيوانات الأخرى، وهي الطعام الوحيد المتوافر آنذاك.

تندر فرص التقاء دب حتى في منطقة تكثر فيها الدببة. عادة يدرك الدب دنو الانسان منه، فيغادر المكان في الوقت المناسب متجنباً المواجهة. لكن الفرصة تسنح أحياناً لدوريات حرس الحدود الشرقية فيشاهدون دببة عن كثب.

حدث مرة أن كان الحارس ليف مولانين يمشي في رفقة زميلين في قطاع اتيلا - سالا. فلاحظوا حيواناً أدكن اللون يتحرك أمامهم ثم يقترب منهم. فتوقّف الرجال وكأنهم سمّروا في الأرض، وهمس ليف لزميليه: "لا بد من أنه موظ."

ثم اقترب الحيوان بسرعة. وفيما هو مندفع اليهم صرخ الرجال معاً: "انه دب! " مما أوقفه على بعد عشرة أمتار. وحدّق اليهم بعينين صفيرتين ثم استدار فجأة وهرول نحو الغابة.

سألت مولانين في ما بعد إن كان خاف من الدب، فأجابني: "كيف أخاف؟ إن رؤية دب لمثل ربح ورقة يانصيب، لا تحصل إلا مرة في الحياة."

**سيبو ساري** ■

---

الكاتب مصوّر شهير للمناظر الطبيعية. صوّر دباً للمرة الاولى عام ١٩٧٩. وكتابه "كارهو" (أي "الدب") الذي نشر عام ١٩٨٦ حصاد خمسة أعوام من مراقبة "سيد الغابة" عن كثب.



## موظف فهيم

من رسالة لمستخدَم في شركة "جنرال موتورز" ضمن مسابقة تجرى للموظفين: "يعتقد مديري أني أملك مقدرة أكبر مما أظن. وهكذا أنا أنجز عملي على نحو أفضل مما كنت أتصور "

م.ح.

---

## فلسفة مشّائية

قال فيلسوف: "السعادة هي السعي الى شيء، لا بلوغه."
فسأله أحد الحاضرين: هل تعقبت يوماً الحافلة الاخيرة في ليلة ممطرة؟"

ل.ر.ل.

قصة قصيرة

نظر الى
عينيها فرآهما
مغرورقتين كعينيه
قال: "أوقعتنا في ورطة
حلوة أخرى"

# سُلّم الغرام

كان يناديها "ستانلي"، وكانت تناديه "أولي".

كانت هي في الخامسة والعشرين وهو في الثانية والثلاثين عندما التقيا في احدى حفلات الاستقبال الصاخبة حيث تساءل الجميع ماذا كانا يفعلان هناك.

في الواقع، كانا يقفزان وسط غابة من الناس يبحثان عن ظل آمن. لكنهما عالقان وسط دهماء متدافعة. زاغا يساراً ويميناً بضع مرات ثم أغرقا في الضحك. وأمسك هو ربطة عنقه وأخذ يداعب بها

وجهها. فتبسمت ورفعت يدها وبعثرت شعرها وطرفت بعينيها كأنما ضربت على رأسها.

صرخ وهو يرى ذلك: "ستان!"

فهتفت: "أولي! أين كنت؟"

صاح بايماءة واسعة بلهاء: "لماذا لا تفعلين شيئا لتساعديني؟"

أمسك كل واحد منهما بذراع الاخر وهو يضحك.

قالت ووجهها يزداد اشراقاً: "أنا... أنا أعرف مكاناً مناسباً يبعد ثلاثة كيلومترات من هنا، حيث حمل لوريل وهاردي ذلك البيانو في العام ١٩٣٢ صعوداً ونزولا مئة واحدى وثلاثين درجة."

صرخ: "حسناً، لنخرج من هنا."

صفق باب سيارته وأدار المحرك. وانطلقا في شوارع لوس انجلس تحت شمس غاربة.

أوقف سيارته حيث أشارت وتمتم: "لا أصدق ما أرى، أتلك هي الدرجات؟"

ترجلت من السيارة وقالت: "هذه هي كل الدرجات المئة والاحدى والثلاثين. تعال يا أولي."

قال: "حسناً جدا، يا ستان."

شخصا الى انحدار الدرجات المتماسكة وقالت هي بصوت هادىء: "اصعد، اصعد."

شرع هو يصعد السلالم، يحصي الدرجات، ومع كل عد مهموس يزداد صوته نبرة من الفرح. وحين بلغ الدرجة السابعة والخمسين ضاع في الوقت.

سمعها تقول من بعيد: "لا تتحرك! إبقَ حيث أنت."

جمد في مكانه والتفت. كانت بين يديها آلة تصوير. ولما رآها امتدت يده غريزياً الى ربطة عنقه وجعل يلوح بها.

صرخت: "الآن دوري أنا." وأسرعت صاعدة لتسلمه آلة التصوير. أما هو فنزل وتطلع الى فوق، وهناك وقفت هي تهز بكتفيها استهجانا ووجهها مرتبك، يائس. اقفل حاجب عدسة التصوير علّها تبقى هناك أبداً.

نزلت الدرج بتأن ورمقت وجهه.

سألته: "لماذا تبكي؟"

نظر الى مقلتيها اللتين كانتا مغرورقتين كمقلتيه وقال: "أوقعتِنا في ورطة حلوة أخرى."

- آه، يا أولي!

"آه، يا ستان!"

قبّلها بلطف.

ثم سألها: "هل سيعرف واحدنا الآخر الى الابد؟"

فردت: "الى الأبد."

## طلب زواج

منذ ذلك الغسق على سلالم البيانو باتت أيامهما طويلة وملأى بالضحك المدهش الذي مهد لغرام عظيم جارف. كانا لا يتوقفان عن الضحك الا لتبادل القبل، ولا يتوقفان عن تبادل القبل الا للضحك.

ذهبا ليشاهدا أفلاماً جديدة وأخرى قديمة، وخصوصاً أفلام ستان وأولي (★). حفظا أفضل المشاهد ورددها عالياً وهما يجولان في سيارتهما منتصف الليل في لوس انجلس.

---

(★) هما ستان لوريل وأوليفر هاردي نجما الأفلام الهزلية الشهيران.

خلال تلك السنة ارتقيا تلك السلالم ونزلاها مرة واحدة على الاقل في الشهر. وكانت لهما نزهات مترعة بالحب. وعلى السلالم اكتشفا شيئا لا يصدق.

قال: "أظن أنهما ثغرانا. لم أعرف أن لي ثغراً حتى رأيتك. مبسمك هو الأعجب في العالم، وهو يشعرني بأن ثغري مدهش أيضاً."

ولكن في نهاية السنة الاولى اكتشفا أمراً لا يصدق أعجب من الاول. عمل هو في وكالة اعلانات مسمَّراً في غرفة. ووظفت هي في وكالة سفر على أن تنقل قريباً للعمل خارج البلاد. أذهلهما أنهما لم يأخذا ذلك في الاعتبار من قبل. وذات ليلة جلسا معاً وأخذ كل منهما ينظر الى الآخر. قالت هي بصوت خافت: "وداعا."

– ماذا؟

"أرى أنّ الوداع آت."

نظر الى وجهها. لم يكن حزيناً مثل وجه ستان في الافلام بل حزيناً كوجهها هي.

قال: "يا ستان، لن تتركيني أبداً."

لكن ذلك كان سؤالا وليس اعلاناً. وفجأة ركعت أمامه. فرنا اليها وقال: "ماذا تفعلين هناك؟"

أجابت: "أيها الغبي، أنا أطلب يدك. تزوجني يا أولي. تعال معي الى فرنسا، أنا أعولك وأنت تكتب روايتك العظيمة."

– ولكن...

"لديك آلتك الكاتبة وكمية من الورق وأنا. قلْها يا أولي، أتأتي؟"

– ونذهب الى الجحيم سنة وندفن قصتنا الى الابد؟

"هل أنت خائف الى هذا الحد يا أولي؟ ألا تثق بي؟ أو بنفسك؟ أو بأي شيء؟ يا الهي، لماذا الرجال جبناء هكذا؟ إسمع، هذا عرضي الوحيد يا أولي. أنا لم أطلب الزواج من قبل، ولن أطلبه أبداً مرة ثانية. ان ذلك مؤلم لركبتي. ماذا قلت؟"

– هل كانت لنا هذه المحادثة من قبل؟

"عشرات المرات في السنة الفائتة، لكنك لم تصغ أبداً، كنت ميؤوساً منك."

– لا، كنت عاشقاً وعاجزاً.

"لديك دقيقة واحدة لتقرر. ستون ثانية." ومضت تحدق الى ساعة يدها.

قال مرتبكاً: "انهضي عن الارض."

فردَّت: "اذا ما فعلت ضاعت محاولتي وانتهى الامر."

تأوه: "ستان!"

نظرت الى ساعتها: "ثلاثون... عشرون... رفعت ركبة واحدة... عشرة... بدأت أرفع الاخرى... خمسة... واحد."

وقفت على قدميها.

قالت: "أنا ماشية نحو الباب. نحن شخصان عجيبان وفريدان يا أولي، ولا أظن أن شبيهين لنا سيأتيان الى هذه الدنيا. ولكن يجب أن أذهب الآن." مدت يدها وأضافت: "يدي على الباب و..."

قال بهدوء: "و..."

قالت: "وأنا أبكي."

همَّ بالنهوض، لكنها هزت برأسها: "لا، لا تفعل. اذا لمستني توقفت. أنا ذاهبة. لكنني سآتي مرة في السنة الى سلالمنا، في الساعة ذاتها كما في تلك الليلة الاولى. واذا ما كنت هناك لتلتقيني فسأخطفك، أو تخطفني."

– ستان!

"يا الهي!"

- ماذا؟

قالت باكية: "هذا الباب ثقيل لا أستطيع زحزحته. آه، انه يتحرك. هه، أنا ذاهبة."

وانغلق الباب وراءها.

## لقاء في الشانزيليزيه

في الرابع من أكتوبر (تشرين الاول) عاد الى السلالم. لكنها لم تكن هناك، ذهب الى هناك في ثلاث سنوات متتالية. ونسي الذهاب سنتين. لكنه في السنة السادسة تذكر وعاد عند الغسق. وصعد السلالم. رأى شيئاً ما في منتصف الطريق، كانت هناك قنينة من الشراب الجيد ربطت بشريط وأرفقت ببطاقة جاء فيها: "أولي، عزيزي أولي. تذكرت التاريخ، ولكن في باريس. الثغر ليس ذاته، لكنه زواج سعيد. لك حبي. ستان."

بعد ذلك لم يذهب لزيارة السلالم.

مرّت خمس عشرة سنة، وكان في رحلة في فرنسا. وفيما هو يتنزه عند الغسق في شارع الشانزيليزيه بباريس مع زوجته وابنتيه لمح سيدة جميلة قادمة من بعيد يرافقها رجل وقور أكبر منها سناً وفتى وسيم أسود الشعر في نحو الثانية عشرة من عمره.

وحين مرت قربه أضاءت وجهيهما ابتسامة واحدة في لحظة واحدة.

لوّح لها بربطة عنقه.

ونثرت شعرها في اتجاهه.

لم يقفا. لكنه سمعها تقول خلفه: "أوقعتنا في ورطة حلوة أخرى." ثم أضافت الاسم القديم المألوف الذي كان له في سني حبهما.

تطلعت اليه ابنتاه وزوجته، وسألته احدى الفتاتين: "هل دعتك هذه السيدة "أولي"؟"

قال: "أي سيدة؟"

فهمست الفتاة الاخرى وهي تستند اليه وترمق وجهه: "يا أبي، أنت تبكي!"

- لا

"بلى، أنت تبكي، أليس كذلك يا أماه؟"

فردّت زوجته: "أبوكما، كما تعرفان، يبكي اذا قرأ دليل الهاتف."

قال: "لا، أنا أبكي على مئة واحدى وثلاثين درجة، وبيانو. ذكّراني يا ابنتي كي أريكما اياها يوماً."

تابعت الأم والبنتان السير، أما هو فالتفت الى الوراء. وفي اللحظة ذاتها التفتت المرأة. خال فاها يومىء كلمات: "وداعا يا أولي." وأحس شفتيه تتحركان بصمت: "وداعاً يا ستان."

وسارا في اتجاهين متعاكسين في الشانزيليزيه مع مغيب شمس أكتوبر.

راي برادبري ■

## عندما نحب...

... "الثرثار" يصير "عشيراً أنيساً."

... "الصعب الارضاء" يغدو "ناشداً الكمال."

... "المتحفظ" يصبح "مصغياً متفهماً."

م.م.

# تأملات معاصرة

## الموافقة واللامبالاة

يمزج بعض الناس بين الموافقة واللامبالاة، مع ان الفرق بينهما واسع وسع الكون. فاللامبالاة تفشل في التمييز بين ما يمكن وما لا يمكن ان يُساعد، بينما الموافقة تُقيم هذا التمييز. واللامبالاة تشل ارادة العمل، اما الموافقة فتحرِّرها بتخليصها من اعباء مستحيلة.

آرثور غوردون

## ربَّ ضارة نافعة

معظم السجاد الشرقي الممتاز والاكثر روعة في العالم يأتي من قرى صغيرة في الشرق الاوسط. فكل سجادة حيكت بيد طاقم من الرجال والصبيان يعملون بامرة معلم حياكة. ومع أنهم يعملون عادة من الجانب السفلي للسجادة المنبسطة فوق النول، فيحدث غالبا أن يسهو المعلم فيرتكب خطأ بإدخاله لوناً لا ينسجم مع النموذج. وعندما يحدث ذلك لا يعمد معلّم النول الى كر الجزء المنسوج خطأ بل يعمد الى ايجاد طريقة ما تدخل الخطأ بانسجام في النموذج الكلي.

إنها لامثولة نافعة نستطيع جميعنا أن نتعلم منها كيف نعالج ما يطرأ علينا من صعوبات وأخطاء بتكييفها لمصلحتنا ضمن النمط الاوسع لحياتنا. ففي معظم الصعوبات تكمن فائدة.

نورمن فنسنت بيل

## الانسان، هذا العاجز

ليست للعقل البشري طاقة على استنباط قيم جديدة الا بمقدار ما له قدرة على تصوّر لون أساسي جديد أو حتى إبداع شمس جديدة تتحرك في سماء جديدة.

ك.س. لويس، كاتب ايرلندي الاصل

## الضحك

لا استطيع تصوّر منزل من دون ضحك ولا اتخيَّل عالما خلوا من الظرف. لا ضحكة خافتة فيه ولا قهقهة. فالضحك في منزلنا هو نبض قلبه. وهو الوقود للحرارة التي نتشاطرها، والشرارة للضوء الذي نثيره. الضحك يهدينا ويعجننا واحيانا يساعدنا على التخلّص من العذابات والمحن.

بوب تالبرت

# من فوق تنزل الحكمة!

سيرة رجل أحب العلم فكرس له حياته



طوال صباح هادىء حاول الشيخ بصعوبة أن يفهم لماذا قلب له الدهر ظهر المجن. فكر في كل شيء يعرفه لعله يجد ما يفسر له ما حدث. ثم نظر الى حذائه وقال: "إني أحمل على عاتقي عبئاً ثقيلا."

ادي لوفيت (٧٣ سنة) مزارع بسيط جمع مكتبة من ٤٠ ألف كتاب في عقاره قرب بانكس بولاية أركنسا. لم تتعدَّ دراسته المرحلة الابتدائية، لكنه لا يرى ضيراً في ذلك ويؤكد: "أنا رجل علّامة." وهذه حقيقة وليست تباهياً. فالرجل عصامي، يعرف فلسفة أرسطو ويعرف أن كتاب "الجمال المذهل"(١) من تأليف تاجر رقيق سابق.

ولانه غير قادر على تلقيب نفسه "دكتوراً"، وهو لقب يحمله من هم أقل

(١) Amazing Grace

منه إلماماً بالمعارف المتنوّعة، يكتفي بتوقيع اسمه هكذا: "ادي لوفيت، متعدد جوانب الثقافة"(٢).

يثني ادي على والده الذي كان محاصصاً(٣) مثله مثل معظم الزنوج في جنوب أركنسا عام ١٩٠٠. لكنه حرص على أن يحتذي أولاده تقليد العائلة: التعلّم.

يتذكر ادي: "لم يكن أبي يريدنا أن نتسكع أو نلعب بالكلة أو نتراشق بالحجار مثل الاولاد الآخرين.

وعندما كان يعود من عمله في الحقول مساء كان يتلو صفحات من كتب خالدة. وكان يعلمنا القاء القصائد."

**رجل على القمر.** تعلم ادي القراءة في سنه الرابعة. وفي السابعة نكش الارض وعشّب القطن من الفجر الى المساء. وكان متوسط تعلّمه في المدرسة ثلاثة أشهر في السنة، لكنها مدة نمّت فيه توقاً الى الكتب.

في العام ١٩٣٢ لم يستطع اكمال الصف الابتدائي السادس بسبب وفاة والده. فصار بعد جني الغلال يعمل أجيراً في رزم التبن وشق خطوط السكك الحديد في مقابل ٥٠ سنتاً أو دولار يومياً. لكن ذلك لم يكن كافياً للعيش وشراء الكتب في آن.

عندما بلغ إدي الثامنة عشرة قرأ اعلاناً في مجلة عن كتاب في الرياضيات(٤) يتناول مسائل حسابية ذات علاقة بالمزارع: كم طناً من التبن في الكُدس؟ كيف تحسب المقادير في رأسك؟ وكان يكسب ٣،٦٠ دولارات في الاسبوع. فأغمض عينيه وطلب الكتاب.

يوم الكتاب لا يُنسى، لانه يوم وقع ادي في حب القراءة. كان يرفع الوحل من قاع بركة عندما صاح ساعي البريد: "هذا طرد لك، يدفع ثمنه عند التسليم." ركض ادي وسلم الساعي أكثر من نصف أجره الاسبوعي. وكانت ثخانة الكتاب حوالى ثلاثة سنتيمترات، وكان غلافه من الجلد المدبوغ.

تلك الليلة أمسك ادي الكتاب بيديه الاثنتين، وببطء كتب داخله بالحبر الأحمر: "٨ سبتمبر (أيلول) ١٩٣٤."

استمر ادي يعمل للآخرين في أوقات فراغه. كان يحرث الارض ١٤ ساعة يومياً فيكسب ١٠ دولارات فوق معاشه الشهري. وابتاع كتاباً آخر: "علم الفلك للهواة"(٥). يخبر الكتاب الناس أن الانسان سوف يسير يوماً على القمر. فيضحكون. وعند الظهر، فيما عمال الحقل الآخرون يأكلون ويتحدثون تحت شجرة ظليلة، كان إدي يقرأ.

في الوقت المناسب اشترى إدي بالتقسيط مجموعة من ثمانية كتب مجلّدة، بينها مجلدات عن التاريخ المعاصر والتاريخ القديم وأفلاطون وأرسطو.

بعد دورتين تجنيديتين في سلاح الهندسة خلال الحرب العالمية الثانية عاد إدي الى أركنسا. تزوج نلسي لي جونز وكان لها ولد ابن سنتين يُدعى رالف.

(٢) Eddie Lovett, Polyhistor

(٣) المحاصص مزارع يستغل الارض لمصلحة المالك في مقابل حصة من المحصول.

(٤) Ropp's Commercial Calculator

(٥) Astronomy for Amateurs

فأنجبت لادي أربعة أولاد أطلق عليهم الاب أسماء مستوحاة من كتبه: جوانا، اسم احدى النسوة اللواتي قصدن قبر عيسى بن مريم عليه السلام، وإنيما، من وحي الفيلسوف الالماني نيتشه، ويوري، تكريماً لرائد الفضاء السوفييتي يوري غاغارين، وسوفوكلس، تيمناً بالكاتب المسرحي الاغريقي القديم.

**"هنا تقطن السعادة."** خلال الحرب الكورية (١٩٥٠ - ١٩٥٣) خدم إدي في أوروبا دورة أخرى في الجيش وشحن معه ٥٠ كتاباً. وفي المساء كان يحلو له الذهاب الى المرحاض، حيث تظل الانوار مضاءة، ليقرأ حتى الثانية والنصف بعد منتصف الليل. وفي اجازاته كان يزور فضلى مكتبات أوروبا.

حصل إدي في تلك السنوات على عدد لافت من الكتب: "الكوميديا الإلهية" لدانتي، أعمال شكسبير الكاملة في ٤٠ مجلداً، "قصة الحضارة" من تأليف ويل وآرييل ديورانت "تاريخ انحطاط الامبراطورية الرومانية وسقوطها" لغيبون، وكل كتابات الرئيس الامريكي الراحل توماس جفرسون بما فيها نسخة عن مخطوطة اعلان الاستقلال. وبلغ العدد الكلي لكتب إدي آنذاك أكثر من ألفي مجلد، كان يكدسها على الرفوف والطاولات وعلى أرض منزله المسقوف بالصفيح (التنك) خارج بانكس.

ثم انتاب إدي حنين آخر. قال: "سأبدأ بناء مكتبتي الخاصة."

ابتاع بناء مهجوراً بأربعين دولاراً وهدمه وشكّل من ألواحه الخشبية كوخاً طوله ثمانية أمتار وعرضه أربعة أمتار، وغطاه بصفائح معدنية وجهزه بموقد حطب وبصفوف من الرفوف الخشبية.

دعاه "مكتبة هيبوكرين" تيمناً بنبع هيبوكرين الذي تزعم الاساطير اليونانية أن الحصان المجنح "بيغاسوس" حفره بضرب حافره بالارض فكُرِّس للشقيقات التسع اللواتي يحمين الغناء والشعر والفنون والعلوم. وبعدما رتّب كتبه وفق نظام "ديوي العشري" كتب بخط يده لافتة باللاتينية تقول: "هنا تقطن السعادة"(٦).

**التربية النوعية.** في العام ١٩٦٣ توفيت زوجة إدي تاركة له خمسة أطفال دون الثانية عشرة. فباع سيارته ليدفع الفواتير الطبية واشتغل بالزراعة. ولم يكن الناس يرونه الا عندما يأتي الى المدينة ليقبض معاشه التقاعدي كمجند وحوالات الانعاش الاجتماعي بصفته عاطلا عن العمل.

وفي ١٩٦٥، عندما بلغ ابنه سوفوكلس السن السادسة، صدرت أوامر المحكمة الاتحادية العليا الى المدارس باتباع سياسة الدمج العنصري. فقدم إدي طلباً للسماح لاولاده بأن يغادروا مدرسة الزنوج في المقاطعة. كتب في الطلب: "هل تعتقدون أن ولداً يستطيع الحصول على تربية نوعية في مدرسة من أدنى المستويات؟" وهكذا كان اليوم الاول لدخول سوفوكلس المدرسة، مع أخته جوانا في الصف الابتدائي الثالث، يوماً فاصلا وضع حداً للعزل العرقي في مدرسة

(٦) Hic Habitat Felicitas

البيض في هرميتاج على بعد ١٩ كيلومتراً.

يستعيد إدي ذكريات تلك الحقبة: "كنت أحضِّر حمام المياه الساخنة قبل أن يستيقظ الاولاد. وقبل ذهابهم الى المدرسة كنت أسمّع لهم أمثولاتهم. لم يتركوا المنزل مرة من دون أن ينهوا دروسهم. كنت أسهر على ذلك.".

وعند عودتهم الى البيت يكون العشاء جاهزاً. "ثم أدعوهم الى الانغماس في دروسهم. ولم أقتنِ جهاز تلفاز في بيتي."

كتب إدي رسائل الى رئيس تحرير صحيفة "ايفل ديموكرات" في مدينة وارن، فكان هذا ينشر عدداً كبيراً منها الى حد أنه، في وليمة لغرفة التجارة، قدّم بصفته "ناشر لوفيت." وراوحت مواضيع إدي بين ضروب الحيوان ورؤساء الولايات المتحدة ومنشأ احتفالات الاعياد. وتقول فيرجينيا كوتبرتسون القيمة على مكتبة مدينة وارن: "كانت رسائله ساحرة."

وأعطى تشارلز كورالت، مذيع نشرة الاخبار المسائية في محطة «CBS»، لمحة عن انجازات إدي. فشعر ادي بالرضى. وكان يرحب بالناس الذين يزورون مكتبته. ولكن عندما تطلب منه جامعات أن يحاضر فيها، عارضة عليه شهادات شرفية، يرفض بتهذيب قائلا: "سأبقى في المنزل مع أهل بيتي." وهو قال لكورالت: "أنا أحيا من أجل أولادي."

والاولاد يجلّون في دروسهم. وقد لازم اسم إنيما لائحة الشرف لتجميعها أعلى العلامات، وهي نالت شهادة بكالوريوس وتزوجت ضابطاً في البحرية وأنجبت صبيين. وكذلك تميزت جوانا بعلاماتها العالية واستحقت أن تكون المتكلمة باسم دورتها في حفلة التخرُّج، ونالت شهادة بكالوريوس وتزوجت نقيباً في الجيش ولها ابن وبنت. ولم يكن رالف ويوري في مستوى أختيهما، لكنهما أفلحا في دروسهما. وذهب رالف ليعمل في شركة أخشاب والتحق يوري بسلاح الجو.

أما سوفوكلس فكان "جيداً في دروسه" لكنه متمرد نوعاً ما. تقول مادج بورك، معلمته في الصف الابتدائي السادس: "كان عنيداً بطبعه." وتتذكر عندما قرع الارض بحذائه: "أخذ يطرق أرض القاعة بقدمه متعمداً احداث قرقعة. قلت له: لا يحق لك ان تفعل ذلك. فأجاب: عجباً! أريد أن أفعل ذلك. فبدأت أكتب مذكرة الى السيد لوفيت. عندئذ قال سوفوكلس: كفى، لن أسبب لك مشاكل بعد الآن. وانتهى الضرب على البلاط."

**المكتبة تحترق.** بزغ فجر ٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٥ بارداً. ملأ إدي خزان الموقد في المكتبة وعاد الى البيت. وما ان وصل وألقى نظرة عجلى من الباب حتى شاهد دخاناً.

لقد عصفت الشرارات في مفاصل المدخنة ودخلت علّية المكتبة. يقول إدي: "لم يستغرق الامر وقتاً طويلا. فألواح الخشب قديمة وسريعة الالتهاب." ركضت جوانا داخل البناء الملتهب وعادت ببضع صور وبآلة حاسبة. وحاول الآخرون أن يخلصوا أشياء أخرى. فصاح إدي: "لا، لا، السقف يسقط، دعوه يشتعل يا أولاد."

ويضيف: "في سريرتي كنت أبكي."
كانت مكتبة هيبوكرين نمت مع السنين حتى حوت ٤٠٠٠ كتاب. فالتهمت النار كل شيء.

ذكر تشارلز كورالت الحريق في نشرة الاخبار. فأرسل الناس كتباً ومالا. ووصلت الى إدي شاحنات ضخمة أفرغت ألوف المجلدات. وقد حملت احداها ٣٠ ألف كتاب من ميلووكي، حيث جمع فريق متطوع كل كتاب استطاع ايجاده. وفي مكان "هيبوكرين" بدأ إدي يبني مكتبة "الفينيق"(٧). يقول: "تشبه مكتبتي طائر الفينيق، فسوف تنهض من الرماد."

هنالك كتب فقدت الى الابد. لكن الكتب التي تلقاها إدي كانت مذهلة: مجموعات جديدة من مؤلفات شكسبير وغيبون وديورانت وسواهم كثير. لقد أرسلت اليه أعداد من الكتب بلغت ٤٠ ألفاً وتتعدى طاقة مكتبته على الاستيعاب. فبنى منزلا جديداً من الآجرّ وخصص بيته القديم كلياً للكتب. واليوم لم يعد لديه مكان لاستقبال كتب جديدة.

**الابن العاق.** في ٢٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥ قبضت الشرطة على سوفوكلس. كان أعطى ثلاثة شيكات بلا رصيد. يقول إدي: "أعطى شيكاً بخمسين دولاراً لمحطة وقود ملأ منها خزان سيارته بقيمة ١٣ دولاراً، فرد له عامل المحطة البقية نقداً." وأقر سوفوكلس بذنبه وقضى في السجن ١١٣ يوماً.

يقول إدي: "هذا آذاني كثيراً. فقد سمعت الناس يتساءلون: تباً! لماذا فعل سوفوكلس ذلك؟ وسألتُه فقال: فعلته وكفى. آه، انها مصيبة لا بد من مواجهتها."

أطلق سوفوكلس وتخرج في المدرسة الثانوية عام ١٩٧٧. وفي ٦ يونيو (حزيران) ١٩٧٨ اتهم بمحاولة سلب. دانه المحلّفون وغرّموه ٥٠٠ دولار. فحز الالم في صدر إدي أكثر من المرة الماضية.

في ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٧٩ سرق سوفوكلس حوالتين وقبض قيمتهما: واحدة بقيمة ٧١٨،٤٤ دولاراً والأخرى بـ٥٠٤،٨٣ دولارات.

حاول سوفوكلس أن يدعي الجنون، لكن محللا نفسياً قرر أنه "خال من الذهانات." وهو وقف قرب والده مقيداً لدى مثوله أمام القاضي. وحُكم عليه بالسجن عشر سنين. ودفع إدي قيمة الحوالتين ورهن بيته ليدفع للمحامي.

أطلق سوفوكلس بعد ثلاث سنوات في مقابل عهد بألا يحاول الهرب. وعمل ميكانيكياً في سيغوفيل بولاية تكساس. وخطب بربارة سوهاريس، وفي صيف ١٩٨٧ تركته ورجعت الى أركنسا.

في ٢٩ أغسطس (آب) عاد سوفوكلس لزيارة بربارة. أمضيا الصباح معاً. ووفق شهادة ابن اخت بربارة البالغ من العمر ثماني سنوات، جرّها سوفوكلس الى سيارته. وسمعها الصبي تزعق: "النجدة! النجدة!" ثم سُمعت طلقة نارية. وفي ما بعد شهد سوفوكلس أن بربارة أخذت مسدسه وأطلقت رصاصة خارج النافذة.

(٧) The Phoenix Library

خلاصة القول أن سوفوكلس انطلق بسيارته مع برباره، ويقول أفراد عائلتها انهم لم يروها بعد ذلك قط.

بعد اثني عشرٍ يوماً أُوقِف سوفوكلس في سيغوفيل. اتهم بالخطف فأعيد الى السجن. وعلى رغم أن حال إدي المالية لم تكن حسنة فأنه تعاقد مع أفضل محام وجده.

دان المحلَّفون سوفوكلس، ليس بالخطف بل بتهمة أقل هي "حبس الحرية." فحُكم عليه بالحد الادنى: ست سنوات سجناً.

وعلى رغم ارتياح إدي الى أن الحكم لم يكن أقسى فقد جرح مشاعره أن الشهادة ألمعت مراراً الى المخدرات والتهتك. ومع أن البينات لم تثبت القتل فقد وردت التهمة ضمناً.

ويندب إدي حظه: "إنها وصمة عار في عائلتي، أليس كذلك؟ نعم، وصمة عار.".

**"كُنْ نفسك!"** تتجه الشمس صوب آفاق المغيب فيما يتكلم الرجل الكهل بهدوء في غرفة الجلوس. يقول: "علّمت أولادي هنا، قرب نار هذا الموقد، كي يكونوا مواطنين نافعين، صالحين، محتشمين، مطيعين للقانون."

فما الذي حصل؟ اين الخطأ؟ لماذا، على رغم الحب والارشاد العظيمين اللذين أحاطهم بهما، هنالك واحد من أولاده في سجن الولاية؟

كان من شأن معاناة كهذه أن تحول إدي رجلا مشككاً في نفسه وفي ما يعرفه وتسبب له كرباً عميقاً. لكنه، في إكماله البحث الذي بدأه طفلا في رعاية والده، لا يزال يلتمس الاجوبة.

يستعيد إدي قصة منسوبة الى أرسطو. فقد قال لتلميذه الاسكندر المقدوني: "أنت على وشك مباشرة مهمة عظيمة ستقودك الى أراض كثيرة. ولكن أينما قادك انتصارك فلا تنسَ أنك يوناني."

وتابع أرسطو: "كن نفسك، ولا تدع المعرفة تسبب خرابك." لكن الاسكندر لم يبالِ. هو، رجل المعرفة، ظن انه يعرف أكثر من رجل الحكمة، فتاق الى فتح العالم. ولم يُفلح.

ينظر إدي الى يديه الخشنتين ويقول متأملا: "لعل مشكلة سوفوكلس أنه تلقن العلم وفاتته الحكمة. ظن أنه يستطيع الاثراء بسرعة. لكن الحكمة هي التي لا تدع الناس يخطون خطوتهم الثانية قبل الاولى. وهي تتضمن ادراك المرء أن ثمة أموراً لا يسعه فعلها."

ويضيف إدي: "لا بد من أن يكون سوفوكلس الاغريقي فهم هذه الحقيقة عندما كتب: لا سعادة حيث لا حكمة."

من أين تأتي الحكمة؟

يجيب إدي: "لا نحصلُ على الحكمة من الكتب. لا، لا، انها تأتي... من فوق. من فوق تنزل الحكمة."

ريتشارد ميير ■

---

مهما تبلغ من العمر عتياً، يبقَ أمامك وقت لكي تكبر.

ش.ك.

كتاب الشهر

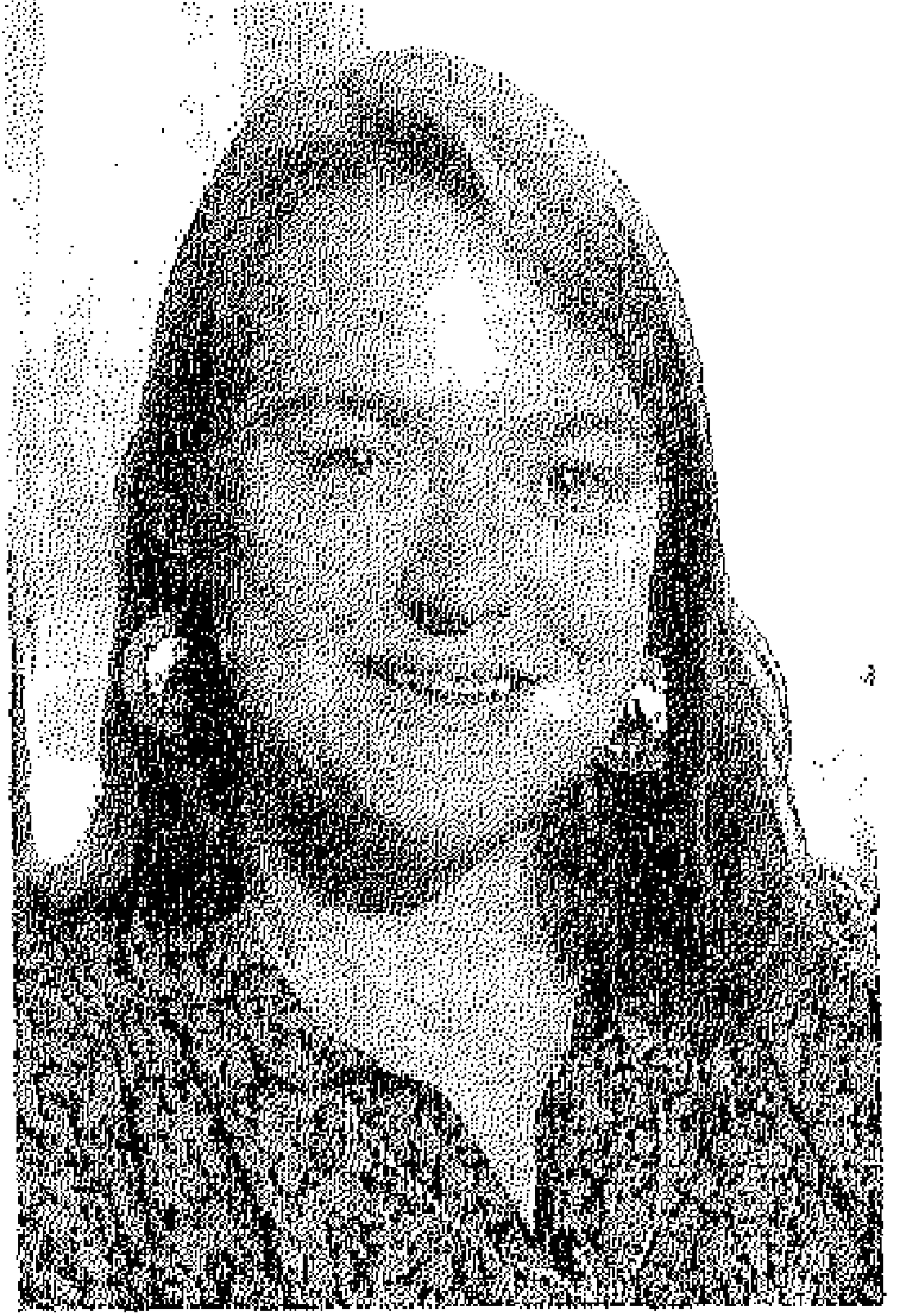
# قصتي مع السكري

هواجس مريضة حاول "الوحش" افتراسها

بقلم تيريزا ماكلين



# قصتي مع السكري



ولدت في ٥ ابريل (نيسان) ١٩٥١.
ومنذ الحادية والعشرين من عمري
وأنا مصابة بداء السكري. واليكم قصتي
التي تبين حال من يبتلي بهذا الداء، وما فعله فيَّ، آملة أن تساعد هذه المعلومات أناساً آخرين أصيبوا به أو يعيشون مع شخص مصاب. ذلك بأن هذا المرض، الذي ابتُليت بنوع منه حادّ ومتقلب، أعطاني أكثر مما أخذ مني.

وأكره التفكير في أني قد أُقلق قارئاً أصيب حديثاً بالسكري من خلال سرد حوادث وصدمات لا يرجح أن تقع له.
ان كثيراً من الاختبارات التي أشرحها هو خاص بي،
لأن لدي، ككل مصاب، أعراضاً فردية ونموذجية على السواء.
وبحسب تجربتي، ليس للسكري التأثير ذاته في شخصين،
وهو لا يؤثر طويلا في الشخص الواحد على نحو واحد، لانه في تغيير دائم. والامر الثابت حضوره الدائم في حياتي، وهو حضور أتاح لي فرصاً واختبارات لم أكن لاحلم بها، منها مخيف ومنها مضحك ومنها رائع لم يكن في الحسبان.

Condensed from «Metal Jam,» © 1985 by Teresa McLean,
Published by Hodder and Stoughton, London, England. Photos: Ian Bradshaw

كانت فترة دراستي في جامعة أكسفورد مرحاً دائماً. وتخرجت بشهادة في التاريخ. وقد أحسست حاجة ملحة الى مساعدة الناس الذين لم يحظوا بحياة مريحة ممتعة خالية من الهم، كالتي عشتها.

كتبت الى الأم تيريزا ملتمسة أن أساعد "أخوات المحبة" في الهند. في هذه الايام ينتظر كثيرون دورهم للخدمة مع الاخوات تنقية لضمائرهم. انما في العام ١٩٧٢ لم يكن علي سوى ارسال كتاب بطلبي، وأتاني الجواب بقبولي.

بعيد وصولي الى الهند أصبت بالزحار الاميبي (١) الذي لازمني ستة أشهر تملكتني خلالها رغبة جامحة في الشرب، فكنت أشرب السائل الاقرب الى متناولي: زجاجات ليموناضة وماءً عكراً وأكواباً لا حصر لها من الشاي. وكنت أبوّل باستمرار، نحو عشر مرات في النهار وأربع مرات في الليل. وهبط وزني بحدة فخسرت ١٩ كيلوغراماً. وانتابني عياء شديد افقدني الراحة. عندئذ أقنعتني الأخوات بالرجوع الى الوطن.

لدى استقبالي في مطار غاتويك بلندن لم تعرفني والدتي، اذ اني غادرت الى الهند وأنا ممتلئة الجسم ورجعت نحيفة غائرة العينين منهكة. واشتد الالم في صدري في ليلتي الاولى في البيت، الى حد اني استيقظت شبه عاجزة عن التنفس. فاستدعت والدتي الطبيب الذي شخص دائي بذات الجنب (٢) وأرسلني الى المستشفى في سيارة إسعاف.

وفي المستشفى طلب الطبيب المعالج عيّنة من بولي. ولدى فحصها تبين أنها غنية بالسكّر. وسألني اذا كان جلدي جافاً، فأجبت بنعم. فعزا هذه الاعراض وكل اضطراباتي الأخرى الى مرض الزحار. وأحار كيف فاتني إدراك أني مصابة بالسكري، وكيف فاتت هذه المعرفة الطبيب أيضاً. ولكن ما أعلمه هو أني غادرت المستشفى لأواجه أربعة أشهر مخيفة.

كنت أعاني ارهاقاً عميقاً، فأفيق صباحاً وبي كره لليوم الذي ينتظرني. كنت أعيش خدراً ووحشة وكآبة استنزفت قدرتي وأخمدت فيّ كل أمل بالتمتع بالحياة.

وكان لي صديق يدعى مايكل لا يستسيغ رؤيتي بائسة محطمة، وهو ايرلندي رائع به نهم دائم للحياة. وقد أسبغ عليه الله نعمه فكان يملك سيارة ومنزلا في احدى ضواحي لندن ومالا ينفقه بلا حساب. ولم يكن لديه وقت لتفاهات كالمرض. وكان، مثل الجميع، يعزو ما حلّ بي من هزال وانحطاط الى فترة اقامتي في الهند.

أعلن مايكل أنني، كبطارية، أحتاج الى تعبئة فأتجدد ويسير كل شيء على ما يرام. فاتصلت بوكالة توظيف في لندن لتتدبر لي أي عمل موقت، في الكتابة أو التنظيف أو توزيع الرسائل او تسليم البضائع. وساعدني مايكل على الانتقال الى غرفة في البيت تصلح للنوم والجلوس.

---

(1) Amoebic dysentery

(٢) Pleurisy

ولم يكن يتصور أن هناك علة أسهل علاجاً من الظمأ. لذلك كنا نطوف على المقاهي الايرلندية في لندن بغية ارواء ظمأنا. وكلما زاد انحطاطي كثّف برنامجه في الشرب. وأنا محظوظة لبقائي على قيد الحياة بعد خضوعي لعلاجه.

كنت دوماً صحيحة معافاة، فلم يخطر لي أنني مصابة بعلة خطيرة. ولدى سؤالي طبيب والديَّ عن سبب انقطاع حيضي (الحيض غير المنتظم شائع لدى المصابات بالسكّري) قال ان لا اهمية للأمر. ولكن من أجل اراحة فكري أحالني على اختصاصي في لندن. فأخبرني هذا أنني في حال حسنة على رغم نحافتي، ونصحني "بمآكل مسمِّنة." ثم نظر الى رسغي قدميّ وسألني عن سبب تورمهما. فأجبته انني لا أعرف السبب. فطلب مني أن أرفعهما أعلى من رأسي عند الجلوس.

بعد الانتهاء من عملي كنت أجلس وقدماي مرفوعتان على رافدة النافذة، وألتهم كل أنواع الحلوى بطاعة انتحارية، وتهالكت لفترة أسبوعين آخرين محاولة بعث النشاط في كياني المتهدّم. وأخيراً، ذات مساء، رأيت بالقرب من محطة لحافلات النقل لافتة معدنية على باب تعلن أن هناك عيادة لمجموعة جراحين. ولسبب لن أعرفه أبدا دخلت من دون موعد، ولم يكن لي أي سجل في العيادة. لكن طبيبة هناك شاهدتني، وكانت ايطالية.

فحصت رسغيّ اللذين كانا لا يزالان متورمين، ثم أجرت فحصاً للبول فوجدت معدل السكّر فيه مرتفعاً. فكتبت تقريراً على الفور وطلبت مني تسليمه بأسرع ما يمكن الى عيادة خارجية بالقرب من مستشفى وستمنستر.

فقلت لها: "سأسلّم التقرير في الاسبوع المقبل لانني فتاة عاملة." فهزّت رأسها وألحّت: "أتركي كل شيء وخذي التقرير في الصباح."

## جبه الحقائق

كان في العيادة طبيب اسكوتلندي شاب بهي الطلعة يشوبه نوع من الجمود المطبق. طرح علي أسئلة عن سلسلة من الاعراض بما فيها وخز كوخز الابر. فأكدت له أنها تنتابني جميعها.

قال: "لا يخامرني أدنى شك في أنك مصابة بداء السكّري، وأرى ان تقيمي بضعة أيام في المستشفى ريثما نجلو علتك الحقيقية."

شكرته وسألته هل يمكنني تأجيل ذلك الى الاسبوع التالي، فابتسم وقال: "لن أدعك تصعدين الدرج بمفردك، حتى الى غرفتك. سأستدعي ممرضة لتعتني بك."

فأطبقت عيني شعوراً مني بالارتياح لأن هناك أخيراً سبباً جوهرياً للانحطاط الشديد الذي يلازمني. وها أنا أستحق، طبياً، أن أكون متعبة.

كان فريد المصاب الوحيد بالسكري الذي عرفته، وهو ابن الحدائقي في مدرسة بمقاطعة ساري حيث تعلّمت. كان يزور والده في أيام الاحاد ويبتسم دائماً ويبدو كأنه عنوان الصحة والعافية.

فحصني الدكتور جايمس بدقة. وكان من جيل الاطباء الجدد، ذكيا وسريعا. قال انّ انتفاخ رسغيّ يعود الى ترسب الماء، وذلك عارض جانبي لداء السكّري. فأعطاني مدرّات للبول لم ترحني أبداً لأنها زادت حاجتي الى التبويل، لكن رسغيّ عادا الى طبيعتهما في غضون بضعة أسابيع.

وزودني الدكتور جايمس كتيباً عن مرض السكّري، يفيد أن المعدة تحوّل الكربوهيدرات (السكر والنشويات) سكراً في الدم. وفي الجسم الطبيعي يتحول هذا السكر طاقة بواسطة هرمون الانسولين الذي يفرزه البانكرياس. والبانكرياس غدة ذات صفرة باهتة يبلغ طولها حوالى ٢٠ سنتيمتراً وهي كائنة في أعلى البطن.

المصابون بالسكّري عاجزون عن تحقيق خطوة الأيض التحويلية الثانية بسبب عدم توافر الانسولين الكافي. فلديهم تركيز مرتفع من السكر في الدم، ويجري التخلص من السكر الزائد بالتبويل غير الطبيعي، مما يسبب هبوطا سريعاً في الوزن كمثل ما أصابني في الهند.

"الزَرَب السكري" (٣) هو الاسم الكامل للداء، وهو يعني إفراز ماء معسَّل. فالمصاب الذي تنقصه الطاقة ولا يحظى بالمعالجة ينتابه عياء شديد يتعمق فينتهي بغيبوبة، واذا بقي من دون معالجة فهو يؤدي الى الوفاة.

ولكن في حال ٧٠ في المئة من المصابين بالسكري هناك نقص جزئي في مستوى الانسولين. وكثيرون، خصوصا أولئك الذين تجاوزوا الاربعين من العمر، لا يشكون الا من زيادة في الوزن تجعلهم لا ينتجون من الانسولين ما يكفي لتأييض (٤) السكر الذي تكوّن في الدم. فمن السهل ضبط هذا النوع من السكّري باتباع نظام حمية خاص، واذا اقتضى الأمر فبحبوب لتنشيط انتاج الجسم للانسولين.

أما الثلاثون في المئة من المصابين الذين يعتمدون على الحقن بالانسولين، فغالبيتهم تجد فائدة في الحقن بجرعات ثابتة الى حد ما. ويدعى هؤلاء "مصابين مستقرين." لكن القلة من المصابين الذين يتجاوبون والأنسولين على نحو شاذ وتراوح مستويات السكر في دمهم بين ارتفاع وهبوط، فيدعون "مصابين سريعي الانكسار"، وأنا منهم.

ويطمئن الكتيب كل "ضحية" الى أن في امكانها أن تعيش حياة نشطة وتتزوج وتنجب أولاداً. وللمرة الاولى شعرت بالتعاسة تعصر نفسي، فاتصلت بوالدتي لأطلعها على حالي.

أُعطيتُ حقنة من الانسولين، وهو سائل لا لون له، فعاد مستوى السكّر في دمي الى معدله الطبيعي.

وصلت أمي في اليوم التالي متعبة بعد رحلة بالقطار، وبدت قلقة. وكان الدكتور

---

(٣) Diabetis mellitus

(٤) الأيض (metabolism) هو مجموع العمليات الكيميائية في الخلايا الحية التي بها تؤمّن الطاقة الضرورية وتمثل المواد الجديدة لتعويض المندثر منها.

جايمس متعباً أيضاً لانهماكه في عمله ليلا ونهاراً، لكنه تلطّف فخصص لنا وقتاً في مكتبه لمحادثتنا عن داء السكّري. قال لي: "من حسن حظك أنك ما زلت على قيد الحياة. ستتعلمين العيش مع داء السكري اذا عرفت أن تأخذيه على محمل الجدّ." وكان أكثر تفاؤلا في شأن المعالجة التي كان واثقاً تماماً بجدواها. واذا اتبعت التعليمات فلن يسبب لي مرضي أي مشاكل.

خفّفت أمي من بكائها فأجلستها على سريري وساد التفاؤل محادثتنا. لم تكن لدي فكرة عما يخبئه لي هذا الداء. وكنت قرأت في الكتيب أنه حين يبتلي المرء بالسكري يلازمه أبداً. ولم أعِ حينئذ أن ذلك لم يكن مجرد نمط حياة، بل حكم مؤبد.

## توازن صعب

بعد انصراف والدتي حاولت التكيف مع الامرين الاكثر ازعاجاً في المستشفى: الضجة والضجر. كانت الانوار مطفأة في الجناح، ولا بد ان الساعة كانت تجاوزت العاشرة ليلا. فجأة رأيت مايكل في الباب. كانت مواعيد الزيارات في المستشفى سمحة، لكن تلك الزيارة كانت محظورة قطعاً. غمرني السرور لرؤية صديقي وقد ارتدى برنساً أبيض للاطباء وجده معلقاً وحمل زجاجة شراب ايرلندي.

بعد ذلك جاء الدكتور جايمس لاجراء فحص منتصف الليل، وبدا غاضباً بسبب الشراب الذي أفسد مراقبته الدقيقة. قال لي: "سيكون دمك مليئاً بالسكر، ولن تكون لهذا الفحص من فائدة." ثم استدار ليعطي مايكل رأيه فيه، فكان هذا توارى بالخفة ذاتها والمرح ذاته كما جاء.

اكتشف أن ضبط داء السكّري يقتضي توازناً بين مستوى الانسولين وكميات الكربوهيدرات المتناولة. فاذا لم يُحقن المرء كفاية من الانسولين فان جسمه يعجز عن استهلاك ما يكفي من سكر الدم، فيشعر بالظمأ والتعب والانهيار. وتعرف هذه الحال باسم "ارتفاع سكر الدم" (٥).

فاذا حقنتَ كمية مفرطة من الانسولين ولم تقابلها زيادة من الكربوهيدرات، أكلا أو شرباً، فان الانسولين يستنفد سكر الدم الحيوي الذي يغذي الدماغ. فينهار الفكر والجسم تدريجاً وبسرعة في غالب الاحيان، بدءاً بالجهاز العصبي. فتشعر بأنك مريض على نحو مختلف وغامض. ومرضك هو "هبوط سكر الدم" (٦). واذا كان الهبوط خطيراً ولم يجر ما يعكسه فانه قد يؤدي الى فقدان الوعي.

أصبت بنوبة الهبوط الاولى في مستشفى وستمنستر. كانت اصابة خفيفة نسبيا، لكنها كانت لي اختباراً مروعاً.

حضرت لقاء ترفيهياً في الطبقة العليا من المستشفى. لكني كنت بعيدة جدا عن واقعي ولم أستطع المشاركة فيه. فزاد حزني وتملكتني تعاسة دفعت بي الى

(٥) Hyperglycaemia

(٦) Hypoglycaemia

حضيض اليأس. وأخذت آلام الجوع تحز في معدتي، وبللني عرق بارد كالثلج، وشعرت بأنه لم تعد لي صلة بكل ما يجري هناك.

بعد القداس توجهت على غير هدى الى المصعد وخرجت منه لدى توقفه الاول. ولحسن الحظ كان توقفه في الطبقة حيث أقيم. سرت في الممشى وأنا أسحب قدمي على الارض، فوصلت الى غرفتي واستلقيت على سريري وأجهشت في البكاء من غير أن أكفكف دموعي. وشددت قدميّ محاولة وقف ارتجافهما. فأحسست بجلدهما يتشقق لكونه أصبح جافاً محرشفاً بعد أشهر معاناتي الطويلة.

جاءتني احدى الممرضات بكوب كبير من الحليب الساخن المحلّى وقالت: "اشربيه كله." وقد توقفت عن الارتجاف قبل أن أبلع الجرعة الاخيرة. وتبسّمت اذ شعرت بتحسّن.

قال لي الدكتور جايمس: "حسناً، بتّ تعرفين الآن. فاذا عاودك هذا الشعور كلي، أو اشربي، شيئاً محلّى على الفور ولا تجولي هنا وهناك."

لزمت سريري وقد أخذني العجب لاحساسي بعودتي الى الحياة. وفي ذلك المساء أعطيت كمية مخفضة من الانسولين لاجتناب نوبة هبوط أخرى فأصبت بنوبة ارتفاع في سكر الدم بدلا منها، ففترت همتي واشتد ظمأي وتواصلت زياراتي الى المرحاض. وجفاني النوم فرحت ألعب الورق (الكوتشينة) مع العاملين ليلا في المستشفى.

## إصابة مفاجئة

في مستشفى وستمنستر كنت أحقن نفسي كل صباح ومساء، فقد تعلمت اجراء الحقن يوم دخولي. والتعلم الباكر هو الافضل لانه يغنيك عن الاعتماد على الغير. والامر ليس صعباً، اذ عليك ادخال الابرة تحت جلدك، انما ليس في وريد، بزاوية من نحو ٤٥ درجة، في موضع تنتقيه مكتنز باللحم كمثل المعدة او الفخذ أو أعلى الساعد أو الردف.

غادرت المستشفى بعد ستة أيام لقضاء عطلة مع والدتي في البيت. وتلبية لرغبة أمي أريتها طريقة الحقن الذاتي وأنا فخورة بذلك. وفي مساء اليوم التالي كنت في غرفة النوم على وشك حقن نفسي حين دخلت شقيقتي الصغرى دو وسألتني إن كنت أسمح لها بالمشاهدة. وبان عليها قلق شديد حين رأتني أولج المحقنة في ساقي وأميلها لأثبت لها أنني أقدر أن ابقيها مولجة بمقدار ما أشاء من دون أن تؤلمني.

أغمي على دو وانهارت كشجرة مقطوعة فأحدثت دوياً حمل والدتي على الهرولة صعوداً الى غرفتي. وساعدنا شقيقي الاكبر أنطوني على حمل دو الى السرير حيث ظلت مغمى عليها الى حين قدوم الطبيب الذي استدعته أمّي. قال هذا ان دو مصابة بارتجاج خفيف في الدماغ، وقد أضحكه أن تكون دو هي المحتاجة الى عنايته.

في تلك العطلة خبرت، للمرة الاولى، المتعة الحزينة في كون المرء موضع اهتمام. ولا يمكن وصف الفائدة التي تعود على المصاب بالسكّري من خلال هذا النوع من العناية. ففي الغالب يمثّل هذا الاهتمام كل ما يقدر الناس على منحك اياه، وفي ذلك الكفاية.

جاء جون وليم، صديقي منذ كنت في أكسفورد، للاقامة معنا. وذهبنا معاً الى السوق. وكان ملماً بالملاحم الاغريقية ولا خبرة لديه في أمور التسويق وقوائم المشتريات. لكنه دأب على تفحص الأطعمة في محلات البقالة ليتبين، بحسب كتيبي عن السكّري، كم تحتوي من الكربوهيدرات.

رجعت مع مايكل وجون الى غرفتي وشرع مايكل يقص علينا ما حدث حين ذهب لعيادتي في المستشفى ووجدني قد غادرته. فهناك عزز السحر الذي طبع حياته، اذ ان زيارته اختتمت بتناول الشاي مع الدكتور جايمس واعطائه وصفة لطريقة صنع الشراب الايرلندي.

## الوحش الزائر

في طريق عودتي الى لندن شعرت بهبوط سكر الدم في جسمي. واقترح علي مايكل تناول بعض الشراب، فتمنيت من كل قلبي لو أمكنني تجرع كوب واحد. وطلبت منه ان يشتري لي شطيرة بدلا من الشراب.

لقد مات شيء ما داخلي، وعرفت أن الأمور ستختلف عما سبق. فلن تكون للطعام لذة الاكل، أنما سيصبح دواء. وكان علي موازنة حقني بالتهام مقادير هائلة من النشويات: لفطور الصباح قطعتان من الخبز المحمّص مع رقائق الذرة (كورن فليكس)، وللغداء مغرفتان من البطاطا وبعض الفاكهة (ولم اكن أدري أن تفاحة واحدة تحوي من الكربوهيدرات مقدار ما تحويه قطعتان من البسكويت)، وللعشاء مغرفتان أخريان من البطاطا وقليل من الفاكهة أو الجيلاتي.

وتناول بعض الحلوى من حين الى آخر هو ما يبعث العزاء في نفس المصاب بالسكّري. والسكّر هو كربوهيدرات مركّز جداً بحيث يحصر استخدامه في نوبة هبوط طارئة.

ان معظ الشوكولاتة والحلوى والمربّيات المخصصة بمرضى السكري مصنوعة بمادة "سوربيتول" ولا بأس في طعمها. و"السكرين" أقل كلفة من السوربيتول وله قوة تحلية أفعل كثيراً، لكنه لا يستخدم في أطعمة السكّري لانه يخلّف مذاقاً مرّاً معدنياً. واذا استخدم السكّرين بمقدار كاف لصنع المربّى فينتج منه "مربى معدني."

في كتاب "الكلب والصقر" (٧) للمؤلفة أنطونيا وايت التي كانت تصاب بجنون دوري، أطلقت الكاتبة على جنونها اسم "الوحش." وهو ألقى ظله على كل ما كانت

(٧) The Hound and the Falcon

تفعله وحتى حين كانت في عافيتها الكاملة واعتقد الجميع أنها خالية من الجنون كانت تدرك خلاف ذلك. لانها كانت في خوف دائم من عودته. وكان "الوحش" على الدوام متربصا مترصدا للهجوم.

وعلى نحو مماثل أخاف أنا أن يسبب لي الانسولين الذي اتناوله هبوطا في سكر الدم. وفي زاوية صغيرة من فكري، أنا في انتظار دائم لنوبة هبوط، أترقبها بقلق ورهبة.

في البداية عالجت كل نوبة هبوط كأنها تحدث مرة واحدة لن تتكرر، ونسيتها. لكني مللت الوظائف الموقتة في لندن. وفي خريف ١٩٧٣ سافرت الى فرنسا لاعمل مدرّسة للغة الانكليزية. وكان الاطباء أوصوني بتناول أقل ما أمكن من الكربوهيدرات، بهدف خفض حاجتي الى الانسولين. وقد عملت بتوصيتهم حرفيا، فتبعت نظاما صارما يحد من أكل النشويات الى أدنى مستوى مقبول، فكنت أشعر بهبوط خفيف ودائم في سكر الدم، وأترقب انقضاض نوبة هبوط تفتك بي.

من الصعب الجزم أي الأيام كانت الاسوأ: أتلك التي شعرت فيها بأني مريضة أنحدر على مهل الى الهبوط، أم تلك التي شعرت فيها بتحسن وكنت كمن ولد مجددا محبا للحياة ولكن ليعود فينهار كليا في اللحظة التالية؟

في العاشرة والنصف صباحا من يوم سبت كنت أنظر الى ساعة قديمة في سوق للسلع المستعملة، وكانت الشمس ساطعة نقية تتوهج أشعتها على نحاس الساعة الأصفر فتكسبه روعة. واذا بي بعد دقيقة أتطلع الى الساعة فلا أراها. وبلّل العرق كنزتي الصوفية. وامتدت مناضد السلع مخيفة مغشاة أمامي، وبدا العالم كله ثقيلا ومجنونا.

كنت في فرنسا حين بدأت أعتاد نوبات الهبوط. لقد دخل "الوحش" حياتي. لم أصرفه عني أبدا، ولا أرى أي سبيل الى ذلك في المستقبل. ولكن ما يشكر عليه هو أنه أمدّني بالقوة والثبات العنيد.

. . .

دخلت نوبات الهبوط مرحلتها المأسوية حين كُلفت، على أثر عودتي من فرنسا، تعليم مادة التاريخ في كلية تشلتنهام للسيدات. عرفت ادارة الكلية منذ البداية أنني مصابة بداء السكري، فكان علي استئذان المديرة لتناول بعض الحلوى اذا انتابتني نوبة خلال الدروس. وفي أحد اجتماعات الأساتذة شعرت بخمس وستين معلمة يحدجنني بنظراتهنّ لرؤيتي آكل سندويشاً فيما كنا نتباحث في شأن أقلام الحبر السائل وأقلام الحبر الجاف (كانت الكلية لا تسمح الا باستعمال اقلام الحبر السائل). لم تكن نوبات الهبوط تثير فيّ كآبة، لكنها جعلتني مؤرقة يقظة دائماً، وهذه هي علامة "الوحش".

لم يحدث خلال سنة أي أمر خطير لافت. ثم فعلت أمرا يصعب تجاهله. كنت

أدرّس الحصة الاخيرة قبل الغداء حين شعرت بتغير غريب في حالي، اذ ألقيت برأسي فجأة على الطاولة. وأخذت اكرر الجملة ذاتها مرة بعد مرة. وللحال خرجت طالبة من الصف ثم عادت ومعها معلمة كانت في الغرفة المجاورة، تتبعهما سكرتيرة حاملة الي فنجان شاي محلى.

خرجت من غرفة الدرس وجلست في مقعد في الممشى. وكانت السكرتيرة تبعد الطالبات وتجرعني الشاي. ولفتني احداهن بكنزة وجلست صامتة بضع دقائق عدت بعدها الى طبيعتي.

في اليوم التالي درّست الصف ذاته. وكانت الطالبات كلهن رائعات ولم تصدر عنهن أي ملاحظة ساخرة.

## غيبوبة في قطار

من حسن حظي ان نوبة مماثلة فاجأتني، تحت تأثير السكري، في بيت احدى الصديقات. وانني أشكر الله على الاصدقاء الظرفاء الذين يتمتعون بروح الفكاهة، فبعدما أكلت من البسكويت ما يكفي للعودة الى حالي الطبيعية، دافعت عن نظريتي التي تقول بأن هبوط سكر الدم يبرز طبيعتك المشوّهة لا الحقيقية. وهذا من الاسباب التي تجعله مروعاً.

وفي حالة مرعبة أخرى قد تجد نفسك بعد نوبة هبوط في مكان تجهل معالمه، مثلما حدث لي حين ركبت قطار العاشرة مساء من بادينغتون الى أكسفورد. كان العشاء يحتوي على نشويات أقل مما ترقبت، وآخر ما أذكره كان قاطع التذاكر في بادينغتون وهو يقول لي: "لا تنسي أن تغيّري القطار في ديدكوت."

ولم أعِ الا وأنا أتجول في مدينة غريبة كبيرة شبه فارغة أبحث عن معالم مألوفة فلا أجدها. ودرت حول منعطف فرأيت محطة للسكة الحديد كتب في أعلى مدخلها "بريستول تمبل ميدز" وساعة حائط تشير الى الاولى والنصف بعد منتصف الليل.

في تلك اللحظة تمّ انعتاقي من نوبة الهبوط ويبدو أنني اصبت بغيبوبة في القطار وفاتني التغيير في محطة ديدكوت وسافرت الى آخر الخط. وأخبرني الاطباء في ما بعد أن هذه الحالة تدعى "غيبوبة بيضاء" (٨): يسير المرء في حال تبدو طبيعية، فيما يكون عقله هامداً كأنه يعمل آلياً. وحاولت حجب فكري عن الساعات التي أضعتها. ماذا فعلتُ منذ نزولي من القطار؟ ربما عرف بعض سكان بريستول الجواب، انما لن يتاح لي أنا معرفته أبداً.

أخبرت الرجل في مكتب التذاكر في المحطة أني مصابة بداء السكّري وأني قدمت الى بريستول خطأ. فتأملني الرجل مشككاً في أمري.

سألني: "وماذا تنوين أن تفعلي؟"

- أريد كعكة محلّاة.

(٨) White-out

"تريدين كعكة محلاة؟"

- نعم، سأنهار اذا لم آكل واحدة.

"ستنهارين اذا لم تأكلي كعكة؟"

بقينا نتحاور على هذا المنوال الى أن تدخل عامل آخر في المحطة سائلا ما عسى أن تكون المشكلة.

قال قاطع التذاكر: "انها مخبولة."

قلت: "اني مصابة بداء السكري."

كان العامل الثاني رائعاً، فقادني بيدي الى مكتب. دخلت، وكانت هناك نار مشتعلة وصحف على طاولة وأكياس شاي وعلب بسكويت.

قال لي الرجل: "والآن اجلسي هنا ايتها النحلة المتعطشة الى الرحيق." فأطعت راضية مغمورة بالسعادة.

وتابع: "انني ملمّ بكل ما يتعلق بالسكّري، فأنا خبير بالاسعافات الاولية."

حضّر لي كوباً من الشاي المحلى لم أذق ألذ منه في حياتي، وقدم الي معه كعكة محلاة من جعبته. يشعر المرء عادة بالغثيان حين يقدم اليه طعام حلو، فلا يستسيغه. لكن الشاي جعلني هذه المرة أشعر بتحسّن، فالتهمت الكعكة المحلّاة بنشوة ونهم. قلت لعامل السكة الحديد انه رجل رائع، وأخذنا نتبادل أحاديث مختلفة.

وفي الرابعة والنصف صباحا أعطاني تذكرة للسفر الى أكسفورد من دون مقابل، وأصعدني الى القطار ولوح لي بقبعته مودعاً. لقد التقيت رجلا عطوفاً كريما رائعا، وكانت رحلتي الى بريستول جديرة بهذا اللقاء. وقد وصلت الى اكسفورد متأخرة تسع ساعات.

## قلب كَسير

من ذيول السكّري أن الحياة اليومية العادية أصبحت مصدر تعجب دائم بالنسبة الي، يفاجئني أحيانا. ففي السوق أتذكر فجأة أني لا أؤدي مجرد عمل رتيب، انما أشعر بأني أعيش أيضا. فتعتريني رهبة وأمضي قدماً أحاول أن أحرص على هذا الشعور وأذكيه في نفسي خشية أن تطمسه تكاليف الحياة الملحّة، كتأمين المشتريات ودفع الفواتير المستحقة.

ويسرّني أن أسمع أحدهم يقول لي: "انك تبدين بصحة جيدة." وقد ساد اعتقادي سابقاً ان ذلك كان مجرد مجاملة ومزاح، لكني بت أحبه. فهو لأمر حسن، حين يكون داؤك مخفياً، أن تبقيه مخفياً.

كان مايكل عطوفاً علي بسبب ما أعانيه من نوبات الهبوط، لكنه لم يفهم هذه النوبات على حقيقتها. وأعتقد أن الرجال عموما يجدون صعوبة في تصديق علل كهذه لا ترافقها أعراض وظواهر جسدية. فالمرض بالنسبة الى مايكل يعني رجلا

مكسورة أو حمى قرمزية أو سوى ذلك من العلل المنظورة. وفي عهد صداقتنا لم تكن نوبات الهبوط سيئة جداً، واني لأتساءل هل كان الأمر سيختلف لو ساءت حالي. لكن ما مضى مضى. وقد انفطر قلبي حين تزوج مايكل فتاة ايرلندية خلال الأشهر الأخيرة من اقامتي في تشلتنهام التي دامت سنتين ونصف سنة.

لم يكن السبب التباين في حالينا، لكونها في تمام العافية وكوني عليلة، انما لانها كانت ايرلندية كاملة النسب فيما كنت أنا نصف ايرلندية فضلا عن أن لهجتي كانت انكليزية. وثمة جانب آخر للخيبة التي منيت بها بزواج مايكل، وان يكن ذلك الجانب غير ذي شأن فانه كان ماثلا أبداً في عمق نفسي. وحقيقة الأمر أني فقدت تلك الروح النابضة بالحياة التي ميزت أيام صداقتنا الذهبية الهانئة، وغابت عني تلك اللامبالاة وخفّة الثقة بالنفس التي طبعت سلوكي في السابق.

## المعتدي الغامض

ان السكّري المعتمد على الانسولين، والمتميز عن السكّري الخفيف الذي يلتقطه المريض بسبب الأكل الكثير والتمرين القليل، قد يصيب أيا كان في أي وقت كما جرى لي. والى الآن لا أحد يعرف سبب هذه الاصابة، فثمة احتمالات ودلائل واستعدادات جمّة لا تحصى.

ويشير بعض التقديرات إلى أن الفيروسات قد تكون هي المسؤولة. وقيد البحث ٢٦ نوعاً من الفيروسات، منها فيروسا الحصبة الالمانية والنّكاف (أبو كعب). ومن المسببات المشبوهة أيضاً الزكام والسعال الشتائي والانفلونزا. وقد أظهر مسح شمل بريطانيا أن غالبية المصابين بالسكّري المعتمد على الانسولين التقطوا الداء بين شهري سبتمبر (أيلول) ومايو (أيار). وشهدت أشهر الصيف اصابات أقل.

وتكفي صدمة قاسية - كحادث سيارة أو وفاة عزيز أو أزمة عاطفية - لتسبيب داء السكّري. ونظراً الى عدم ظهور أي سبب واضح لمرضي استنفد الاطباء أسئلتهم لي في ما يختص بالفترة التي بدأت تظهر فيّ علامات المرض، ومنها: هل خاصمت صديقاً أو حبيباً؟ هل لدي مشكلة عائلية؟ هل اصطدمت بجدار؟ هل أضعت ثروة؟ وفي كل ذلك لم تسعني مساعدتهم. لقد كنت سعيدة سابقاً ومطمئنة.

الى أي حد قد يكون السكّري وراثياً؟ هذا سؤال محرج لا يسع أحداً أن يعطي جواباً جازماً عنه. فاذا كان أحد الوالدين مصاباً بالسكّري المعتمد على الانسولين، فاحتمال اصابة الولد بالداء ذاته هو ٣ في المئة. واذا كان أحد الوالدين مصاباً بالسكّري غير المعتمد على الانسولين، فخطر اصابة الولد بالداء ذاته، في حياته لاحقاً، هو بنسبة ٣٠ في المئة. واذا كان كلا الوالدين مصاباً بالسكّري المعتمد على الانسولين، فان خطر اصابة الولد يرتفع الى ١٢ في المئة. وفي المقابل يرتفع الخطر الى ٤٠ في المئة اذا كان الوالدان مصابين بالسكّري غير المعتمد على الانسولين.

كان جد أمي مصابا بالسكّري، لكن تلك صلة نسب بعيدة، ولا علم لي بمعاودة هذا المرض أحدا في العائلة. وقد لزم جد امي سريره لمدة عشر سنين كان يشرب خلالها الشاي وهو أشبه بهيكل عظمي، منقبض ومنهوك لا يقوى على أي عمل باستثناء التبويل. ومات كمعظم المصابين بالسكري قبل العام ١٩٢٢، ذلك العام السحري الذي شهد جراحا كنديا شابا هو فريدريك بانتنغ ومساعده تشارلز بيست ينتزعان هورمونا سمياه "إنسولين" من بانكرياسات الماشية فيحقنانه في جسم فتى في الرابعة عشرة من عمره يدعى ليونارد طومسون كان يحتضر بداء السكري في مستشفى تورونتو. فتعافى الفتى سريعا. وان جميع المصابين بالسكري المعتمد على الانسولين في العالم حاليا، والبالغ عددهم تسعة ملايين بمن فيهم أنا، مدينون بحياتهم لاكتشاف بانتنغ وبيست.

وكان هناك رجال دولة مصابون بالسكري، منهم الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر والرئيس السوفييتي الراحل يوري أندروبوف. ومن المصابين أيضا الممثل الفكاهي ستان لوريل الشريك الناحل في ثنائي "لوريل وهاردي" الذي أضفى عليه السكّري نحافة فوق نحافته، وليونيل بارت كاتب نصوص الفيلم الاستعراضي "أوليفر" والممثل الشكسبيري ألان هوارد.

ولسبب ما، يبدو أن السكري هو صفة مميزة للكتاب الاشداء، ومنهم ارنست همنغواي. وكان هـ.ج. ويلز مصابا بالسكري أيضا، وهو الذي أسس عام ١٩٣٤ "جمعية مصابي السكري البريطانية" وهي أولى المؤسسات البريطانية لتعزيز المساعدة الذاتية والتعويل على النفس. وفي ذروة شهرته أعطى ويلز السكّري مكانة اعلامية لا تثمّن. فقد محق خرافة الموقف الانهزامي التقليدي من السكري الذي كان يروّج أن المصابين بالداء محكومون بالموت وعاجزون ولا يمكنهم تأدية أي وظيفة.

تضم جمعية مصابي السكّري أكثر من ١٠٠ ألف عضو. ويزود الاطباء مرضى السكّري بطاقة للجمعية يعلن فيها: "انني مصاب بالسكّري وأعالج بالانسولين. فاذا وجدني أحد مصابا بنوبة فأرجو اعطائي ملء ملعقتين كبيرتين من السكر أو الغلوكوز، مذوبا في الماء اذا أمكن. واذا لم أعد الى وعيي فالرجاء استدعاء سيارة إسعاف."

وأثبتت بطاقتي فاعليتها غالبا. كنت مدعوة الى الغداء عند بعض الاصدقاء، فقدت دراجتي في طريق جبلية طويلة. وتوقفت في منتصف الطريق عاجزة عن المتابعة، وألقيت بدراجتي جانبا واضطجعت الى جانبها. واذا بسيارة شرطة تتوقف بقربي وينزل منها شرطيان شابان. استفسرا عما اصابني فلم أقو على الجواب. ثم سألني أحدهما: "هل أنت مصابة بعلة ما؟". فأومأت برأسي ايجابا. ففتح ذلك الشرطي حقيبة يدي معتذرا وفتش محتوياتها الى أن عثر على بطاقة جمعية مصابي السكري. فتوجه فورا الى متجر قريب وعاد بعد دقيقة ومعه كوب من الحليب

المحلى، فيما بقي رفيقه الى جانبي. فشربت الحليب وشعرت حالا بتحسن. وهما لم يدعاني أقود الدراجة الا بعدما أخذاني الى المستشفى حيث أفاد الطبيب أنني على ما يرام.

## نجمة رياضية

أنا، عموماً، أمقت الأشياء المفيدة لي، باستثناء الرياضة. ولا تزال الكريكيت (٩) لعبتي المفضّلة التي أحببتها دائماً. فقد اعتدت أنا وأخي أنطوني ممارستها في حديقة منزلنا. والكريكيت لعبة مثالية لمرضى السكري، فهي تستدعي الحركة النشطة (تستهلك السكر) وتتيح فرصاً للتأمل وفرصاً للاكل أيضاً.

بعد التدريس في كلية تشلتنهام التحقت بجامعة كمبردج لاجراء أبحاث في تاريخ القرون الوسطى. وكنت واحدة من ١٢ خريجة قُبلن في كلية ترينيتي عام ١٩٧٦ قبل أن تفتح الابواب على مصاريعها لقبول الطالبات غير المتخرجات. انضممت الى فريق الكريكيت في الجامعة ولعبنا ضد فريق أكسفورد على أرضه. سلّمتني القائدة الكرة فلعبت ببراعة وشعرت بسعادة لا حد لها. وحين جلسنا لتناول الشاي هنأتني لاعبات الفريق فاحمرّت وجنتاي. ثم انتبهت: لقد نسيت مرضي لوهلة. وها ان الوحش اختفى موقتاً.

وهناك نشاط آخر أحببته في الجامعة وما زلت أتمتع به، وهو الرقص. كانت معلمة الرقص تعتبر مهمتها ترفيهاً وتسلية في الدرجة الاولى. وكانت نشيطة ممتلئة حيوية، وكانت دروسها تستهلك منا سكّر الدم بنسبة هائلة.

وفي احدى الحفلات التي نظمتها أكلت ثلاث فطائر محشوة، محظرة علي عادة، واستهلكت الكربوهيدرات التي احتوتها ودرت مراراً وتكراراً في حلبة الرقص. وتفوقنا على فريق اللياقة البدنية وفريق التجذيف. وفيما كنا عائدين الى غرفنا ذكرت عَرَضاً انني مريضة بالسكري. فسألتني معلمة الرقص: "هل عولجت بالحقن؟ ما هي أفضل الابر وكم تكلّف؟" فأجبتها بتهذيب ان مصلحة الصحة العامة تؤمن الابر والمحاقن من دون مقابل، وهي صالحة للعمل، الا أنني أفضل الابر التي تطرح بعد الاستعمال والتي نشتريها من الصيدليات. فهذه أدق وأكثر حدة وأسهل ولوجاً في الجسم.

ولم أعر ذلك الحديث اهتماماً الى أن كان اليوم التالي حين وجدت في صندوق بريدي شيكاً بقيمة ٥٠ جنيهاً استرلينياً (١٠) مع ملاحظة من المعلمة تقول انها مساعدة طبية من احدى المؤسسات، وأن ادارة كلية ترينيتي لم تجد سبيلا لانفاقها طوال سنوات لان الجميع في الكلية كانوا في صحة تامة. وطوال فترة اقامتي في الكلية كانت الادارة تدفع لي ثمن الابر والمحاقن.

---

(٩) الكريكيت لعبة بالكرة والمضرب.

(١٠) الجنيه الاسترليني يعادل اليوم نحو ١٫٨ دولار.

وأثناء وجودي في الكلية اختبرت نوبة هبوط هي الاكثر صعوبة في ما خص الوصف. عدت الى البيت لقضاء عطلة نهاية الاسبوع، وكان النهار مشمسا فرحت أعمل في الحديقة حيث حرثت رقعة الخضر وأنا مرتدية قميصاً وسروالا قصيرا. وغلب علي التعب والانقباض، وكلما نكشت الارض زاد انقباضي. فكرهت الاعشاب العنيدة والتراب، وكرهت حتى الحياة.

دخلت المنزل وأخذت من الثلاجة علبة شراب معدّ للسكري وخال من السكر، وشربتها وأنا مستلقية على العشب في حال بؤس وذهول. ولو تجرعت شرابا عاديا مع السكر لما أصابني مكروه، لكن عقلي لم يكن يعمل على النحو الصحيح، فتناولت علبة الشراب الخالي من السكّر.

تلاطمت أمواج في رأسي ودخلت غيبوبة دامت ساعات وغرقت أكثر فأكثر في الضياع. ورأيت نفسي محمولة في شراع يبتعد بي رويدا عن شاطىء الحياة الى اللانهاية حيث لا قياس للزمن. وطال اغترابي فحسبتني أقمت دهرا في مكان عرفته: انه الجحيم، لان أبوابه موصدة في وجهي ولا أمل لي في الخلاص. وتوقف الزمن واستحال مملكة للشر ومقراً أبديا حيث لا رجاء ولا سعادة ولا صلاح ولا أمل لي أن يتصل بي أحد فينقذني.

قالت لي أمي إن غيبوبتي في الحديقة دامت اقل من خمس دقائق حاولت فيها اعادتي الى وعيي فأخفقت. فاستدعت الطبيب، لكني أذهلتها اذ نهضت قبل وصوله ودخلت المطبخ فأكلت فاكهة وكأن شيئا لم يكن. وحين حضر الطبيب وجدني جالسة في المطبخ التهم البسكويت محاولة طمس ما حدث في فكري.

وحالما رجعت الى الزمن البشري اختفى زمن الشر فحمدت الله. ولكن لم يسعني التوقف عن التفكير في ما حدث لايام عدة، ولم أستبعد احتمال معاودته وتجذّره فيرسّخ بعداً آخر للوحش.

[illegible]

غالبا ما كنت أدرك في ناحية من دماغي، أنني على وشك الاصابة بنوبة هبوط، لكني أشعر حينذاك بأني عاجزة عن تفاديها. ولم يسعني الاعتراف بمشكلتي لاي شخص يكون معي.

حدث ذلك في أمستردام بهولندا حيث ذهبت مع أمي لقضاء عطلة نهاية الاسبوع. مشينا حتى تورمت أقدامنا. وفقدت كثيراً من السكر. عرفت أمي أني في طريق الانهيار، وكان وقت العشاء. فرأت أن من الافضل دخول أحد المطاعم بأسرع ما أمكن واعطائي شيئاً آكله. وكانت المشكلة أني رفضت دخول كل المطاعم التي اجتزناها مرددة أن لا حاجة بي الى الطعام. وفي النهاية جرّتني أمي قسراً الى أحدها حيث بدأت أعاني تشنجات لا يمكن وصفها.

ثم لم أعد أعي شيئا، الى أن أفقت فوجدت رجلا هولندياً يشبك ذراعي وراء

ظهري وأمي تسكب في حلقي مشروباً حلواً ويداها ترتجفان. فيا للمسكينة! فأنا لم أخبرها بالتطور الذي طرأ علي أخيراً، لذلك كانت شديدة الاضطراب.

لكني استعدت وعيي سريعاً، فطلبنا شطيرتي هامبرغر. ولدى انتهاء الهولندي وزوجته من طعامهما همّا بالخروج، وتقدم الرجل مني وقال بعطف: "ليباركك الله وَيَحْمِكِ في حياتك."

أجبته: "شكراً لك" والدموع تكاد تتفجر في عيني.

ولطالما دفعت بي نوبات الهبوط الى رمي مشترياتي في الطريق، أو ركوب حافلة فأستلقي على أرضها وابتسم للاشخاص الذين يعبرون فوقي للنزول، أو النوم في مؤخر سيارة ثم الاستيقاظ واتهام الطبيب النفساني الذي كان يقودها، وزوجته، بأنهما مجنونان. ومن المؤسف أن مساعدة الاصدقاء والغرباء – وهذه احدى البركات التي أنعم بها علي بفضل السكّري – لم تكن دائماً جاهزة في مثل هذه المواقف الغريبة الطارئة.

بعد حفلة حضرتها بالقرب من كمبردج دعتني المضيفة، وهي زوجة رجل ديبلوماسي، إلى البقاء لأن الوقت كان ليلا. كانت غرفة نومي فخمة، لكنها كانت في الطرف القصي من المنزل وتبعد كثيراً عن غرف المقيمين فيه.

اذا هبط معدل سكر الدم ليلا، مثلما يحدث لي، فانك لا تدري به لكونك نائماً. فاذا هبط الى حد الاصابة بنوبة هبوط جدية فانك قد تستيقظ مرتعشاً فتدرك ما أصابك وتتناول بعض السكر. وأنا أحتفظ قرب سريري بحبوب دكستروز لمثل هذه الحالة الطارئة. أما اذا استمر الهبوط ولم أستيقظ، فان السكر يبلغ مستواه الادنى قرابة الرابعة صباحاً، وعندئذ فإما أن أدخل غيبوبة او أستيقظ مشلولة.

استيقظت ذلك الصباح – ولم تكن تلك المرة الاولى – فوجدتني مشلولة من الرقبة نزولا. وجهدت لكي أتحرك فأتناول حبوب الدكستروز الموضوعة الى جانبي، فلم أستطع ذلك. فأخذت بالصراخ وأنا مخجولة، لأن صراخ مشلول قبل فطور الصباح كان أمراً مبالغاً فيه.

صرخت بنغمة مهذبة لمدة خمس دقائق، فلم ألقَ صدى. ثم صرخت بقوة لخمس دقائق أخر فلم ألق جواباً. كنت عاجزة حتى عن التحرك للسقوط عن السرير لعلّ الصدمة توقظ أحداً. وغشي العرق عيني فلم أقدر أن أمسحه، ولم أقو الا على الصراخ، فرحت أصرخ وأصرخ ثم أتوقف منهوكة. وبقيت على هذه الحال ثلاث ساعات.

في السابعة والنصف صباحاً سمعت باباً يفتح وجر أقدام في اتجاهي. وما هي لحظات حتى رأيت مضيفتي العجوز، وكانت في الخامسة والسبعين، تدخل غرفتي مرتدية قميص نوم.

لم تتردد السيدة لحظة حين شاهدت حبوب الدكستروز. فسألتني عما اذا كانت هي التي أحتاج اليها، فأومأت ايجاباً. لقد أسعفني الحظ هذه المرة، كما في

السابق دائما. فغابت السيدة ثم عادت ومعها ابريق شاي وفنجانان. فجلست على حافة سريري وسكبت الشاي في الفنجانين ووضعت حبة دكستروز في كل منهما، ورفعت فنجاني الى فمي كأنها كانت تفعل ذلك كل يوم. وحالما استعدت قوة النطق، شكرتها.

قالت: "العفو يا عزيزتي، فأنا أتناول الشاي باكرا كل صباح وأجده لذيذا جدا محلّى."

ثم تناولت فوطة ومسحت الشاي الذي انسكب على الوسادة وطلبت رأيي في ما يجب أن تعمله لتقوية نبتة زينة ذاوية.

في كثير من الاحيان حين تنتابني نوبة هبوط أُنقل في سيارة اسعاف الى المستشفى. والتكرار أكد انطباعي أن رجال الاسعاف هم، من غير استثناء، ألطف مجموعة من الناس في العالم. وأنا أشعر بالارتياح في أقسام الطوارئ. فالصفاء الذي يعقب النوبة هو الحسنة الوحيدة التي تشفع بالوحش. فأجدني بعدها مفعمة بالحياة أتألق صحة وعافية وأعود قادرة على التفكير والتحرك.

أستلقي فأتأمل "الزينة" المألوفة. ففي كل أقسام الطوارئ رفوف وابر ومحاقن وأنابيب وأدوات مشؤومة في أكياس النايلون ذاتها. وهناك الضوء ذاته في السقف، مسطحا دائريا، وفيه مصباح كهربائي أبيض ضارب الى البنفسجي.

فاذا أسعدني الحظ وفات القوم هناك اغلاق الستارة، فاني أراقب الاطباء والممرضات والمرضى الذين يمرون في الخارج. فأسترق السمع فيما تتباحث الممرضات في أخطاء الاطباء. إنه لأمر فاتن، بشرط ألا تكون أنت المعني.

نُقلت ذات صباح الى المستشفى وأنا مصابة بنوبة هبوطٍ حادة ومشلولة من رأسي الى أخمص قدميّ. وكل ما أمكنني تحريكه عيناي اللتان بتّ أرى بهما صوراً مكررة، ورأسي الذي كان يتمايل من جانب الى آخر. ولدى وصولنا الى المستشفى أخبر رجال الاسعاف الطبيب أني مصابة بالسكري. فنظر الى عيني وقال: "انها ستدخل غيبوبة، فالافضل حقنها بالانسولين على عجل."

أثار فيّ كلام الطبيب رعباً قاتلا، فحاولت أن أنقل اليه أن ما أحتاج اليه هو سكّر لا انسولين، وأنه اذا أعطاني حقنة انسولين قضى عليّ. خرج مني صوت وحاولت هزّ رأسي لكنه سقط جانباً من دون حراك.

تقدم الطبيب وفي يده محقنة الانسولين. ففرك ذراعي بمادة معقمة استعداداً للحقن. فأبدلت صلاتي من "أرجوك ساعدني يا الهي" الى "أرجوك أوقفه يا إلهي." كنت في ذروة الاهتياج فرحت أضرب برأسي يمنة ويسرة محاولة بكل ما فيّ من قدرة بائسة مجنونة أن أقول له "لا!"

وكانت احدى الممرضات تمسح العرق عن جبيني بقماش مبلّل وتطمئنني.

فأطلقت أنّة باقصى قوتي، فتنبهت وقالت للطبيب: "يا دكتور، لعل هناك شيئاً على غير ما يرام."

أطلقت عندئذ أنّة ايجابية وأنا ممتنّة لها من أعماق قلبي. فتطلع الطبيب الي مشككاً واجاب: "لا أعتقد ذلك، إنما من الافضل أن نجري فحصاً للدم احتياطاً." فتنفّست الصعداء وخف نبض قلبي.

وخز الطبيب اصبعي فأبدى دهشة، لكنه لم يهتم كثيراً لان الفحص أظهر هبوطا في سكر الدم لا ارتفاعاً. ثم قال: "سنعطيك بعض الغلوكوز بدل الانسولين." فأدخل محقنة مليئة بالغلوكوز في ذراعي، وما هي الا ثوان حتى بت قادرة على البوح بكل ما عندي. فشكرت الممرضة ثم الطبيب، وبان الارتباك على الممرضة أما الطبيب فاكتفى بالقول: "لا بأس." كان رجلا بارداً رابط الجأش.

## أوضاع مربكة

خلافاً لمعظم مصابي السكري أنا لا أفتقد الطعام الذي أُنهى عنه، وان تملكتني من وقت الى آخر رغبة ملحة في الحلوى والشوكولاتة، خصوصاً بعد السباحة وفي أعياد الميلاد. وكثيراً ما أحلم بهذه الملذات.

وما يمضّني هو الإلزام بحيث أجبر على تناول ما لا تكون لي رغبة فيه. أعرف أن علي تناول بعض النشاء في الحادية عشرة صباحاً، سواء أكنت جائعة أم لا. كذلك علي الاكل في الرابعة عصراً، اضافة الى الفطور والغداء والعشاء. لقد ولّت الأيام حين كنت أعمل وأتسلى وأجوع طوال ثلاثة أيام أعود بعدها الى الأكل والشرب والنوم ثلاثة أيام تالية.

في السنوات الاولى لاصابتي بالسكري بلغت من النحافة حداً دفع مايكل الى أن يقول لي إني أبدو كلوح خشبيّ، وقال طبيبي في كمبردج إن علي أن أزيد وزني، وان بعض الانسولين الاضافي سيكون مفيداً لي. ولكن في حين كان معدل السكر في دمي يرتفع ويهبط كان وزني يرتفع ويرتفع.

ان معرفة كثير من الناس بالسكّري محدودة، وهذا الامر، اضافة الى محيط خصري الواسع، أدّى الى سماعي ملاحظة مؤلمة يوماً.

فقد دعيت الى مأدبة عشاء وكانت المضيفة محميّة، فهيأت أنواعاً من الطعام تحتوي على أقل مقدار ممكن من الكربوهيدرات. ولم يكن لي علم بذلك، بل ما كنت اعلمه هو اني حُقنت بالانسولين في ذلك اليوم. وكان هناك لحم وسمك وخبز فرنسي مقلي بالحليب والبيض.

لم أكن على معرفة وثيقة بالمضيفة، فلم أطلب خبزاً عادياً لان ذلك ربما بدا إهانة لحسن طهوها. فاستعضت عنه بالتهام كثير من الخبز الفرنسي المقلي وسط دهشة المدعوين الذين كانوا يأكلون على مهل. واذا بهم يدفعون الي بسلّة الخبز كلها ليشاهدوني ألتهمها. فشعرت اذذاك بالاساءة والعزلة.

ثم قدّم الينا دجاج. وفوجئت بكومة من البطاطا الرائعة تمر تحت أنفي وعليها رشة من البقدونس. فشككت شوكتي فيها حالا ووضعت ست قطع في صحني من دون انتظار أحد، كما تقضي اللياقة. فران الصمت على الجميع، لكني لم آبه لشيء وتابعت الأكل ألتهم البطاطا قطعة بعد قطعة بنشوة وارتياح.

واذا بالرجل الجالس الى جانبي يقول لي: "هل من عادتك تناول هذا المقدار الكبير من الطعام؟ عليك أن تعتني بنفسك ومظهرك."

وما زالت كلماته ترن في أذني.

من ناحيتي، أنسى أحياناً كم ستكون صدمة الناس كبيرة حين يرونني أحقن نفسي، حتى بعد انهيار أختي دو ذلك اليوم. وذات أمسية في المسرح حقنت نفسي في غرفة السيدات، وشرحت لسيدة كانت تراقبني باستغراب أنني أحقن نفسي بالانسولين. فما كان منها الا أن أسرعت الى المرحاض وتقيأت.

لكن بعض الناس لا يهتمون اطلاقاً لهذه المشاهدة. فذات صباح كنت اسمع خطبة في قاعة فسيحة احتشد فيها الحضور. وكنت واقفة قرب رجل جليل يضع نظارتين ويرفع رأسه عالياً ليرى الخطيب، مما حملني على الاعتقاد أن في وسعي حقن نفسي آنذاك من دون أن يراني. وكان علي ان أفعل ذلك لأني كنت سأتناول طعام الفطور بعد قليل. فطأطأت رأسي وباشرت الحقن.

واذا بي اسمع الرجل يقول لي: "أرجو ألا يؤلمك ذلك."

فرفعت بصري ورأيته ينظر الي من خلف نظارتيه باهتمام بالغ.

أجبته بصوت منخفض وقد احمرت وجنتاي خجلا: "لا."

فهمس: "حسناً." ولم يسألني ماذا كنت أحقن نفسي.

فبارك الله مثل هؤلاء الناس الرقيقي الحاشية الذين يترفّعون عن التطفل، لأن مصابي السكّري المرتبكين والمنطوين على أنفسهم يجدون فيهم عضدا وقوة وعزاء

أكون مجنونة اذا اعتقدت أني سأعود فأتوهج صحة وعافية، لكني على استعداد دائم كيما أختبر طريقة جديدة لمعالجة داء السكري.

داومت فترة عقاقير "السّلفا"(١١) التي تنشط انتاج الانسولين لدى بعض المصابين بالسكّري الخفيف. كانت تلك رمية في الظلام والهدف منها، في حال انتاجي قليلا من الانسولين، تنشيطي لانتاج ما يكفي للعيش.

كنت آخذ حبة صغيرة بيضاء صباحاً ومساء. وذهبت في عطلة الى ايرلندا حيث قضيت أسبوعين ممتعين مارست فيهما المشي وقطف توت العلّيق والتجذيف في البحيرات. لكن السكّر كان يزداد لدي باطراد، فقد كان اعتمادي على حقن الانسولين كلياً، وليس في مقدوري أن انتج ذلك المرمون بنفسي. فرجعت الى

(١١) Sulpha drugs

بريطانيا وقد غلب علي العياء والظمأ والشوق المدمن الى المحقنة المريحة.
واختبرت أيضا الكربوهيدرات الغنية بالالياف التي لا يتم امتصاصها بالسرعة ذاتها كالكربوهيدرات المكرّرة، والتي يقل احتياجها الى الانسولين. وقبل أربع سنوات عاينني احد الاطباء الجدد الذين يؤمنون بالكربوهيدرات الغنية بالالياف، فزودني عدداً من الكتيبات التي تشرح فوائد الفاكهة غير المقشورة والدقيق الكامل.

كان برنامج الحمية المعدل صدمة للنظام الذي اتبعته سابقاً. فبعد عشر سنين خفضت خلالها ما أتناوله من الكربوهيدرات تمشياً مع الرأي الطبي آنذاك، توجهت الى الفرن واشتريت رغيفاً كاملا كنت متشوقة الى أكله، بل تعيّن علي أن آكله. تأملت الرغيف معجبة به كأنه تمثال منحوت. وأخيراً قطعت طرفه وأكلته فوجدت طعمه رائعاً. لكني سئمت الخبز الآن، فلا مجال للنجاح بهذه الوسيلة.

والابحاث العلمية في ميدان السكري كثيرة ودائمة. وهناك جامعات، منها بريستول وداندي ونيو كاسل، ترعى دراسة عمل الانسولين ضمن خلايا الجسم، وهذا حقل جوهري في طب السكّري. ويتم اختبار كثير من الافكار، واحدى الافكار التقنية زرع البانكرياس.

أجري أول زرع للبانكرياس في بريطانيا في مستشفى أدينبروك، كمبردج، في أغسطس (آب) ١٩٧٩. كانت المريضة امرأة مصابة بالسكري المتقلب وبداء خطير في الكليتين، وكانت عملية الزرع أملها الاخير في الحياة. زُوّدت كلية جديدة وبانكرياساً جديداً وغادرت المستشفى وقد زال عنها السكّري. وهناك ستة من أصل ١٧ مصاباً أجريت لهم عملية الزرع منذ العام ١٩٨٣ انتفت حاجتهم الى تناول الانسولين.

يرى الامريكيون في البانكرياس الاصطناعي أمراً مقبولا بلا جدل: انه مضخة تحقن باستمرار كميات قليلة من الانسولين تحول دون تقلب سكر الدم بين ارتفاع وانخفاض، مما يشكل علة تنغص حياة المصاب بداء السكري المتقلب.

رُكّبت لي "مضخة" عام ١٩٨٤. وكانت ضخمة، طولها ١٣ سنتيمتراً وعرضها ٩ سنتيمترات، تتألف من محقنة وبطارية ومحرّك (موتور) لضغط الابرة المولجة. كنت أبقي الابرة ٢٤ ساعة متواصلة في معدتي أو فخذي أو ذراعي أو أي مكان آخر في جسمي أولجها فيه.

اعتدت التعايش ومضختي، انما لم أتقبلها كلياً لذلك لم تدم علاقتنا أكثر من شهر. فقد سئمت كوني مقيدة بها لا أستطيع الاستحمام أو تغيير ملابسي الا بعد فصلها وتغطيتها وضبطها. وأثناء لعب كرة المضرب كان علي ربط المضخة بشريط لاصق لا يلبث أن ينفك. وتعذّر علي التحرك بخفة وعفوية، ورأيت فيها عائقاً مربكاً ووحشاً أصفر.

ويبدو أن نصف مجموع المرضى الذين يجهزون بمضخات لا يحبونها. والرجال



يرضون بها أكثر من النساء، اذ يشعرون بالأمان لوجود المضخة ولا يبالون كثيرا بمنظرها البشع. وحتى أولئك الذين يمقتون المضخات يعترفون بافادتها في ضبط معدل السكر في الدم.

ومن دواعي الاسف أن ليس فى الامكان تناول الانسولين من طريق الفم لانه بروتيين تفقده السوائل الهضمية فاعليته. فاذا انبلج الفجر يوما وكان هناك من اكتشف وسيلة لتناول الانسولين من غير طريق الحقن. فسأطير فرحا وأغني عالية ليسمعني العالم كله.

أكتب هذا وأنا جالسة الى مكتبي وجسمي منخور بثقوب الإبر ودمي يملأه السكر وأصابع قدمي خدرة ورؤوس أصابع يدي بيضاء. إنني تعبة ومتكاسلة، كأنني أعيش أبدا في الثالثة بعد الظهر. وتلزمني حقنتان أو ثلاث حقن يومياً، وقد تلقيت إلى الآن أكثر من عشرة آلاف حقنة. أحمل معي دائماً حبوب دكستروز وقطع حلوى في حقيبتي التي أتمسك بها تمسكي بحبل نجاة. انني أعيش كعصفور في مهب العاصفة، أصارع هواجس نوبات الهبوط التي تعاودني مرة كل أسبوع.

أعرف أن لا بد لي من أن أعاني مضاعفات كلما تقدمت بي السنون، فقد حذرني الدكتور جايمس في مستشفى وستمنستر على اثر تشخيصه اصابتي بالسكّري قائلا: "كل ما يصيب المرء في أواخر حياته، كأمراض القلب والدورة الدموية والكليتين والعينين، تصيب مرضى السكري أكثر من سواهم وفي وقت مبكر."

ولكن، لحسن حظي، لم يتمكن السكري من اخماد جذوة الفرح فيّ. إن قلبي كبير يتسع لفيض من السعادة، وغالبا ما رأيت نفسي سعيدة على رغم شبح الوحش الرابض. حين أشعر بالعافية أستغل الايام الموهوبة. لا أدعي أني أفعل الكثير، لكني أعتز كثيرا بما أفعل. ولا أتلفّت حولي لكي لا أرى الوحش، وأظل اذكّر نفسي كل نصف ساعة بأني في حال جيدة، لكي لا يغيب ذلك عن ذهني.

لقد منحني السكّري أكثر مما أخذ مني. فقد كشفت لي نوبات الهبوط التي اجتاحتني نواحي انسانية كثيرة في البشر، لولاها لفاتتني. وحملتني على أن أكون أكثر تسامحا، وغذّت فيّ روح العطف وطول الأناة والتفهم والصفح. ويتسع صدري

الآن لتشكيات الآخرين الناتجة من العياء والانحطاط والضعف. وكنت، على أثر عودتي من الهند حيث راعني ما شاهدته من فقر مدقع، أعزو ذلك الى الترف في مجتمعنا والانغماس في الملذات والرثاء الفارغ للذات. أما الآن، بعدما مضّني السكّري لسنوات وعانيت من الآلام النفسية والجسدية ما عانيت، فاني أحجم عن إلقاء التهم جزافاً على أولئك الذين يشتكون، اذ ما من أحد قادر على معرفة الأسباب الخفية وسبر الاعماق التي أوصلتهم اليها مآسيهم.

أستيقظ كل صباح فتأخذني الدهشة لكوني ما زلت حية. وطالما تساءلت بخفة وقلة اكتراث: أحقاً أنا حية؟ لماذا؟ أنا لا أتوقع معرفة الجواب، تماماً كما لا أتوقع أن أعرف لماذا خُصصت بشعر بنّي ووجه نمش، ولماذا أحب التفاح، ولماذا أصبت بداء السكّري.

لم أطرح على نفسي مرة هذا السؤال الأخير. فلئن أُصبت بالسكّري فتلك هي ارادة الله، والتساؤل عن السبب ليس سوى اضاعة للوقت. واتكالي على الله، وفي عمق أعماقي ايمان راسخ بأنه يقضي على "الوحش" متى شاء.

**تيريزا ماكلين ■**

ترجمة الياس عقل

للكاتبة مؤلّفان آخران هما "حدائق انكليزية من القرون الوسطى" و"لهو الانكليز." وهي تعمل حالياً على كتابة رواية. وبعيد انتهائها من كتابة "الوحش" في ربيع ١٩٨٤ تزوجت أستاذ تاريخ وانتقلت الى كمبردج حيث تسكن حالياً. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ أنجبت إبناً سمته بيتر.

---



## لص عصري!

يقع مكتبي في قطاع من المدينة اشتهر بسرقة السيارات، لذلك علقت لافتة صغيرة على نافذة سيارتي تقول: "تحذير! جرس انذار قوي!"

وذات يوم بعد تركي العمل لاحظت أن جهاز الراديو الغالي الثمن سُرق من السيارة. وقرأت بوضوح تحت لافتتي هذه الكلمات: "جهاز انذارك يحتاج الى اصلاح."

ك.ب.س.

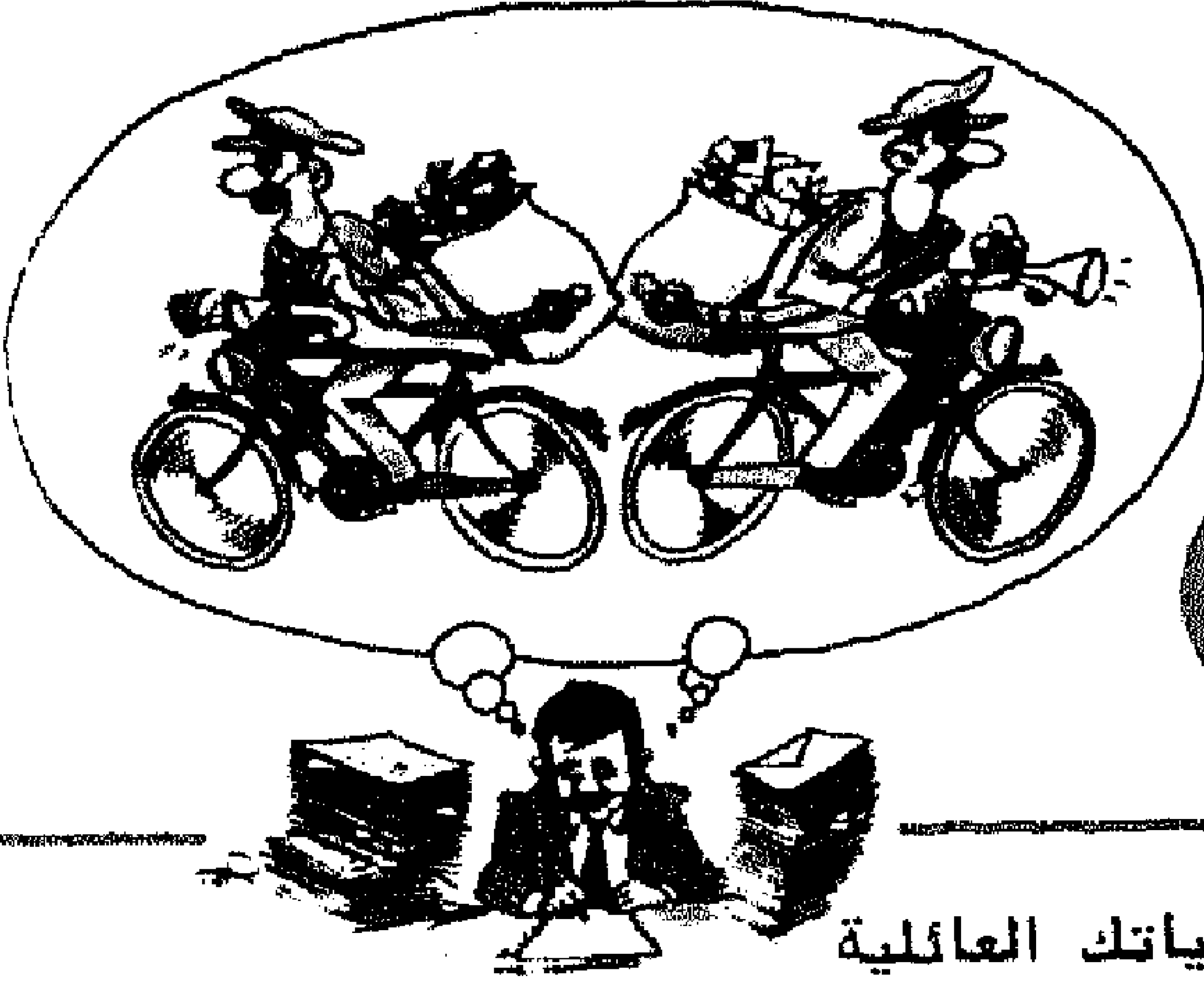
---

## خالة دهرية!

كنتُ أعمل في مخزن بقالة، وغالباً ما ساعدت كبار السن من الزبائن. وكانت هناك امرأة تتبضع يومياً مكتفية ببضع سلع كل مرة. وبعد شهر قالت لي: "أفترض أنك تعجب لماذا آتي الى هنا كل يوم. القصة هي أنني أعيش مع ابن أختي. وأنا لا أطيقه، ولا أريد أن أموت وأترك له ثلاجة مليئة بالطعام!"

ش.ف.

# اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

**صور من الحياة:** القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

**تأملات معاصرة:** مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

**حديقة أفكار:** أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

**الضحك خير دواء:** تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

**السدات:** هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

## شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص. ب ٥٥٢٢٨، المتن الشمالي، لبنان.



"عش السمانى" للرسامة البريطانية باتريشا باروز

نيسان/أيار ١٩٨٩ - رمضان/شوال ١٤٠٩

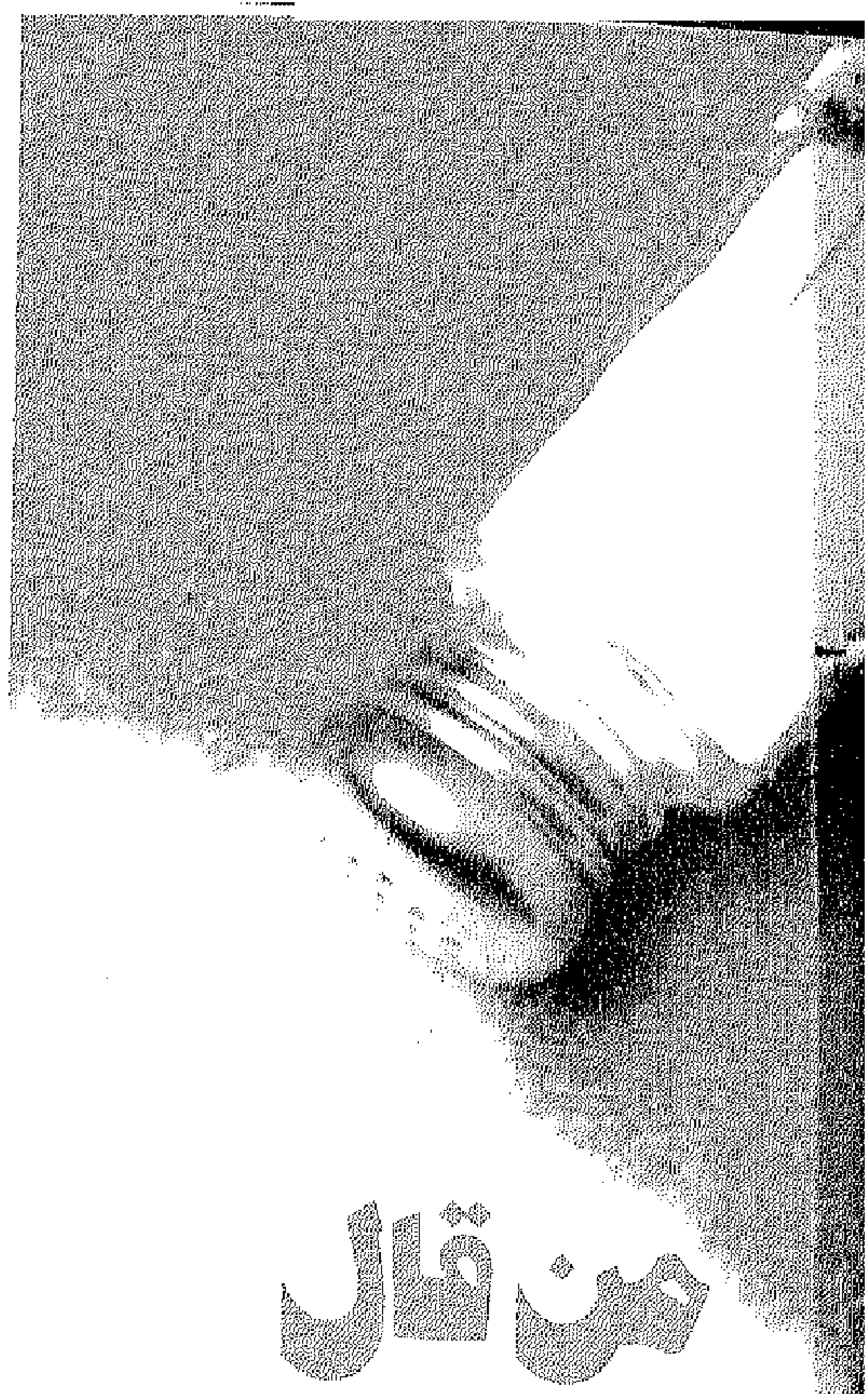
# المختار

من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest April / May '89 N° 125 / 1266



أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٣٨ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا



من قال الملح ضار؟

(ص ٣٢)

برج ايفل جوهرة باريس

(ص ٩٨)

طوافة تصطاد مجرماً

(ص ١٠٨)



# المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية


رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.

امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.

الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.

الهاتف ٣٤٥٧٣١ - ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE

الصف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest





Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O.Box 55228, El-Metn, Lebanon.

Tel: 492670 — 491630. Telex: MUKTAR 44615 LE.





MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

April / May '89 N° 125/126 (New Series) Vol. 11

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: فرنسيس ج. شيل. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.





لبنان ٢٥٠ل - سورية ١٥ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف - السعودية ١٠ر - مصر ١٢٥ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٧ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب - تونس ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ج - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢٫٥د

# غداً ترجع الطيور

هذا العدد المزدوج من "المختار" هو عدد طوارئ! ذلك بأن الظروف التي احاطت بصدوره كانت غير عادية، بل مأسوية.

فعندما تطايرت القذائف فوق بيروت، بقطاعيها الغربي والشرقي، وفاجأت الناس في الطرق والمكاتب والمعامل صباح الرابع عشر من مارس (آذار)، كان هذا العدد في طريقه الى المطبعة. الا انه عندما وصل الى مدخل المطبعة وجد ان قذيفة من العيار الثقيل قد سبقته اليها فسقطت امام مدخلها محدثة اضراراً بالغة في المبنى والمكاتب والآلات، ومشردة العاملين فيها. وحين رجع هؤلاء الى المطبعة بعد اسبوعين، اثر فترة قصيرة من الهدنة غير المعلنة بين المدافع، وباشروا ازالة آثار القصف، فاجأهم انفجار خزان الغاز في محلة الدورة القريبة من المكان، فهرولوا من جديد غير لاوين على احد، يبحثون عن فسحة خالية من التلوث يلجأون اليها مع عيالهم.

وظننا اننا اذا انتقلنا بالعدد الى المقلب الآخر من المدينة – حيث تنضد "المختار" وتعد للطبع – سنجد من يحوله لنا مجلة تطير، بعد ايام، الى قرائها في العالم العربي. الا اننا فوجئنا هنا بأن آلة الحديد والنار ضربت في كل اتجاه، فاقفلت المطابع ومستودعات الورق وعطلت المرفأ والمطار وهجّرت حتى الطيور!

ولما حاولنا اعادة العدد الى حيث كان، في انتظار الفرج، كانت المعابر بين شطري العاصمة قد اقفلت في وجه الجميع.

على رغم ذلك، لم نيأس بل قلنا: فلنصبر، لان الله مع الصابرين، وان اللبنانيين ليسوا وحيدين في المحنة التي حلت بهم، وان قلوب اخوانهم العرب معهم وان هؤلاء يتطلعون بلهفة الى اليوم الذي تنقشع الغيمة السوداء عن وطنهم. فكان قرارنا جعل هذا العدد بديلا من عددين آملين ان يوفقنا الله في تعويض ما فات قراءنا الاعزاء شاكرين لهم ثقتهم الغالية على قلب كل واحد من افراد اسرتنا.

رئيس التحرير


MSF

المختار

من ريدرز دايجست السنة الحادية عشرة (سلسلة جديدة) ابريل نايو ١٩٨١

مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

# أطباء بلا حدود:

# فدائيّون لا يُقهَرُون

## متطوعون متفانون يجوبون العالم متجاهلين الخطر وحاملين الصحة والامل الى المحتاجين

سار أربعة رجال ببطء عبر ممر ضيق في وادي دارايم شمال شرق أفغانستان. كانت الجبال السامقة ترتفع في كل الاتجاهات، وكان البرد قارساً والثلج كثيفاً مما جعل التمتع بالمناظر متعذراً. شق الرجال طريقهم بصعوبة وصمت وهم يدفنون وجوههم داخل معاطفهم الصوفية. فجأة سمعوا هدير مروحيات آتية من الخلف.

عندما هست القذائف الاولى المنطلقة من المروحيتين انبطح الرجال على الثلج. انفجرت القذائف محدثة فوراناً أبيض ولكن من دون أن تحدث أي أذى. وحصل قصف آخر تبعه انفجار آخر في الثلج. ثم عدلت الطوافتان عن الهجوم إذ بان لطياريهما أن حصانين وأربعة فلاحين لا يستحقون اهدار مزيد من الذخيرة.

وقف الطبيب روبرت ساليون تيراس نافضاً الثلج عن لحيته. ثم تفحص الخرج على حصانه. كانت جميع الادوية والمعدات سليمة لقد اطمأن الى انه سيتابع معايناته وفق المخطط.

Illustration: Cliff Spohn

لم تكن هذه زيارة طبية عادية، كما لم يكن ساليون تيراس طبيباً عادياً. انه واحد من ٤٠٠٠ متطوع، منهم أطباء صحة وجراحون وأطباء أسنان ومعالجون فيزيائيون وممرضات وقابلات وفنيون، خدموا في انحاء عدة من العالم، على مدى ١٧ عاماً وسط الخطر، وذلك من خلال منظمة فرنسية رائدة ومرموقة تدعى "أطباء بلا حدود"(١).

منذ العام ١٩٧١ بذلت هذه المنظمة جهوداً مضنية لانقاذ ارواح مهددة بالحرب والجوع والوباء والنكبات في أنحاء العالم. وهذه المنظمة العاملة حالياً في ٣٠ بلداً نمت من فريق صغير من الاصدقاء الى اكبر منظمة مسعفة خاصة في العالم. وهي مكرسة كلياً للاسعافات الطبية. وفيها متطوعون من سويسرا والمانيا وبلجيكا واسبانيا وانحاء اوروبا الغربية والامريكتين الشمالية والجنوبية.

يقول مدير المنظمة في مقرها الرئيسي بباريس الدكتور فرنسيس شارهون: "نحن نذهب حيث لا يذهب الآخرون." وتعمل المنظمة وحيدة في مناطق تكاد تكون خالية من العناية الطبية المحلية. وكل عام يهب نحو ٧٠٠ عامل لتأدية مجموعة غير عادية من المهمات تراوح بين معالجة سوء التغذية والامراض في مخيمات اللاجئين في السودان واقامة مشاغل للمعاقين في السلفادور واعادة تأهيل المستشفيات في غينيا. وقد تدوم هذه المهمات أسبوعاً في حال النكبات الطبيعية، وسنوات عدة في المناطق التي تسودها نزاعات. في شرق تايلند، مثلاً، لا يزال فريق المنظمة يعالج لاجئين أتوا من كمبوديا منذ العام ١٩٧٦.

**الباب والنافذة.** لقّب أطباء المنظمة "القوة الطبية الضاربة" و"الفدائيين الانسانيين" و"عصابات الرحمة" بسبب رفضهم القاطع السماح للسياسة بأن تعترض عملهم.

قبل نشوء منظمة "أطباء بلا حدود" عملت وكالات الغوث عبر قنوات حكومية وديبلوماسية، ولم تكن تدخل مناطق القتال والكوارث ومخيمات اللاجئين الا عندما تدعوها السلطات. لكن المنظمة الجديدة غيرت كل ذلك، وجعلت أسلوب عملها يتماشى مع وقائع الحياة العصرية: أن كثيراً من حكومات العالم الثالث لا تتمتع بسيطرة تامة على بلدانها، وبعضها يرفض المساعدة الخارجية لأسباب تتعلق بالكبرياء أو بالسياسة. وبعد مواجهة هذا الواقع قررت المنظمة، ببساطة، الذهاب الى حيث يحتاج اليها الناس. اذا فتحت لها الحكومات الباب دخلت عبره، واذا رفضت فتحه دخلت من النافذة الخلفية. وهي لا تتغاضى أبداً عما تشاهده.

وفي العام ١٩٨٥ أقدم رئيس المنظمة الدكتور روني برومان على خطوة أذهلت المتبرعين الغربيين وأغضبت السلطات الاثيوبية، اذ أعلن الحقيقة المؤلمة التي اكتشفها مع فريقه الطبي في مراكز المعالجة ومحطات التغذية ومخيمات اللاجئين: ان مساعدات العالم الى السكان الجائعين أسيء استعمالها

(١) Médecins Sans Frontières

واستخدمتها الحكومة المركزية لخدمة اغراضها.

**مكافآت معنوية.** بين المهمة والاخرى يعود متطوعو المنظمة الى ديارهم للاهتمام بحياتهم اليومية، حيث يعملون كبدلاء للاطباء المتغيبين بهدف احراز زيادة طفيفة على أجورهم الزهيدة، وهي ٤٤٠٠ فرنك (٧٥٠ دولاراً) في الشهر للطبيب و٣٤٠٠ فرنك (٥٧٥ دولاراً) للممرضة. ان نصف الجسم العامل يضم موظفين نظاميين، أما النصف الآخر فيتألف من أشخاص تخرجوا حديثاً في معاهد الطب والتمريض ويودون وهب مهاراتهم مدة محددة قبل الانطلاق الى مهن اكثر استقراراً.

ان الاختصاصيين النظاميين الذين جندتهم المنظمة لمهمات قصيرة الامد، يكتشفون علاقة بين الطبيب ومريضه نادراً ما يختبرونها في ديارهم، البروفسور ألان لورتا جاكوي جراح شهير في جبر العظام أرسل الى السودان، وهو يشرح الوضع: "في رحلتي الاولى أردت فقط أن أبرهن قدرتي على استعمال مهاراتي في مساعدة سكان العالم الثالث. أما اليوم فأنا أشعر بأنني مسؤول عن متابعة ما بدأته. وكلما عدت الى هناك هرع الي الاهل والاولاد الذين عالجتهم صائحين فرحين: دكتور آلان! دكتور آلان! انها مكافأة لا تقدر بثمن."

سيلفي كوسيه ممرضة أطفال من ليون في السادسة والثلاثين من عمرها، وهي تتحدث بتأثر عن مهماتها في أفغانستان: "حتى عندما يستهلك المرضى معظم مخزونهم الغذائي فانهم يأتون الى عيادتي حاملين هدايا صغيرة: قطعة خبز أو تفاحة ذابلة. لا يمكنك أن تتصور ماذا تعني التضحية بالنسبة اليهم. في عيد الميلاد جاءنا رجل سبق أن عالجناه، وهو ارتحل ثلاثة أسابيع مشياً في الجبال ليقدم الي هدية هي معطف صوفي مصنوع باليد. أشعر بأنني أدين لهؤلاء الناس أكثر مما يدينون هم لي."

لكن تلك المكافآت المعنوية لا تتحقق الا من طريق التمويل الضخم. ان غالبية رواتب المنظمة ومصاريف الادارة واللوازم والادوية والسفر تؤمن من الهبات الخاصة. ويهب نحو ٦٠٠ ألف فرنسي وأجنبي ما معدله ١٠٠ مليون فرنك (نحو ١٧ مليون دولار) سنوياً. وهذا المبلغ كاف لتغطية ثلاثة أرباع موازنة المنظمة. أما البقية فتأتي غالباً من "مكتب المندوب السامي لشؤون اللاجئين" التابع لمنظمة الامم المتحدة ومن "صندوق المساعدات الطارئة" في السوق الاوروبية المشتركة.

وما تقدمه المنظمة في المقابل لعملية ذات فاعلية رائعة. ان اسلوب الافضليات الذي تتبعه المنظمة وغياب الروتين الحكومي عنها، يسمحان لها بصرف ٧٥ في المئة من موازنتها على المهمات الطبية.

**لا يقهرون.** ان هذا الولاء للروح المهنية الصرفة يعني أن المنظمة هي دائماً جاهزة ورهن الاشارة. ففي شهر أغسطس (آب) ١٩٨٧، مثلاً، عندما سببت الامطار الجارفة فيضانات هائلة في السودان خلفت أكثر من نصف مليون شخص من

دون مأوى وهددت السكان بأمراض عدة كحمى التيفوئيد والكوليرا. وبعد أسبوع واحد من الكارثة أرسلت فروع المنظمة في باريس وبلجيكا وهولندا ستة أطباء وممرضات ومهندسين في الصحة العامة. ولم يصل هؤلاء فارغي الايدي، فالطائرة المستأجرة التي نقلتهم الى الخرطوم كانت معبأة بالادوية واللقاحات ومضخات المياه وأجهزة التطهير والتنقية.

في أواخر شهر فبراير (شباط) ١٩٨٦ قدمت المنظمة برهاناً فنياً على جدارتها وسرعتها في العمل. فبعد نزوح عشرات الالوف من الاثيوبيين عن بلادهم بسبب الحرب الاهلية والمجاعة، عبروا حدود الصومال باحثين عن المأكل والملجأ، أطلقت الامم المتحدة الانذار: الكوليرا والمجاعة تهددان النازحين. وللحال أرسلت منظمة "أطباء بلا حدود" في باريس فريقاً الى سهل تاغ واجال القاحل حيث احتشد التائهون البائسون. واتصل الفريق تلكسياً بمركز المنظمة مؤكداً سوء الحال: "الوضع خطير. مطلوب اعلان حال الطوارئ."

ويتذكر الدكتور بورمان: "كان النازحون في حاجة الى كل شيء: مستشفيات ميدانية، عربات، طعام، لقاحات، خزانات مياه، خيم، أطباء وممرضات." فانبرت المنظمة لتأمين اللوازم الطبية الكافية والطعام لتغطية حاجة ٥٠ ألف شخص على مدى شهرين. وبعد أربعة أيام على بث رسالة الفريق أقلعت طائرة مستأجرة من باريس بحمولة ١٢ طناً.

بعد هبوط الطائرة بأربع وعشرين ساعة فتح أول مستوصف داخل مخيم اللاجئين لاستقبال الاثيوبيين المحتشدين وتلقيحهم. مدت مجاري المراحيض وعبئت خزانات المياه. يقول برومان: "أثبت خط التموين الجوي أن المنظمة تستطيع أن تكون فاعلة تماماً على بعد عشرة آلاف كيلومتر عن الوطن في غضون خمسة أيام فقط. قلة هي المنظمات التي يمكنها ذلك."

ويقول غاري بركينز من مكتب المندوب السامي لشؤون اللاجئين التابع للامم المتحدة في معرض مدحه سرعة المنظمة واحترافها: "تجدهم هناك عندما تحتاج اليهم. انهم أكفياء وانسانيون وأوفياء لا يقهرون."

**قصة نجاح.** يعود جزء من قدرة الفريق على تنفيذ المهمات في أي مكان وزمان، الى المنظم جاك بينل، وهو صيدلي بالخبرة حلل جميع عمليات المنظمة، ففككها الى أجزائها وأعاد تركيبها وفقاً للمشاكل المختلفة. ان حاجات مخيم للاجئين في آسيا، مثلاً، ليست مثل حاجات مخيم للتلقيح في اليمن. وكانت النتيجة ٥٠ صندوقاً مختلفاً للعدة، بعضها في حجم حقيبة ثياب وبعضها في حجم سيارة، وجميعها مجهزة لتكون فاعلة بعد فتحها بدقائق. انها تحتوي على كل شيء، من الادوية الى مضخات المياه ومولدات الكهرباء وقطع السيارات.

يشرح بينل: "صندوق العدة مزيج منطقي لادوات يعتمد بعضها على بعض. هل جربت البحث عن وصلة لجهاز ارسال في قرية افريقية؟"

ان لوجستيين أمثال جان جاك

بوردييه، وهو ميكانيكي سيارات سباق، يشاركون في جميع المهمات الكبيرة ويشرفون على البناء ويصونون المعدات وأسطول المنظمة المكون من ١٦٠ عربة. وتتطلب المهمة برودة أعصاب وطاقة على الارتجال العملي. ذات يوم تعطلت سيارة بوردييه في منطقة نائية بافريقيا، فصمم لها محمل كريات(٢) من علبة تنك. وفي مرة أخرى خاط عجلاتها المثقوبة بابرة وخيط. وفي انقطاع ثالث سحب محركاً محروقاً من داخل شاحنته مستعيناً بجمل بدل رافعة.

ان النشاط والخيال والشجاعة هي مستلزمات للاطباء أيضاً. اثناء العمل في مدينة زحلة بلبنان عام ١٩٨١ كان الدكتور شارهون وفريق من الجراحين يجرون جراحات في مرأب للسيارات تحت الارض فيما القذائف تنهمر فوق رؤوسهم.

وتجنباً لاكتشاف أمرهم في أفغانستان، أجرى أطباء المنظمة جراحات في ضوء النور المنبعث من الخوذ المعدنية التي يستعملها عمال المناجم. وفي التشاد أسر متطوعو المنظمة كسجناء حرب. وفي تركيا سجنوا بتهمة التجسس.

(٢) Ball bearing

وكانت افغانستان أشد المناطق تحدياً لمتطوعي المنظمة. ومع انسحاب القوات السوفييتية تتحضر فرق المنظمة لمهمات جديدة هناك، كتعزيز الصحة العامة وتأمين الادوية الوقائية. وفي العام ١٩٨٧ عادت سيلفي كوسيه الى ذلك البلد الذي خربته الحرب ومعها ٥٠ ألف جرعة من لقاح الحصبة القاتلة. وبما أن نصف مجموع الاطفال الذين يمرضون بالحصبة يتوفون في الاودية النائية حيث تعمل كوسيه، فانها ستشعر بالرضى عندما تدرك أنها ساعدت في انقاذ ألوف الصغار. تقول سيلفي: "هنا تكمن الروعة في المنظمة. بالشيء القليل نستطيع تحقيق الكثير."

ان نمو منظمة "أطباء بلا حدود" من فرقة أصدقاء فرنسيين عاديين الى قوة طبية "ضاربة" رائعة التنظيم هو من أعظم قصص النجاح في ميدان المساعدات الدولية. وفي وجه مآسي العالم غير المتناهية تقف المنظمة متحدية، جاذبة ألوف الرجال والنساء الاشداء الذين يذهبون حيث يرفض غيرهم الذهاب، حاملين الامل والصحة الى المحتاجين.

رودولف شلمنسكي ■

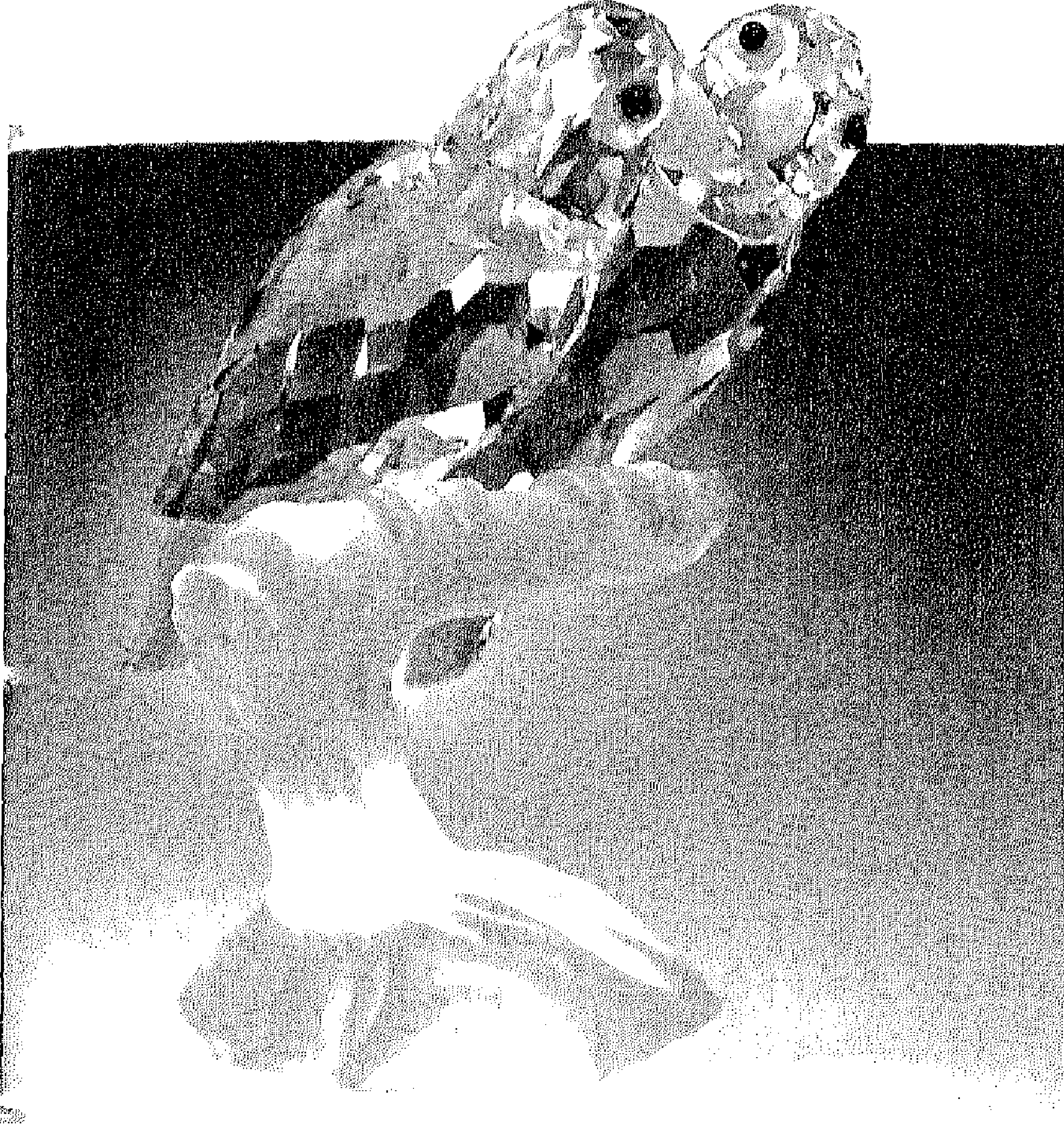


## قل كلمتك وامشِ

يلاحظ يويو ما (٣٣ عاماً) أحد أعظم عازفي الفيولنسيل في العالم "أنت تصرف حياتك بكاملها محاولا أن تتضلع من علم ما - لغة الموسيقى في حالي أنا وأنت تحاول باستمرار أن تقول شيئاً ما بوساطتها. وكلما ازددت خبرة سهُل عليك الاتصال والتعبير أنت راوية. وقصتك تتغيّر كلما تقدّمت في العمر وانتقلت من طور في الحياة الى آخر وما من انسان هو "الاعظم" في أي حقل"

صحيفة "إنكوايرر"

# عَالَم شوارو فسكي



عصافير الحب:
تصميم أصيل متمَّم باليد ببلور شواروفسكي الرصاصي الكامل (الحجم الحقيقي ١٠٢ مليمتر).

اذا بانت حقيقية
أكثر من جوهرة
ورأيتها
تزين حسناء
أو نجمة سينمائية أو ابنة الجيران
فلا شك في أنها من صنع شواروفسكي

ذات يوم من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٧ ازدحم في قاعة "سوذبي" للمزاد في مدينة نيويورك نحو ٣٠٠ من المشاركين في أحد أكبر الاحداث في عالم الازياء: بيع مجوهرات ديانا فريلاند الشخصية الاجتماعية المرموقة والمحررة السابقة المتخصصة بالازياء. لكن الجواهر على منصة المزاد لم تكن تلك الدرر الثمينة من الدرجتين الاولى والثانية التي تعرض عادة في قاعات المزاد الكبرى،

Photo: Swarovski Collectors Society

انما كانت ٤٠٠ قطعة من "جواهر الملابس"(١) وهي جواهر زائفة من زجاج أو مينا أو بلاستيك أو حجر الراين(٢). وقد بيعت بثمن مدهش بلغ ١٧٩٨٠٠ دولار.

ان مبيع مجوهرات فريلاند للملابس والحلي التقليدية المنسوخة عن أشهر مجوهرات دوقة وندسور، أطلق "صرعة" مجنونة لشراء المجوهرات الزائفة هي الكبرى منذ العشرينات الصاخبة حين ازدان كل صدر نسائي بعقود من الزجاج متعددة الالوان. وها هي الجواهر الزائفة تعود "الموضة" السائدة المفضلة. ويشتد الاقبال على شراء الحلي والعقود المقلّدة، وفي مقدم الشارين نجمات السينما وأفراد العائلات المالكة، من الممثلتين الشهيرتين كاترين دونوف وجون كولنز الى دوقة يورك، وجميعهن مناصرات متحمسات للمجوهرات الانيقة. وبلغت المبيعات أوجها في الولايات المتحدة وأوروبا والشرق الاقصى ونشأت عنها صناعة بمليارات الدولارات.

وما من أحد أدرى بـأبعاد هـذا "الانفجـار" من الشركـة النمسـويـة "د. شواروفسكي"، قائدة العالم بلا منازع في صناعة المجوهرات الزائفة والتي بلغت مبيعاتها عام ١٩٨٧ اكثر من ٦٧٠ مليون دولار. وتصنع هذه الشركة، التي مضى على تأسيسها ٩٤ عاماً، ٨٠ في المئة من الحجار الثمينة الاصطناعية في العالم. فالحجار اللامعة في نسخ جواهر التـاج البـريطـانـي هي من صنـع شواروفسكي، كذلك مجموعة ديانا فيرلاند وبروشات دوقة وندسور المقلّدة. كذلك مجوهرات الأزياء الرفيعة لدى البيوت الكبرى: "إيف سان لوران، بوتلر وولسون، فالنتينو، كينيث جاي لاين، هاناي موري، في باريس ولندن وميلانو ونيويورك وطوكيو، وتباع كل منها بما يراوح بين عشرة دولارات وألف دولار.

ليس هناك من حجر ثمين يعجز شواروفسكي عن تقليده. فحجار الياقوت الاحمر القاني كالدم والزمرّد الاخضر الغامق والصفير والازرق القاتم (كلها مصنوعة من البلّور) واللآلىء المتلونة بألوان قوس قزح والالماسات الزائفة (المصنوعة من أوكسيـد الزركـونيوم المكعّب المنتج كيميائياً) تتوهج في الاصابع والاعناق والآذان في عواصم العـالم. وحجـار الـرايـن من انتـاج شواروفسكي تتألق في أثواب الساري في الهند والكيمونو في اليابان والدبابيس والاحزمة وسراويل الجينز والكنزات في القارات الخمس. تقول مصممة الازياء البريطانية زاندرا رودس: "ان حجار شواروفسكي هي التي ساعدتني على جعل ابتكاراتي تحفاً فنية جميلة."

**بيضة نعامة.** كل يوم تخرج من مصنعي شواروفسكي للقص والصقل في البلدة النمسوية الجميلة فاتنز التي تبعد ١٥ كيلومتراً شرق إنسبروك، ٣٠ مليون حجر في نحو ٣٥٠ ألف من الاحجام والاشكال والالوان. تفرز هذه الحجار وتوضّب في صناديق بلاستيكية وتنضّد في شاحنات تتجه الى مطار ميونيخ، حيث تشحن الى بيوت المجوهرات والازياء الرائدة.

(١) Costume Jewelry

(٢) حجر الراين ألماس زائف مصنوع من زجاج.

ان أصغر الحجار المنتجة تكاد تصغر حجم رأس دبوس، وأكبرها "ليبراس" قُصَّت في العام ١٩٨٣ هدية الى عازف البيانو الشهير ليبراس نظراً الى ولعه بالبلّور. وهي ألماسة اصطناعية من ١١٥ ألف قيراط وعدد سطيحاتها ١٣٤، وهي تزن ٢٣،٥ كيلوغراماً وتعتبر أكبر جوهرة اصطناعية في العالم.

وعلى رغم تألق الجواهر الاصطناعية وروعتها فان المواد التي تستخدم في صنعها وضيعة الجذور وتتألف من أربعة عناصر جافة هي: رمل كوارتز، صودا، بوطاس وأوكسيد الرصاص، تمزج في قدور ضخمة من السيراميك وتوضع داخل قناطر فرن كبير للتذويب فتحمّى الى ١٥٠٠ درجة حرارة مئوية. وبعد ٤٨ ساعة يسكب السائل الساخن في قوالب معدنية ويترك نحو أسبوع ليبرد على مهل ويتجمد. وكل يوم يتم انتاج ٣٠ طناً من البلّور جاهزة للقص والصقل بآلات الكترونية شديدة التعقيد. أما المواد الكيميائية التي تصنع منها الالوان فاما أن تزاد الى المزيج الاساسي واما أن تصبغ بها القطع البلورية ذاتها.

ليست بلدة فاتنز بالمكان الذي يرتقب المرء أن يجده محوراً لصناعة دولية مترامية الاطراف. تحوط البلدة جبال تكلل الثلوج هاماتها، ويبلغ عدد سكانها ٦٧٠٠. وفيها اشارات خضراء وصفراء ترشد الزائرين الى مجمّع شواروفسكي: أبنية خفيضة قائمة على مساحة ٣٠ هكتارا، يشرف عليها بناء للمكاتب من ثماني طبقات. وفي فاتنز ٣٢٠٠ عامل، يضاف اليهم ٤٠٠٠ آخرون خارج النمسا في مراكز البيع.

ان تدابير السلامة صارمة في فاتنز، فقليلون من خارج الشركة يدخلون المجمّع المحمي، وعدد أقل منهم يتاح لهم دخول المصنعين. ولزيادة الحفاظ على أسرار الانتاج تستورد قطع الآلات من مصادر مختلفة وتجمّع في المصنع.

لكن السياح يزورون "بيت البلّور" الذي يعرض نماذج من مصنوعات شواروفسكي ويقدم عرضاً يشرح طريقة نفخ الزجاج وقصه باليد. وهناك أراني هاينز روث، الخبير بقص الزجاج، نسخة

(الى اليسار) منظر جوي لمصنع فاتنز، وتظهر حجار مجوهرات شواروفسكي البلورية على ورقة خضراء ونماذج من مجوهرات شواروفسكي للازياء. (تحت) ليبراس مع الالماسة الاصطناعية التي تزن ١١٥ الف قيراط وتحمل اسمه.



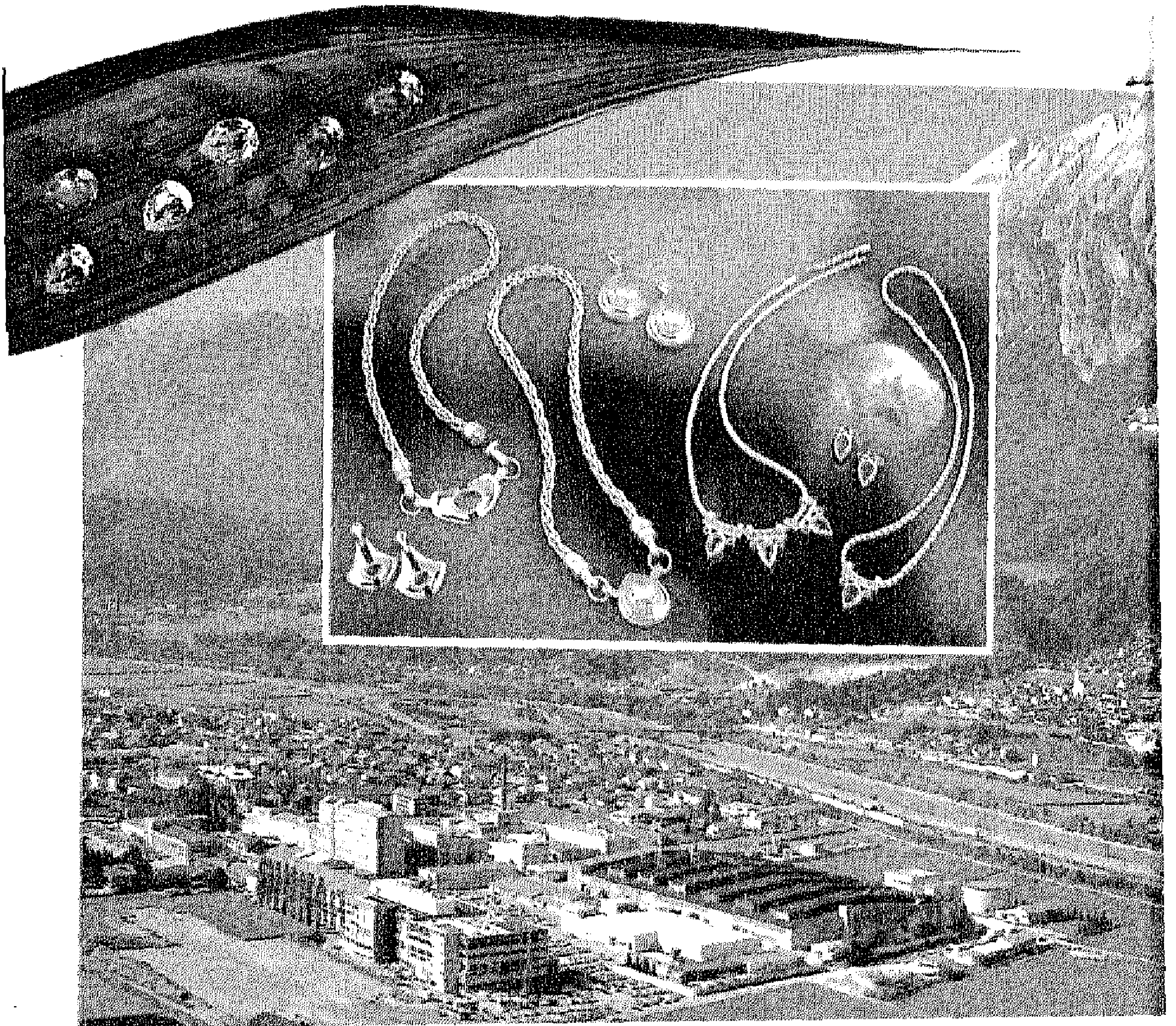
Photos: Courtesy of D. Swarovski & Co.

طبق الاصل للألماسة البلورية الشهيرة في حجم بيضة النعامة التي قصها لفيلم "عودة الفهد الزهري"(٣) وأعطاها لاحقاً بطل الفيلم بيتر سلرز.

**على شفا الانهيار.** بدأت الحكاية عام ١٨٩٥ حين غادر دانيال شواروفسكي وزوجته ماري وأولادهما الثلاثة فيليم وفريدريك وألفرد منزلهم في بوهيميا التي كانت جزءاً من الامبراطورية النمسوية - الهنغارية ومركزاً لانتاج البلور. كان دانيال اخترع آلة تقص حجار البلور بدقة وأراد أن يتخلص من مراقبة منافسيه. واحتاج كذلك الى وصول سهل الى المواد الاولية والى مصادر وفيرة من الطاقة الطبيعية ومساعدين مهرة. فوجد كل ذلك في بلدة فاتنز في جبال التيرول المجاورة. فالنهر هناك يؤمن له الطاقة، وتزوده الجبال الرمل والكوارتز والبوطاس التي يحتاج اليها في صنع البلور.

وما لبث دانيال أن بنى معمله الخاص. وفي نهاية القرن كانت "حجاره المقطوعة من جبال التيرول" تكتسب شهرة في

(٣) The Return of the Pink Panther



المنطقة. واذ عمّت أخبار نجاحه انهالت عليه الطلبات من بريطانيا وأمريكا. وكان هو وعماله المئة جاهزين للعشرينات الهادرة حين ازدهر طلب الحجار الزائفة كما لم يسبق له مثيل.

في بداية الحرب العالمية الثانية أمر المحتلون الالمان الشركة بأن تحول انتاجها الى مواد عسكرية، فباتت تنتج ستة آلاف منظار شهريا، لكنها استمرت في صنع الحجار خفية، واستطاعت أن تؤمن منه مخزوناً احتياطياً كبيراً.

وفي نهاية الحرب هاجر صديق لشواروفسكي من تشيكوسلوفاكيا الى نيويورك، وتعرّف الى تجار من أنحاء العالم، من اليابان الى أمريكا الجنوبية. فباع كل الكمية المخزونة وحصل على عقد من شواروفسكي يخوله البيع في كل العالم.

في هذه الاثناء كان دانيال حسّن نوعية بلوراته المتلألئة باضافة أوكسيد الرصاص اليها، وبدأ انتاج الثريات على نطاق واسع. والثريا في قاعة "متروبوليتان أوبرا" في نيويورك هدية من الحكومة النمسوية مصنوعة من بلور شواروفسكي. وكثير من الثريات في الكرملين بموسكو وفي قصور المملكة العربية السعودية هي كذلك من صنع شواروفسكي.

توفي دانيال عن ٩٤ عاماً، وما لبث أن توفي أولاده الثلاثة. وفي ١٩٦٣ تولى حفيداه دانيال وماتفريد شؤون الشركة وسارا في ادارتها على خطى مؤسسها. لكن الايام تغيرت، ونظراً الى تقلب الاتجاه في الازياء وأزمة النفط عام ١٩٧٣ وقفت الشركة على شفا الانهيار ثلاث مرات.

**"رجل العام."** قيّض للشركة أن ينقذها ابن الحفيد غيرنو لانفس شواروفسكي الذي كان في الظل ويتقن خمس لغات ويتمتع بحاسة تجارية دقيقة. فمع ولديّ عمه كريستيان شفمبرغر شواروفسكي المدير المالي، وهيلموت شواروفسكي المهندس والخبير التقني، أدخل نظاما مهنياً ادارياً أكثر كفاية وسيّر الشركة في اتجاهات جديدة.

وفي سبيل الوقاية من تقلبات الازياء أدخل الثلاثة اصناف هدايا جديدةً ثابتة مصنوعة من بلور يحوي ٣٠ في المئة من أوكسيد الرصاص أطلقوا عليها اسم البلور الفضي، منها شمعدانات ومنصات للساعات وحجار شطرنج. وفي العام ١٩٧٧ أطلقوا مجموعة الحيوانات الشهيرة حالياً. بدأت المجموعة بصنع فأرة من كرات صغيرة ذات وجيهات بلورية ملصقة بغراء خاص. وكانت حدثاً مثيراً حدا الى صنع ٦٨ نوعاً من الحيوانات المختلفة الاشكال والاحجام والمتوافرة حالياً، منها سلاحف وقنافذ وحيوانات كوالا (تكريماً للذكرى المئوية الثانية لاوستراليا) تباع في أنحاء العالم وحققت ربحاً بلغ ٨٣ مليون دولار عام ١٩٨٧.

يقول ماكس شريك (٧١ عاماً) الذي صمم كثيراً من الحيوانات الاول: "حين طلب مني أن أصنع حيوانا من أجزاء ذات وجيهات، تبادر الى ذهني أن مديري الشركة مخبولون.

لكني أعتقد الآن أن ما فعلوه لعظيم!"

في أواخر السبعينات بدأت الشركة انتاج مجوهرات جاهزة للألبسة صممها الموظفون فيها بأنفسهم مستخدمين حجار شواروفسكي.

وعلى رغم انتشار منتجات شواروفسكي بعيداً جداً عن النمسا فان الشركة ما زالت تدار كأنها عائلة كبيرة. يقول دانيال الذي وخطه الشيب: "كان جدي يؤكد أن عمالنا هم قوتنا، وعلّمنا أن واجبنا الاهم هو أن نهتم بهم جيداً". وذلك هو ما يحصل. وعلى أرض اشتراها المؤسس في فترة ما بين الحربين العالميتين تمكن ثلثا المستخدمين في الشركة من الحصول على قروض لتملك مساكنهم. وهناك خطة لتقاسم الارباح مع المستخدمين يحصلون بموجبها على نسبة تصل الى ١١ في المئة من الارباح.

وتحتفظ شركة شواروفسكي بعلاقات وثيقة مع السكان المحليين. ففي فاتنز فرقة لاطفاء الحرائق وفرقة موسيقية برعاية شواروفسكي، كما أن هنالك متحفاً خاصاً بالشركة.

وفريق الشركة لكرة القدم "شواروفسكي تيرول" عضو في اتحاد الكرة النمسوية. وتصدر شهرياً مجلة "فيركتسيتونغ" تُطلع العاملين الحاليين والقدامى على نشاطات الشركة. وأنشىء صندوق سمي "صندوق دانيال وماري التذكاري" لتمكين طلاب من المؤسسة وخارجها من الدراسة في جامعة أنسبروك.

ويعمل مديرو الشركة بجد متواصل على تنفيذ مشاريع جديدة. ففي العام ١٩٨٧ عمدت الشركة، مع شركة "بيبلز جويلرز" الكندية، الى شراء "زايل كوبورايشن" وهي سلسلة كبيرة من محلات لبيع الجواهر. وستستخدم المتاجر الـ١٢٥٠ لتسويق منتجات شواروفسكي الخاصة مما "يقربنا أكثر من زبائننا." كما عقد المديرون اتفاقا مع الصين لمساعدة تلك البلاد على انتاج مجوهرات رخيصة للالبسة مصنوعة بحجار شواروفسكي. فتلقى ٢٠٠ عامل صيني تدريباً لمدة ٩ أشهر نظمته شركة شواروفسكي في بريطانيا. وافتتحت الشركة الجديدة، ومركزها هويشو التي تقع على بعد ١٠٠ كيلومتر شرق كانتون، في ابريل (نيسان) ١٩٨٨.

في العام ١٩٨٨ صدرت المجلة النمسوية الاقتصادية "ترند" معلنة غيرنو "رجل العام." أما هو فيقترح أن يمنح التقدير جدّه الاكبر: "كان رجلا موهوباً ذا رؤية ثاقبة، وكل الخبرة التقنية التي نملكها ترتكز على اختراعاته. لقد أعطانا الوسائل والعدة، ليس فقط لنستمر في عمله، بل أيضاً لنحافظ على النوعية العالية ذاتها."

ويضيف غيرنو: "اني متيقن من أنه سيكون فخوراً بما حققناه، وسيكون سعيداً بأن يرى مجوهرات الازياء الرفيعة قد عادت فاحتلت مكانتها، وأننا ساهمنا أكثر من سوانا في جعل الشوارع الرئيسية في كل مكان من العالم تتألق بالجواهر وتبدو أكثر بهجة واشراقاً."

ديبورا كاولي ■

---

خَطِّط لعامك في الربيع وليومك في الصباح الباكر. مثل صيني

# رحلتي الى النجوم

## أول رائد فضاء ألماني غربي يروي رحلته في المكوك "كولومبيا" التي قطع فيها ٥،٣ ملايين كيلومتر

نحن مستلقون في مقاعدنا ونعلو أكثر من ٣٠ متراً عن مستوى الأرض ووجوهنا في اتجاه السماء. وهي المرة الاولى يطلق مكوك فضائي بطاقم من ستة ملاحين، من كيب كانافرال بفلوريدا. جون يونغ، الرائد الاكثر خبرة في برنامج الفضاء الاميركي، في مركز القيادة. وهو مستلقٍ في المقعد الايسر في الطبقة العليا والى يمينه الربّان بروستر شو. وبينهما، إنما قليلاً الى الوراء، بوب باركر. أما أنا وأوين غاريوت وبايرون ليشتنبرغ فكنا عند أقدامهم في الطبقة الوسطى.

المختبر الفضائي (١) الاوروبي الصنع والمحشو معدات علمية مستودع في حجرة الحمولة في المكوك "كولومبيا". أما مهمتنا فكانت قيادة أغلى المركبات الطائرة وأكثرها تعقيداً ووضعها في مدار أرضي وامتحان المختبر في الأحوال الفضائية الصعبة. والى ذلك من المفترض أن نجري ٧٢ اختباراً على متن المكوك ونعود بأكثر ما يمكن من المعلومات.

إنها الحادية عشرة صباحاً بالتوقيت المحلّي، والتاريخ ٢٨ نوفمبر (تشرين

(١) Spacelab



الثاني) ١٩٨٣. كل شيء حولنا هادر يهتز والصواريخ الدافعة تولّد طاقة من ألف ميغاواط مما يكفي لمدّ المنطقة بالكهرباء. وفي الوقت المحدد، بدقة جزء من ألف من الثانية، نُسفت الرتاجات الثمانية التي كانت تشدّنا الى منصة الاطلاق.

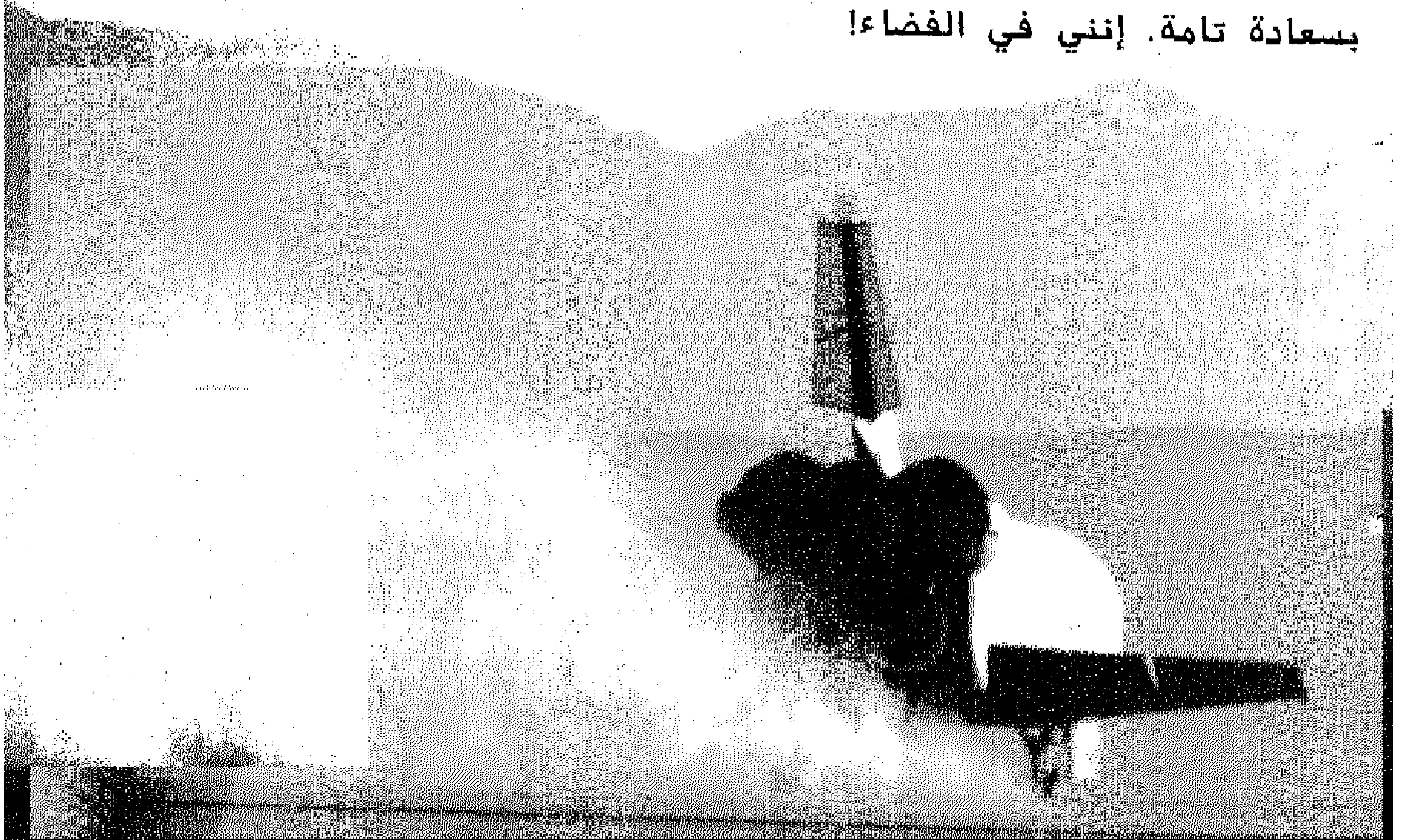
بدأ المكوك "كولومبيا" التحرك. وبعد أربع دقائق تجاوزنا برج الاطلاق . الدفع الهائل الذي يزيد على ٣٠٠٠ طن يضغطنا الى مقاعدنا بقوة تزيد مرة ونصف مرة على وزن أجسامنا. يعلن بروستر عبر سماعات الاذن مناورة الدوران. وفي وسعي أن أحس كولومبيا يدور على محوره الطولي.

والآن نقدر أن نبدأ انطلاقة في وضع مقلوب، ونزداد ارتفاعاً وسرعة. بعد ٥٠ ثانية نتجاوز سرعة الصوت. ومن خلال الكوّة في باب المدخل أشاهد السماء الزرقاء قد اظلمت فيغمرني شعور بسعادة تامة. إنني في الفضاء!



أولف ميربولد يجري تجربة على حاسة التوازن.

المكوك الفضائي "كولومبيا" يهبط في قاعدة ادواردز الجوية بكاليفورنيا.



شواطىء الارض. وجد فريق المراقبة في هيوستن بتكساس أن كل الاجهزة على متن المكوك تعمل على نحو كامل. فعلينا أن نبدأ عملنا باختبار حاسة التوازن: يُدخل الرائد رأسه في طاس يُغطّي داخله عدد كبير من النقاط الكبيرة الملوّنة. وفيما يدور الطاس بسرعة بواسطة محرك كهربائي يتوهم الخاضع للتجربة في الفضاء أنه هو نفسه يدور. وكان هذا التوهّم على الارض أضعف كثيراً، لأن عضو التوازن في الأذن الداخلية أفاد أن المعنيّ ما زال واقفاً بثبات على الأرض.

وعلينا أيضاً تصوير تحرك العينين لانهما تتبعان، لاإرادياً، دورات الطاس حتى نقطة محددة قبل أن تعودا بسرعة خاطفة الى وضعهما السابق. عبر المحور، تركز عدسة تصوير من ٣٥ مليمتراً على العين، ويركّب مصباح توهج (فلاش) دائري حول العدسة. ويفترض أن تتم دورة كاملة في غضون ست دقائق تلتقط خلالها ٤٥٠ صورة.

لكن مصباح التوهج كان معطلاً، وتعين علينا أن نجهض التجربة لكي لا نتجاوز الوقت المحدد فنعرّض للخطر مجمل برنامج الاختبارات، الموضوع بدقة متناهية. وقد وجدنا حلاً لاحقاً باستخدام آلة تصوير فيديو تلتقط ٢٥ صورة في الثانية وتسجل حركات العين أفضل كثيراً من آلة تصوير عادية.

زحف جون وبوب الى مرجعيهما وأردت أنا أن أزور بروستر في حجرة القيادة، فرأيت نفسي كسمكة في الماء أعوم صعوداً وأدخل من خلال الباب. وتوقعت من بروستر أن يردّني لكون الحجرة مليئة بالمفاتيح ووحدات عرض المعلومات، وهو المسؤول عن بقاء كل مؤشرات الادوات في مواضعها الصحيحة. لكنه ابتسم مرحباً لدى رؤيتي.

أرى تحتنا ظلاماً، انما في استطاعتي رؤية شواطىء ايطاليا بوضوح تحددها أضواء المدن والقرى. فيا له من منظر جميل هادىء!

وبعد ذلك بتّ أمضي ساعتين كل مساء مع بروستر.

لم أستوعب في البداية كون كيس نومي معلقاً من سقف المهجع وأن بوب ينام فوقي تماماً على الارضية. فكلانا يستخدم الفراش ذاته المؤلف من لوح ألومنيوم ثبت فيه كيسا النوم بأبازيم. واذ كنا عديمي الوزن فلم تكن لنا حاجة الى فراش محشو.

أصغي الى الموسيقى التي جئت بأشرطتها معي وأهفو الى النوم فلا استطيع اليه سبيلاً، بل ترجع بي الذكرى ست سنوات ونصف سنة الى حين بدأت قصتي هذه. كنت في الخامسة والثلاثين أعمل في مختبر "ماكس بلانك" لفيزياء الجوامد. في ابريل (نيسان) ١٩٧٧ اطّلعت على اعلان لوكالة الفضاء الالمانية تطلب فيه عاملين على متن المختبر الفضائي في جو ينعدم فيه الوزن. وعلى المتقدمين أن يكونوا مؤهلين في الحقول الآتية: تكنولوجيا المواد، أبحاث الغلاف الجوّي، الفيزياء الحيوية، البحث الطوبوغرافي، علم الفلك، الفيزياء الشمسية، التكنولوجيا. وعليهم ألا يكونوا تجاوزوا السابعة والاربعين من العمر، ويكون طولهم ما بين ١٥٣ و١٩٠

سنتيمتراً، ولهم المام تـام باللغـة الانكليزية، ويكونون في صحة جيدة.

فرأيت الفكرة مغرية.

**ظلام مسرحي.** من علو ٣٥٠ كيلومتراً في مدارنا نرى الارض كقرص قطره ٣٦٠٠ كيلومتر. وما وراء الافق المنحني يبدأ الفضاء الخارجي، شديد الظلمة ممتداً الى اللانهاية. وفي أسفل يتوهج كوكبنا حيث نعيش، أنواراً بيضاء وزرقاء، فاللون الازرق مستمد من الاوقيانوسات واللون الابيض من الغيوم. ويطوق الافق إطار أزرق أرجواني مثير يأخذ جماله بمجامع القلوب، وهو ناجم عن الغلاف الجوّي. ووسط ذلك الظلام الطاغي تظهر الشمس كنجمة متألقة لا استطيع النظر اليها من دون حماية عينيّ.

لن يطول انتظارنا رؤية النجوم لان مركبتنا تدور حول الارض في ٩٠ دقيقة، تطلع الشمس وتغيب خلالها أسرع ١٦ مرة من رؤيتها من الارض. ويهبط الظلام بسرعة كأنوار المسرح حين تنطفىء في مشهد رومنطيقي. وقبيل غروب الشمس يتوهج اطار الغلاف الجوي الرقيق بألوان قوس قزح.

وتظهر كوكبات النجوم الشتوية الساطعة من دون تألّق. واذ كنا لا ننظر اليها من خلال مصفاة الغلاف الجويّ فان لا تأثير لعامل انكسار الضوء، وفي استطاعتنا التمييز بين ألوانها بوضوح أكثر مما عن الارض. فعلى سبيل المثال، تتوهّج "رجل الجبار" (٢) في كوكبة الجوزاء (أوريون) بالازرق فيما ينبعث من "منكب الجوزاء" (٣) ضوء محمرّ.

حين تغيب النجوم تختفي أولاً ثم تعود فتظهر ولا تلبث أن تختفي. وتفسير هذه الظاهرة الغريبة أنه اذا اقتربت احدى النجوم من الافق فان نورها تحجبه الاشعة المتوهجة دون الحمراء الكائنة في طبقة معينة من الجو. ومن ثم تعود مرئية بالعين البشرية الى أن تختفي وراء الافق الحقيقي.

وتتوالى العجائب. فعندما نقترب من قطبي الارض في الليل يمكننا رؤية الاضواء القطبية. وتتولد هذه الاضواء حين تخرق الغلاف الجوّي الكترونات سريعة تطلق طاقتها على علو ١١٠ كيلومترات فتجعل الهواء يتوهج. تبدو الاضواء القطبية كستائر سحرية ساطعة لا تهدأ حركتها، وألوانها فاتحة رقيقة. ونظراً الى ضخامتها وحركتها السريعة فانها تعطي انطباعاً بالقوة.

**أحاسيس غريبة.** أتولى أنا وبوب المناوبة الاخيرة، ومهمتنا الرئيسية تهيئة كل شيء للهبوط. فبعدما نظفنا المختبر الفضائي كنا كمن يودّع صديقاً قديماً. فالمختبر، في حجرة الحمولة المفتوحة في المكوك، حمانا من البرد ومن الفراغ في الفضاء ومن الدقائق الاولية (٤) التي كانت تضربنا بما يدعى "الريح الشمسية." وقد وفّر لنا الهواء والضوء والدفء.

---

(٢) "رِجْل الجبار" أو "رِجْل الجوزاء اليسرى" واحدة من ألمع ٢٠ نجمة. واسمها بالاجنبية «Rigel» مأخوذ من اللفظة العربية "رِجْل".

(٣) اسمها الاجنبي «Betelgeuse» وهو مشتق من الكلمتين العربيتين "بيت الجوزاء".

(٤) Elementary particles

بدا بوب مثلي متأثراً. فضغط يدي وضمني اليه بصمت فبادلته ممتناً علامة الصداقة هذه. وللمرة الاخيرة سبحنا عبر النفق ورجعنا الى المكوك، ثم أقفلنا الابواب وأطفأنا الانوار.

كان علينا الرجوع الى الارض خلال دورتنا الـ١٦٧. فعمد جون وبروستر الى ادارة "كولومبيا" في اتجاه مغاير بحيث أصبح يطير ومؤخره في المقدّم. وقبل موعد الهبوط المقترح بـ٥٥ دقيقة و٤٤ ثانية أشعلا المحركين الصاروخيين لمدة دقيقتين و٣٨ ثانية.

وصلنا الى نقطة اللارجوع اذ دخلنا مداراً اهليلجياً يزيد من قربنا الى الارض. أدار جون وبروستر المركبة أولاً ٧٠ درجة الى اليسار، ثم ٧٠ درجة الى اليمين. وذلك لا يغيّر اتجاهنا انما يؤثر في المقاومة. وكلما تعمقنا في المحيط الجوّي زادت الكثافة الجويّة وزادت المقاومة.

أنا مستعد للتضحية بالكثير لكي أجلس في قمـرة القيادة وأشـاهـد الانبعاثات النارية الجبارة التي يطلقها حولنا احتكاك الغازات المتأيِّنة. في هذا الوقت كانت القرميدات الخزفية في الدرع المقاومة للحرارة في أوج تعرضها للإجتهاد. ففي الطـرف الامامي من الجناحين بلغت الحرارة ١٤٢٥ درجة مئوية.

وفيما عدنا الى المحيط الجوّي بدأت ألاحظ جسمي كما لم يحدث أن لاحظته قبلاً في حياتي. كانت ذراعاي تشدّان نزولاً وشعرت بثقل في خدّي وبدا لي أيضاً أني أشعر بأعضائي الداخلية.

قدمنا من الجهة الشمالية الغربية واندفعنا هادرين فوق قاع بحيرة روجرز الجافة في كاليفورنيا. وأعلنت عودتنا بدوي خارق لجدار الصوت. وعلى علو ٦٠٠٠ متر عملت الادمغة الالكترونية في المكوك على ارشادنا الى الوضع الصحيح في سبيل الهبوط على المدرج ١٧ في القاعدة الجويّة في ادواردز. لكن جون أصرّ على ابدال ذلك بالضبط اليدوي. وعلى علو ٩٥٠ متراً خفض زاوية هبوطنا وخفت سرعتنا من ٦٠٠ كيلومتر الى ٣٤٠ كيلومتراً في الساعة.

وعلى رغم كون المكوك مع المختبر الفضائي يزنان ١٠٠ طن، فان جون هبط بلطف على قاع بحيرة الملح. وكان هبوطنا في النهاية لايزيد على ٣٠ سنتيمتراً في الثانية. انه هبوط مثالي.

دامت رحلتنا عشرة أيام وسبع ساعات و٤٧ دقيقة، قطعنا خلالها أكثر من خمسة ملايين و٣٠٠ ألف كيلومتر.

وبعدما درجنا حوالى ٣٥٠٠ متر توقف المكوك معلناً انتهاء رحلتنا الرائعة التي جاورنا فيها النجوم.

**أولف مربولد** ■

عمل الكاتب في المختبر الفضائي «Spacelab 1» عام ١٩٨٣ خبيراً في الحمولة، وفي العام ١٩٨٥ كعضو في الطاقم الارضي المساند لمهمة المختبر الفضائي الالماني «D-1».

---

قالت صحافية شهيرة عن أمها: "انها من الصنف الذي يصغي الى مشاكلك حتى تضجر منها."

د. ش.

# صور من الحياة

## الزوج الخبير

زوجي خبير في وضع حد لتصرفات الناس الشاذة، ولا يفقده صوابه حتى احرج المواقف. وذات يوم كنا متوقفين بسيارتنا امام الضوء الاحمر عندما صدمت سيارة مسرعة، كانت وراءنا، المصد الخلفي لسيارتنا. فخرج السائق وتوجه نحو سيارتنا وهو يثور ويصرخ: "مخبول! احمق! غبي!".
فرد زوجي: "حقاً؟ تشرفنا بمعرفتك، وأنا جان – مارك تارتار، استاذ تاريخ وجغرافيا!"

ج.ب.

## رأس فينوس

في ذكرى زواجي الثلاثين تلطفت عائلة زوجي باهدائي نسخة رخامية من تمثال "فينوس دي ميلو"، كان عمي اشتراها من ايطاليا في العشرينات. اهتممت بالتمثال بكل عناية فظل سنوات طويلة في منأى عن الحظ العاثر. غير اني استخدمت حديثاً خادما قادته اساليبه المتسرّعة في التنظيف الى اسقاط التمثال عن قاعدته وكسر رأسه. فعنّفت الرجل على تصرفه الاخرق وافهمته ان التمثال لم يتعرض حتى لخدش قبل دخوله في خدمتي.
بعد ذلك بقليل اتفق أن سمعت الخادم يشتكي الى الطاهي: "تقول السيدة ان التمثال لم يعرف خدشا خلال الخمسين السنة الماضية، ولكن قل لي من كسر ذراعيه الاثنتين؟"
(معروف ان "فينوس دي ميلو" تبدو في التمثال مكسورة الذراعين)

س.ب.

## نصيحة ثمينة

وقفت في الصف في السوبرماركت انتظر دوري لدفع ثمن مشترياتي. فلفتت نظري المرأة الواقفة امامي اذ بان عليها القلق وهي تنظر الى الولد المكلّف تعبئة المشتريات وهو يرميها في الكيس عشوائياً.
وبعدما انتهى انصرفت الزبونة متمتمة على غير رضى. فسمعت اذذاك امين الصندوق يقول للولد: "لا تقل ابداً لامرأة إن هذا ليس سوى خبز."

ب.د.ف.



Cartoon. Randy Glasbergen

# أعيدا المرح الى حياتكما الزوجيّة

## الضحك والمداعبة والمفاجآت تحفظ شعلة الزواج

بعدما نفضت ماريان الغبار عن مجلد الصور عنَّ لها ان تتصفحه. ترقرقت الدموع في مقلتيها اذ ذكرتها كل صورة باللهو الذي تمتعت به هي وتشارلز كخطيبين، ثم كزوجين حديثين. هنا تحمل زهرة قطفها كرمى لعينيها. وهنا في يوم زفافهما.

تساءلت: "الى أين ذهبت تلك الاوقات الجميلة؟ أين البسمات التي اعتدنا رسمها على وجهينا؟"



لم تغدُ حياتهما الزوجيه مريرة تماماً. كان تشارلز زوجاً مثالياً في عدة نواح، وهي لا تستطيع أن تتصور الحياة مع أحد سواه. لهما بيت ظريف، وولدان ذكيان. لكنهما نادراً ما يقضيان الوقت معاً، ويبدو أنهما لم يعودا يضحكان أبداً. تمضي الامسيات في سكون. حتى حياتهما الجنسية فقدت لذتها. ولخصت ماريان حياتها الزوجية بثلاث كلمات: مملة، مملة، مملة.

تقول ساره كاترون، المديرة التنفيذية لجمعية "إغناء الزواج" في ونستون سالم بولاية كارولينا الشمالية: "ان حياة زوجية كهذه تعاني تسوساً." وهي تشبه هذه العلاقة ببيت يتفتت هيكله ببطء: "من الخارج يبدو كل شيء حسناً، لكن شيئاً ما أفلت، ولا أحد يدري بفقدانه. ذلك الشيء هو اللهو. انه لا يختفي بقرار، بل باهمال."

لحسن حظ ماريان وتشارلز، ساعدهما مجلّد ذكرياتهما على كشف "سوسة" الرتابة والخلاص منها. ولكن هناك أزواج آخرون يستيقظون متأخرين جداً وقد خمدت جذوة حياتهم الزوجية.

يشدد العالم النفساني وليم بتشر من بوسطن في كتابه "اللعب الحميم"(١) على أن روح اللهو عنصر جوهري في العلاقة الناجحة. ويوضح: "ان الزوجين اللذين يلهوان معاً يتفقان على فكرة متبادلة: "اني أثق بحبك لي وإن تصرفت بحماقة."

فرح الحياة الزوجية سهل الفقدان في عالم اليوم السريع. ولكن من الممكن أن يُعاد اذا ما أراد الشريكان المحاولة. واعادته لا تستلزم وقتاً طويلا، بل تتطلب التزاماً فحسب.

اذا ما فقدت حياتكما الزوجية لهوها، فهنا آراء من خبراء حول طرق استعادته:

**١. أرخيا جديتكما.** كثيرون من الازواج يعتبرون الحياة الزوجية أمراً خطيراً، كثير الجدية مليئاً بالهموم والواجبات. وكثيراً ما سمعوا هذه العبارة: "إعملوا لانجاح زواجكم،" حتى انهم باتوا لا يعرفون الراحة.

ويتذكر مايكل سبرنغ من "مركز اغناء الحياة الزوجية" في سان رافاييل بكاليفورنيا: "استشارني زوجان لم يمضيا عطلة وحدهما منذ عشر سنين. كانا يشعران بالذنب ان هما أمضيا وقتاً جيداً في حين ان لديهما اموراً "مهمة" كثيرة. وكان الاولاد همهما الاول، ولم يفكرا في أن الاولاد سيتعذبون كثيراً اذا لم تصمد نواة الزواج."

ان الخطوة الاولى هي أن يمنح الزوجان انفسهما اذناً باللهو والمرح.

**٢. خططا لتكونا تلقائيين.** تقول كاترون: "التلقائية المخططة تبدو متناقضة، لكنكما لن تكونا تلقائيين ان لم يكن لديكما وقت لذلك. اقتطعا وقتاً لانفسكما بعيداً عن تسليات أخرى، لتفعلا ما يحلو لكما. اركبا السيارة وحدكما في نزهة بعد الظهر. ابنيا رجلا ثلجياً. اذهبا الى حديقة الحيوانات،

(١) Intimate Play

واشتريا بالونات، وأطعما السعادين.

يخصص محام منشقل أمسية في الاسبوع لـ"موعد" مع زوجته. يطلب حاضنة أطفال، ولا يخبر زوجته الى أين يذهبان. أخذها مرة الى مدينة ملاه، ومرة أخرى الى حفلة موسيقية صاخبة. وذات مساء أقام عشاء على ضوء الشموع في المنزل.

يقول مايكل سبرنغ: "ليس المهم أين يذهبان أو ماذا يفعلان، بل المهم إبلاغها أن الوقت حفظ لها هي وحدها."

**٣. كونا لعوبينْ.** هل تذكران كيف اعتدتما التنادي بأسماء مدللة؟ أو القهقهة من غير سبب الا لانكما كنتما سعيدين معاً؟

يقول بتشر: "الدعابة غالباً ما تكون الضحية الاولى في الحياة الزوجية. فالناس بعد الزواج يقولون لانفسهم: "إكبروا! إعقلوا! إعملوا وفقاً لاعماركم!" أو "لا، لا، ليس أمام الاولاد!" لكن المودة الدعبة تتخطى العمر."

وفوق كل شيء، الدعابة الحميمة هي تقوية للعلاقات من طريق اللمس. ان التربيت العطوف والضم المفاجىء والدعابة الشفية تقول على نحو أكثر تأثيراً من الكلمات: "أنا أحب أن أكون معك."

**٤. فاجئا أحدكما الآخر.** المفاجأة تعني: "أنت في فكري حتى عندما نفترق."

ليس ضرورة أن تكون المفاجأة سيارة جديدة. المفاجأة التي تتذكرها المرأة أكثر من سواها هي أن يستيقظ زوجها باكراً في صباح ربيعي ويقطف من حديقتهما أولى ورود السنة ويضعها قرب سريرها.

**٥. إضحكا معاً.** هنالك أزواج كثيرون كانوا في الماضي يضحكون كثيراً معاً، لكنهم نادراً ما يفعلون في الحاضر. ولكن ثمة طرق لتعبئة العلاقات فرحاً. كأن يقصد الرجل حفظ النكات التي يسمعها في المكتب ثم يخبرها زوجته في المساء، أو أن تلصق الزوجة رسوماً أو عبارات مضحكة على الثلاجة، أو أن يستأجر الزوجان أفلام فيديو طالما أضحكتهما معاً.

ان المزاح المشترك يستميل الزوجين موحياً: "أنا أعرفك جيداً وأعرف ما يضحكك." والواقع أن احدى الدراسات المنشورة في مجلة "علم النفس اليوم"(٢) تشير الى أن الازواج الذين يضحكون للمزاح ذاته يرجح أن يبقيا معاً. ان الفكاهة المشتركة تعكس قيماً مشتركة.

**٦. أعيدا البهجة الى حياتكما الجنسية.** من بين كل وجوه الحياة الزوجية، الجنس هو المرجح للوقوع في رتابة متوقعة. وهو أيضاً الوجه الاصعب على التغيير.

---

(٢) Psychology Today

يقول العالم النفساني هرانت ختشادوريان من جامعة ستانفورد بكاليفورنيا: "التنوع ملح الحياة الجنسية. لماذا تحصر ممارسة الجنس في الحادية عشرة ليلاً؟ لماذ لا تكون صباحاً باكراً؟ لماذا لا تكون بعد الظهر في عطلة الاسبوع؟

ان ممارسة الجنس الجيدة لا تبدأ دائماً في غرفة النوم. اللمس، التربيت، الملاحظات المريحة، جميعها تحمل نغمات جنسية توافقية وتزيد من لذة الممارسة.

الناس غالباً يركزون على عملية الجماع ذاتها، ويتجاهلون الطرق الاخرى التي تبعث اللذة.

تنمو الحياة الزوجية على شمس الألفة والرتابة. ولكن ثمة حاجة أيضاً الى ماء الجدة والتلقائية لحفظ العلاقة من النبول. ان الذين ضحكوا معاً مرة يجب ألاّ يدعوا الملل يقهر زواجهم.

يقول وليم بتشر: "المرح مهم." وتضيف ساره كاترون: "أفضل الزيجات تعبق بخفة الروح."

**إدوين وسالي كيستر** ■



## صحافي مبتدىء

زوجي صحافي مبتدىء. وصل ذات مساء الى المكتب ليجد أن المخبر المكلف تغطية أنباء الرياضة اتصل ليقول إنه مريض. فكان زوجي الوحيد المتوافر لتغطية مباراة محلية في الملاكمة. وبعدما نبّهه رئيسه الى ضرورة الانتهاء من كتابة المقالة قبل ثلاث ساعات من صدور الجريدة، توجه الى المباراة وهو يجهل كل شيء عن الملاكمة.

دوّن زوجي ملاحظات دقيقة عن المباراة وضمّن مقالته مشاهد وصفية حية. وقبل دقائق من الموعد وصل بها الى دار الصحيفة.

صباح اليوم التالي عاد زوجي الى المكتب فخوراً ببدايته المنصورة في الرياضة، ليجد رسالة من رئيسه جاء فيها: "تهانينا. مقالتك وصلت في الوقت المحدد ظاهر أن المباراة كانت مثيرة. ولكن في المرة المقبلة اذكر اسم المنتصر."

ص.ر.

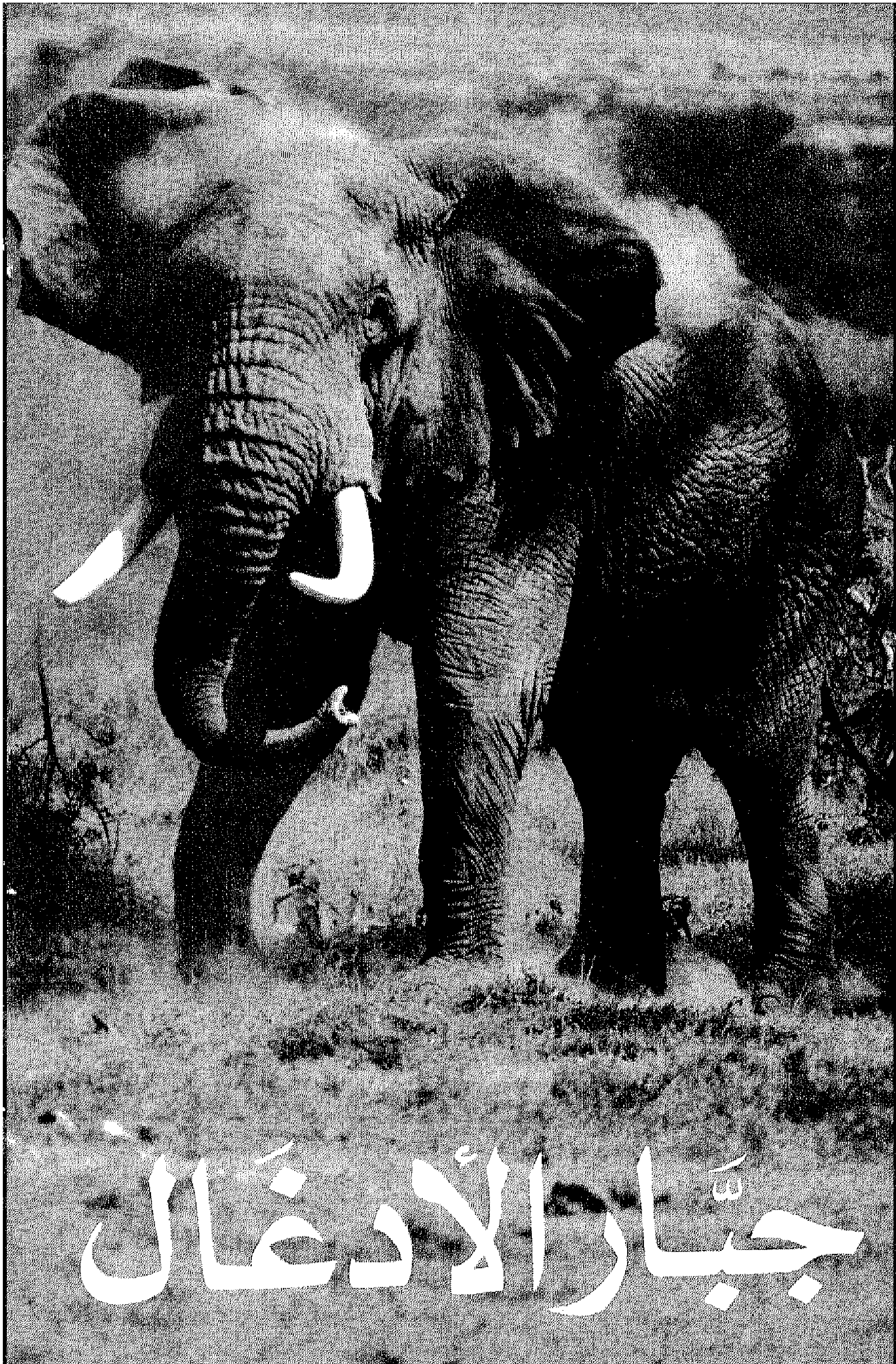
---

## صورة الاشعة لا تبتسم

وقعت ابنتي ذات الخمس السنوات فريسة ذات الرئة. فأمر طبيب الأطفال بتصوير صدرها بالاشعة. فلم يعجبها المشروع، وطمأنها الطبيب الى أن العملية لا تؤذي وتشبه التقاط صورة فوتوغرافية.

وفي الطريق الى غرفة الاشعة قالت ابنتي للطبيب: "طيب، موافقة على الصورة، ولكن لا تطلب مني أن أبتسم!"

م.ل.


جبّار الأدغال

# يتميّز الفيل بالقوة والذكاء والشجاعة أفليس من العار أن يتعرض للانقراض؟

جلنا منذ الفجر مستكشفين "محمية تسافو" للحيوانات البرية في كينيا، ولم نشاهد أيا من الفيلة. لذا انعطفنا عن الطريق الترابية نزولا في ممر ضيّق تحفّه الاعشاب الطويلة. واذا بنا فجأة أمام فيل ضخم والمسافة بيننا لا تتعدى عشرة أمتار.

وكأنما غاظه ظهورنا المفاجىء. واذ تطلعت مرتاعاً الى تلك الكتلة الهائلة التي تجاوز ارتفاعها ثلاثة أمتار، صرخ عالياً وبسط أذنيه الكبيرتين كمروحتين وشرّع خرطومه كسِنان واندفع نحونا هادراً غاضباً يبغي تحطيم سيارتنا الـ"جيب" وسحقنا تحت قوائمه. فصاح بنا حارس المحمية: "أسرعوا بالتراجع!" وفتح زناد بندقيته تأهباً لدفع الخطر.

وأدركنا الفيل ونحن نتراجع مذعورين. وكانت قوائمه الضخمة تدق الارض ونابا تهددان بالطعن الشرس. ووسط ضباب من الغبار ضرب سيارتنا جانبياً ثم انكفأ فجأة وانعطف الى اليمين نزولا في منحدر طيني اجتاز بعده جدولا وهو يطلق الماء رشاشاً حوله. وصعد الى الضفة الثانية.

توقف الفيل واستدار نحونا ورفع خرطومه، ودوّى صوته ثانية. ثم أخذ يتبختر بعظمة وما لبث أن توارى في الادغال.

في ذلك اليوم غيّرت رأيي في الفيلة.

**حيوانات ذكية.** نشأت وأنا أظن الفيل حيواناً لطيفاً كما يظهر في الرسوم المتحركة. ان الفيلة حيوانات محببة، لكن الفيل الافريقي قد يتحول مقاتلا شرساً حين يُستفز أو يباغت. والفيل الافريقي(١) هو أضخم الثدييات البرية ومن أذكاها.

رويت لي قصص عن فيلة تعرفت الى أصدقاء من البشر بعد فوات عقد أو عقدين، وعن فيلة تستخدم أدوات كالعصيّ لتنظيف فسحة أو لحك الظهر، وعن أخرى دفنت رفيقاتها النافقة تحت الاوراق والاغصان.

تعيش الفيلة طويلا كالانسان، فتبلغ السبعين وتتجاوزها أحيانا، ومدة حملها طويلة أيضاً وتدوم ٢٢ شهراً. ولا يكتمل نموها الجنسي الا بعد مدة تراوح بين ١٠ سنين و١٥ سنة. وصغارها مفعمة بالحيوية ومعروفة بالجرأة والنشاط.

وتعيش الفيلة، مثلنا، في أي مكان: في السهول المترامية الجافة وفي المعاقل الجبلية العالية وفي غابات المطر التي يتعذر اختراقها. وفي مقدور الفيلة أن تغير معالم البيئة باقتلاع الاشجار، مثلا، وتحويل الغابة الكثيفة فسحة معشبة مكشوفة.

يقال إن الفيلة تحدرت من الحيوان

(١) Loxodonta africana



Photo: © Zig Lesczynski Animals Anim

موريثريوم(٢) الصغير وانتشرت في كل القارات باستثناء أوستراليا والقطب الجنوبي. ولكن من كل أجناسها لم يبقَ سوى الفيل الآسيوي الوديع الذكي، وهو النوع الذي يشاهد في السيرك، والفيل الافريقي الجبار.

يواصل الفيل نموه في جميع مراحل حياته. فالذكر الافريقي قد يصل وزنه بسهولة الى ٥٩٠٠ كيلوغرام ويبلغ ارتفاعه ٣،٥ أمتار. وتحتاج هذه الحيوانات الثقيلة الى كميات وافرة من الغذاء تصل الى ١٦٠ كيلوغراماً يومياً من الاعشاب والنباتات والاوراق ولحاء الشجر، يضاف اليها بين ١١٠ ليترات و١٩٠ ليتراً من الماء.

وعلى رغم ضخامتها فانها خفيفة الحركة. فهي لا تعدو كالجواد لكنها ترهو بسرعة تصل الى ٤٠ كيلومتراً في الساعة وهي تعجز عن القفز في الهواء نظراً الى أن قوائمها قد تنكسر حين تحط، لكنها تصعد مرتفعات شديدة الانحدار وتقطع مسافات مدهشة في الريف. وذات صباح شاهدنا مجموعة في "محمية ماساي مارا"، واذا بنا نراها بعد ساعتين لا تزال تسير على بعد ٤٠ كيلومتراً في السهل الواسع.

أذنا الفيل الهائلتان لا تهدأان، وتنبسط الواحدة منهما ما يزيد على نصف متر مربع. وظيفتهما تكبير الصوت والعمل كمروحتين لطرد الذباب. كما أن مساحتهما الاضافية تسمح بتعرّق أكبر مما يساعد الفيل على خفض حرارة جسمه.

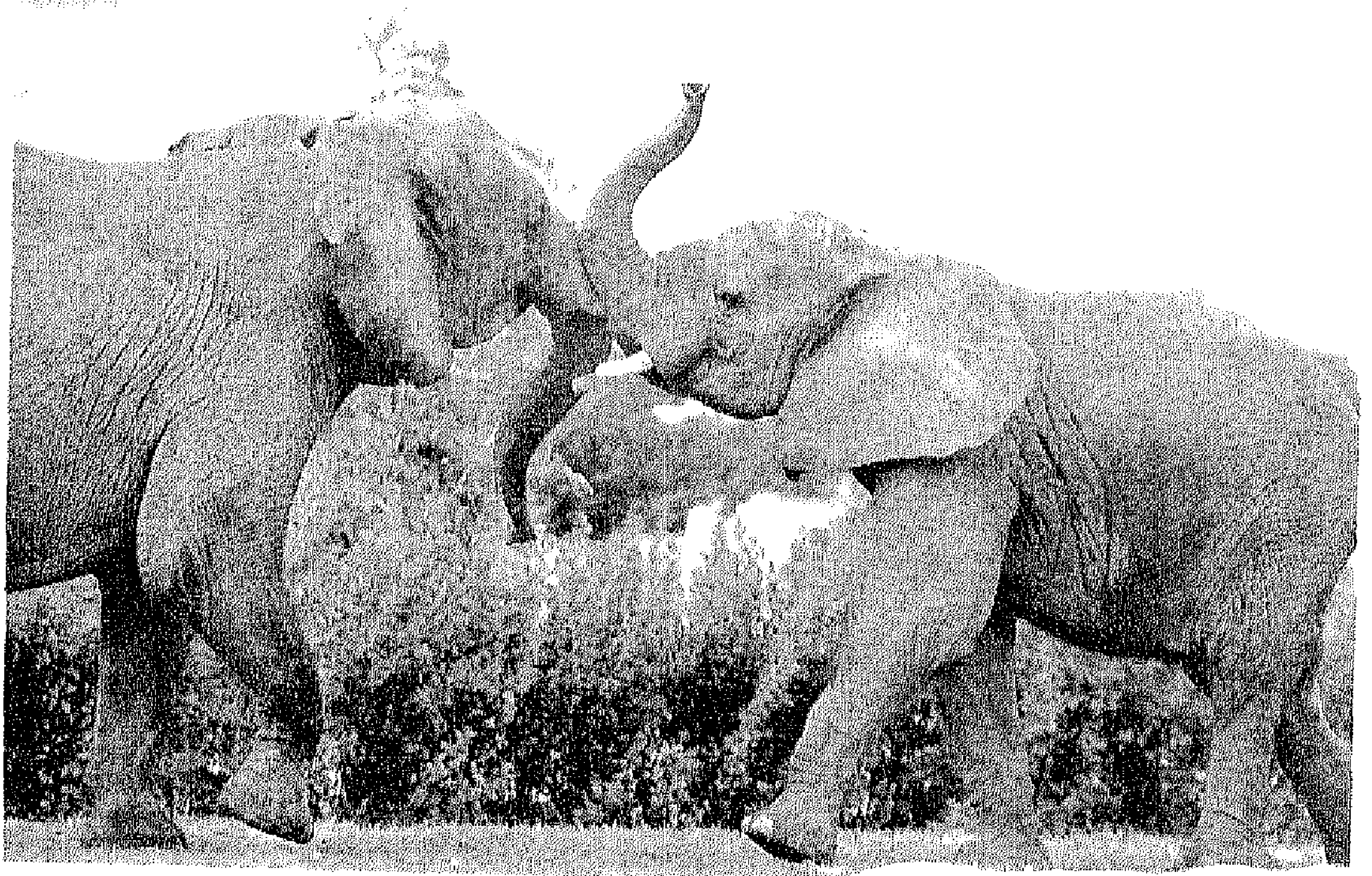
خرطوم الفيل ونابه تبعث الدهشة. وأثقل نابين عثر عليهما الى الآن محفوظان في متحف التاريخ الطبيعي في لندن ويبلغ طول كل منهما ثلاثة أمتار وتزنان معاً ٢٠٠ كيلوغرام. والنابان تقومان مقام الادوات والسلاح، فهما سنّان تستخدمان كالمعول للحفر وكسيف للطعن وكمنصة للحمل. وعرف عن الفيلة قدرتها على انقاذ صغارها الغرقى بحملها على انيابها.

قد يكسر الفيل نابيه أو يفقدهما ومع ذلك يعيش عمره كاملا. لكن الخرطوم ضروري حتماً، وهو خال من العظام والمفاصل، ومتين العضل ولين الى حد كبير. وللفيل قدرة على رفع أشجار بخرطومه. وبشبه اصبعين دقيقتين في طرفه المستدقّ يمكنه التقاط أشياء صغيرة كأملود أو زهرة. والفيل الافريقي يستخدم خرطومه لتأمين حاجاته اليومية وليس فقط للشم. بالخرطوم يمص الماء ويسكبه في فمه (يسع الخرطوم أكثر من أربعة ليترات) ويقتلع كتل الاعشاب لغذائه ويقذف الوحل الرطب الى ظهره للابتراد.

**مجتمع أنثوي.** أُنعم على الفيلة بتركيب بنيوي رائع وأسلوب معقد للتناسل. وأول بحث جدّي في هذا الحقل بدأه عالم الحيوان الاسكوتلندي، ايان دوغلاس هاملتون، ومن ثم توسعت الابحاث باجتهاد العالمتين سينثيا موس وجويس بول.

في حمى جبل كليمنجارو، أعلى جبال افريقيا، تدبرت موس وبول مخيماً بدائياً

(٢) Moeritherium


© Phyllis Greenberg / Comstock

في قلب البرية الواسعة بـ"محمية أمبوزيلي الوطنية" في كينيا. هناك يعيش ٦٧٠ فيلا أجري لها أدق تفحص منذ فجر التاريخ.

في عائلة الفيلة تتمتع الام بالسلطة المطلقة. وتعيش في امرتها شقيقاتها وصغارهن، وكلهن إناث ما عدا الصغار الذكور. وفي المستنقعات الملأى بالقصب والاعشاب الطويلة تقتات الفيلة جنباً الى جنب وتستريح معاً وتلبي دمدمات رفيقاتها وتهرع لنجدة أي صغير في خطر.

يغادر الصغار الذكور العائلة لدى البلوغ، فتعيش متفرقة او مجتمعة من حين الى آخر مع ذكور غيرها. وكل فيل يتمتع برتبته الخاصة بين الذكور، استناداً الى حجمه وقوته ومهابته. ولكونها بطبيعتها كائنات هادئة سلسة القياد، فالفيلة الضخمة لا تتقاتل بجدية. جميعها تتعارك حباً بالرياضة أو لتثبيت رتبة لها في التسلسل الهرمي.

وترتبط "العائلات" بمجموعات أكبر منها تتجمع بانتظام في رقعة الارض ذاتها وتختلط حين تقتات. وحين يتهددها خطر تتكتل في تشكيلة قتالية ويجمّع الصغار في الوسط. واذا لم ترهب هذه المناورة المتطفل المقتحم فان الفيلة تشن عليه هجوماً صاعقاً على الفور.

**نداءات بعيدة.** للفيلة نوع غامض من التخاطب. فقد سجلت العالمتان بول وموس ٢٥ نداء تراوح بين صرخات مدوية أثناء اللهو أو تحية لصديق، وصرخات حادة تصدر عن الصغار وتنم عن خطر محدق.




في احدى عمليات الدهم الكبرى صادر الحرس الجمهوري في افريقيا الوسطى ٩٠٠ ناب من المهربين.

وهناك أيضاً الدمدمات الخفيضة الغامضة الشبيهة بتلك التي تتبادلها الحيتان، وقد عرف منها ١٥ نوعاً. فمنها دمدمات تحية وتعبير عن محبة، ومنها اشارات للتحرك. وهذه النداءات التي تعجز الأذن البشرية عن التقاطها، تقطع مسافة تصل الى ثلاثة كيلومترات. وذلك يساعد على فهم انضباط الفيلة المدهش أثناء الانتقال والتحذيرات الملحة التي تبلغ الاصدقاء في الاماكن البعيدة.

والى كون الفيلة تتسم دائماً بالذكاء فانها تبدي دلائل على روح العطف. فقد شاهدت أمّات تعامل صغارها بعناية فائقة وفيلة تلف خراطيمها بعضها ببعض فيما هي تدمدم فرحة مظهرة أشد عواطف المحبة بلقاء اخوة ورفيقات مضى وقت طويل على غيابها. وفي حال المرض تجلب الفيلة الصحيحة الطعام والماء في أفواهها وخراطيمها الى رفيقاتها المريضة وتشجعها بدمدمتها وتعينها على الوقوف بواسطة أنيابها. وحين ينفق الفيل تظهر عائلته وأصدقاؤه حزناً صادقاً، فتمرر خراطيمها مشفقة على جثته وترسل همهمة مكبوتة تعبيراً عن حزنها. وقد سمعت بأم مفجوعة حملت صغيرها النافق أياماً على نابيها.

وخلافاً للاسطورة الشائعة ليست هناك مقبرة للفيلة. وتلك الكوم الغامضة من الهياكل العظيمة كانت على الارجح اما نتيجة مجازر جماعية واما بفعل مياه مسممة. وعرف عن الفيلة انها تدفن موتاها، ربما لوقايتها لئلا تلتهمها الوحوش. وقبل سنوات عثر قطيع من الفيلة على امرأة من قبيلة الماساي نائمة تحت شجرة، فدفنتها تحت أوراق الشجر ظناً أنها ميتة. ولم تجسر المرأة المرتاعة على الحركة الى أن أنقذها سكان القرية في اليوم التالي.

**لا مكان للاحتماء.** أوليس من العار أن تكون هذه الحيوانات النبيلة الرائعة مهددة بالانقراض؟ حتى في المحميات ليست آمنة، لان في معظم مناطق افريقيا متسللين يقتحمون حرمة المحميات ويتعقبون الفيلة فيردونها من دون رحمة بالبنادق القوية السريعة الطلقات أو بالرشاشات، وهدفهم اقتلاع أنيابها العاجية التي يسمونها "الذهب الابيض." ففي كل سنة يشحن من افريقيا بين ٥٠٠ و٨٠٠ طن من العاج على نحو غير مشروع. وقد احصى دوغلاس هاملتون في أوغندا ٣٧٤ فيلا قتلت في يوم واحد، قطعت أنيابها بالفؤوس وتركت جثثها فرائس للعقبان والنسور.

أشارت احصاءات العام ١٩٧٦ الى ان مليوناً و٣٠٠ ألف فيل كانت تجوب أرجاء ٣٥ بلداً في افريقيا. واليوم، نتيجة القتل الاجرامي، تدنى هذا العدد الى أقل من ٧٥٠ ألفاً. ففي محمية تسافو الوطنية والمناطق المحيطة بها انخفض عدد الفيلة من ٣٥ الفاً عام ١٩٧٥ الى أقل من ستة آلاف.

يدعو ايان دوغلاس هاملتون الى شن حملة شرطية منسّقة في طول افريقيا وعرضها لوقف تجارة العاج غير المشروعة. وكما يحض حماة البيئة على القيام بحملة توعية قوية للرأي العام. وهو يقول: "انني أحمّل اللوم أولئك الذين يشترون العاج." وهو يأمل، مع موس وبول وحلفائهم الكثيرين، تغيير مواقف الناس من العاج وردعهم عن شرائه، كما جرى سابقاً في شأن جلود الفهود والنمور. عند ذلك فقط ستتوقف المجزرة.

فيما كنت أغادر تسافو فجراً كان الضباب الرقيق يلف أشجار السنط (الأكاسيا). فتنحيت عن الطريق الترابية وجلست أنتظر. فجأة ظهرت أطياف رمادية جبارة تمشي الهوينا بصمت في الغسق مارة بجانبي سيارتي الجيب. واذا بفيلة ضخمة تتقدم وتحك نابيها بحاجب الريح الزجاجي. فأمسكت صدري جزعاً. لكن الأم المهيبة ما لبثت أن دمدمت بهدوء وغابت في أحضان الضباب.

كان ذلك لقاء مخيفاً لكنه تكلل بالرفق والمسالمة. فتلوت صلاة قصيرة ابتهلت فيها الى الله أن يشمل بعطفه هذه الكائنات العظيمة الرائعة التي تستحق كل حماية وتقدير.

**كريستوفر لوكاس ■**



## شيفرة "لا" تُنسى

رافقت زوجي في رحلة عمل، وكان يحمل حقيبة ذات قفل مرمّز. فسأله الموظف في قسم الامن العام أن يفتح الحقيبة، وانتظر بصبر فيما زوجي المرتبك يجاهد كي يتذكر رموز القفل. وأخيراً نجح في فتح الحقيبة.

سألته: "لماذا أنت عصبي الى هذا الحد؟"

فاعترف: "لأن أرقام القفل تدل على تاريخ زواجنا."

س.و.

يتوهم الجميع أن الملح مضر بالصحة. هنا حقائق بينتها الابحاث

# مَنْ قال إنّ الملح ضارّ؟

الملح من أنفع المعادن وأعجبها. فمنذ ألوف السنين وهو يطيّب تاريخنا ولغتنا وطعامنا.

كان الملح ثميناً في روما القديمة الى حد أنه كان يدفع للجنود كجزء من راتبهم. وفي المناطق التي يندر فيها الملح قيل ان الملح كان يقايض بالذهب وزناً بوزن. وفي بلاد الاغريق كان من الشائع مبادلة الملح بالعبيد، ومن هنا صيغ التعبير: "انه لا يساوي ملحه."

إطرحْ هذا المعدن الثمين فلا يعود هناك ما يُشتهى أكله، الا القليل. والى كونه ينكّه الاطعمة المغذّية، يستخدم الملح في منتجات المخابز والاطعمة الجاهزة والمعلبة والمجلّدة والصلصة والحساء والتوابل والحبوب والحليب ومشتقاته والدجاج واللحوم. وهو، الى ذلك، حافظ للطعام فائق الفاعلية، اذ انه يعوق نمو الكائنات المجهرية التي تسبب التلف، وهو أتاح حفظ الطعام قبل ابتكار تقنيات التبريد بوقت طويل. وبهذا المعنى قال الحكيم الروماني بلينوس الاكبر: "الحياة الحضارية مستحيلة من دون ملح."

ولكن في السنوات الاخيرة أطلق سيل من التصاريح التي تندد بالملح على أنه ضارّ للمرء، بصرف النظر عن حاله الصحّية. وكان الدكتور آرثر هول هايس، المفوض السابق لـ"مديرية الغذاء والدواء" الامريكية والقائد البارز في هذا الهجوم على الملح، صرّح في العام ١٩٨١ أن كل واحد منا سيجني فائدة بخفض ما يتناوله من الملح. وانضمت "جمعية القلب الامريكية" و"الجمعية الطبية الامريكية" والمدير العام لوزارة الصحة الى المنادين بخفض استهلاك الملح. كذلك السياسيون، وقد أعلن عضو الكونغرس (البرلمان) الأمريكي نيل سميث: "هناك

Photo: Bob Milazzo

صلة مباشرة بين كمية الصوديوم التي يستهلكها المرء ومرض القلب واضطرابات الدورة الدموية والسكتة وحتى الوفاة المبكّرة."

فاذا كان ذلك صحيحاً فانه مخيف حقاً. لكن كثيرين من الاطباء والباحثين الطبيين بدأوا يشعرون بأن الذعر من الملح جاوز الحد. ومن هؤلاء الدكتورة هارييت دوستان، المديرة المتقاعدة لـ"مركز أبحاث الامراض القلبية والوعائية" في جامعة ألاباما، التي أصرّت على أن "كل هذه الضجة حول أكل الملح غير ضرورية، إذ في ما خصّ غالبيتنا، لا أهمية لكميات الملح التي نستهلكها." ففي أحدث دراسة قصيرة أجرتها دوستان على ١٥٠ شخصاً، تبيّن أن ذوي ضغط الدم الطبيعي لم يحدث لهم أي تغيير حين اتبعوا نظام حمية يعتمد كميات قليلة جداً من الملح، ولاحقاً حين رجعوا الى تناول الملح كعادتهم. ولكن في ما خص ذوي فرط ضغط الدم المرتفع، تبيّن أن نصف هؤلاء الذين اتبعوا حمية قليلة الملح حصل لهم هبوط في الضغط ما لبث أن عاد الى معدله السابق حين عاودوا تناول الكمية المعتادة من الملح.

**مخزونات هائلة.** تتجه أبحاث أخرى الى تأييد اكتشافات دوستان. ففي دراسة أجريت في انديانا أعطي أفراد عاديون كميات كبيرة من الملح، فلم يرتفع ضغط دمهم الى النطاق الحاد. وأظهرت دراسات في الشرق الاوسط أن ذوي الضغط المفرط الزائدي البدانة، الذين يعتمدون حمية ذات طاقة حرارية منخفضة، خفضوا ضغط دمهم من غير أن يبدلوا استهلاكهم من الملح.

يرى الدكتور جون لاراغ، رئيس مركز ضغط الدم المرتفع في مستشفى كورنيل بمدينة نيويورك وأحد الخبراء الطليعيين في ضغط الدم، "ان تناول كمية مناسبة أو كبيرة من الملح أنقذ من السكان أعداداً اكبر كثيراً مما أهلك. لذا فان توصية جميع السكان بتجنب الملح لا مبرر لها."

هذه أخبار حسنة لمقدري الملح، ويجب أن يشملنا ذلك جميعاً، فلا حياة لنا بلا ملح. ان جسم الانسان في حاجة دائمة الى ملح الطعام أي "صوديوم كلوريد" (٣٩ في المئة صوديوم و٦١ في المئة كلوريد). ينحلّ الملح في الجسم وينفصل الى أيونات صوديوم وأيونات كلوريد تؤدي كل منها عملاً خاصاً. فالكلوريد يحفظ التوازن المائي بين الخلية وجوارها، ويؤدي دوراً في عملية الهضم، ويقترن بالصوديوم للحفاظ على التوازن الحمضي – القلوي في الدم، وهو عامل أساسي للحياة. ويساعد الصوديوم في تنظيم كمية الدم في الجسم وضبط ضغط الدم. وهو يسهّل نقل الدوافع العصبية (١) كما أنه ضروري لتقلصات القلب والعضل.

وبهدف وقايتنا من خطر زيادة الملح أو نقصه في أجسامنا، تفرز الكلى الكميات الزائدة، وحين يكون هناك نقص في الملح تفرز الكلى الماء من دون ملح.

لولا هذا المعدن الاساسي لتعذر على أجسامنا أن تؤدي وظائفها. لذلك يحقن محلول ملحي داخل الوريد في غرف "العناية الفائقة" في المستشفيات،

(١) Nerve impulses

وأثناء العمليات الجراحية، فيحول دون إصابة المرضى بالصدمة. ان نقص الملح يسبّب تشنج العضل والغثيان وانخفاض المقاومة. وكان نقص الملح لدى جنود نابليون وجياده سبباً في الاحوال المروّعة التي عانوها لدى تقهقرهم من روسيا عام ١٨١٢. وقد توفي ألوف منهم حين فقدت أجسامهم قدرتها على مقاومة العدوى والامراض بسبب فقدانها الملح.

ولكن بفضل التكنولوجيا الحالية هناك مصادر للملح تكاد لا تحصى. ففي كل ليتر من ماء البحر ٣٠ غراماً من الملح. والى ذلك هناك ترسبات ملحية هائلة في كل قارة، بما فيها قارة القطب الجنوبي، خلّفتها بحار قديمة زالت من الوجود. وفي الولايات المتحدة تجثم سبع ولايات فوق مخزونات هائلة من الملح يكاد استخراج ٦٠ مليون طن منها سنوياً لا يمس انتاجها.

**١٤ ألف استعمال!** للاطلاع على طريقة استخراج الملح في الولايات المتحدة سافرت الى واتكنز غلين شمال ولاية نيويورك. وتحتل هذه الولاية المرتبة الثالثة في انتاج الملح بعد لويزيانا وتكساس، وكانت في وقت ما عاصمة الملح في الولايات المتحدة.

جلست في غرفة واسعة في مصفاة الملح في كارغيل، أراقب المهندسين وهم يضخون ١٩ ألف ليتر من الماء العذب نزولا داخل انبوب طوله ٦٠٠ متر، لتذويب الترسبات الملحية. ثم يرفع الماء المالح بواسطة الضغط الهيدروليكي عبر أنبوب آخر. وكل ألف ليتر من الماء المدفوع الى الترسبات ينتج ٩٧٠ ليتراً من محلول الماء المالح المشبع.

يغلى هذا المحلول في مقال خوائية (٢) عملاقة حيث يتبخر القسم الاكبر من الماء. من ثم تعمل آلتا طرد مركزي (٣) على تدويم بلّورات الملح الى أن تجف، ثم تتولى آلات التجفيف والتبريد اكمال العملية للحصول على ملح نقي أبيض. ومصنع كارغيل قادر على انتاج ٤٠٠ ألف طن من الملح سنوياً، معبأة باكياس يزن الواحد منها ٣٦ كيلوغراماً (بمعدل ١٤ كيساً في الدقيقة)، وكتلاً مضغوطة من ٢٣ كيلوغراماً (بمعدل أربع كتل في الدقيقة). وتستعمل هذه الكتل لتغذية الماشية وخصوصاً الابقار.

يستهلك مربو الماشية مليونا و٦٠٠ ألف طن من الملح الناعم والمقطع سنوياً، وهذه ليست سوى احد استعمالات هذا المعدن الثمين التي تبلغ ١٤ الفاً. اقل من ٥ في المئة من الملح يستخدم في تحضير الطعام البشري. وكبرى الكميات المستهلكة تستخدم في تذويب الجليد في الطرق. ويتيح الملح صنع الزجاج والصابون والبلاستيك والورق والدهان والمطاط الاصطناعي والادوية ومستحضرات التجميل والبطاريات. ومن دون الملح لا سبيل الى قيام صناعات كيمائية.

وقد نتساءل ما هو مقدار الملح في أطعمتنا الذي يفوق كثيراً حاجتنا؟

يتفق الخبراء الطبيون على أن المرء

---

(٢) Vacuum Pans

(٣) Twin centrifuges

يجب أن يمارس الاعتدال الحكيم في استهلاك الملح. وقد يحتاج الرجل العادي الى كمية تراوح بين ٤ و١٠ غرامات يومياً، أو بين نصف ملعقة صغيرة وملعقة ونصف. نحو غرام أو غرامين من هذه الكمية متوافر في الصوديوم الكائن طبيعياً في الطعام. وتؤمَّن بقية الكمية في تصنيع الطعام وطبخه واضافة الملح اليه على المائدة.

أما الذين يعانون أمراض الكلى والكبد والقلب فيجدر بهم التزام كمية محدودة من الملح في طعامهم اذا نصح الطبيب بذلك.

**قلة الملح تضر.** حتى الدكتور آرثر هول هايس، المنادي باستهلاك كميات مخفوضة من الملح، يعترف بأننا "لا نعرف ما اذا كانت زيادة استهلاك الصوديوم تؤدي الى ارتفاع ضغط الدم." وهناك فعلاً دليل علمي متنام على عوامل أخرى قد تؤثر في هذا الشأن، كنقص الكلسيوم والبوتاسيوم وربما الماغنيزيوم، والبدانة (التي تفوق الصوديوم خطراً) والاستعداد الوراثي والضغط والاجهاد.

ويحذر الدكتور ديفيد ماكارون، رئيس قسم طبّ الكلى وضغط الدم في جامعة العلوم الصحية بولاية أوريغون من أن تقييد استهلاك الملح قد يلحق الضرر بعدد من الناس أكبر من عدد الذين يتوخى افادتهم. ويضيف: "لدينا مقدار كبير من المعلومات عن الصوديوم وقليل عن البوتاسيوم والكلسيوم، وشيء لا يذكر عن عناصر أخرى. هناك خطر في الطلب من الناس تغيير عاداتهم في استهلاك أحد المغذيات، كالصوديوم مثلا، في حين لا نعرف تأثير ذلك في المغذيات الاخرى. فنكون كمن يهيىء السبل للمشاكل في المستقبل."

ويدل بحث ماكارون أيضاً أن نقص الكلسيوم قد يكون عاملاً في ارتفاع ضغط الدم. وفي رأيه، انه اذا حاول الناس الحد من استهلاك الصوديوم بخفض تناول الالبان والاجبان، فذلك قد يرفع ضغط دمهم فعلاً.

وقد وجد الدكتور ميرون واينبرغر والدكتور فريد لوفت من كلية الطب في جامعة انديانا أن ضغط الدم في حالات بعض المرضى يرتفع فعلاً حين يتبعون حمية تعتمد كمية مخفوضة من الملح وأدوية مدرّة للبول. وهذا يزيد خطر الاصابة بأمراض قلبية ووعائية وبالسكتة الدماغية (الفالج) وبمشاكل أخرى.

ما هو الحكم النهائي على الملح؟

يقول الدكتور لاراغ من مركز كورنيل الطبي في نيويورك: "انه ليس عدوك. فالملح هو العنصر الطبيعي الرقم واحد في كل الانسجة البشرية. والفكرة القائلة، بأنك لست في حاجة اليه هي فكرة خاطئة. وما لم يثبت لك طبيبك أنك تعاني مشكلة صحية ناجمة عن الملح، فما من سبب يدعوك الى الاقلاع عن تناوله."

جاك دنتون سكوت ■

---

الصديق الصدوق هو من يسدي اليك جميلا فلا يضيف قائلا: "هه! ولم الاصحاب إذاً؟"

ب. ك.

# كارلوسْ روميلو



# عَلَمٌ من آسيا

## دبلوماسيته وولعه بالحياة والحرية ألهما أبناء بلاده والعالم أجمع

التقيت الجنرال كارلوس بينيا روميلو للمرة الاولى في خريف ١٩٥٧ عندما كُلفت أن أكتب مقالا عنه. كان أسطورة للفيليبينيين والامريكان على السواء. وهو نفسه، كصحافي رصين سابق، روى لي القصة في ساعة قصيرة مركزة. لم أدرك آنذاك أننا بعد ٤٢ سنة سنصبح زوجين.

كان روميلو رجلا قصير القامة لا يتجاوز ١٦٠ سنتيمترا مع الحذاء. لكنه كان يسيطر على أي غرفة يدخلها بمزيج من سلطة وسحر شخصي أخاذ.

كانت حياته مدهشة بامتدادها وغناها. وعلى رغم ادعائه أن المصادفة كانت وراء كل عمل تولاه فانه بلغ قمة كل مهنة تعاطاها. كان الرابح الآسيوي الوحيد لجائزة "بوليتزر" للمراسلة، تقديرا لسلسلة مقالات صحافية كتبها عن النشاط الياباني التوسعي قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية. وهو رأس جامعة الفيلبين ونال اثنتين وثمانين درجة فخرية من مؤسسات تربوية في أنحاء العالم. دخل الحرب برتبة رائد وخرج منها

برتبة عميد. وتقاعد من الخدمة العامة برتبة لواء. ألّف ثمانية عشر كتاباً، ثلاثة منها رائجة في الولايات المتحدة الامريكية وهي "آخر رجل يغادر باتان" و"أمريكا الام" و"أرى الفيلبين تنهض" (١). وهو ديبلوماسي دولي انتخب في العام ١٩٤٩ أول رئيس آسيوي للجمعية العمومية للامم المتحدة، وخدم ثلاث دورات كرئيس لمجلس الامن.

حاز روميلو أربعة وسبعين وساما من دول اجنبية، و"ميدالية السلام" من الامم المتحدة، و"جائزة السلام العالمي"، و"جائزة سلام الحريات الاربع"، و"الميدالية الرئاسية للحرية" من الولايات المتحدة وهي أرفع جائزة مدنية أمريكية. وعندما تقاعد بعد خدمة خمسين عاماً في الفيلبين كان تلقى كل الجوائز والأوسمة التي يمنحها بلده، ولذلك استحدث له وسام جديد: "بطل الجمهورية الجديدة."

"روميلو غرق!" ولد روميلو في العام ١٨٩٩. كان صبيا مهذاراً، وكان أبوه المتسامح يشجعه ويتكهن بأنه سيصبح خطيباً. أثناء سنته الجامعية الثانية اسندت اليه وظيفة مراسل صحافي لتغطية جلسات مجلس الشيوخ. كانت الكلمات المحكية والمكتوبة سلاحه ووسيلته لجذب انتباه العائلة والاصدقاء، ثم العالم.

بعدما نال روميلو درجة ماجستير في الادب الانكليزي من جامعة كولومبيا في نيويورك، عاد الى الفيلبين وغدا ناشر صحف ناجحاً. تزوج وأنجب أربعة أولاد، وعاش في مانيلا حياة مريحة الى أن اجتاحت اليابان الفيلبين. لم تعد الحياة هي ذاتها، فالحرب قذفته كصاروخ الى المسرح الدولي.

أصبح صديقا حميما لدوغلاس ماك آرثر في العام ١٩٣٥ عندما جاء هذا الى مانيلا كمستشار عسكري للكومونولث الفيلبيني. وحينما هاجم اليابانيون بيرل هاربور في هاواي كان ماك آرثر استدعي قبل بضعة أشهر لتولي قيادة القوات الامريكية في الشرق الاقصى. فطلب من روميلو الذي كان آنذاك ضابطا احتياطيا، أن يكون مساعده وملحقه الصحافي.

ساعد روميلو في تأسيس "صوت الحرية" السري الذي كان يبث برامجه يوميا للمواطنين المحاربين من جزيرة كوريجيدور التي هرب اليها ماك آرثر عندما استعد اليابانيون لاجتياح مانيلا. ورومي، كما يدعوه أصدقاؤه، هو الذي صاغ الوعد الشهير الذي قطعه الجنرال ماك آرثر: "سأعود".

فيما كان ماك آرثر ينتظر فرصة لاسترجاع الفيلبين، أرسل روميلو الى الولايات المتحدة ليحفظ حرب المحيط الهادىء حية في قلوب الامريكان. وفي اشراف وزارة الشؤون الحربية الامريكية ذهب الكولونيل روميلو في جولة محاضرات مع فريق من الامريكان البارزين، وخطب في ٤٦٦ مدينة. وكلما جاء دوره لاعتلاء المنبر كان الشاعر كارل ساندبرغ يقدمه بقوله: "والآن، أيها القوم، ستسمعون الاوبرا العظمى في فن الخطابة."

(١) Last Man Off Bataan; Mother America; I See the Philippines Rise

انضم روميلو الى رئيسه في العام ١٩٤٤ بغية استرجاع الفيلبين. وعندما بلغا شاطىء ليت في أكتوبر (تشرين الاول) وسرت اشاعة أن الجنرال ماك آرثر غاص في الماء حتى وسطه، أبرق أحد اصدقاء رومي الصحافيين: "اذا ما كان ماك آرثر غائصاً في الماء حتى وسطه، فلا بد من أن روميلو غرق."

**سيّد الامم المتحدة.** أزعجت روميلو فظائع الحرب ورؤية جثث الجنود في خنادق باتان. وفيما الحرب لا تزال تتفاقم رأى أن "العالم سيضطر الى الجلوس حول طاولة ورسم خطة سلام مشترك. وأريد أن أكون جالساً الى تلك الطاولة."

عندما سمع روميلو في العام ١٩٤٥ أن هيئة دولية ستلتئم في سان فرنسيسكو للنظر في وسائل لحفظ سلام عالمي، اهتم للامر. وتم اختياره ليرئس وفد الفيلبين. وهو أثار في المؤتمر صدمة بكلماته الرنانة الاولى: "لنجعلنَّ هذه الارض ميدان المعركة الاخير."

ان روميلو، كواحد من مؤسسي الامم المتحدة وموقعي ميثاقها، ترك أثره في الصياغة الاصلية، مشدداً على أن "استقلال" المستعمرات السابقة في آسيا وافريقيا يجب أن يكون خياراً حراً، في حين كانت القوى العظمى غير راغبة في منح هذه المستعمرات أكثر من "الحكم الذاتي."

أثناء "الحرب الباردة" أصبحت مواجهة روميلو المباشرة مع السوفييت أسطورة. في الدورة الثالثة للجمعية العمومية للامم المتحدة المنعقدة في باريس عام ١٩٤٨، سخر نائب وزير خارجية الاتحاد السوفييتي أندريه فيشنسكي من روميلو وتحدى أهليته لصنع القرار قائلا: "أنت رجل صغير من بلد صغير."

فصرخ روميلو: "انه لواجب على الصغار في العالم أن يرموا بحصى الحقيقة في عيون العمالقة."

أصبح روميلو معروفاً بأنه محامي الديموقراطية الذي لا يكل. كان صوت الملايين الآسيويين الذين لا صوت لهم، والمتكلم من أجل الامم الحديثة. وبعدما خدم كرئيس للجمعية العمومية أصبح شخصية دائمة في تلك الهيئة، مترئساً الوفد الفيلبيني كل سنة. وقد سمّاه الامين العام الاسبق يوثانت "سيد الامم المتحدة" (٢).

قال الجنرال روميلو في خطابه الاخير قبل أن يتقاعد في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤ كوزير لخارجية بلاده: "كانت الامم المتحدة همي الاول والمتواصل، وستكون همي الاخير، لأنها نقطة التوحيد المحتمل للجنس البشري والامكان الوحيد لمستقبله السلمي."

**صبر لا ينفد.** لم يكن رومي يتوقف قبل أن ينال ما يريد، سواء أكان ذلك حلّاً لنزاع بين دول أم خياراً بين ثلاثة أنواع حلوى عندما كان يفترض أنه في حمية. من العام ١٩٤٤ الى العام ١٩٤٦ خدم كمفوض مقيم للكومونولث الفيلبيني في الكونغرس الامريكي، مع حق التكلم ولكن

(٢) Mr. United Nations

من دون حق التصويت. وبعدما أصغى السناتور ألبن باركلي الى استغاثاته التي لا تكل من أجل مساعدة الفيلبين وجنودها المحاربين قال بملل: "لماذا لا نعطيه حق التصويت ونرتاح من صوته؟"

• عند تم اختيار الخاتم الرسمي للامم المتحدة الذي يمثل خريطة العالم تفحصه رومي وسأل: "أين الفيلبين؟"

فرد السناتور الامريكي وارن أوستن رئيس اللجنة: "انها صغيرة جداً، واذا ما وضعت فلن تكون غير نقطة."

قال رومي ملحاً: "أريد تلك النقطة."

واليوم، اذا ما نظرت الى خاتم الامم المتحدة، وجدت نقطة صغيرة بين المحيط الهادىء وبحر الصين الجنوبي.

كان الهم الثاني الملازم لروميلو تعهده تقوية منظمة دول جنوب شرق آسيا (٣) التي تعتبر اليوم احدى المنظمات الاقليمية الأدعى الى الاحترام في العالم. قال الجنرال، كما كان يدعى غالباً: "لم نكن نعرف بعضنا بعضاً قبل الحرب." وبات للدول غير الشيوعية في المنظمة صوت مسموع في المنطقة، وقد أخذت موقفاً مشتركاً في الامم المتحدة ضد التدخل السوفييتي في افغانستان.

روميلو، الرجل اللجوج القلق في حياته الشخصية، استطاع أن يظهر صبراً غير متناه في الديبلوماسية. كانت له الكياسة الآسيوية في تجنب المواجهة حيث أمكن، وفسح المجال للزعماء كي يحفظوا ماء الوجه. قال: "يجب ألا نشنّ هجوما مباشراً. فنحن نعرف النقاط الرئيسية للخلاف، لذلك علينا أن نحاول ايجاد الامور الصغرى التي نستطيع الاتفاق عليها، ثم نعمل انطلاقا من هناك."

هدية ميلاد. عندما تقاعد الجنرال روميلو كسفير في العام ١٩٦٢، عاد الى بلاده ليتولى رئاسة جامعة الفيلبين. ثم طلب منه الرئيس الفيلبيني السابق فرديناند ماركوس الذي تبوأ سدة الرئاسة في العام ١٩٦٥، أن ينضم الى حكومته كوزير للتربية. وبعد ثلاث سنوات عين وزيراً للخارجية، وظل في هذا المنصب ست عشرة سنة.

كان روميلو ذا تأثير في بناء سياسة خارجية حديثة. واثناء توليه وزارة الخارجية أقامت الفيلبين علاقات ديبلوماسية مع جمهورية الصين الشعبية والاتحاد السوفييتي ودول البلقان(٤). ووصف رومي سياسة بلاده بأنها: "صداقة للجميع، ولا عداوة لاحد."

في العام ١٩٧٩ تولى في مانيلا رئاسة مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية.

مني رومي في سنيه الاخيرة بسلسلة من المشاكل الصحية، لكنها لم تثبط روحه اللطيفة ولذته في الحياة. وفي عيد ميلاده الخامس والسبعين أعلن سعيداً: "أنا لن أتقاعد، أنا أجدد اتقادي."

وفي العام ١٩٨١، عندما رافقته الى كانكون في المكسيك للتحضير لمؤتمر قمة، كان لا يزال وزيراً للخارجية. وكان على شرفة جناحنا حوض استحمام بدوامة

(٣) The Association of Southeast Asian Countries

(٤) هي دول شبه جزيرة البلقان، وتضم يوغوسلافيا وبلغاريا وألبانيا واليونان ورومانيا والقطاع الاوروبي من تركيا.

ماء. أحبه رومي كثيراً وطلب مني أن أهدي اليه واحداً مثله في عيد ميلاده.

قال سوبيه دانابالان وزير خارجية سنغافورة سابقاً ووزير التنمية الوطنية حالياً: "ان مراقبة رومي يعمل ويهتم بعمله وهو في وضع صحي ضعيف علمتنا درساً في الالتزام."

أنا أيضاً معجبة بعطاء رومي للعالم حتى في سني الشيخوخة. أسراره بسيطة: انه رجل طيب النفس أساساً، متفائل، يعالج كل مشكلة بأقصى طاقاته، ثم ينام جيداً.

**ايمان راسخ.** عندما بدأت تُهَم الفساد تتكوَّم ضد نظام ماركوس في أوائل ١٩٨٠، حاول روميلو أن يتقاعد، لكن محاولته رُفضت. وفي ٢١ أغسطس (آب) ١٩٨٣ اغتيل بنينو أكينو المنافس السياسي الرئيسي لماركوس. وفي أكتوبر (تشرين الاول) طلب من الجنرال روميلو أن يوقع بياناً صحافياً يحلّ حكومة ماركوس من أي مسؤولية في عملية الاغتيال. لكنه رفض.

توفي روميلو في ١٥ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٥ بعد مرور سنتين على قبول استقالته. وفي مأتمه أبّنه رئيس أساقفة مانيلا هايمي كاردينال سن: "حافظ الجنرال روميلو على ايمانه بالله طوال أيام حياته، وبالاهمية ذاتها حافظ على ايمانه بأبناء الفيلبين. وهو كان لهم مثالاً وقدوة ومصدر إلهام وقوة."

عرف رومي ماذا يريد حتى في مماته. أوصاني بأنه لا يريد شاهدة ضريح لانها باردة جداً. أراد أن ينصب له تمثال بحجمه، وفي يده ميثاق الامم المتحدة. فهو اعتبر أن ما أضافه الى الميثاق، وسمح ببروز الامم الآسيوية والافريقية، كان أعظم عطاءاته.

واليوم، اذا ما زرت "مدافن الابطال" في ماكاتي في مانيلا، وجدت تمثال رومي قائماً على ربوة وسط أشجار ظليلة وشجيرات مزهرة، وعلى شفتيه ابتسامة صغيرة. ويحب الاطفال الصغار تسلقه والجلوس في حضنه.

وكان رومي يحب ذلك.

**بيث داي روميلو** ■



## طيبة أهل الريف

أحياناً تجعلني زحمة المدينة الكبيرة أنسى كم أن سكان القرى والبلدات الصغيرة منفتحون ومقدّرون للصداقة. ولقد قادتني رحلة اعمال الى جوار منزل أهلي في الريف. وكان الصباح بزغ جديداً عندما اتصلت بالهاتف وأيقظت أمي.

قلت بمرح: "صباح الخير! اذا أتيت ببعض البيض فهل يمكنني تناول فطور الصباح معك؟"

"نعم، بالطبع. أهلا وسهلا،" كان الجواب الفوري الذي تلاه صمت ثم صوت أمي تسأل: "مَن المتكلم؟"

## هل تسعى الى السلام والطمأنينة؟ لا تقضِ عطلتك في البيت

# العطلة الصيفية

كلما حزمنا حقائبنا في يوليو (تموز)، ودائماً في عشية صيفية رائعة، لا أتمالك نفسي عن سؤال زوجتي: "ها نحن الآن على شفا انهيار، في حين أن العصافير تزقزق خارجاً وحري بنا أن نخرج الى الشرفة ونحتسي فنجان قهوة. هلا قلت لي لماذا نسافر؟"

وفي كل مرة نقسم أننا في السنة المقبلة سنلازم منزلنا. لكننا نعود الى حزم المتاع. فلا مناص من الذهاب. لقد حجزنا في الفندق وأعلمنا الجميع بسفرنا: ساعي البريد وبائع الحليب والجار الذي سيتولى ري غرسات اللوبيا في غيابنا.

السنة الماضية نفذنا قسمنا وبقينا في البيت. كنت أرنو الى هذه العطلة الصيفية منذ أسابيع، فاتخيل نفسي في حديقتنا الصغيرة متمدداً في كرسي بحري وبيدي كتاب آسر، أو مقلباً النقانق فوق منقل الفحم، أو مستبرداً تحت مرشة الحديقة، أو لاعباً بالكرة مع الاولاد، أو منهمكاً في حديث حقيقي مع زوجتي.



كنت أتوق الى ذاك اليوم حين تغدو الجرائد هزيلة ويبث التلفزيون برامج جديدة لا يكون المرء مضطراً الى مشاهدة حلقاتها السابقة. وثمة سبب آخر كان يحدوني على استعجال العطلة، هو خروج الاصدقاء والمعارف من المدينة، وانقطاع رنين الهاتف، والسلام والسكينة اللذان يعمان المكان على امتداد كيلومترات.

ولقد تكفلت مصادفة سعيدة

بابعاد أولادنا الثلاثة مدة خمسة أسابيع الى مخيم كشفي، فمزرعة، فرحلة تسلق للجبال. طبعاً افتقدت لعب الكرة، لكن السكون سيكون أعم في منزلنا. أو هكذا خيل الينا.

كان الاولاد يعودون ثم يغادرون: من مخيم كشفي الى تسلق جبلي، من مزرعة الى تعلم التزلج المائي، من نزهة تسلق في الجبال الى أسبوع غنائي. كانوا يأتون ويذهبون في أوقات مختلفة، وكانت زوجتي تفك الحقائب وتحزمها بيد، وتشغل بالاخرى غسالة ثياب. وبالطبع كنت أساعدها، كما يفعل أي زوج لائق، أي بمقدار ما يسمح به وقتي. لكن "جمعيـــة دراســة التــاريـخ والحضـارة المحليين" رتبت سلسلة زيارات للقصور والقلاع القديمة، واحدة بعد ظهر كل ثلثاء على مدى خمسة أسابيع. كما أعلن في المسبح القريب تنظيم برنامج لتعليم المبتدئين الغوص. ثم ان مدرسة محلية للبالغين نظمت دروساً متقدمة في الشطرنج. وأخيراً، وليس آخراً، كان هناك مقعد شاغر في برنامج تمهيدي لتعليم مبادىء الدماغ الالكتروني.

في تلك الاثناء بدأت زوجتي تعلم ترتيب الازهار على الطريقة اليابانية. وكنا نذهب معاً الى لقاءات بعد الظهر مخصصة لمن يقضون عطلتهم الصيفية في المنزل. ولبينا عرضاً خاصاً لشراء "جـــواز قضـاء عـطلة مسليــة" يخـولنـا الحصول بسعر أرخص على بطاقات دخول ملعب كرة المضرب ونادي الغولف وصالة السينما المحلية، وشراء كوب فريز (فراولة) بنصف الثمن العادي من مطعم للنباتيين. وتضمن الجواز أيضاً رحلة بالحافلة الى شلالات نهر الرين، وانتقالا بقطار الجليد بين منتجعي سان موريتز وزرمات، وكيساً مجانياً مليئاً بكل ما يحلو للسعادين أكله في حديقة الحيـوان المحلية.

وعندما نتهالك أخيراً في مقعدينا منهكين، يخرجنا الهاتف منهما مجدداً. فالاصدقاء الاعزاء اللطفاء الذين قرروا، هم أيضاً، تمضية العطلة الصيفية في بيوتهم، لا يطيقون أن نرفض دعوتهم الى حفلة شواء أو الى تناول القهوة. فعلى الاقل، يقولون، وقتنا متاح للذائذ كهذه، ولا من يزعجنا.

أخيراً اتصل ماكس بالهاتف. وعندما رفعت السماعة بعد تردد طويل أطلق تنهيدة ارتياح وصرخ: "يا لها من نعمة أن تكون هنا يا صديقي! بالله عليك، قل انك ستظل هنا في الاول من أغسطس (آب). ستكون هنا، أليس كذلك؟ أنت تعرف أني رئيس لجنة الاحتفال السنوي. حسناً، لم نجد بعد من يصرف الاعمال بالوكالة. لقد أجبنا بثلاثة عشر رفضاً، هل تصدق؟ كل يقول انه ذاهب في عطلة. لذا فكرت... أنت صديقي ولن تخذلني. هل ستفعل؟ أنت، ببساطة، لا يمكنك أن ترفض..."

كان ذلك السنة الماضية. وهذه السنة سنكون بالتأكيد بعيدين. واذا قيض لنا سوء طالعنا أن نبقى في البيت فلن نرد على المكالمات الهاتفية. سنمكث في الحـديقــة، متمـددين على الكـراسي البحرية. هذه كلمة شرف! الا اذا... لن أضيف شيئاً آخر.

أولريك فيبر ■

# نداء المزامير

## نغم مثير من جبال اسكوتلندا يشبه موسيقى بربرية جبارة



تثير مزامير القرب(١) ردود فعل عنيفة أكثر مما تفعل أي آلة موسيقية أخرى. يقول العازف طوني ماكلارنون الذي ما زال ينفخ في المزمار على أرصفة لندن منذ أكثر من ثلاثين عاماً: "ان بعض الناس يسرون بالعزف الى حد أنهم يشرعون في الرقص أمامي. وهناك آخرون يرددون احدى عبارات صاموئيل بيبيز، وهو كاتب يوميات عاش في القرن السابع عشر، اذ وصف هذه الموسيقى بأنها في أحسن حالاتها لا تعدو كونها موسيقى بربرية مفعمة بالقوة."

هناك عدد كاف من المعجبين يجعل من هذه الآلة تسلية جديرة بالممارسة بالنسبة الى ماكلارنون. فهو يجمع نحو ٣٠ جنيهاً استرلينياً (٥٥ دولاراً) خلال ساعتين من عزف الموسيقى الاسكوتلندية الراقصة في شوارع لندن. وكثيراً ما يدعى الى العزف في الاعراس وحفلات رأس السنة والى حفلات خاصة في الخارج.

---

(١) Bagpipes

يتألف مزمار القربة الاسكوتلندي من خمسة مزامير: مزمار منشد ومزمار نفخ ومزمار جهير ومزمارين صادحين(٢). وهي مجموعة بواسطة أسطوانات خشبية داخل قربة جلدية مخفية تحت غلاف مقلم او قماش مخملي.

يمر خيط حريري أو صوفي من المزمار الجهير ليشد المزمارين الصادحين. وتصنع المزامير عادة من الخشب الافريقي الاسود المعروف بصلابة أليافه المتشابكة بحيث أنها إذا ضربت بمطرقة ارتدت المطرقة الى الوراء.

يقول كلود ميلار مدير مصنع غيلاندرز ومكلاود لمزامير القرب في ادنبره: "يأتينا الخشب قطعاً منشورة تقارب الطول والحجم اللذين نريد. وبعد أن تعطى الشكل التقريبي بالمخرطة يكمل العمل يدوياً. ويمكن انجاز مزمار بسيط خلال يومين. أما المزمار ذو النقوش الفضية فقد يستغرق صنعه أسبوعين. وتبلغ كلفة المزمار الارخص نحو ٢٧٠ جنيهاً استرلينياً، أما المتقن الأغلى فتبلغ كلفته ٣٨٧٥ جنيهاً استرلينياً."

**لمسات أخيرة.** جلد الغنم ملائم للقربة في البلدان الرطبة. وجلد البقر الذي لا يجف بسرعة، هو الانسب في البلدان الجافة، وتخدم القربة بين سنتين وخمس سنوات. وكانت الجلود في الماضي تطلى بالعسل أو دبس السكر بغية جعلها ضابطة للهواء، أما اليوم فانها تعالج بمواد اصطناعية.

الاختبار الاخير لنوعية الصوت يجريه ايان مكلاود مدير مصنع المزامير في ادنبره، وهو كان في الماضي العازف الرئيسي في فرقة المزامير التابعة لشرطة المدينة والتي ربحت غير مرة البطولة العالمية في عزف المزامير.

إذا لم يكن المزمار تام المواصفات فانه يتلف.

يصدر ثلاثة أرباع الانتاج الى الخارج، وخصوصاً الى الولايات المتحدة وكندا. يقول مكلاود: "لقد أرسلنا مزاميرنا الى كل بلد في العالم تقريباً."

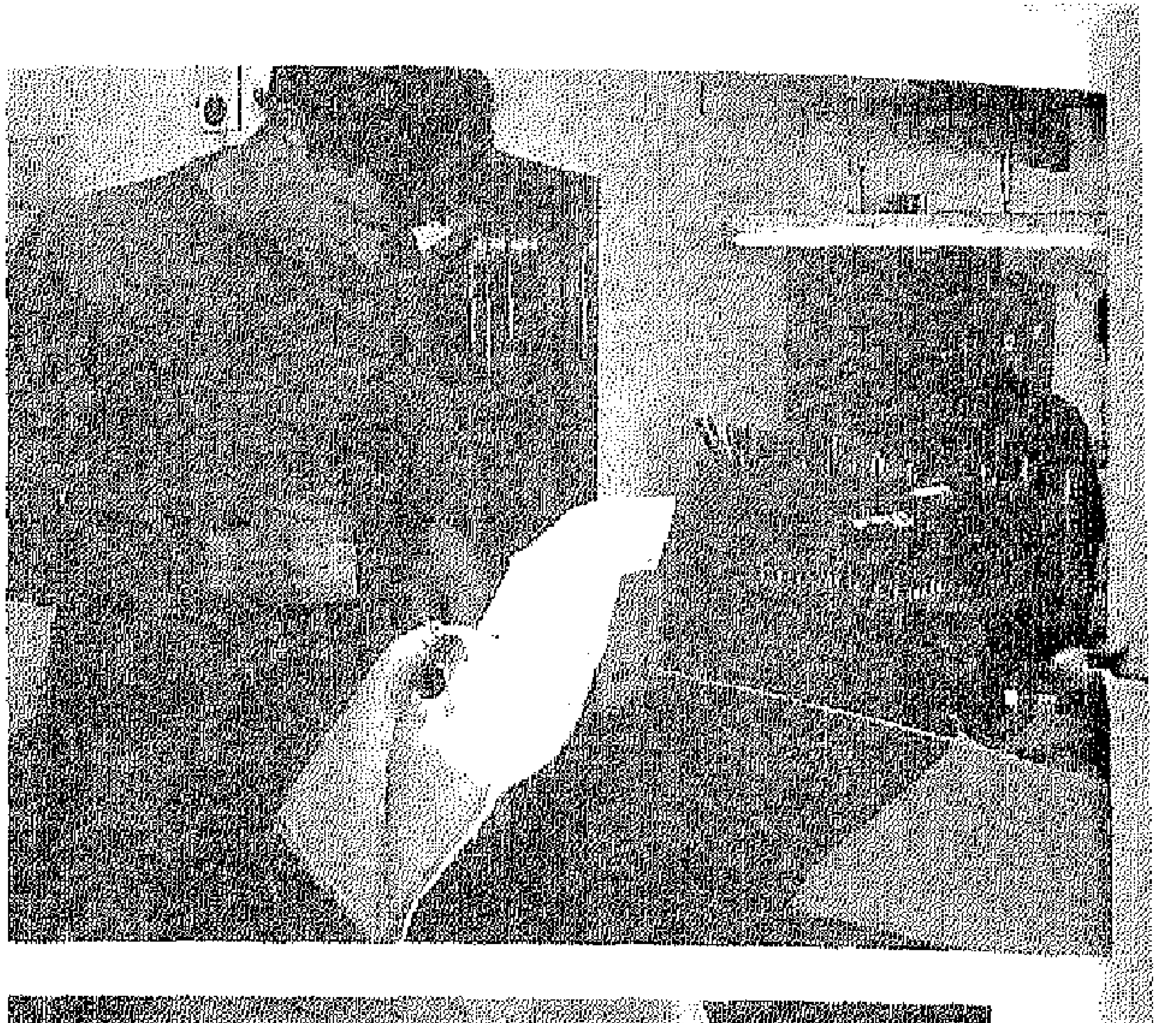
ان العلاقة بين الرجل ومزاميره وثيقة. ويتذكر كلود ميلار واحداً من أصدقاء أبيه كان، كغيره من عازفي القرب، يبقي مزماره تحت سريره: "ذات يوم شب حريق في منزله، وكان مزماره أول ما فكر فيه. زحف على أرض غرفة نومه والدخان يلفح وجهه، ومد يديه. وهو أقسم أن المزمار خرج لملاقاته."

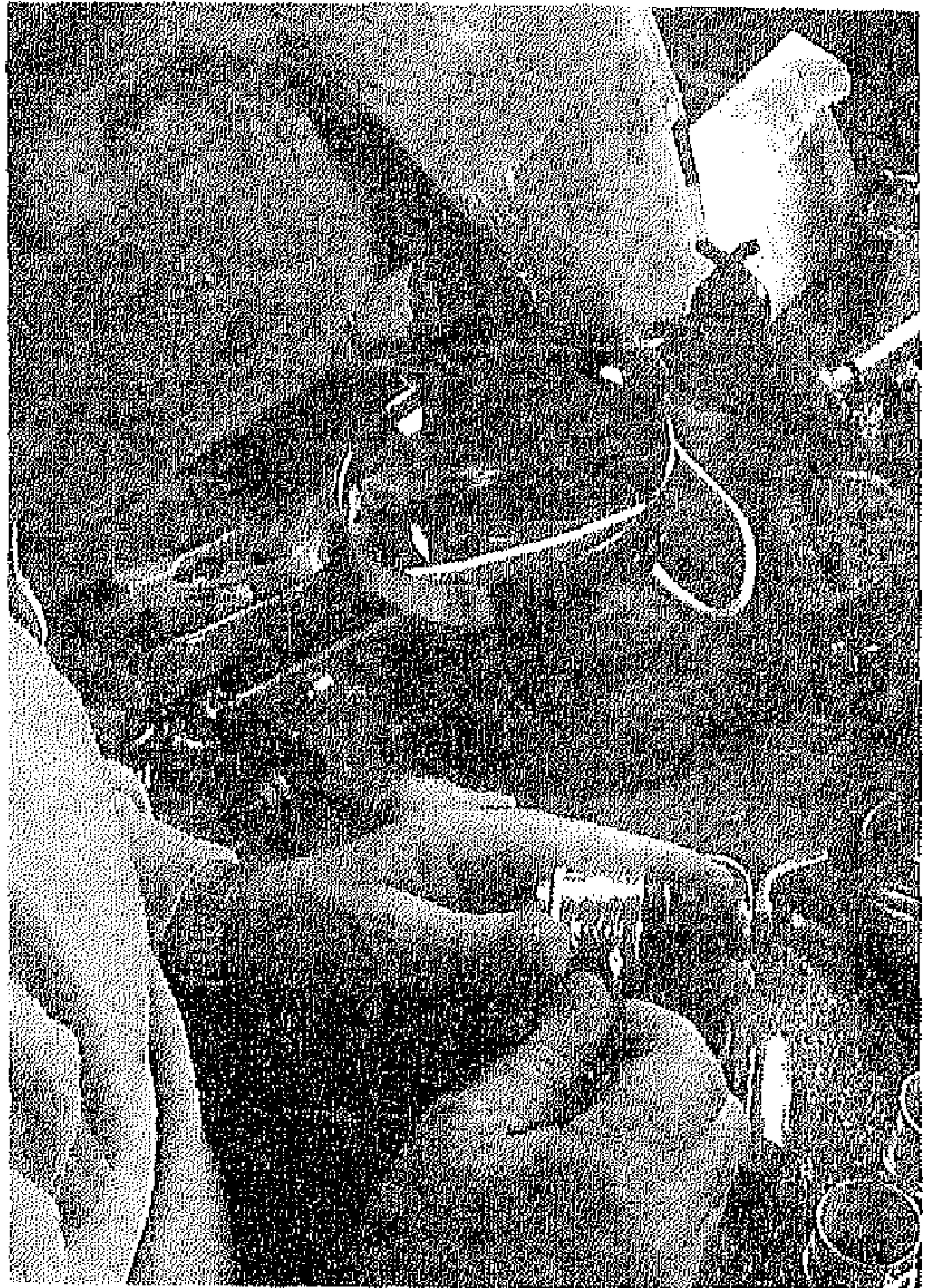
الى الطبل والقيثارة، يعتبر المزمار من أقدم الآلات الموسيقية. وهو موضوع تكرر ظهوره في أعمال النحت والرسم في عهد الامبراطور الروماني نيرون في القرن الاول. وكان الامبراطور نفسه موسيقياً ممتازاً. وكان مزمار القربة احدى الآلات التي عزف عليها.

في القرون الوسطى كانت المزامير تعزف للناس أثناء عملهم في الحصاد أو جز الصوف. وفي "قصص كانتربري"(٣) للشاعر البريطاني جيفري تشوسر وصف لطحان يعزف للحجاج أثناء رحلتهم الى كانتربري. وتظهر وثيقة من عهد عائلة ستيوارت المالكة (١٣٧١ - ١٧١٤)

(٢) Chanter, blowpipe, bass drone and two tenor drones

(٣) The Canterbury Tales





فواتير دُفعت لموسيقيين بدل عزفهم مدة خمسة أيام لعمال صيانة الطرق أثناء عملهم "تمهيداً لزيارة الملك." وكانت العادة في انكلترا واسكوتلندا أن يعزف المزماريون في الاعراس حيث كانوا يربطون بمزاميرهم قطعة من جوارب العروس.

**فرق قديمة.** في البلاطات الملكية البريطانية كانت المزامير تعزز حينا وتلغى أحياناً، منذ عهد الملك ادوارد الثالث في القرن الرابع عشر. وكان الملك هنري الثامن موسيقياً ممتازاً يملك خمسة طواقم من مزامير القرب. وفي الاحتفال بتتويج الملك تشارلز الثاني عزف ثمانون مزمارياً اسكوتلندياً. وكان للملكة فيكتوريا عازف مزمار اسكوتلندي خاص، ولا يزال هذا التقليد متبعاً في العائلة المالكة.

وكان ألكسندر مكدونالد العازف الشخصي للملك جورج السادس. وهو اليوم في العقد التاسع من عمره وظل الى وقت قريب يدرّس العزف على المزمار لنحو عشرين تلميذاً انكليزياً واسكوتلندياً في كلية ايتون. انه لا يزال يمارس العزف على المزمار منذ زمن لم يعد يتذكره. وهو يعزف على آلة صنعها في نهاية القرن التاسع عشر مكدوغال ابرفلدي الذي يعتبره مكدونالد "ستراديفاري مزامير القرب" (٤).

(٤) نسبة الى انطونيو ستراديفاري (١٦٤٤ - ١٧٣٧) أشهر صانعي الكمان.

كانت وظيفة مكدونالد في البلاط تحتم عليه العزف في التاسعة صباحاً خارج أي مكان تكون فيه العائلة المالكة مجتمعة يقول مكدونالد: "كان الملك يعتقد أن البدء في التاسعة حسن. وبعد العشاء في التاسعة والنصف مساء كنت أعزف في غرفة الطعام لحن مارش، ومقطوعة ستراسباي اسكوتلندية، ولحن ريل(٥)."

ان دور عازف مزمار القربة في الحرب هو ابقاء الرجال مبتهجين وزرع الحماسة في قلوب الجنود المتعبين وتحريضهم على القتال ساعة الهجوم. وبما أن المزامير تسمع من مسافة كيلومترات في ريح مؤاتية، فانها تساعد كثيراً في توتير أعصاب الاعداء. وأثناء المناوشات بين انكلترا واسكوتلندا في القرن الثامن عشر اعتبر المزمار - قانوناً - آلة حرب، وحاول الانكليز مراراً حظر استعماله.

من حسنات هذه الآلة قدرة المرء على العزف عليها فترة طويلة من دون أن يتعب. والرقم القياسي للعزف في اسكوتلندا سجله أربعة طلاب من جامعة ابردين عام ١٩٧٥ عندما عزفوا لمدة ٨٠ ساعة متواصلة. وقد قال أحد السكان المحليين متأثراً: "نحمد الله أن لم يصب أحد بأذى."

يعلّم العزف على مزمار القربة الاسكوتلندي يومياً وعلى مدار السنة في معهد العزف على المزمار في غلاسكو. يقول المعلّم جين كامبل: "العزف على المزمار يصيب نجاحاً شعبياً باهراً هذه الايام. لدينا عدد من الامريكيين والكنديين والالمان والسويسريين والاسوجيين واليابانيين والصينيين والاوستراليين والنيوزيلانديين والبلجيكيين والهولنديين وعربي واحد."

ويصدر المعهد مجلة شهرية(٦) يرئس تحريرها سوماس مكنيل رئيس المعهد. ولدى هذه المجلة مشتركون من معظم بلدان العالم، وصفحة الرسائل فيها تجذب فئة خاصة من الناس مثل عازف مزمار أوسترالي أصبحت قربة مزماره المصنوعة من جلد الغنم كالمنخل من جراء الحر الشديد. وهو طلب من صانع سروج محلي أن يصنع له قربة من جلد الكنغر. واليوم، بعد مضي أكثر من أربعين عاماً، لا تزال القربة متينة.

ومكنيل عازف مزمار من الطراز الاول، الى كونه مذيعاً وفاحصاً وحكماً في المباريات ورابح ميداليات كثيرة. وهو ايضاً أمين سر جمعية "بيابروك" أي الموسيقى الكلاسيكية لمزمار القربة الاسكوتلندي. وتنقب الجمعية في المخطوطات القديمة وتنقذ المقطوعات الموسيقية المنسية. وهي أنتجت أربع عشرة مجموعة من الاعمال الكلاسيكية.

يقول مكنيل: "قيل ان موسيقى البيابروك هي أعظم مساهمة قدمتها اسكوتلندا الى التراث العالمي. وهنالك قطعة بعنوان "مرثاة الاطفال"(٧) صنفت كأحد أجمل الانغام لآلة منفردة في التراث الموسيقي الاوروبي. العالم كله معتاد سماع الاسكوتلنديين يتفاخرون، لكن كثيرين منا لا يدركون القيمة الحقيقية لهذا الجزء من تراثنا."

**باميلا دالتون** ■

(٥) A march, strathspey and reel
(٦) Piping Times
(٧) Lament for the children

كان لقاؤهما مناسبة سعيدة
لم يدرك أي منهما
مدى البركات التي تخفيها

# مُعجزة آرني وَجنجرْ

توجهت جنجر جاكسون (٤١ سنة) وصديقة لها الى مجمّع تجاري قرب وست هامستيد في ولاية نيويورك. كان ذلك بعد ظهر يوم جمعة عام ١٩٨٥. وأول ما طالعهما على المدخل كان محل مجوهرات صغير لا تزيد مساحته على ثلاثة أمتار مربعة، حيث عرضت في خزانتين داخله أعداد من السلاسل المختلفة التصاميم والاشكال.

كان آرني هارتمان (٦٣ سنة) وحده في المحل ينهي معاملة بيع. وهو قصير القامة، ممتلىء الجسم، وقد خرج من المستشفى قبل بضعة أشهر بعد معالجة طويلة لمشاكل في القلب والرئتين. ولم يكن وجوده في المحل الا لمنح زوجته فرصة لتناول الغداء.

لم يكن آرني وجنجر التقيا في السابق. لكن كلا منهما "عرف" الآخر للحال. كانت جنجر تلف حول عنقها شريطاً ملوناً رأى آرني أنه يثبت أنبوباً صغيراً مرئياً أولج على أثر عملية بضع الرّغامى (القصبة الهوائية). فقال في نفسه: انه بشع، خصوصاً على عنق هذه الفتاة الجميلة.



جنجر جاكسون تاونسل وآرني هارتمان.

Photo: Ernest Coppolino

حين تنسد الرغامى من جراء شلل في الاوتار الصوتية، على سبيل المثال، يفتح ثقب تحت موضع الانسداد ويولج فيه أنبوب لتمكين المريض من التنفّس. وكان في أسفل حنجرة آرني ندب عميق يدل على خضوعه لجراحة بضع الرغامى.

ورأت جنجر أن لا أنبوب لديه. واتسعت عيناها دهشة، اذ لم يسبق أن رأت شخصاً استؤصلت رغاماه.

حاولت جنجر التكلم الى آرني، لكن كلماتها خرجت غير مفهومة لان أوتار صوتها لم تعمل كما يجب، ولم يكن يستطيع فهمها الا أفراد عائلتها وأصدقاؤها الحميمون. فبادرت صديقتها الى شرح كلامها: "انها تريد القول انها لا تتصور أحداً استؤصلت رغاماه وبقي قادراً على التنفس والتكلم."

قال آرني للفتاة: "يمكنني مساعدتك، ولن تضطري الى استخدام هذا الانبوب. انتظري وأصغي الي." وحين رجعت زوجته الى المحل توجه والشابتين الى مطعم وروى لهما قصته.

**مهانة واحباط.** في ١٣ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٣ أخذ آرني هارتمان يشهق طالباً الهواء من غير ما سبب واضح. وحين وصل رجال الاسعاف لنقله الى المستشفى كان دخل غيبوبة. ولم يستطع الاطباء تحديد سبب غيبوبته. وفي اليوم الرابع أبلغوا الى زوجته روزلين أن تترقب موته.

رفضت الزوجة ان تقبل هذا التكهن بموت زوجها، فنقلته الى مستشفى أكبر في لونغ آيلاند. وهناك طرأ شلل على أوتاره الصوتية وهو لم يزل في غيبوبته، فتعذر عليه التنفس عبر الرغامى. فأجريت له جراحة بضع الرّغامى وأولج أنبوب للتنفس في عنقه.

بقي آرني من دون حراك مدة ثلاثة أشهر. ثم أبصر في منامه أنه في مصعد يهبط به الى الحضيض حيث سيلاقي حتفه. ولكن في منتصف السقطة توقف المصعد وخرج آرني الى حالة... الوعي. كانت احدى الممرضات تنظف غرفته فطلب منها أن تناوله كوب ماء. فحدّقت اليه منذهلة وهتفت: "إنك لا تقوى على الكلام!"

أجابها آرني بصوت مخنوق لكنه مفهوم: "ان القدر غيّر رأيه."

بعد قضاء أكثر من سنة في المستشفيات لمعالجة مشاكل القلب والرئتين عاد آرني الى بيته مزوداً رغامى اصطناعية مزدوجة مكوّنة من أنبوب داخلي وآخر خارجي. وأخبره الاطباء ان هذه ستكون دائماً جزءاً من جسمه. قال آرني: "كرهتها. كنت دائماً متنبهاً الى وجود الانبوب، وكنت أحس أنه يثير الانتباه."

بعد بضعة أسابيع دعاه ابن عمه الى تناول الغداء في مطعم من الدرجة الاولى، والى المائدة أسرّ له: "هناك مخاط يسقط من أنبوبك. فالتقط آرني فوطة السفرة وغطى بها الانبوب وأسرع الى غرفة المغاسل فنزع الانبوب الداخلي في بضع دقائق وأعاده بعد تنظيفه. لكنه شعر بالاذلال والخزي الى أقصى الحدود.

واذ عاد الى البيت غمره شعور بالانحطاط والوهن وقال لزوجته: "لن آكل

خارج البيت بعد الآن. سأبتعد عن الناس كلياً."

"ماذا أخسر؟" بعد مدة قصيرة اتصل بآرني أحد أنسباء زوجته وأخبره أن الدكتور آلان أبرامسون، رئيس دائرة الاذن والحنجرة في مركز لونغ آيلاند الطبي بنيويورك، هو رائد في جراحة "الليزر" وفي طرق تقنية أخرى قد تمكن آرني من التنفس والتكلم من دون استخدام الانبوب. وكان النسيب موظفاً في المركز.

أخذ آرني موعداً للمعاينة لدى الدكتور أبرامسون. لكن أمله كان ضعيفاً. قال الدكتور أبرامسون بعد فحص حنجرته انه أجرى أكثر من ٧٠ جراحة ناجحة للاوتار الصوتية المشلولة. فوافق آرني على الخضوع للجراحة، اذ لم يكن هناك ما يخسره.

أدخل الدكتور أبرامسون في حنجرة آرني منظار حنجرة(١)، وهو أنبوب قطره ٢،٥ سنتيمتر وطوله ٣٠ سنتيمتراً. سلّط من خلال الانبوب شعاع ليزر. فبخّر "السكين الضوئي" الغضروف والنسيج في الأوتار المشلولة وأحدث فتحة في القصبة الهوائية.

أبقى الدكتور أبرامسون أنبوب آرني في مكانه الى أن شفي الجرح. وبعد عشرة أيام أزال الانبوب في عيادته، فجلس آرني منذهلا قائلا في نفسه: انها لعجيبة! انني أتنفس من تلقائي.

**هبة مميزة.** بعدما شرح آرني تجربته حض جنجر على زيارة الدكتور ابرامسون قائلا: "انه شفاني، وهو قادر أيضاً أن يشفيك. أرجوك، صدقيني."

قالت جنجر بواسطة صديقتها انها ستفكر في الامر. لكنها كانت خائفة، اذ لم يكن في وسعها دفع معاينة الطبيب، فكيف بنفقة الجراحة. في السنة السابقة أخضعت لجراحة من نوع آخر. وفيما كانت مخدّرة انهارت قصبتها الهوائية مما استدعى تركيب أنبوب بديل. كانت مشكلتها أخطر من مشكلة آرني، فبسبب ضيق القصبة الهوائية الشديد كان يتعذر دخول ما يكفي من الهواء عبر أوتارها الصوتية مما يتيح لها الكلام على نحو مفهوم. ونظراً الى عجزها عن مخاطبة الغرباء اضطرت الى ترك وظيفتها في المصرف حيث كانت تعمل أمينة صندوق.

بعد الجراحة لجأت جنجر وأهلها الى الصلاة. وكانت هي على قناعة بأن تلك الصلوات لا بد وأن تستجاب يوماً. تقول: "لم أولد بأنبوب في حنجرتي، ولن أموت وفيها واحد." أما طبيبها فلم ينصحها بنزع الانبوب، وهي لم تكن على ثقة بنجاح الجراحة، ولا بقدرتها على تحمل كلفتها.

مرت سنة ترددت خلالها جنجر وصديقتها على محل المجوهرات في فترات الغداء حين يكون آرني يعمل مكان زوجته. وكل مرة كان يقول للفتاة: "أرجوك يا جنجر، اتصلي بالدكتور أبرامسون."

وقبيل الميلاد عام ١٩٨٦ كان آرني وزوجته يتباحثان في الاعانات الخيرية التي سيقدمانها. فقال آرني: "لماذا لا نعطي جنجر ١٢٥ دولاراً لدفع بدل الاستشارة الطبية؟"

(١) Laryngoscope

اتصل آرني بجنجر وأخبرها أنه وزوجته يرغبان في تقديم هدية اليها لمناسبة العيد تغطي كلفة فحصها فوافقت.

بعد الفحص أكد الدكتور أبرامسون للفتاة: "سنجري لك الجراحة. ولا تهتمي للتكاليف."

كانت جنجر من المرضى القلائل الذين تسمح حالتهم بالافادة من جراحته الخاصة.

أدخلت جنجر المستشفى في ٢ فبراير (شباط). وكانت جراحتها أكثر تعقيداً من جراحة آرني. كان جزء كبير من رغاماها بلغ حداً من الضيق لم يبقَ معه مجال لاصلاحه. واقتضى اجراء جراحة لها في الرقبة والصدر لكي تتمكن من التنفس. فعمد الدكتور أبرامسون الى قطع الجزء الضيق من الرغامى، ثم خاط الطرفين الصحيحين معاً. وكان يعمل مع فريقه بتشغيل "مروحة نفاثة" خاصة مرتفعة التواتر، وهي آلة كانت تضخ الاوكسيجين الى رئتي جنجر خلال الجراحة.

في ٦ فبراير (شباط)، عيد ميلاد جنجر، قال لها الدكتور أبرامسون ان في وسعها أن تتكلم. فتكلمت، وكانت تلك أجمل هدية لها في عيدها. راحت تتكلم من دون توقف ومع كل من كان في مرمى سماعها.

عادها آرني بعد بضعة أيام. ومع أنه محب للكلام فانه لزم الصمت مصغياً اليها. العجيبة التي حصلت له حصلت لها أيضاً. وغمره الفرح فهتف: "أوه، لكم أشعر بالغبطة!"

لم تجد جنجر الكلمات الوافية لتعبر لآرني عن شعورها. ولم يكن من داع الى ذلك، لانه كان يعرف.

**بنت كسائر الاولاد.** في الاسبوع التالي ظهرت مقالة في الصحف تروي قصة آرني وجنجر. قرأتها معلمة لتلامذتها في الصف الابتدائي الثالث في احدى المدارس العامة بمدينة نيويورك، ثم كتبت الى آرني رسالة جاء فيها: "لقد بلغ تأثر تلاميذي بعملك الانساني حداً حملهم على الكتابة اليك."

وتسلم آرني مع الرسالة ٢٣ كتاباً من التلاميذ جاء في أحدها: "قرأنا في الصحيفة عن عنايتك بفتاة سوداء، على رغم أنك أبيض. ان العطف الذي في قلبك دفعك الى مساعدتها." وجاء في كتاب آخر: "حين قرأت لنا معلمتنا عنك فكرت في فتاة أعرفها، في حنجرتها أنبوب، اسمها لينيت."

وهذا ما أقنع آرني بزيارة الصف.

في مارس (آذار) ١٩٨٧ وقف آرني الى جانب المعلمة في الصف وخاطب التلاميذ بصوت متهدج: "لا يسعني أن أعبر لكم عن مبلغ سروري برسائلكم. انها كانت أعظم مكافأة لي."

وطلب أن يرى لينيت راموس (٨ سنوات). وكان ركب لها أنبوب للتنفس منذ ولادتها. وكانت لا تستطيع الكلام الا حين تسد طرف الانبوب باصبعها. وحين ترفع اصبعها للتنفس لا تقوى على النطق فسعى آرني لكي تقابل لينيت وأمها الدكتور أبرامسون. فيا للتوافق الرائع! كانت حال لينيت مثالية، مثل حالي آرني وجنجر، لتكون مرشحة ممتازة

للجراحة. وقد أكد الجراح لوالدتها أن الامل كبير بنجاحها.

خلال ثماني سنوات لم يعلل أحد لينيت ووالدتها بالأمل. وبعد مرور يومين على الجراحة أزال الدكتور أبرامسون الانبوب من حنجرة لينيت وقال لها: "الآن تقدرين أن تتكلمي يا لينيت." ترددت الفتاة ثم نطقت أولى كلماتها الطبيعية: "كم أنا سعيدة! أنا الآن كسائر الاولاد."

تقول جنجر، المتزوجة حالياً والتي تدرك شعور لينيت: "لست أعلم ماذا كان سيحدث لو لم يثابر آرني على حضي على اجراء الجراحة. لقد بدأ بي حلقة اتسعت لتتناول حياة آخرين. فها أنا أبحث دائماً عن اناس مزودين أنابيب للتنفس لكي أخبرهم أن هناك مساعدة تنتظرهم وقد يجدون فيها الشفاء."

جوزف بلانك ■



## عبر النافذة

مر صحافي من أصدقائنا أمام نافذة المكتبة العامة في المدينة، فلاحظ أن رجلا في الداخل يقرأ صحيفة اليوم. ولاحظ بسرور أن الصحيفة مفتوحة على الصفحة ذاتها التي كتب فيها مقالة كبيرة.

توقف الصحافي كأن شيئاً أسره. وساءل نفسه: ترى هل يقرأ الرجل مقالته بتمعُّن، وحتى أسفل الصفحة؟ تلك كانت واحدة من اللحظات النادرة وغير المتوقعة التي يحلم بها كاتب.

قرّب صاحبنا أنفه من زجاج النافذة ولاحظ أن الصفحة لم تُقلب بعد. حسناً، هذه دلالة على أن القارىء مهتم بالمقالة. وتريث ساكناً في انتظار الجواب عن السؤال المهم: هل سيقلب القارىء الصفحات بحثاً عن التتمة؟

مرت دقائق ولم يتغير شيء. لا ريب في أن الرجل قارىء بطيء جداً. وانقضت دقائق أخرى قبل أن يدخل صديقنا المبنى ويتفرس في وجه الرجل ويراقب عينيه. وكم كانت خيبته عظيمة عندما تبين له أن قارئه يغط في نوم عميق!

ر. ا.

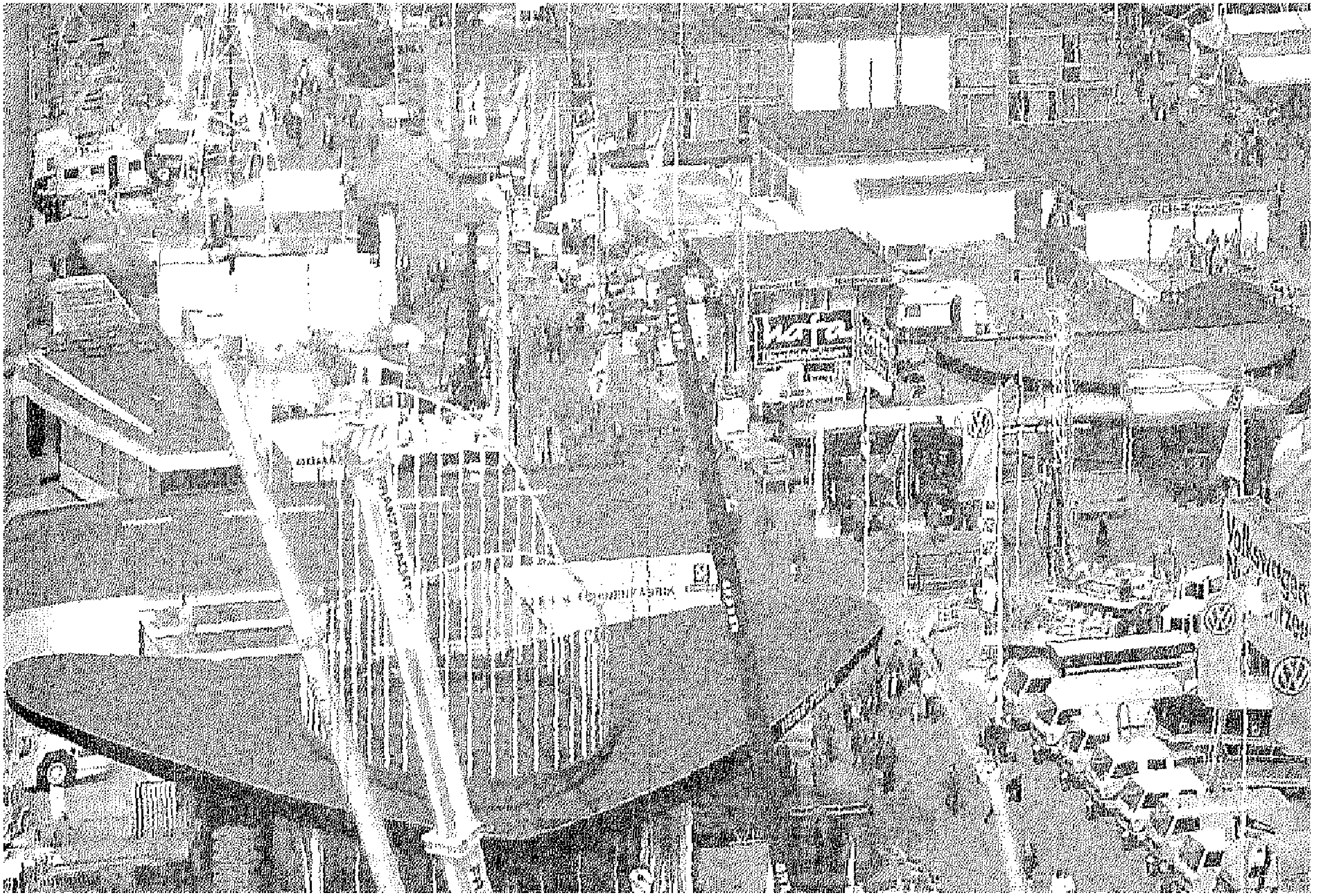
---

## لغة المصارف

كان أستاذ لغة منزعجاً من طريقة تعامل مصرفه معه. فلا دقة الحسابات ولا أسلوب المصرف في التعبير كانا يرقيان الى المستوى المطلوب. والقشة التي قصمت ظهر البعير جاءته في شكل رسالة من المصرف كتب فيها: "حسابك يبدو مكشوفاً."

ورداً على هذه الملاحظة كتب المدرس الى المصرف على قفا الرسالة: "رجاء، أكتبوا الي مجدداً عندما تتأكدون تماماً من الوضع."

ج.ك.



# هانوفر أجمل المعارض

في شهر ابريل (نيسان) من كل سنة يؤم هذه المدينة الالمانية نصف مليون زائر للتعرّف الى أحدث المستجدات في عالم التكنولوجيا المتطورة

داخل قاعات العرض الفخمة في هانوفر يتحول الليل نهاراً استعداداً لاستقبال أكبر معرض صناعي في العالم.

وفيما الرافعات تثبت الجدران الفخمة في أماكنها وعمال الكهرباء يتنقلون بحذر بين الروافذ والعوارض، يرتفع أزيز المكانس الكهربائية تدفعها عاملات التنظيف بين الصناديق والرافعات. وتتهادى عربة محملة بأشجار النخيل في أحواض، سرعان ما تتبعها عربة قهوة تنفث سحباً من البخار.

فخلال أقل من أسبوع ستنصب ستة آلاف شركة خزائن موقتة لعرض آخر منتجاتها. والاتجاه هو نحو تصميم

الاجنحة بحيث تلائم طبيعة المؤسسة المشتركة وفرادتها. ومن صالات العرض المكسوّة بالسجّاد المخملي المترف ترتفع سلالم عريضة وصولاً الى القاعات العازلة للصوت المخصصة للاجتماعات وللمؤتمرات، والى الاستراحات العصرية التي تقدم ظهراً الى زبائنها غير الاعتياديين أصنافا من الطعام تراوح بين سمك السلمون المدخّن ولحم الغزال.

من بين أهم مئة معرض دولية متخصصة تقام في العالم سنوياً، تستقطب ألمانيا الغربية ثمانين معرضاً. ويختص معرض هانوفر، الذي يقام في شهر ابريل (نيسان) من كل سنة، بالتكنولوجيا المتطورة. وتراوح معروضاته بين رقائق الدماغ الالكتروني (ميكروتشيب) والعربات الثقيلة. بعض الشركات المتعددة الجنسية، مثل "نكسدورف" و"سيمنز" و"آي بي إم"، وشركات ناشئة مثل "واكر - شيمي" للمواد الكيميائية في ميونيخ، لا تكتفي بعرض منتجاتها، بل تعلم الزبائن طرق استخدامها مستعينة بوسائل إيضاح حيّة، حيث يتاح للمرء أن يراقب ربوطاً (١) يدهن سيارة او مولّدات طاقة تعمل بقوة الريح أو جهاز "ليزر" متطوّراً.

**باب على الخارج.** شتان ما بين معرض اليوم بقاعاته الاربع والعشرين الزاخرة بالنشاط والحركة، ومعرض الأمس المرتجل الذي افتتح في ١٨ أغسطس (آب) ١٩٤٧ في شركة للمعادن الخفيفة في ضواحي المدينة التي دمّرتها القنابل. لكأن بينهما سنوات ضوئية.

أما فكرة إقامة معرض صناعي لتشجيع التصدير فأتت من البريطانيين والامريكان في مركز قيادة الحلفاء في برلين الذين أدركوا أن القطاعات الغربية الصناعية في ألمانيا ستحتاج دائماً الى استيراد المواد الغذائية، بعد إختفاء مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية في بروسيا الشرقية. والسبيل الوحيد لتحقيق التوازن هو إحياء الرقعة التي كتب عليها: "صنع في ألمانيا."

وكانت المقرات التقليدية للمعرض في كولونيا وفرنكفورت ما زالت مدمّرة، فوقع الاختيار على هانوفر مركزاً لاقامة المعرض. ويعود ذلك الى بضعة ضباط بريطانيين، بمن فيهم ادوارد هيث الذي أصبح رئيساً للوزراء في ما بعد.

ومع أن فترة التحضير لم تتعد أربعة اشهر، فقد فوجيء رعاة المعرض الحلفاء بتقدم ١٣٠٠ شركة بطلبات للاشتراك. وراوحت المعروضات بين المجوهرات والجرارات والاحذية والورق والدمى وطقوم الاسنان الاصطناعية. ومن المعروضات التي أثارت دهشة الزوار جهاز راديو صغير يحمل باليد وعربة أطفال قابلة للطي ومجهر الكتروني يضخّم الاشياء ٥٠ الف مرة.

وفي ثلاثة أسابيع تدفق عبر البوابات نحو ٨٠٠ الف شخص كان بينهم عدد كبير من "المعيدين." أما سبب تكرار الزيارة فهو أن تذكرة الدخول خوّلت حاملها الحصول على كوب من الشراب المركّب اصطناعياً، وعلى شطيرة سمك، وهذه غير خاضعة للطوابع المخصصة آنذاك للتقنين

(١) (robot) هو ما يعرف بالرجل الآلي.

الغذائي. ولقد سجّل القيّمون على المعرض ٤٠٠٠ شارٍ محتمل من ٥٣ بلداً، وصلت قيمة طلباتهم الى ٣١،٥ مليون دولار. وأكثر من نصف المندوبين التجاريين الاجانب جاؤوا من خارج أوروبا. وفيما أقام معظمهم في المعسكر البريطاني توزّع الباقون على المدارس والمصانع والمنازل التي حوّلها اصحابها فنادق موقتة. وكانت الضيافة الحسنة التي قابل بها أهل هانوفر زوارهم الاجانب، أول اتصال لهم بالعالم الخارجي بعد الحرب.

بعد تسعة أشهر افتتح المعرض الثاني. وكانت أضيفت اليه صالتا عرض جديدتان مما ضاعف مساحة العرض الداخلية. والى ذلك نُصبت للمتأخرين في التسجيل خيمة ضخمة أتاحت لهم عرض منتجاتهم. ونظراً الى النجاح الكبير الذي حققه هذا المعرض تقرر في العام ١٩٥٠ تكريسه حدثاً سنوياً.

**مدينة داخل مدينة.** سرعان ما ترسّخ المعرض كأهم منبر دولي للمستجدات الصناعية. وفي الستينات أدت الفورة المفاجئة والسريعة في علم الالكترونيات الى ازدهار سريع للآلات المكتبية والمكننة، مما استدعى إقامة معرض خاص داخل المعرض دعي "سيبيت" (٢). حتى القاعة الخاصة التي شيّدت في العام ١٩٧٠ لم تتسع لجميع المعروضات التي أفرزها "الانفجار الكبير" في صناعة الرقائق الالكترونية. ومنذ ثلاث سنوات بات معرض الادمغة الالكترونية يقام في شهر مارس (آذار).

وأدت شهرة العروض وحسن ادارتها الى اجتذاب أعمال ونشاطات أخرى. وقد باتت هانوفر مسرحاً لأكثر من ٣٠ حدثاً في السنة: من "معرض ربات البيوت" الذي يؤمه نحو ٣٥٠ ألف زائر الى عروض خاصة لاذاعات الهواة وفنون السياحة والتسلية والنجارة ووسائل التعليم.

كان لهذا الازدهار الاقتصادي تأثير كبير في المدينة وسكّانها البالغ عددهم ٥٠٥ آلاف. فخلال مدّة المعرض تهبط في مطار هانوفر ٩٠٠ طائرة خاصة. وتتولى الطوافات نقل زوار كثيرين الى أرض المعرض، ومع ذلك تزدحم القطارات وعربات السكك الكهربائية بالركاب، وتكتظ جميع الطرق بما فيها الطرق السبع العريضة التي لا حدّ لسرعة السيارات فيها، والشوارع الفرعية التسعة والخمسون ومعظم الطرق الداخلية. وتمتلىء مواقف السيارات الخمسون ألفاً المحيطة بالمعرض في فترة ما قبل الظهر. وتؤمَّن إقامة نصف مليون زائر في الفنادق التي تتسع لـ٨٥ ألف سرير وفي منازل خاصة تستقبل ١٠٠ ألف زائر، في مساحة يبلغ شعاعها ١٠٠ كيلومتر.

وقد بات المعرض اليوم مدينة داخل مدينة. وله أن يفاخر بمحطة خاصة للسكك الحديد وبشبكة مياه ومكتب بريد ومهبط للطوافات ومستشفى خاص وسينما مفتوحة في الهواء الطلق (٣) ومكتب لبيع تذاكر المسارح ومطبعة ومحطة إذاعية. والى ذلك يؤمن المعرض

(٢) CeBIT

(٣) Drive-in movie

للمعاقين سيارات مع سائقيها مجاناً. وهناك "حافلات" خاصة تنقل الزوار المتعبين من قاعة الى أخرى.

**لا شيء أزلياً!** الى منتجات دور الازياء الشهيرة مثل "بوربري" و"كريستيان ديور"، تباع في المعرض ألعاب وحلى وسكاكين صيد ومستحضرات تجميل وكتب وأدوات مكتبية. وفيه أيضاً مزيّنون ومحلات لتنظيف الثياب ومكاتب تؤمن خدمات مكتبية كاملة، وثلاثة وأربعون مطعماً تقدم أصنافاً عالمية مختلفة. ومن يرغب في تناول الطعام في الهواء الطلق يمكنه أن يشتري ما يحلو له من الافران والمخابز. وهناك أيضاً محلات تؤمن خدمة خارجية وموائد للاستقبالات التي تقيمها الشركات ووجبات للموظفين الذين يلازمون واجهات العرض.

ولقد أوليت الناحية الجمالية أخيراً اهتماماً خاصاً إذ كُشف المحور الشمالي – الجنوبي وأُبرز بالحدائق والمروج ونوافير المياه، وأقيم في وسطه مركز للاستعلامات دائري الشكل شيد بالفولاذ والزجاج. ووُصلت صالتا العرض القديمتان بصفّ من الاعمدة الشاهقة. وسيشمل هذا التعديل الصالات الاخرى في وقت لاحق. أما الخريطة الرئيسية فوضعها ستيب هاكمان وهو عضو من ثلاثة في المجلس التنفيذي للمعرض، ويؤمن بضرورة توفير أجواء لطيفة ومبهجة.

ورداً على سؤالي: "ما هو شعورك وأنت ترى أعمالك تفكك بعد أسبوع واحد؟" أجاب لودفيك ريز وهو مهندس معماري من ميونيخ تخصص طوال أربعة عقود



الادمغة الالكترونية الشخصية تستقطب اهتمام معظم الزوار.

بتصميم الاكشاك والمنصات لعرض السلع: "أشعر بمزيج من الاسف والتطلع الى المستقبل، إذ يمكنني في السنة التالية أن أدخل بعض التحسينات. وادراك المرء أنه لا يبني شيئاً أزلياً يجعله أكثر استعداداً للمخاطرة ولاختبار أفكار ومواد جديدة."

**معرض أم مهرجان؟** ان ضخامة معظم المعارض غالباً ما تذهل الزبائن وتحيّرهم. في العام ١٩٨٧، مثلاً، احتوى معرض "سيبيت" على أكثر من ٣٠٠ نوع من الادمغة الالكترونية للاستعمال الشخصي. لذلك أنشىء في هانوفر مركز جديد للاستعلامات. وعندما يستعلم الزبون عن دماغ الكتروني ما، يُسأل أولا عن نوع حاجاته: هل يبغي استخدام الحاسبة في البيت أم في عيادة لطب الاسنان أم في مكتب محاماة أم في مدرسة أم في مرأب للسيارات؟ هل يحتاجها لمسك دفاتر الحسابات في شركة أم لملفات الزبائن أم لسجلات

ضريبة الدخل الخاصة به أم لكل هذه الاغراض مجتمعة؟ ولا تظهر على شاشة المرقاب أسماء الشركات التي تنتج ما يناسب الزبون من ماكينات وأجهزة وبرامج الكترونية إلا بعد أن تكتمل إجاباته.

يبدو للوهلة الأولى أن الثورة العصرية في صناعة الادمغة الالكترونية تهدد المعارض التجارية العملاقة بالزوال، إذ ان في وسع مدير شركة منشغل أن يستحضر أكداساً من المعلومات والعروض التنافسية بواسطة لوحة الأزرار والمفاتيح في مكتبه. إلا أن هذه البيانات لا تضاهي التأثير الذي يحدثه الاتصال المباشر بمصادر المعلومات، أو تبادل المعلومات الخلّاق الذي يرافق الاتصال. وفي هذا الصدد يقول وزير الاقتصاد مارتن بنجمن: "إن المعرض هو بمثابة تجربة تعليمية يفيد منها المرء ويتعلم. فالاتصال الشخصي، والتعرّف على السوق، وفرص استبانة الاتجاه الذي ستنحوه الازياء، هي اعتبارات حيوية بالنسبة الى كل شركة مهما يكن انتاجها."

ويقول هوبرت هـ. لانج وهو عضو آخر في المجلس التنفيذي: "بالنسبة الى شخص عادي يسعى الى معلومات حول آخر التطورات، المعرض هو بمثابة درس مكثف. كما أنه يتيح نوعاً من الاثارة كتلك التي نجدها في المهرجانات: هرج الجموع، والشعور بالبحبوحة والوفرة، والفرح باكتشاف غير متوقع."

ان معرض هانوفر يستأهل ثمن تذكرة دخوله، مع شطيرة سمك أو من دونها."

**ديفيد غالوي** ■



## شجرة متعددة الفوائد

قليلة هي النباتات التي تجمع صفات نافعة كتلك المتوافرة في شجرة "النيم"، من فصيلة الإزادَرَخْتيّات. فاصلها من جنوب شرق آسيا، وتوجد بكثرة في غرب افريقيا وامريكا اللاتينية.

تزدهر هذه الشجرة في التربة الفقيرة وهي كفيلة باخصاب ذاتها. فجذورها تمتص الاملاح المغذية وتخزنها في الاوراق. وعندما تتساقط الاوراق، تعود هذه المواد الحيوية الى الارض في شكل مركز. وبهذه الطريقة تُخصّب الاراضي غير المنتجة حتى تغدو صالحة للزراعة في غضون سنين قليلة.

الى ذلك، تحتوي نواة بزور شجرة "النيم" مادة تعوق نمو الطفيليات. وبما انها غير سامّة وبالتالي غير مؤذية للبشر، فهي ذات قيمة كبيرة للبلدان النامية، كمصدر لمبيدات الحشرات التي تهاجم النباتات.

اذا خُمِّرت ثمرة شجرة "النيم" تعطي غاز الميتان وكاربوهيدرات. وزيت بزورها صالح للتدفئة ولإشعال القناديل. وهو يمنع ايضاً الالتهاب ويُستعمل كمادة مضافة الى مستحضرات التجميل. وللحاء الشجرة ايضا مفعول مضاد للالتهاب، وقد حصلت احدى الشركات الالمانية الغربية على براءة ترخص لها صنع معجون اسنان يتضمن عصارة اللحاء.

د.هـ.

# دائرة المعارف

يتضمن معظم الاسماء العربية معاني الجمال والقوة والحكمة وسوى ذلك من الصفات المستحسنة. هنا أسماء أعلام مذكرة ومؤنثة. وقد وضع أمام كل اسم أربعة معانٍ واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره وافياً ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. صُباح: جميل – أول النهار – قهوة – ماء رقراق.

٢. شادية: عَطِرة – نائحة – ذات دلال – مغنية.

٣. نسرين: شوك – زهر أبيض – وبر – أنثى النسر.

٤. عمّار: غضوب – أسد – قوي الايمان – ابن مدينة.

٥. نادر: قليل الوجود – واعد – ريّان – راوي نوادر.

٦. فؤاد: كبد – قلب – ابن حبيب – نتوء في جبل.

٧. غَيْداء: خجول – لينة الاعطاف – كريمة – مبكرة.

٨. ماجدة: ابنة وحيدة – ذات مجد – نافعة – مادحة.

٩. بليغ: فصيح – عميق – مشبع – سريع التأثر.

١٠. جسّار: قصّاب – رحّالة – شديد الجرأة – مصلح.

١١. راغدة: باسمة – ذات عيش طيب – حسناء – لعوب.

١٢. فيروز: حجر كريم – سائل أحمر – زهرة – من الطيور.

١٣. وليد: مولود – شريف – فكاهي – كثير الاولاد.

١٤. سهيل: الشمس – القمر – الارض – نجم بهي.

١٥. أروى: رطبة – إناث الوعول – هانئة – متحدثة لبقة.

١٦. إلهام: لهفة – عشق جارف – إيحاء – جمال.

١٧. نَزْهة: عفيفة – حبيبة – واسعة العينين – بعيدة.

١٨. سمير: صديق – محب للّهو – ثابت – محدّث ليلي.

١٩. جَنى: عمر – عقل – ما يجنى من ثمر – قسوة.

٢٠. هِيام: نبال – همٌّ طاغٍ – حب – دم القلب.

٢١. علياء: جبروت – جبين – خيلاء – مكان مشرف.

٢٢. صيّاح: ديك – كثير الصياح – وافر الصحة – ناي.

٢٣. رشيد: ذو رشد – عجوز – حاكم – قاضي صُلح.

٢٤. سامية: عادلة – حالمة – عالية – واضحة تعابير الوجه.

٢٥. نرجس: صنوبر – ورد أحمر – ورق الخريف – من الرياحين.

# الأجوبة الصحيحة

١. صَباح: جميل. والصَباح أيضاً شعلة القنديل.
٢. شادية: مغنية ومرنمة. شدا الرجل: تغنّى وترنم.
٣. نسرين: زهر أبيض عطري قوي الرائحة.
٤. عَمَّار: قوي الايمان، طيّب الثناء، حليم وقور في كلامه. والعمّار أيضاً القائم بالامر والنهي الى أن يموت.
٥. نادر: قليل الوجود. أيضاً: ما شذ وخالف القياس.
٦. فؤاد: قلب. جمعها أفئدة.
٧. غيداء: لينة الأعطاف. جمعها غِيْد. غادة: امرأة لينة بيّنة النعومة.
٨. ماجدة: ذات مجد. أيضاً: حسنة الخُلُق. أشياء ماجدة: كثيرة.
٩. بليغ: فصيح.
١٠. جسّار: شديد الجرأة والجسارة. جاسر: شجاع، مقدام.
١١. راغدة: ذات عيش رَغَد أي طيّب.
١٢. فيروز: حجر كريم.
١٣. وليد: مولود، صبي، عبد. أم الوليد: كنية الدجاجة.
١٤. سُهيل: نجم بهيّ طلوعه على بلاد العرب في أواخر القيظ.
١٥. أرْوى: إناث الوعول. الأُرْويّة: أنثى الوِعول، جمعها أَراويّ إذا أردَت القلة وأَروى اذا أردت الكثرة.
١٦. إلهام: ايحاء.
١٧. نَزْهة: عفيفة متباعدة عن المكروه. نُزهة: تنزّه.
١٨. سمير: محدّث ليلي. السامِر: مجلس المتسامرين.
١٩. جَنى: ما يجنى من ثمر.
٢٠. هِيام: حب. هام على وجهه هياماً: ذهب لا يدري أين يتوجه. الهُيام: الجنون من العشق.
٢١. علياء: مكان مُشْرف. والعلياء أيضاً: السماء.
٢٢. صيّاح: كثير الصياح.
٢٣. رشيد: ذو رشد، هادٍ، مهتدٍ. الرشد: الاستقامة على طريق الحق، ضد الغيّ.
٢٤. سامية: عالية مرتفعة. يقال: نفسه تسمو الى معالي الامور.
٢٥. نرجس: نبت من الرياحين له زهر مستدير أبيض أو أصفر تشبّه به العيون.

**المستوى**

**٢١ - ٢٥: ممتاز**
**١٤ - ٢٠: جيد جدا**
**٩ - ١٣: مقبول**

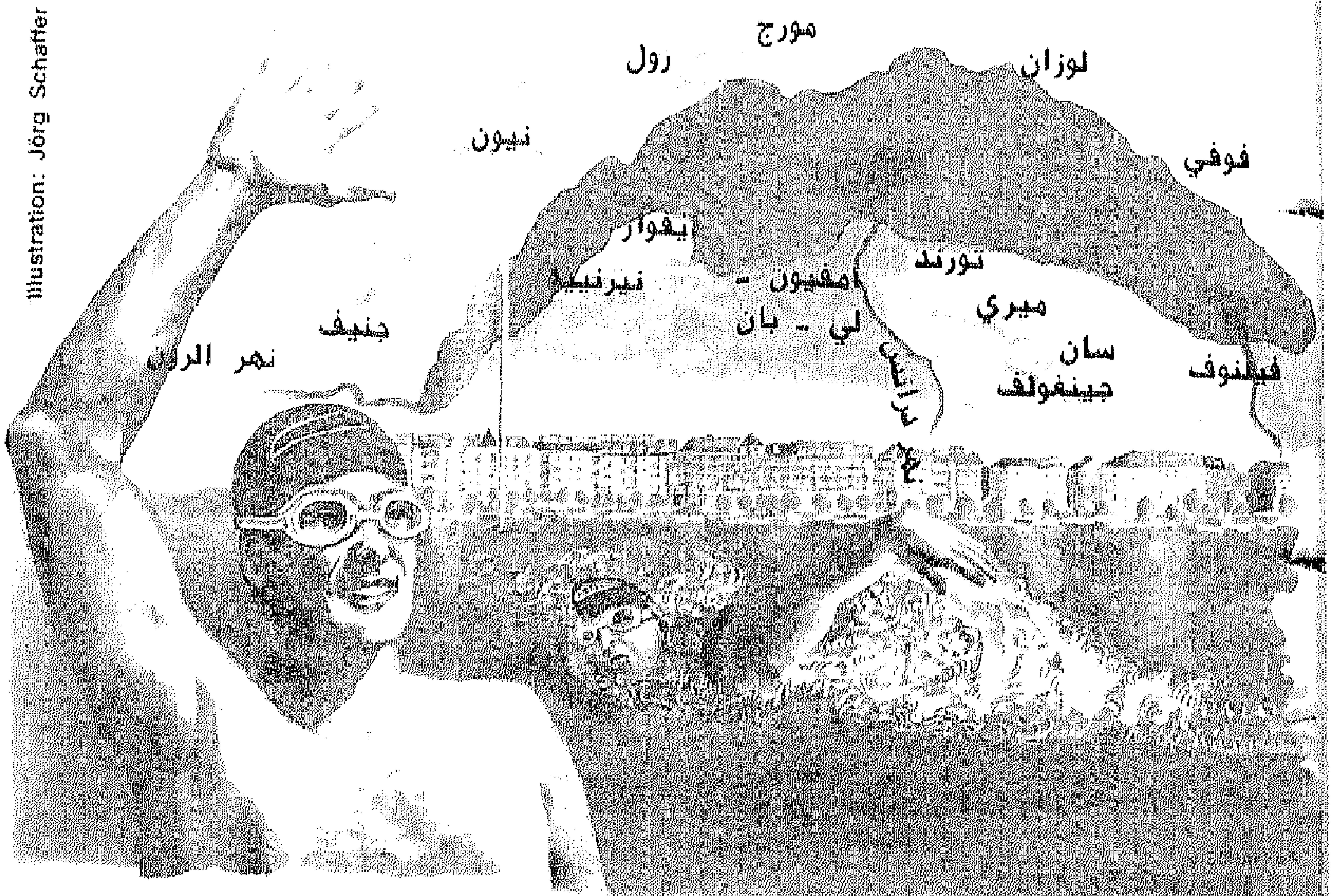
**حين كان صبياً عاهد نفسه على اجتياز بحيرة جنيف سباحة وبعد ٢٢ سنة انطلق في محاولة لتحقيق حلمه**

# سبّاح عنيد في بحَيرة جنيف

دوّت صيحة ابتهاج في الثالثة من بعد ظهر ٥ أغسطس (آب) ١٩٨٦ في مدينة فيلنوف، وقفز سويسري من فود في الرابعة والثلاثين من عمره عن الضفة الشرقية لبحيرة جنيف الى الماء الذي بلغت حرارته ٢٢ درجة مئوية، بادئاً حدثاً رياضياً مثيراً. لقد أراد ألان شارمي أن يكون أول من يقطع سباحة أكبر بحيرة جبلية في أوروبا.

ويبلغ طول بحيرة جنيف ٧٢ كيلومتراً، أي أكثر من ضعفي المسافة التي يقطعها السابحون بين ضفتي بحر المانش (القناة الانكليزية).

تلمع قبعة شارمي في نور الشمس فيما هو يضرب بساعديه وقدميه ضربات ايقاعية قوية مرنة مبتعداً عن المشاهدين الواقفين في المتنزه على



ضفة البحيرة. وكان شارمي يرتدي سروال سباحة قصيراً ونظارتين واقيتين وساعة يد وسدادتين للأذنين، وجسمه مطلي بطبقة كثيفة من الشحم المحتوي على ٨٥ في المئة من هلام النفط(١) و١٥ في المئة من الـ"لانولين" لاتقاء البرد. كان شارمي معلم رياضة في معهد للتجارة في جنيف. وقد اشترك في الالعاب الاولمبية عام ١٩٧٣، وفاز في ٧٠ مباراة في بطولة سويسرا في السباحة الحرة، وحاز ميداليات كثيرة في سباقات الكرول(٢) والفراشة.

لكنه الآن يواجه متحدياً واحداً: ذاته.

بدأ ألان شارمي مغامرته حين كان لايزال في الثانية عشرة من عمره يجذف في قارب مع صديق له، وقطعا بحيرة جنيف من نيون الى نيرنييه. ثم سبح ألان راجعاً قاطعاً المسافة في ساعتين وثلاثة أرباع ساعة. وبلغ من فرحه بانجازه هذا أن توبيخ عمته وشدها أذنيه لم ينتقصا مطلقاً من نشوة الانتصار التي غمرته. ويتذكر: "في ذلك المساء عاهدت نفسي على أن أسبح البحيرة طولاً ذات يوم، ويكون صديقي جان- بيار دوبيه مرافقي ثانية في القارب".

نشأ ألان ولداً وحيداً في كنف أمه وعمته وجدته. ولم يعلمه أحد السباحة. وهو يقول: "كنت ألعب في الماء ذات يوم وأنا في الخامسة من عمري، فوجدت نفسي فجأة في مياه عميقة لا تبلغ قدماي قرارها. وبدأت أسبح. ومنذ ذلك الحين وأنا أعشق الماء وأشعر مثل سمكة".

جرت محاولات كثيرة لقطع طول بحيرة جنيف سباحة، وأهمها عام ١٩٧١ قام بها بنجامين موريه الذي أجبرته رداءة الطقس على التوقف بالقرب من إيفوار بعدما سبح لمدة ٢٣ ساعة وقطع مسافة ٥٠ كيلومتراً. وكان من المقرر أن ينفذ ألان مغامرته في الفترة ما بين ٢٨ يوليو (تموز) و١٤ أغسطس (آب)، إلا أن الرياح الغربية الجنوبية التي عصفت في الاسبوع الاول من الفترة المحددة أثارت أمواجاً عاتية مضادة للوجهة التي اعتزم اتباعها في سباحته. ولكن في ٥ أغسطس (آب) تغير اتجاه الريح فتحسنت الاحوال الجوية.

**شاي وموزتان وشطائر.** توصل شارمي تدريجاً الى إيقاعه الأمثل في السباحة، فأخذ يقطع ١٠٠ متر في كل ٥٠ ثانية مركزاً تفكيره على مغامرته وباذلاً أقصى جهده لأنجاحها. لكنه لم يستطع ضبط أفكاره أحياناً من التحول الى قائمة المشتريات التي يحتاج اليها، لكونه هاوي طبخ متحمساً.

في محاذاة شارمي قارب تجذيف، وأحد المجذفين فيه صديق طفولته جان – بيار وحوله أسطول صغير يضم أربعة مراكب مواكبة تحمل بحارة من جمعية الانقاذ في نيون. وكان مدرب شارمي أنطوني أولريك يراقبه بعين يقظة أبداً كالوالد الذي يرعى ولده وبين الاشخاص الثلاثة والعشرين الذين يرافقونه كريستين فويوميه الشابة الاختصاصية بالتغذية

---

(١) Petroleum Jelly

(٢) الكرول (crawl) سباحة سريعة يكون فيهما الرأس مخفوضاً في الماء.

وقد هيأت له أربعة أنواع مختلفة من الشاي. وخلال توقفه برهة وجيزة كل ٤٥ دقيقة كان يشرب الشاي من قارورة بلاستيكية من دون أن يلمس الزورق. وخصصت له موزتان وأربع شطائر مؤونة للمسافة كلها.

وعلى متن المركب في الطليعة الطبيب يوين كاميرون من المدرسة الاتحادية السويسرية للجمباز والرياضة في ماغلنغن، ودانيل هيرين وهو طالب طب، ومعهما صندوق مواد طبية وقارورة أوكسيجين وكمامة ومرسمة كهربائية للقلب(٣) للاستخدام في الحالات الطارئة.

قبل التجربة النهائية في ٢١ يونيو (حزيران) في بركة سباحة في نيون، أصيب شارمي بالتهاب مؤلم في كتفه. أما الآن فليس مسموحاً لاي شيء أن يثبط عزيمته او يحدّ من تفاؤله. لذلك لم ينبس أحد بكلمة حين أصيبت كريستين فويومييه بدوار البحر مما اقتضى معالجتها في الزورق.

في السادسة مساء قبالة سان جينغولف بدأ شارمي يحس بالريح التي كانت الجبال تحميه منها حتى ذلك الوقت. ها هي أشعة الشمس الذهبية تغمر الكروم المترامية على ضفاف البحيرة.

ويتابع شارمي تقدمه غير آبه بالمسافة التي تفصله عن هدفه. في العاشرة ليلاً كان قطع ٣٠ كيلومتراً، فشعر بألم حارق في كتفيه. قال في نفسه: علي أن أتناسى الألم. لكنه ما لبث أن بلغ أقصى قدرته على الاحتمال. ومنذ تلك الفترة بات بعد كل ثلاث استراحات أو أربع يُعطى في شرابه جرعات صغيرة من أدوية مسكّنة للالم ومضادة للالتهاب. وفي العاشرة والنصف تملكه فجأة خوف غامض شبيه برهبة المسرح التي تنتاب الممثلين، وأخذ يردد في فكره: لن أنجح. علي أن أتوقف؟! لكنه ما لبث أن تمالك نفسه وعاد الى ذاته، الرجل الرجل.

**برد وألم.** كرّس ألان شارمي سنة كاملة للتحضير لهذا التحدي. فكان يقضي ثماني ساعات في التدرب يومياً، ويسبح بين ٥٠ و٨٠ كيلومتراً كل أسبوع. وباتباع توجيهات كريستين فيوميه زاد وزنه ١٠ كيلوغرامات من الدهن العازل من طريق تناوله خمس وجبات أو ست يومياً. وفي حسابات عالم اختصاصي بالفيزيولوجيا (٤) تبلغ حاجة شارمي من الطاقة في مغامرته ١٨ ألف وحدة حرارية، تؤمن له سدسها الاغذية التي يتناولها أثناء السباحة، ويؤمن البقية أيض(٥) الدهن الذي يختزنه جسمه.

ونظراً الى حركة الملاحة في البحيرة اقتضى الحصول على أذونات بالرحلة من سلطات كانتوني جنيف وفود، ومن الشرطة الفرنسية. والى ذلك اقتضى تخطيط طريق السباحة تمشياً مع مقتضيات تيارات البحيرة. فكان على شارمي أن ينحرف مرتين عن الخط المستقيم بين فيلنوف وجنيف: قبالة ميري عليه أن يسبح في محاذاة الجانب الفرنسي من ضفة البحيرة بعض المسافة

---

(٣) Electrocardiograph «EKG»
(٤) الفيزيولوجيا علم وظائف الاعضاء.
(٥) Metabolism

فيصل في أبعد نقطة من الخط المستقيم الى أمفيون – لي – بان، وبعد إيفوار يعود فيقترب منه ثانية. وبذلك يتفادى دفع المياه المضاد الذي يسببه مصبّ نهر درانس في البحيرة، مما يطيل مسافة السباحة من ٧٢ كيلومتراً الى ٨٠.

مضى السبّاح المنفرد يصارع الموج في ليل داج غابت نجومه وهو يرتجف من البرد والألم يحزّ في كتفه. وثابر على سباحة الكرول طوال الطريق توخياً للسرعة. وكان تشجيع مرافقيه من الاصدقاء يمدّه بالقوة التي هو في أمس الحاجة اليها، خصوصاً بعد منتصف الليل حين تشتد الريح الشمالية فتضرب الامواج وترفعها ٥٠ سنتميتراً. ومن حسن الحظ أن غاب عنه أن شرطة البحيرة أوعزت بوقف المغامرة بسبب زيادة مرتقبة في قوة الريح. لكن أحد مديري الدفّة في الزوارق المرافقة وهو صياد سمك يعرف البحيرة جيداً، أقنع الفريق بأن الريح ستعود الى الهدوء. ولم يطل الامر حتى تأكدت صحة توقعاته.

لكن المرحلة الاشد صعوبة في معاناة شارمي دامت من منتصف الليل الى السادسة صباحاً حين كان في منطقة مصب نهر درانس الذي ينبع من أعالي جبال سافوا وتتدفق مياهه الباردة في لجة البحيرة المضطربة الهائجة أبداً، فتتدنى الحرارة الى ١٩ درجة مئوية. ولكي يتفادى الاصابة بهبوط في حرارته يهدد حياته أخذ يسرّع ايقاع ضرباته في الماء ويقصّر لحظات التوقف للاستراحة، ويفكر في أمه التي لن يطول الوقت حتى يحين موعد ذهابها الى عملها في المصنع. لكنها ستكون بانتظاره في جنيف.

انتصار مجيد. عند الفجر أصبحت البحيرة أكثر هدوءاً وعاد شارمي قادراً على الرؤية بوضوح. ففكر: كمْ هو جميل أن أعرف الوجوه حولي فلا أشعر بأنني وحيد. ولما أطلّ على مدينة نيون حيث مسكنه هبت ريح خلفية أعارته أجنحة لقطع المرحلة الاخيرة. وفي التاسعة صباحاً تراءت له نافورة باكي في جنيف. واذا بزوارق عدة تنضم الواحد بعد الآخر الى الاسطول الصغير الذي يواكب السبّاح. وعلى بعد خمسة كيلومترات من الشاطىء انضم الى المواكبين سبّاحون من نادي جنيف للسباحة ونادي سباحي نيون.

اغرورقت عينا شارمي بدموع الفرح وهو يقطع الامتار الخمسين الاخيرة من رحلته منفرداً. ورأى الحصى في قعر الماء على ضفة البحيرة، فلمسها بحنان وانتصب واقفاً على قدميه. قال البطل في نفسه مزهواً: لقد نجحت! كانت الساعة ١:٤٢ بعد الظهر وقد قطع المسافة في ثلاث ساعات أقل مما حدّد لها. واحتشد الناس على شاطىء البحيرة يهتفون: "ألان، ألان!" أما البطل الذي كان أول من قطع بحيرة جنيف سباحة بطولها في ٤٢ ساعة و٤٢،٥ دقيقة فتقدم الى الارض الجافة، يسنده طبيبان. وظهر جلياً أنه كان بالغ التأثر.

بدا جلد شارمي رماديا من خلال طلاء الشحم الذي يلتصق بالجلد الى حد يوجب كشطه بحد سكين. ولكن أظهر الفحص الطبي أن كل شيء على ما يرام. وقال

الطبيب الفاحص: "بدا ألان كأنه انتهى من لعب ثلاث دورات في كرة المضرب."
كان في حاجة الى حمام ساخن أكثر من حاجته الى أي شيء آخر.
الايام الثلاثة التي أعقبت مغامرته البطولية التي أنالته المجد لم تكن مجيدة في ما خصّ صحته. كان كل عضل فيه يتشنّج، وكان التنفس يؤلمه، وقد اخفقت كل محاولة منه للجلوس في وضع مريح. وبدا كأن انتصاره جر عليه كل تلك المصائب الجسدية، لكنه كان انتصاراً مجيداً تهون في سبيله كلّ التضحيات.
يقول شارمي: "لقد أثبتّ لنفسي ما يستطاع تحقيقه بقوة الارادة. وبات تغلبي على المشاكل والصعوبات اليومية التي تواجهني أكثر سهولة نسبياً. واكتشفت أثناء التخطيط لمشروعي وتنفيذه مدى الحاجة الى الصداقة الغالية التي لا غنى لنا عنها. فلولا تعاطف أصدقائي ومساعدتهم وتضحيتهم لما تم لي تحقيق حلم طفولتي."
ما زال ألان شارمي الشخص الوحيد الذي سبح بحيرة جنيف طولاً. وبعد أسبوعين من مأثرته البطولية قامت امرأة في التاسعة والثلاثين من عمرها بالمحاولة ذاتها، فأخفقت اذ اضطرت الى الانسحاب بعدما قطعت ٣٢ كيلومتراً.

**هدفيك شافر ■**



## زوج خالي الوفاض

ذهبت أنا وزوجي وأولادنا الستة في رحلة تخييم. وكنت أنا أقود سيارتي وفيها عدة التخييم، وزوجي يتبعني في سيارة الستايشن ومعه الاولاد. ولدى وصولنا الى مدخل المخيم تذكرت أنني أحمل المال في حقيبة يدي وأن زوجي خالي الوفاض.
أوقفت سيارتي أمام كشك دفع الرسوم ودفعت ثمن بطاقتي دخول وأنا أشرح للمرأة المسؤولة هناك: "انني ادفع عن السيارة خلفي، ففيها زوجي ومعه كل أولئك الاولاد وليس معه فلس واحد."
فردت من دون أن تبتسم: "جيدا! أبقيه هكذا."

ك.إ.

---

## اتصالات خارجية

عندما جاءتنا فاتورة الاتصالات الهاتفية الخارجية وجدنا أن ابنتنا تحدثت مدة ساعة كاملة مع احدى صديقاتها في الخارج. فنهرها والدها: "من الآن فصاعداً تحدد مكالماتك الهاتفية بخمس دقائق."
فاشتكت: "بابا، ماذا عساي أقول في خمس دقائق؟"
فأجاب: "قولي للمتحدث أن يعاود الاتصال بك."

إ.ك.

# المحطة والقطار

ثمة رؤيا شاعرية مكبوتة في لاوعينا. نرى أنفسنا في رحلة طويلة بالقطار. ومن خلال النوافذ نحدّق الى المشهد العابر: سيارات تجتاز الطرق القريبة، أطفال يلوّحون لنا من فناء دار، قطعان ماشية ترعى في سفح تلة، دخان منبعث من معمل لتوليد الطاقة، صفوف متتالية من أسل الذرة وسنابل القمح، جبال، أودية، أطياف مباني المدينة تنساب على خلفية الافق.

لكن أسمى ما في ذهننا هو مقصدنا. في يوم ما وساعة ما سنصل الى المحطة. حينئذ تغدو أحلامنا العجيبة حقيقة، وتتلاءم قِطَعٌ من حيواتنا على غرار أحجية الصور المقطعة. وكم ينتابنا الهم ونحن نذرع المماشي بين القُطُر، لاعنين الدقائق المُهْدَرَة، ومنتظرين... منتظرين.

نقول لانفسنا: "عندما أصل الى المحطة ينتهي الامر." أو "عندما أبلغ الثامنة عشرة..." أو "عندما أشتري سيارة مرسيدس..." أو "عندما أدخل آخر أبنائي الجامعة..." أو "عندما أفي آخر قرش وأفكّ الرهن..." أو "عندما أحصل على تلك الترقية الكبيرة..." أو "عندما أتقاعد، لسوف أعيش بسعادة الى آخر الدهر!"

عاجلاً أو آجلاً نتيقن أن لا محطة ولا وصول لا الآن ولا غداً. ففرح الحياة الحقيقي هو الرحلة. أما المحطة فحلم يسبقنا باستمرار.

"استمتعْ باللحظة!" هذا شعار جيد. لذا كُفَّ عن ذرع المماشي وعدّ خطواتك. وعوضاً عن ذلك تسلّق الجبال، وكُلْ ما طاب لك من المثلجات، وامشِ حافي القدمين، واسبحْ في الانهار، وراقبْ غروب الشمس، واضحكْ أكثر.

أحِبَّ الحياة وأنت تحياها.

روبرت هاستينغز ■

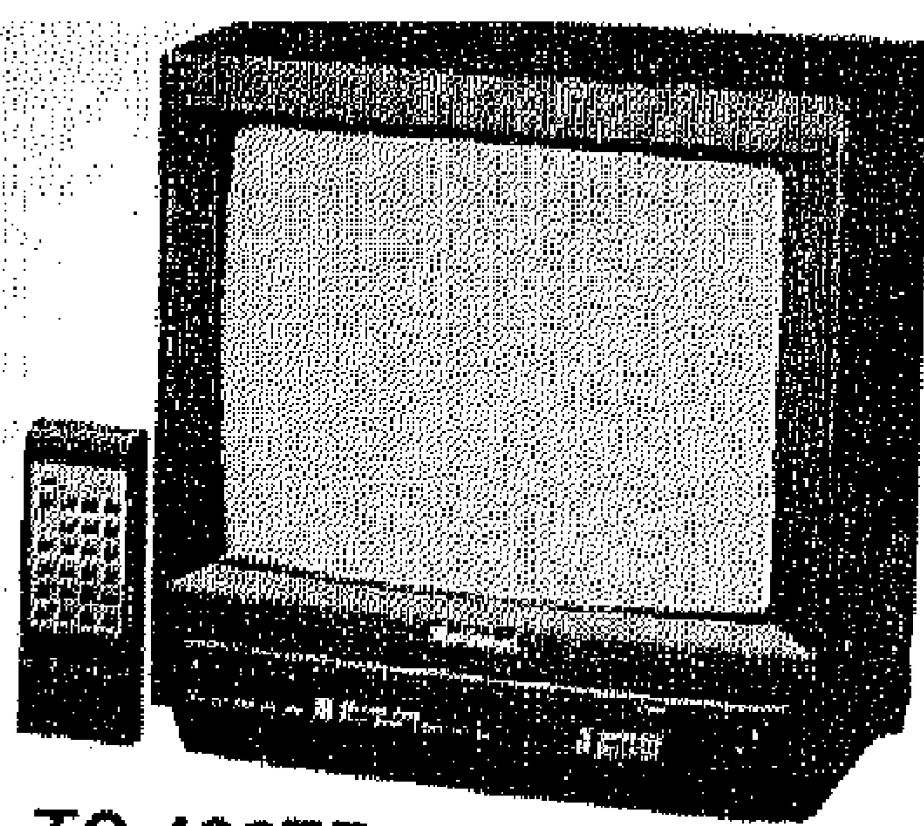
Condensed from «The Station,» from the book «A Penny's Worth of Minced Ham,» by Robert Hastings, copyright © 1986 by The Board of Trustees, Southern Illinois University, published by Southern Illinois University Press

# واحة السلام



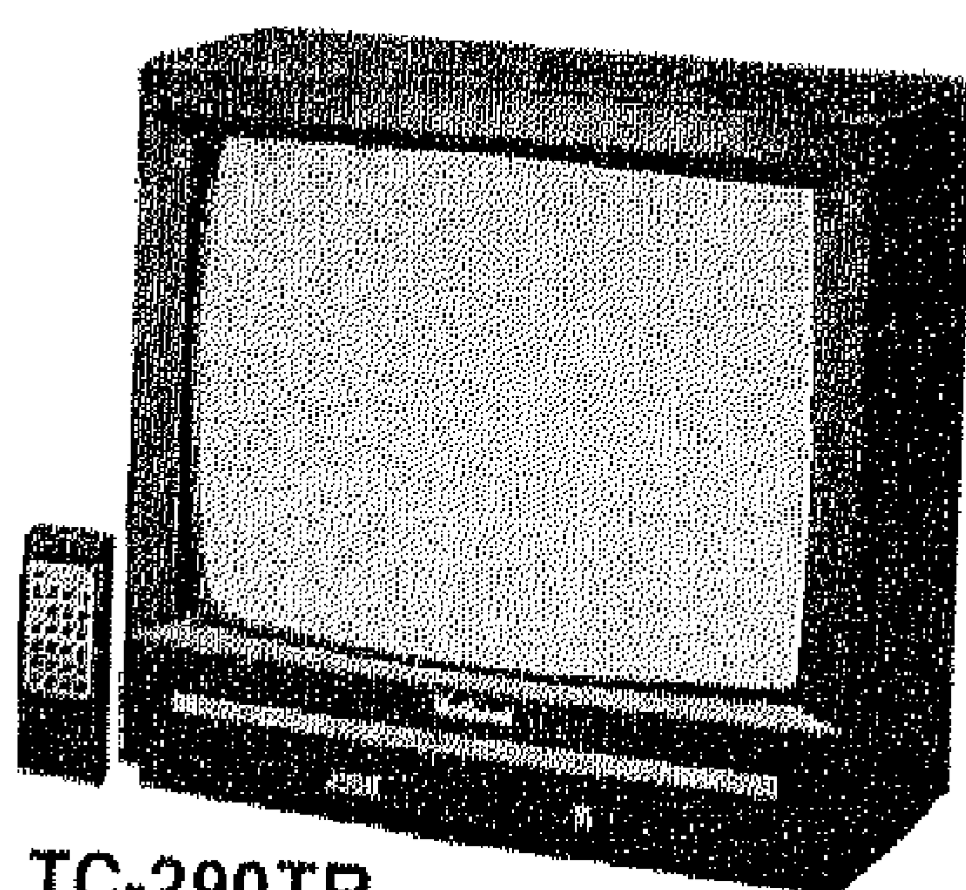
## الحياة والعمل في السعودية
## ودول الخليج العربي

[illegible] ١٩ - العدد ١٢٦



TC-488TR

تلفزيون ملوّن طراز ١٤ (٣٦ سم) ذو ثلاثة انظمة وجهاز تحكّم عن بعد بـ٢٤ مفتاحاً.



TC-290TR

تلفزيون ملون طراز ٢٠ (٥١ سم) ذو ثلاثة انظمة وجهاز تحكم عن بعد بـ٢٤ مفتاحاً.

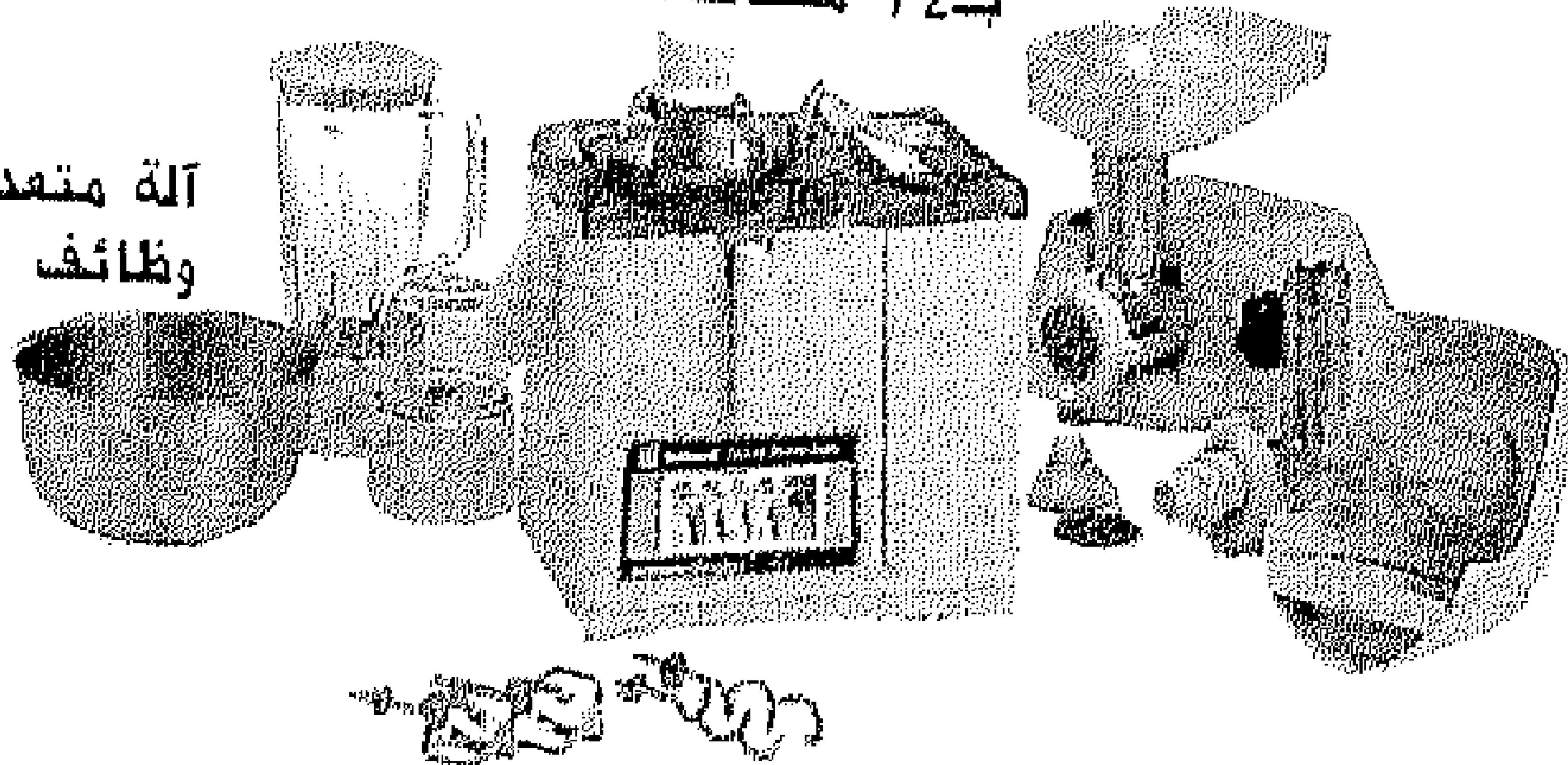


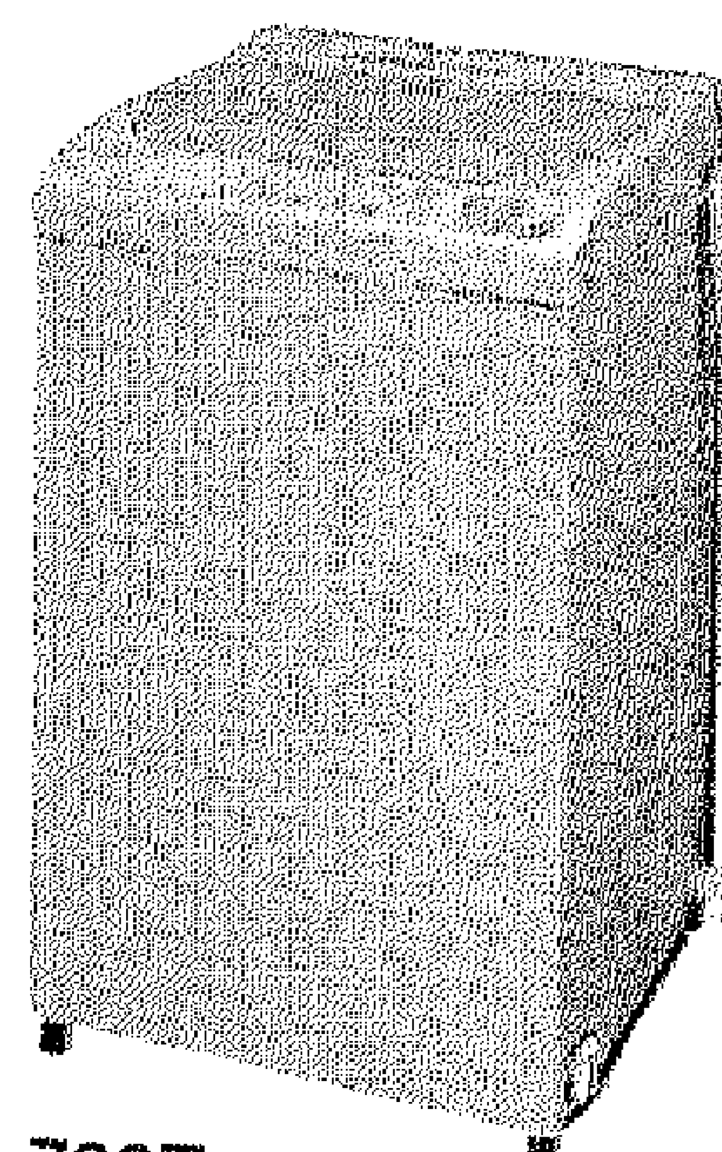
TC-888TR

تلفزيون ملوّن طراز ١٨ (٤٦ سم) ذو ثلاثة انظمة وجهاز تحكم عن بعد بـ٢٤ مفتاحاً.

MK-8700N

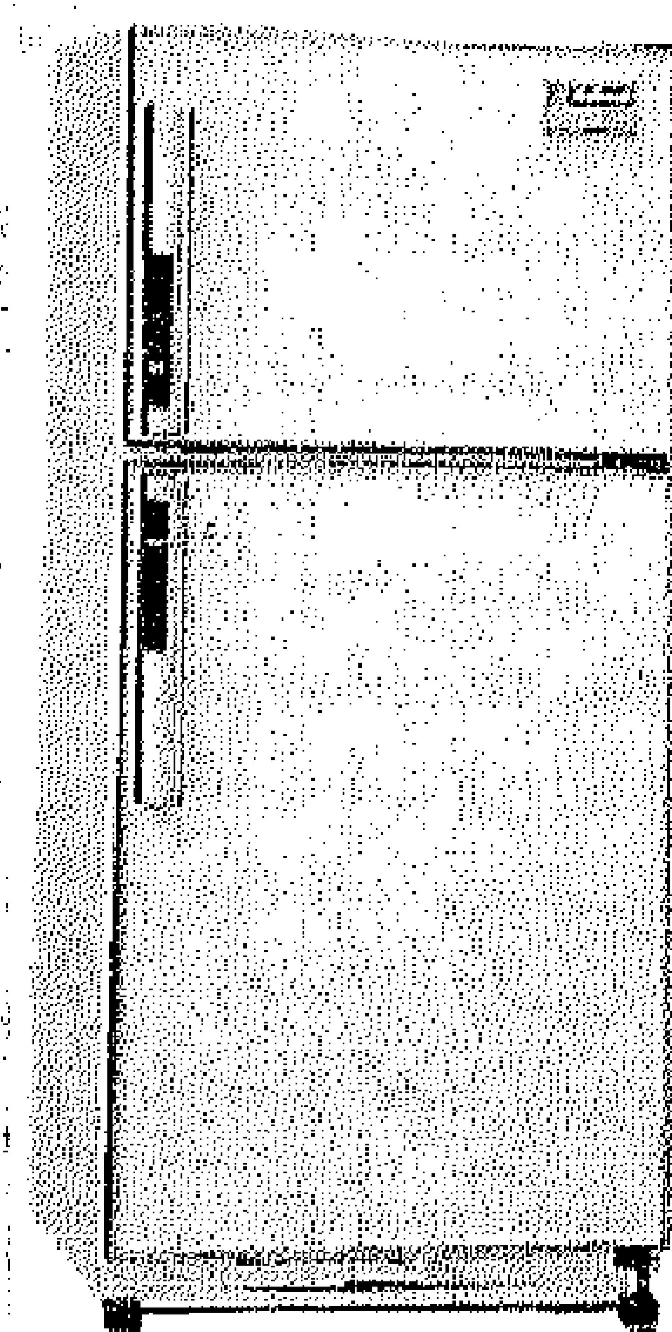
آلة متعددة الاستعمالات بـ١٠ وظائف مع ضابط بسرعتين.





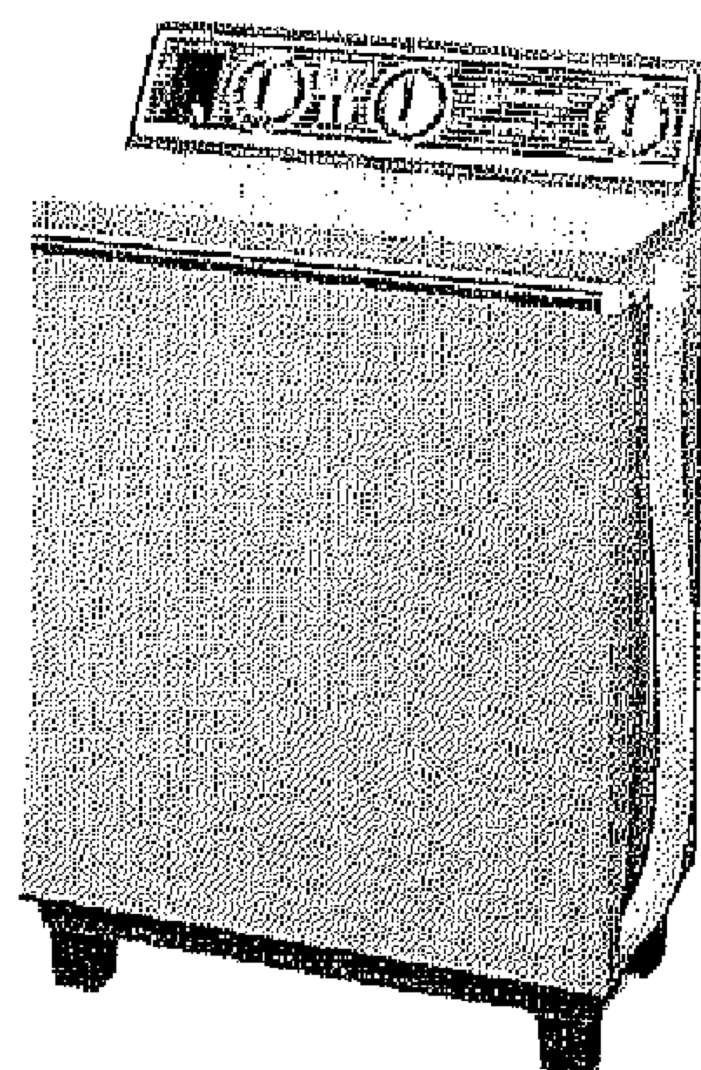
NA-733T

غسالة اوتوماتيكية بالكامل ذات سعة كبيرة و"ضوضاء منخفضة" مع منتخب لدورة الغسيل بأربعة برامج.



NR-436TE/TES

ثلاجة واسعة الطراز سعة ٤٣١ ليتراً مع تشغيل "بدون ثلج".



NA-250X/D

غسالة اوتوماتيكية بالكامل مع منتخب لاجراء الغسل بطريقتين.

كستان

■ مركز خدمة ناشيونال كراتشي - الهاتف ٤٣٣٢٧٣ / ٤٤٤٣٥٦، كراتشي - هاتف ٤٣٣٩٥١

■ مركز خدمة تلفزيونات ومسجلات الڤيديو ناشيونال △ كراتشي - الهاتف ٤٣٣١٦

■ متجر خدمة ناشيونال، حيدر أباد - الهاتف ٢٣٥٦١، راوالبندي - الهاتف ٨٤٤٠٠، فيصل اباد - الهاتف ٢٦٠٢٥ / ٢٤٦٦٠، بشاور - الهاتف ٧٤٦٩٠، هور - الهاتف ٢٣٨٤٨٦

لبحرين

■ مركز الجامعة للتجارة، المنامة - الهاتف ٢٥٣٢٩٢ / ٢٥١٨٢٠

برص

■ س. د. هاي (ادوات كهربائية) محدودة، نيقوسيا - الهاتف ٢٤٤٥٨٣٩

صر

■ شركة بغداد للتجارة △ القاهرة - الهاتف ٨٣٨٢٦٥، القاهرة - الهاتف ٢٦٠٧٥١ / ٣٦٠٧٥١٧ / ٣٦٠٧٥١٨

■ مركز التحرير للتجارة والخدمات △ القاهرة - الهاتف ٧٧٧٧٧٠ / ٧٧٧٩٩٩، القاهرة - الهاتف ٣٩٣١٥٨٢ / ٣٩٣٣٣٦٣

■ مركز تنبولي للخدمات △ القاهرة - الهاتف ٦٦٠٦٣٩ / ٦٧٣٣٥٠

■ الشركة المصرية المحدودة للالكترونيات △ القاهرة - الهاتف ٣٤٠٩٤١٣ / ٣٤٠٠٢٢٨ / ٣٤٠٣٨٦٨، القاهرة - الهاتف ٣٥٣٦٧٠١، القاهرة - الهاتف ٣٤٤٩٥٥٨

■ شركة مصر حلوان المحدودة للتصدير والاستيراد ◊ القاهرة - الهاتف ٣٩٠٠٤١٦ / ٣٩٠٨٥٨٤

■ شركة بغداد للتجارة △ الاسكندرية - الهاتف ٤٨٣٧٩٨٥

■ مركز التحرير للتجارة والخدمات △ الاسكندرية - الهاتف ٥٤٦٠٣٤١

■ مركز التحرير للتجارة والخدمات △ الأقصر - الهاتف ٨٣٤٤٦

■ مركز التحرير للتجارة والخدمات △ سوهاج - الهاتف ٣٣٣٦٨٥

الهند

■ مركز اسكواير للخدمات △ بومباي - الهاتف ٣٣٤٣٣٦ / ٣٣٠٣١١، بومباي - الهاتف ٤١٣١٨٥٧ / ٤١٣٣٤٧٠ ، بومباي - الهاتف ٥٣٣٥٠٦

■ الوكالات الكهربائية المتحدة △ بومباي - الهاتف ٤٩٣٠٠٧٤ / ٤٩٣٠٠٧٥

■ انبس للتكييف، خاصة، محدودة ◊ بومباي - الهاتف ٤٣٣٣٧٣٩ / ٤٣٣٣٧٣٧

■ الوكالات الكهربائية المتحدة △ مدراس - الهاتف ٤٧٨٥٥٩

■ مركز اسكواير للخدمات △ مدراس - الهاتف ٤٧٩٥٠٧

■ الوكالات الكهربائية المتحدة △ بنغلور - الهاتف ٣٣٥٥٧٧ / ٣٣٠٣٧٥

■ شركة بوزيتيف للتجارة، محدودة △ نيودلهي - الهاتف ٣٦٣١٧٩ / ٣٦٨٩٦٤

■ مركز اسكواير للخدمات △ نيودلهي - الهاتف ٦٩٧٣٨٥ / ٦١١٣٣٧

■ مركز اسكواير للخدمات △ كالكوتا - الهاتف ٤٤٠٨٤٠

■ شركة ماستر للالكترونيات، خاصة، محدودة △ تريفندروم - الهاتف ٦٤٣٦٣

■ شركة ماستر للالكترونيات △ كوشين - الهاتف ٣٦١٧٨٨

National

# واحة السلام

هدأت العاصفة التي هبت على منطقة الخليج، من خلال الباب الذي فتحته الحرب العراقية – الايرانية، وبادر المتحاربون الى تحويل الاسلحة ادوات بناء يجرفون بها آثار الدمار الذي احدثته الحرب لدى الطرفين. وبدأ كل من العراق وايران تحويل اجزاء كبيرة من مخصصاتهما العسكرية للأغراض الاعمارية والانمائية. ويقدر الخبراء الاقتصاديون والماليون ما سينفق على هذه الورشة بنحو ٧٠ مليار دولار، الامر الذي يبشر بمرحلة جديدة من العمل والازدهار والاستقرار في منطقة الخليج، وخصوصا في نطاق دول مجلس التعاون.

ويتوقع الخبراء معاودة العمل في جميع المشاريع التي جمدتها الحرب في دول مجلس التعاون وخصوصا في المملكة العربية السعودية والكويت والامارات العربية المتحدة.

## القانون الرئيسي: احترم القانون

لم تضعف الحياة العصرية تمسّك السعوديين وابناء الخليج بدينهم وتراثهم. فالمسلمون يمارسون طقوس دينهم كجزء لا يتجزأ من حياتهم اليومية، وقد مكنتهم نظرتهم الواقعية هذه من استيعاب فوائد التكنولوجيا الغربية مع الاحتفاظ بهويتهم ومبادئهم الاسلامية.

هذه المبادىء دمجت ببراعة في جميع مظاهر الحياة العصرية وهي محددة بوضوح بحيث يستطيع كل من يريد التمتع برفاه الحياة العصرية ان يفعل ذلك شرط أن يراعي القوانين والقواعد المعتمدة.

إن الرفاه الذي توفره الحياة العصرية مؤمن عبر بنية تحتية متطورة تسهّل التجول والتنقل واجراء الاتصالات السلكية واللاسلكية، فضلا عن خدمات بريدية متطورة وخدمات طبية من الدرجة الاولى وتسهيلات للسكن ومناطق تسوّق هي في غاية التطوّر، مؤلفة من متاجر كبرى ومجمعات ومراكز تسوّق تعرض بائع استهلاكية و"لوكس" بأسعار تنافسية مستفيدة بذلك من رسوم جمركية مخفوضة. وتعرض هذه المراكز مجموعة متنوّعة من المنتجات وأحدث الطرز. وهي أوسع من تلك المتوافرة حتى في المتاجر المعفاة من الضرائب في البلدان الاخرى، وهذه كلها جعلت من الخليج فردوساً للتسوّق.

وتقابل هذه الميزات حاجة ماسة الى معرفة عملية للتقاليد والقوانين التي تشمل كل نواحي الحياة.

وفي ما يأتي بعض النصائح العملية التي تعينك على العيش في سلام وطمأنينة.

□ يجب مراعاة التقاليد في الحياة الاجتماعية والعملية:

– الحنث بالوعد يعتبر عملا شائناً للغاية.
– من غير اللائق ان تصل متأخراً.
– لا تسأل الرجل عن زوجته وبناته بل عن عائلته.
– تناول الطعام يتم بصمت وباليد اليمنى.
– لا يوضع فنجان القهوة جانباً بل يحمل ومن ثم يعاد الى المضيف.
– يجب أن تحتشم المرأة في لباسها وأن تكون حذرة في تجوالها، لا تجلس المرأة قرب السائق في سيارة الأجرة كما انها لا تتجوّل برفقة رجل ليس من اقاربها الأدنين.
– ينصح دائماً باستئذان الاشخاص قبل تصويرهم.

□ استيراد الكحول والمخدرات وحيازتها وتعاطيها هي ممارسات ممنوعة عقوباتها صارمة. وهذا ينطبق كذلك على المنشورات الخلاعية.

□ التجديف والزنا جريمتان عقوبتهما صارمة.

□ أنظمة أخرى تجب مراعاتها:

– إحمل دائماً بطاقة هويتك أو اذن اقامتك أو جواز سفرك، ففي السعودية قد يوقفك الشرطي في أي وقت طالباً اثباتاً لهويتك.

PHAROS

فاروس



فاروس

PHAROS

جمال يتراقص على الم

سيتيزن

CITIZEN

- احتفظ برخصة السوق الاصلية اذ انها قد تطلب في أي وقت.
- في السعودية والامارات، يعتبر التقاط صور للمنشآت الحكومية والعسكرية عملا غير قانوني.
- لا تبدّل عملك أو كفيلك قبل التأكد من القوانين والاجراءات الشكلية التي قد تختلف بين بلد وآخر.
- لا تغادر البلاد قبل مراجعة السلطات المحلية، فقد تكون تأشيرة الخروج الزامية خصوصاً في المملكة السعودية.

# اماكن التسوّق

## المملكة العربية السعودية

### الرياض

ليست هناك اوقات موحدة للعمل، فبعض المتاجر يفتح طوال فترة بعد الظهر، بينما تفتح المتاجر في قلب المدينة التجاري من الساعة ٩:٠٠ الى الساعة ١٢:٠٠ ومن الساعة ١٦:٠٠ الى الساعة ٢١:٠٠. وتقفل غالبية المتاجر خلال النهار أيام شهر رمضان المبارك ولكنها تعود فتفتح ابوابها حتى الساعة الثانية صباحاً.

#### مناطق التسوّق الرئيسية

طريق المطار (شارع الملك عبد العزيز)، ومنطقتا التسوّق المركزيتان في شارع الوزير وشارع البطحاء، والملز (معظم المتاجر يقع في شارع الستين وهو الشارع الرئيسي، او في شوارع صغيرة متفرعة منه)، وشارع البيبسي كولا والعليا وهي أحدث المناطق السكنية في الرياض وتحتوي على بعض افضل متاجر المدينة.

#### السوبرماركت

يعمل معظمها على طريقة المخازن الكبرى التنويعية التي تبيع كل شيء من الثياب حتى اجهزة التلفزيون.

بندة: طريق خريص، لجهة "بترومين" من مصنع البيبسي كولا.

سناد: قبالة الملعب في الملز.

سيتي: العليا، الطابق الأول يبيع ساعات ومستحضرات تجميل وأدوات رياضية وأجهزة تلفزيون وفيديو.

سيتي: السليمانية.

المركز الذهبي للتسوّق: شارع البيبسي كولا، الملز (قرب "مخبز الرغيف الذهبي").

مركز العقارية: العليا.

مركز السدحان للتسويق: طريق العليا - قرب فندق عطاالله "شيراتون".

البيت الأخضر: طريق المطار.

جوهر: شارع جرير في العليا، وهو من المخازن التنويعية الضخمة.

مركز نجد: شارع جرير في العليا.

اسواق الدائرة: شارع الأربعين في السليمانية.

أسواق حسام: طريق خريص.

مركز العريرية: منطقة ام الحمام.

### الخبر والدمام والظهران

#### مراكز التسوّق

مركز الخليج: آخر طريق المطار، الخبر. وهو بناء تجاري فخم.

مركز الامير مشعل التجاري: طريق المطار، قرب النافورة، الخبر. يعرض سلعاً استهلاكية متنوعة.

مجمّع الخبر التجاري: الجهة الجنوبية لطريق المطار، الخبر.

مركز السويكت للتسوّق: على بعد ثلاثة مقاطع غرب شارع الملك خالد، و١،٥ كلم. شمال طريق المطار، الخبر. الأسعار هنا، أرخص عموماً منها في المناطق الاخرى.

السواني: شارع الملك عبد العزيز، الخبر.

مركز التسوّق للعائلات: خلف عمارة البابطين، قرب البنك السعودي - الهولندي، الخبر.

تميمي وفؤاد بفرعيه، كورنيش الخبر، وطريق الدمام - الخبر المزدوجة على بعد حوالى ١٢ مقطعاً الى الغرب من ملعب الدمام الرياضي. مخزن الخبر اكبر بعض الشيء.

# JVC

## الافضل اطلاقاً
## في عالم التسلية بالڤيديو

### ميرا مسجلة/عارضة VHS مدمجة

VideoMovie VHS-C

GR-A30



AF مكتمل النطاق

از التعديل البؤري الجديد هذا يمكّن الـVideo
من التركيز على أي شيء وعلى أي بُعد من
ة من دون حاجة الى أي تعديل يدويّ اضافي
القريبة جداً. ان التعديل الدقيق بدءاً بالصور
ية جداً وحتى اللانهاية، اوتوماتيكي بالكامل
منسّق مصغّر خاص يراقب اختيارياً الاشارات
بائية التي تشكل المعلومات عن صورة الـCCD
ل العدسة في جزء من الثانية للحصول على
ز تام وثابت في جميع الأحوال. مع جهاز AF
يد الكامل النطاق، تحصل دائماً على تعديل
سريع، ثابت ودقيق.

AF
FULL RANGE AF

---

## HR-D321EM

ثنائي الأنظمة
DUAL SYSTEM
PAL/MESECAM



## HR-D217MS

٣ أنظمة
3 SYSTEM
PAL
MESECAM
NTSC 4.43



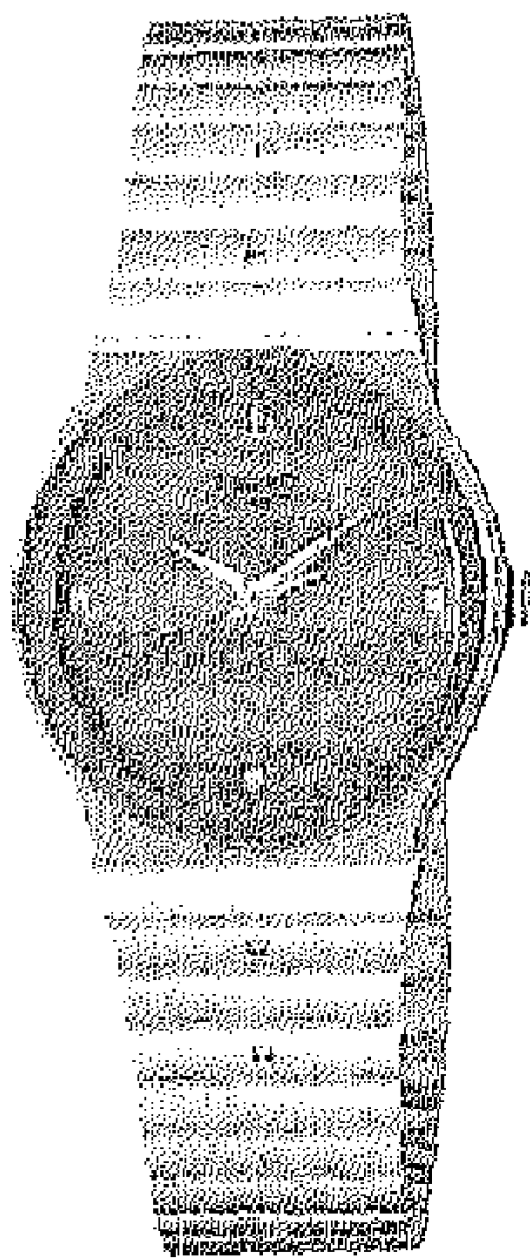
## HR-D337MS

٥ أنظمة
5 SYSTEM
PAL/SECAM
MESECAM
NTSC 3.58.
NTSC 4.43

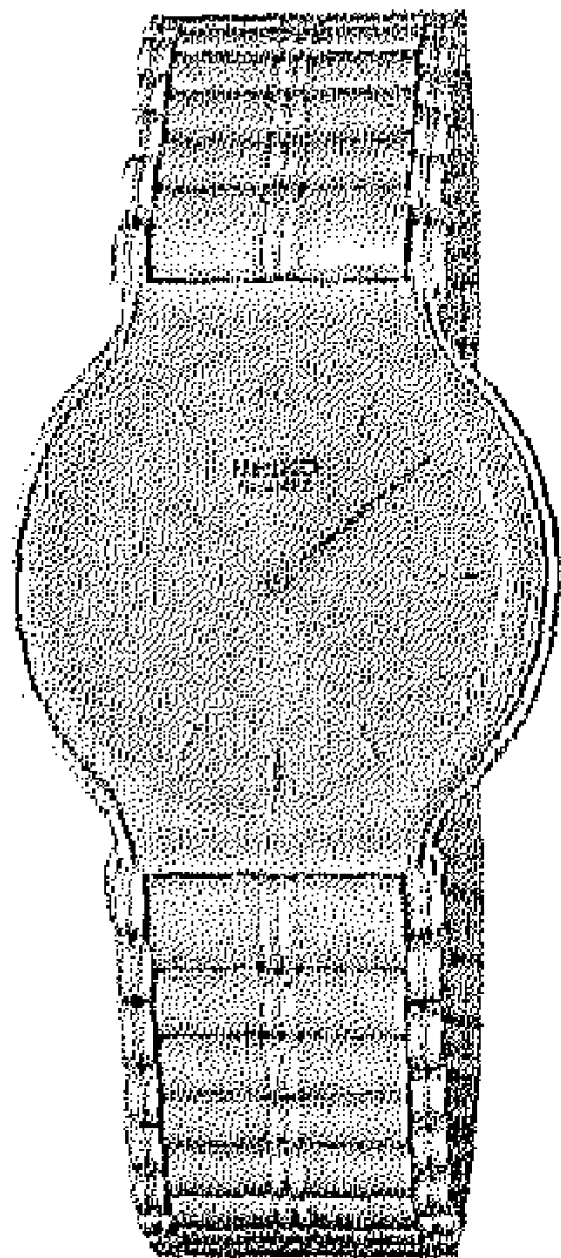


- منفَم متعدّد الأنظمة ملائم عالمياً: بي / جي B/G، آي I، دي / كي D/K، إم M
- تسجيل وعرض بالحركة البطيئة (LP) والحركة الأكثر بطءاً (EP)

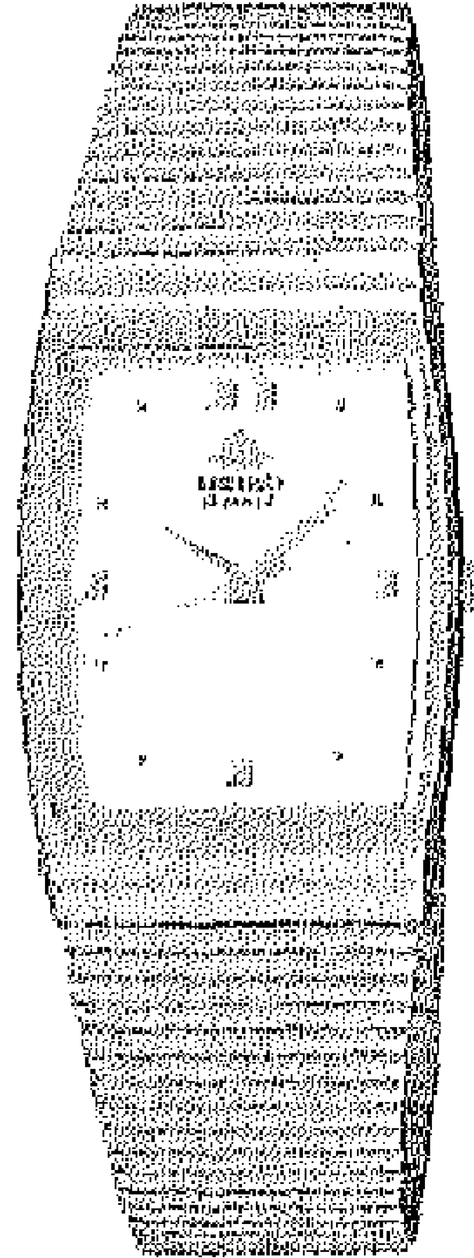
# JVC: VHS مبتكر الـ



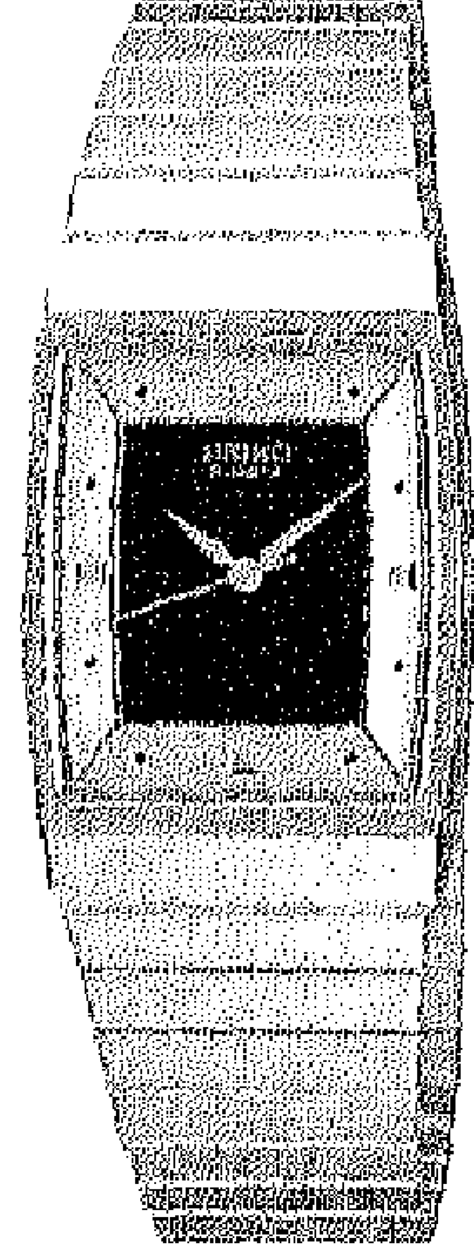
Ref. SXZ859J



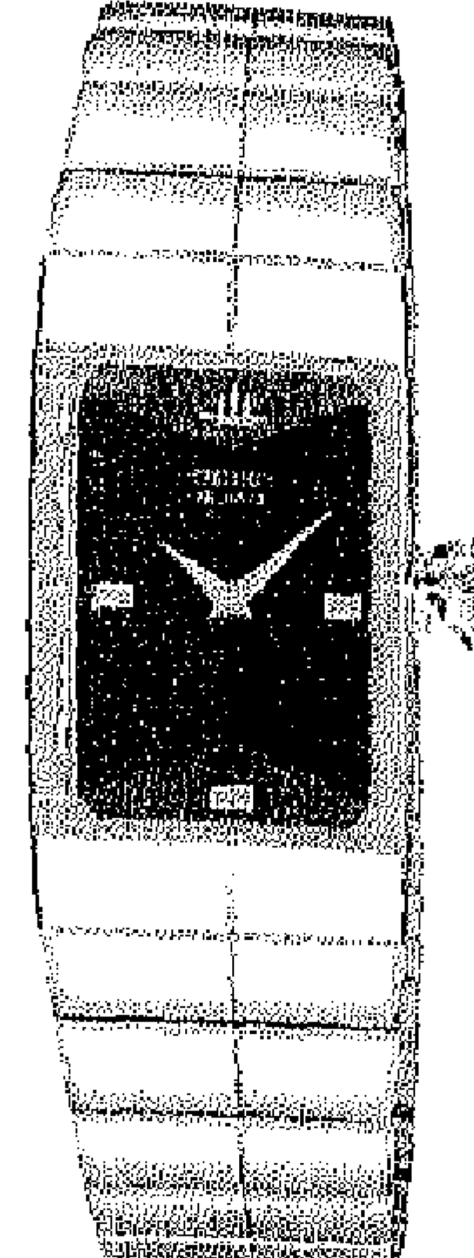
Ref. SXS878J
مقاومة للماء



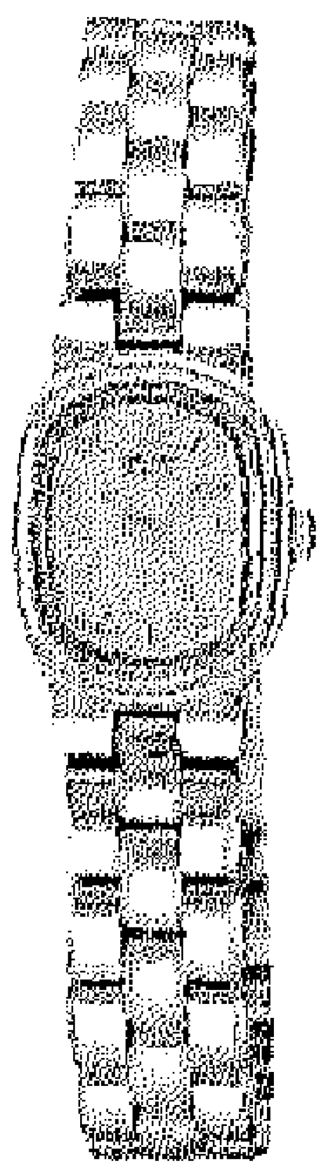
Ref. SYA892J



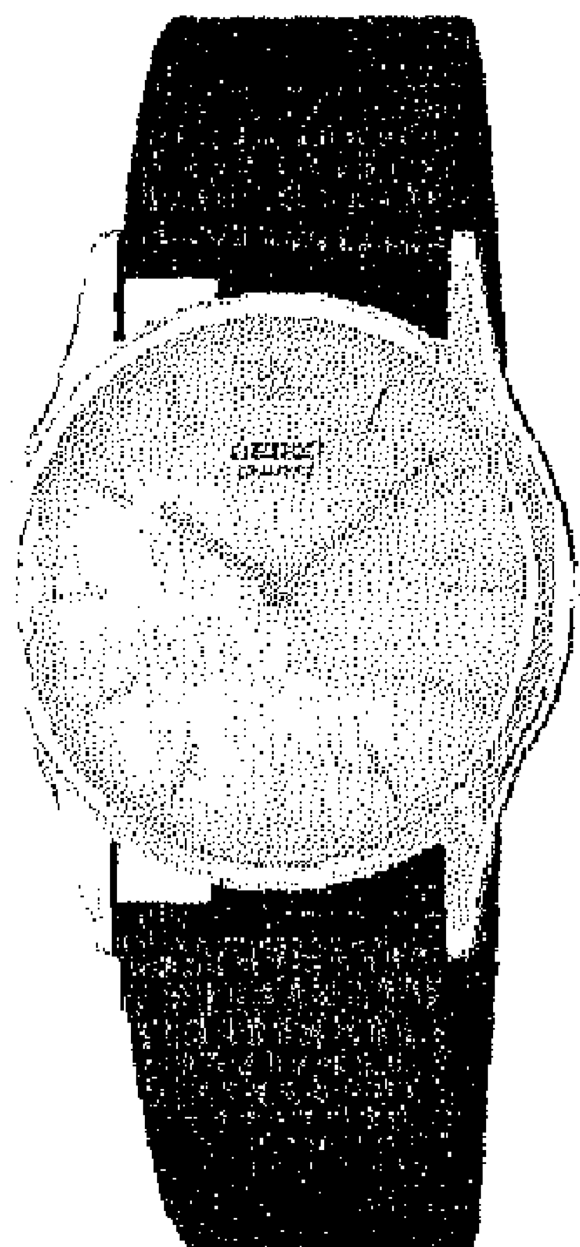
Ref. SYA858J



Ref. SYQ885J



Ref. SXN027J
مقاومة للماء



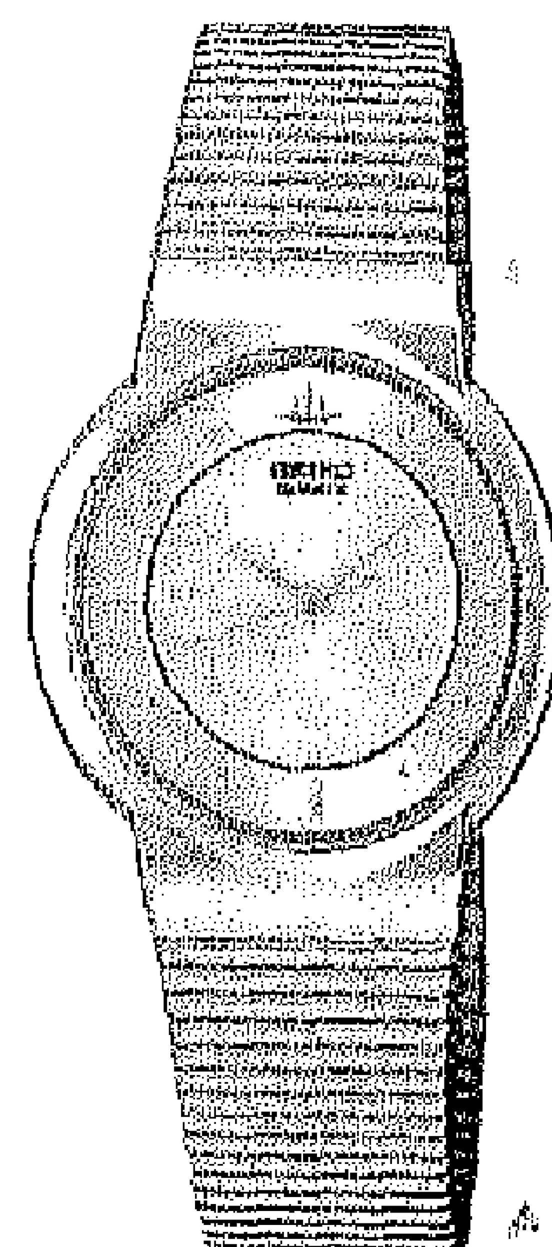
Ref. SDD294J
مقاومة للماء



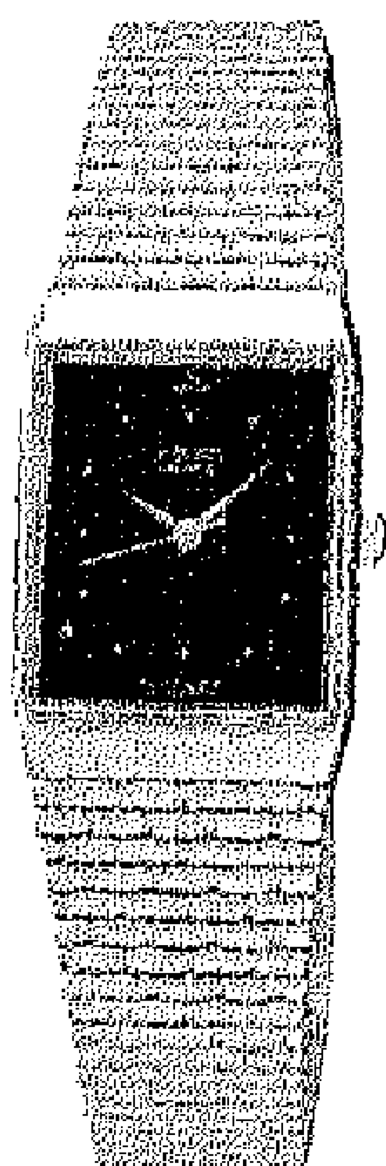
Ref. SDG080J
مقاومة للماء



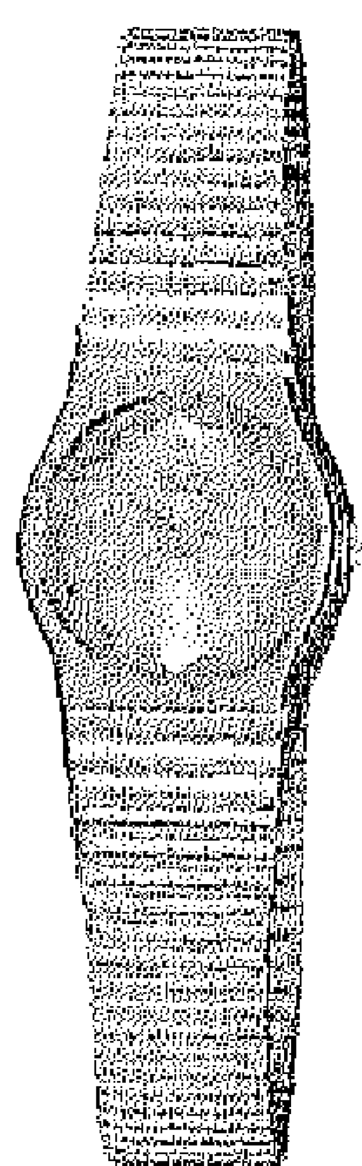
Ref. SXZ872J
مقاومة للماء



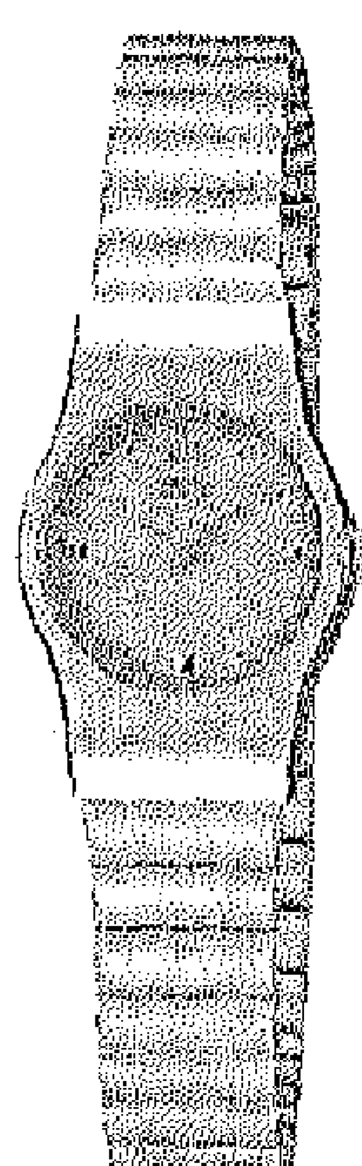
Ref. SXZ866J
مقاومة للماء



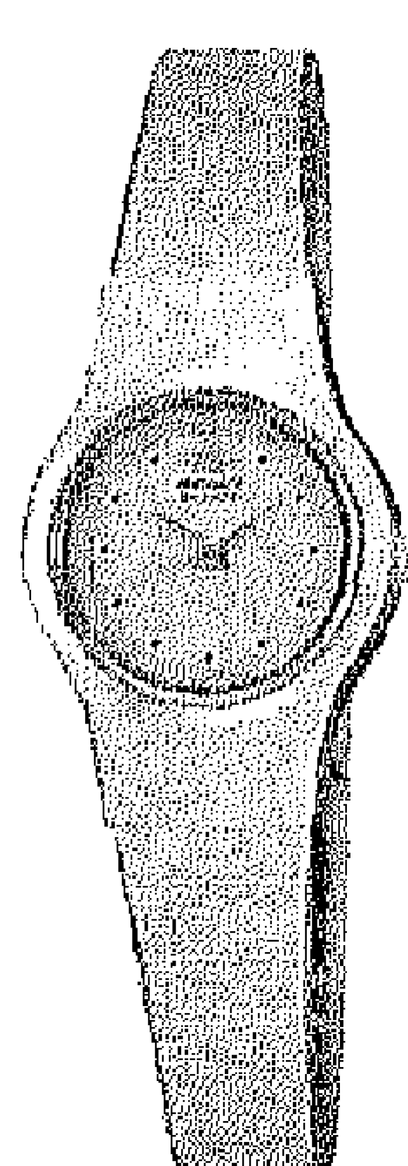
Ref. SYY232J
مقاومة للماء



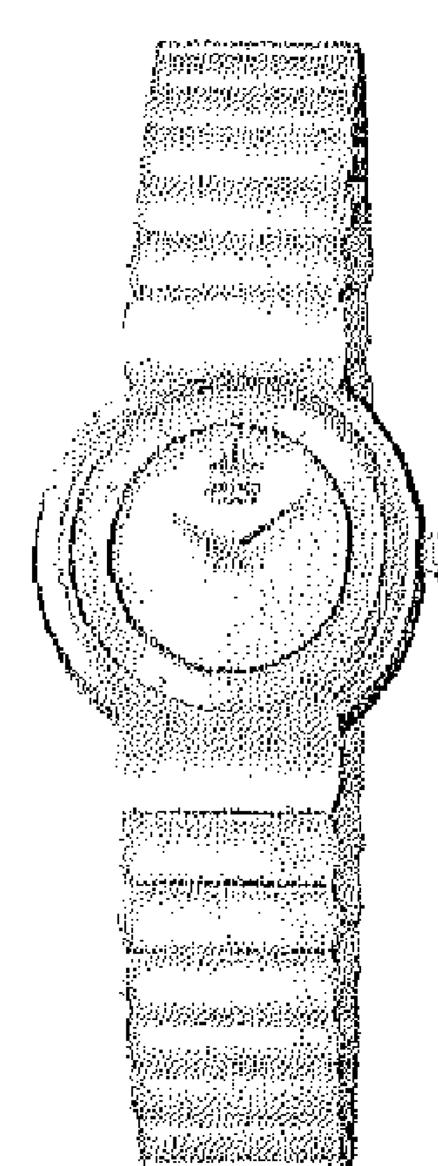
Ref. SYS230J
مقاومة للماء



Ref. SYS218J
مقاومة للماء



Ref. SYA012J



Ref. SYR412J
مقاومة للماء

سوبر ماركت السوق: له ثلاثة فروع في المنطقة:

١ - الفرع الرئيسي - الطريق العسكرية شمال غرب الخبر. قرب "بالاست نيدام".

٢ - الدمام - خلف صالة عرض "تويوتا"، على طريق قطيف.

٣ - الخبر - شارع العزيزية، على بعد مقطع واحد. الى جنوب طريق المطار.

مركز الدمام التجاري: الشارع العاشر، الدمام.

مركز الاخضر للتسوّق: الشارع العاشر، الدمام.

مركز الحربي للتسويق: قرب مستشفى الدمام العام.

مركز الظهران التجاري: طريق المطار، في محيط منطقة التسوّق الرئيسية في الظهران.

■ جدة

تنتشر السوبرماركت، والمخازن التنويعية، ومجمعات التسوّق في كل أحياء جدة تقريباً، جاعلة منها أكثر مناطق التسوّق تطوراً في المملكة العربية السعودية.

هنا بعض مراكز التسوّق والمخازن التنويعية:

ردك بلازا: غرب طريق المدينة (جنوباً) وبالقرب من مركز القافلة التجاري، تركز على السلع الكمالية.

مركز جدّة التجاري: طريق المدينة، شمال جسور شارع فلسطين مباشرة، أحد أشهر مراكز جدة التجارية.

مركز القافلة التجاري: يقع على طريق الكورنيش (شارع حائل)، غرب طريق المدينة وجنوب الرويس. أحد أضخم مراكز المملكة واكثرها شعبية.

سوق جدة الدولي: طريق المدينة لجهة الغرب، قبالة معمل البيبسي كولا. أحدث مراكز جدة التجارية وأضخمها اذ يحتوي على أكثر من ١٠٠ متجر منها محلات المجوهرات وآلات التصوير والـ"هاي - فاي."

عمارة الملكة: شارع الملك عبد العزيز في مركز المدينة. من اوائل المراكز التجارية الشاهقة التي انشئت في جدة. خلف البناء طبقتان من المتاجر المتخصصة بالثياب والعطور والساعات والمجوهرات والالكترونيات وآلات التصوير.

السواني: قرب المطار القديم، وبجنب عمارة "عرب نيوز" عند اطراف الشرفية وفي مركز المساعدية - طريق المدينة.

مركز شاكر: مستديرة الدراجة.

مركز المحمل: شارع الملك عبد العزيز.

مركز الكورنيش للتسويق: شارع الملك عبد العزيز.

# قواعد التسوّق

كما أن للعيش الهانىء في الخليج قوانينه وقواعده، كذلك للتسوّق المأمون والفعال سبله ووسائله. راعِ ما يأتي:

- احذر الاغراء بقبول ايصال يظهر ثمناً دون الذي دفعته حقيقة، فالتصريح الكاذب لدى وصولك الى بلدك يؤدي إما الى غرامة ضريبية ثقيلة الوطأة وإما الى المصادرة.
- احذر التقليد خصوصاً في الساعات وآلات التصوير والآلات السمعية - البصرية.
- اختر مشترياتك ضمن اطار المخصصات المعفاة من الضرائب والمنشورة في لوائح تؤمنها سفارة بلادك.
- تروَّ:

- حضّر لائحة بكل ما تنوي شراءه.
- ضمّن اللائحة تفاصيل: كرقم الطراز، اللون، الفلطية والسيكل، (الطراز وحتى اسم الصنف قد يختلفان من بلد الى آخر).
- قارن معلوماتك بمعلومات زملائك، فالأسعار قد تتفاوت حتى في المتاجر المعفاة من الضرائب.
- احضر الى المطار باكراً وانجز الاجراءات الرسمية لكي تجوب بتروٍّ المنطقة الحرّة المعفاة من الضرائب.




# تمتع اكثر بالتصوير الفوتوغرافي الخلاق
# مع آلات تصوير التعديل البؤري التلقائي من CANON

التقاط الصور يمكن أن يكون اكثر امتاعاً مما تتصور، لان آلات التصوير Canon ٣٥ ملم ذات التعديل البؤري التلقائي تحتوي على مجموعة كاملة من الابتكارات التقنية التي تزيد في سهولة عملية التصويب والالتقاط. وهذا يعني ان في امكان اي كان التقاط صورة أي شيء وفي أي وقت.

### The Prima Shot

● تصميم رقيق. سهل الامساك بمنظار سهل. أول وحدة تحكم عن بعد لاسلكية في العالم.

### The Prima Four

● امكان التقاط اربع صور بلمسة زر واحدة.

### The Prima Tele

● عدسة محمية ذاتية التراجع وستة مناظر مختلفة بواسطة حولات مقربة اختيارية ذات تعديل بؤري تلقائي.

انعكاس العدسة المفردة SLR والتعديل البؤري التلقائي من EOS650 مع البرنامج الذكي لوظيفة التعريض التلقائي.

● نظام تعديل بؤري تلقائي فائق الحساسية مع اسلوب تعريض تلقائي خاص يسمح بتركيز اوتوماتيكي حاد من مقدم الصورة النهائية حتى مؤخرها.
التعديل البؤري التلقائي المتطوّر من EOS750 / 750QD .

● جهاز تعديل بؤري تلقائي حاد فائق السرعة مع "فلاش" داخلي ينطلق ذاتياً (750QD مزودة جهازاً مبرمجاً لاظهار التاريخ والوقت على كل صورة). EOS850 البسيطة الاستعمال، الخفيفة والمدمجة للغاية.

● EOS850 فيها كل مزايا EOS750ما عدا الفلاش الذاتي الانطلاق الذي يحل محله في EOS850 فلاش يركب من خارج متيتو يقدرة تف، بحاحة الاستعمال الكثيف للفلاش.



مركز المساعدية: طريق المدينة.
مركز جمجوم التجاري: الحمرا.
مركز الحمرا للتسويق: الحمرا.
مركز الغاليريه: شارع التحلية.
مركز باروم: الرويس.
سوق الخيمة: قرب مبنى التلفزيون.
سوق اليمامة: طريق المطار القديم.
المختار: منطقة الحمراء بقرب شارع حائل، الطابق الثاني يعرض اجهزة سمعية - بصرية.
مركز ساند: ما بين شارع خالد بن الوليد وطريق المدينة في الشرفية.
مركز الشرق الاوسط للتسوّق: طريق فلسطين، أحد أكبر المراكز التجارية في المملكة.
حسين القزاز واولاده: طريق المدينة.
"برنتان" العمودي: طريق فلسطين.

# الامارات العربية المتحدة

## ■ ابو ظبي

من السهل ايجاد أجهزة كهربائية في السوق ما بين شارع حمدان وشارع خليفة قرب طريق المطار القديم. وتتوافر أجهزة الموسيقى والـ"هاي - فاي" في بقية أنحاء السوق. أما الأجهزة الأكثر تخصصاً فيمكن الحصول عليها في كثير من متاجر المدينة.

### المخازن التنويعية

جاشنمال: شارع النصر، يحتوي على تشكيلة واسعة من أصناف الأجهزة الكهربائية، كما يؤمن خدمة صيانة جيدة.

مؤسسة عباس اسماعيل: شارع نجدة، يعرض أوسع تشكيلة من الحاجات المنزلية المعتدلة الأسعار.

سبينس: تحتوي شبكة المخازن المعروفة بهذا الاسم تشكيلة واسعة من البياضات والصيني والادوات المنزلية الاساسية.

## ■ دبي

### التجهيزات الكهربائية

هناك تشكيلة واسعة من التجهيزات الكهربائية، وقد انخفضت اسعار اجهزة التلفزيون والڤيديو وغيرها كثيراً في السنوات القليلة الماضية.

شركة جمبو المحدودة للالكترونيات: شارع خالد بن الوليد، بر، دبي.

### المخازن التنويعية

محلات الفجر التجارية: طريق زبيل، قرب المخابز الحديثة.
ألايدز: شارع بن ياس.
محلات النصر: طريق دبي - الشارقة. له فروع في: طريق زبيل ومركز دبي التجاري ومركز الفرير.
السوق المركزي: مركز الفرير، ديرة.
السوق المركزي: مركز الفرير، ديرة.
جاشنمال وأولاده: مخازن في مركز الغرير، وقبالة عمارة دناتا، ديرة.
محمد ناصر الساير واولاده: عمارة اللؤلؤة، شارع بن ياس.

## ■ الشارقة

تقتصر مناطق التسوّق بشكل خاص على شارع الوحدة وسوق الشارقة وشارع العروبة والسوق القديمة بمحاذاة الخليج، وطريق الميناء/منطقة جادة البرج وساحة الزهراء. وسوق الشارقة وحدها تحتوي على أكثر من ٢٠٠ متجر فيها كل شيء من الالعاب حتى الادوات المنزلية الالكترونية، والمجوهرات.

### المخازن التنويعية

ألايدز: طريق الملك فيصل.

## ■ رأس الخيمة

النصر: بناية بورسلي، الى الجهة اليسرى من شارع الصباح. تعرض تجهيزات منزلية والعاباً وقرطاسية وبعض السلع الترفيهية.
ستوديو ومحلات أبولو: شارع المنتصر الى جانب فندق النخيل. يعرض تجهيزات فوتوغرافية.

# الكويت

## اماكن التسوّق الأساسية

### ■ مدينة الكويت

مجمع الصالحية التجاري: شارع الهلالي، مباشرة بعد ملتقى الطرق مع شارع فهد السالم، وعلى بعد دقيقة واحدة فقط من موقف السيارات

# AKAI



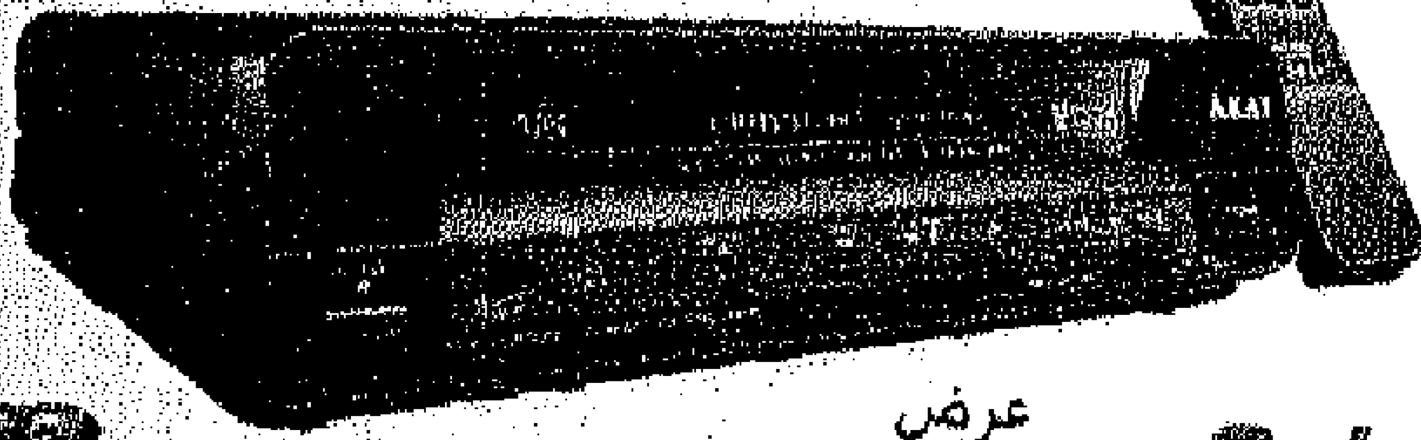

## بعد ستين عاماً ما زلنا نقدم تطويرات اساسية

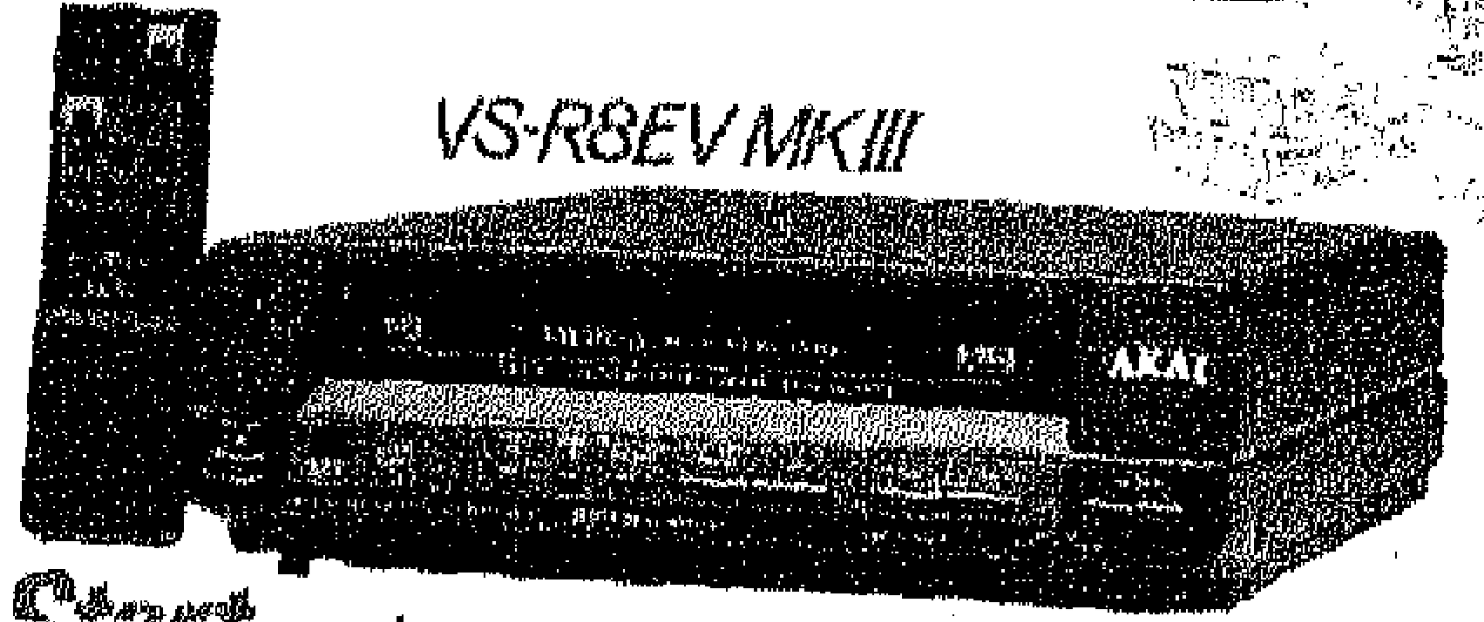
على مدى السنوات الستين الأخيرة، وكصانع للمنتجات السمعية ومنتجات الڤيديو على وجه العصر، سعت "آكاي"، بالتزام ثابت، الى "انتاج النوعية المبتكرة".

هذا التفاني سمح لـ"آكاي" بأن تكون الأولى عالمياً في تحقيق الكثير من التطويرات والمنجزات التقنية.

وهي منتجات تقدّم النوعية الرفيعة والجدارة بالثقة وسهولة التشغيل.

مرح مباشر – بدء سريع وعرض سهل




عرض بالبدء السريع فقط

**Quick Start**

تسجيل من شريط الى شريط



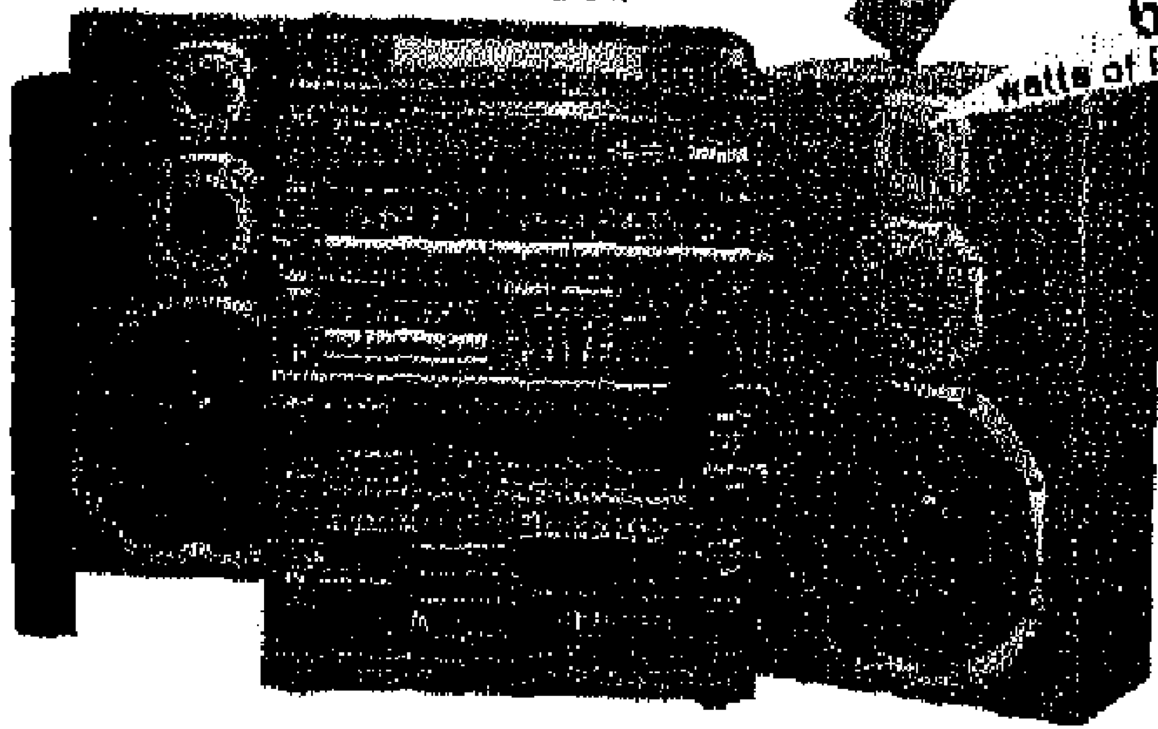

**QUICK & CLEVER**

وظائف اوتوماتيكية متطورة – أكثر بكثير من قبل

**QUICK RESPONSE**

بدء سريع، بحث دليلي سريع، كاشف لمقدمات البرامج والأفلام، تتيح لك كلما مزيداً من الوقت للاستمتاع بالتسلية.

**HI-FI MIDI SYSTEM M552**

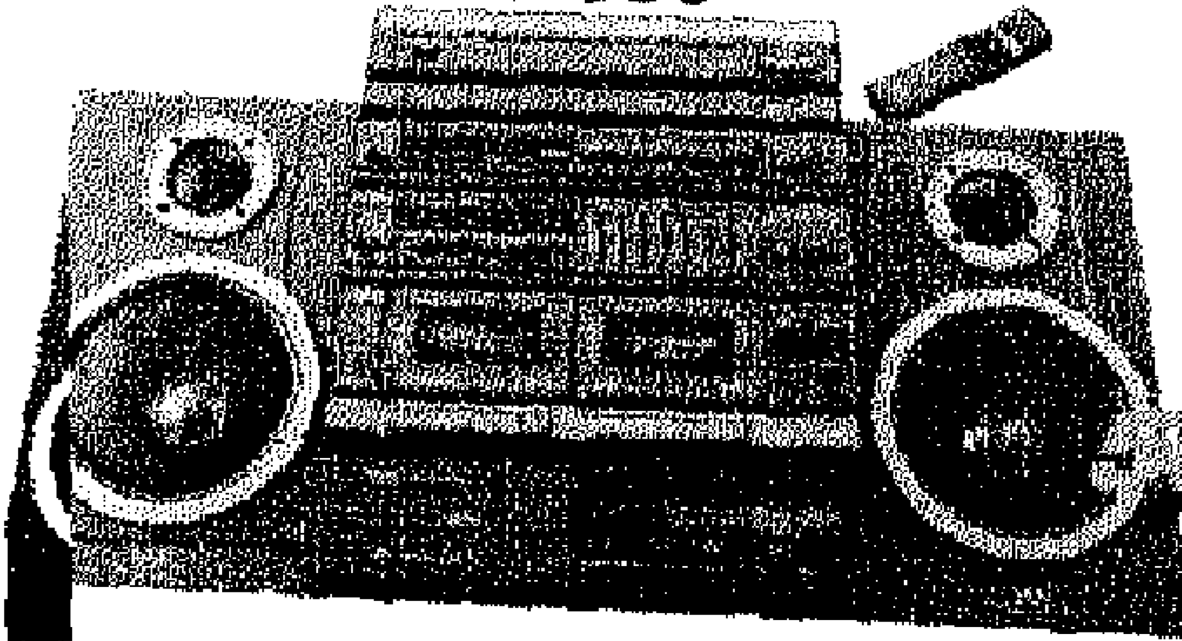






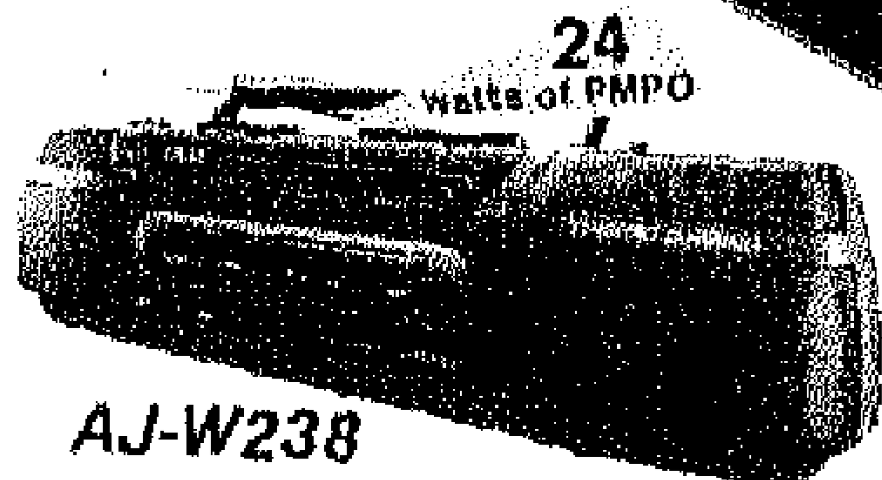
جهاز متطور متعدد الاجزاء مزود دارات داخلية لصوت أقرب الى الحقيقة.

**HI-FI MIDI SYSTEM M350**



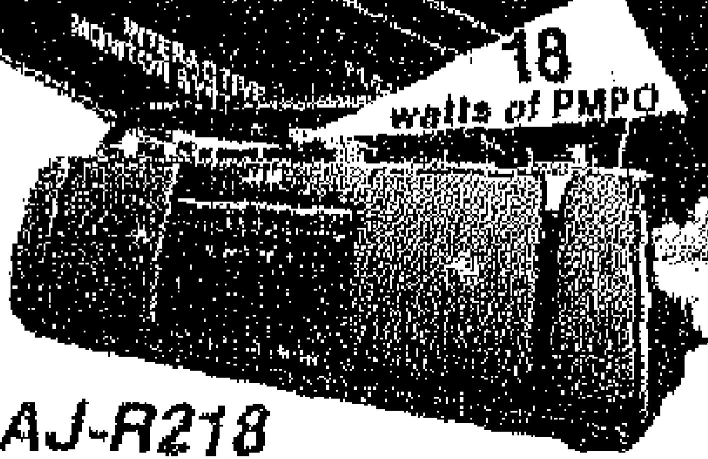

قوة عملاقة، أداء رهيب، قوة تشعر بها...

اجهزة الراديو كاسيت النقالة الأنيقة هذه ستسترعي الانتباه حتماً.




**AJ-W238**

- جهاز كاسيت مزدوج مع نسخ بسرعة عالية، نسخ واسماع لاحق متزامنان. قدرة الاخراج السمعي القصوى ٢٤ واط (PMPO)




**AJ-R218**

- قدرة الاخراج السمعي القصوى ١٨ واط (PMPO)
- جهاز مكبرات صوت باتجاهين
- منغم بثلاث موجات، اسماع بعكس اوتوماتيكي.

**INDIA: PARAS ELECTRONICS** Bombay Tel 386 978
**INDIA: PARAS AKAI SERVICE CENTRE** Madras Tel 812 495, Poona Tel 439 084
**PAKISTAN: UNIVERSAL ENTERPRISES COMPANY** 31 Hotel Metropole Bldg., Mereweather Road, Karachi 17 Tel 511611
**U.A.E.: GENERAL ENTERPRISES COMPANY** P.O. Box 363, Dubai Tel 224131, 236575
**KUWAIT: MORAD YOUSUF BEHBEHANI** P.O. Box 146 Safat, 13002-Safat, Kuwait Tel 4844000
**SAUDI ARABIA: PENINSULAR DISTRIBUTION CO., LTD.** P.O. Box 7997, Jeddah 21472 Tel 671 4486
**SULTANATE OF OMAN: SUHAIL & SAUD BAHWAN** P.O. Box 169, Muscat Tel 793741, 793760
**STATE OF BAHRAIN: AMBASSADOR STORE** P.O. Box 237, Manama Tel 253513
**QATAR: AHMAD AL-UTHMAN & BROS** P.O. Box 218, Doha Tel 23507, 23508

في السوق المتحدة. وتراوح السلع من الثياب حتى الالكترونيات والآلات المكتبية.

السوق المتحدة: شارع محمد الثنيان، قبالة مجمع الصالحية. أحد أكثر المجمعات التجارية شعبية.

سوق الوطيّة: خلف فندق شيراتون، على مسافة من شارع فهد السالم. تحتوي على خليط من المتاجر.

السوق الكبير: على مسافة قصيرة من شارع فهد السالم، قرب ملتقى الطرق مع شارع الهلالي. فيه موقف للسيارات متعدد الطبقات ومدخله من شارع الهلالي.

السوق الوطنية: قرب ساحة الصفاة، تتألف من خليط من المتاجر الصغيرة المتشابهة التي تبيع الأقمشة أو اشرطة الڤيديو والساعات.

سوق الكويت: شارع مبارك الكبير، الى جانب البنك التجاري. تحتوي على كثير من المتاجر الصغيرة.

### الضواحي

#### ■ حولي

مجمّع النقرة الشمالي: الى جانب مركز الشرطة في حولي. انطلاقاً من الطريق الدائري الرابع، انعطف نزولا في شارع المغرب ثم الى اليمين عند اول اشارة مرور. يحتوي المجمع على مجموعة متنوعة من المتاجر.

#### ■ السالمية

السالمية مركز تسوّق شعبي فيه اماكن متعددة لايقاف السيارات.

#### ■ الفحيحيل

فيها تشكيلة صغيرة ولكن مفيدة من المتاجر. والأسهل ايقاف السيارة في الارض البور قبالة سوق الخضر والفاكهة.

#### ■ الأحمدي

تسهيلات التسوّق ملائمة. هناك سوق صغيرة و٣ سوبرماركت حديثة، ومتجر للتجهيزات الكهربائية، ومتجر عام وفروع للمتاجر الرئيسية في المدينة. (أجهزة الـ"هاي - فاي" والتلفزيون والراديو والڤيديو والساعات تباع لدى بمبهاني وناشيونال).

### متاجر سلسلية

جاشنمال وشركاه: يديرون مخازن تنويعية في كل انحاء الخليج ولديهم ثلاثة فروع في الكويت:
- الفرع الرئيسي: شارع فهد السالم.
- الأحمدي - السالمية.

وهي تخزن تجهيزات فوتوغرافية ومنزلية وتحتوي على قسم للموسيقى.

### متاجر متخصصة بآلات التصوير

شركة أشرف: ولديها فروع عدة:
- شارع سالم المبارك.
- السالمية - الفحيحيل.

شركة بوشهري للافلام الملونة: ولديها فروع في:
- الدعية - السالمية - الفحيحيل.

شركة آلات التصوير والسينما المحدودة: ولديها فروع في:
- شارع فهد السالم.
- السالمية - الفحيحيل.

## عناوين وهواتف مفيدة

### السعودية

الخطوط الجوية الهندية، الرياض، الهاتف ٤٦٥٢٨٣٤، جدّة، الهاتف ٦٤٨٥٠٤٣ / ٦٤٧٩٦٠١، الخبر، الهاتف ٨٩٤٢٣٥٤
الخطوط الجوية الباكستانية، الرياض، الهاتف ٤٦٥٩٦٠٠، جدّة، الهاتف ٦٤٢٢٦٤٢ / ٦٤٤٧٦٤٤، الخبر، الهاتف ٨٩٨٢٩٨٤
الخطوط الجوية السعودية، الرياض، الهاتف ٤٧٧٢٢٢٢، جدّة، الهاتف ٦٢٢٢٣٣٣، الخبر، الهاتف ٨٩٤٣٣٣٣

### الامارات

الخطوط الجوية الهندية أبو ظبي، الوكلاء مكتب سفر أبو ظبي، الهاتف ٣٢٨٧٠٠ دبي، الهاتف ٢٢٢١١٦
الخطوط الجوية الباكستانية: ابو ظبي، الوكلاء سلطان بن يوسف واولاده، الهاتف ٣٣١٥٥١ دبي، الهاتف ٢٢٠٢٣١ / ٢٢٠٢٣٣
طيران الخليج، ابو ظبي، الوكلاء وكالة سفر عمير، الهاتف ٣٣٠٠٦٦ دبي، الهاتف ٢٨٥١٤١
الامارات دبي، الهاتف ٢١٥٥٤٤

### الكويت

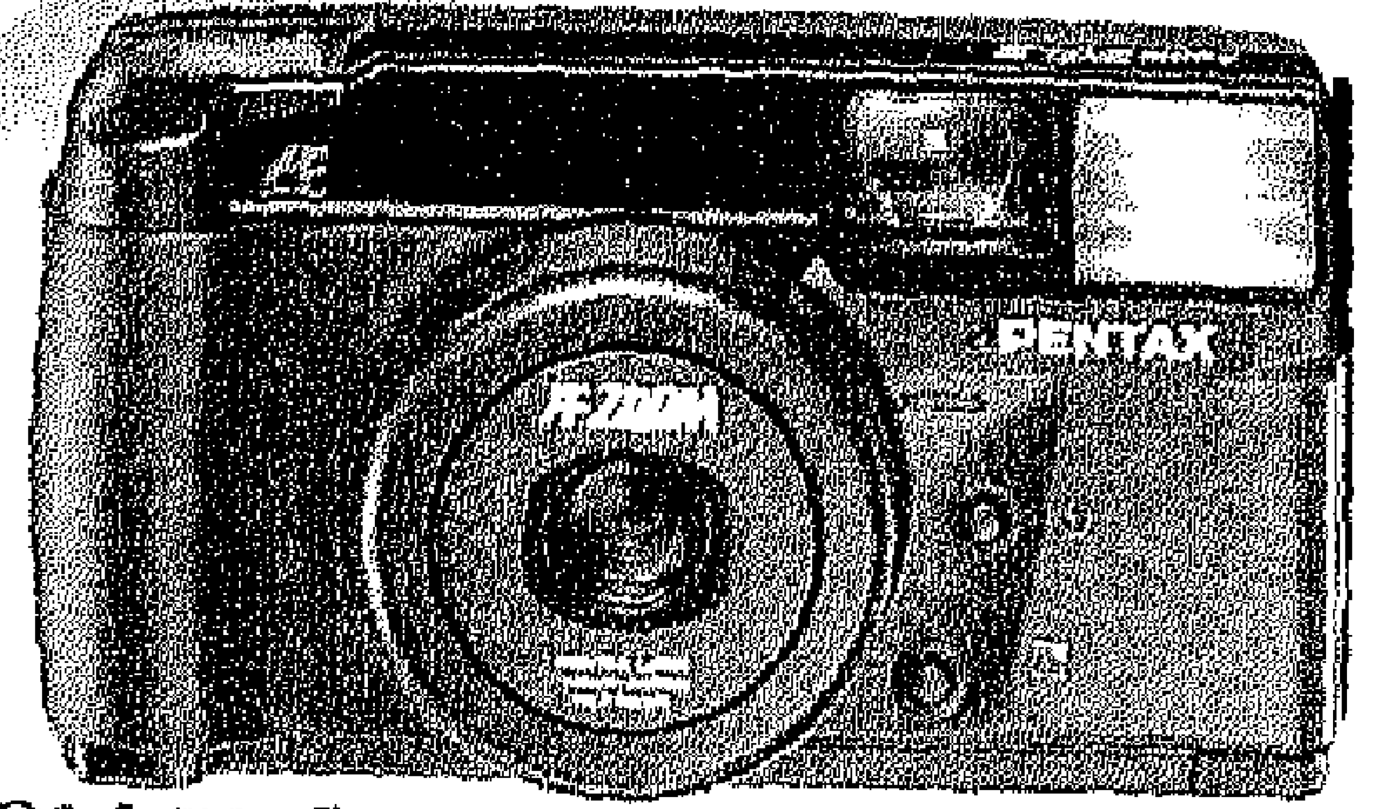
الخطوط الجوية الهندية الهاتف ٢٤٣٨١٨٤
الخطوط الجوية الباكستانية الهاتف ٢٤٢٨٧٨٤
الخطوط الجوية الكويتية الهاتف ٤٣٤٩٩٩٩

#### خدمات عامل الهاتف

حجز المخابرات المستعجلة
الاستعلامات
استعلامات دليل الهاتف

# لماذا اختيار بنتكس
# هو اختيار النوعية الجيدة

**ما زالت Pentax الخبيرة في آلات التصوير ذات الشهرة العالمية. وكلّ ابحاثنا الشاملة وتطويراتنا التقنية الرفيعة لها هدف واحد: أن نسهّل لكم التقاط صور رائعة، اينما كنتم وحيثما ذهبتم.**




ZOOM 70-S

تمتع باثارة التصوير مع عدسة الزوم المتحركة القوية في لكاميرا ذات النوعية الجيدة Pentax 35mm الاوتوماتيكية بالكامل. حرك عدسة الزوم بحريّة لكي تحصل على اي طول بؤري ما بين 35mm (عدسة متسعة الزاوية) و 70mm (عدسة مقرّبة) التعديل البؤري التلقائي داخلي، كذلك وظيفة التصوير عن قرب (ماكرو) وفي الليل، التقط الصور الحية مع فلاش زوم منسجم تماماً من اجل مجموعة متنوعة وواسعة من الصور المدهشة، مالك سوى

Zoom 70 - S




SF7

إذا كنت ما زلت في انتظار كاميرا SLR لطيفه الاستعمال حقاً، فكفّ عن الانتظار! فإن صوراً رائعة هي في متناولك من دون حاجة لاضاعة الوقت في اتخاذ القرارات. فلوحة LCD الكبيرة ترشدك الى اي من اساليب التعريض الأربعة والتعديل البؤري المتفوق من Pentax يلتقط الصور سريعاً حتى في الضوء الخافت. وبواسطة الفلاش الداخلي TTL الاوتوماتيكي القابل للتراجع، يمكنك الحصول على صور مشرقة حتى في الظلام.



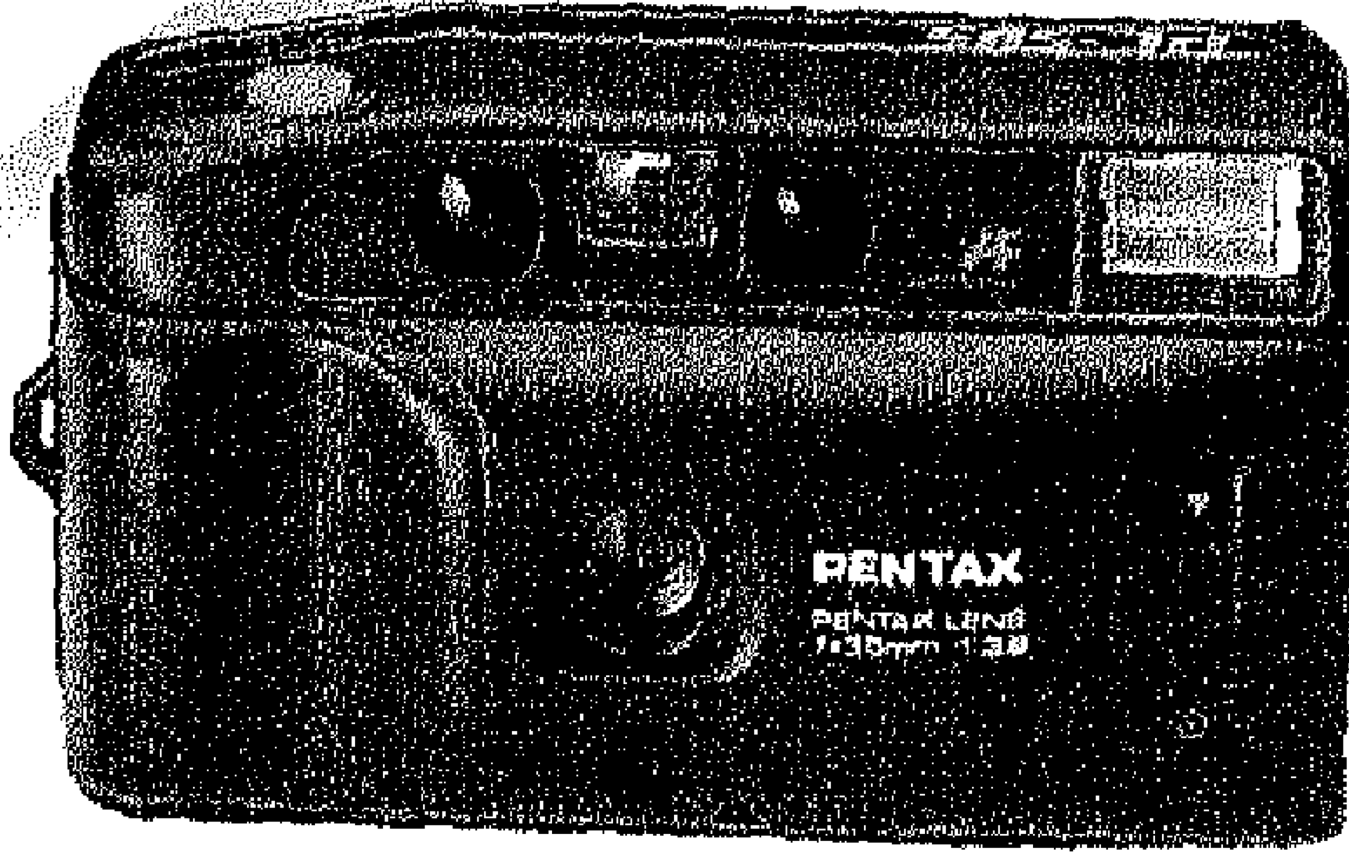

PC-303

كاميرا الجيب 35mm

...ت التعديل البؤري التلقائي السلس

...ر التصاميم اناقة! اذا احببت ان يظهر الشيء المراد تصويره بعيداً عن وسط الصورة، فهو يحافظ مع ذلك على وضوحه التام بفضل تقنية Pentax .

ان التصوير السريع الذي لا يخفق، مضمون بفضل اوتوماتيكية وظائف التعريض وتعبئة الفيلم وتقديمه. ومع الفلاش الداخلي، في امكانك التقاط صور تظهر مرح الجميع، حتى في الليل.

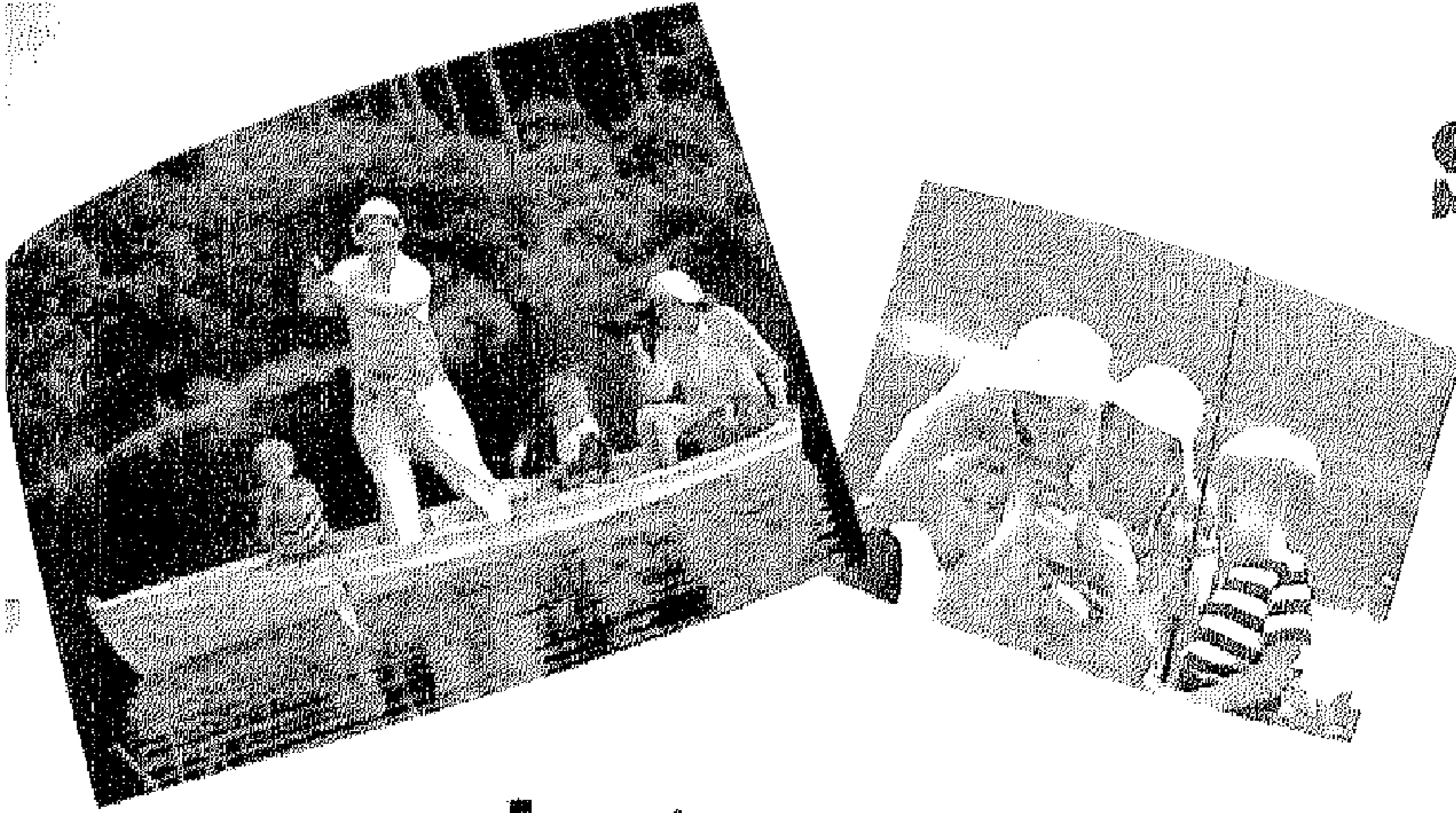



PC-505

رفيقتك الممتازة والمميزة بصفات اوتوماتيكيه ملائمة للتصوير السهل هي آلة التصوير هذه من Pentax تقديم واعادة لف الفيلم اوتوماتيكيان بالكامل، والتعريض مبرمج اوتوماتيكياً ليلائم احوال الاضاءة المتنوعة الفلاش داخلي كذلك الموقت الذاتي يمكنك الظهور في الصورة دائماً ويقابل هذا الاتقان أناقة التصميم

**PENTAX**

سوني
SONY®



# تمتع بلحظات المرح مع هاندي كام!




**CCD-F150**

**كاميرا / مسجلة هاندي كام سهلة التشغيل**

● حتى ٣ ساعات من التسجيل على شريط واحد. ● مصراع متغيّر السرعة ١/٠٠٠٤، ● امكان ادخال اي صورة او رسم او خط يد على الصورة الاصلية باستحضارها من الذاكرة التي تخزن صورتين مع امكان اختيار لون مناسب للرسالة من ثمانية الوان. ● عدسة زوم بتكبير ٦ مرات مع وظيفة التصوير عن قرب (ماكرو).

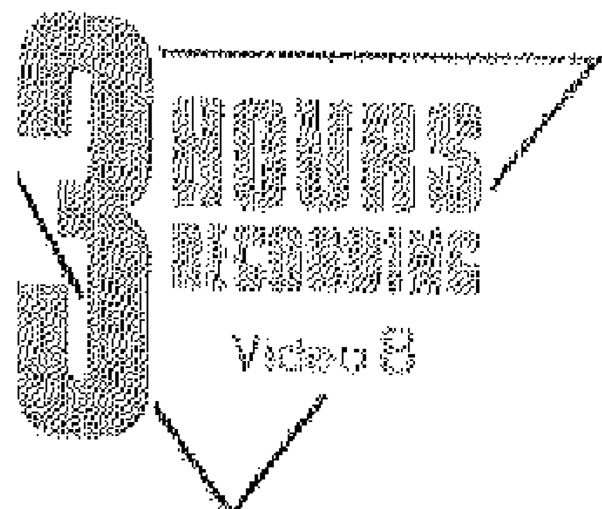



**:D-F340**

**كاميرا / مسجلة عائلية تصنع محترا**

● حتى ٣ ساعات من التسجيل على شريط واحد. ● مد
متغيّر السرعة ١/٠٠٠١ ● عدسة زوم بتكبير ٦ مرات
وظيفة التصوير عن قرب (ماكرو) ● عرض مباشر على
جهاز استقبال تلفزيوني او تلفزيون

## ـ مع هاندي كام
## يـ يصبح التصوير هواية الجميع




Handycam
Video 8

# تأملات معاصرة

## الأرق النفيس

في سكون الليل، حين يفترض بنا أن ننام ونحلم، يكون العقل في أتم حال من الصفاء والسكينة فيستوعب كل مراحل الحياة في تلك الكتلة الدماغية الصغيرة. لست أعرف أحداً أشاد بفضيلة الارق من قبل. ويبدو أن الليل يطلق مقداراً أكبر من غرائزنا واحساساتنا الدفينة، ومع الفجر ينساب قليل من الاحلام الى العقل الواعي. ما هي سبعون سنة من العمر قياساً على الزمن؟ الليل ثمين، ومن المؤسف أن نهدره كله في النوم. ان ليلة أرق ليست دائماً ليلة سيئة.

بريان الديس،

كاتب بريطاني للقصص العلمية - الخرافية

## نعمة التقدُّم

يدعوني الناس متفائلا، لكنني في الحقيقة مُقدِر الامور حق قدرها. منذ عشر ونيِّف شفيت من التهاب خمجي في اصبعي بوساطة المرديات، فيما كان في وسع طبيبي ان يوصيني فقط بأن انقعها في المياه الساخنة او اجري جراحة في آخر الامر. تلك كانت حصيلة التكنولوجيا. وعندما كان عمري ست سنوات اصبت بالحمى القرمزية فانقذ حياتي عقار "السولفانيلاميد"، الاول بين العقاقير العجائبية.

وللحاسبات والناسخات عليّ منة. ويملأني العِرفان لان طلاب الجامعات يستطيعون زيارة اهاليهم بالطائرة في مقابل اجر اسابيع قليلة من العمل الجزئي. وانا شاكر كذلك لما يتمتع به الاطفال، حتى في البلدان الفقيرة، من حظ اتاح لهم ان يقتاتوا ويتعلموا. ادرك تماما مقدار ما احرزناه من تقدُّم. وهذا ما يجعلني غير قادر على فهم الناس الذين يستجيبون لدواعيه بقولهم: "نعم، ولكن...".

الاقتصادي جوليان سايمون

ر.ج.ب. عن "اوازيس"

## الوقت من ذهب

الوقت هو درهم حياتك. وهو الدرهم الوحيد الذي تملكه، وأنت وحدك تستطيع تحديد طريقة صرفه. فكن حذراً خشية أن تدع أناساً آخرين يصرفونه نيابة عنك.

كارل ساندبرغ، شاعر وكاتب أمريكي

## بصل وعسل

الزواج رحلة نحو وُجهة مجهولة. هو اكتشاف يتعين على اثنين ان يتقاسماه ليس فقط ليتعرّف احدهما الى الآخر بل ايضا ليتعرّف كل منهما الى نفسه.

مايكل فنتورا

# كيف تتغلّبون على المزاج العكر

## هل تشعر بالكآبة؟ جرب هذه الوسائل التي تغير مزاجك

يقول الخبراء ان الامزجة هي عواطف لها قابلية أن تصبح ثابتة. وهي تؤثر في وجهة نظر المرء لساعات أو أيام أو حتى أسابيع. هذا جيد اذا كان مزاجك فرحاً، لكنه يصبح مشكلة اذا كنت حزيناً أو قلقاً أو غاضباً أو لامبالياً.

ربما كانت الطريقة الفضلى للتعامل مع الامزجة كشفها بالكلام، حتى إن لم يكن أحد يستمع. إن علم الصيدلة الحديث يقدم وفرة من المهدئات والادوية المضادة للحزن والقلق. ولكن ما لا يدركه أناس كثيرون هو أن العلماء اكتشفوا فاعلية وسائل غير كيميائية تحررك من مزاج لا تريده. وهذه الوسائل تضاهي فاعلية العقاقير، اضافة الى منفعة أخرى هي أنها غير سامة وغير مهددة بالادمان. لذلك عندما يكون مزاجك عكراً لا تقصد الصيدلية، بل جرب واحدة من هذه الوسائل الشافية:

**مارس الرياضة.** من بين كل الوسائل التي يعتمدها المرء لتغيير مزاجه، تبدو التمارين الرياضية الحيوائية(١) الاكثر فاعلية في التخليص من المزاج العكر.

لقد حدد الباحثون تغيرات بيوكيمائية وتغيرات أخرى تجعل التمارين الرياضية تضاهي العقاقير في تغيير المزاج. أما الاجهاد الجسدي، كالعمل المنزلي مثلاً، فلا يجدي كثيراً. إن مفتاح الحل هو في الركض وركوب الدراجات الهوائية والمشي السريع والسباحة وغيرها من النشاطات المقوية التي تتسم بالتكرار وتزيد من سرعة ضربات القلب وتسرع الدورة الدموية وتحسن استغلال الجسد للاوكسيجين. مارس احدى هذه الرياضات لمدة عشرين دقيقة، ثلاث الى خمس مرات في الاسبوع.

**استعمل الالوان.** "قد يكون اللون مادة مغذية للعقل كما الفيتامينات للجسد،" تقول باتريشا زربا الاختصاصية بتأثير الألوان في النفس. وهي تقترح بعض الوسائل التي ترفع معنوياتك:

---

(١) Aerobic exercise

لإبطال حال التوتر أو الغضب، قد يساعدك الابتعاد عن اللون الاحمر.

لجّبْه الكآبة، تجنب ارتداء الملابس ذات الالوان التي تجعلك كئيباً، كالاسود والازرق الغامق. اعتمد الالوان الفرحة والدافئة والنضرة التي تبهّج روحك. لتلطيف قلقك وتوترك، اختر الالوان ذات التأثير الملطف والمهدىء. إن اللون الازرق الخفيف يستعمل في المستشفيات لتهدئة المرضى.

**جرب الموسيقى.** تعود آن من عملها الى المنزل متوترة الاعصاب. وعندما استمعت ذات مساء الى موسيقى الروك الصاخبة التي تحبها ابنتها، أدركت أنها كانت تنسجم مع مزاجها وتشعرها بالتحسن، وتجعلها أكثر ارتياحاً لسماع موسيقى موزار في وقت لاحق.

لقد وجدت آن، عن غير قصد، ما يسميه المعالجون بالموسيقى "مبدأ تطابق الامزجة"، وهي طريقة لتغيير المزاج بواسطة الموسيقى. أولاً، طابق الموسيقى مع مزاجك الحالي، ثم انتقل تدريجاً الى الموسيقى التي تعكس المزاج المنشود.

اذا كنت تشعر بالحزن، مثلاً، ابدأ الاستماع الى موسيقى تعتبرها حزينة. "على رغم أن ذلك يبدو تقوية لحزنك، فهو الخطوة الاولى في محاولة تغيير مزاجك،" كما تقول كارول مرل فيشمان وهي طبيبة انفسانية من نيويورك شاركت في تأليف كتاب "الموسيقى داخلك"(٣). وهي ترتأي أن تستمع الى ثلاث أو أربع مقطوعات موسيقية قصيرة تتدرج بك الى المزاج المطلوب.

**تناول الطعام المناسب.** لقد تبين للعلماء أن هناك رابطاً أساسياً بين الطعام والمزاج ينطبق على أي انسان. تقول بوني سبرينغ عالمة النفس في كلية الطب بجامعة شيكاغو: "اذا تناولت الكربوهيدرات وحدها فانك تحظى بنوع من "الاطعمة المريحة" ذات التأثير المهدىء."

وتضيف جوديث وارتمان من معهد مساتشوستس للتكنولوجيا: "تملك الكربوهيدرات هذه الصفة لأنها تحفز الدماغ على انتاج مادة سيروتونين التي تشعرنا بالهدوء والراحة."

ان ٤٥ غراماً من الكربوهيدرات كافية لاعطاء نتيجة مهدئة، كما أن الكربوهيدرات ذات الطاقة الحرارية المتدنية، كالفشار (بوب - كورن)، لها فاعلية الكربوهيدرات التي تسبب السمنة كرقائق البطاطا والكعك المحلى.

إن تناول البروتيين يزيد التيقظ والطاقة العقلية. وأفضل الاطعمة الغنية بالبروتيين هي المحار والسمك والدجاج ولحم العجل غير المدهن. ومقدار ٨٥ الى ١١٥ غراماً منها يعطي هذا المفعول.

واستهلاك مقدار كبير من الكافيين يؤثر في تغيير المزاج. لقد وجد جون غريدن، وهو طبيب نفساني في المركز الطبي بجامعة ميشيغن، أن هناك علاقة وثيقة بين تناول الكافيين بكثرة والكآبة والتوتر والقلق لدى بعض الناس.

**اعتمد الاضاءة المناسبة.** وجدت دراسات المؤسسة الوطنية للسلامة

(٣) The Music Within You

العقلية في الولايات المتحدة أن كثيراً من الناس هم عرضة لنوع من الكآبة التي تنتابهم في فصل الشتاء وتسمى "الاعتلال العاطفي الموسمي"(٣) وهي تنتج من ضعف النور. ويبدو أن نور المصباح الفلوري العادي لا يعادل إلا عشر قوة الضوء تحت شجرة في يوم مشمس. عندما يزيد حزانى الشتاء على أيامهم ساعتين أو ثلاث ساعات من الضوء الاصطناعي القوي، فإن مزاجهم ينقشع.

يقول الطبيب النفساني الباحث نورمان روزنتال: "إن الناس الذين يعانون كآبة الشتاء قد يفيدون من قضاء مزيد من الوقت خارج المنزل خلال أشهر الشتاء." إن تركيب نوع من الضوء الاصطناعي الذي يسمى "النور الفلوري ذا الطيف الكامل"(٤) ويستعمل في إنارة مخازن الاطعمة الصحية ومحلات بيع النباتات، قد يساعد ايضاً. الامر الاساسي هو أن تبقى محاطاً بمزيد من الضوء.

**إحلم.** من شأن النوم أن يغير مزاجاً عكراً بإزالة الارهاق. لكن النوم أيضاً يفسح لنا في المجال لنفيد من أقدم أشكال المعالجة العقلية: الاحلام. يعتقد كثير من الباحثين اليوم ان الاحلام، سواء أبقيت في الذاكرة أم لم تبقَ، تؤدي وظيفة معدّل للمزاج لكونها تساعد على امتصاص الاحداث الضاغطة.

تقول الطبيبة النفسانية روزاليند كارترايت مديرة قسم أبحاث اضطرابات النوم في مركز سانت لوك الطبي بشيكاغو: "أثناء النوم تحل الاحلام محل العمل البناء لحل المشاكل. اذا لم تكن المشكلة خطيرة، فيمكننا التخلص منها في ليلة واحدة. وفي هذه الحال نستيقظ بمزاج أفضل."

**فكر ايجابيا.** غالباً ما يشعر الناس بالكآبة عندما تكون أنماط تفكيرهم سلبية أو مشوهة. من المهم أن نقبل - ونتعلم - تغيير طرق التفكير الموهنة للعزيمة. تجنب انتقاد نفسك بقساوة. تقول العالمة النفسانية جودي ايدلسون من فيلادلفيا: "إن الامزجة السلبية غالباً ما تكون نتيجة طرق التفكير القاسية وغير الواقعية."

أظهرت دراسة أجريت في جامعة ايلينوي الشمالية على طلاب عانوا فترة وجيزة من القلق والكآبة، أن الذين حاولوا الخروج من مأزقهم بالاستخفاف به شعروا بالتحسن أخيراً أكثر من الذين واجهوا مأزقهم بالبكاء. تقول العالمة النفسانية سوزان لابوت: "يبدو أن البكاء يعطي نتيجة عكسية. أنظروا كيف أبكي، لا ريب في أني في ضيق شديد. هكذا يفكر الباكون."

أما ديبرا ستاينبرغ من معهد للمعالجة العاطفية العقلانية في نيويورك فترى "الرسالة على النحو الآتي: فكّر بإيجابية فتشعر بالسعادة على الارجح." وتضيف: "حاول أن تهتم بشخص آخر، فأنت بذلك لا تسعد ذلك الشخص فحسب، بل ترفع نفسك من وهدة مزاجك المدمر."

**كاثرين هوك** ■

(٣) Seasonal affective disorder

(٤) Full — spectrum fluorescent

# أخبار العلم

## الحمام يشمّ طريقه

تدل أبحاث أجريت في أوروبا أنه من المحتمل أن يكون الحمام الاليف يستخدم حاسة الشم ليعود الى عشه. ومن الاختبارات التي توحي هذه النتيجة ما يأتي:

□ ان الحمائم المحرومة حاسة الشم إما تخفق في العودة الى موطنها اذا أطلقت من مكان بعيد غير مألوف، وإما تنجح في ذلك ولكن بعد تأخر كبير.

□ الطيور المحبوسة في أقفاص محمية من الروائح التي تحملها الرياح تعجز عن تحديد اتجاهها الصحيح في بداية طيرانها. واذا عكست وجهة الريح في القفص بواسطة مروحة، فان معظم الحمائم تنطلق في غير اتجاه الموطن.

□ الحمائم المسموح لها بتنفس الهواء المصفى فقط خلال نقلها الى مكان الانطلاق غالباً ما ترتبك في اختيار الوجهة الصحيحة عند بدء طيرانها للعودة الى موطنها. كذلك يمكن غشها بطريقة منهجية فلا تعرف وجهتها الصحيحة اذا جعلناها تتنفس خلال رحلتها خارج موطنها هواء ملتقطاً من أمكنة أخرى.

غير أن البروفسور فلوريانو بابي من جامعة بيزا الايطالية، كذلك علماء آخرون ايطاليون وألمان مشتركون في هذه الاختبارات، لا يقترحون أن الشم هو الطريقة الوحيدة لاستهداء الحمام في أثناء طيرانه. فهو عنصر من عناصر عدة أهمها بالتأكيد الاستعانة بالشمس ورؤية علامات أرضية، ومن بينها ربما نوع من البوصلة المغنطيسية البيولوجية.

ومع ذلك تشير آخر الاختبارات الى أن الشم قد يكون مهماً حتى طوال مسافات مئات الكيلومترات.

صحيفة "صانداي تايمس"، لندن

## كهرباء من المطاط

تساوي عجلات سيارتك طاقة كهربائية لمدة أربعة أيام في بيتك. ففي مدينة مودستو بكاليفورنيا أنشىء أول معمل للطاقة في الولايات المتحدة يستخدم عجلات السيارات وقوداً. وهو يحرق ١٥ ألف عجلة مطاطية تالفة في اليوم ليؤمن الطاقة الكهربائية لـ١٥ ألف منزل.

ووفقاً لشركة "أكسفورد" للطاقة، صاحبة المشروع، تشكل العجلات وقوداً افضل وأنظف من الفحم الحجري، وهي ليست عرضة للنقص لان مالكي السيارات في الولايات المتحدة يرمون سنوياً ٢٠٠ مليون عجلة تالفة، فتشكل قذى للعين إذ تملأ مرامي النفايات وتوفر تربة خصبة لتوالد البعوض. ثم أن العجلات المهملة رخيصة أيضاً، فكل أربع عجلات مستعملة تكلف المصنع نحو ٢٨ سنتاً.

صحيفة "ساينس إمباكت"

# تائهان في أدغال أندونيسيا

## ضاع البريطانيان في دغل اندونيسي وانتصب أمامهما جرف عمودي هو الطريق الوحيد للنجاة

حرص المتسلقان البريطانيان الشابان على تفحص كل متمسّك وكل خطوة وهما يصعدان ببطء الجرف الكلسي شبه العمودي في أعالي جبل بينيجا في اندونيسيا. مع كل تحرك تفتتت قطع من الحجار وتساقطت على المنحدر السحيق المحجوب بالضباب الى غابة المطر في الاسفل.

بغتة صرخ بول: "أكاد أسقط" فهو أفلت متمسك يده فتفتت الحجر تحت قدميه وبدأ هو يتدحرج على الجبل. وفيما آشلي هايت يراقب بجزع، سقط رفيقه بول على نتوء يبعد قرابة مئة وثلاثين متراً تحته. واذ رمق آشلي الجسم الهامد تأكد له أن بول لن يبقى حياً بعد سقطته. صرخ مراراً: "بول! بول!" ولم يكن ثمة جواب.

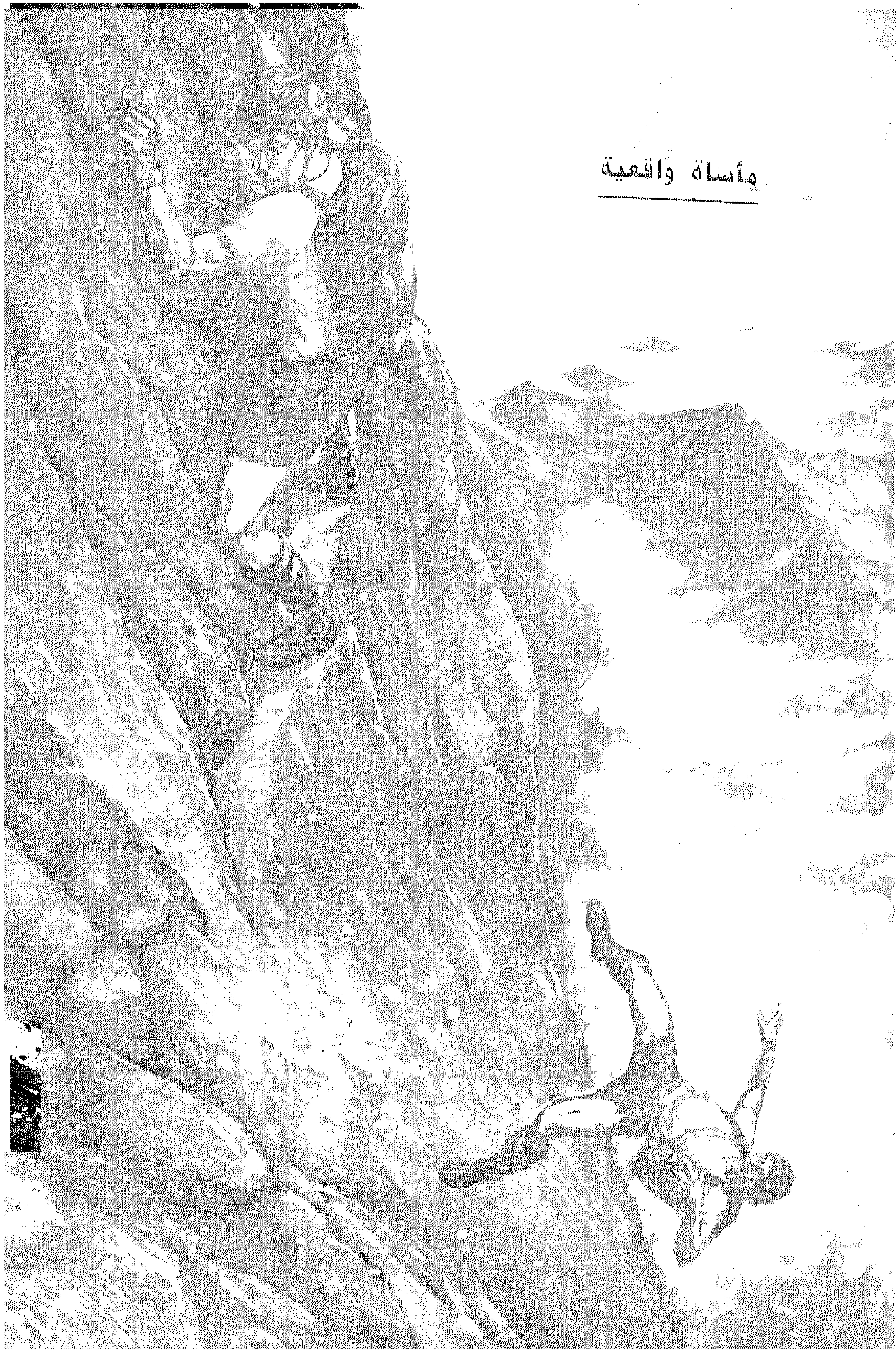
آشلي شاب في الثالثة والعشرين من عمره تخرّج حديثاً في دائرة العلوم الجغرافية بمدرسة لندن للاقتصاد. وكان في اندونيسيا في عداد أعضاء "مشروع رالي" البريطاني للمغامرات الذي جمع خلال السنوات الاربع الماضية قرابة ٣٥٠٠ فتى من ثلاثين دولة ليعملوا في مشاريع علمية ومجتمعية في أنحاء العالم.

في الاسابيع الخمسة التي قضاها آشلي في جزيرة سيرام ساعد في بناء مدرسة قروية وعلم القرويين استعمال المعدات الحديثة لقطع الاشجار. ثم التحق بالمخيم الفرعي الرابع لمشروع رالي على ارتفاع ٢٧٥٠ متراً في جبل بينيجا لينضم الى فريق يدرس الفراش. هناك التقى بول، وهو فيزيائي في الخامسة والعشرين من عمره، في اجازة من عمله في مؤسسة حكومية للتكنولوجيا ويعمل كمصور للفريق.

انطلق الشابان باكراً في ١٥ أغسطس

Illustration: Jody Eastman

## مأساة واقعية



(آب) ١٩٨٧ ليتسلقا جبل بينيجا بحيث يستطيع بول تصوير الجزيرة عند شروق الشمس من قمة ترتفع ٣٣٠٠ متر. وفي اثناء رجوعهما خلا طريقهما وسط الضباب الكثيف. ولكي يدركا اتجاههما قررا ان يرجعا الى فوق حيث كانت السماء صافية.

سرّتهما النزهة في البدء. كان كلاهما يرتدي قميصاً وسروالا قصيراً وينتعل حذاء خاصاً بالسير في الادغال، فراحا يتمشيان وسط الشجر الاستوائي فوق غابة المطر الخانقة. لكن الضباب الذي غطى الاودية في طريقهما المتعرج حجب ما أمامهما من أخطار.

تتبعا مجرى نهر جاف فوصلا الى أخدود أخذ ينحدر شيئاً فشيئاً حتى بلغ جرفاً عمودياً. وحين فطنا الى الخطر بدا لهما أن تسلق الواجهة الكلسية الغدارة اكثر أماناً من النزول.

ثم كان سقوط بول.

**سقطة وإغماء.** أدرك آشلي أن الطريقة الوحيدة لمساعدة بول كانت في متابعة التسلق. وبعد استراحة خمس عشرة دقيقة على نتوء أفاق من هول الصدمة وانطلق ثانية جاراً نفسه صعوداً مستعيناً بكل متمسك. وردد في نفسه: أرجوك يا رب، اجعل الصخر ضابطاً. وفجأة تفتت الصخر وانقلب الشاب متقوساً الى الوراء ومتدحرجاً على الجبل. قال في نفسه: سأموت أنا أيضاً، هذه هي الآخرة. ثم أغمي عليه.

عندما أفاق كان قميصه مضرجاً بالدم، وفي قفا رأسه جرح مفتوح، وفي جبهته جروح عميقة، وفي أنحاء جسمه تمزقات. وسد الدم أذنيه. واذ كان الدم متجمداً أدرك آشلي ان ساعات مضت منذ فقد وعيه. وكانت ساعته تحطمت اثر سقوطه. وحين تحرك حز الالم في صدره وبصق دماً. قد تكون احدى رئتيه مثقوبة.

حاول أن يقف، لكن الالم المبرّح في رسغيه أقعده ثانية. ومن خلال الرذاذ المتساقط استطاع أن يرى جسم بول مثنياً على النتوء الذي بات يعلوه بقرابة ثلاثين متراً، صرخ عالياً فلم يأته جواب. وكان مستحيلا أن يتسلق الصخرة العمودية الفاصلة بينهما.

تذكر آشلي من دروسه في الاسعاف الاولي حين كان كشافاً لمدة ثماني سنوات، أهمية حفظ حرارة الجسم. كانت حقيبته ما زالت على ظهره، لكن معظم محتوياتها تناثر أثناء سقوطه. زحف حواليه واستعاد بعض اللوازم وبينها ثياب وكيس نوم وكيس برتقالي بلاستيكي للطوارىء وعلبة بلاستيكية خاصة بالاسعاف الاولي، كانت فارغة. والطعام الوحيد الذي وجده كان اضمامة من الجوز والزبيب.

مشى متعثراً نحو كتلة من الشجر وسحب قميصاً نظيفاً وصدرة صوفية وسترة مانعة للماء، ولم يخلع حذاءه لانه علم أنه يحتاج اليه ليسعف رسغيه المهشمين. استراح على سروال قطني ونصب مصيدة لماء المطر بشق "كيس البقاء" الذي يبلغ طوله مترين وجعل شقيه طلحيّةً واحدة ربطها بأغصان شجرة آملا سقوط الماء منها الى علبة الاسعاف الاولي تحتها.

**"لقد تأخروا!"** لما كان آشلي لا يزال يعاني ارتجاجاً خفيفاً في الدماغ فانه غرق في النوم. وعندما استيقظ كانت السماء صافية. فشرب الماء المتجمع في علبة الاسعاف الاولي، وتروى في تحركه التالي. عرف أنه لن يدرك بول، فمن الافضل اذاً أن يصل الى حدود الشجر حيث يستطيع رجال الانقاذ اكتشافه من الجو.

انطلق ببطء صعوداً في الجبل، فزلت قدمه على صخرة صغيرة. انهار رسغه الايسر ورزح هو تحت ألم شديد. ولم تهدأ أمواج الالم الا بعد عشر دقائق. انطلق ثانية، ولكن بعدما قطع قرابة ٣٠٠ متر وقع في ألم أقعده عن السير. ربط مصيدة المطر وأغفى. ولما استيقظ شرب وتابع سيره صعوداً وهو في شبه غيبوبة. هيا يا آشلي، عليك أن تظل تتحرك.

بعد قرابة ٣٠٠ متر وصل الى حدود الشجر. اختار حافة صخرية بطول مترين، وكسر أغصاناً جعل منها فراشاً، ونصب مصيدة المطر، وجفف ثيابه في الشمس. أقبل الظلام، فارتدى ثيابه واستكنّ في كيس المنامة. وفكر: لقد تخلف هو وبول عن العودة الى مخيم مشروع رالي قبل هبوط الليل، فلا بد من أن يكون هناك أنذار بالخطر، وبالتأكيد ستكتشفه في اليوم التالي مروحية أو فرقة انقاذ.

في الصباح كانت علبة الاسعاف جافة. ولكي يروي ظمأه لحس الماء المتكثف عن الطلحية، ثم أكل بعض الزبيب. وكل ساعة كان يصرخ آملا تنبيه رجال الانقاذ المحتملين.

وبينما قمة الجبل تلتهب بنور الشمس كانت سحابة بيضاء كثيفة تغطي السفح.

وعلم آشلي أن العواصف تجبر المروحيات على لزوم القاعدة العسكرية في الجزيرة القريبة أمبون. وعندما هبط الظلام قال لنفسه انه أخطأ في توقع انقاذه في اليوم الاول. لا شك في أنه سيبقى هناك الى الغد.

**صرخة في الجبل.** يوم الثلثاء ١٨ أغسطس (آب) كان جهاز كامل للبحث والانقاذ في طريقه الى العمل، يقوده عضو رئيسي في مشروع رالي هو ستيفن أوليفر (٣٢ عاماً)، المدرب السابق على الهبوط بالمظلات وتسلق الصخور وقتال الادغال في البحرية البريطانية. هناك ثلاث فرق للبحث، كل منها مؤلف من ستة متطوعين محليين وخبير في تقفي الاغصان المكسورة والنباتات المهشمة التي تنم عن تحركات بشرية. ويرئس هذه الفرق أعضاء من مشروع رالي في اندونيسيا مدربون على تقنيات البحث والانقاذ.

لكنّ التضاريس الارضية التي كان عليهم أن يبحثوا فيها كانت صعبة جداً: دغل كثيف، حافات كلسية حدباء، منحدرات جبلية غدارة غير ثابتة الحجار.

الضباب والمطر المدرار جعلا التحرك على المنحدرات السفلى مستحيلا. وبعد جهد وصلت فرقتان الى مخيم رالي الرقم ٢ على ارتفاع ١٦٠٠ متر. وأكملت الفرقة الثالثة الى الامام لكنها لم تجد أي دليل على رجال مفقودين.

صباح الاربعاء وجد آشلي علبة الاسعاف الاولي جافة لليوم الثالث. وتضخم رسغه الايسر الى ثلاثة أضعاف حجمه الطبيعي،

وكان هو ينفث بلغماً. ربما في رئتيه التهاب.

تملكه الغضب واليأس. ربما لن تأتي المروحية أبداً. وربما لن يكون مطر مدة أسابيع. وغالب هذه المشاعر. فكر في صديقته جين في نيويورك، وفي شقيقتيه أماندا وساره، وفي والديه اللذين يديران مخيم كشافة ومرشدين في ايرلندا.

أجفل بفتة اذ سمع صراخاً. جمع قواه ورد، فاذا سكوت تام ثم صراخ أضعف. زعق مرة تلو أخرى لكن الصراخ كان يضعف تدريجاً، فتأكد له أن المنقذين لم يسمعوه. كان بعيداً جداً، وربما أضعف من أن يسمع. زعق للمرة الاخيرة بأعلى ما يستطيع، انما الجبل ظل هادئاً.

**وجه المنقذ.** عند هبوط الظلام يوم الاربعاء جعل ستيفن أوليفر قاعدة له مخيم رالي الرقم ٣ على علو ٢٢٠٠ متر. أما رجال الانقاذ فغطوا كل القسم العلوي من الجبل. وفي اليوم التالي تقرر أن يجري الفريق كشفاً أخيراً على علو ٢٦٠٠ متر ثم ينقسم ليسلك الاخاديد نحو قرية كانيكيه، وهو الاتجاه الذي قد يكون الرجلان أخذاه بحثاً عن الماء. أما أوليفر والطبيب ستيفن هيل (٣٠ عاماً) من يوركشاير فسيظلان في المخيم الرقم ٣ مع الادوية والثياب والبطانيات، في انتظار وأمل.

فجر الخميس نظر آشلي الى علبة الاسعاف الاولي، فرآها جافة تماماً. وانكمش جسمه نتيجة نضوب الماء منه. كم من الوقت يستطيع الاستمرار؟ حتى يأتوا يا آشلي، حتى يأتوا.

ظل يتطلع الى السماء الصافية باحثاً عن مروحية. لم يكن ثمة من صوت، لكنه أحس، كما كان يحس مراراً منذ وقوع الحادث، أن قدره كان في يد أمينة. كيف بقي حياً اذاً بعد سقوطه؟ من المؤكد أنه لن يهلك الآن.

أغفى ليستيقظ مجفلا. هنالك صراخ أقرب اليه من صراخ أمس. قفز فؤاده، وزعق بكل ما أعطي من قوة.

ظل يصرخ طوال عشرين دقيقة ارشاداً لرجال الانقاذ الذين شقوا طريقهم وسط نبات كثيف. واذا باندونيسي يظهر على ربوة قرابة سبعة وعشرين متراً دونه. حيّاه آشلي وطلب ماء. ومع أن الرجل لم يتكلم الانكليزية فانه تلمّس طريقه اليه وفي حزامه قنينة ماء. ثبّت آشلي القنينة على فمه وشرب. وشرب.

أوفد رسل الى المخيم الرقم ٣. وبعد أربع ساعات ظهر ستيفن أوليفر والطبيب هيل. وبينما أوليفر يغلي الشاي والطبيب ينظف جروح آشلي أخبرهما هذا عن بول. وثبت اعتقاده أن رفيقه لا يمكن أن يبقى حياً بعد سقوطه، فعندما فحص الدكتور هيل الجسم استنتج أن الوفاة كانت فجائية.

ولم تنته محنة آشلي. فبعد انقاذه بيوم هبت عاصفة. وعندما وصلت مروحية أخيراً تعذر هبوطها بسبب الغياب والرياح العاصفة. ومر يوم آخر قبل أن يهدأ الجو فيستطيع آشلي الانطلاق في رحلة يومين نزولا عن الجبل على محمل. وفي نهاية الرحلة هبطت مروحية وطارت به الى عيادة في جاكارتا عاصمة اندونيسيا.

ثبت للاطباء هناك أنه كسر رسغه الايسر وأصيب بكسور عظمية وتمزق في أوتار العضلات في رسغه الايمن. وقد كسرت أربع أضلاع في جنبه الايسر وواحدة في الايمن، وانهارت احدى رئتيه جزئياً.

بعد أربعة ايام طار آشلي هايت عائداً الى بريطانيا يرافقه طبيب. وبعد مرور خمسة أسابيع على اقامته في مستشفى ساسكس خرج في ٣ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٧، يوم عيد ميلاده الرابع والعشرين.

ويجهد آشلي الآن لاستعادة صحته ولياقته البدنية تماماً. وهو ظل نحو سنة يعرج على عكاز. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩ التحق بمغامرة أخرى لمشروع رالي في الكامرون. أما هدفه المستقبلي فهو أن يصبح ضابطاً لاصلاح الجانحين. ومن أجل الفتيان الذين قد يصبحون يوماً في رعايته فانه يسدي نصيحة من واقع الحياة: "مهما بدا الوضع يائساً، فلا تقطعوا الامل أبداً."

نيل روبرتس ■



## ساعتان للأُذن!

وصلت احدى زميلاتي يوماً الى المكتب وهي تكاد تطير فرحاً بهدية تلقتها في عيد مولدها: قرطين كبيرين مستديرين هما في الواقع ساعتان. فعرضتهما بفخر على الجميع. وفيما كانت تعمل دخل عليها زائر وسألها كم الساعة. فارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة ومشت الى الزائر وحدجته ببصرها وهزت رأسها لعله يلاحظ ساعتيها الجديدتين. فجحظت عينا الرجل وتمتم بالشكر وانصرف مسرعاً.

حينئذ انتبهت صديقتي الى أن قرطيها الجديدين ملقيان على منضدتها. فقد نزعتهما من أذنيها عندما كانت تتحدث على الهاتف.

ر.غ.

---

## حبل الكذب...

ذات صباح كان رئيسي يشرح لي أهمية البقاء على اتصال مع الزبائن. قال: "ما أحاول أن أفعله هو الاتصال بهم هاتفياً كل يومٍ أو يومين لاطلاعهم على احوال مشاريعهم. فالزبائنِ يقدرون لكَ تكريس بعض وقتك للاتصال بهم. وعندما يتصل بك الزبائن هاتفياً اعملْ كل ما في وسعك لاجلهم. فالنجاح يُختصر بأن تكون حيث يحتاج الناس اليك."

في تلك اللحظة رنّ جرس الهاتف، فكبس رئيسي زر الاتصالات الداخلية وقال لسكرتيرته: قولي لهم إني لست في المكتب."

ب.د.

# مبيعات هذه الشركة السويسرية الضخمة تفوق موازنة البلاد ونشاطاتها توفر فرص العمل والازدهار في أصقاع العالم

قد تظن وأنت تنظر الى الرفوف المكدسة في أي سوبر ماركت أنه لم تعد هناك أصناف طعام يمكن اختراعها.

لكن "نستله" لا تؤيد هذا الاعتقاد أبداً.

ان هذا الرمز الصناعي الضخم هو أكبر شركة لانتاج الغذاء في العالم. لقد نمت "نستله" على مدى ١٢٢ عاماً بفعل قدرتها على استنباط أنواع طعام جديدة يمكن بيعها، بدءاً بـ"طعام الحليب" للاطفال الذي صنعه هنري نستله للاطفال وأنزل الى الاسواق للمرة الاولى في فيفي بسويسرا عام ١٨٦٧. ان هذه الشركة الضخمة التي توظف ١٦٣ ألف شخص في أنحاء العالم تنتج ٣٠٠٠ صنف تباع في كل بلدان العالم. ان "نستله" هي الشركة التي صنعت قهوة سريعة الذوبان للمرة الاولى عام ١٩٣٨، وهي قهوة "نسكافه" العجيبة النجاح. وعلى رغم أن الشركة لم تخترع الشوكولاتة، فإن منتجاتها من هذه المادة جعلت اسم "نستله" مشهوراً. وفي العام ١٩٨٧ وحده أنتجت الشركة ٩٠٠ صنف جديد أو محسّن.

ان الدافع الدائم نحو الابتكار هو خطوة واحدة في السير السريع الذي لا تزال "نستله" محافظة عليه بقيادة مديرها التنفيذي الاعلى هيلموت موشر (٦١ عاماً) الذي تولى عام ١٩٨١ ادارة هذه المؤسسة المتعددة الجنسية. وهو وسع إمكانات "نستله" عام ١٩٨٥ بشرائه شركة "كارنيشن" التي تشغّل ٣٢ ألف موظف ومقرها في الولايات المتحدة، بثلاثة مليارات دولار. وكانت تلك أكبر عملية شراء لشركة غذائية حصلت الى ذلك الحين. وآخر ضربة موفقة حققها موشر هي شراء شركة "راونتري" البريطانية بمبلغ ٢،٥٥ مليار جنيه استرليني (٤،٦٥ مليارات دولار). تصنف "نستله" في المرتبة الثالثة والعشرين بين كبرى الشركات العالمية. وبلغت ايداعاتها المصرفية عام ١٩٨٧ سبعة مليارات فرنك سويسري (٤،٧ مليارات دولار، كما بلغت مبيعاتها تلك السنة ٣٥،٢ مليار فرنك (٢٤ مليار دولار).

# Nestlé

وبالمقارنة، كانت موازنة سويسرا الاتحادية في العام نفسه ٢٤،٢٣ مليار فرنك (١٦،٦ مليار دولار).

يقول موشر: "ان هدف الشركة هو أن تتصدر صناعة المواد الغذائية. وهذا يعني الصدارة في الدراسة والتطور. ويقتضي ذلك أن تنشط الشركة ليس في العالم الصناعي فقط، بل في العالم النامي أيضاً البالغ عدد سكانه أربعة مليارات نسمة." ان الدافع الى توفير طعام أكثر وفرص عمل أوفر للسكان الجائعين في البلدان الفقيرة يؤمن لشركة "نستله" أسواقاً جديدة، لكنها تكلفها غالياً. وتنفق الشركة ٨٠ مليون فرنك سويسري (٥٥ مليون دولار) سنويا على المساعدات الزراعية للبلدان النامية.

**مشاريع إنمائية.** في البنجاب بالهند دخلت "نستله" منطقة نامية من مقاطعة موغا حيث أنشأت مصنعا لمشتقات الحليب. كانت الابقار الحلوب التي تربيها العائلات هناك سيئة التغذية، وكان كثير منها مريضاً. وكان معظم المزارعين يحصلون على حاجتهم من الحليب من دون أن يفيض عنهم ما يبيعونه. قدمت "نستله" خدمات بيطرية مجانية، وزودت المزارعين أدوية بسعر الجملة، وزادت موارد المياه بحفر آبار جديدة مولتها بقروض بفائدة متدنية. فزاد انتاج العلف وارتفعت نسبة بقاء العجول حية من ٤٠ الى ٧٥ في المئة. ويشارك في مشروع موغا حالياً أكثر من ٣٥ ألف مزارع، بعدما كان العدد ٤٤٦٠. وهم يبيعون "نستله" مجتمعين ١١٧ ألف طن من الحليب سنوياً. وقد أبيدت أمراض الماشية، وساعد الازدهار الناتج من المصنع ومن مشاريع أخرى في ادخال الكهرباء والهاتف والتلفزيون ومعدات الزراعة والطرق المعبدة والسيارات والآليات الاخرى الى المنطقة.

في باناما عمدت "نستله" بمساعدة خبراء الجامعة المحلية، الى إنتاج تشكيلة جديدة من البندورة (الطماطم) المقاومة للجراثيم، بعد تهجين أصناف جيء بها من البيرو وغوادلوب وتايوان. فزاد الانتاج سبع مرات، اذ ارتفع من خمسة أطنان الى ٣٦ طناً في الهكتار الواحد. يقول جان لوستالو رئيس قسم الخدمات الزراعية في شركة "نستله" وهو مزارع سابق عمل في مشاريع زراعية عدة في ٥٢ بلداً: "يطلق المزارعون على هذه

البندورة اسم الذهب الاحمر. نحن نشتري البندورة لصنع العصير من ألف مزارع في باناما، وهناك ٨٠٠ مزارع آخرون على لائحة الانتظار يريدون تموينا بالبندورة. ان المزارعين يعيشون اليوم حياة أفضل، وبعضهم يجني أرباحاً طائلة تمكنه من بناء منازل جديدة".

ان السفر المستمر لخبراء "نستله" يساعدهم على التعرف الى حلول للمشاكل الزراعية يمكن نقلها من مكان الى آخر في العالم. يقول لوستنالو: "ينمو العشب الملكي(١) في جنوب افريقيا حتى في المناخ الشديد الجفاف. لقد جلبناه الى اندونيسيا وسري لانكا وباناما ونيكاراغوا وترينيداد. وهو يؤمن العلف للماشية في أيام الجفاف عندما لا ينبت شيء آخر".

**علاقات انسانية.** يمكن احداث تحسينات مربحة في البلدان المتقدمة أيضاً. ففي فرنسا، وهي ثاني كبرى أسواق "نستله" بعد الولايات المتحدة، يعمل لدى الشركة طاه شهير عالمياً هو ميشال جيرار، مشرفاً على أطعمة "فندو"(٢) المجلدة الشهيرة. يقول جيرار، وهو أول من أطلق "المطبخ الجديد": "لقد طورنا أطباقاً مجلدة، مثل موس السمك(٣) كانت تعتبر مستحيلة قبل عشر سنين. وهناك مزيد من الافكار الجديدة. ولكن قبل كل ذلك يجب أن تكون الاطباق لذيذة. فالانسان لا يستحق العذاب".

ان شخصية "نستله" محددة الى مدى بعيد بسويسريتها، ويشكل السويسريون ٤ في المئة فقط من لائحة الموظفين الضخمة. والى وقت قريب كانت جميع الاسهم المسجلة - التي تبلغ ثلثي رأس المال الاجمالي - وقفاً على مواطنين سويسريين. ومنذ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨ سمحت الشركة لمواطنين أجانب بالحصول على أسهم مسجلة، لكن عدد الاسهم المسموح بأن يملكه أي من المساهمين محدود بثلاثة في المئة من مجموع الاسهم المسجلة. ان هناك شعوراً سويسرياً محافظاً متأصلا في طريقة العمل والحساب وتقدير الاخطار ينفذ الى الادارة.

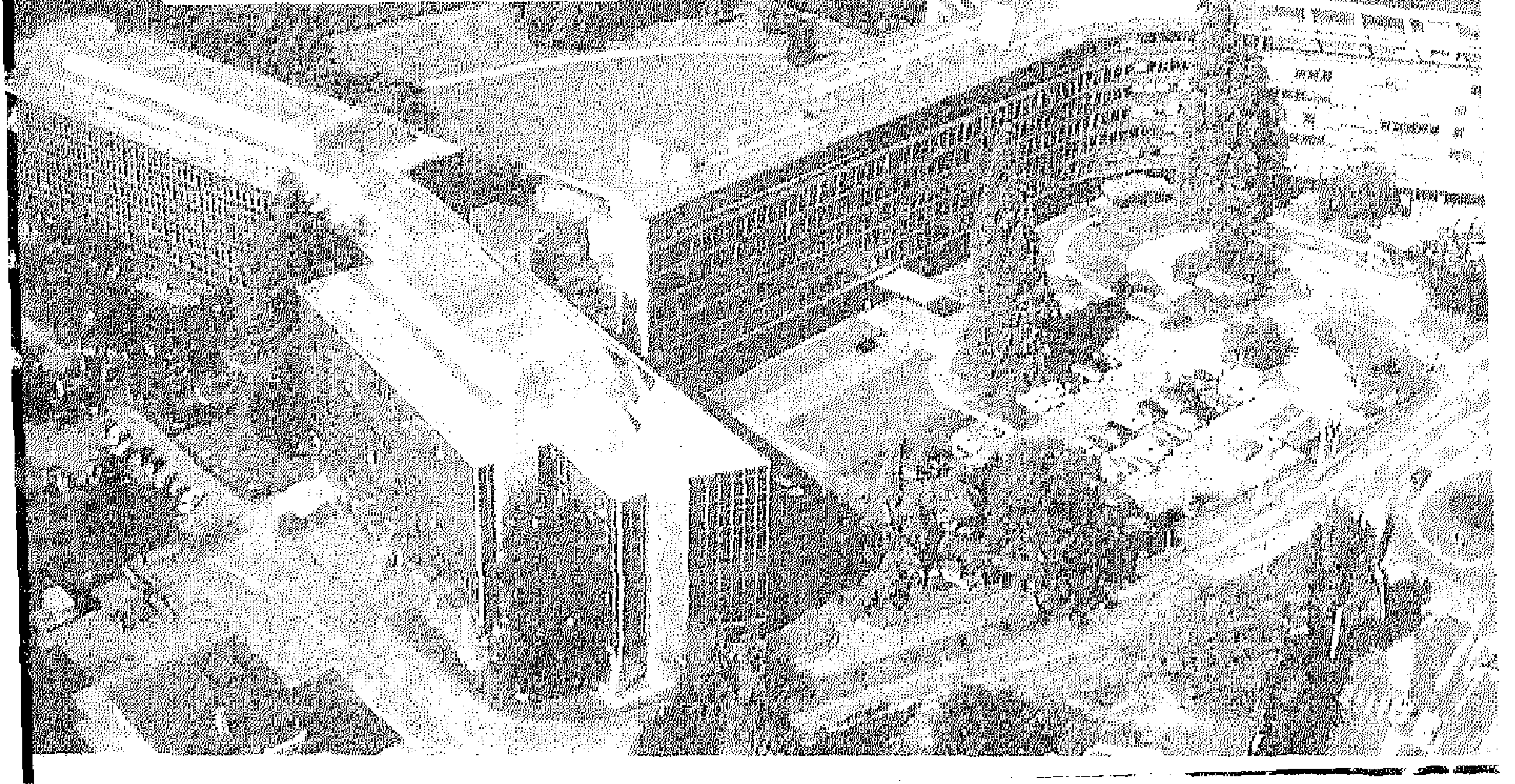
تشدد الشركة على اللامركزية، مع تشديد غير عادي على دور المديرين المحليين الذين يطلب منهم اتخاذ قراراتهم الخاصة. يقول موشر: "انني أولي الاشخاص أهمية أكثر مما أولي الانظمة". وكسائر أعضاء فريق الادارة، يقضي موشر أكثر من نصف أوقات عمله مسافراً الى مراكز الشركة في الخارج متفقداً المصانع ومتحدثاً الى الزبائن. أما أهم أعماله فهو اجتماعه بموظفي الشركة والاستماع الى آرائهم. يقول: "الافضل أن تنظر الى عيني الانسان لا الى ملفه".

**مقاطعة طويلة.** يعتبر بعض الشركات طريقة اهتمام "نستله" بالناس "تملكاً أبوياً." ولكن يظهر أن موظفي الشركة في فيفي يحبون ذلك، كثيرون منهم يسجلون أسماءهم في دليل الهاتف تحت بند

(١) King grass

(٢) Findus

(٣) Fish mousse




المقر العام لشركة "نستله" فيفي على ضفة بحيرة جنيف.
وفي أعلى اليسار هلموت موشر المدير العام التنفيذي.

"موظفي نستله". وعندما يعلن عن وظيفة خالية في الشركة تنهمر الطلبات كالسيول.

وعلى رغم هذا النجاح فليست "نستله" محصنة ضد المصاعب. وأخطر مشكلة واجهتها في الماضي القريب كانت مقاطعة طويلة بدأت في الولايات المتحدة عام ١٩٧٧ وانتشرت الى عشر دول صناعية. فالسلطات الصحية وفاعليات أخرى اتهمت "نستله" بأنها إذ روجت بيع حليب الاطفال في بلدان العالم الثالث، شجعت الامهات على الاقلاع عن ارضاع أطفالهن وعلى استعمال الحليب الاصطناعي في بلدان لا



Photos: © Nestlé S.A.

تتوافر فيها الشروط الصحية السليمة والمياه النظيفة، مما عرض صحة الاطفال للخطر. وفي العام ١٩٨٤، تحت تأثير الضغط المتزايد، عقدت الشركة اتفاقاً مع تحالف المقاطعين تعهدت بموجبه تنفيذ شروط منظمة الصحة العالمية في تسويقها بدائل حليب الام. وانتهت المقاطعة في العام ١٩٨٤، ولكن ورد في التهم الاخيرة التي وجهتها "حركة العمل من أجل مسؤولية مشتركة" أن "نستله" لم تفِ بوعودها وأن المقاطعة قد تعلن من جديد.

وتبين لاحقاً أن شركة "بيتش ـ نات للتغذية" وهي أميركية اشترتها "نستله" عام ١٩٧٩، باعت ملايين القوارير من عصير التفاح "المزور" وعليها ملصقات "نستله". وحوكمت الشركة عام ١٩٨٧ وغرمت مليوني دولار. وحكم على اثنين من مديريها التنفيذيين بالسجن سنة ويوماً.

"نسبريسو". إن منع مثل هذه المصائب هو أحد أهداف "نستله" في دراساتها الواسعة التي تتناول مواضيع الغذاء والصحة والسلامة العامة وتسعى الى احداث منتجات جديدة. وقد فتحت الشركة حديثاً مركز ابحاث رئيسياً بالقرب من لوزان في سويسرا. يقول بريان سوتر المدير العام لمشروع الابحاث والتطوير التكنولوجي في شركة "نستله"، ان هدف هذا المركز هو "أن يزيد فهمنا للتغذية وللعلاقة بين الطعام وسلامة المستهلك."

وتدير "نستله" ١٨ مركزاً للابحاث في أنحاء العالم، عملها الرئيسي ابتكار منتجات جديدة وتحسين الانواع الحالية. أكبر هذه المراكز هو "لينور" في أورب بسويسرا حيث يركز العمل على انتاج القهوة السريعة الذوبان ومستحضرات الحبوب ومشتقات الحليب والمعلبات.

يقول مدير "لينور" جان بيار بولدوار، وهو مسؤول أيضاً عن دراسات التعليب، ان منتجات "نستله" يمكن أن تتعرض دائماً للنسخ والتقليد، وان ابتكارات التغليف والتعليب يمكن أن توفر لهذه المنتجات "مناعة تقنية" ضد مزاحميها. ويضيف: "عندما قُلد التغليف المذهب لقهوة نسكافه ابتكرنا وعاء آخر ذا غطاء يفتح بسهولة ويصعب تقليده."

وصمم مركز "لينور" علبة سداسية الاضلاع لرقائق الحبوب المطلية بالشوكولاتة، مع غطاء مبتكر يمكن فتحه بسهولة متناهية. وقد تعرضت هذه العلبة لشكوى واحدة فقط. يقول بولدوار: "يخبرنا الناس أنهم يشترون هذه العلب السهلة الفتح فيجدونها شبه فارغة عندما يصلون الى منازلهم."

الرواج المتنامي للقهوة السريعة التحضير حض مهندسي الشركة في "لينور" على اختراع آلة ضاغطة سموها "نسبريسو"(٤) لتحضير هذه القهوة في البيت. تُستعمل في الآلة أكياس مختومة تحتوي على بن مطحون وتنفتح باندفاع المياه الساخنة عبرها في ضغط مرتفع. تقدم كل كبسولة فنجاناً واحداً، ولا حاجة الى تنظيف الآلة بعد الاستعمال. وقد أنزلت "نسبريسو" في أسواق اليابان وايطاليا وسويسرا.

(٤) Nespresso

وقت للتغيير. سجلت "نستله" انتصاراً آخر عام ١٩٨٧ في مجال الابحاث العلمية بابتكار حليب للاطفال لا يثير حساسية وقد استقبل هذا الحدث بترحاب أهالٍ كثيرين. فبعد سنوات من البحث وُجدت وسيلة لتحليل بعض البروتيينات في الحليب بواسطة خمائر (أنزيمات) طبيعية وجعلها غير مؤذية للاطفال ذوي الحساسية.

تبقى "نستله" متمشية مع مستجدات السوق، كالاقبال على حلوى الاصابع وشيوع أفران الموجة الدقيقة (ميكروويف)، فتنشر دراسات منظمة، كالتقرير الدوري "أورورا"(٥). وقد أعطى "أورورا" شركة "نستله" انذاراً مبكراً عندما تبين أن استهلاك القهوة سينخفض على نحو ملحوظ، وخصوصاً بين الشباب، إذا استمر انخفاض عدد الذين يتناولون طعام الفطور الى المائدة.

ويرى مدير الاتصالات البصرية في "نستله" ميشال رينارز انه نتيجة هذه الدراسة تبذل الشركة حالياً جهداً خاصاً بغية الاتصال بالشباب. كما تضاعف جهدها للبحث عن أصناف جديدة تعجبهم. ويضيف: "هذا وقت تغيير، والمخاطرة الكبرى تكمن في تجنب المخاطرة."

ان معركة التسابق لاحتلال مساحات أكبر على رفوف المخازن الكبرى والصغرى في العالم، طويلة لا تنتهي ولا تعرف الشفقة. ومهما تكن أهمية صنف ما فهو عرضة للابدال إذا برز متحدٍّ أكثر جاذبية. ان "نستله" تسعى على الدوام الى جعل المنتجات الجديدة المنافسة تحمل ملصقات "نستله".

جدسون غودنغ ■

(٥) Aurora



## مزارع حكيم

تشوق ابني الى العمل في مزرعة كانت قرب منزلنا. لكنه بعدما أمضى يوماً واحداً هناك اقتنع بأن ذلك العمل مضنٍ ومضجر وموحش. فسأل صاحب المزرعة إن كان يستطيع الإتيان بصديقين ليساعداه. فأجابه هذا: "كلا. عندما أستخدم صبياً أحصل على صبي. وعندما استخدم صبيين أحصل على نصف صبي. واستخدام ثلاثة صبيان يعني عدم الحصول على أحد."

ف.م.

---

## عسل الجدة... عالٍ

عقدنا لقاء عائلياً في الذكرى الثامنة والثمانين لمولد أمي. وقام على الخدمة الاحفاد والحفيدات وأبناؤهم. ودار الحديث على شهر العسل، فبدأت بناتي الثلاث يخبرننا عن رحلاتهن الى الخارج ويتوسعن في تفاصيل ما شاهدن.

ثم التفتت احداهن الى أمي وسألتها: "يا جدتي، الى أين ذهبتِ في شهر عسلك؟"

لم تتردد أمي لحظة. قالت: "الى الطبقة العليا."

د.أ.

# جوهرة باريس

لو درس ألكسندر غوستاف إيفل ما حل بالبرج الذي يحمل اسمه لتململ في قبره حنقاً. فالبرج الشامخ الذي بناه احياء لذكرى الثورة الفرنسية، وكان البناء الاعلى في العالم، وما زال رمز باريس المحبّب، أصبح في حال مزرية. فاللجنة الفنية الرفيعة المستوى التي شكلت عام ١٩٧٩ وجدت عوارضه الحديد ملتوية بفعل الثقل الزائد، ومصعده القديم الذي يصل الى القمة معطلا في معظم أيام السنة، وضمانات السلامة هزيلة، والصيانة سيئة، وخطر الانهيار الكامل ماثلاً في كل لحظة.

فما أبعد هذه الصورة القاتمة عن ذلك اليوم المجيد الرائع في ٣١ مارس (آذار) ١٨٨٩ حين احتفل المهندس إيفل باكمال بناء برجه ورفع علماً فرنسياً كبيراً عاليا فوق نهر السين.

كان في نية المهندسين في بريطانيا والولايات المتحدة بناء برج يعلو ٣٠٠

Photo: c Dallas & John Heaton / The Stock Shop



متر، فأخفقوا. لكن ألكسندر غوستاف إيفل الملقب "ساحر الحديد" قبل التحدي ونجح في اتمام بناء البرج في الموعد المحدد لافتتاح المعرض العالمي الكبير في باريس عام ١٨٨٩.

هذا البرج الهائل الذي يعلو ٣٠٠ متر والذي اتسم بناؤه بالجرأة والابداع، أحدث صدمة لدى كثيرين. فما ان بوشر البناء حتى عمد أربعون من الفرنسيين المشهود لهم بحسن الذوق، بينهم المؤلف الموسيقي تشارلز غونو والكاتب غي دو موباسان، الى توقيع عريضة احتجاج على "بناء هذا العمود البشع من قضبان

ينتصب برج إيفل في قلب العاصمة الفرنسية شاهداً على عظمة الفن الهندسي

Société
Nouvelle d'Exploitation
de la Tour Eiffel



غوستاف إيفل، "ساحر الحديد"، بقي مغموراً بالقياس الى شهرة برجه.

الحديد في قلب عاصمتنا الجميلة." وقال موباسان حانقاً في وقت لاحق انه ترك باريس بسبب "هذا الهرم المرتفع المزيل من السلالم الحديد."

لكن الجماهير أحبت البرج منذ اللحظة الاولى. فقد وفد نحو مليوني زائر لمشاهدته عام ١٨٨٩، بينهم ولي عهد بريطانيا وملك اليونان وشاه ايران وولي العهد المصري والارشيدوق فلاديمير من روسيا. وصعد المخترع الامريكي توماس إديسون الى أعلى البرج وأهدى الى ايفل فونوغرافاً واسطوانة مسجّلة لنشيد "المارسييز" الوطني الفرنسي.

وفي السنين التي تلت ظهر البرج في لوحات مشاهير رسامي القرن العشرين أمثال شاغال ودوفي وبيكاسو وأوتريلو وغيرهم. ومدحه شعراء امثال غيوم أبولينير الذي لقّبه "راعية الجسور" وجان كوكتو الذي اعتبره "ملكة باريس." ورأى المهندس المعماري الكبير لوكوربوزيه انه "ثمرة الحدس العلمي والايماني ووليد الجرأة والمثابرة."

**جبل في المدينة.** لقد عمَّرت "السيدة العظيمة" قرناً شهدت فيه أحداث المدينة، العظيمة والمُذلة. فأولى اشارات الراديو في فرنسا أرسلت من أعلاها في العشرينات. وحين قطع تشارلز لندبرغ المحيط الاطلسي في طائرته في ٢١ مايو (أيار) ١٩٢٧ استرشد في هبوطه "بأنوار برج ايفل التي كانت كعمود من الاضواء المنبعثة الى العلاء تتغير زواياها خلال



Photo: © Tony Stone Worldwide / Doug Armand

طيراني." وهو دار حول البرج تحية له قبل هبوطه في مطار لوبورجيه حيث لقي استقبال الابطال.

أثناء الاحتلال النازي لباريس عطّل العاملون في البرج المصاعد لكي يحرموا الاعداء رؤية باريس تحت أقدامهم. وكانت المغنية الشعبية ميستنغيث ترفع معنويات سكان باريس ليلياً بأغنيتها الشهيرة: "برج إيفل لا يزال هناك"(١). وعلم السكان بقرب تحرير مدينتهم في ٢٥ أغسطس (آب) ١٩٤٤ حين صعد اثنان من الباريسيين درجات السلالم التي يبلغ عددها ١٦٧١، متحدّين الرصاص المتطاير حولهما بين العوارض الحديد، ونصبا العلم الفرنسي المثلث الألوان في مكان العلم النازي.

وما زالت الجماهير تتوافد لمشاهدة البرج. وبلغ عدد الزائرين ٥٠ مليوناً عام ١٩٦٧، ومئة مليون عام ١٩٨٣.

ولكن مع تألق شهرة البرج بقي بانيه في الظلّ، مغموراً. وهو قال مرة: "يجدر بي أن أغار من البرج لانه يفوقني شهرة. لكني صنعت أشياء أخرى."

وهو أتى أشياء أخرى حقاً. فألكسندر – غوستاف بونيكهاوزن إيفل، البورغندي الحصيف الذي يتحدر أجداده من اقليم ايفل في منطقة الراين بألمانيا الغربية، كان في مصاف البنائين الأفذاذ في القرن التاسع عشر.

اعتمد ايفل طرقاً جديدة لاستخدام الحديد. فبنى جسوراً للسكك الحديد في أنحاء فرنسا وفي الهند الصينية (يوم كانت فرنسية) ومصر ورومانيا وأمريكا الجنوبية. والى ذلك اتسع وقته لبناء سدّ للمياه على نهر موسكفا في روسيا ومرصد في نيس على الريفييرا الفرنسية ومحطة للسكك الحديد في بودابست عاصمة المجر (هنغاريا). وحين صمّم النحات فريدريك أوغست بارتولدي تمثالاً جباراً من صفائح النحاس يبلغ ارتفاعه ٤٦ متراً وسماه "الحرية تنير العالم"، لجأ الى مهندس فرنسا الاول لصنع هيكله الحديد الداخلي. وهكذا اشترك إيفل في صنع "تمثال الحرية" المنتصب الآن في نيويورك.

**ورشة عمل.** تجلّت في البرج عبقرية ايفل في الهندسة المبدعة الدقيقة. وجاءت اللحظة الحاسمة بعد ١٤ شهراً من ارساء الاسس الحجرية قرب نهر السين. فقد كان عليه أن يربط الاعمدة الضخمة الاربعة المائلة بالمنصة الاولى على ارتفاع ٥٧ متراً عن الارض، بحزام حديد من الروافد المثلثة يمتد من عمود الى عمود. وتحوط الاعمدة مساحة من الارض تبلغ هكتاراً ونصف هكتار (١٥٦٢٥ متراً مربعاً). واذ كان القسم المتبقي من البرج سيرسو على الحزام، فقد تحتم أن يكون هذا أفقياً مسطحاً الى درجة الكمال في الدقّة. فلو انحرف الحزام مقدار شعرة على هذا الارتفاع لمال البناء على علو ٣٠٠ متر الى حد يهدد بكارثة. فكان الحل الذي ابتكره إيفل ايلاج رافعات هيدروليكية داخل كل من الاعمدة التي يزن واحدها ٤٤٠ طناً، مما يتيح له "دوزنة" زاوية العمود بدقة بالغة.

بعدما ركزت المنصة في موضعها

(١) La Tour Eiffel Est Toujours Là

اعتمد إيفل رافعات ونش "زاحفة" تتسلق البرج كلما زاد ارتفاعه، فترفع ١٥ ألفاً من العوارض الحديد المتبقية مع ٣،٥ مليون من مسامير التبشيم الى الامكنة المحددة لها. وكانت القطع الجاهزة التي بلغت دقة ثقوب مساميرها حدّ عُشر المليمتر، تصل من ورشة عمل إيفل في احدى ضواحي باريس بتنظيم موقت كالساعة. وما يبعث على الدهشة أن البرج شيد باستخدام ٢٥٠ عاملا طوال سنتين وشهرين بكلفة أقل ثلاثة في المئة من الموازنة المقررة والبالغة ثمانية ملايين فرنك فرنسي(٢).

نصّ العقد الأولي على هدم البرج بعد ٢٠ سنة. انما نظراً الى قيمته العلمية والعسكرية فقد أجيز ابقاؤه. واستمر قائماً قرناً كاملاً بفضل خفته المدهشة وخوائه الذي لا يتيح للريح أن تنال منه. فثقله الاصلي، من المعدن الذي يزن ٩٧٠٠ طن، يضغط على الاساسات بقوة لا تتجاوز ٤،٥ كيلوغرامات في السنتيمتر المربّع.

**مصاعد جديدة.** في العام ١٩٦٤ سجّلت وزارة الثقافة الفرنسية هذه التحفة الهندسية الرائعة نصباً تاريخياً. وفي ١٩٧٩، حين بلغ نبأ حاله المحزنة عمدة باريس جاك شيراك، تعهد أن يجدد البرج فلا يحين "عيد ميلاده" المئوي في ٣١ مارس (آذار) ١٩٨٩ الا ويكون ارتدى حلته القشيبة. فأنهى عقد الشركة التي كان البرج موكلاً اليها، وأنشأ شركة أخرى تكون لمدينة باريس حيازة معظم أسهمها. فباريس هي المالكة الشرعية



بدأ تجديد البرج في مارس (آذار) ١٩٨١ وسيكتمل قبل موعد الاحتفال بعيده المئوي.

للبرج. وحُدد عمل الشركة الوليدة بتجديد البرج.

أرصد للتجديد ٢١٣ مليون فرنك فرنسي. وبدأ العمل في مارس (آذار) ١٩٨١. وقضت الخطوة الاولى بازالة أرضية الاسمنت الثقيلة والزيادات الخطرة الاخرى في الطبقة الاولى. فأقيمت شبكات وقاية كبيرة حول البرج، وبدأ العمال بناء منصة موقتة أدنى مترين من الارضية. ثم عمدوا الى تفكيك الطبقة الاولى وعزلوا عنها الثقل الزائد وأعادوا تركيبها بمواد أقل ثقلًا. وأتاحت عملية

(٢) الفرنك الفرنسي اليوم يساوي نحو ١٥ سنتاً.

الترميم الكاملة انقاص ١٢٠٠ طن من الحديد، وأعيد ثقل البرج الى ٩٧٠٠ طن. وتمّ تقويم العوارض الحديد الملتوية تحت الارضية بواسطة رافعات قوية.

وحسنت ضمانات السلامة في البرج بتركيب أجهزة لكشف الحرائق واخمادها، ومنع تسرّب الغاز من المطابخ بتحويلها الى العمل بالكهرباء. وألغي المطعم القديم الفخم في الطبقة الثانية. وأبدلت السلّم اللولبية المتداعية الموصلة الى اعلى البرج، والتي يبلغ عدد درجاتها ٩١١، بسلمين مستقيمتين.

ثم تعينت معالجة مشكلة المصعد الهيدروليكي القديم الذي يصل الى القمة وينتفي استخدامه خلال فصل الشتاء خوفاً من تجمّد الماء، مما يضطر الى استخدام مصعد آخر من منتصف الطريق الى أعلى. وكانت شركة "أوتيس" الامريكية ركبت المصاعد الاصلية عام ١٨٨٩، فعمدت شركة "أوتيس" الفرنسية الى تركيب أربعة مصاعد وسط البرج لنقل الزائرين صعوداً في خط مستقيم الى القمة. وتعمل هذه المصاعد بواسطة محركات كهربائية بقوة ١٠٠ كيلواط، وهي كبرى المحركات في اوروبا. وتضبط المصاعد بواسطة دماغ الكتروني. وقد بلغت كلفتها ١١ مليون فرنك. فكانت النتيجة أن ازداد عدد زوار أعلى البرج من ٦٠٠ في الساعة الى ١٦٠٠، مما ساهم كثيراً في تقصير صفوف المنتظرين.

وبعدما تأمنت سبل الوقاية ووسائل الراحة في البرج، حوّل المسؤولون انتباههم الى مظهره الخارجي. فطوال السنوات المنصرمة كان ينار ليلا بأضواء موضعية كاشفة مركزة على الارض. لكن معظم الضوء كان يدخل، كالريح، من خلال العوارض العليا فتضيع فائدته.

وتفتق فكر بيار بيدو الاختصاصي بانارة قصور منطقة نهر اللوار، عن حل يقضي باضاءة البرج من الداخل. فركّز مصابيح صوديوم ذات ضغط مرتفع وقوة ألف واط في العوارض من قمة البرج الى قاعدته، متيحاً انتشار الضوء بالتساوي في جميع الاتجاهات. ويبدو البرج حالياً كجوهرة متلألئة.

**منظر خلاب.** حين زرت البرج قبل أشهر كان العمال يضعون اللمسات الأخيرة للاحتفال بعيده المئوي، وكأنهم يعملون بوصية إيفل. فكانوا يتسلقون العوارض لانهاء طلاء ٤٥ طناً من الدهان البنّي بلون الشوكولاته، وهو مزيج خاص قوامه الزيت، يطلى به البرج كل سبع سنوات منعاً للصدأ.

ركبت المصعد مع المهندس ميشال غينشار، أحد الموظفين الفنيين والاداريين الدائمين في البرج البالغ عددهم ١٢٠. وتوقفنا في الطبقة الاولى التي تبلغ مساحتها ٤٠٠٠ متر مربع، حيث أخذ غينشار يحصي موجودات البرج: متحف فيديو يعرض تاريخه، وحوانيت لبيع التذكارات، ومطاعم للوجبات الخفيفة، وغرفة مؤتمرات تدور أرضيتها فتتوارى الكراسي وتتحول الارضية حلبة للرقص. وهناك أيضاً مكتب بريد تطبع فيه المراسلات بطابع "برج إيفل، باريس".

ولدى وصولنا الى الطبقة الثانية التي تعلو ١١٥ متراً أجفلتُ حين طالعتني صورة طيفية لغوستاف ايفل واقفاً في وضع لامبالاة الى جانب احدى العوارض. قال لي غينشار: "انها واقعية، أليس كذلك؟ انها صورة ثلاثية الابعاد لتمثال إيفل." وفي الطبقة الثانية أيضاً المطعم الجديد الفخم الذي يدعى "جول فيرن"(٣). انه يضم أفضل الطهاة في باريس. وينتظر الزبائن شهراً أحياناً لتتاح لهم فرصة الاكل فيه على رغم أسعاره المتوافقة مع ارتفاعه.

في صعودنا الى القمة ركبنا مصعداً أصفر زاهياً تمتد نوافذه من الارض الى السقف فتتيح التمتع بمنظر خلاب لباريس وبزخرفة العوارض الحديد المتقاطعة الغريبة الجمال. صعدنا بسرعة ١٨٠ سنتيمترا في الثانية، ووصلنا براحة الى القمة حيث يمتد المنظر الى بعد ٨٠ كيلومتراً في الايام الصافية من منصة محكمة الاقفال. قال لنا فرانك سيفرز وهو سائح شاب من المانيا الغربية كان يتملّى من جمال المنظر: "لقد زرت باريس أربع مرات، وكل مرة كنت آتي الى هنا."

**مجازفون.** في أعلى البرج اكثر من ٥٠ هوائياً تستخدمها الشرطة ومراكز الاطفاء ومكتب الاحوال الجوية والتلفزيون الفرنسي وسواها. وهذه من الخدمات التي تكهن بها إيفل لبرجه. وخلال السنوات المئة التي انقضت من عمر البرج حدثت أمور مهمة فيه، لكن الناس يتذكرون بشوق رجال المجازفات الذين اجتذبهم البرج فأدوا فيه أشهر مخاطراتهم.

كان أحد هؤلاء الاوائل سيلفان دورنون، وهو خباز باريسي تسلّق عام ١٨٩١ الدرجات الـ٣٦٣ المؤدية الى الطبقة الاولى على طوّالتين (عكازتين) للرجلين. وجاء بعده بيار لابريك وهو كاتب رياضي نزل الادراج ذاتها على دراجة هوائية. وما لبث أن تفوق عليه مهرّج يدعى كوان - كوان نزل السلالم على دراجة أحادية (ذات عجلة واحدة). وتسلق آخرون البرج كما لو أنه "جبل ايفل"، وأخذوا يركضون بين العوارض فراراً من الشرطة. وفي يونيو (حزيران) ١٩٨٧ قفز النيوزيلندي ألان هاكيت من الطبقة الثانية وتوقّف على علو ٢،٥ متر من الارض، اذ كان ربط بقدميه حبلاً مطاطاً أخذ يشده صعوداً وهبوطاً مثل "اليويو" الى أن استقر على علو ٣٥ متراً معلقاً في الهواء، فأنزله أحد أصدقائه.

لكن الجمهور ستجتذبه احتفالات العيد المئوي التي ستقام هذه السنة، خصوصاً تلك المقررة لتاريخين مهمين: ٣١ مارس (آذار) حين كرِّس ايفل البرج و١٥ مايو (أيار) تاريخ افتتاحه للعموم. وسيعرض بعض هذه الاحداث على التلفاز في أنحاء العالم بواسطة الاقمار الاصطناعية.

والى الاحتفالات الرسمية سيكون البرج موقعاً لنشاطات عفوية يتوقع حدوثها في أحد أشهر المعالم في الارض.

وهذا ما كان ليثلج صدر غوستاف ايفل.

**جوزف هاريس**

(٣) تيمناً بالروائي الفرنسي جول فيرن صاحب القصص العلمية - الخيالية.

# أضواء من عالم الطب

## سن البلوغ

اذا تأخرت سنّ البلوغ أو استبقت وقتها الطبيعي بسنة واحدة أو أكثر فانها قد تحدث صدمة. (يجب أن تبدأ فترة وثبة النمو الناشط مباشرة بعد السن العاشرة للفتيات والثانية عشرة للصبيان). وقد يتسبب التوقيت غير الطبيعي في مشاكل طبية مثل النمو العاجل أو النمو المعاق.

ان الضابط الرئيسي لسن البلوغ هو الجزء البالغ الصغر من الدماغ الذي يسمى "هايبوتالاموس" أو ما تحت السرير البصري(١). ولأسباب مجهولة يبدأ الهايبوتالاموس انتاج هورمون «GnRH» لافراز منشط تناسلي(٢) في دفعات منتظمة، مما يدفع الغدة النخامية(٣) الى انتاج هورمونات أخرى توجه المبيضين والخصيتين نحو افراز هورمونات أنثوية وذكرية. وهذا الفيض الدقيق قد تفسده الامراض والاورام والاضطرابات الوراثية.

هناك بين ٣ و٥ في المئة من الصغار يواجهون بعض التأخير في سن البلوغ، وعدد مماثل يبدأه في وقت مبكر جداً. ومعظم الحالات غير ذات اهمية، ولكن اذا اقتضت المعالجة فهي متوافرة في المراكز الطبية الرئيسية.

خلال العقد الفائت تعلم الاطباء كيف يوقفون البلوغ المبكر بعقار من نوع هورمون «GnRH» ينحل ببطء في الجسم موازناً الدفعات التي يطلقها الدماغ. أما الاولاد الذين يتأخر وقت بلوغهم فتمكن مساعدتهم بتناول جرعات من نوع آخر يحدث تقلبات سريعة في مستويات «GnRH».

صحيفة "نيويورك تايمس"

## مبضع صوتي!

يستخدم بعض الجراحين الموجات الصوتية بدلا من المباضع لاستئصال أورام الكبد الخبيثة، مما يجعل هذه الجراحة الخطرة أكثر أماناً. فاستئصال الاورام في الماضي غالباً ما انطوى على قطع الأوعية الدموية المجاورة والقنوات الصفراوية وتعاظم خطر النزف والعدوى. والمسبار الفوق - الصوتي(★) الذي يبلغ ثمنه ٣٠ ألف دولار يستخدم الموجات الصوتية لتحطيم خلايا الاورام التي تحتوي على نسبة عالية من الماء. أما جدران الاوعية الدموية والقنوات الصفراوية الخالية من الماء فلا تُمس. وقبل مدة قصيرة كان السرطان الذي يمتد من القولون الى الكبد قاتلا في معظم الاحيان. والآن يقول الدكتور جون دالي، أستاذ الجراحة في مستشفى جامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا، ان بعض هؤلاء المرضى قد يحظون بـ ٣٠ في المئة من الحظ في البقاء أحياء بعد خمس سنوات من اجراء الجراحة الجديدة.

صحيفة "واشنطن تايمس"

(١) Hypothalamus

(٢) Gonadotropin — releasing hormone

(٣) Pituitary gland

(★) Ultrasonic probe

## عقاقير جديدة للضغط

بعد مرور سنوات على وصف عقاقير مدرّة للبول (حبوب ماء) كخطوة أولى في المعالجة لخفض ضغط الدم، يتحول الاطباء الآن الى أدوية يعتقدون أنها اكثر ملاءمة لبعض المرضى. وقد تبين أن أحد هذه الادوية، مُحصر "بيتا"(١) يخفض خطر الوفاة بالنوبة القلبية.

في دراسة نشرتها مجلة "جمعية الطب الامريكية"، أجرت مجموعة من الباحثين الاسوجيين (السويديين) مقارنة لمرضى يتعاطون مُحصر "بيتا" وآخرين يتعاطون مدرات البول. فتبين أن مُحصرات "بيتا" تخفض ضغط الدم من جراء كبح افراز هورمون يضيّق الاوعية الدموية، وبابطاء سرعة نبض القلب. وتبين أن مجمل الوفيات بالنوبات القلبية والسكتات الدماغية كان أدنى بكثير لدى الذين يتناولون محصرات "بيتا" منه لدى أولئك الذين يتناولون مدرّات البول.

وقد عمدت "اللجنة الامريكية الوطنية المشتركة لاكتشاف حالات ضغط الدم المرتفع وتقويمها ومعالجتها" الى التوصية باعتماد محصرات "بيتا" كمعالجة أولية لارتفاع ضغط الدم منذ العام ١٩٨٤. وكانت المدرّات توصف كخطوة أولى سابقاً. وأعلنت اللجنة حديثاً أن هناك صنفين من الادوية الجديدة يمكن اعتبارهما معالجة أولية: محصرات الكلسيوم القنوية(٢) وكوابح «ACE» (٣) وكلاهما يعمل بتوسيع الاوعية الدموية.

لكن كلفة الادوية الجديدة عالية جداً بالمقارنة مع المدرات، كما يقول الدكتور مارفن موزير، الاستاذ العيادي في كلية الطب بجامعة ييل في نيوهافن بولاية كونيتيكت وأحد أعضاء اللجنة.

صحيفة "نيويورك تايمس"

## ادمان النيكوتين

لماذا يستمر الناس في التدخين على رغم رغبتهم في الاقلاع عنه ومعرفتهم بخطره على الصحة؟ ذلك لان النيكوتين يبعث على الادمان بالطريقة ذاتها كالهيرويين والكوكايين. فكل المخدرات التي تسبب الادمان تجعل تناولها الزامياً وتغير من طباع مدمنيها وتقوّي الرغبة في الاستزادة من تعاطيها.

أما النيكوتين فان مقاييسه تنطبق على مقاييس أخرى للادمان: تستمر الرغبة الملحة في تعاطيه على رغم معرفة نتائجه الجسدية والنفسانية والاجتماعية. وشهية المدمن لتناول المزيد منه تتفاقم مع الوقت. ومؤشرات النكوص والانتكاس(★) تظهر بعد التوقف عن تناوله. وتستند هذه الاستنتاجات الى تقارير ٥٠ عالماً في أنحاء العالم اطلعوا على أكثر من ٢٠٠٠ مقالة علمية تختص بالتدخين. ومع ذلك فان المدخنين قادرون على الاقلاع عن التدخين، اذ ان ٤٠ مليوناً في الولايات المتحدة وحدها فعلوا ذلك.

الدكتور افريت كوب

---

(١) Beta blocker

(٢) Calcium channel blockers

(٣) Angiotensin — converting enzyme inhibitors

(★) Withdrawal symptoms and relapses

شاهد الصحافيان
من طائرتهما المروحية
سيارة تقذف شرطياً
في الهواء. فقررا ملاحقة
القاتل المهووس

# طوّافة "تصطاد" مجرما

قبيل ظهر يوم ٩ فبراير (شباط) ١٩٨٨ خطا شاب الى مكتب تعاونية للتسليف في دنفر بولاية كولورادو. وضع حقيبة على المنضدة ثم فتح سترته الجلدية كاشفاً عن مسدس كبير.

سمعت أمينة الصندوق تامي ديفيس (١٨ عاماً) نبرة الوعيد في صوته اذ أمرها بتسليمه النقود كلها. المكان خال من الزبائن، وثمة ثلاثة موظفين حاضرون. ديفيس وحدها على علم بما يحدث. وعندما وضعت المال في محفظة اللص تفرست فيه: شاب ناحل القوام، شعر مصبوغ، أسنان متآكلة، قبعة ذات حافة، نظارتان شمسيتان، سروال رمادي مضلع وجزمة كاوبوي.

اسم اللص فيليب هاتشنسون. وهو صاحب سجل اجرامي حافل ولما يجاوز

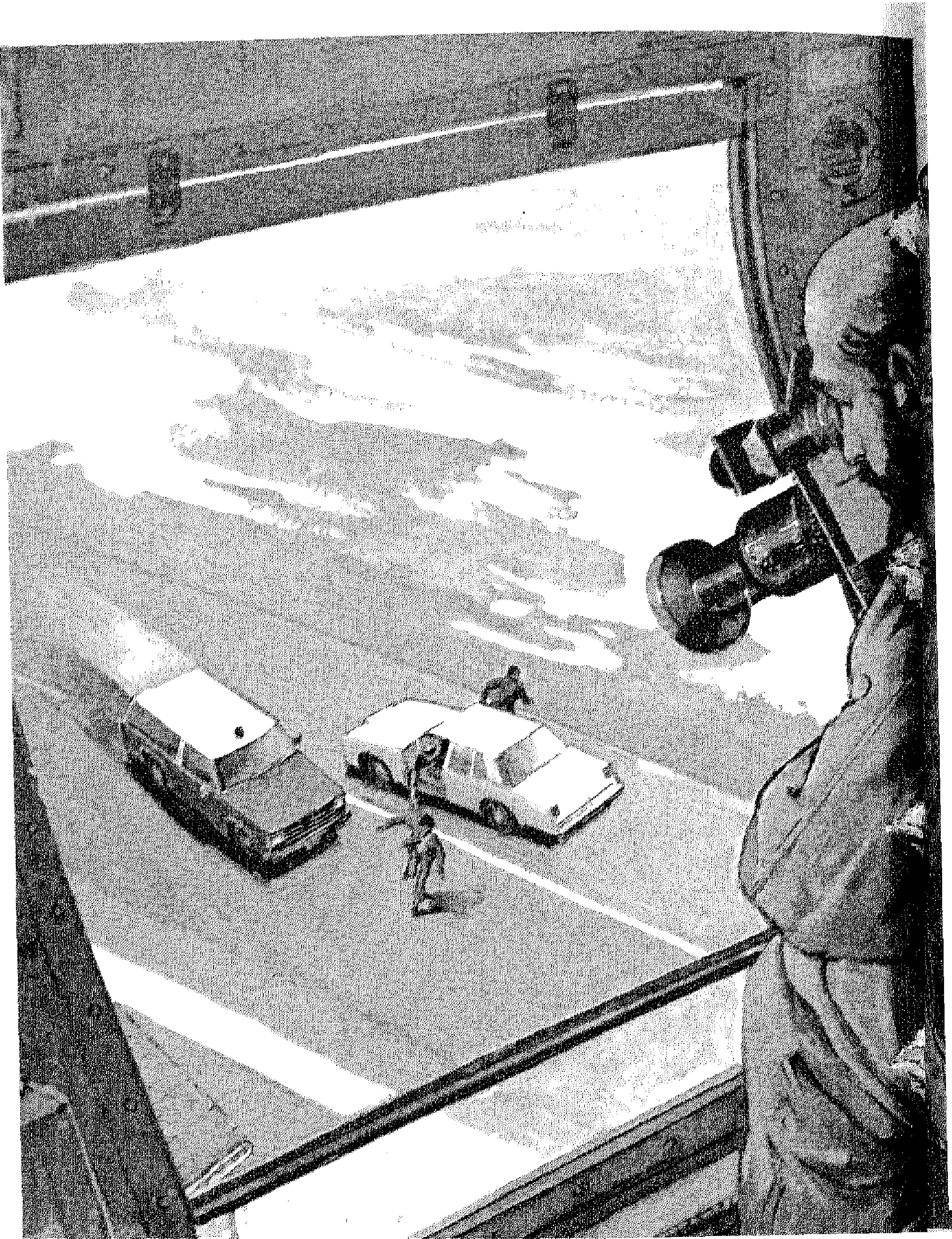


Illustration: Christopher Magadini

الرابعة والعشرين: خطف وتزوير وسلب بقوة السلاح وسرقة سيارات. بدأت فورة اجرامه في أوستن بولاية تكساس عام ١٩٨٣ حين خطف فتى في الثالثة عشرة من عمره وحجزه في صندوق وراءه تحت أغصان شجرة، وطالب أهله بفدية مقدارها ٥٠ ألف دولار. لكن الفتى تمكن من الافلات، وقبض على هاتشنسون وحكم عليه بالسجن ٣٥ عاماً.

في غضون سنة واحدة فرّ هاتشنسون من سجنه وشرع يسلب المصارف. قبض عليه ثانية في ١٩٨٥ وحكم عليه بالسجن مدى الحياة في حبس تسوده اجراءات أمنية مشددة. لكنه هرب عام ١٩٨٧ مهشماً بوابة السجن بسيارة أدارها من دون مفتاح متخطيا حاجز الاسلاك المكهربة. بعد ذلك سلب صندوق مصرف. ثم غادر ولاية تكساس متجها صوب كولورادو.

**ملاحقة هوجاء.** بقيت ديفيس رابطة الجأش ظاهراً حتى انسل اللص خارج الباب. اذذاك أخبرت المشرف عليها بحادث السلب، فاتصل هذا بالشرطة هاتفيا. وراقب الاثنان اللص هارباً في الشارع في سيارة "شفروليه" بنية وبيضاء. وبعد دقائق كان رجال الشرطة يتعقبونه.

واتفق أن طوافة لاحدى محطات التلفزة كانت تحلق فوق المكان يقودها الطيار مايك سيلفا وبصحبته المصور جيم ستير، وهما في مهمة لتصوير بناء احدى الجادات لبثها تلفزيونياً ذلك المساء.

كان سيلفا (٣٧ عاماً) يقود الطوافات منذ ١٩٧٠ حين كان ينفذ مهمات استطلاع ليلية في فيتنام. وخلال ١١٠٠ ساعة من الطيران القتالي حاز وسام البسالة البرونزي وخمساً وعشرين ميدالية جوية ووساماً مميزاً لانقاذه جنوداً أمريكيين من قاعدة أغير عليها في الادغال.

لدى عودة سيلفا الى الحياة المدنية غدا شرطياً في دنفر. وساهم هناك في تأسيس شعبة طوافات ملحقة بدائرة الشريف(★) في مقاطعة أدامس. وبعد عشر سنين أمضاها في سلك الشرطة ترك منصبه الى وظيفة طيار في شركة خدمات عامة، عاملا على فحص أسلاك التوتر العالي. والتحق في نهاية المطاف بفريق الاخبار التلفزيوني.

أما ستير فلم يكن طارئاً على المهنة، اذ ان بسالته أدت به الى تصوير مئات الاشرطة التي لا تنسى عن الاعاصير والانهيالات الثلجية ومطاردات الشرطة للمجرمين.

سمع الرجلان صوت المحرر موزع المهمات ملحاحاً عبر سماعات الرأس: "ثمة مطاردة في تقاطع الشارع الخامس والخمسين وجادة لويل. تدبرا أمركما إذا أمكنكما التوجه الى هناك وتصوير الحادث."

وجه سيلفا الطوافة الى حيث مسرح العملية. وفيما هما يدونان لاحظ ستير سيارة الشفروليه المشبوهة تنهب الارض في الاتجاه المعاكس لحركة السير. صاح بأعلى صوته، فعطف سيلفا الطوافة.

(★) الشريف هو المسؤول عن الامن في البلدات الامريكية.

راقب ستير السيارة زائغة في الاحياء السكنية بسرعة مئة كيلومتر في الساعة، متجاوزة اشارات الوقوف ومتعرجة في جنون وهي تراوغ حركة السير المعاكسة. أسرّ في نفسه: هذا الرجل مجنون. وشاهد سيارات الشرطة تتلاقى من جميع الجهات ضمن دائرة يبلغ شعاعها خمسة كيلومترات. كانت أهوج ملاحقة رأتها عيناه.

وفيما سيلفا يناور ليساعد ستير في ابقاء آلة التصوير مصوبة، ضبط جهاز اللاسلكي على ذبذبة محطة الشرطة مصغياً الى كلام رجال الشرطة تحته. غير أنه لم يتمكن من برمجة ستة أرقام داخل جهاز الارسال للبث الى الشرطة كي تسمعه. ووسط ريح عاصفة ومع القيادة الجنونية للطريد، اضطر سيلفا الى استعمال كلتا يديه للطيران. وأملا منه في استعمال طوافته منارة جوية للشرطة، حاول أن يبقيها محومة فوق السيارة المسروقة مباشرة.

**مقتل شرطي.** فيما ستير يصور المشهد اذ بسيارتي شرطة تسرعان الى الشفروليه في محاولة لقطع الطريق عليها. زاد اللص سرعته متجها نحوهما مباشرة. وبغية اجتناب الاصطدام حادت السيارتان في اللحظة الاخيرة، فتجاوزهما الطريد هادراً.

انعطفت الشفروليه شمالا صوب الطريق العامة الرقم ٧٠. وفي الآونة عينها انطلقت سيارة شرطة من دون اشارة جنوباً، حاول هاتشنسون اعتماد أسلوب الصدم المباشر مرة أخرى، ولكن هذه المرة توقفت سيارة الشرطة وقفز منها راكباها كل من جانب.

سائقها التحري روبرت واليس (٥١ عاماً) المتمرس في الخدمة طوال ٢٠ عاماً لم يسعفه الحظ. فقد ضربته الشفروليه المسرعة. تطوح الشرطي ٤٠ متراً في الجو وقتل من فوره.

لم يصدق رائدا الطوافة ما رأياه. مصابيح كوابح الشفروليه لم تومض. بل زاد سائقها سرعته. لم ير سيلفا قط قسوة كهذه. وعندما توقفت سيارات الشرطة لمساعدة واليس لاذ هاتشنسون بالفرار.

قال سيلفا: "يا جيم، هذا الرجل من نصيبي. وان اقتضى الأمر فسأنقض عليه."

ـ وأنا معك يا مايك.

وتحول الرجلان من مخبرين الى صيادين.

عبرت الشفروليه حدود المدينة الى مقاطعة أدامس. وكان سيلفا جال في تلك المنطقة حين كان شرطياً، وهو يعرف أن الطريق تفضي الى تقاطع. قال محدثا نفسه: لا يمكن أن ينعطف بسرعته تلك. وترصّد السيارة التي ما لبثت أن انعطفت مصطدمة بشجرة.

وثب السائق المذهول خارجاً وشرع يركض. تبعه سيلفا كدبّور لجوج، مرتفعاً بطوافته عندما يظهر القاتل ومنخفضا عندما يبلغ ملجأ ما.

جهد هاتشنسون في التملص من الطوافة، فتسلق السياجات وعبر الساحات الخلفية منسلا في الوحل ومنزلقاً على الثلج. وفي نهاية الامر عدا



صوب موقف للسيارات فيما كان سائقان ينطلقان بسيارتيهما.

حاول أن يشير ملوحاً بمسدسه لايقاف السيارة الأولى، لكن سائقها زاد من سرعتها وأركن الى الفرار. هجم المسلح في اتجاه السيارة الاخرى التي تقودها ماري آن باربر (٣١ عاماً) وجذب الباب الخلفي وأقحم مسدسه داخلها لانتزاع ديفون، الرضيع البالغ ١٤ شهراً والموثق الى المقعد الخاص بالاطفال.

راغت باربر وضغطت دوّاسة الوقود فجأة، فوثبت السيارة الى الأمام طارحة المسلح جانباً. وأطبقت باربر الباب لدى انطلاقها. أطلق المعتدي النار على السيارة مهتاجاً، فأصاب حاجز الاصطدام الخلفي وانطلقت باربر من دون أن تصاب.

شاهد راكبا الطوافة فوهة المسدس وامضة وأدركا أن شيئاً لن يثني القاتل عن مراده. فلم يفاجئهما اذ سدد اليهما سلاحه. تجاهل سيلفا تهديده وهبط بالطوافة. عندئذ فر اللص مذعوراً عبر ركام التراب والحجار واجتاز أجمة ثم جدولاً. ثم دخل موقفاً للمقطورات.

**تحت رحمة مسدس.** كان جون لورينتي، جامع القمامة المتقاعد، خارج بيته النقال مع ابنته المعاقة بيغي ماري (٣١ عاماً) فباغته القاتل ونخس بطنه بالمسدس وأومأ الى شاحنة لورينتي مهدداً: "سأقتلك إن لم تخرجني من هنا. هيا أدر المحرك."

أدرك لورينتي (٧٣ عاماً) الأرمل



المصاب بداءي السكري والقلب والمحارب السابق في الحرب العالمية الثانية، أن لا مزاح في الأمر. تفكر وهو ينسل في عربة النقل: انها القاضية يا جون. لا أظنك ستعيش الى غد.

قال هاتشنسون آمراً: "قد العربة ببطء. ولا تستلفت الانتباه. وامضِ بي بعيداً عن تلك الطوافة اللعينة."

خابت آمال راكبي الطوافة، اذ ليست ثمة وسيلة مباشرة للاتصال بالشرطة وابلاغها أن المتهم هو داخل الشاحنة الخضراء. واذا ما وصلت الشاحنة الى الطريق العامة المكتظة فستدور مطاردة محمومة أخرى ويعقبها قتلى جدد.

أدركت الشرطة أن المخبرين يتعقبان القاتل، واتجهت أربع سيارات شرطة بأنوارها الوامضة صوب موقف المقطورات للحاق بالطوافة. واذ رآهما هاتشنسون ربض تحت واجهة الشاحنة مصوباً المسدس الى لورينتي.

دمدم المجرم مغضباً: "لا تتوقف الآن. ستموت ان فعلت."

مرت بهما الشرطة فلم تلمح سوى رجل مسن يسوق ببطء شاحنة بالية. فتح ستير نافذة الطوافة بيأس صائحاً ومشيراً الى الشاحنة. لكن رجال الشرطة لم يروه.

"ألقِ سلاحك!" بقيت عشر ثوان ينصرف فيها سيلفا قبل بلوغ الشاحنة الطريق العامة. انقض نحو حقل في موازاة الطريق محاولا جذب أنظار الشرطة. واذ عاق سبيل الطوافة خط كهربائي ذو توتر عال، حومت فوق عشرة امتار من الشاحنة. نجحت المحاولة وانكفأت سيارات الشرطة في اتجاه الشاحنة.

لكن الشاحنة غدت على مرمى حجر من الطريق العامة. وعاد القاتل الى وضعه السابق جالساً في مقعده. لمح سيلفا بصيص ماسورة المسدس مضغوطة على صدغ العجوز. صرخ في رفيقه أن عليهما ايقاف الشاحنة بأنفسهما.

حلق سيلفا بالطوافة تحت خط كهرباء بقوة ٢٣٠ ألف فولط مدركاً ان هناك ٢٠ متراً من الخواء بين الارض والاسلاك. أي غلطة يرتكبها ستجعل الطوافة تحترق كطعام في مقلاة. تعرج بسرعة حول الاعمدة الكهربائية المعدنية وطار أمام

الشاحنة مباشرة. المزلقة اليمنى للطوافة على ارتفاع بضعة سنتيمترات فقط فوق صندوق الشاحنة.

حار لورينتي في امره. داس الكابح فتوقفت الشاحنة. احتد القاتل لعمله وخيَّره اما أن يُقتل وإما أن يدير محرك الشاحنة ويصدم الطوافة.

أجابه لورينتي: "هيا، أطلق النار علي، فأنا لن أصدم الطوافة."

رأى سيلفا القاتل محولا المسدس عن رأس لورينتي ويضغط فوهته على حاجب الريح مسدداً نحو سيلفا مباشرة.

نفذ الطيار، بوحي من فطرته، مناورة "احجام وانحراف" كان تعلمها في فيتنام، منزوياً في مقعده ومديراً الطوافة قليلا ليفسد على المسلح مسعاه.

وفي لحظة قبل أن يضغط هاتشنسون الزناد، عمدت سيارة شرطة الى دفع الشاحنة من جانبها، فأبعدتها متراً أو نحوه.

حط سيلفا بطوافته ووثب منها.

وعدا ستير بأقصى سرعته ليصور عملية القبض على المجرم. سمع صياح الشرطة: "قف بلا حراك، وألقِ سلاحك."

داخل الشاحنة، أمسك هاتشنسون بعنق لورينتي وحشر المسدس في رأسه. أطلق رجال الشرطة ثمانية انذارات تحض القاتل على الاستسلام. وفي اللحظة الفاصلة، حين أزاح هاتشنسون مسدسه عن رأس لورينتي مصوباً اياه الى اقرب رجل شرطة، أُطلقت النار من خمسة مسدسات واستقرت ١٥ رصاصة منها في جسد الجاني.

سمع لورينتي الرصاصات تضرب هدفها مكسرة الزجاج حوله. وشعر بيد المجرم ترتخي. ثم خرّ هاتشنسون صريعاً.

سحب لورينتي من الساحة مشدوهاً، ولكنه من دون أي خدش. وعثر رجال الشرطة على مقعد المجرم على مسدس "ماغنوم روغر ٣٥٧،٠" جاهز للاطلاق.

* * *

كان الشريط المصوّر الذي التقطه جيم ستير ومدته ٤٢ دقيقة بمثابة دليل مفصل على غرار الافلام التي تنتجها هوليوود. وثمة اكثر من ٢٠٠ قسم للشرطة في أرجاء الولايات المتحدة تعرض هذا الشريط على رجالها بياناً للوسائل اليائسة التي يتبعها المجرم الخطر.

ومنح ستير عدة جوائز لبسالته. كما تلقى مايك سيلفا نحو ٢٠ جائزة مدنية وعسكرية (باعتباره عضواً في "الحرس الوطني" بولاية كولورادو) جزاء دوره في المطاردة.

وأثنت أجهزة الامن على دور لورينتي. ودعاه عمدة مدينة دنفر "البطل المغمور الذي جازف بحياته." وكان لورينتي يعتاش من ٤١٥ دولاراً في الشهر من الضمان الاجتماعي ومساعدات رابطة المحاربين القدامى. أما الآن فقد انهمرت عليه المساعدات والتبرعات فأعانته على دفع فواتير تمريض ابنته. كما عوّض أحد تجار السيارات شاحنته المنخورة بأخرى جديدة.

وبكلام إرستيدس زافاراس رئيس قسم الشرطة في دنفر موجزاً بسالة الرجال الثلاثة: "لقد أنقذونا مما عكّر صفو نهارنا."

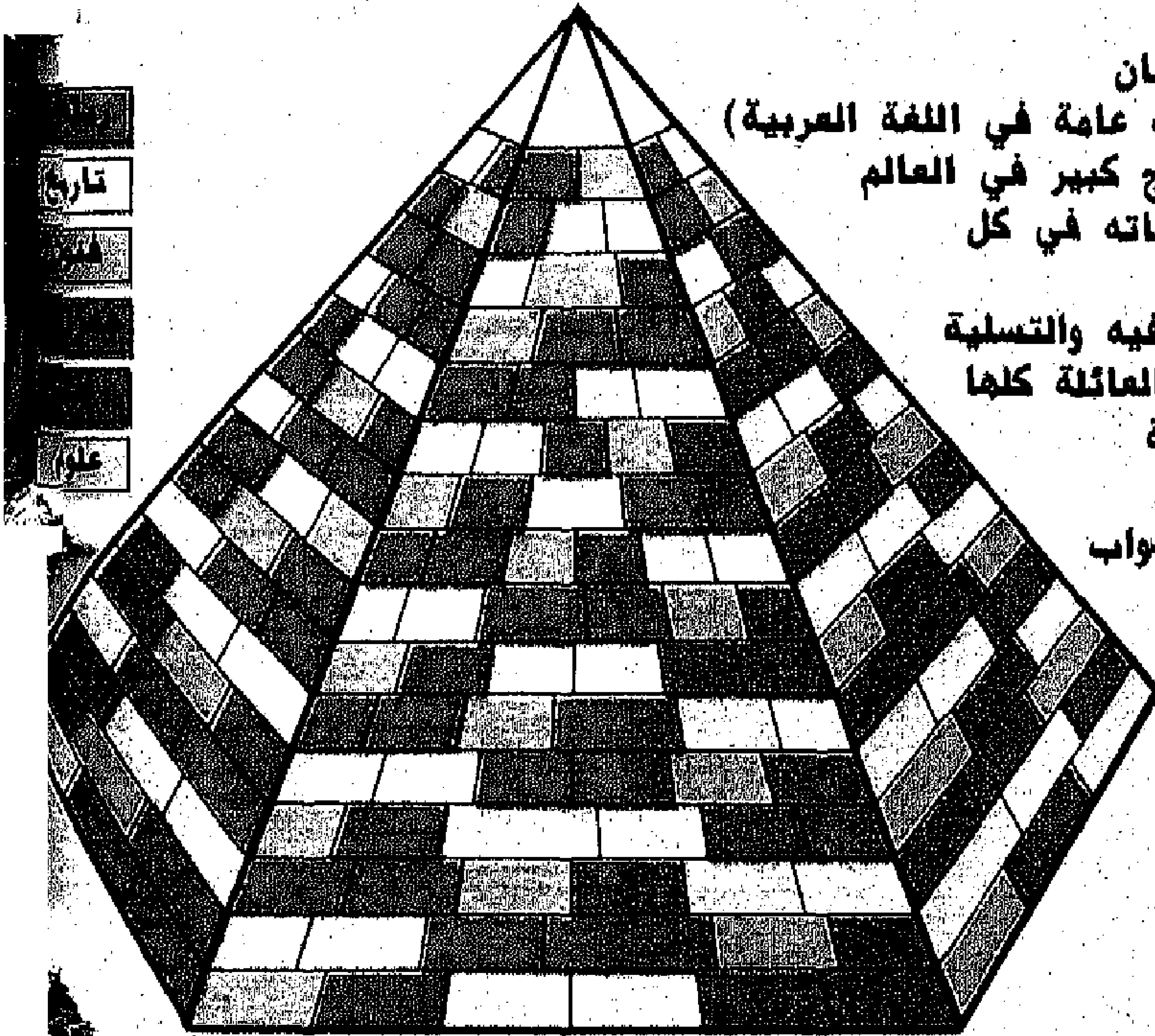
**بير أولا واميلي دولير■**

## لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

# هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مش

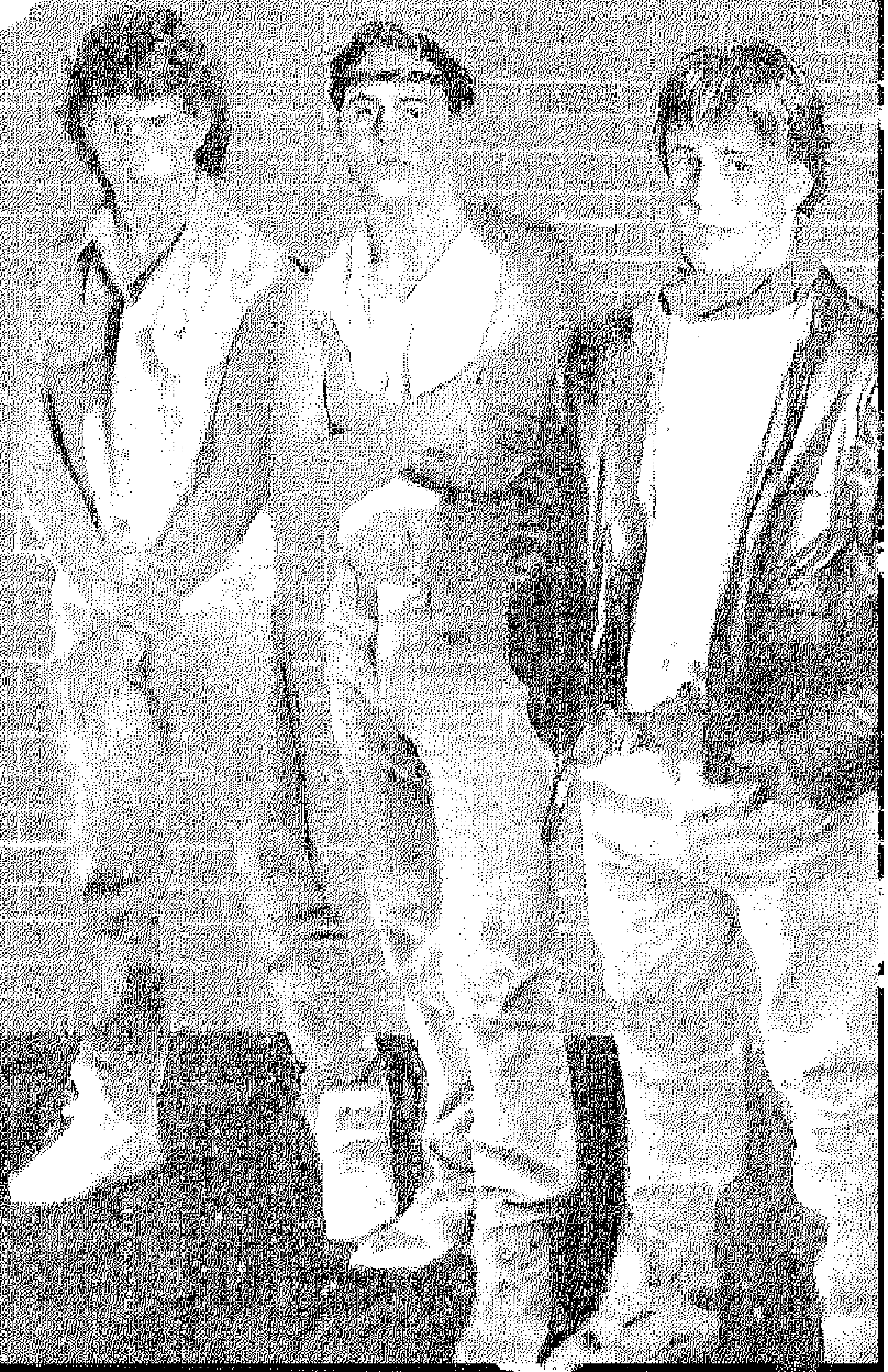
- هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
- هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
- هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة

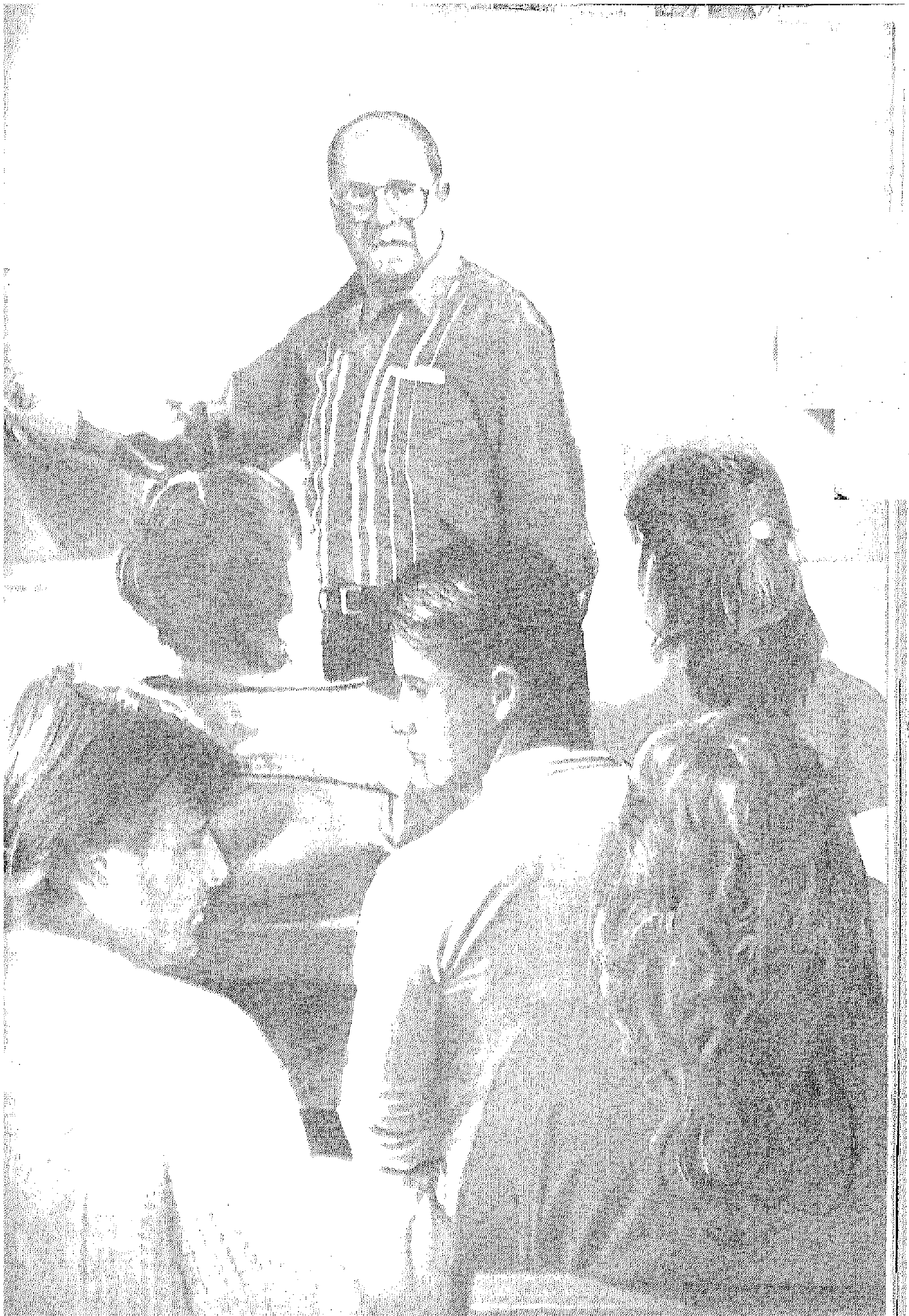


كتاب الشهر

# الأستاذ الممتاز

ملخص من كتاب
بقلم جاي ماثيوز





استولى المشاغبون على المدرسة الثانوية. وبعد نصف قرن في خدمة الجاليات الفقيرة الوافدة من أمريكا اللاتينية الى شرق مدينة لوس انجلس في ولاية كاليفورنيا، ضعفت مدرسة غارفيلد الثانوية الى حد الانهيار الكامل.

كان التلاميذ يتنقلون بين القاعات وهم يحملون، بدل الكتب، أجهزة الراديو الملعلعة بموسيقى "الروك - اند - رول." وغطت الكتابات البذيئة الجدران والمقاعد والطاولات. ومع مرور الايام ترسخ العنف والتخريب المتعمد في المدرسة فباتا جزءاً لا يتجزأ من المنهاج اليومي. ثم ظهر نوع آخر من مثيري المتاعب: هايمي إسكالنتي مدرّس الرياضيات الجديد.

كان هايمي رجلا قوياً متطلباً وغير تقليدي. وهو سرعان ما شرع يقلب المدرسة والصورة السائدة



# الأستاذ الممتاز

عن الطلاب في الأحياء الفقيرة.
تطلعوا الى فوق! هكذا حث اسكالنتي تلاميذه. في البدء قابل هؤلاء تطلعاته العالية بكثير من الحذر والشك، لكنهم أصغوا اليه، ولم يمض وقت طويل حتى بدأوا يفدون الى المدرسة في السابعة فجراً ويتوجهون رأساً الى صفوفهم لدراسة مادة الرياضيات.
وهنا قصة ذلك المدرّس الفذّ، عربون تقدير وإجلال لموهبته وللمهنة التي يمارسها بكثير من الشغف والاندفاع.

في يومه الأول في مدرسة جايمس غارفيلد الثانوية في شرق مدينة لوس انجلس أوقف هايمي اسكالنتي سيارته الـ"فولكس فاغن" الخضراء الباهتة في بقعة خالية. لاحظ الجدران المغطاة برسوم وشعارات استفزازية ونابية. ولاحظ أيضاً الحجار والنفايات الملتصقة بالسياج المعدني والعالقة بالزوايا حيث تلتقي أرصفة المشاة المعبَّدة جدران البنايات المشيدة بالاسمنت.

مجموعة من الفتيان في لباس عصابات الشوارع وقفت تتسكّع بالقرب من المكان. وصاح أحدهم مخاطباً اسكالنتي بلهجة شارعية: "يا رجل، ممنوع أن توقف سيارتك هناك. أوقفها هنا!"

وأشار الى مكان ضيق بين سيارتين. أوقف اسكالنتي سيارته حيث أرشد ثم ترجّل منها وهو يكاد يعجز عن التحرّك لضيق المكان.

شاب أكبر سناً من أن يكون طالباً وأحسن هنداماً من أن يكون مدرّساً، سأله وهو يخرج من أحد المباني القريبة: "هل من مشكلة يا سيدي؟"

فردّ اسكالنتي: "آه، كلا أين يقع المكتب الرئيسي؟"

– عبر هذا الباب، ثم صعوداً على السلم.

Condensed from «Escalante: The Best Teacher in America,» copyright © 1988 by Jay Mathews, published by Henry Holt and Co., Inc., New York, and used by permission of Sanford J. Greenburger Associates, Inc., New York. Illustrations: Alan Reingold. Photos: Ken Rogers/ Black Star

"شكراً يا سيدي. هل أنت مدرّس؟"

ارتسمت على شفتي الشاب ابتسامة متكلفة ثم قال: "نوعاً ما."

في تلك اللحظة صرفت انتباه الشاب زجاجة ألقيت في صندوق للنفايات، فاستدار بحدة نحو مصدر الصوت، ولمح اسكالنتي مسدساً تحت معطفه. الشاب إذاً ضابط أمن في ثياب مدنية. قال اسكالنتي في سرّه: هكذا يتعلمون إذاً!

إنقضت ساعة وإسكالنتي جالس منهولا في المكتب الرئيسي قبل أن يتمكن الناظر العام من أرشاده الى صفه الاول. وكان الوقت فات، فتابع اسكالنتي سيره بحثاً عن صفه الثاني. وكان الناظر أبلغ اليه أن أحدهم سيوافيه هناك ليعطيه التعليمات بخصوص صفوفه التالية الممتدة من الثالثة بعد الظهر الى السادسة مساء. تساءل عن جدوى المكوث في المدرسة الى ذلك الوقت المتقدم، خصوصاً بعد الاحتكاك المزعج الذي حصل بينه وبين الطلاب في مستهل يومه.

لم يملك ذلك المدرّس إبن الثالثة والاربعين إلا أن يسأل نفسه عما حداه على اختيار تلك المدرسة من بين سواها من المدارس التي عرضتها عليه "الادارة الموحدة للمدارس" في لوس انجلس. والواقع أنه عندما تفحص مواقع المدارس في الخريطة التي بدت أمامه كمتاهة من الخطوط الحمراء والخضراء والصفراء، حاول أن يتجنب المدارس في أحياء السود ومهاجري الشرق الأقصى، ودل باصبعه على لطخة على الخريطة، معظم سكانها من أصل مكسيكي. كانت أمنيته أن يعلّم هؤلاء، فهو مثلهم مهاجر من المكسيك ويتقن الاسبانية.

عندما دخل الغرفة "٨٠١" بدا له أن الطلاب سيطروا عليها تماماً. فطاولاتها صُفّت في شكل نصف دائري، وعلا منها ضجيج وأصوات ثرثرة وتدافع أقدام. وكان اسكالنتي يكره أن تزاح الطاولات أو يبدّل توزيعها من دون إذن منه. كما لم يسبق له أن سمع أبناء السادسة عشرة يتفوهون بمثل تلك الالفاظ التي سمعها.

كتب اسمه على اللوح الاسود. وبمزيج من الشعور بالضيق واليأس استمع الى السؤال الأول من تلميذ في مدرسة غارفيلد الثانوية: "ها، ماذا ستعلمنا؟"

"الجنس!" رد تلميذ آخر في الصف الامامي. وانفجر الآخرون بضحك مكبوت. أخرج اسكالنتي قائمة بأسماء الطلاب وراح يتلوها. كان عليه أن يفعل شيئاً من أجل انقاذ وظيفته.

حاول أن يشرح بعض أنظمة الصف. ورسم على اللوح مخططاً لمسألة رياضية. لكن التركيز كان متعذراً بسبب اللغو والجلبة. وصاح أحد التلاميذ من الصف الخلفي: "هاي، يا رجل! عما تريد أن تتكلم؟"

ابتسم اسكالنتي وأجاب: "عن الرياضيات."

– لا يا رجل، إنه موضوع بارد. فلنتكلم عن الجنس.

بعد انقضاء أسبوعين من الفصل الاول أعلم اسكالنتي مدير المدرسة برغبته في تركها في نهاية العام.

انقطع اسكالنتي عن التعليم زمناً طويلا. وهو كان قبل عشرين سنة مدرّس رياضيات وعلوم محترماً في عدة مدارس مرموقة في مدينة لاباز عاصمة بوليفيا. واعتاد طلّابه أن يفوزوا بجوائز كبرى كل سنة. ولم يكن في وسعه أن يلبي جميع عروض التعليم التي انهالت عليه. وفي سنه الحادية والثلاثين بلغ هايمي وزوجته فابيولا وابنهما هيميتو مستوى عالياً من المعيشة لم يعرف مثله معظم أهل بوليفيا.

ولكن هل تدوم النعم؟ فالحكومة غير مستقرّة واقتصاد البلاد يترجح صعوداً وهبوطاً وأفضل الخريجين وألمعهم فضلوا مغادرة البلاد لمتابعة تحصيلهم او لممارسة مهنهم في بلاد أخرى. وكان أشقاء فابيولا، مثل والدهم قبلهم، هاجروا لمتابعة دراستهم الجامعية في جنوب ولاية كاليفورنيا. فأسرَّت الى زوجها ذات يوم أنه ربما حان الوقت لتفكّر عائلة اسكالنتي في الرحيل هي أيضاً.

## البدء من الصفر

في البدء كان هايمي يصغي الى زوجته تتحدث عن الهجرة من دون أن يرد. ولكن بعد سنة أخرى من العمل في أربع وظائف مختلفة ليعيل عائلته، بات يشعر أن فابيولا على حق. وذات مساء صرّح لاشقائه وهم الى مائدة العشاء: "ليس في وسعي أن أتقدم هنا. سوف أغادر الى الولايات المتحدة، وسوف أنجح هناك وإن اضطررت الى البدء من الصفر."

إتفق هايمي وفابيولا على بيع جميع ممتلكاتهما من أثاث وسيارة وقطعة أرض كانا يخططان لبناء منزل فيها. واتفقا كذلك على أن يسبق هايمي العائلة ليتدبر أموره، وأن يمكث موقتاً مع سام تابيا شقيق فابيولا الاصغر في باسادينا بولاية كاليفورنيا.

وليلة سفره كتب هايمي رسالة الى والدته العجوز جاء فيها: "أمي العزيزة، إن شاء الله سأعود الى وطني يوماً لاعيش فيه بسلام. إنه قدري أن أرفع اسم عائلتي عالياً، وكلي أمل وتفاؤل بأنني سوف أنجح. لا تقلقي على ابنك هايمي الذي يحمل صورتك في فكره دائماً. دروس الأمس وأمثولاته سوف أجعلها ركيزة الغد."

ما ان وصل اسكالنتي الى كاليفورنيا حتى بدأ البحث عن عمل. وسرعان ما وجد أن الحاجة كبيرة الى عمال متوسطي العلم والخبرة، فيما الفرص ضئيلة لمدرس في الثالثة والثلاثين من بوليفيا.

بعدما حفظ من الكلمات والعبارات الانكليزية ما يكفي للتعبير عن مراده، وجد عملا في مطعم كعامل تنظيف. ناوله المدير ممسحة وأشار الى الارض الوسخة. كنس اسكالنتي الأرض وفركها ومسحها. وفي السابعة مساء رفع الكراسي على الطاولات ومسح الارض مرّة أخيرة.

صباح اليوم التالي مضّه ألم شديد في الظهر جعله يتحرّك بصعوبة. وجلس متوجعاً الى طاولة المطبخ وتناول فطوره ببطء كرجل يبلغ ثلاثة أضعاف عمره.

لم يسع سام تابيا أن يفهم كيف يسقط صهره الى هذا الدرك الوضيع.

فابيولا أيضاً لم يعجبها ذاك العمل. لكن هايمي أكد لها عندما وصلت الى باسادينا في العام ١٩٦٤ مع ابنهما هيميتو (٨ سنوات) ان ذلك عمل موقت، فهو انتسب الى معهد ليلي في جامعة باسادينا للحصول على شهادة في الهندسة طالما تمناها. قال لزوجته: "انني أتعلم الانكليزية، ويمكنني الآن أن أكتب الى مجلس الولاية وأرسل الى المسؤولين صوراً عن شهاداتي وجوائزي لعلّهم يجدون لي عملا كمدرّس."

ولكن في أغسطس (آب) ١٩٦٤ رفضت دائرة التربية في كاليفورنيا طلبه في رسالة مقتضبة. فدراسته في بوليفيا والمواد التي نال شهاداته على أساسها ليست مقبولة في كاليفورنيا. ويترتب عليه، إن هو رغب في التعليم في الولايات المتحدة، أن يدخل الجامعة كطالب جديد ويعيد جميع السنوات الدراسية، فضلا عن سنة إضافية من الدروس العليا بعد نيله الاجازة. ومعنى ذلك إنه سيمضي عشر سنين في معهد ليلي وأنه سيُحرم وهو في الثلاثينات والاربعينات من عمره، أي في عزّ عطائه، دخول الصفوف المكان الوحيد الذي يمكنه أن يقدّم فيه شيئاً الى وطنه الجديد.

لم يسبق أن شعر اسكالنتي بمثل ذلك الاحباط.

حضت فابيولا زوجها على أن ينسى التعليم ويبحث عن عمل آخر في مجال الالكترونيات. فربما وجد مركزاً في وكالة الفضاء الامريكية (ناسا). أولم يكن البحث عن فرص وآفاق جديدة من الاسباب التي دفعتهم الى الهجرة الى الولايات المتحدة؟

سمع اسكالنتي كلام زوجته ووجد عملا في شركة "باروز" في باسادينا. بدأ عمله في مخزن التموين، لكنه تقدم بسرعة. وفي العام ١٩٧٢ عُرضت عليه وظيفة ناظر في مصنع جديد في غودا لاجارا في المكسيك، فرفضها خشية أن يعوق ذلك دراسة ولديه، وكان رزق في العام ١٩٦٩ ابناً ثانياً سماه فرناندو. وعلى رغم كل أحلام فابيولا لم يكن هايمي على يقين أنه سيظل يعمل في مجال الالكترونيات.

ذات مساء شديد البرد في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٣، فيما كان اسكالنتي يزرر معطفه استعداداً للانصراف الى البيت بعد انتهاء دروسه المسائية، رأى أستاذه يحدّق اليه بفضول.

خاطبه الاستاذ: "هل لي أن أسألك عن أمر يا هايمي؟"

فرد: "بالطبع يا سيدي، فأنا رجل الاجابات!"

وكان السؤال: "ماذا تنوي أن تفعل بشهادتك؟" أجاب هايمي: "سوف أدرّس."

بدا الاستاذ مندهشاً، فتابع هايمي: "كنت أدرّس مادتي الفيزياء والرياضيات في وطني الاول. وأعتقد أن في وسعي أن اؤدي في مجال التدريس عملا أفضل."

– ولكن يسعك ان تؤدي عملا مميزاً في مجال الصناعة، ولديك حظ كبير.

"سوف أدرّس. هذا ما أرغب فيه."

عندئذ، بعدما لمس الاستاذ إصرار اسكالنتي وعزمه، أخبره عن برنامج تموّله "المؤسسة الوطنية للعلوم" يمكن أن يتيح له فرصة التفرّغ للدرس. وهذا يعني تمكينه من معاودة التدريس في غضون سنة واحدة!

حان الوقت لمواجهة فابيولا. قال لها: "انها فرصتي الوحيدة. سوف يختارون شخصاً، لمَ لا يكون أنا؟"

قالت فابيولا وهي تحدّق الى زوجها: "تذكر يا هايمي بعض الامور التي اعتاد هيميتو ان يشاهدها في مدرسة باسادينا الثانوية. الاولاد هنا ليسوا حسني السلوك كما هم في بوليفيا. وهم لا يتصرفون باحترام. وأنت تعرف ردود فعلك على ذلك."

بذل اسكالنتي جهداً كبيراً ليُفهم زوجته ما عقد النية عليه. قال: "انني أجد متعة كبيرة في التعليم، وكل ما أتعامل به الآن هو أوراق... اوراق... أوراق. لن أستمر هكذا."

عندئذ لزمت فابيولا الصمت. ولم تتدخل عندما فاز هايمي بمنحة في "المؤسسة الوطنية للعلوم" حيث أنهى تدريبه، ولا عندما إكتشفت ان راتبه السنوي سوف يهبط عندما يبدأ التعليم من ١٦ ألف دولار الى ١٣ ألفاً. فهي كانت راقبت هايمي في الصف ورأته يرقص أمام اللوح الأسود ويملأ المساحات الخالية رسوماً وخرائط جاعلا من الرياضيات الجافة مادة سهلة واضحة. كان في وسع أي شخص أن يرى أن هايمي يتمتع بموهبة خارقة في التعليم.

## أرض العصابات

تقع مدرسة غارفيلد الثانوية في وسط القطاع الشرقي بمدينة لوس انجلس. ولا تفصلها الا أمتار عن "جادة أتلانتيك" التي تعج بوكالات بيع السيارات المستعملة ومرائب تصليح السيارات والحانات وأكشاك الهمبرغر والشطائر.

وفي سبتمبر (أيلول) ١٩٧٤، عندما وصل هايمي ليباشر عمله، كانت المدرسة على شفير الكارثة، ومعظم تلاميذها من المهاجرين الفقراء وشبه الاميين من أمريكا اللاتينية. وكان فتيان من أفراد العصابات يتجولون بين القاعات. وبلغت نسبة الذين يقطعون الدراسة قبل انهاء المقررات المطلوبة للتخرّج ٥٥ في المئة، وقد أخفق المدرسون المحبّطون في استمالة التلاميذ اللامبالين أو التأثير فيهم.

بعد أسبوعين كُلف اسكالنتي تعليم أحد الصفوف في مبنى متداع من طبقة واحدة يقع في الطرف الشمالي الشرقي من المدرسة. ومع أنه كان عازماً على ترك المدرسة بانتهاء العام الدراسي، فانه كان رجل أعمال لا رجل أقوال وشكاوى. فدعا طلاباً ذوي أجسام قوية ممن يستطيع أن يأتمنهم على صفيحة من الدهان، الى الحضور في يوم سبت من أجل المساعدة في رفع مظهر الصف الى مستوى لائق. كشطوا الرسوم والكتابات عن الطاولات وعلقوا على الجدران ملصقات تحمل صور رياضيين أحبهم الاستاذ.

وبعد أيام زار مدير المدرسة الصف وعبّر عن سروره البالغ بما أنجزه الطلاب. قال اسكالنتي في سره: من المؤسف أنني لن أكون هنا السنة المقبلة لاتمتع بالنتائج.

عزم اسكالنتي على الافادة الكاملة من الوقت المتبقي له، فاستعان بخبرته السابقة في مدارس بوليفيا حيث تعيّن على المدرسين أن يستنبطوا أساليب وحيلا لاسترعاء

انتباه التلاميذ في غياب أدوات الشرح ولوازمه المتوافرة في الولايات المتحدة. حاول، مثلا، أن يستخدم في التدريس لغة الرياضة والتجارة، وهما موضوعان يلقيان اهتماماً في شرق مدينة لوس انجلس. فصمّم آلة مزودة ساعة توقيت، وخصص حصة اضافية بعد انتهاء الصفوف لتعليم الطلاب قواعد الضرب والكسور وشروط العمل في الولايات المتحدة، في مقابل سنت واحد في الساعة. وكان التلاميذ كل يوم يسجّلون الوقت الاضافي على بطاقات خاصة ثم يحسبون المبلغ المستحق عليهم.

إكتشف اسكالنتي ان هؤلاء التلاميذ، مثل أقرانهم في بوليفيا، يستسيغون التحدّي إذا ما قدم اليهم كما ينبغي أن يُقدم. وهو قال ذات مرة لأحد نجوم الرياضة في المدرسة: أتحداك بجولة في كرة اليد. إذا غلبتني أعطيتك علامة عالية، واذا لم تغلبني فعليك أن تتمم الفرض المنزلي."

صباح ذلك السبت، وفي سبوت تالية كثيرة، التقى المتبارون والمتفرجون في ملعب كرة اليد. كان حضور بعضهم ناجماً عما سمعه عن مهارة اسكالنتي، لكن معظم الطلاب رفضوا أن يصدقوا الحكاية، فالرجل في منتصف العمر وله كرش ناتىء. وكانت المباريات تنتهي سريعاً إذ تئز الكرات كالقذائف بين قدمي التلميذ العاثر الحظ. وكان الفوز دائماً من نصيب اسكالنتي الذي كان بطلا في تلك اللعبة في بوليفيا. وكان ذلك يثير الاهتمام بالمباراة التالية.

التحدّي بالنسبة الى اسكالنتي كان أن يبعث الحماسة في نفوس التلاميذ الاكثر خمولا واحباطاً، وبينهم عدد كبير من الكسالى. وهو لمس أن عليه أن يصادقهم ويخيفهم في آن. وحاول أن يفتعل معهم مشاجرات حول أمور مثل الملبس والتأخر وأي شيء آخر يستثير غضبهم ثم اهتمامهم. فكان يسأل أحدى الطالبات مثلا: "انك تكثرين من استخدام المساحيق ومستحضرات التجميل اليوم. هل لديك عقد عمل مع دراكولا يا آنسة؟"

نادراً ما تذكر اسكالنتي أسماء الطلاب. فكان غالباً ينادي الفتيان "جوني". وهو حاول دائماً أن يفيد مما يعرفه عن خلفيتهم، فيقول مثلا: "كان شعب المايا (١) متقدماً على الجميع في مفهومه للصفر يا جوني. ان الرياضيات تسري في عروقكم أيها الاغبياء."

لكنه وجد حدوداً لما يسعه أن يفعله. وعندما فاتح رئيس دائرة الرياضيات بضرورة ابدال الكتب المعتمدة بأخرى اكثر تشويقاً، أجابه هذا بتهذيب: "لا أعتقد ان هؤلاء الاولاد أهل لذلك يا هايمي. أكثر ما يسعني أن أفعله هو أن أجعل تلاميذي يجلسون بهدوء ويجمعون عموداً من الارقام. هل رأيت نتائج امتحانات السنة الفائتة؟"

– لا يا سيدي. ولكن ربما أفاد بعضهم من التشجيع والحث.

"لا اظن ذلك يا هايمي. ثم ليس لدينا مال لمزيد من الكتب."

– شكراً لك يا سيدي. انني أقدر لك إعطائي بعضاً من وقتك.

(١) المايا شعب قديم سكن أمريكا الوسطى وكانت له حضارة مرموقة.

اعتاد المدرسون والنظار ورجال الامن أن يفضوا كل سنة عشرات المشاجرات والمعارك بين افراد عصابات متنافسة. وفي محاولة غير موفقة لكسب ثقة الطلاب، سمحت الادارة للعصابات المختلفة بتقاسم السلالم ومطعم المدرسة مما حول المطعم أرضاً محرّمة أشبه بحديقة حيوان تعمها الفوضى.

كان أفراد العصابات يتسلون بالصاق السمن النباتي على الجدران. وكان التلاميذ المحايدون يتجنبون المطعم والسلالم حيث درج أولئك على الجلوس وتبادل الحديث. حتى المدرسون تجنبوا المرور بينهم متحوّلين الى طريق أخرى.

وفي زيارة تفقدية عام ١٩٧٥ لفريق التحقق من سلامة تطبيق الشروط التعليمية، تبين استشراء الفوضى والفساد في المدرسة. وعلى أثر ذلك نقل جميع العاملين في الادارة من مراكزهم، ولم يُسمح للمدرسة بالاستمرار إلا بعد مساع جاهدة.

اعتبر اسكالنتي ما حدث خطوة ايجابية، وقرر أن يبقى في المدرسة سنة أخرى. على أن ذلك لم يكن كافياً في نظره، بل أحب أن يلمس نوعاً من الاستجابة لدى التلاميذ يشجعه على الاستمرار. وذات يوم كان له ما أراد ومن مصدر غير متوقع. إذ ظهر امام طاولته فجأة تلميذ أدكن البشرة على خده ندبة من جرح قديم. كان الفتى يحرز علامات متوسطة في صف مبادىء الرياضيات، وهذا أكثر مما أمله اسكالنتي.

صاح بصوت خشن: "هاي، اني لا أحب اسمك. أنت في حاجة الى اسم حقيقي."

اجابه اسكالنتي: "شكراً لك، لكن اسم إسكالنتي يعجبني."

– كلا يا رجل، مستحيل. لديّ إسم لك: "كيمو سابي". هل فهمت؟

وكان "كيمو سابي" (أي الجوال المتوحد) البرنامج التلفزيوني المفضل لدى الفتى، وهو دأب على مشاهدته صباح كل سبت. وقد أعجبه الاسم ووجد فيه نكهة محببة توحي المعرفة والجدارة والمودة.

حار اسكالنتي جواباً. وأخيراً قال بتهذيب: "افضّل أسم اسكالنتي."

لكن الفتى أصرّ: "كيمو! أنت كيمو!"

## مستشفى المجانين

خريف ١٩٧٥ بدأ في مدرسة غارفيلد عهد جديد أكثر تشدداً وصرامة. اكثر من ٣٥٠ شاباً من "غير الطلاب"، الذين راوحت أعمارهم بين ١٩ و٣٥ عاماً، أُبعدوا عن القاعات وأقفلت أبواب جميع المداخل. وجاب الحرّاس حرم المدرسة طوال النهار. ورسمت على الجدران لوحات جدارية بدل الكتابات البذيئة التي كانت تغطيها.

تشجّع إسكالنتي فانغمس في التعليم. كان عليه أن يفعل شيئاً ليجعل المادة أكثر تشويقاً وجاذبية. فمعظم التلاميذ ما زالوا غير مكترثين ولا يصغون وكان يعلو من الصفوف الخلفية صفير استهجاني كلما أجاب واحد من القلة المجتهدة عن سؤال أو أتم واجباته.

واثناء حصة لتدريس الكسور حضر اسكالنتي الى الصف معتمراً قبعة طاه ومرتدياً

وزرة بيضاء، كان احتفظ بهما منذ عمله الأول في المطعم. وصفّ أمامه على لوحة خشبية عدداً من التفاحات. قهقهت الفتيات فيما صرخ أحد التلاميذ من الصف الخلفي: "حان وقت الغداء!" وبساطور جزّار انهال اسكالنتي على احدى التفاحات وسحنها مستدراً الضحك والانتباه معاً. ثم قطع التفاحات الأخرى برشاقة أنصافاً وأرباعاً وأخماساً، وقذف بقطعة الى فتاة جالسة في الصف الامامي وسألها: "كم من التفاحة معك الآن يا صونيا؟"

– ربعها يا أستاذ.

"وكم بقي منها؟"

– ثلاثة أرباعها يا أستاذ.

وكان تناول واحدة من القطع المتبقية وقضمها، فقال للفتاة وهو يبتلع: "أبطأت في الاجابة يا صونيا. لم يبق سوى نصفها."

سرّه أن التلاميذ استجابوا لهذه الطريقة، فبدأ يبحث عن أساتذة ملتزمين مثله ومؤمنين بالتغيير. وسرعان ما وجد حليفاً مثالياً في بن هيمينيز، وهو مدرّس جديد في الرابعة والعشرين من العمر.

منذ وطئت قدما هيمينيز مدرسة غارفيلد شعر بأن سلامته النفسية تتآكل تدريجاً مع هؤلاء التلاميذ. فهم كانوا يفدون الى الصفوف متأخرين ويهملون فروضهم ويتبادلون النكات فيما هو يشرح المسائل على اللوح ويحلّها. وبشعور من الغثيان في معدته أدرك أن جميع سنواته في الجامعة أخفقت في تهيئته لمثل ما تعرّض له. فكأنه في مستشفى للمجانين.

شعر أحد الاداريين في المدرسة بمعاناة هيمينيز، فأشار عليه بأن يتحدث مع اسكالنتي.

ما استوقفه عندما دخل صف اسكالنتي كان الهدوء والصمت المخيمان عليه. بدا الطلاب مستغرقين في عملهم حتى ان هيمينيز لم يسمع سوى صرير أقلام الرصاص على الورق.

قال: "ليتني أستطيع أن أفعل ذلك في صفوفي."

أشرق وجه اسكالنتي بابتسامة عريضة وقال: "دعنا نتبادل الصفوف ليومين يا بن."

دهش هيمينيز لطلبه لكنه وافق عليه. وعندما دخل غرفة اسكالنتي في اليوم التالي كان الهدوء مخيماً عليها كما في الامس. ولم يكن على هيمينيز أن يفعل الكثير، إذ كان اسكالنتي أعطاه مخطط الدرس فوزع في مستهل الصف أوراق امتحان قصير ثم أجاب عن بضعة أسئلة، وأخيراً عيّن الفرض المنزلي للغد قبل أن ينتقل الى الحصة التالية.

أما في صفه الاصلي فلقد علم لاحقاً أن الحياة أصبحت فجأة اكثر إثارة.

خاطب اسكالنتي التلاميذ ما ان دخل صف زميله: "لقد طلب مني الاستاذ هيمينيز أن أتحدث اليكم أيها الأغبياء." وراح يذرع الممشى أمام اللوح ذهوباً واياباً وعيناه

تقدحان شرراً، وبدا كممثل قصير القامة ممتلىء الجسم يؤدي دور الملك لير(٢) وهو ثائر هائج. خاطبهم بلغته الانكليزية ذات النبرة الفارقة ووشحها ببضع عبارات اسبانية وبلكنتين مختلفتين لهنود بوليفيا. وقال لهم: "أنا الآن الرئيس، هل تسمعون؟"

اندفع بين الكراسي وانتزع من يد أحد التلاميذ مجلة للسيارات كان يقرأ فيها وقال له: "سوف تسمع كلامي، وإن لم تفعل فستطير من هنا. في وسعنا أن نرسلك الى عدة أمكنة أخرى لن تعجبك! هل من أسئلة؟"

تابع اسكالنتي شرح الدرس وهو يسمع الاحاديث الخاصة والضحكات المكبوتة المعتادة. لكن الضجيج بدأ يخفّ بعدما طرد من القاعة ثلاثة تلاميذ. وسأله أحد المطرودين: "الى أين اذهب؟"

فأجابه: "لا يهمني. إذهب فحسب. اذهب وطِرْ! إننا هنا لندرس الرياضيات." ثم تابع الشرح واعداً التلاميذ بامتحان في الصباح التالي.

وفي الغد منح اسكالنتي تلاميذ زميله علامات جاء معظمها دون المعدل. أكد لهم كم هم محظوظون لأن السيد هيمينيز أستاذهم. وأضاف: "انكم تضيعون وقته. أنا شخصياً أسقطكم جميعكم ايها اللصوص الاشقياء. قد يمنحكم هو فرصة أخرى، لكنني انا أشك في ذلك."

## "يا لسهولة الحساب!"

عندما عاد هيمينيز الى صفه بعدما أمضى يومين داخل ماكينة اسكالنتي التي تضج بالنشاط، وجد في انتظاره مجموعة من التلاميذ الهادئين الوديعين. وهو علم أن جو الهدوء والاحترام لن يدوم طويلاً، ولكن باتت لديه فكرة عما يسعه أن يفعله لإصلاح الوضع. وهو أدرك أن سر الهدوء في صفوف اسكالنتي الاجراء الصارم السريع لدى أول بادرة لمشكلة. إن في وسع المدرِّس، طبعاً، أن ينتظر الى حين تخطي التلاميذ العتبة الاخيرة في رداءة السلوك، لكن صعوبة ضبط الصف واصلاح الموقف تتضاعف عندئذ.

مع بدء الدرس رفعت إحدى الفتيات يدها وقالت بأدب: "أبلغنا الاستاذ اسكالنتي أنك غير مسرور منا، وعدد كبير بيننا متأسفون. لقد كنا وقحين نوعاً ما." وهنا صرخ تلميذ من الصف الخلفي: "هذا لن يتكرر أبداً يا أستاذ." ثم سُمعت في القاعة بضع ضحكات عصبية.

رد هيمينيز: "شكراً لكم، أظن أنني أنا أيضاً تعلمت شيئاً."

في السنوات القليلة التي تلت لاطف اسكالنتي تلاميذه وتملقهم ودللهم وناورهم وحيّرهم. كان يختال أمامهم منتفخاً، وفضل أن يطلق على نفسه لقب "البطل" بدل "كيمو" الاسم اللطيف المعتدل. وعندما كان يشعر بأن مغالاته وموهبته في التمثيل تعملان لمصلحته، كان يرفع تطلعاته اكثر ويوزع الفروض المنزلية كأنها فيتامينات مقوّية.

(٢) بطل احدى مسرحيات شكسبير.

كان يرسل التلاميذ المنحرفين الى مرشد صديق له احتفظ في آلته الكاتبة بقائمة وهمية من الاسماء. وكان اسكالنتي يقول لهم: "انه في حاجة الى اسم واحد فقط لكي يكتمل عدد التلاميذ الذين سينقلون الى مدرسة جاكسون الثانوية." وكانت تلك المدرسة تبعد ثمانية كيلومترات عن مدرسة غارفيلد ويقتضي الوصول اليها رحلة طويلة في الحافلة.

إتبّع اسكالنتي سياسة خاصة تقضي بالاتصال بأهالي التلاميذ المتغيبين أو المتعثرين في الدراسة. كان التهديد بالاتصال أفعل وأشد تأثيراً من الاتصال ذاته، خصوصاً عندما يذكّر التلاميذ بأن المبالغة في الكلام هي نقطة ضعفه. كان يقول لأحدهم مثلا: "علي أن أتوجه الى منزلك لأكلم والدتك. وأنا دائماً أتكلم بسلبية. لا أدري سبب ذلك، لكنني قد أقول لها، إن أنت تغيبت مرة واحدة، انك تغيبت مرتين أو ثلاثاً. أنها أحدى نقاط ضعفي."

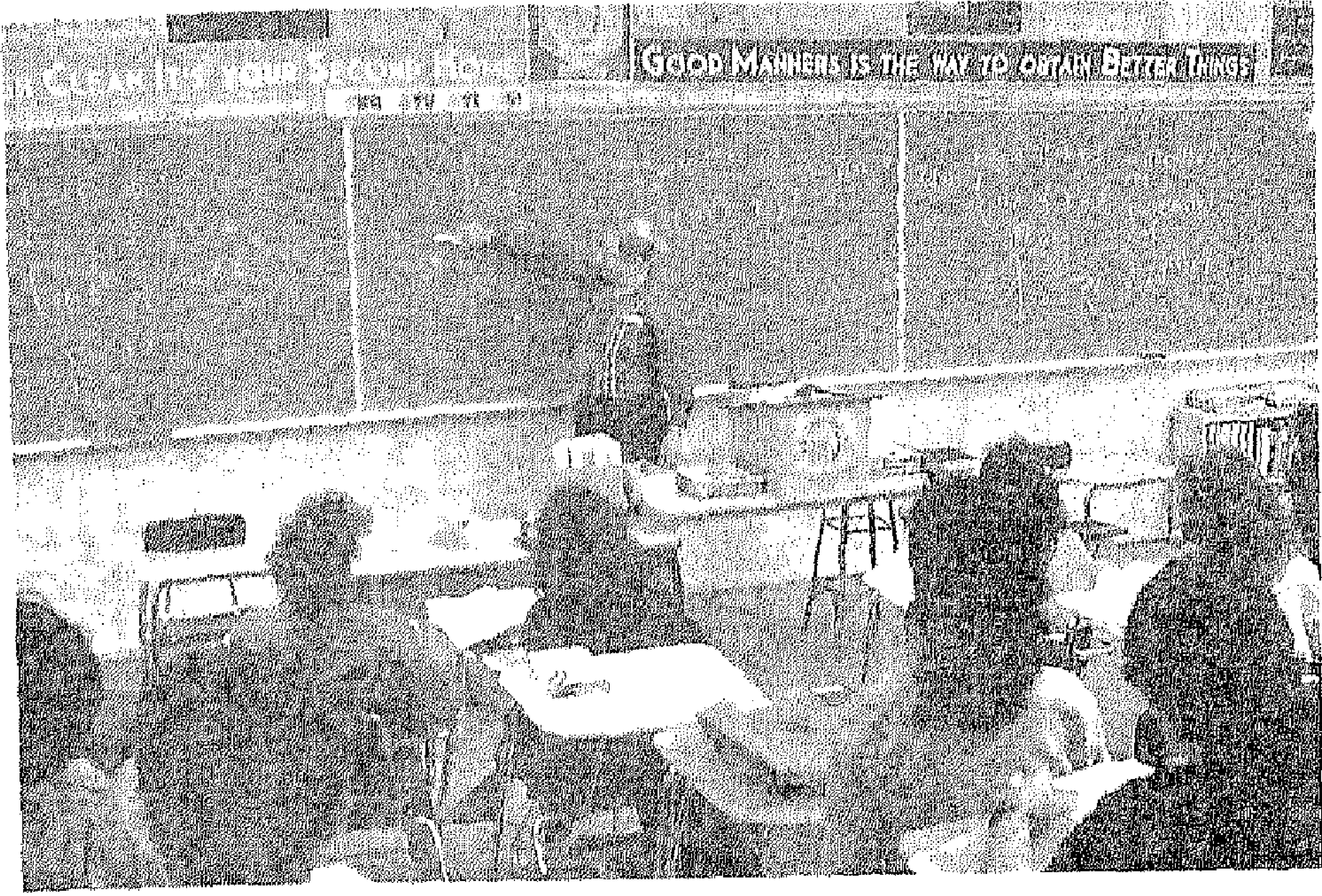
كان مضى على اسكالنتي اكثر من سنة في مدرسة غارفيلد قبل إن يسمع بـ"الامتحان العالي" في الرياضيات التي يخوّل الطالب، اذا ما نجح فيه، أن تحتسب له علامات ومقررات جامعية وهو لا يزال في المدرسة. وكانت الجهود الاولى لتهيئة طلاب غارفيلد لهذا الامتحان ماتت في المهد منذ زمن. واشتهر عن التلاميذ الذين تقدموا الى آخر امتحان أجري أنهم كانوا يقذفون كتب الحساب من النوافذ في الطبقة الثانية لاختبار الصدى الذي تحدثه في باحة المدرسة. ولم ينجح في ذلك الامتحان سوى قلة.

هذه الرواية وسواها أثبطت عزيمة اسكالنتي ودفعته الى رفض عرض أولي لتعليم مادة الحساب التي تؤهل الطلاب للتقدم الى ذلك الامتحان. لكنه سرعان ما عدل عن قراره. فهو شعر بأن تلاميذه يحتاجون الى هدف أكثر الهاماً من لعبة كرة اليد أو مجرد مهمات توضيحية في الصف. وبدعم من جون بينيت، مدير برنامج التعليم العالي في مدرسة غارفيلد، شرع اسكالنتي في العمل.

جمع في صفه الأول بعض تلاميذ صفيّ الحساب التحليلي وحساب المثلثات، الذين علمهم في السنة السابقة. ومع حلول خريف ١٩٧٨ كان ١١ طالباً مسجلين في الصف، لكنهم شعروا جميعهم، بمن فيهم اسكالنتي نفسه، كأنهم أطفال تائهون في غابة.

أدرك اسكالنتي منذ البدء أن عليه تلطيف صورة المادة. فاعتمد أساليب قوامها روح النكتة ورباطة الجأش واستنهاض حسّ الجماعة لدى التلاميذ. اختار شعاراً للصف جعل منه ملصقاً كبيراً علقه على الجدار: "لا يحتاج علم الحساب الى تبسيط، انه بسيط أصلا."

وأحضر له مدرّس زميل اسمه رالف هيلند نسخة من امتحان قديم في الحساب العالي. مرر اسكالنتي اصبعه بحذر على الورقة ورأى أنها تضم أسئلة "الاجابة الحرّة" السبعة، وهي مسائل كلامية وجزء من الامتحان. وعلم ان مجموعة الطلاب تلك لم يكن لها أي حظ في الاجابة الصحيحة، وتساءل الى أي مدى يمكن أن يتقدم هؤلاء في فترة ثمانية أشهر.




رسم على وجهه تعبيره الاكثر صرامة وخاطب تلاميذه: "سوف تتمكنون من اتمام هذا الصف، ولكن يلزمكم أن تراجعوا مواد الجبر والحساب التحليلي وحساب المثلثات. يعقد الدرس الأول في تمام الثامنة صباحاً، والمدرسة تفتح ابوابها في السابعة. سوف تعطون امتحاناً قصيراً مدته خمس دقائق كل صباح، وامتحاناً عاماً كل يوم جمعة."

كان التلاميذ في حاجة الى "شيء" إضافي منه هو شخصياً ليعجل استيعابهم ويعزز فهمهم.

بدأ اسكالنتي جمع وسائل ايضاح مختلفة. فأحضر دمية من زوجي أحذية يتحركان بعد تعبئتهما بمفتاح، واتخذ منها رمزاً للاسلوب الحذر الذي يجب اتباعه في معادلات الجبر ودلائله. ولتوضيح الدالة العكسية(٢) في الجبر استعان بدمية أخرى تمثل قرداً من البلاستيك يتسلق عموداً صعوداً وهبوطاً. واختار صورة مهرّج هي رمز لمجموعة معروفة من مطاعم الأكل السريع وقال للتلاميذ: "إذا أخفقتم في انجاز فروضكم فسوف تعملون في المطاعم بقية أيام حياتكم."

وعلى رغم جهوده الصادقة خسر نصف عدد التلاميذ قبل انقضاء اسبوعين. فقصد احدى المرشدات في المدرسة وسألها: "لماذا ينسحب هؤلاء التلاميذ؟"

نظرت اليه بعطف وأجابت: "هذه الدروس صعبة جداً يا أستاذ اسكالنتي، وليس في وسع التلاميذ أن يفوا بالمطلوب."

إرتمى بتثاقل في أحد الكراسي وبانت في عينيه نظرة انهزام وضيق. كان على يقين من قدرته على تعليم مجموعة من كلاب البحر تسلق الحبال اذا هي حضرت الى الصف. وفي النهاية لم يبق في الصف سوى خمسة تلاميذ: ثلاث فتيات وصبيين. وهم صمدوا حتى الربيع. ولانت معاملة اسكالنتي وأصبحت اكثر رفقاً. وكان دوماً يطمئنهم الى

(٢) Inverse function

قدرتهم على معالجة اسئلة المادة. وهو درج بعد كل درس مضن على اصطحابهم في سيارته الى أحد المطاعم.

ولتشويقهم للحضور الى الصف يوم الامتحان كان يوزع عليهم الحلوى والسكاكر. وكان يهمس في أذن من يظهر عليه خوف: "إجعل حياتك حلوة، ولا تخف من الامتحان." ثم يناوله الحلوى وهو يتنقل بين الكراسي مثل أرنب مرح.

في مايو (أيار) ١٩٧٩ تقدم الطلاب الخمسة الى الامتحان وعادوا منه وعلى وجوههم امارات الاكتئاب والصدمة.

وفي يوليو (تموز) استدعي اسكالنتي الى "مكتب الارشاد" لاعطائه النتائج. كانت العلامة الكاملة خمس نقاط، واعتبرت علامة من ثلاث نقاط وما فوق مقبولة وتخوّل الطالب الانتساب الى معظم الجامعات والمعاهد العالية. أما تلاميذ اسكالنتي فتوزعت نتائجهم كالآتي: اثنان نال كل منهما أربع نقاط، واثنان نال كل منهما ثلاث نقاط، وواحد نال نقطة واحدة.

"جيدا!" قال اسكالنتي لدى سماعه النتائج. لكنه أضاف في سرّه: انما ليس بالمقدار الكافي.

كانت النتائج أفضل في العام ١٩٨٠. وجاءت نتائج العام ١٩٨١ أكثر تحسناً. فمن اصل ١٥ طالباً تقدموا الى الامتحان نجح ١٤ توزعت نتائجهم كالآتي: نال طالب واحد خمس نقاط من خمس، ونال اربعة طلاب أربع نقاط، ونال تسعة طلاب ثلاث نقاط، ونال واحد نقطتين. وإن دل ذلك على شيء فعلى أن أبناء العائلات المحرومة في شرق مدينة لوس انجلس نجحوا في الامتحان وبات في امكانهم متابعة تحصيلهم في الجامعات والمعاهد العالية. وذلك الامتحان هو من الصعوبة بحيث أن نسبة أدنى من ٢ في المئة من تلاميذ المدارس الثانوية في الولايات المتحدة تتجرأ على التقدم اليه.

* * *

هنري غراديلاس رجل شديد البأس الى حد الانهال. خدم في مدرسة غارفيلد كمدرس أولا ثم كإداري رأس الهيئة التأديبية في السبعينات. وفي العام ١٩٧٧ ترك غارفيلد ليتولى منصب رئيس معاون في مدرسة أخرى، لكنه ما لبث أن عاد اليها في العام ١٩٨١ ليتولى منصب الرئيس.

نشأ غراديلاس في شرق مدينة لوس انجلس حيث تلقى علومه. وكان في مطلع شبابه ميالا الى الكسل والانحراف من دون هدف، تماماً كشباب الثمانينات. وهو كان، اذا نال علامة ناجحة من دون أن يبذل جهداً، يتساءل: لمَ التعب اذاً؟ وإذا رسب قال: من يهتم؟ لكنه بات يدرك أن ذلك التوجه لم يساعده اطلاقاً كتلميذ، لذلك فإنه، كرئيس، لن يتوانى عن ملاحقة التلاميذ وحضهم حتى النهاية.

لدى عودة غراديلاس الى غارفيلد وجد اسكالنتي جذلا متهللا، وهو راح يمتدح آخر فريق من تلاميذه. قال مبتهجاً: "سوف يكون لدينا ثمانية عشر تلميذاً السنة المقبلة.

ثمانية عشر! تعال وتحدث اليهم يا سيدي. سوف يجلّون في الامتحان."

كان اسكالنتي تخلى نهائياً عن فكرة ترك تلك المدرسة الثانوية المتداعية. لكنه كان ما زال يتوجع من الاحباط الذي أصابه بسبب الجهل والكسل المستشريين حوله. وهو وظّف غضبه كله في محاولة لتغيير المدرسة.

في غضون ذلك كان بن هيمينيز أنهى خمس سنوات من التعليم في المدرسة، وظل محتفظاً بالمقدار نفسه من الحماسة والاندفاع كما حين بدأ عمله. وهذه بطولة نادرة.

بدأ يشعر أنه واسكالنتي يحظيان بفرصة ليصنعا معاً شيئاً خارقاً غير عادي. ففي امكان كل منهما في صفّه الصغير أن يقوّض الفكرة السائدة أن الامريكيين مقسومون فئتين واضحتي المعالم والحدود: فئة الاغنياء وفئة الفقراء. فئة المتعلمين الناطقين الانكليزية وفئة الاقليات التي ينقطع افرادها عن الدراسة قبل التخرّج. وأن لا مجال لدمج الفئتين.

كل ما يحتاجان اليه هو مقدار بسيط من المساعدة من الرئيس الجديد، وربما حادث مثير يُحدث في المدرسة صدمة كهربائية.

جميع التلاميذ في صف حساب التكامل والتفاضل(٤) للسنة ١٩٨١ - ١٩٨٢ تبنوا - وإن بدرجات متفاوتة - أخلاق العمل وقواعده التي سنها اسكالنتي. كانت التلميذة هوزي ريكارداي تقطن مع عائلتها المؤلفة من ستة أشخاص في منزل يضم غرفتي نوم. وكانت لدى عودتها ليلا من التدرب في فريق للهاتفين في المباريات الرياضية، تحاول أن تتمم فروضها المنزلية وسط هرج ومرج، ثم لا تلبث أن يغلبها النعاس فتستسلم للنوم على الارض في غرفة الطعام أمام جهاز التدفئة. وهذا الوضع التعس جعلها تستيقظ كل يوم في الثانية أو الثالثة صباحاً فتستغل نعيم الصمت المخيم على البيت لتنهي دروسها. وتظل مستيقظة حتى وقت الفطور.

وكانت والدتها تقول لها: "ارتاحي قليلا وإلا انتهى بك الامر الى قرحة في المعدة. إذهبي واستمتعي بوقتك."

وكانت هوزي ترد: "إطمئني يا أمي، فأنا أعرف ما أنا فاعلة. ما أفعله هو المتعة عينها."

لويس سيرفانتس تلميذ آخر غالباً ما أمضى أوقات فراغه يسابق بسيارته سيارات أخرى. الا أنه في الاسابيع القليلة قبل الامتحان توجسّ شراً إن هو ابتعد أكثر عن كتبه، فتخلى عن هوايته.

وعندما حُذِّرت إلسا بولادو من أن رياضة العدو التي تمارسها تعوق تحصيلها في الرياضيات انقطعت عنها. كذلك راوول هارو، رئيس الفرقة الموسيقية في المدرسة، وضع البوق جانباً.

وقد طار اسكالنتي فرحاً عندما سمع بهذا التفاني في الدرس. وهو كان دفع تلاميذه الى وضع آمل جعلهم يطفرون كخيول السباق.

(٤) Calculus

ليلة الامتحان، المقرر في ١٩ مايو (أيار)، نصح اسكالنتي تلامينه بأن يخلدوا الى الهدوء والراحة ويتناولوا عشاء جيداً ويأووا الى الفراش باكراً. وكفريق رياضي تجمع هؤلاء في اليوم التالي وأحدثوا جواً استمدوا منه قوة لمحاربة الخوف والقلق. لقد كانت المباراة الكبرى، وهم منتصرون.

كانت أندريدا برويت، المشرفة في غارفيلد والتي كُلِّفت مراقبة الامتحان، تنتظرهم في الغرفة ٤١١ في الطبقة الارضية من المبنى الرئيسي. وهي رأتهم يدخلون القاعة بهدوء وثقة وأجلستهم في مقاعد متباعدة. وبكثير من الاعتزاز والفخر رأتهم يشرعون فوراً في الاجابة عن أسئلة الجزء الاول من الامتحان، وهي مشتملة على عدة أجوبة يختار التلميذ الصحيح من بينها. وفي فترة الاستراحة استمتعت بأحاديثهم وبما لمسته فيهم من ثقة واطمئنان. وعندما وزعت اسئلة الجزء الثاني من الامتحان، وهي تتطلب اجابات حرة اجتهادية، أيقنت أن النتائج الاجمالية ستكون جيدة جداً.

في تلك الاثناء قبع اسكالنتي في الغرفة ٢٣٣ في الطبقة العليا من المبنى الذي يضمّ قسمي العلوم والرياضيات، وكانت أصبحت مقرّه الرئيسي. وأمضى الساعات الثلاث شاعراً بغثيان وتلو في معدته. هل فاته شيء يا ترى؟ هل هو في حلم أم ان تلاميذه فعلا في المستوى الذي اعتقده؟

قبيل الثانية عشرة والنصف بعد الظهر بدأ تلاميذه يظهرون في الرواق امام الباب. رفع أحدهم يده فوق رأسه باشارة النصر، وقال: "كيمو، لقد كان الامتحان في منتهى السهولة." وأضاف لويس سيرفانتس: "لم نصادف أي مشكلة يا أستاذ."

الجميع أموا غرفته. كانوا يضحكون ويتعانقون ويطالبونه بغداء في المطعم.

تكدسوا في سيارة الاستاذ الـ"فولكس فاغن" وفي سيارات اخرى وانطلقوا بمسيرة استعراضية الى "جادة أتلانتيك" لتناول الغداء. والى المائدة طمأنوا اسكالنتي الى أن كل شيء كان على ما يرام.

ربما أصبح لمدرسة غارفيلا ما تراهن عليه، هكذا حدّث اسكالنتي نفسه. اليوم ١٨ تلميذاً وغداً ربما ٢٥. "لقد أبدعنا يا كيمو. مسحنا الجميع!" ألم يكن ذلك ما قاله التلاميذ؟

في أواخر مايو (أيار) وصل الى مبنى دائرة الامتحانات التربوية في برنستون بولاية نيو جرزي ٣١٩١٨ مسابقة في امتحان الرياضيات، بينها مسابقات التلاميذ الثمانية عشر من مدرسة غارفيلد الثانوية.

تصحيح المسابقات يجرى على مرحلتين. يصحح الجزء الاول من الامتحان بواسطة الدماغ الالكتروني، ويتولى مصححون بشريون تصحيح الجزء الثاني من الامتحان المتطلب اجابات حرة. واستدعي لهذه الغاية ١٥٣ مدرساً.

في منتصف عملية التصحيح استرعت انتباه أحد المصححين مسابقتان تحملان أخطاء متطابقة في الاجابة عن السؤال السادس. فرفع الأمر الى باتريشا هنري رئيسة فريق مصححي امتحان حساب التكامل والتفاضل.

كانت باتريشا استاذة رياضيات في جامعة أوغدن بولاية يوتاه. وعندما تسلمت المسابقتين ضمتهما الى مسابقات أخرى تحمل اجابات خاطئة من نوع المصادفات الغريبة. وقبل أن تبت المسألة انتظرت الى ان تكومت عندها ستة كراريس تحمل الاخطاء ذاتها. كان عليها ان تتحقق مما اذا كانت الاخطاء من النوع الشائع والمعقول ام ان في الامر غشاً، خصوصاً اذا كانت الكراريس جميعها من مركز واحد للامتحانات. وعندما فضّت المسابقات وظهرت أسماء التلاميذ ومدارسهم، أصابها الوجوم.

بعد الدرس توصلت لجنة المدققين في نزاهة الامتحانات الى قرار ان ١٤ مسابقة من الثماني عشرة الواردة من مدرسة غارفيلد الثانوية توحي الغش.

## مواجهة العالم

كانت إلسا بولادو في مهجعها بجامعة كاليفورنيا في لوس انجلس عندما اتصلت بها شقيقتها لتزف اليها النبأ السار أنها نالت أربع نقاط في امتحان الحساب. وكانت إلسا تتابع برنامجاً صيفياً مدّته سبعة أسابيع لتعليم طلاب السنة الجامعية الاولى الرياضيات قبل دخولهم الجامعة. وبعد أسبوع اتصلت بها شقيقتها ثانية حاملة اليها خبراً تعذّر عليها تفسيره، وهو أنها تلقت رسالة من دائرة الامتحانات تنبىء أن نتيجتها باطلة.

شعرت إلسا بارتباك ما لبث أن تحوّل خوفاً. فاتصلت بإسكالنتي هاتفياً. سألته: "كيمو، ما معنى هذه الرسالة؟ ما الذي يقولونه فيها؟".

وهو أجابها: "هدئي من روعك يا إلسا. سوف نحلّ الإشكال، لا تقلقي."

ركب سيارته وانطلق الى مدرسة غارفيلد حيث وجد رالف هيلند ممثل اتحاد المدرسين في انتظاره. بدا الرجل متجهماً وبادره:

"هذا لا يجوز يا هايمي. هذا خطأ لا يغتفر!" وأراه نسخة من رسالة باردة تلقاها ١٤ من التلاميذ الثمانية عشر في غارفيلد من دائرة الامتحانات. وجاء فيها:

"... يرى مجلس المدققين في صحة النتائج، موجباً للشك في النقاط التي حصلت عليها في امتحان الحساب المتقدم في شهر مايو (أيار) ١٩٨٢. فلقد تبين من مراجعة المسابقات أن هناك تطابقاً شديداً بين اجاباتك وإجابات أخرى في كراريس وردت من المركز ذاته. هذا التطابق غير عادي ويوحي الغش."

وأوردت الرسالة خمسة خيارات: إلغاء النتيجة واعادة الرسم المدفوع، إعادة الامتحان، التحكيم، مناشدة الجامعة التي ينوي الطالب الالتحاق بها، تقديم معلومات إضافية تثبت نظافة الاجوبة.

ان دائرة الامتحانات لا تملك المال الكافي ولا الوقت ولا جهاز موظفين للتحقيق في مزاعم الغش، لذلك فان الهدف من الرسالة ليس احداث حال من الذعر او التسبب في رفع دعوى قضائية، بل انذار الطلاب وتنبيههم الى خطورة وضعهم. لكن دائرة الامتحانات أخفقت في ايصال قصدها ذاك الى مدرسة غارفيلد.

فالتلاميذ الاربعة عشر الذين تلقوا الرسالة اعتبروها اتهاماً صريحاً وأصروا على براءتهم مستشهدين بأندريا برويت التي تولت المراقبة ولم تسمح بأي غش، بحسب قولهم.

والى ذلك فإن التقدم الى امتحان ثان ليس اقراراً بالتهمة فحسب، بل إنه يتطلب إنعاشاً لذاكرتهم واستحضاراً لمعادلات ودلائل انقطعوا عنها مدة شهرين وهم باعوا كتبهم منذ فترة طويلة وأصبحوا لا يملكون سوى ملاحظاتهم المدونة وأشخاصهم الكريمة ونكرى حية للثمن المعنوي الباهظ الذي كلّفهم إياه الامتحان الأول.

في اعتقاد اسكالنتي، ربما كانت التمارين المكثفة وأسلوب التكرار الذي اعتمده في التدريس سبب التشابه الظاهر في اجابات تلاميذه. فاتصل هاتفياً بدائرة الامتحانات وتكلّم مع الموظفة المختصة التي تحملت وطأة الخلاف القائم بين الدائرة ومدرسة غارفيلد. وقال لها: "سيدتي، إسمي اسكالنتي، وأنا مدرّس الرياضيات لهؤلاء التلاميذ الذين تلقوا رسائل منكم. أتسمحين لي بأن أوضح لك الامر؟"

اجابته الموظفة: "يا أستاذ اسكالنتي، انني آسفة، فلا يسعني أن أناقش الامر معك من دون إذن من التلاميذ. إنها مسألة سرية بين وزارة التربية وبينهم. ولا يمكننا أن نسمح بأي بحث أو نقاش خارجي."

لكن اسكالنتي استرسل في الكلام: "أعتقد أن في وسعي أن أزيل الاشكال القائم. فأنا أتبع اسلوباً في التعليم..."

فقاطعته الموظفة: "انني آسفة. لا أعتقد أن ذلك مسموح." ثم أفهمته أن كل ما في مقدورها أن تفعله هو تشجيع التلاميذ على التوصل الى اتخاذ قرار باكر، لان نقاطهم لن تجدي بعد بدء الفصل الجامعي في الخريف.

بدأ الوضع يسخن. فبعدما وصل الخبر الى فاعليات الجاليات المكسيكية انتقدت هذه وزارة التربية لاستفرادها مدرسة معظم تلامذها من أبناء جاليات أمريكا اللاتينية. وراحت تحض التلاميذ على رفع دعوى على دائرة الامتحانات. واقترح أحد النافذين تنظيم جولة يقوم بها اسكالنتي على الجامعات الكبرى شارحاً الوضع وتوزع خلالها رسائل تنديد واستنكار لموقف الوزارة.

وفيما الجميع حول اسكالنتي في غليان بدأ هو يهدأ. فوزارة التربية لم تبدِ أي تراجع، فلا بد من أن لديها سبباً يدفعها الى الاصرار على أن هناك غشاً. والطريقة الوحيدة لحل الاشكال على نحو يرضي الجميع هي أن يتقدم الصف كله ثانية الى الامتحان. وعندما جمعت بولادو التلاميذ بناء على طلب اسكالنتي خاطبهم: "عليكم أن تتخذوا قراراً الآن. رأيي أن تتقدموا الى الامتحان ثانية."

فانبرت له إلسا بولادو: "يا كيمو، لست أنت من سيجلس للامتحان. لماذا لا تخرج من القاعة لنتناقش في ما بيننا؟"

خرج اسكالنتي متمهلا. وما أن أغلقت بولادو الباب خلفه حتى التقطت نفساً سريعاً وواجهت المجموعة الصغيرة قائلة: "أود أن أعيد الامتحان. أريد أن أعبر لإسكالنتي عن

مدى تقديري لما علّمنا إياه وللوقت الذي بذله من أجلنا. وأريد أيضاً أن أثبت للمدرسة أننا لم نغش، ولأنفسنا أن في مقدورنا أن ننجح ثانية."

إرتفعت الاصوات بالموافقة. وسُمع تلميذ يقول: "أجل، لست في حاجة الى امتحانهم السخيف. انما يستحسن أن نعيده من أجله هو. إنه يستحق منا ذلك."

ثم راح الجميع يهتفون معلنين بدء الحملة الحماسية لاستجماع نشاطهم واستنهاض عزيمتهم بعد الصدمة التي تعرّضوا لها. كان ذلك يوم جمعة، وليس أمامهم سوى نهاية أسبوع واحد ليتحضروا للامتحان الذي حُدد يوم الثلثاء موعداً له.

هتفوا مجدداً: "الثلثاء! الثلثاء! الثلثاء!"

لقد عاد السحر القديم. سيلعب فريق الرياضيات ضد العالم.

## ردّ الاعتبار

يوم السبت في السابعة صباحاً وصل اسكالنتي الى غارفيلد. أراد أن يكون كل شيء جاهزاً لاستقبال التلاميذ الآتين للمراجعة. الباب الامامي مفتوح، القاعة ٢٣٣ مفتوحة، على الرف أمام اللوح الاسود عدد من الطباشير الجديدة وكومة من مسابقات قديمة لمراجعتها.



سمعت هوزي ريكاردي نفسها تقول بذعر: "ليس هناك وقت كاف، ليس هناك وقت كاف." وتساءل لويس سيرفانتس كيف يمكنه أن يتذكر أموراً تعود الى بداية الصيف. أما إلسا بولادو فكان شعورها مزيجاً غريباً من الجذل والخفة كالمحكوم عليه بالاعدام قبل تنفيذ الحكم، أو كمن وقع في شرك لا خروج منه.

أمضى اسكالنتي ساعات طويلة معهم عارضاً واياهم النقاط الرئيسية والمعادلات والدالّات التي لا بد وأن يُسألوا عنها في الامتحان. وعندما عاد التلاميذ الذين أرسلهم الى المطعم ليحضروا شطائر، توقف الجميع عن المراجعة وجلسوا يتناولون الطعام ويتحدثون. حاول اسكالنتي أن يغريهم بالبقاء بعد الظهر لمزيد من الدرس، إلا انهم رفضوا عرضه. فلم يملك الا أن يتمنى لهم التوفيق ويرسلهم الى منازلهم.

مع أن القاعة ٢٣٣ حيث سيجرى الامتحان كانت مدفأة جيداً فان ليتيسيا رودريغز كانت ترتجف عندما وصلت اليها في تمام الثامنة من صباح الثلثاء. وكانت في الغرفة امرأتان لم يسبق أن رأتهما، ترتديان بذلتين رسميتين وعلى وجهيهما تعبير يفوق الطقس برودة. كانت المرأتان موظفتين أرسلتهما وزارة التربية لمراقبة التلاميذ في أثناء الامتحان، بعدما رفض هنري غراديلاس السماح لأي من موظفيه بالمراقبة.

أجلست المراقبتان التلاميذ في مقاعد متباعدة، ثم قرأتا عليهم التعليمات ببرودة وأعطتا إشارة بدء الامتحان.

سُمع في القاعة حفيف إثني عشر كراساً فتحها التلاميذ بعصبية. ثم ما لبث أن خيّم سكون تام من جراء الصدمة التي أصابت بعضهم. فالامتحان الثاني بدا لهم أصعب كثيراً من الأول. وفكرت بولادو: يا إلهي! أنا لا أعرف شيئاً على الاطلاق. أما سيرفانتس فراح يصارع الاسئلة. إنه يعرف المبادىء الاساسية، فليته يستطيع أن يغوص الى أعماق دماغه المشوش بذكريات الصيف ويخرجها الى النور. أحس أن في بعض الاسئلة الحرة خدعاً صغيرة تجرّحه كشفرات حلاقة. ولشدة ما ضغط على القلم تركت إجاباته علامات واضحة على الطاولة حيث جلس.

ودفعاً لأي مقولة من أن وجوده أثر في التلاميذ، لازم اسكالنتي منزله. وهو راح يذرع المكان ويعد الدقائق فيما زوجته فابيولا تشجعه على الاسترخاء.

اخيراً في الثانية عشرة والنصف رن جرس الهاتف وكانت المتكلمة إلسا بولادو.

قالت: "كيمو، كان الفحص صعباً."

فرد: "لا تقلقي، اللعبة انتهت."

غير أن الفتاة تابعت: "لكنني أريد أن أعرف كيف فعلت."

فقال: "أنا أيضاً أريد أن أعرف. ولكن عليك أن تنتظري."

في الثالث عشر من سبتمبر (أيلول) بعد أسبوعين من إرسال المسابقات الى وزارة التربية، قصد اسكالنتي رئيس المدرسة وقال له: "يجب أن تتصل ببرنستون يا هنري."

أحنى غراديلاس رأسه موافقاً وتناول سماعة الهاتف وأدار القرص وسأل عن النتائج، ثم قال لمكلمه: "لا يسعني أن أنتظر أكثر. فالضغط عليّ من الجالية كبير."

ثم راح غراديلاس يومىء الى اسكالنتي باهتياج، فناوله هذا ورقة بدأ يكتب عليها وعيناه تزدادان إتساعاً. سمعه اسكالنتي يقول: "نعم، نعم، أربع، ثلاث، خمس، خمس." وما لبث ان رآه يثب عن كرسيه مثل كرة ثم يتابع. "نعم، ثلاث، خمس، أربع، ياي! رائع!"

راح يلوح بالورقة باهتياج. الجميع نجحوا، وليس بينهم من حصل على أقل من ثلاث نقاط، وهو المجموع الذي يخوّلهم الانتساب الى أي واحدة من ٢٠٠٠ جامعة وكلية أمريكية.

لم يكن مثل ذلك الحدث ليموت بسرعة. فما ان شاع أن حفنة من التلاميذ من شرق لوس انجلس تفوقت في حيازة مؤهلات برنستون وشروطها الصارمة والمقتصرة عادة على الطبقات الميسورة اجتماعياً وأكاديمياً، حتى التقطت الصحافة الخبر وتداولته فذاع ووصل الى مطارح نائية.

ذات صباح غائم من شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٢ استيقظت أولمبيا شقيقة هايمي من نومها باكراً. ادارت جهاز الراديو الى محطة "صوت أمريكا" وبدأت تحضير الفطور. استمعت الى المذيع يتلو أولا الاخبار العالمية، ثم جاء دور الخبر الخاص. ماذا

تسمع؟ اقتربت من جهاز الراديو وسمعت المذيع يقول: "اعتقدت دائرة الامتحانات أن التلاميذ غشوا، لكن الاستاذ اسكالنتي حثّهم على إعادة الامتحان. جميعهم نجحوا. انها لحظة رائعة في حياة مدرس ممتاز."

انهمرت دموعها. إنه هايمي، ومن سواه؟ الكثير الكثير من أهل بوليفيا هاجروا الى الولايات المتحدة واختفوا هناك. ولكن ليس هايمي. يجب أن تتصل بالوالدة.

## شهوة النجاح

أغوت شهرة اسكالنتي المفاجئة مزيداً من الفتيان وأوقعتهم في شباكه. ومع ذلك ظلّ يجهد نفسه وعقله بحثاً عن أساليب وطرق جديدة لابقائهم معه.

تحوّلت القاعة ٢٣٣ صالة لعرض أصول التدريس وأساليبه. وحملت الجدران صوراً ملونة لنجمي كرة السلة ولت تشمبرلين وجيري وست وملصقات ضخمة للمكوك الفضائي "كولومبيا" ولعلماء الرياضيات القدماء. وبجانب ساعة الحائط، محط أنظار الطلاب، وضع المعادلة الآتية: "تصميم + إنضباط + اجتهاد = الطريق الى النجاح."

ملصق آخر علّقه فوق اللوح الاسود حمل كلمة «ganas» (غاناس) الاسبانية ومعناها "حافز" أو "دافع" – حافز على النجاح، حافز على التحصيل، حافز على النمو. وتلك كانت كلمة السر التي اعتمدها في صفّه واتخذ من مدلولها شعاراً بات تلاميذه ينشدونه بتناغم رائع فيهتفون: "تصميم + اجتهاد + تركيز = غاناس."

وفي أوج حملات الدعاية التي أعقبت امتحان ١٩٨٢ اعتكف اسكالنتي في الطبقة الثالثة عابساً مقطب الجبين. فموظفو الادارة المركزية لمدارس المنطقة، ومركزها قلب المدينة التجاري، ادعوا لأنفسهم الفضل في ما حصل. وتناهت اليه إشاعات مفادها أن بعض التلاميذ غشوا في الامتحان فعلا. والحقيقة أن قلة من الناس صدقت ان هؤلاء التلاميذ القادمين من بيئة محرومة يمكنهم أن يبرعوا في مادة حساب التكامل والتفاضل. وشعر اسكالنتي بأن عليه أن يثبت جدارتهم بواسطة الصف التالي.

كان لدى اسكالنتي ٣٣ تلميذاً على استعداد لأن يثأروا لمشاكل العام ١٩٨٢. وهو بدا في معظم فصل الربيع عكر المزاج عصبياً، وكان دائماً يردد على مسامع تلاميذه أنه مهما كتبت الصحف عن براعته فلا يحسبّن أحد منهم أن في وسعه أن ينجحه في الامتحان بضربة من عصاه السحرية. وراقب برضى مكتوم التأثير الذي أحدثه كلامه فيهم.

كأي مبشر ناجح أو مدرب أو وكيل مبيعات أو رئيس مجلس ادارة أو أي ملهم مبدع، لم يستقر اسكالنتي على أسلوب واحد بل لجأ الى الارتجال مستخدما أساليب مختلفة مع تلاميذ مختلفين.

لكن الاجتهاد كان الاسلوب الأجدى في جعبته، كما رسخ في أذهان تلاميذه القدماء. ولقد درج اسكالنتي وهيمينيز وسواهما من المعلمين الذين شاركوا في تدريس مواد الامتحان المتقدم، على بذل كثير من الوقت مع التلاميذ. فكانوا يجتمعون بهم في

الصباح قبل بدء الدروس، وفي وقت الغداء، وبعد انتهاء الدروس حتى هبوط الظلام، مما جعل تجاهلهم غير ممكن.

في أعماق معظم المراهقين احترام للجهد الصادق يتخطى الحواجز الطبقية والفئوية. حتى وإن أراد هؤلاء المراهقون أن يستسلموا للكسل واللهو فانهم لم يستطيعوا الى ذلك سبيلا مع معلم يبذل قصاراه كما يفعل اسكالنتي، مهما كان رأيهم في لكنته وفي غرابة أطواره. قالت تلميذته دليا مورا لجمع من الأصحاب عام ١٩٨٢: "أنا لا أذهب الى الصف رغبة في الذهاب. ولكن حين ترون الجهد الذي يبذله في الصف فانكم ترغبون في بذل جهد مماثل، بل أكبر."

أجري امتحان ١٩٨٣ في قاعة المكتبة في مدرسة غارفيلد حيث توزع التلاميذ في مقاعد متباعدة جداً في إشراف مراقبيَن عدّا عليهم كل حركاتهم. ولدى اعلان النتيجة بعد بضعة أسابيع بدت على اسكالنتي علامات الرضى. فمن بين التلاميذ الثلاثة والثلاثين نجح ثلاثون، وجاءت نتائجهم كالآتي: ستة نالوا خمس نقاط، وأحد عشر نالوا أربع نقاط، وثلاثة عشر نالوا ثلاث نقاط، وثلاثة نالوا نقطتين. وقد ساوره خوف بسيط من ورود رسائل كريهة من وزارة التربية على غرار السنة الفائتة، لكن أحداً لم يتلقَّ أي رسالة. وهكذا ثبتت سلامة تجربة غارفيلد.

في العام ١٩٨٣ طوِّر برنامج التدريس في مدرسة غارفيلد. وكان هنري غراديلاس وافق على اجراء تجربة مماثِلة لتجربة مادة حساب التكامل والتفاضل في مادة تاريخ أوروبا، وهي مادة دراسية قلّما سمع بها أحد في مدارس الاحياء الداخلية حيث غالبية السكان من أصحاب الدخل المتدني. فطلب من مدير برنامج الامتحانات المتقدمة في المدرسة جون بينيت أن يبدأ اعطاء دروس التاريخ وإن لم يزد التلاميذ المسجلون على خمسة. وفي وقت لاحق أضاف بينيت وزملاء له مواضيع أخرى، فأدخلوا في الامتحان مواد علم الاحياء واللغة الفرنسية وعلم الالكترونيات.

أدرك اسكالنتي وهيمينيز ان في وسعهما تعجيل برنامج تدريس الرياضيات وتوسيعه جذرياً ان هما درّسا المتطلبات الأساسية اللازمة لدرس حساب التكامل والتفاضل، أي علم المثلثات والهندسة التحليلية(٥)، على نحو مكثّف خلال شهري الصيف في كلية لوس انجلس الشرقية. وهذه المواد تدرَّس عادة على امتداد السنة الدراسية. أما التلاميذ الضعفاء فيمكنهما تقويتهم خلال السنة الدراسية باعطائهم دروساً إضافية أيام السبت. كما أن في وسعهما "إستعارة" بعض الوقت الذي يخصصه التلاميذ عادة للراحة أو للنوم أو لكرة السلة أو لمشاهدة التلفاز لتدريس مزيد من الرياضيات.

كانت نسبة تلاميذ غارفيلد الذين ينقطعون عن الدراسة قبل التخرج ما زالت مرتفعة في ذلك الوقت. ولكن كانت في حوزة غراديلاس قائمة باسماء ٤٠٠ تلميذ من خارج المنطقة التي تقع فيها المدرسة، ينتظرون دورهم للالتحاق بها. وكان المجلس

(٥) Trigonometry and analytic geometry

الاستشاري في المدرسة، وهو المرادف التقريبي لرابطة المعلمين والاهالي، أقرّ مشروع غراديلاس القاضي بتعليم متطلبات برنامج الرياضيات في ثلاث سنوات، مما استلزم خفض ساعات تدريس مواد الميكانيك والتدبير المنزلي وتربية الاولاد وسواها من ١١٢ ساعة الى ٤٢.

أما عدد تلاميذ غارفيلد المشاركين في الامتحانات المتقدمة فارتفع من ٧١ في العام ١٩٨٣ الى ١٤٢ في العام ١٩٨٤. وتضاعف عدد تلاميذ صف حساب التكامل والتفاضل فأصبح ٦٨ بعدما كان ٣٤. وبلغت نسبة النجاح ٩٣ في المئة في مقابل ٧٦ في المئة هي نسبة النجاح العامة في البلاد. وفي العام ١٩٨٣ احتلت مدرسة غارفيلد المرتبة ٥٤٤ بين جميع المدارس الامريكية في عدد التلاميذ المشاركين في الامتحان، وما لبثت في العام التالي أن صعدت الى المرتبة ١٥٠.

كان هنري غراديلاس قرأ عن بعض مدارس المهاجرين الممتازة في الساحل الشرقي للولايات المتحدة، مثل مدرسة بوسطن اللاتينية ومدرسة ستوفسانت في نيويورك. كانت تلك المدارس تمثل جاليات مهاجرة واجهت مشاكل وصعوبات جمة ومع ذلك ساندت مدارس ثانوية متطلبة ودعمتها. وهذه، في المقابل، خرّجت رجالا عظماء وبدلت حياة كثير من الناس.

أوَليس في وسع غارفيلد أن تحقق مثل ذلك الانجاز؟

## "إنها تناسبه"

لم يشاطر الجميع هنري غراديلاس حماسته. أناس كثيرون أشاروا على التلاميذ بالاسترخاء وبالاستمتاع ما امكن بمرحلة الدراسة الثانوية، لئلا يُستنفد مخزونهم الذهني والعاطفي.

والى ذلك تعرّض غراديلاس لانتقاد شديد من أهل الحي. فهؤلاء التلاميذ في نظرهم يعانون مشاكل عائلية وضغوطاً كبيرة. ولكن ما هم؟ فللسود مشاكلهم وللمهاجرين من أمريكا اللاتينية واسبانيا والبرتغال مشاكلهم أيضاً، كذلك البيض. أوَيعني ذلك أن تمتنع المدارس عن حثّ تلاميذها لبذل قصاراهم واعطاء أفضل ما لديهم؟ كيف يقنع الأهالي والتلاميذ وحتى أفراد الهيئة التعليمية بأنهم ليسوا ملزمين بأن يعكسوا صورة الأوضاع السائدة في المجتمع؟

كان بين اسكالنتي وغراديلاس توافق في الفلسفة والتطلعات، وكان اسكالنتي يقول بإصرار: "هؤلاء الفتيان يحتاجون الى حافز يدفعهم الى العمل، وهم حين يذهبون الى منازلهم في أوقات فراغهم لا يجدون ما يفعلونه سوى مشاهدة التلفزيون. أما اذا نجحوا في حساب التفاضل والتكامل فهذا يعطيهم شيئاً مفيداً."

كان على اسكالنتي أن يخوض معركة مستمرة مع علماء النفس العاملين في المدرسة. وهو أمر مفهوم. وجوهر الخلاف أن اسكالنتي شعر بأن عدداً كبيراً من التلاميذ يأتون الى الصف مزودين أعذاراً مستعارة من الكبار. وغالباً ما اضطر غراديلاس الى

الفصل في هذه النزاعات. أما نصيحته الى علماء النفس فكانت: "إفعلوا ما في وسعكم، ولكن ابتعدوا عن اسكالنتي، فإن له مدرسته الخاصة في علم النفس، وهي تناسبه."

ستيف روبلز مثال نموذجي. انه فتى طويل القامة ناحلها، اسمر البشرة، بهي الطلعة، سكوت، وعندما يتكلم تتفجر الكلمات من فمه بتتابع سريع. وكان هو واخوته الثلاثة يقيمون مع والدتهم المطلقة في منزل خشبي خرب من غرفتي نوم تعمّه الفوضى ويقع بالقرب من حديقة اوبرغون في منطقة بائسة اسمها "الثقب." ولاعالة أولادها الاربعة كانت الام تعمل من حين الى آخر في وظائف مختلفة. لكن العائلة كانت دائماً تفتقر الى المال.

كان اسم روبلز على قائمة التلاميذ "الموهوبين." وكان مولعاً بالرياضيات، إلا أن المرشد إد مارتن حاول دائماً ان يحفزه على الاهتمام بالصفوف الأخرى، وغالباً ما اضطر الى استدعائه وتوبيخه لإهماله فروضه المنزلية. وكان الفتى يرد بهز كتفيه، فهو نادراً ما تبادل ومدرسيه أكثر من كلمة أو اثنتين، الامر الذي استرعى انتباه اسكالنتي واهتمامه.

تعرّف اسكالنتي الى روبلز في صف الجبر في السنة الثانوية الثانية. جلس روبلز في الصف الخلفي وراقب ذلك المدرّس صاحب اللهجة الغريبة وهو يطرد من الصف تلميذين وصلا متأخرين. إنه لامر مسلٍّ، قال في سرّه، فمع مدرّس كهذا لن يكون الدرس مملاً كسواه من الدروس.

لم تكن مادة الرياضيات لتؤثر في روزنامة روبلز الاجتماعية. فهو اعتاد، ما ان ينهي فرضه المنزلي، أن يخرج الى الشارع ليتمشى مع زمرة من الفتيان عرفت باسم "راشقي الحجار". وكان اكتسب من معارك خاضها بعض الندبات الصغيرة، ومن السهر وقلة النوم تعبيراً منهكاً لا يخلو من شراسة. وهو عمل قارع طبل في عدد من الفرق الموسيقية التي درجت على عزف الايقاعات الصاخبة الرائجة ولكم سخر منه أقرانه في الفرقة عندما ذكر لهم أنه تسجل في صف حساب التكامل والتفاضل. واكتفى بعد ذلك بالقول انه يحضر صفاً في الرياضيات.

حاول اسكالنتي أن يستفز الفتى بإشارات ساخرة الى شعره المنسدل الى الكتفين، مهدداً بقصه. لكن روبلز اعتبر ذلك مديحاً، فالرجل لا يُملّ، والاحاجي والشعارات والالعاب التي يستخدمها تساعد فعلا على تذكّر بعض المعادلات.

اما في مادة حساب التكامل والتفاضل فلقد عُيّن روبلز في صف هيمينيز. ومع أن هذا كان أقل إثارة من اسكالنتي فانه نجح في استمالته بما أبداه تجاهه من صبر واهتمام. ثم ما لبث روبلز أن عاد في السنة الأخيرة الى درس حساب التكامل والتفاضل المتقدم الذي كان اسكالنتي يدرسه بعد الدوام في كلية لوس انجلس الشرقية.

نجح اسكالنتي في جعل روبلز يتوسع في حديثه ولا تقتصر كلماته على القصيرة ذات المقطع الواحد. وشجعّه على التقدم الى مباراة في الانشاء تنظم لـ"مهندسي

المستقبل" وجائزتها ٥٠٠ دولار. وهو قال له: "بالطبع يا ستيف، اذا ربحت الجائزة فإن نصيبي منها ١٠٠ دولار. هذا هو الاتفاق بيننا."

ووافق ستيف بجلال ووقار. وعندما فاز في المباراة فاوضه اسكالنتي في شأن اتفاق آخر: سيقرضه مالا لكي يشتري ثياباً لحضور حفلة تسلم الجائزة. وفي المقابل يقص روبلز شعره.

في الاسبوع التالي عندما وصل ستيف الى مكتب اسكالنتي كاد هذا لا يعرفه. فهو بدا انساناً آخر بثيابه الجديدة وشعره القصير وأذنيه الظاهرتين. وبلهجة رجل اعمال قال: "لقد أحضرت المبلغ. هاك المئة دولار."

فرد اسكالنتي: "إنها مزحة يا ستيف، فالمال مالك."

بدا روبلز مندهشاً، ثم مرتبكاً، ثم قال: "اني آسف، فلم يسبق أن فعل أحد شيئاً من أجلي. إن لي أباً لكنني لا أراه كثيراً. أنا أعرفك الآن وأنت تعرفني."

فرد اسكالنتي: "يؤسفني أن معرفتي بك استغرقت ثلاث سنوات. لقد كنت من أفضل تلاميذي."

## الابطال

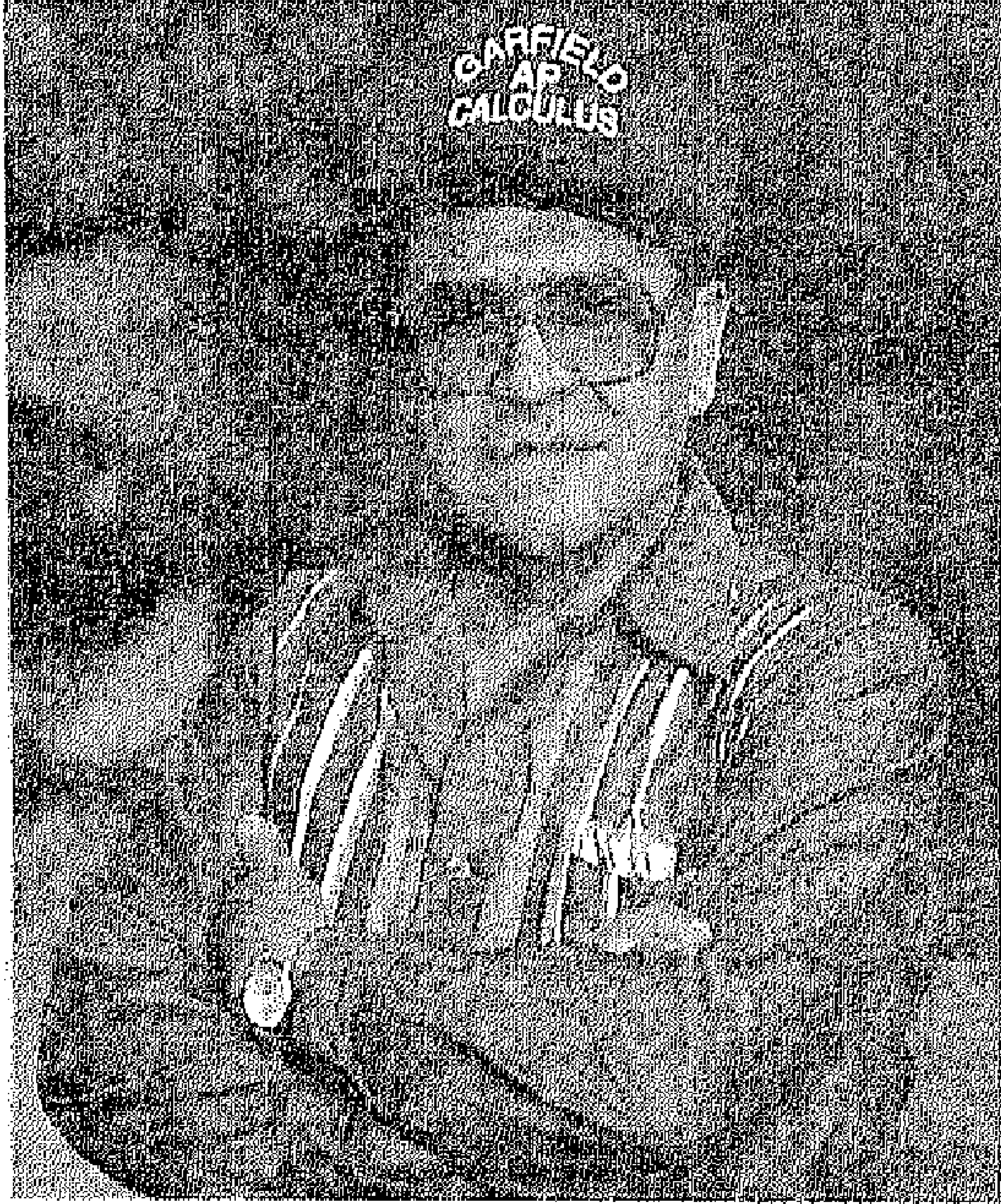
ذات يوم في أوائل صيف ١٩٨٧ أطلّت الشمس من فوق أسلاك الكهرباء في "جادة أتلانتيك" وأنارت واجهة مدرسة غارفيلد ذات الجص الأصفر المزخرف. قبل بضعة أسابيع اشترك في الامتحانات المتقدمة ٣٣٠ تلميذاً. وكان عدد تلاميذ صف حساب التكامل والتفاضل وحده كبيراً جداً بحيث وزعوا على أربع غرف.

ويوم ٧ يوليو (تموز) وصل هيمينيز واسكالنتي في وقت واحد الى صندوق بريد غارفيلد الذي يحوي نتائج الامتحانات.

ارجأ الاثنان فض المغلفات الى حين وصولهما الى مكتب اسكالنتي حيث يتسنى لهما تصوير المستندات للاطلاع على النتائج في الوقت ذاته والتفكير فيها ملياً. فالنتائج بالنسبة اليهما كانت بمثابة تقرير ليّس كسواه. فعلى ضوئها يقوّمان عملهما، وهي المقياس الحقيقي لمقدرتهما ومهارتهما، وهي لذلك مثيرة بمقدار ما هي مخيفة.

تفحصا الوثيقة ذات الصفحات الثماني بعناية ودقة. إلا إن ذلك لم ينبئهما على الفور بالنجاح المدهش الذي أحرزاه مع جميع مدرّسي غارفيلد. وتعين عليهما أن يرجئا أحكامهما عدة أسابيع يعرضان خلالها نتائج مدارس أخرى.

أظهرت النتائج أن ٧٤ في المئة من التلاميذ الـ٣٣٠ الذين تقدموا الى الامتحان نالوا ثلاث نقاط وما فوق. وتبين أن غارفيلد وحدها باتت تخرج ٢٦ في المئة من جميع التلاميذ الامريكيين من أصل مكسيكي الناجحين في امتحان حساب التكامل والتفاضل المتقدم.




بعد اثنتي عشرة سنة، منذ أوشكت مدرسة غارفيلد على الاقفال، تبوأت المرتبة الرابعة بين جميع المدارس الثانوية الرسمية في الولايات المتحدة قياساً بعدد تلامينها المتقدمين الى امتحان حساب التكامل والتفاضل المتقدم.

اثنتان من المدارس المتقدمة عليها تعتمدان نظام تسجيل تنافسياً. اما المدرسة الخاصة الوحيدة التي تفوقت عليها في النتائج فكانت معهد فيليبس في أندوفر بولاية مساتشوستس.

وعلى رغم التقدم الخارق الذي حققته مدرسة غارفيلد، ظل هناك من يراهن على بطلان المعجزة. ماذا سيحصل اذا غاب اسكالنتي؟ ماذا سيحل بهؤلاء التلاميذ اذا افتقدوا من يحفزهم؟ هل سيحفزون انفسهم؟ ولقد علّق أحد المشككين في غارفيلد قائلا: "انها كعملية إنقاص الوزن. المهم هو الاستمرار في المدى الطويل."

أما السؤال الذي ردده معظم الناس فكان: "ماذا سيحل بتلاميذ اسكالنتي عندما يدخلون الجامعة؟"

وفي تقرير كتبه عام ١٩٨٦ أرمان راموس رينولدز مدير برنامج الهندسة المخصص بالأقليات في جامعة كاليفورنيا الجنوبية في لوس انجلس: "شكّل تلاميذ غارفيلد خلال السنتين الاخيرتين أكبر مجموعة من الاقليات في السنة الجامعية الاولى. وفاق عددهم عدد نظرائهم الآتين من بقية مدارس لوس انجلس الشرقية مجتمعة. وأهم من ذلك أن تحصيلهم الاكاديمي أفضل كثيراً من تحصيل أي طالب هندسة عادي في جامعة كاليفورنيا الجنوبية. وهم يبدون مقدرة فائقة على الاستيعاب والتذكر."

في ربيع ١٩٨٨ احتفل هايمي اسكالنتي بتخريج سبعة من تلامينه في كلية الهندسة بجامعة كاليفورنيا الجنوبية. كما تخرج سواهم في جامعات أخرى مرموقة.

وباعتزاز وفخر راقب اسكالنتي تلاميذه من فوج العام ١٩٨٢ يقتحمون الحياة ويتبوأون مراكز رفيعة ويلفتون الانظار بانجازاتهم الرائعة.

□ بعد خمس سنوات من نجاح إلي تابيو في امتحان حساب التكامل والتفاضل، باتت تحمل شهادة بكالوريوس وشهادة ماجستير في ادارة الاعمال وتشغل منصب مدققة حسابات في إحدى كبرى شركات النفط.

□ حازت مرغريت زاماريبا شهادة جامعية ونجحت في امتحان المحاسبة العامة ودخلت الجامعة لدراسة الحقوق.

□ نالت إلسا بولادو شهادة جامعية في علم النفس الاجتماعي وفي التاريخ من جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس. وهي تعلم حالياً في مدرسة ابتدائية في شرق لوس انجلس.

□ ما زال راوول هارو يتابع دراسته، وقد نال شهادات جامعية في الهندسة الفضائية وعلم الادمغة الالكترونية من جامعة بوليتكنيك في كاليفورنيا. وهو في الوقت نفسه يروّج بنشاط وفاعلية لمهنة الهندسة بين أفراد الجاليات المهاجرة من أمريكا اللاتينية.

□ نال لويس سيرفانتس شهادة بكالوريوس في علم المناعة وعلم الأحياء المجهري من جامعة كاليفورنيا في بيركلي. وهو يعمل حالياً في مختبر للمنتجات التشخيصية.

□ مثل معلّمه، اختار روي ماركيز الانخراط في الهيئة التعليمية في مدرسة غارفيلد الثانوية. وبدأ عمله في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦ مدرساً لعلم الدماغ الالكتروني. وبعد تسعة أشهر احرز تلاميذه أعلى نقاط شهدتها غارفيلد منذ بدأ تلاميذها التقدم الى الامتحان المتقدم في علم الدماغ الالكتروني.

جميع الاشخاص الذين مر ذكرهم أتوا من بيئات أمية محرومة. ولو راوحوا في مكانهم لما استغرب ذلك أحد. إلا أن هايمي اسكالنتي شق أمامهم طريقاً للخروج الى العالم.

**جاي ماثيوز ■**

ترجمة د. باسمة سكرية عيد



## اذا لم تكن ذئباً...

ت. بون بيكنز مدير شركة تعمل في المضاربات التجارية. وهو خبير ماهر في معرفة الناس وإدارة الاعمال على حد سواء. كتب:

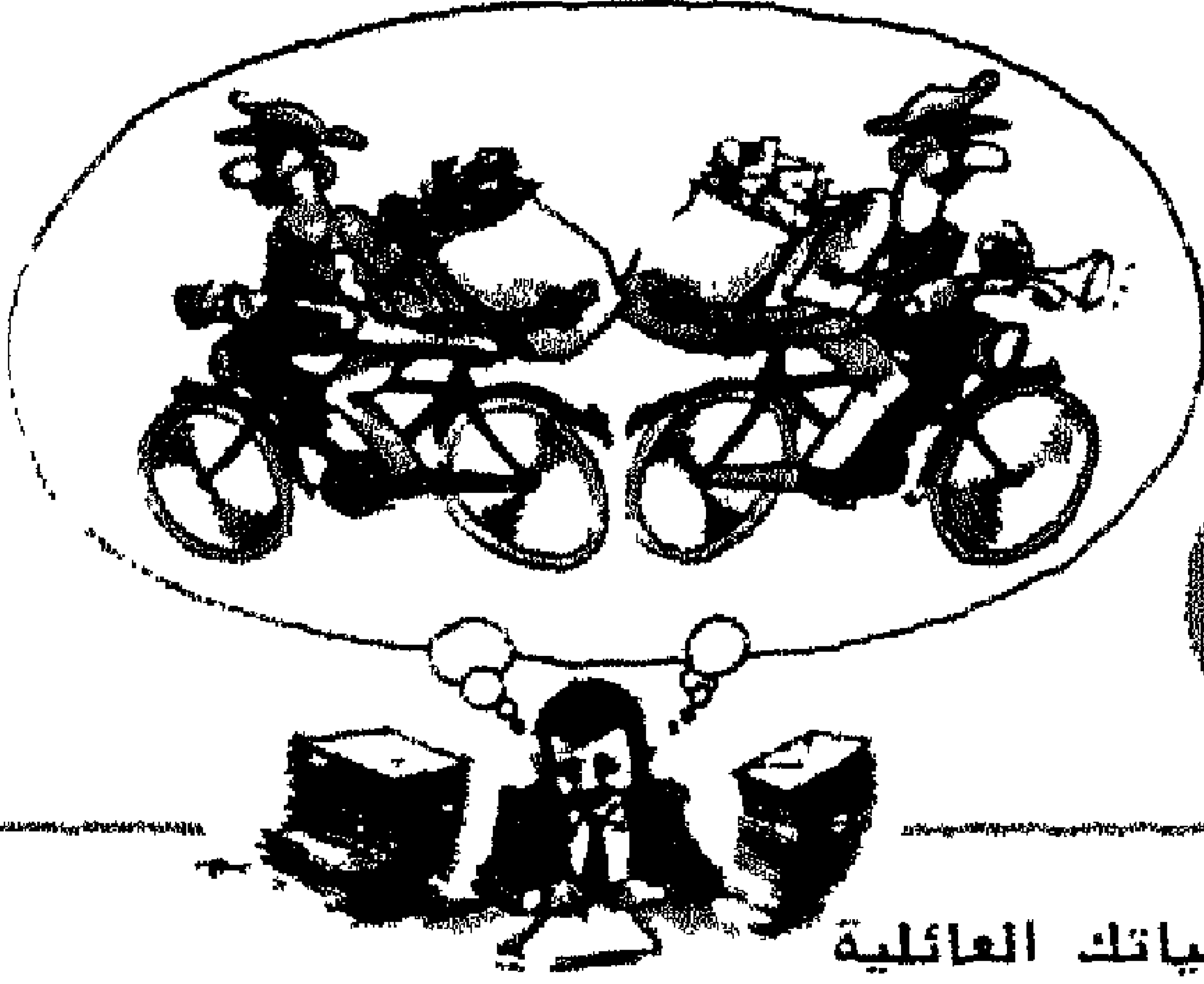
عندما كنت في نهاية العقد الرابع من عمري دعيت الى الانضمام الى مديرين تنفيذيين كبار لشركات أضخم من شركتي، في لقاءات اجتماعية ورياضية. كنت فضولياً ومروّعاً في آن في انتظار لقاء هؤلاء الناس الشديدي الاهمية.

يمكنك أن تعرف الناس في لقاء غير رسمي، كمخيم صيد مثلا، على نحو أفضل مما لو كنت تتفاوض وإياهم على صفقة. وأنا لم يلزمني وقت طويل لأكتشف الكاذبين (الذين ادعوا أنهم أصابوا في حين أنهم اخطأوا الهدف)، والمتبجحين (الذين عرضوا بنادقهم الغالية الثمن).

بعدما عاشرت هؤلاء "الشباب" العاملين في شركات المضاربة تعلمت كيف يفكرون. فقررت أن شركتي الصغيرة يمكنها أن تفوق شركاتهم الكبرى حيلة ودهاء.

ب.هـ.م.

# اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية

**صور من الحياة:** القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٤٥ دولاراً.

**تأملات معاصرة:** مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين

**حديقة أفكار:** أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

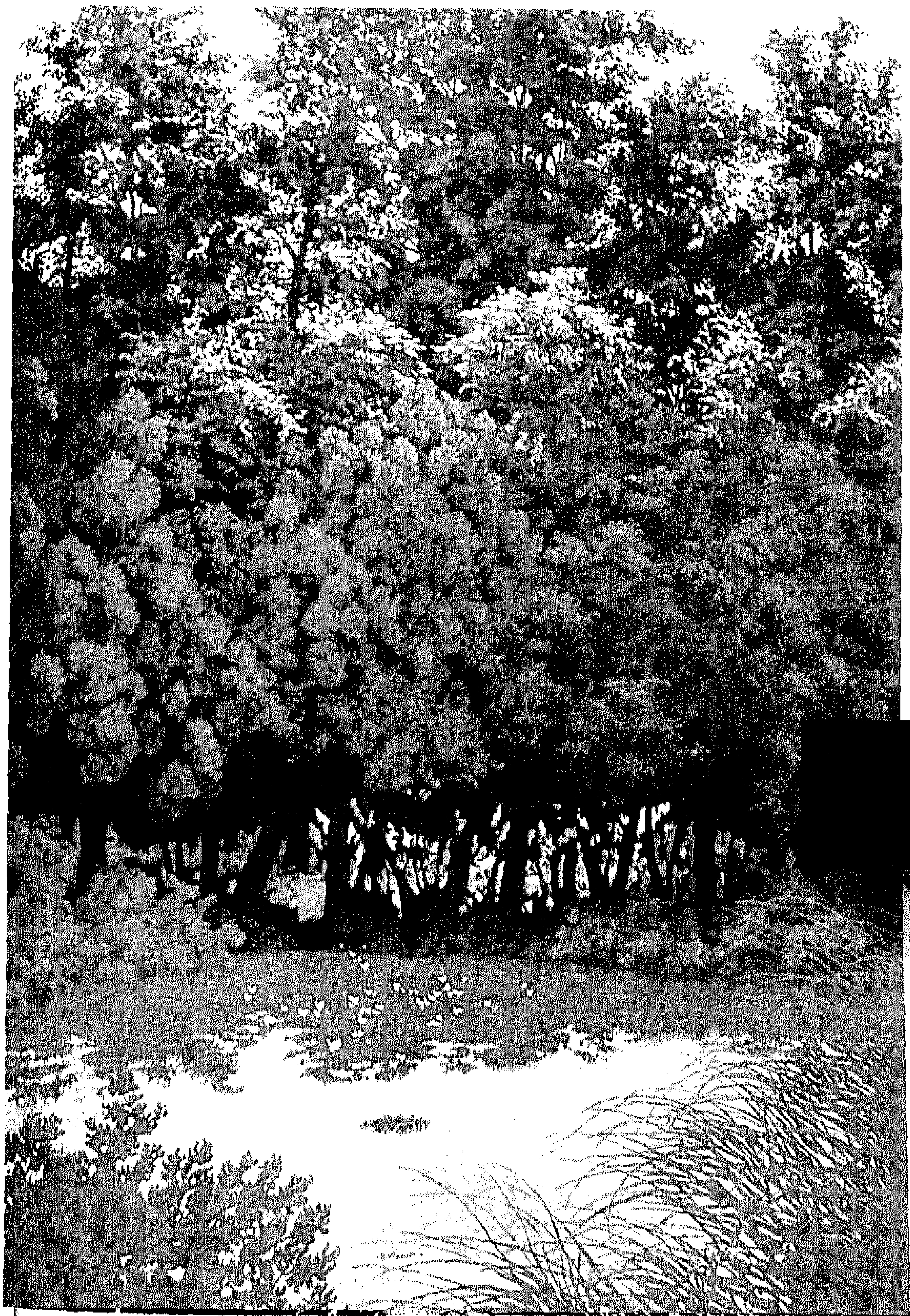
**الضحك خير دواء:** تفضل النكته الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود تدفع ٤٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة

**السدات:** هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين

## شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجله أو الجريدة التي نظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار)
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاه من مصادر أجنبية
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد. فالمقصود أن يحسن القارئ الاختيار
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص ب ٥٥٢٢٨، المتن الشمالي، لبنان



"الربيع" للرسام الايطالي أنطونيو موتشي

يونيو (حزيران) ١٩٨٩ – ذو القعدة ١٤٠٩

# المختار

من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Reader's Digest June '89 N° 127





السلطان سليمان
(ص ١٠)

الاكتفاء الجنسي ينعش الزواج
(ص ٢٤)

سفّاح الأرياف
(ص ٣٥)



# المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير - المدير المسؤول ادمون صعب.
امانة التحرير راغدة حداد. الاخراج جورج عالي. الخطوط جبران مطر.

---

الامتياز شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت
رئيس مجلس الادارة - المدير العام الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون داني دحداح - باز.

التحرير والادارة مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي - لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ - ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE

الاشتراكات فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١- ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE
الصف والتنفيذ المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.
التوزيع الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

---

AL MUKHTAR min Reader's Digest







Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd Sin el-Fil, P.O.Box 55228,
El-Metn, Lebanon.
Tel 492670 — 491630, Telex. MUKTAR 44615 LE





MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

---

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير فرنسيس ح. شيل. المدير العام جورج ف. غرون.




---


لبنان ٢٥٠٠ل - سورية ١٥ل - الأردن ٧٠٠ف - الكويت ٧٠٠ف - الامارات العربيه المتحده ٩د - قطر ٨ر - البحرين ٨٠٠ف -
السعودية ١٠ر - مصر ١٠٥ح - السودان ١ح - ليبيا ٥٠٠د - ج.ع. اليمنية ٧ر - مسقط ٨٠٠ب - العراق ٨٠٠ف - قبرص ٧٥ب -
تونس ٧٠٠م - المغرب ٧د - الجزائر ٧د - فرنسا ١٠ف - انكلترا ١ح - اليونان ١٣٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢٠٥د

# حديقة أفكار

- لا يسع المرء أن يكون مرتاحاً رخيّ البال من دون موافقته.

مارك توين، روائي امريكي

- يتشبث برأيه مَن بناه على قليل من الوقائع.

أ.ع.

- تسلّقْ احدى التلال عند المغيب. فكل انسان يحتاج الى نظرة شاملة بين حين وآخر، وانك لواجدها هناك.

ر.س.

- ليس بالرويّة تُصنع الابطال.

ك.ن.

- النسب لا يزال الاهم لمن لم يحصّلوا شيئاً بأنفسهم.

لوي لامور، روائي أمريكي

- من فنون رفع السأم عن الحديث قول كلام غلط.

ف.ش.

- احدى أعاجيب الحياة... أعجوبة الحياة نفسها.

ب.ك.

- هناك بعض الانتصار في العمل الجيد، مهما يكن متواضعا.

جاك كمب، نائب أمريكي

- أحياناً تكون صغار الحياة أصعب ما يكابده المرء. فأنت تستطيع الجلوس على جبل براحة أكثر من الجلوس على مسمار.

ل.ش.

المختار
من ريدرز دايجست — السنة الحادية عشرة (سلسلة جديدة)
يونيو (حزيران) ١٩٨٩
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

# ساعدوا أولادكم على اختيار المهن التي يحبون

□ يعمل والدا بوب محاسبين في مصلحة الضرائب. ويقول بوب (٣٨ عاماً) عارضاً أحد الاسباب التي جعلته محاسباً: "كان هذا العمل مألوفاً لدي، وكنت أعرف كيف أنجح فيه." ولسوء الحظ كان بوب يفضل العمل في مجال آخر، في الطيران أو في التجارة. لكنه لم يعمل في أي من هذين الحقلين لانه لم يكن يعرف السبيل الى ذلك.

□ طوال حياته أراد ستيف (٢٩ عاماً) ان يصبح محامياً. لكنه ترك كلية الحقوق بعد أشهر قليلة من دخولها مدركاً أنه لم يكن أهلاً لها. وذهب للعمل مع جده في تجارة الأقمشة. وهو الآن أسعد كثيراً مما كان.

□ تكسب ماليسا (٢٧ عاماً) راتباً شهرياً جيداً في عملها كمديرة تسويق في مصرف. لكنها غير سعيدة في عملها. وهي في الواقع لم تكن راغبة في مهنة تجارية أو ادارية، لكنها دخلت هذا الحقل ارضاء لاهلها. وأخيراً ساعدها مستشار مهني على اكتشاف الحقل الذي ترغب فيه حقاً، وها هي اليوم تدرس لنيل شهادة في المعالجة الفيزيائية.

بوب وستيف وماليسا هم ضحايا تخطيط سيىء، وبسبب افتقارهم الى التوجيه السليم أخفقوا في اختيار المهن التي تناسبهم. وهم ليسوا الوحيدين في ذلك، فكثير من طلاب الصفوف الثانوية يقولون أنهم يحتاجون الى مساعدة في تقرير مجال العمل الصحيح.

ان اختيار مهنة من بين عشرات ألوف المهن ليس بالامر السهل. وعلى الشباب العديمي الخبرة وغير القادرين على اتخاذ القرار أن يلتمسوا مساعدة الآخرين. ومع

Illustration: Mark Schuler



# أفكار من خبراء لتوجيه أولادكم نحو اختيار المهن المناسبة

أن المرشدين المهنيين في المدرسة قد يزودون التلاميذ أكداساً من المعلومات، فان معظم الخبراء يتفقون على أن الاهل هم المؤثر الاول في اختيار الولد مجال عمله.

ومن المؤسف أن معظم الاهل يجهلون كيف يقدمون العون الى أولادهم. وفي ما يأتي سبع أفكار من خبراء لتوجيه أولادكم نحو المهنة الصحيحة:

## ١. حددوا اهتمامات أولادكم.

يتوهم كثير من المراهقين أنهم في مستهل درب العمل. والحقيقة أنهم على الدرب منذ سنوات. فمن خلال الدراسة والنشاطات الرياضية والهوايات ينجذب كل ولد نحو اهتماماته الشخصية.

بروكس بنس (٣٦ عاماً) طبيب في ايستون بولاية بنسلفانيا. وهو اختار حقل عمله عندما كان تلميذاً في الصف الثانوي الاول. يقول: "أدركت أنني أحب العمل مع الناس. وكنت كثير الاهتمام بالمواضيع العلمية، ولدي فضول فطري لمعرفة أحوال الكائنات الحية."

ساعدوا أطفالكم على اكتشاف العلامات الاولى الدالة على رغباتهم المهنية، بطرحكم بعض الاسئلة عليهم: ما هي النشاطات التي تثيرك أكثر؟ ما هي المواد الدراسية المفضلة لديك؟ وما هي المواد التي لا تحبها؟ هل تحب العمل مع الناس؟ هل تعمل أفضل تحت الضغط أم في جو هادىء؟ ما الذي يجذبك الى هوايات معينة ورياضات معينة؟

ان الاجوبة عن هذه الاسئلة هي خطوة تمهيدية نحو تحديد الوجهة، وأداة قيمة لحذف المهن غير الملائمة.

تذكروا أيضاً أن تستشيروا المعلمين والقادة الكشفيين والاصدقاء والاقارب والمدربين الرياضيين وآخرين شاهدوا أولادكم في ظروف مختلفة. ففي وسع هؤلاء تزويدكم رؤية اضافية لستم وأولادكم على بينة منها.

وبرامج الادمغة الالكترونية المتوافرة في مكاتب التوجيه المهني في بعض المدارس والجامعات قد تساعد الفتيان على تحديد اهتماماتهم وتوجههم الى آفاق مهنية واسعة.

## ٢.أعطوا توجيهات لا أوامر.

مهم أن يترك الخيار الاخير للولد. في كثير من الاحيان يشير الاهل على أولادهم، صراحة أو على نحو غيرمباشر، بالمهنة التي يتعيّن عليهم احترافها. وفي هذه الحال قد يتبع الاولاد أحلام أهلهم بدل أحلامهم الخاصة.

ولكن ماذا عساكم تفعلون ان ظننتم أن ولدكم متوجه نحو اختيار هدام؟ يقول البروفسور أدوين هر، وهو مستشار مهني وأستاذ في جامعة بنسلفانيا الحكومية: "قليلة هي القرارات التي يتعذر تغييرها." دعوهم يخطئون. قد يكون ذلك ضربة موفقة. ويضيف لي ريتشمود منسق برنامج الارشاد التربوي للمتخرجين في جامعة لويولا بولاية مريلاند: "ليست هناك قرارات خاطئة وأخرى صحيحة في اختيار مهنة ما، انما هناك قرارات خيارية بين مهنة وأخرى."

تقول ايلين كابك وهي مرشدة مهنية في تورانس بولاية كاليفورنيا: "يجب على الاهل أن يطلعوا ولدهم على حسنات المهنة التي يريد مزاولتها وعلى سيئاتها." عندما أخبرها ابنها دوغلاس أنه يريد أن يصبح ممثلاً، لم تحاول التدخل في قراره. وهي تقول: "لو فعلت ذلك لنفر مني. وهو كان سيمتهن التمثيل في النهاية." لكنها حدثته عن وقع الصدمة عليه عندما يرفض لتمثيل دور ما، وعن اضطراره الى قبول أعمال موقتة ريثما يحصل على الدور الكبير. وهو اليوم

يمثل دوراً رئيسياً في مسرحية "هاملت" كجزء من شهادة الماجستير التي يحضرها في جامعة كاليفورنيا الجنوبية. وقد ظهر على شاشة التلفاز في مسلسل درامي. ووجب عليه تأمين مصروفه بالخدمة في المطاعم وبتعليم فنون المسرح، لكنه سعيد جداً.

## ٣. وسعوا لاولادكم آفاق الخبرة.

ان الاولاد الذين يتعرفون الى مهن متنوعة خلال فترة نموهم لن يواجهوا صعوبة في التعرف الى الخيارات الملائمة عندما يصلون الى مرحلة الاختيار المهني. اصطحبوا الاولاد الى المحكمة، مثلاً، وسيتعرفون هناك الى عدد من أصحاب المهن الممارسة: محامي الدفاع، المدعي العام، القاضي، كاتب المحكمة، الحاجب، الشهود ذوي الخبرة، الصحافيين والمذيعين.

وفي وسع أولادكم أن يستشفوا عالم العمل من خلال وظيفة مفيدة بدوام جزئي في الصيف، يتعلمون من خلالها أمور المهنة. عمد أحد الآباء، وهو مدير مجموعة من المخازن الغذائية، الى تدبُّر وظيفة لابنه لدى زميل مسؤول عن الصيانة. أدرك الولد هناك أنه يحب العمل بيديه. وبعد تخرجه في الجامعة أدار مشروعاً لاعادة تصميم المخازن الستين في هذه المجموعة.

حثّوا أولادكم على المشاركة في عمل جماعي وتطوعي. ان الذي يتطوع للعمل في مستشفى، مثلاً، يحظى بفرصة كبيرة لاختيار عمل في المجال الطبي، بدءاً بالطبيب وانتهاء بالموظف الاداري.

عندما يحدد الاولاد المهن التي تستميلهم، من الضروري أن يدركوا معنى العمل خمسة أيام في الاسبوع، أو أكثر. تقول دوان براون، أستاذة التربية في جامعة كارولينا الشمالية: "لا يجوز أن يصبح المرء طبيباً بيطرياً إلا إذا خرج مع طبيب بيطري وشارك في عملية ولادة عجل، أو إذا عمل في مستشفى للحيوانات الاليفية".

ان العمل الصيفي والوظيفة بدوام جزئي والعمل التطوعي لا تعطي الفتى خبرة عملية قيِّمة فحسب بل تجعل ملف الشاب البالغ أكثر جاذبية لارباب العمل.

## ٤. فكروا في المستقبل.

ينشر بعض الدوائر الحكومية تصورات للاتجاهات المستقبلية في مجالات العمل. وهذه المعلومات قد تبعد الاولاد عن اختيار المهن المكتظة أو تحذرهم من أن المزاحمة فيها ستكون على أشدها.

قبل سنوات واجه مهندسو النفط والمعلمون والمتخرجون في ادارة الاعمال مزاحمة قوية في مجالاتهم المهنية. واليوم يظهر أن مبرمجي الدماغ الالكتروني يسيرون نحو مصير مماثل.

## ٥. ركزوا على الايجابيات.

اياكم والتأفف. يقول المستشار المهني ادوين هر: "ان التهويل على الاولاد بغية قولبة شخصياتهم أو ترحيلهم عن المنزل لا يجدي، اذ انه يقف حاجزاً أمام الاسئلة التي يحاول الاولاد ايجاد أجوبة لها، كما أنه يضعف شخصيتهم ويهدم احترامهم الذاتي".

تقبلوا حيرة ولدكم بواقعية. فهذا طبيعي بالنسبة الى كل من يقفز في المجهول. تجنبوا العبارات الهدامة.

يقول الطبيب النفساني مارك غاولستون من لوس انجلس: "من الطبيعي عندما يحاول الولد القيام بعمل جديد أن ينظر الى الوراء منتظراً التشجيع من أهله. فالاهل مصدر دعم مهم لاولادهم، والاولاد يريدون من أهلهم أن يكونوا حاضرين متى دعت الحاجة".

عندما تتعقد قنوات الاتصال بينكم وبين ولدكم وجهوه نحو مرشد مهني أو معلم مفضل لديه أو شخص بالغ يحترمه للأخذ بنصحه.

اصطحب زوجان قلقان إبنهما البالغ ١٧ عاماً الى المستشار المهني هر يشكوان من علاماته المدرسية وافتقاره الى الدافع. قالت الام باكية: "انه لا يهتم بمستقبله البتة".

عندما كلم هر الشاب على انفراد تبين له على الفور انه كان منشغلاً باختيار مهنة. ويقول هر في معرض حديثه عن قلق الاولاد من تخييب ظن أهلهم بهم: "كانت المشكلة في عدم معرفته كيف يبدأ. وكان خائفاً من اطلاع أهله على الامر".

أحياناً يكون عدم الاهتمام المزعوم أسلوباً يلجأ اليه الولد لاخفاء عدم استقراره.

## ٦. لاحظوا ميل الولد الى الأعمال الحرة.

بعض الناس مفطورون على ممارسة الاعمال الحرة. يفضلون العمل المستقل، وهم مستعدون لمخاطرات مدروسة، ولديهم احساس قوي بأنهم سينجحون، ويسرون بأنهم مسؤولون تماماً عن نجاحهم أو اخفاقهم. وهم لا يخافون العيش من دون راتب شهري مؤمَّن.

وبما أن المتعهد المبتدىء مسؤول عن كل جوانب العمل، فيمكنه الافادة من الدراسة الجامعية لادارة الاعمال ومن العمل كموظف في حقله قبل الشروع في الاعمال الحرة الخاصة.

تعلم مايكل ارينفتون الامور المتعلقة بوكالات السفر في معهد مهني خاص. وافتتح أعماله الخاصة عام ١٩٦٩ وأسس في شيكاغو "مركز أرينفتون للسفريات" الذي غدا شركة يبلغ دخلها السنوي ٧٠ مليون دولار.

هناك أمر واحد يجب أن يتذكره جميع الذين يتوقون الى الاعمال الحرة. يقول توم رايكس مدير برنامج التخطيط المهني في جامعة ميسوري - كولومبيا: "إن الاثارة في العمل الحر تكمن في قدرة المرء على أن يعمل ساعة يشاء وأن يربح مالاً اكثر من موظف يعمل براتب شهري. لكن الواقع هو أن العمل الشخصي الحر يتطلب جهداً قوياً وساعات طويلة من العمل الشاق".

## ٧. لا تقيّدوا بناتكم.

على الاهل أن يكونوا حذرين فلا يوصدون الابواب في وجه بناتهم عن غير قصد. إن الفتيات يبعدن أحياناً عن الرياضيات والعلوم بتأثير من رفيقاتهن ومعلماتهن ومرشداتهن في المدرسة. هنا يتضاعف دور الاهل في تشجيع بناتهم.

يجب تشجيع الفتيات على القيام بما يرغبن، فالنساء ينجحن في جميع الحقول كما الرجال. وعلى رغم أن فتيات كثيرات يفضلن أن يصبحن ربات بيوت، وهذه مهنة لا تقل شأناً عن غيرها، يتفق المرشدون على أن من الحكمة التحضير لمهنة بديلة للجوء اليها عند الحاجة المادية. يقول توم رايكس: "إنني أشجع المهنة البديلة بسبب احتمالات الطلاق أو وفاة الزوج".

قد تبدو عملية اختيار المهنة مربكة، ولكن من المهم أن يتذكر الاهل والاولاد أن التعديلات ممكنة دائماً. وبما أن المهنة تتطور، فإن بعض التغييرات سيحصل.

يقول لوثر اوتو رئيس دائرة علم الاجتماع وعلم الانسان في جامعة كارولينا الشمالية الحكومية: "يؤمن الشباب بأن المهنة التي يبدأون بها ستكون المهنة التي يتقاعدون فيها. لكن هذا غير صحيح أبداً".

على الموظفين أن يبحثوا دائماً عن طرق لاقتحام مجالات جديدة، وإن تكن تختلف كلياً عما يتعاطون.

**ماري هودج وجيف بليسكال** ■

## بساط الريح!

مع أني أقود سيارة منذ عدة سنوات فاني لم أضطر يوماً الى تعبئة خزانها بالوقود لأن زوجي كان يوفر علي دائماً هذه المشقة. الى أن جاء يوم لاحظت أن مقياس الوقود يشير الى نفاده، فقررت أن أجرِّب ذراعي بضخ الوقود في محطة للخدمة الذاتية.

تعنيت حتى صففت السيارة قرب المضخة كما يفعل زوجي، وقرأت التعليمات بعناية وباشرت ملء الخزان. وعندما اقترب المسؤول ليأخذ المال أعلنت بفرح: "أنا أقود سيارتي منذ ١٣ سنة، وهذه هي المرة الاولى أضع فيها وقوداً!"

فقال لي: "أخبريني يا سيدتي كيف تفعلين ذلك، فنصبح كلانا غنيين."

س.غ.

---

## أطفال الكومبيوتر

في أحد صفوف الروضة كنت أعلِّم الاطفال كيف يستخدمون الدماغ الالكتروني (الكومبيوتر). وكانوا تقدّموا الى حد أنهم باتوا يطبعون الاجوبة عن الاسئلة. ولما لاحظت أن أحد الاطفال ينظر حوله باضطراب اقتربت من مقعده وقلت له: "يريد الكومبيوتر أن يعرف اسمك." وما إن ابتعدت عنه حتى سمعته يهمس للدماغ الالكتروني: "اسمي سامي."

ل.ف.



# السلطان سليمان

## أجلّه قومه وخافه الغرب وفي أيامه بلغت الامبراطورية العثمانية ذروة مجدها

الجهاد يُشن بايمان متوقد. جحافل السلطان العثماني، سيف الاسلام، تندفع من تركيا الى قلب أوروبا في بلغراد وبودابست وتبلغ أسوار فيينا. قوات المسلمين ونصارى الغرب تتلاحم في صراع مميت على أراض وبحار تنتشر في ثلاث قارات.

وتشمل لائحة المتصارعين رجالات من القرن السادس عشر: شارل الخامس عاهل الامبراطورية الاسبانية والمحارب الصليبي ضد الإسلام طوال حياته، وخصمه فرنسوا الأول ملك فرنسا، ومارتن لوثر المصلح السكسوني الذي فرط من دون قصد وحدة الكنيسة، وهنري الثامن ملك بريطانيا وهو الحليف المتلوّن وعدو الثلاثة معاً.

ووسط هذه الساح العالمية يقف رجل أعلى ممن عداه: سليمان، أمير المؤمنين وحامي الحرمين الشريفين وسلطان سلاطين الشرق والغرب. هذا الرجل أجلّه قومه ولقبوه "القانوني". وخافه الغرب وأعجب به ولقّبه "الأعظم". لقد تمكن سليمان من ايصال الامبراطورية العثمانية الى ذروة قوتها. وقد ذكر أحد

الديبلوماسيين من البندقية عام ١٥٢٥: "لا أعرف دولة أسعد من هاته. فهي غنية بذهبها وناسها وسفنها وطاعة الرعية لراعيها. فليحفظ الله أعدل الاباطرة طراً".

لقد وُهب سليمان حكماً تطاول مناهزاً ٤٦ عاماً، وعمراً بلغ ٧٢ سنة مترعاً بالانتصارات المظفرة والمآسي القاتمة. وكان مقر حكمه اسطنبول، مدينة القسطنطينية الشهيرة التي اسست قبل ١٢ قرناً وهزّ سقوطها عام ١٤٥٣ أركان أوروبا. لكن أمنية المسلمين تحققت، فقد توصل محمد الفاتح، والد جدّ سليمان وسليل بدو تركستان، الى التربع على عرش أباطرة الرومان معلناً أنه وارث الاراضي التي كانت تحت حكمهم. وزاد من تعطشه الى الجهاد هدف توسعي جلي هو الحلم الذي راوده بتوحيد العالم تحت راية الاسلام. وبذا انطلقت الفتوحات غرباً. وفي العام ١٥١٤، بعد ٣٠ سنة على وفاة محمد الفاتح، طرق السلطان سليم الأول والد سليمان أبواب ايران. ثم انعطف جنوباً فاتحاً سورية ومصر مما ضاعف رقعة الامبراطورية.

**حمل وديع!** ولد سليمان عام ١٤٩٤ في ترييبزوند، مدينة القوافل الشهيرة على البحر الاسود، التي حكمها سليم حين كان أميراً. هنا تدرب الفتى على حرفة صياغة الذهب، اذ درجت العادة أن يحذق الأمير العثماني في صناعة ما إضافة الى الحكم والحرب. عُين سليمان والياً على مانيسا قرب بحر ايجه لما بلغ الثامنة عشرة، وتابع تلقي دروس في التاريخ والقرآن الكريم والشعر ووصايا الحكم. ومضت الدروس حثيثاً مع ابرهيم، وهو صياد يوناني فتى اقتاده المغيرون الاتراك عبداً. وقد درس العلوم في بيت أحد الاثرياء في مانيسا. وكان فطناً جذاباً، يتكلم عدة لغات بطلاقة، فوصل الى بلاط الامير سليمان معتنقاً الدين الاسلامي. وغدا الامير والرقيق نديمين وصاحبين. كانا يتصارعان ويتبارزان بالسيف ويرميان النبال ويركبان الخيل ويتناولان الطعام معاً، متناقشين في الكتب التي قرأاها.

وفي أواخر سبتمبر (أيلول) ١٥٢٠ جاء رسول الى مانيسا يخبر بوفاة السلطان سليم. وبعد ثلاثة أيام من الارتحال الشاق على ظهور الخيل وصل سليمان الى مضيق البوسفور. واذ جاز به المركب المياه الساكنة عند القرن الذهبي رمق سليمان للمرة الاولى المدينة التي ستصبح عاصمة حكمه.

رأى سليمان الحصن ومدفعه الضخم "الذي لا مثيل لحجمه وماسورته الضخمة". ولاحت له في الأفق قبة آيا صوفيا، الكنيسة التي حوِّلت جامعاً. وجالت عيناه على الهضاب فرأى بيوتاً خشبية حقيرة تؤوي أُسراً كان سلاطين بني عثمان نقلوها الى هنا من كل صقع في الامبراطورية وبينها يهود اسبان ومغاربة أقصتهم محاكم التفتيش الاوروبية.

وعلى قمة القرن الذهبي يقع مقام أيوب عليه السلام الذي استشهد عام ٦٧٠. هنا، في ٣٠ سبتمبر (أيلول) من العام نفسه، تنطق سليمان بسيف

عثمان، أول سلطان عثماني، وقد غدا بدوره الآن سلطاناً وفي يده قوة قاهرة. وكان أول أعمال سليمان الرسمية الأمر ببناء ضريح ومسجد ومدرسة إكراماً لذكرى أبيه، وإطلاق ٦٠٠ سجين مصري، وإنزال العقوبة بعتاة المجرمين. وتعقيباً على ذلك قال أحد المراقبين: "بدا للناس حينذاك أن حملا وديعاً خَلَف أسداً هصوراً."

**غزو أوروبا.** لكن الحمل كان أسداً متنكراً. انطلق سليمان غرباً ليحقق ما أنجزه والده شرقاً. في ربيع ١٥٢١ باشر حملته على أوروبا. وسقطت بلغراد، مركز دفاعات منطقة البلقان، بعد أسابيع من القصف تخللها عشرون هجوماً كثيفاً.

في الصيف التالي حاصر سليمان رودس، الحصن الحصين لفرسان القديس يوحنا والواقعة بين عاصمته وبلاد مصر. انقضى الصيف ودخل الشتاء وسقط الحصن الهائل بعد ١٤٥ يوماً. وعرض سليمان شروطاً كريمة للصلح: أن يرحل الفرسان والمرتزقة أحراراً خلال ١٢ يوماً، وفي وسع الاهالي أن يغادروا المكان في أي وقت يشاؤون خلال ثلاث سنوات. وقد حظي السلطان باعجاب أوروبا قاطبة لمروءته في معاملة خصمه الباسل.

وسليمان اذ لا يكون في غزو أو صيد كان يقطن قصر توبكابي الذي بناه محمد الفاتح. وكان توبكابي مدينة داخل أخرى، فهو مستقر الوزراء والقضاة ورؤساء الأقسام الذين يسيرون تجارة الامبراطورية، وفيها مواقع تدريب صفوة الجند ومدرسة للموظفين ومحترف للفنانين واسطبلات للجياد ومقصد لرافعي العرائض والشكاوى. وفي القصر عشرة مطابخ تطعم ألوف الضيوف. وكثيراً ما كان يذبح نحو ٣٠٠ خروف يومياً.

وكانت استقبالات السفراء تُعد بحيث تظهر أبهة العثمانيين وقوتهم. وعند البوابة السلطانية رؤوس معلقة للخونة ترحب بالقادم. وبعد مرور السفير بحجرات الجلادين يلقى الوزير الاكبر الذي يمضي به، في مناسبات خاصة، ماراً بألفي موظف مطأطئين رؤوسهم، ثم يلجان الغرف الداخلية المهيبة.

وقد روى الزوار عن الصمت الذي يرين هناك، وهو أشبه بصمت القبور. هناك، على عرش مرصع بالجواهر، ينصت السلطان ساكن الجوارح متلفعاً في قفطان رسمي سميك من حرير مقصب. قد تند عنه ملاحظة أو يشير بإيماءة لانصراف الحضور. عندئذ يُساق السفير خارج الغرفة من دون أن يسمح له بأن يدير ظهره للسلطان. ويأتيه الجواب بعد ذلك بواسطة الوزير الاكبر.

**ازدهار ورفاه.** أي الرجال سليمان؟ نتخيله ممتطياً صهوة فرسه الأسود متقدماً في موكب الى الجامع يوم الجمعة، متجلبباً بالبياض. أو طارحاً النقود الذهبية الى الممثلين حين يرئس الاحتفال بختان أبنائه.

وفي رسائله الموجهة الى الملوك الآخرين نبرة صلف: "أنا، سلطان السلاطين، ملك الملوك، موزع التيجان على الملوك المنتشرين على وجه الأرض".

وقد وردت هذه العبارات في رد خليفة المسلمين على فرنسوا الأول ملك فرنسا.

كان سليمان ورعاً يأخذ مشورة الفقهاء في القرارات الحاسمة منصفاً اذ أعاد فائض الضرائب المجباة من مصر، عادلا فلا يترك فساداً أو جوراً من دون عقاب. وهو من حذق الصنائع والحرف بنفسه فرعى الكثير منها. وخلال نصف قرن بنى سنان، مهندس العمارة في بلاطه، مساجد وحمامات وجسوراً ومشافي وكليات وخانات وأسواقاً مسقوفة وقنوات لجر المياه، لم يجاره في عددها أي مهندس عثماني آخر. وجامع السليمانية هو المفخرة التي تتوج مدينة اسطنبول.

وعلى رغم انغماس السلطان في الحروب فقد جلب الى شعوب سلطنته، على اختلافها، منافع السلام. وأدى السلم على الطريقة العثمانية الى توسع سكاني ومدّ شبكات الطرق ونمو التجارة وازدهار الحرف. وجعلت الخدمات الاجتماعية تلك الامبراطورية دولة الرفاه الأولى في ذلك العصر. وتعايشت أسر النصارى والمسلمين واليهود في ظل حكمه العادل.

وعلاوة على ذلك كان سليمان فاتحاً يضمن انتصار جيشه الذي يقوده بنفسه. وحسبما أورد في كتابه الى فرنسوا الأول: "نسرج حصاننا ليل نهار ونتنطق سيفنا المنصل." وفي ٢٣ ابريل (نيسان) ١٥٢٦ انطلق السلطان من اسطنبول لقتال هنغاريا (المجر) وملكها لويس الثاني ذي العشرين ربيعا، وزاد عديد جيشه بالخيالة من بلاد البلقان، وعززه بالمدفعية الثقيلة المشحونة من الدانوب، فبلغ ١٠٠ ألف رجل.

**روكسيلانا**. في ٢٩ أغسطس (آب)، على سهل موهاكس، أطبقت الفرق العسكرية للسلطان كمصيدة حديد على الخيّالة الهنغارية فمنيت بهزيمة منكرة وانتهى القتال في ساعتين اثنتين. وفي صبيحة اليوم التالي عثر على جثة الملك لويس غارقة في نهر اذ كان يحاول الفرار. وقد قال سليمان معقباً: "ليرحمه الله، وينزل العقاب بمن أضلّه".

نشرت واقعة موهاكس الذعر في أوروبا. واذ سقطت معظم أراضي هنغاريا (المجر) جاء دور النمسا. لكن الامطار الهاطلة باستمرار أخرت سليمان فأمضى ١٤١ يوماً في طريقه الى فيينا. وتساقط رجاله صرعى في الدروب، ونفقت الابل بالمئات بفعل هجمات فرق الخيالة المعادية وبرد الشتاء. وتحت ندف ثلج كثيف أرغم سليمان وابرهيم، وهما على مسافة ألف ميل من اسطنبول، على رفع الحصار بعد ثلاثة اسابيع من بدئه.

وقد حاول سليمان معاودة الاقتراب من المدينة بعد ثلاث سنوات، إلا أنه بلغها متأخراً هذه المرة أيضاً. واذ كان السلطان معتاداً الاجهاز على الممالك المنيعة في حملة عسكرية واحدة فقد صب غضبه على شرق النمسا فأعمل فيه نهباً وتقتيلا.

وعلى مر السنين ازداد تأثر سليمان بعبدين دفعهما الى مراقي السلطة: أولهما ابرهيم الذي عمل صدراً أعظم على نحو باهر مدة ١٣ عاماً، والثانية فتاة روسية وقعت في الأسر اسمها روكسيلانا وقد أصبحت زوجته. وبعد حريق شب في القصر القديم عام ١٥٤١ انتقلت روكسيلانا مع الحريم الى قصر توبكابي

مركز السلطة. وبغية ممارسة تأثير غير مزاحم على سليمان، عملت على التخلص من ابرهيم الذي كان يختلي بالسلطان ويشاركه في طعامه وشرابه، وهو صهر سليمان زوج أخته.

نجحت دسائس هذه المرأة، اذ وردت تقارير الحسّاد من حملة عسكرية جردت على ايران، بأن ابرهيم يتصرف كأنه هو السلطان. ولدى عودة ابرهيم الى القصر دعي الى تناول العشاء مع سليمان ووجد مخنوقاً صباح اليوم التالي.

وأرادت أن تقضي على مصطفى أيضاً، وهو الابن البكر لسليمان من أمة شركسية. فبموجب القانون المسنون، اذا تولى مصطفى الخلافة فينبغي اعدام أولاد روكسيلانا. وبُعث مرة أخرى بخبر من الحملة على ايران مفاده أن مصطفى، الوالي الاقليمي، كان محبوباً فلجَّ عليه جنوده بأن يقودهم هو في المعارك بدل السلطان الشيخ. وقد نجحت روكسيلانا في القضاء على مصطفى.

**الرحلة الاخيرة.** بعد ذلك نشبت حرب أهلية بين أثنين من أبناء روكسيلانا. ففرّ أكبرهما مدحوراً الى ايران ملتمساً اللجوء الى عدو أبيه. وأرسل جلاد سليمان الخاص الى هناك فأخمد أنفاس الابن الى الأبد. ولم يبق إلا الابن الأقل جدارة بين أولاد السلطان، وهو سليم الذي فتح قبرص. وقد هزم العثمانيون في ليبانتو عام ١٥٧١، تاريخ آخر معركة حربية كبيرة. وثمة عدد من المؤرخين يعزو انحطاط العثمانيين بعد وفاة سليمان الى زوجته روكسيلانا.

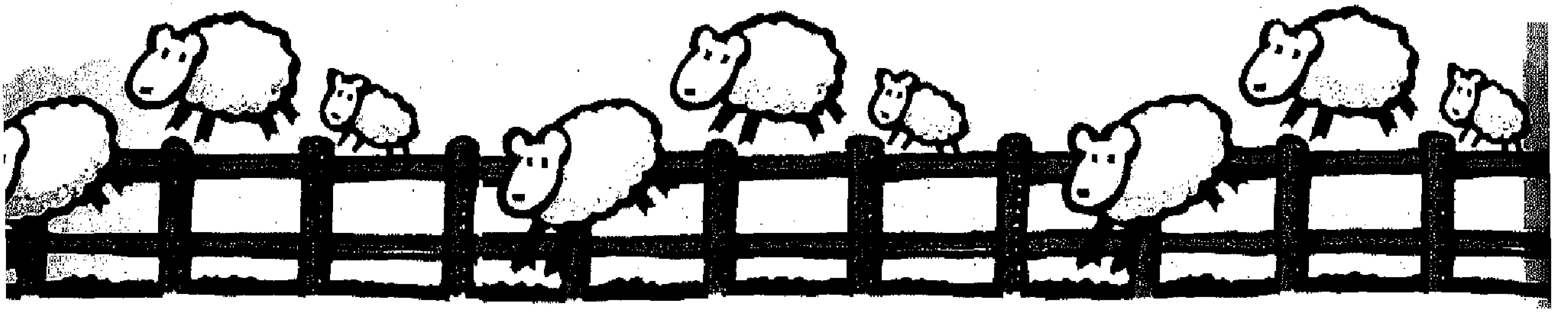
ثم أعد سليمان جيشاً جراراً انطلق به الى الدانوب في الاول من مايو (أيار) ١٥٦٦. كان التقدم بطيئاً جداً. وما كان السلطان يقوى على امتطاء صهوة الفرس، فركب عربة عمل المهندسون على تمهيد الطريق أمامها. وجاء الخبر أن كونت هنغاريا ذبح أحد ولاة سليمان وتمترس في زيغيتفار قرب موهاكس. انتابت سليمان سورة غضب فحوّل مسار جيشه اللجب لاخضاع الحصن.

وأعاق مستنقع زيغيتفار العثمانيين شهراً كاملا على رغم أن المدافعين عنه لم يتعدوا ٢٥٠٠ رجل. وحصد الهجوم الحاشد ركاماً من الجثث. وفي نهاية المطاف خرج الكوْنت مع ٦٠٠ من جنوده الناجين لابساً أفخر ثيابه وسيفه في يده. لكن الرجل الذي قُصد أن يرى مشهد البطولة هذا لم تتح له رؤيته. فقد توفي سليمان في خيمته ليلا.

ما كان ينبغي تسرّب أي خبر بوفاة السلطان قبل أن يتبوأ سليم الابن العرش وهو على بعد ١٣٠٠ كيلومتر في كوتاهيه بالأناضول. وظلت التعليمات تصدر كعادتها من خيمة السلطان. وأخيراً بدأ جثمان سليمان المحنّط رحلته نحو مسقط رأسه. وبعد ثلاثة أسابيع، لدى ورود النبأ بوصول سليم، أعلنت وفاة سليمان.

صعق الجيش للخبر المفجع. ومشى سكان اسطنبول في المأتم الضخم الى جامع السليمانية . فقائدهم سليمان أعلى شأن امبراطوريته فبلغت عصرها الذهبي. وكان سلطاناً لن يروا له مثيلا بعد.

ميرل سيفري ■



# ٩ خطوات إلى نوم هادئ

## نصائح مفيدة الى الذين يتقلبون في أسرّتهم فلا يغمض لهم جفن

بدأت نانسي قبل سنوات تواجه صعوبات في النوم اثناء عطلتها الصيفية. حينذاك أنحت باللائمة على الفندق الصاخب. لكن نومها لم يتحسن بعد عودتها الى المنزل، فبدل فترة نومها المعتادة التي كانت تستغرق ست ساعات أو سبعاً في الليلة الواحدة، أصبحت تنام ثلاث ساعات أو أربعاً. وتقول نانسي وهي مدرِّسة في السابعة والثلاثين من عمرها: "كنت أجد صعوبة في النوم. فأتقلب في سريري لساعات ثم أنهض وأذرع الغرفة ذهاباً واياباً."

حاولت نانسي أن تأوي الى فراشها أبكر من المعتاد، لكن أقل ضجة كانت تزعجها، بما فيها تنفس زوجها. ووصف لها طبيبها دواء منوماً على مدى أسبوعين، لكنها عندما توقفت عن تناول الدواء عاودها الارق على نحو أسوأ.

معظمنا يعاني صعوبات في النوم أحياناً، لكنه لا يلبث أن يعود الى حاله الطبيعية بعد بضع ليال. ولكن بالنسبة الى عدد غير قليل من الناس يشكل الارق مشكلة مزمنة.

واليوم طلع "مركز جونز هوبكنز لاضطرابات النوم" في بلتيمور بولاية مريلاند بنظام من تسع خطوات لمساعدة مرضى الارق على شفاء أنفسهم. ويستند هذا النظام الى مقولة مفادها أننا ننام بهناء إذا ما قللنا، ارادياً، الفترة التي نقضيها في السرير وعدَّلنا نشاطاتنا أثناء اليقظة.

ويعتبر العالم النفساني ريتشارد آلن، وهو أحد مديري مركز جونز هوبكنز، أن الارق حالة اضطراب على مدار الساعة. ونظامه المرتكز على أبحاث آرثر سبيلمان من "مركز اضطرابات النوم" في جامعة

نيويورك، يتضمن نصائح تتناول تصرفات المرء في النهار كما في الليل:

**١ . احفظ سجلا بأنماط نومك لمدة أسبوع.**

سجل الوقت الذي تأوي فيه الى السرير والوقت الذي تستيقظ فيه صباحاً. دوّن ملاحظاتك حول فترات نومك النهارية والعقاقير وأنواع الشراب التي تتناولها لتساعدك على النوم.

**٢ . اذهب الى سريرك فقط عندما يحين وقت النوم.**

هذا يعني أن عليك عدم القراءة أو مشاهدة التلفاز في السرير. إذا كنت تستيقظ طبيعياً في السابعة صباحاً، وأشار سجلك اليومي الى أن معدل فترات نومك هو خمس ساعات في الليلة، فلا تأوِ الى فراشك قبل الثانية بعد منتصف الليل. ولكن عليك أن تقضي خمس ساعات على الاقل في السرير كل ليلة. أما اذا كنت عادة لا تحظى بأكثر من أربع ساعات ونصف ساعة نوماً، فقد تحتاج الى مساعدة طبية مختصة.

**٣ . أطِل الفترة التي تقضيها في السرير ١٥ دقيقة.**

القاعدة هي الآتية: عندما يصبح في امكانك أن تنام ما بين ٨٥ و٩٠ في المئة من وقتك الذي تقضيه في السرير على مدى أربعة أيام متتالية، يمكنك ان تأوي الى الفراش أبكر من المعتاد بخمس عشرة دقيقة. ولكن إذا كنت تغفو أقل من ٨٠ في المئة من هذا الوقت فعليك أن تؤخر ميعاد نومك. عندما تدرجت نانسي لتأوي الى السرير في الثانية عشرة والنصف ليلا بدأت تعاني صعوبات في النوم، فعادت الى المبيت في الاولى بعد منتصف الليل الى أن تمكنت من تخطي المشكلة.

**٤ . افعل شيئاً يبعد عنك النعاس المبكر.**

فتش عن الاعمال التي تتطلب منك نشاطاً معتدلا. كانت نانسي، مثلا، تقرأ وتكتب الرسائل. وهي تقول: "تعجبت لشدة تمتعي بالهدوء والعزلة."

**٥ . أطلب من صديق، أو من زوجك، أن يساعدك على البقاء مستيقظاً خلال الاسبوع الاول.**

كان زوج نانسي صبوراً وداعماً، "حتى عندما كنت أكلمه بعصبية،" كما تقول. كان يبقى مستيقظاً ويهزها لتستيقظ إذا ما غلبها النعاس. وبعض ضحايا الأرق يجدون في مكالمة هاتفية مع صديق وسيلة تبعد عنهم النعاس المبكر.

**٦ . أقلع عن عادة تناول الحبوب المنومة.**

كان هذا عملا شاقاً على مارلين التي عانت الارق على مدى ١٥ سنة. كانت تتناول أدوية منومة بانتظام، بوصفة طبيب ومن دون وصفة.

عندما خضعت مارلين للعلاج (في اشراف طبي بسبب اعتمادها على الحبوب المنومة) سمح لها بمتابعة تناول الدواء. ولكن عندما بدأت تنام لمدة خمس

ساعات متواصلة في الليلة أُخر موعد نومها الى الثانية بعد منتصف الليل لتخليصها من الاعتماد على الدواء. ومن دون الحبوب المنومة كانت تحتاج بادىء الأمر الى ساعة لكي تغفو. ولكن بعد فترة وجيزة تحسن نومها.

**٧ • ابدأ يومك بتمضية عشرين دقيقة على الاقل في الشمس.**

ويشرح ريتشارد آلن السبب: "يشير ضوء الشمس الى أن الوقت نهار. ويساعد ذلك في تنشيط ساعة جسدك الطبيعية مما يجعلك متنبهاً." ترفع مارلين كل الستائر في مطبخها وتتناول الفطور في غرفة مشمسة. تقول: "ان ذلك يرفع المعنويات ويزيد من الحيوية." وفي الايام الممطرة يمكن استعمال مصباح ساطع كبديل.

**٨ • تناول فطوراً وغداء خفيفاً لتزيد من يقظتك أثناء النهار، واجعل عشاءك قبل أربع ساعات أو خمس من ذهابك الى السرير.**

على رغم ان الوجبة الثقيلة تزيد النعاس لدى ضحايا الارق، فلا يستحسن الذهاب الى السرير بمعدة مليئة. انك تحتاج الى وقت لتهضم معدتك الطعام قبل النوم.

**٩ • مارس الرياضة كل يوم.**

أي تمرين يتطلب جهداً يجب أن يؤدى في وقت متقدم بعد الظهر ليساعد في صرف الطاقة العصبية التي تسببها الضغوط خلال النهار. وينصح آلن بالتمارين المعتدلة كالمشي البطيء وركوب دراجة ثابتة قبل ساعتين من النوم. يقول: "ان أسوأ ما يفعله المصاب بالارق هو أن يكون خاملا."

في برنامجه الرائد الذي يجمع بين أنظمة النوم والافادة من النور، عالج آلن ٣٩ مريضاً بالارق. وقد تحسن نوم بعضهم خلال ثلاثة أسابيع، واحتاج آخرون الى ثلاثة أشهر لملاحظة أي تحسن. وبعد انهاء البرنامج بفترة راوحت بين ٩ أشهر و١٢ شهراً، أقر ٧٥ في المئة من المرضى بأن نومهم تحسن على نحو ملحوظ.

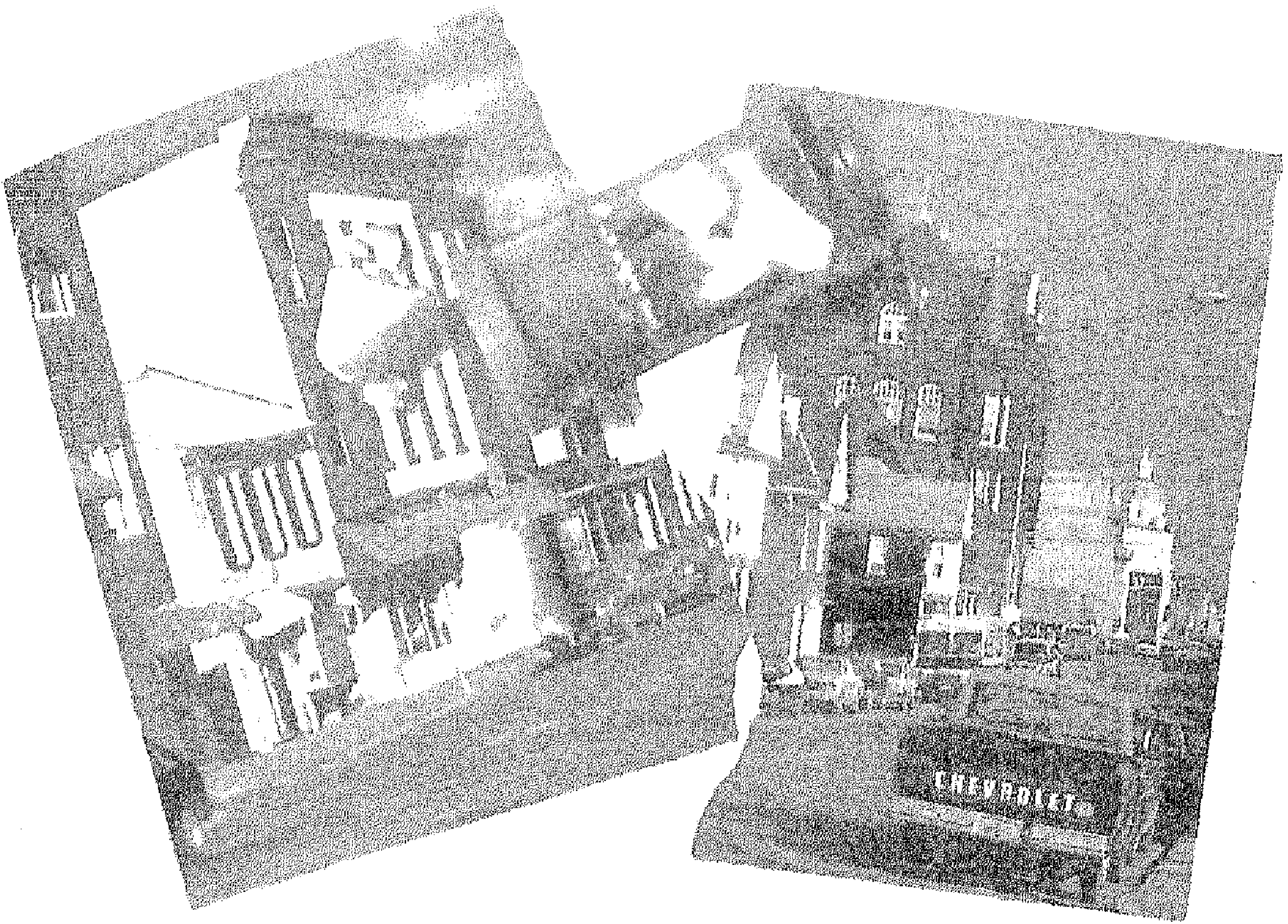
قد لا يكون هذا النظام مفيداً لكل الناس. ففي بعض الحالات هنالك اضطرابات أخرى يمكن أن تسبب الارق، مثل الاختناق الليلي (١) حين يتوقف التنفس في أثناء النوم فيفيق المرء منتفضاً، والتشنج العضلي خلال النوم (٢) حين يتسبب انقباض العضلات لا ارادياً في الانتفاض وفي حركات جسدية أخرى.

وقد انقضت أربع سنوات على اشتراك مارلين في البرنامج، وهي سعيدة بحيويتها الجديدة نهاراً وبنعاسها ليلا. وعندما تصيبها نوبة أرق تكون متحضرة.

أما نانسي التي اتبعت البرنامج لاكثر من سنة فهي تنام اليوم سبع ساعات هانئة كل ليلة. وتقول: "اني أعاني بعض المشاكل بين الفينة والاخرى، لكنني لم أعد أرتعب من الامر."

**أليس ليك** ■

(١) Sleep apnea
(٢) Sleep myoclonus




# كسر حلقة في "تلة" المخدّرات

تبدو مارتنسبرغ للزوار الغرباء مدينة أمريكية من القرن الثامن عشر مرمية في وادي شناندواه بولاية فيرجينيا الغربية، كأنها بسكانها الاربعة عشر ألفاً ملجأ للهاربين من مشاكل المدن الكبيرة. لكن الحقيقة كانت مختلفة تماماً. فمنذ ربيع ١٩٨٦ كانت مارتنسبرغ تخوض معركة حياة خاسرة ضد المخدرات.

ان ما جرى في مارتنسبرغ يقدّم أمثولات قيّمة الى مئات المدن التي تحاصرها عصابات ترويج المخدرات.

كانت ماري سميث (١) تقطع الرجاء. فهذه الام الوحيدة التي تربي ابنتين مراهقتين صدمت عندما شاهدت أولاد جيرانها يخطرون بثياب غالية الثمن ويمتطون دراجات باهظة. لقد عرفت أن أهلهم يساعدون مروّجي المخدرات الذين انتقلوا الى منطقة في الجوار تدعى "التلة" ويكسبون في أسبوع أكثر مما تدر عليهم أعمالهم المشروعة في شهر. ومهمتهم أن يخبّئوا في منزلهم

(١) اسمها مستعار.



Photo: © Wally McNamee / Woodfin Camp & Associates; inset of crack vial: © A. Tannenbaum / SYGMA

الكوكايين وأحد مشتقاته الرخيص الثمن والقوي الادمان المسمى "كراك" (٢) وأن يتداولوا اموال التهريب ويوظفوها لابعاد شبهة الحصول عليها من مصدر غير شرعي.

قاومت ماري، مثل غيرها، تجربة الحصول على مال سهل في مقابل هذا العمل "البريء"، لكن التجربة كانت اقوى من ارادتها على الصمود، خصوصاً أنها كانت تمارس وظيفتين من دون ان تستطيع موازنة مصروف عائلتها مع دخلها. وتساءلت: ما الفائدة من رفض هذا النوع من المال؟ وسرعان ما أصبحت مروِّجة مخدِّرات، ناقلة الكوكايين والكراك من مكان الى آخر في "التلة" المكتظة بغرف حقيرة للايجار.

بعدما وقعت ماري في شرك عالم المخدرات المغري سهل عليها أن تفقد ما بقي لديها من قيم. وكان لا بد من أنْ تجرب المخدر الذي تنقله.

بعد أسبوع أصبحت تتناوله يومياً، وبعد ذلك ثلاث مرات في اليوم. وغدا جسدها يتطلب الكوكايين الى حد انها تظل بلا نوم عدة أيام وهي تتنشق المخدر بنهم مرضي. وفي تقهقر شخصي سريع يرجّع صدى ما حصل لمدينتها، أصبحت مرتهنة تماماً بالكوكايين وبمروجيه الذين يوزعونه بتقتير. ولم يحررها من قبضة المخدر خوفها من الوقوع في أيدي الشرطة ولا قلقها على ابنتيها اللتين أهملتهما تماماً.

**بؤرة الكوكايين.** انتشر السم في مارتنسبرغ من مصدر غير متوقع. فقد ظلت محاصيل بساتين الدراق والتفاح في وادي شِناندواه تجنى بأيدي عمال شرفاء نشيطين من المهاجرين الجامايكيين الذين استقر معظمهم في المنطقة. ولكن في أواسط الثمانينات بدأ يفد اليها شبان عنيفون من الأحياء الفقيرة في مدينتي كينغستون ومونتيغو باي في جامايكا بالبحر الكاريبي. ولم يكن هؤلاء يرغبون في قطف الثمار، بل في تشكيل عصابات لترويج الكوكايين والكراك بعدما خبروا المكاسب الضخمة الممكنة انطلاقاً من مارتنسبرغ الواقعة على مسافة قريبة بالسيارة من بالتيمور وواشنطن وفيلادلفيا. وسرعان ما أغووا عدداً من عمال البساتين ودفعوهم الى توزيع المخدرات.

في البدء حُصرت تجارة المخدرات في ملاهي المدينة. ولكن لم تمضِ أشهر حتى ذاع صيت مارتنسبرغ من فلوريدا الى نيويورك كسوق ناشطة تكاد الشرطة لا تبدي حيالها مقاومة فعالة.

وما ان أقبل العام ١٩٨٥ حتى ازدادت العمليات وصولا الى "التلة" على مسيرة قليلة من المبنى البلدي في المدينة. ولم يطل الامر حتى احتشد المروِّجون في كل ركن من الحي، يتحرشون بالسائقين والراجلين ويسألونهم هل يبغون شراء كراك أو كوكايين. اكتست الشوارع والساحات بالمحاقن المستعملة وسوى ذلك من معدات المخدرات. وساد الفحش والفساد. واضطر السكان الى التحصّن خلف مقضّبات نوافذهم الفولاذية ابعاداً للمدمنين النهّابين.

(٢) Crack, known also as free base, base or rock

وأدمن الاهل الكوكايين أو الكراك فهجروا أولادهم.

وفيما طغت موجة الادمان والاتجار بالمخدرات ارتفعت وتيرة السرقات والسطو المسلح على البيوت والمحلات. قبل مجيء المروجين كان متوسط حوادث القتل في مارتنسبرغ جريمة واحدة في السنة. ولكن بين يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ ويونيو (حزيران) ١٩٨٦ حصل ١٧ حادث قتل، بما فيها بضع تصفيات.

مع ذلك قُيِّض لماري سميث ألا تتمرغ طويلاً في حمأة المخدرات لسبب واحد بسيط هو أن ابنتيها لم تدعاها تسقط. كانت تتعاونان على اجلاسها الى طاولة المطبخ، وتمسكان بيديها وتواجهانها بما كانت تعلّمهما قبل أن تصبح مدمنة. كانت كبري الاختين تقول لها: "ماما، لن ندعك تحطمين حياتك". وهما بقيتا الى جانبها نهاراً وليلاً خلال انقطاعها القسري المؤلم عن المخدرات، وساعدتاها على المقاومة الى أن استعادت سلامة ذهنها وجسدها.

لكن الحياة السوية المستعادة، مهما تكن رائعة، ليست سوى نقطة مضيئة صغيرة في لوحة كئيبة تماماً. إذ ما ان انتصف العام ١٩٨٦ حتى غدت "التلة" قبلة المخدرات، تصل اليها يومياً كميات من الكوكايين الصرف في أكياس يسع كل منها خمسة كيلوغرامات. وأفلت زمام الامور بحيث كان السير يتوقف في شوارع "التلة" لان المارين في شاحناتهم أو سياراتهم أو دراجاتهم النارية والهوائية كانوا يُحاصرون بعشرات البائعين المتسكعين.

ظلت ماري أسابيع تراقب الشارع من نافذة غرفة الجلوس وتسمع بلا انقطاع طلقات نارية تدوي في الشوارع. فازدادت اقتناعاً برغبتها في المساعدة على محاربة مروجي المخدرات. فلقد بدا واضحاً لديها أن مارتنسبرغ مهددة بالهلاك - مثلما كانت هي من قبل - ما لم تُنظَّف من المخدرات. وكانت تعرف أيضاً أن رجال الشرطة عاجزون عن التغلغل في الشبكة المراوغة التي نظمها المروِّجون الجامايكيون. فلا بد لجمع البيِّنات الضرورية من شخص سبق له العمل داخل أوكار "التلة".

**تقارير مرعبة.** صبيحة يوم ربيعي من العام ١٩٨٦ قصدت ماري السلطات وعرضت خدماتها كمخبرة. وبعدما تأكد المسؤولون من أنها ليست طعماً أرسله المروِّجون لزرع معلومات خاطئة، حذّروها من المجازفة الرهيبة التي تواجهها. فتجار المخدرات الجامايكيون العتاة يجازون المخبرين بالتعذيب والقتل. لكن ماري كانت مصممة. فابنتاها أنقذتاها من الادمان، وهي تدين لهما ببذل ما تستطيع من أجل انقاذ المدينة.

على رغم أن تجار المخدرات اعتقدوا انهم سيطروا على المقدرات الهزيلة للقانون، كانت شرطة المدينة تدعم حملة سرية يقودها "جهاز مكافحة الجريمة المنظمة وترويج المخدرات" الذي أنشأه الرئيس الامريكي السابق رونالد ريغن. وسمح النائب العام الاقليمي وليم كوليباش بتضافر جهود الحكومة الاتحادية والقوة المجابهة ومكتب

التحقيقات الاتحادي (FBI) وشرطة ولاية فيرجينيا الغربية، رأس الحربة في التحقيق. والهدف هو التسرب الى شبكة تجارة المخدرات في مارتنسبرغ ومقاضاة رؤوسها، المعروفين حتى من أقرب شركائهم بأسمائهم الحركية "اليد اليسرى" و"الطبل" و"الفزاعة" وسواها. وهنا كان المكان المناسب لماري. فمهمتها أن تقتفي أثر هؤلاء "الرؤوس" وتعرف هوياتهم الحقيقية. وحينئذ فقط تستطيع مصلحة الهجرة ومكتب التحقيقات الاتحادي رصد تحركاتهم واظهار تورطهم في تجارة المخدرات عبر الولايات، ببيّنات متينة تتيح محاكمتهم.

كانت ماري معروفة في أوساط كبار المروّجين فلم تجد صعوبة في التعامل معهم من جديد كمهرّبة للبضاعة، مثلما كانت سابقاً. وهي جازفت مرة بالتنقيب بين أوراق شخصية لاحد البائعين حتى وجدت جواز سفره. ومكرت بآخر حتى أراها "بطاقته الخضراء" (٣). وما مرت بضعة أشهر حتى حصلت ماري على أسماء كل كبار المروّجين وعلى بيّنات ثمينة عن ارتباطاتهم بشبكات تتعامل عبر الولايات.

وكلما توغلت ماري في ظلال عالم المخدرات غدت تقاريرها مرعبة في اطراد. ففي صيف ١٩٨٦ كان معظم المروّجين مزوّدين أسلحة ثقيلة. واعتاد أحد البائعين التبختر على أرصفة المشاة في "التلة" وهو يحمل مسدساً أوتوماتيكياً كبيراً في حزام سرواله. كذلك روت ماري في تقاريرها أنها شاهدت في "بيت الكوكايين"، وهو احد مستودعات "التلة"، كتلة من المنحدر الصرف في حجم كرة السلة. كتبت: "كان الكوكايين يغطي الارض حتى ان عينيك تلسعان وأنت تطأها". وخمّن رجال الشرطة أرباح سوق المخدرات في مارتنسبرغ بأكثر من ٧٠٠ ألف دولار في الاسبوع. وتباهى أحد المروّجين بأنه يكسب ١٥ ألف دولار في الليلة الواحدة.

سكان المدينة المحافظون على القانون أرغوا وأزبدوا أمام عجز الشرطة الظاهر. وفي اجتماع لاعضاء مجلس البلدية في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٦ اشتكى السكان الغاضبون من أن متعاطي المخدرات يغزون الابنية ويهدّدون المشاة.

كبشا المحرقة اللذان وُجّهت اليهما سهام النقد والتجريح كانا رئيس البلدية ادوارد دوكني ورئيس الشرطة مايكل ماكلافلن. فلقد مرت اشهر وهما مضطران الى جبه المدّ المتنامي من الشكاوى بجواب ضعيف من نوع "اننا نعمل على ترتيب الامور". فلا رئيس البلدية ولا رئيس الشرطة كانا ليكشفا أن هناك تحقيقاً جباراً تتضافر عليه الحكومة الاتحادية مع حكومة الولاية منذ نحو سنة.

**عملية دهم.** مع اطلالة اكتوبر (تشرين الاول) وبفضل معلومات ماري سميث وأدلة جهاز المراقبة في الحملة المشتركة، حصل النائب العام كوليباش على أمر رسمي بجلب ٤٦ شخصاً ليمثلوا

(٣) البطاقة الخضراء (Green Card) بطاقة هوية تمنحها سلطات الولايات المتحدة للمهاجرين اليها ريثما يمضون في البلاد مدة كافية تخولهم الحصول على جنسية وجواز سفر أمريكيين.

أمام المحكمة بتهمة الاتجار بالمخدرات في منطقة مارتنسبرغ.

في الساعات الاولى من فجر ١٦ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦ أسرعت قافلة من ١٠٠ سيارة شرطة في اتجاه مارتنسبرغ. كانت تضم حوالى ٣٠٠ شرطي اتحادي واقليمي ومحلي جُمعوا في حملة مكافحة مشتركة هي الاضخم في تاريخ الولاية. كانوا مزوّدين أسلحة ثقيلة. ولعلع الرصاص في المدينة الغارقة في الظلام لسد منافذ الخروج من "التلة" فيما كانت فرق التوقيف تبلغ مواقعها الصدامية. وظهرت في الجو مروحيات وطائرات خفيفة تنقل رجال أمن اتحاديين واقليميين.

في السادسة والدقيقة الخامسة صباحاً عمد ٣٥ فريقاً للتوقيف وفرقتان لمكافحة العنف والشغب الى شن هجوم منسّق. فقبض على معظم المروجين في أسرّتهم. ومع أن الفرق وجدت مقداراً صغيراً من المخدرات فانها ضبطت مجموعة ضخمة من الاسلحة تتضمن بنادق ورشاشات ومدى ضخمة وأسلحة عسكرية أخرى، اضافة الى اكثر من ٣٠ ألف دولار نقداً وكميات كبيرة من الجواهر. واقتيد تجار المخدرات الى المبنى الاتحادي.

في الاسابيع التالية رفع مكتب كوليباش عدد المتهمين الى ٥٦ ودين ٤٧ من أصل ٤٨ تاجر مخدرات قُبض عليهم. ونظراً الى الادلة البيّنة التي وفرتها ماري سميث ورجال الحملة اصدرت في حق المتهمين أحكام تربو على ٤٠ سنة، وقضت بترحيل التجار الجامايكيين بعد تنفيذ احكامهم.

تقول ماري سميث، التي انتقلت من المنطقة تجنباً لانتقام محتمل: "اعادت حملة الردع الى سكان مارتنسبرغ احترامهم الذاتي. لكن المدينة لن تكون ذاتها أبداً". فمشاكل المتاجرة بالمخدرات أبعد من أن تكون ولّت الى غير رجعة. فثمة مروجون استطاعوا الافلات واستمروا في نشاطهم. لكنّ رئيس البلدية دوكني وأعضاء المجلس البلدي، في سعيهم الى ضمان عدم وقوع المدينة مجدداً بين براثن المروّجين، ضافروا الجهود الجماعية الطموحة:

□ انشأت دائرة الشرطة فريقاً لمكافحة المخدرات يحقق في الجرائم والجنح المتعلقة بترويج المخدرات وتناولها.

□ صدر قانون محلي لتنظيم شؤون السكن الفندقي يتّسم بالصرامة تجاه أصحاب الفنادق المتغيّبين الذي أفادوا من أوكار المخدرات في "التلة".

□ اعُتمدت برامج توعية جماعية ووقائية من مضار المخدرات في المدينة وجوارها. وأنشئت لجان مراقبة وحراسة وجُهّزت خطوط هاتف للطوارىء توصل المعلومات الواشية بمروّجي المخدرات الى السلطات المختصة.

يقول مساعد النائب العام جو ويتلي الذي نسق تحقيقات حملة الدهم لمصلحة وزارة العدل: "على المواطنين أن يؤدوا دوراً ناشطاً بالابلاغ عن مروّجي المخدرات". ولئن يكن الكفاح طويلاً وشاقاً فان ويتلي يؤكد "اننا جميعاً في المعركة، فلا بد للعمل الجماعي من أن يهزم عصابات المخدرات."

مالكوم ماكونيل ■

# صور من الحياة

## بُعد نظر!

حاول صديقي تشجيع أمه العجوز على الاستمتاع بالمال الذي وفّرته خلال حياتها المقتصدة. فقال لها: "يا أمي، عندك من المال ما يكفيك حتى تبلغي السن المئة."
فردت: "وما عساي أفعل بعد ذلك؟"
ك.هـ.

## تأثر متبادل

كان الزوجان يتابعان على التلفاز برنامجاً درامياً، فثار الزوج على طريقة زوجته في التأثر العميق بالاحداث وسألها: "كيف تستطيعين الجلوس هنا والبكاء من مشاكل مختلقة لاناس لم تصادفيهم قط؟"
فأجابت: "بالطريقة نفسها التي تجعلك تقفز من مكانك وتزعق عندما يهجم شاب لم تصادفه في حياتك ويدخل الكرة في شباك خصمه."
ف.ل.

## السكرتيرة ذاكرة المدير

اعمل في شركة ذات نشاط واسع كأمينة سر لمدير تنفيذي يعتمد عليّ كثيراً لترتيب مواعيده. وفي يوم مثقل استثنائياً بالاشغال كان المدير لا يزال داخل مكتبه عندما وصلت حوامة الشركة لتنقله الى المطار في رحلة عمل. فخرج مسرعاً وتناول حقيبته وانطلق مندفعا نزولا نحو الردهة. وإذ تنافس مختلف الموظفين على تسهيل امره ونيل حظوته صرخت به من بعيد: لا تنس. تذكرة الطائرة في حقيبتك؟"
لم توقفه ملاحظتي الا انه استدار وهو يهم بالخروج من الباب الرئيسي وسألني: "الى اين انا ذاهب؟"
ف.ا.غ.

## عين بعين...

ذهبت صديقة لي لشراء طابع من مكتب بريد حيث اشتهر بعض الموظفين بالفظاظة. فدفع أحدهم الطابع فوق المنضدة بقوة جعلته يسقط على الارض على بعد أكثر من نصف متر.
أخرجت صديقتي ثمن الطابع من حقيبة يدها، وبرباطة جأش وضعته على الارض مكان الطابع الذي أخذته وخرجت.
ت.س.

## أزياء العصر

كنتُ في أحد متاجر الالبسة النسائية عندما سمعت امرأة منهكة تقول لابنتها المراهقة: "طبعاً أنت تمقتين هذا الثوب، فهو يباع بنصف ثمنه، وفوق ذلك هو قابل للغسل!"
ر.ا.

قليل من عنصر المفاجأة ولفتة رومنطيقية
وكلمة أو كلمتان في الوقت الملائم
تحفظ الحب جياشاً
حتى في أطول
العلاقات الزوجية

# الجنس والزواج السعيد

هل صحيح أن الزواج والعلاقة الجنسية الناجحة متنافران، وأن العلاقة الجنسية بين الازواج مقضي عليها بأن تصبح باهتة لا اثارة فيها؟ ربما كان هذا صحيحاً بالنسبة الى بعض الازواج لبعض الوقت. ولكن خلال ١٦ سنة من ممارستي كعالم نفساني واختصاصي بمعالجة المشاكل الجنسية، وجدت حقائق كثيرة تثبت عكس ذلك. وتشير الدراسات الى أن أناساً كثيرين يتمتعون بعلاقات جنسية أكثر تنوعاً وارضاء ضمن حياة زوجية طويلة، منها في أي علاقة أخرى.

ليس جميع الازواج محظوظين هكذا. فكثيرون منهم يعيشون حياة جنسية فاترة. ولكن في الامكان مساعدة هؤلاء الازواج بتعليمهم الخصائص المشتركة لدى الازواج المكتفين جنسياً:

**١ اجعلوا العلاقة الجنسية اولوية ضرورية.**

ان الازواج المكتفين جنسياً يعتبرون الجنس جزءاً بالغ الاهمية في علاقاتهم. وهم مستعدون لفعل كل ما يتوجب لجعل حياتهم الجنسية مرضية. قد يتأخرون في الحضور الى العمل، أو يؤجلون تناول العشاء، أو يذهبون في عطلة من دون رفقة الاولاد أو الاصدقاء أو الامهات. وقد لا يشجعون الضيوف على المكوث مدة أطول في زيارتهم للمحافظة على وقتهم الخاص.

**٢ وفروا وقتاً لممارسة الجنس.**

تحديد "المواعيد" هو أحد الاساليب. وهكذا يظهر كلا الزوجين أنهما يعطيان الوقت الذي يقضيانه معاً أولوية مميزة.

ويمكنهما استغلال أوقات الفراغ غير المتوقعة لممارسة الجنس بدل القيام بأعمال روتينية.

### ٣ ابقوا على علاقة عاطفية حميمة.

ان الممارسة الجنسية التي توصل الى الاكتفاء تكمن عادة في علاقة موسومة بالتقارب والاهتمام والمشاركة، وهي قلما تتحقق في جو من الفتور والبعد والتجهم.

ومن المؤكد أن كل العلاقات الزوجية تقوى أحياناً وتفتر أحياناً. والزوجان المكتفيان يتخاصمان أحياناً، وقد يرفضان التخاطب. لكنهما سرعان ما يتجاوزان هذه الاوقات العصيبة بإيجاد طرق لحل مشاكلهما.

### ٤ اعرفوا كيف تتلامسون.

الزوجان اللذان يتمتعان بعلاقة جنسية جيدة هما أكثر حساسية من سواهما. فهما يدركان أن ملامسة الايدي والتقبيل والعناق لا تظهر الحب فحسب، بل تبقي المشاعر الجنسية متقدة. وهذا يختلف تماماً عن الطريقة العادية التي يتبعها الازواج في المبادرة الى ممارسة الجنس بعد أيام من التباعد الجسدي.

### ٥ حافظوا على الرومانسية في علاقاتكم.

ان الزوجين ذوي الرغبة الجنسية العارمة يدركان أهمية الحنان والاطراء والملاطفة، ويؤمنان بالاغراء. يخبر واحدهما الآخر كم يبدو جميلا وأنيقاً في نظره. وفي بعض المناسبات يتناولان العشاء على ضوء الشموع. يتذكران عيد ميلادهما وذكرى زواجهما ومناسبات خاصة أخرى، فيتبادلان الهدايا والمفاجآت. وتتذكر احدى السيدات باعجاب حفلة حضرتها مع زوجها، وكانت بين المدعوات عارضة أزياء صارخة الجمال. فتمتم زوجها هذه الكلمات في أذنها: "انها رائعة، لكنني أريدك أنت".

### ٦ حافظوا على تشوقكم الجنسي.

يتذكر أحد الرجال يوم تلقى في مكتبه رسالة غير موقعة بخط زوجته جاء فيها: "أيها الرجل الانيق، ان كنت تتوق الى ليلة عاصفة فوافني الى فندق فيرمونت في الثامنة مساء". وتضمنت الرسالة مفتاحاً. لم يستطع الرجل انجاز أعمال كثيرة ذلك النهار، لكنه أمضى ليلة ممتعة.

### ٧ إعرفوا كيف تمرحون.

الزوجان اللذان يتمتعان بعلاقة جنسية حميمة لا يحملان الجنس كثيراً على محمل الجد. يعرفان أن لا بأس في المرح في السرير. وقد أخبرتني سيدة في الحادية والعشرين من العمر أنها تحب ممارسة الجنس مع زوجها لانهما يمرحان معاً. مثل هؤلاء الازواج يحبون المغامرة الصبيانية، إذ ليست لديهم قوانين صارمة حيال مفهوم الجنس. وهذا يكتسب أهمية كبيرة عندما يتقدم الزوجان في السن، فيسترخيان ويرتجلان ويتمتعان بوقتهما ما أمكن، وهكذا يعوضان آلام الشيخوخة والمرض والرتابة.

### ٨ اعرفوا كيف تتحدثون.

يجمع الخبراء على أن هناك علاقة قوية بين الكلام والاكتفاء الجنسي. وهذا لا يعني أن الزوجين اللذين يتمتعان بعلاقة جنسية حميمة يتكلمان دائماً عن الجنس، بل يعني ببساطة أنهما يعلمان بقدرتهما على هذا الحديث عندما تكون هناك حاجة الى الكلام.

ان الزوجين المكتفيين جنسياً يطلعان واحدهما الآخر على رغباتهما وكل ما يثيرهما. ولا يفعل ذلك طبعاً كل الازواج المحبين، لكن كثيرين منهم يجدون في مشاركة هذه الاسرار اثارة تغني حياتهم الجنسية.

### ٩ ظلوا عشاقاً وإن أصبحتم آباء وأمهات.

يشير بعض الدراسات الى أن الاكتفاء الجنسي يخف بعد ولادة الطفل الاول. لكن الزوجين اللذين يتمتعان بحياة جنسية جيدة لا يدعان عامل الابوة والامومة يؤثر في حياتهما الجنسية، ولا يسمحان للاولاد بدخول غرفة نومهما ساعة يشاؤون، بل يعلمانهم بالوقت الذي يريدان أن يكونا وحيدين.

هذه هي أفضل أسرار الاكتفاء الجنسي لدى المتزوجين. يبقى أن تعرفوا أن السر الاكبر هو أن ليس هناك من أسرار على الاطلاق. فالمؤشرات جميعها واضحة، لكن المشكلة هي أن كثيرين لا يضعون هذه الافكار موضع التنفيذ. معظم الازواج يستطيعون الحصول على علاقات جنسية أكثر اكتفاء إذا جربوا بعض هذه الافكار. أعرف أزواجاً استطاعوا زيادة اكتفائهم الجنسي بالتزامهم قضاء بعد ظهر كل سبت معاً.

هل يمكن الجنس أن يستمر، وينمو، في علاقة طويلة الامد؟

أنا سعيد بأن أقول ان الجواب هو نعم قاطعة. ومهما طالت الفترة التي يعيشها شخصان معاً، ففي امكانهما الاستمرار نحو الافضل بالتخطيط والمشاركة في المشاعر والاحلام وتعلم فنون اللعب والملامسة. ان الازواج الذين لا ينفكون يستعملون ذكاءهم وروح المرح لديهم وقوة مخيلاتهم لانعاش علاقاتهم الجسدية والعاطفية، يستطيعون الابقاء على علاقات جنسية مثيرة ومشبعة طوال حياتهم.

برني زلبرجلد ■



## للدلال حدود أيضاً

انقطع أحد معارفي مدة طويلة عن التحدث الى أهله. ثم قرر أن يفاجئهم بمكالمة هاتفية. وعندما رفع أبوه السماعة: قال: "مرحباً! هل ترغب في مليون دولار أم تفضل مكالمة من ابنك الحبيب؟"

ففكر الاب قليلا قبل أن يجيب: "أرجو ألا تكون ابني."

ل. ب.

# اوروبا ١٩٩٢




## تتجه مجموعة الدول الاوروبية نحو انشاء سوق موحدة تنتفي فيها الحواجز الجمركية. فكيف سيكون الوضع حينذاك؟

تصوّروا أوروبا في التسعينات:

ينتقل المرء من بلد الى آخر بأوراق ثبوتية يحملها عادة لدى تجواله في الشارع. كما يمكنه أن يدير أعمالا تجارية، وحتى أن يعمل كأي مواطن. وقد اختفت الحواجز الجمركية فعلا حتى ان المسافر لا يدفع ضرائبٍ على الحدود في طريق العودة اذا تبضّع في بلد آخر. ولشراء بيت أو سيارة يمكنه الاقتراض من بلد تكون فيه الفوائد المصرفية في أدنى معدلاتها. ولجميع الاعمال التجارية والصناعية وصول سهل الى ٣٢٠ مليون مستهلك. وبذلك تتحول أوروبا، التي تغيرت على نحو لا يُصدّق عبر إلغاء حواجزها الداخلية، أكبر قوة تجارية في العالم.

هذا الوضع ليس حلماً عقيماً، اذ تجرى في أوروبا اليوم عملية ضخمة لالغاء الحواجز البيروقراطية والحمائية التي وقفت أسواراً بين بلدان المجموعة

الاوروبية الإثني عشر (١). وتتدفق السلع والخدمات ورؤوس الأموال والأشخاص عبر بلدان المجموعة الاوروبية، ويتوقع أن يبلغ هذا الدفق بحلول العام ١٩٩٣ حدّاً يَعِدُ بإزالة العوائق المتبقية مما يؤدي إلى قارة أوروبية خالية من الحدود الداخلية.

ومع أن التكامل الاقتصادي كان طموح أوروبا منذ إنشاء السوق الاوروبية المشتركة بموجب معاهدة روما عام ١٩٥٧، فقد أحبط تحقيقه على الدوام.

وفيما العمل جارٍ على إزالة التعرفات الجمركية تدريجاً، كانت هناك مجموعة متداخلة من الاجراءات الحمائية (٢) التي أضفي عليها طابع حماية البيئة أو المستهلك، أبقت أوروبا أسيرة الأسواق الوطنية الصغيرة، وكل منها أعجز من أن تكون قادرة على منافسة القوة الصناعية والقدرة التسويقية اللتين يتمتع بهما المنافسون في أمريكا واليابان.

**عوائق حالية.** استناداً الى دراسة رسمية أعدها باولو سيتشيني وهو خبير قانوني بارز، بتكليف من اللجنة الاوروبية، فان إزالة الحواجز التي تقسم هذه السوق "غير المشتركة" قد توفر على الاوروبيين نحو ملياري وحدة نقد أوروبية "إيكو" (Ecu).

فلنأخذ الأمور الآتية في الاعتبار:

□ أعيقت أعمال كثيرة بسبب تكاليف التصدير وتعقيداته، كاختلاف القواعد والمقاييس التقنية بين بلد وآخر. ولحماية المنتجين المحليين من المنافسة الاجنبية لم يكن على السلطات الوطنية إلا تأخير اجازة المنتجات الجديدة. وقد أمضَتْ شركة فرنسية سيئة الحظ خمس سنوات وهي تحاول الحصول على موافقة لادخال العوارض الخشبية التي تنتجها الى ألمانيا الغربية. هكذا يمكن تجميد الاستيراد لأتفه الأسباب. فالسيارة المعروضة للبيع يجب أن تكون مزوّدة أنواراً جانبية تبث اشارات متقطعة في ايطاليا، ومقعداً للسائق ينحني الى الوراء في ألمانيا الغربية، وأنواراً ضعيفة في بريطانيا، وأنواراً أمامية صفراء في فرنسا.

□ التأخير الحاصل على الحدود والمفروض على الشاحنات لاجراء المعاملات القانونية، يكلف الشركات المصدِّرة مبالغ تصل الى ٨٣٠ مليون إكو في السنة. وإلى ذلك، ممنوع على السائق المسجل في بلد ما ان ينقل البضائع كلياً في بلد آخر، لذا تسير ثلث شاحنات النقل في أوروبا فارغة من الحمولة.

□ تدفع السلطات العامة قرابة ٢٠ في المئة أكثر مما يتوجب عليها دفعه في الصفقات التي تعقدها. وتأمين كل أنواع البضائع، من بزات رسمية وحافلات وأدمغة الكترونية واسمنت وسوى ذلك، يكاد يكون مقصوراً على الشركات الوطنية التي تسجل أسعارها ارتفاعاً حاداً بسبب انعدام المنافسة الأجنبية. ففي العام ١٩٨٧، على سبيل المثال، دفع الاوروبيون ما يراوح بين ٢٢٥ و٥٠٠ دولار رسماً لكل خط هاتفي، في مقابل ١٠٠ دولار في الولايات المتحدة. ويعتقد سيتشيني ان

(١) بلجيكا والدانمرك وفرنسا وبريطانيا واليونان وايرلندا وايطاليا واللوكسمبور وهولندا والبرتغال واسبانيا وألمانيا الغربية.

(٢) Protectionist regulations

عروض الاسعار المفتوحة قد تخفض السعر الاوروبي الى ١٥٠ دولاراً.

□ يتحمل الناس مقداراً مرهقاً من الاحباط. ومع أنه يمكنهم، نظرياً، العيش والعمل في أي بلد من المجموعة الاوروبية، فثمة أنظمة وقوانين تخيّب الآمال في التوصل الى تحقيق فكرة التكامل. فمنطقة موز - راين، مثلا، على تقاطع الحدود بين بلجيكا وألمانيا وهولندا، معروفة بالتعاون عبر الحدود. ولكن حتى في هذه المنطقة لا يمكن أن يجتاز نجار الحدود بأدواته من دون أن يدقق في شهادته ويحصل على اجازة مما يستغرق وقتاً كبيراً من النهار. كما أن مقيماً على الحدود في هولندا يعمل في شركة "مرسيدس - بنز" في بلدة آخن المجاورة في ألمانيا الغربية، لا يمكنه أن يقود الى مطار أمستردام (هولندا) سيارة للشركة تحمل لوحة تسجيل ألمانية، اذ ليس مشروعاً قيادة سيارة مسجلة في الخارج داخل بلد الإقامة.

زخم جديد. الا أن الحكمة والتعقّل بدأا يسودان في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٥ عندما تبنى القادة السياسيون في المجموعة الاوروبية "الوثيقة الاوروبية المفردة" (٣) التي تهدف الى الغاء كل الحواجز التي تعوق حرية التحرك بين بلدان المجموعة، على أن يتم وضع الإطار الشرعي لهذا المشروع بنهاية العام ١٩٩٣. حتى ان هذا التاريخ أضحى شعاراً، لا بل صرخة واجب وثورة في طريقة العيش والعمل. ومن شأن المنافسة المفتوحة في حلبة سوق واسعة جداً أن تخفض الأسعار مما يشجع المستهلكين على زيادة مشترياتهم، ويؤدي بالتالي الى زيادة في الانتاج تترجَم بدورها انخفاضاً أكبر في الأسعار، مما يجعل البضائع مرغوبة أكثر في الأسواق الخارجية. ويتوقع تقرير ستشيني أن يؤدي هذا النمو اللولبي الى زيادة الناتج المحلي القائم لبلدان المجموعة الاوروبية بنسبة عظيمة قد تبلغ ٧ في المئة، والى إحداث نحو خمسة ملايين وظيفة جديدة بحلول العام ١٩٩٧. وتقول الدكتورة فكتوريا كورزن برايس الاستاذة في معهد الدراسات الاوروبية بجامعة جنيف: "ما من سبب يحول دون تمتع أوروبا الغربية ككل بدخل يساوي دخل الامريكيين أو حتى يزيد عليه."

ان أوروبا، بقرارها الحاسم هذا القاضي بإنشاء سوق داخلية موحّدة، نفضت عنها سنوات الشلل التي شهدتها. وبنهاية العام ١٩٨٨ تمت الموافقة على نصف التوجيهات الثلاثمئة الضرورية لتحقيق الهدف المنشود. والتقدم الآخر المهم يكمن في قرار أعضاء المجموعة الاوروبية التخلي عن السياسة السابقة الداعية الى محاولة تحقيق انسجام بين جميع الفوارق التقنية والبيروقراطية، والاستعاضة عنها بقاعدة أساسية بسيطة تعتمد الاعتراف المتبادل بالحقوق، أكان ذلك يتعلق بسلعة ما، كالنقانق، أو بعدة طبيب أسنان أو بأي من الخدمات، كالمصارف وشركات التأمين، أو حتى بكفاية حكم رياضي لقيادة مباراة في كرة القدم أو بممارسة مهنة كالمحاسبة. والمبدأ

(٣) Single European Act

الاساسي الواجب اتباعه في كل هذه الأمور هو عدم حظر بلدان المجموعة ما هو معترف به رسمياً في إحدى هذه البلدان.

في ظل هذا الزخم الجديد أصبح في الامكان ايجاد حلول سريعة لمشاكل كانت تعتبر مستعصية قبل سنتين. وكاشارة أولى الى تغير مهم في الاتحادات الاوروبية لشركات الطيران، يمكن طائرة تابعة للخطوط الجوية الاسكندينافية آتية من كوبنهاغن، أن تقل ركاباً من غلاسكو (بريطانيا) في طريقها الى دبلن (ايرلندا). كما تم التوصل الى اتفاقات حول مواضيع حساسة كالاعتراف المتبادل بالشهادات الدراسية لأغراض مهنية. ونتيجة لهذا التوجيه سيتمكن المحامون والمهندسون والمحاسبون والجيولوجيون وغيرهم من مزاولة مهنهم في أي من بلدان المجموعة الاوروبية.

**الكبير يبتلع الصغير.** لعل الاتفاق على السماح بحرّية تحرك رؤوس الاموال ابتداء من يوليو (تموز) ١٩٩٠ هو أهم المبادرات الجديدة، اذ انه يسمح للاوروبيين بانتقاء أفضل ما يوافقهم من شروط تتعلق بالقروض أو التأمين أو الاستثمار أو مشاريع التقاعد في أي بلد. وقد يستعين مواطن فرنسي بالفروق في أسعار صرف العملات ليخفض رهن بيته الى النصف، وذلك باقتراضه من مصرف هولندي. ويمكن المواطن البريطاني أن يوفر في التأمين على بيته في بلجيكا كما يمكن البلجيكيين أن يفيدوا من التأمين على الحياة في بريطانيا. ويورد تقرير ستشيني أن من شأن المنافسة المتزايدة أن تؤدي الى انخفاض أسعار معظم المنتجات المالية بين ٤ في المئة في هولندا و٢١ في المئة في اسبانيا.

وتعدّل القواعد والانظمة بهدف فتح المشاريع العامة أمام عروض من جميع المقدّمين. كما أصبح عدد هائل من وظائف الخدمات العامة مفتوحاً أمام جميع مواطني المجموعة الاوروبية، بما في ذلك التعليم وأشغال السكك الحديد، ولكن باستثناء الشرطة والقضاء والجيش. ونتيجة للروح التي ستسود عام ١٩٩٢، يمكن بعد سنوات قليلة أن يتولى ساعي بريد ألماني يقود شاحنة ايطالية تسليم الرسائل في مدينة فرنسية.

الا أن قارة أوروبية خالية من أي حدود ستشكل عالماً جديداً قاسياً على الاعمال والتجارة. ويتوقع رجل الاقتصاد الفرنسي ميشال ألبير حصول عملية تطهير للشركات الصغرى التي تفتقر الى الديناميكية، ويضيف: "ستزدهر الشركات التي تنجح في البقاء، أما تلك التي تعجز عن الصمود فعليها التوجه الى أعمال أخرى."

والتكيُّف جار. فقد أظهر تقرير أُعد في أغسطس (آب) ١٩٨٨ أن لدى ٦٢ في المئة من الشركات التي شملها استطلاع في فرنسا خططاً استراتيجية للعام ١٩٩٢. وبلغت هذه النسبة ٦١ في المئة في ألمانيا الغربية و٥٦ في المئة في بريطانيا. وفي هذه الاثناء تكتسح موجة عارمة من الشركات المدموجة والمتعاونة جميع مجالات العمل والتجارة في أوروبا. فتعمل شركات تأمين فرنسية وبلجيكية، مثلا، على تشكيل تحالفات لمواجهة

البريطانيين الذين يطمعون بالسيطرة على عالم التأمين. وعمدت أربعة معامل صغيرة للمفروشات الى الاندماج في شركة واحدة كبيرة لتعزيز فرص بقائها، خشية أن تُبتلع نتيجة الوضع الاقتصادي السائد.

كما تعاني الصناعة الثقيلة هزة مخيفة لأن القدرة الفائضة والانتاج غير الفعال الهادفين الى تحقيق تفوّق وطني مميز، هما من الكماليات التي لا يمكن تحملها. فإذا تم، مثلا، تقليص عدد صانعي الحافلات الكهربائية في أوروبا من ١٦ الى ثلاثة أو أربعة، فقد ينخفض ثمن الحافلة نحو ١٣ في المئة. ويمكن التوفير على نحو مماثل في مجموعة كبيرة من المنتجات كالسيارات والطائرات المدنية والاتصالات الهاتفية.

[illegible] في كل حقل نجد رابحين وخاسرين، ومن الأكيد أن هذه المرحلة الانتقالية ستكون شديدة الوطأة على البعض. ومع ذلك فهناك شركات لا تعبأ بهذا التحدي. فقد أظهر استطلاع عام ١٩٨٧ شمل ١١ ألف شركة في بلدان المجموعة، ان ٧ في المئة منها فقط يشعر بأن المخاطر المتأتية من انشاء السوق الموحدة ستفوق منافعها. والواقع أن جاذبية هذه السوق تثير اهتماماً خارجياً. فقد تقدمت تركيا رسمياً بطلب انضمام الى السوق، وتدرس النمسا والنروج الامكانات المستقبلية. وهناك بلدان عدة، بما فيها بلدان الكتلة الشرقية، توّاقة الى توقيع اتفاقات تجارية.

ولكن لا تزال هناك مشاكل شائكة عالقة. وأكبر عثرة في طريق الاتفاق هي المراكز الحدودية التي تنوي اللجنة في بروكسل إلغاءها. الا أن توقف هذه المواقع عن القيام بمهمتيها الاساسيتين سيؤدي الى نشوء مشاكل حقيقية لبعض البلدان:

□ التحقق من تذكرة الهوية: بريطانيا متصلبة في اصرارها على التحقق من هوية القادمين على جميع النقاط الحدودية، حتى أولئك القادمين من داخل بلدان المجموعة. وقد يتوجب على الدانمرك أن تتخلى عن جواز السفر الموحّد مع البلدان الاسكندينافية المجاورة التي تؤيد فكرة حدود مفتوحة مع بقية أوروبا. وتبقى هناك قضايا عالقة كمنع اللجوء السياسي وتأشيرات الدخول للأجانب ورخص حمل السلاح.

□ الضريبة على القيمة المضافة (٤) والرسوم الجمركية. تراوح النسب الضريبية على القيمة المضافة في المجموعة الاوروبية بين صفر و٣٨ في المئة. وتنوي اللجنة الاستعاضة عنها بترتيبين آخرين: رسوم مخفضة بين ٤ و٩ في المئة على السلع الاساسية كالمواد الغذائية والكتب والادوية، ورسوم قياسية بين ١٤ و٢٠ في المئة. ولن يكون هذا التحول ملحوظاً في معظم البلدان. ولكن سيتعين على الدانمرك، التي تواجه خسارة في عائداتها الضريبية تفوق تكاليف خدماتها الصحية، أن تبحث عن مصدر آخر للمال. أما في بريطانيا فليس وارداً سياسياً التفكير في فرض ضريبة

(٤) Value-added tax

## أسئلة مطروحة

**هل ستكون أوروبا كالولايات المتحدة، وتكون بروكسيل شبه عاصمة اتحادية؟**

لا، ستظل بلدان المجموعة تتخذ جميع قراراتها الخاصة، ما عدا تلك المتعلقة بالسوق الموحدة، كالتبادل عبر الحدود، ومقاييس الصحة والسلامة، والتجارة الخارجية.

**هل ستختفي الحدود؟**

هذا هو الهدف المنشود، إلا أنه لن يتحقق بين ليلة وضحاها. فعلى المسافرين أن يحملوا أوراقاً ثبوتية، كم سيتم تفتيشهم. الا أن البضائع ستعبر من دون تأخير.

**هل ستتهدد الوظائف والاعمال في بعض بلدن المجموعة الاوروبية بسبب رخص اليد العاملة في بلدان أخرى حيث المستوى المعيشي أدنى؟**

ما يهدد الوظائف هو اقتصاد راكد لا سوق حرة لليد العاملة. صحيح أن بعض القطاعات، خصوصاً تلك التي تعتمد على العقود العامة، ستشهد منافسة أكبر وسيتعين على كثيرين أن يغيروا أعمالهم. إلا أن كلفة اليد العاملة في البلدان الاوروبية الافقر لن تبقى رخيصة، إذ يتوقع أن ترتفع الأجور فيها بسرعة.

**هل ستتدنى المقاييس المهنية؟**

ما الذي يدعو الى ذلك؟ لم يشك أحد من تدني مستوى العناية الطبية بسبب دخول العنصر الاجنبي منذ السماح للاطباء والممرضات بممارسة مهنهم في أي مكان في بلدان المجموعة الاوروبية منذ منتصف السبعينات. لا، بل سترتفع المستويات في حقول كثيرة بعرض أصحاب المهن خدماتهم عبر الحدود الوطنية لمواجهة طلبات المستهلكين.

**هل سيمكن المرء أن يتقاعد في بلد آخر ويحصل على تعويض وعناية صحية؟**

على القيمة المضافة على مجموعة كبيرة من المواد الاساسية.

**أوروبا قوية.** الا أن العام ١٩٩٢ ليس سوى المرحلة الاولى في مغامرة ستستكمل في القرن المقبل. وتقضي الاولوية القصوى بإزالة العبثية القائمة بوجود سوق واحدة باثنتي عشرة عملة مختلفة. فمع أن الأيكو (وحدة النقد الاوروبية) غير متداول في شكل قطع نقدية وأوراق مصرفية، فانه يحتل المرتبة السادسة في العالم في أسواق السندات المالية (٥). ويمارس كثير من رجال الاقتصاد والسياسة ضغوطاً لتحقيق اتحاد نقدي تام وانشاء مصرف أوروبي مركزي. أما في ما يتعلق بالقضايا

أجل، يمكن تحويل التقاعد والخدمات الاجتماعية التي تحق للمواطن من بلده الى أي بلد آخر اذا أجرى المعاملات المطلوبة.

**هل يمكن المرء أن ينفق النقود التي في جيبه في أي مكان في أوروبا؟**

حتى الآن، كلا. اذ يتعين تحويل النقود الى عملة البلد المحلية ريثما تنزل قطع نقدية اوروبية موحدة. ولكن يمكن استعمال بطاقات الاعتماد والشيكات الاوروبية (Eurochecks) في كل مكان.

**هل يمكن الاوروبي شراء سيارة من خارج الحدود وقيادتها في بلده؟**

مبدئياً، يحق له ذلك. إلا ان هذه العملية لن تكون رابحة بالضرورة اذ يُتوقع أن تنتفي الفوارق الكبيرة في الاسعار بين البلدان.

**هل أرغمت شركات الطيران الوطنية أخيراً على المنافسة المباشرة؟ وهل ستتدنى تكاليف السفر؟**

أجل، ولكن ببطء. فالى الآن تطبق اجراءات المجموعة الاوروبية في الخطوط الثانوية على نحو خاص. وستنعم أوروبا تدريجاً رحلات جوية رخيصة نسبياً كتلك القائمة بين هولندا وبريطانيا.

**هل سيضطر الاوروبي الى تكلم لغات أجنبية؟**

يُستحسن، طبعاً، تكلم لغات أخرى، خصوصاً في مجال الأعمال. ويتوقع أن تشدد المدارس على تعليم لغات اضافية.

**هل ستفقد أوروبا تنوعها الرائع فيصبح لكل شيء طعم واحد وهيئة واحدة؟**

على العكس، فقد تتعزز ثروة أوروبا الحضارية والثقافية العميقة الجذور. وستعطى قيمة أكبر للفوارق الاقليمية. وستجد بعض الاختصاصات الوطنية، كالمأكولات، أسواقاً أكبر فتتعزز أكثر.

الملحة، فالجدل ما زال في بدايته.

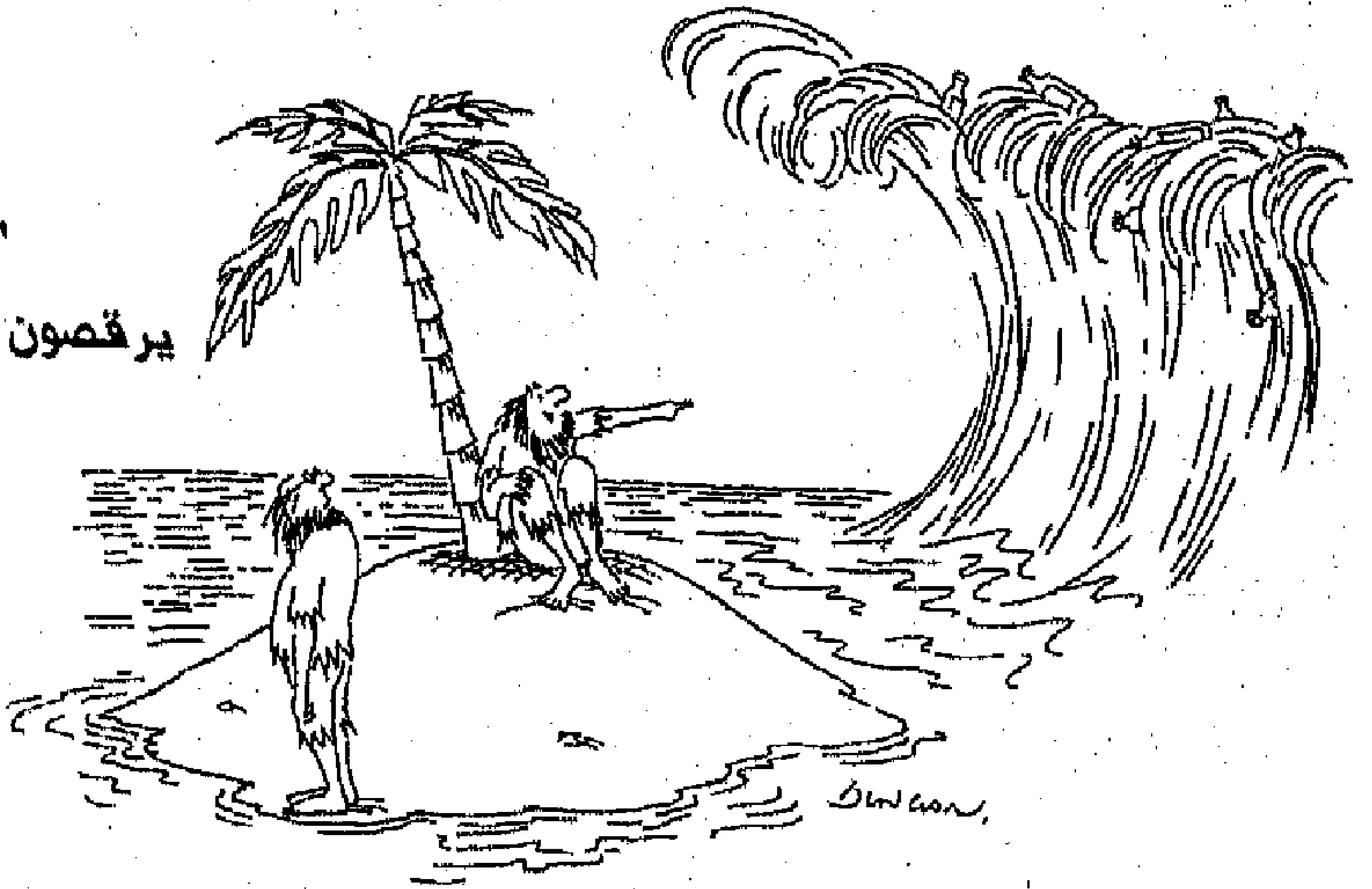
وعلى الحكومات في هذه الاثناء أن تتنبه جيداً لكي لا تؤدي الكبرياء الوطنية والمصالح المكتسبة الى تعطيل حدث العام ١٩٩٣. والى الآن لم تنحرف الرغبة في تحقيق الهدف. فقوة التعاون الكامنة تولد حماسة تسري في أنحاء أوروبا. وقد وصف جاك ديلور رئيس اللجنة الاوروبية هذا الوضع: "ان السوق الكبيرة التي نعمل على انشائها تعني كل مواطن في أوروبا مباشرة. إنها فكرة ثورية، لكنها ستنجز لأنها ضرورية ولأنها تتضمن هدف تحقيق أوروبا قوية وموحدة."

جون دايسون ■

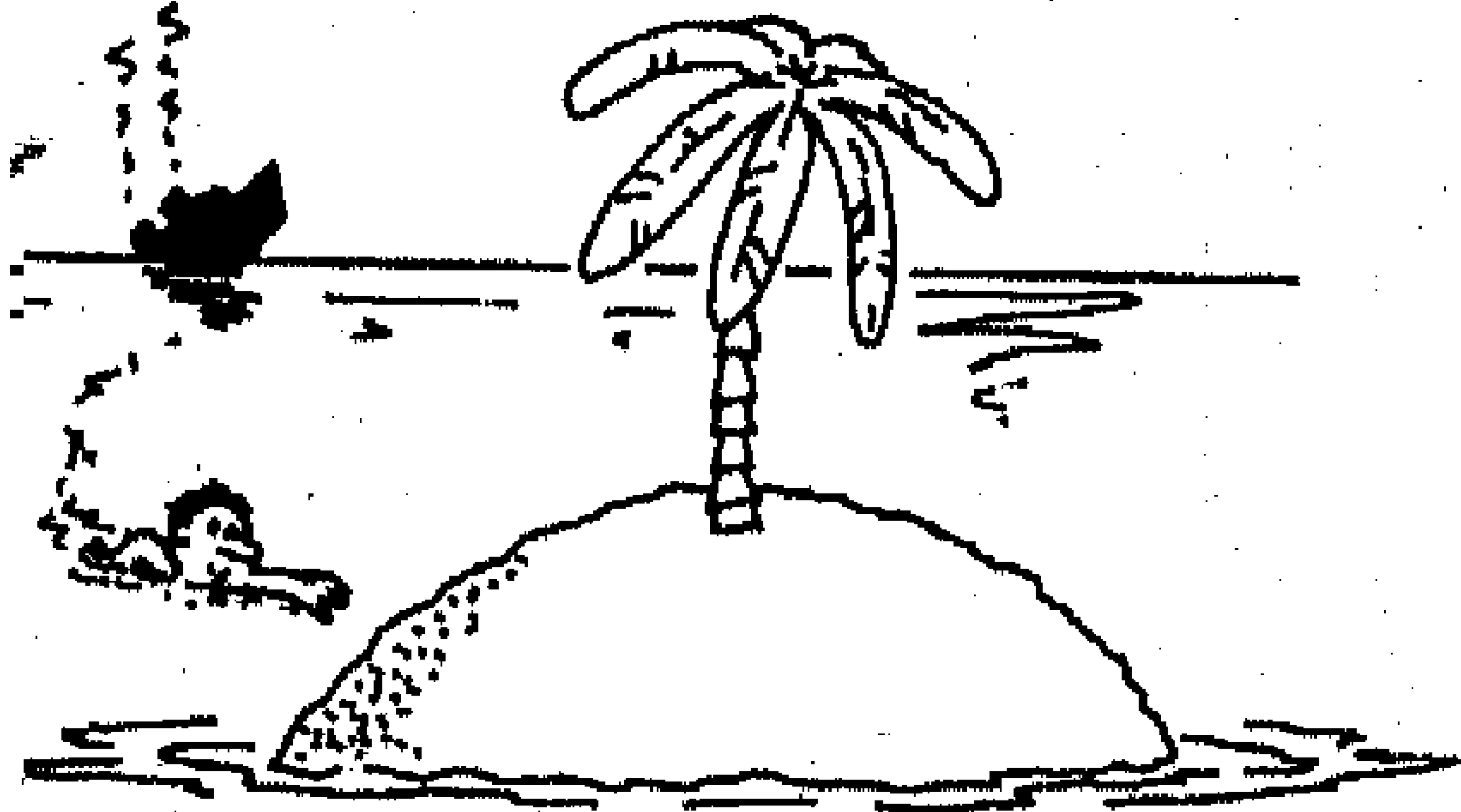
(٥) بعد الدولار الامريكي والفرنك السويسري والين الياباني والمارك الالماني والجنيه الاسترليني (أرقام منتصف ١٩٨٨).

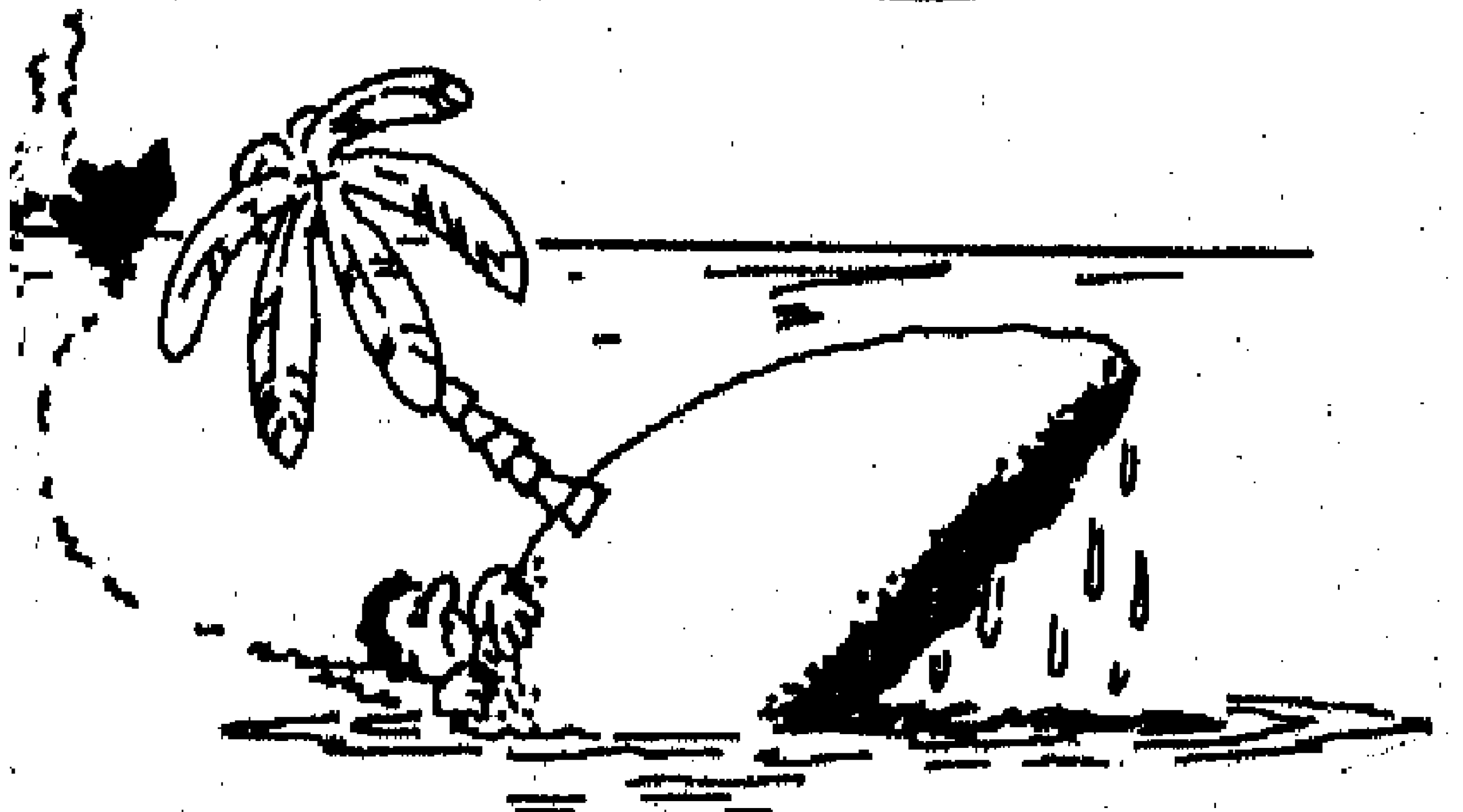
# ناجونا!

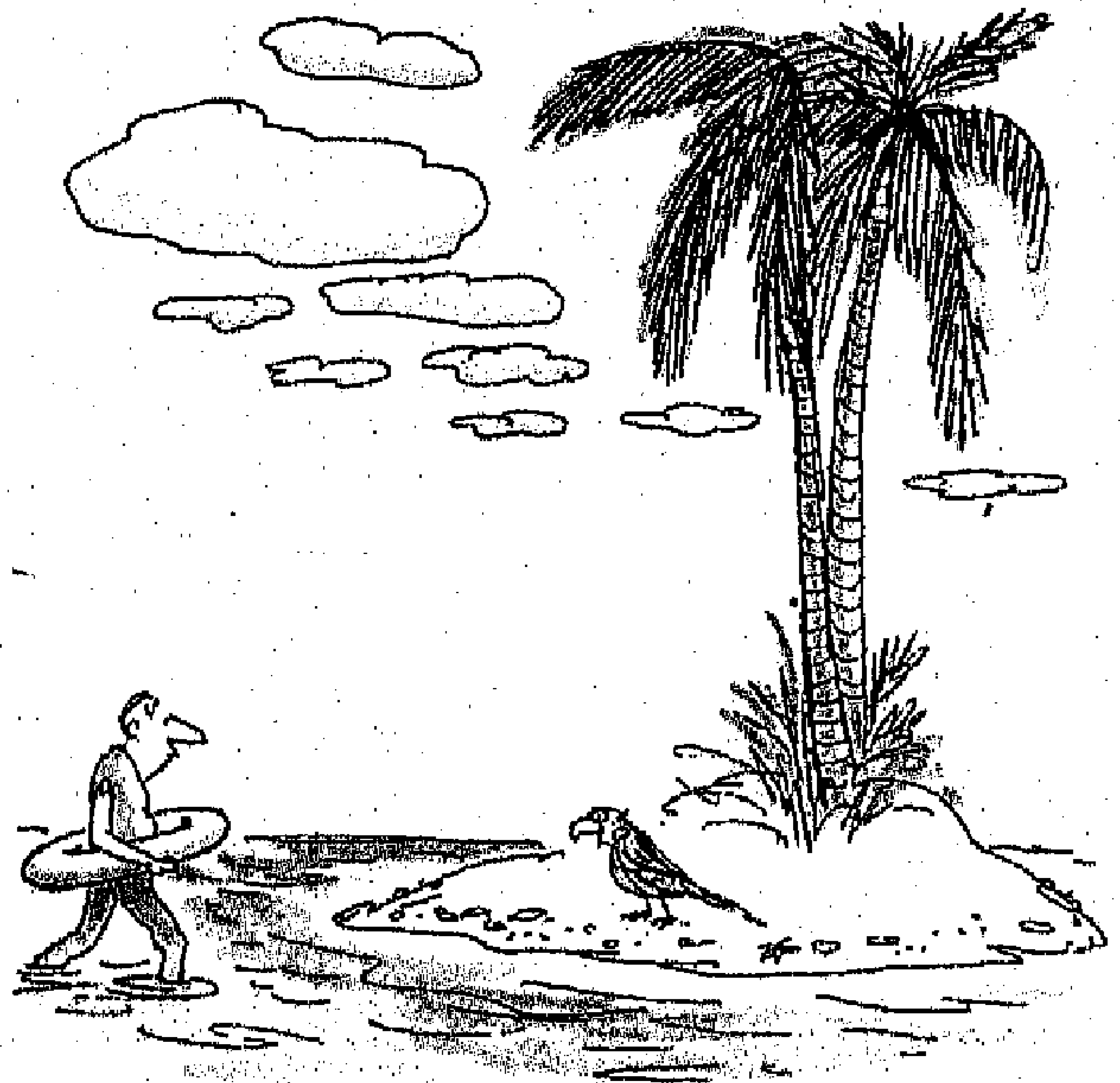


"ها هو البريد آتيا!"







"هل تتكلم الاسبانية؟"

# سفّاح الأرياف

"بوصلة" روائية اختفت في بريطانيا ساعدت الشرطة في كشف جريمة مزدوجة

حسن الطالع أتى بالسيدة كات مان وابنتيها الى ناربورو، القرية الواقعة على مسافة ثمانية كيلومترات جنوب غرب لستر في الاراضي الوسطى ببريطانيا. فعندما علمت أن أخاها يخلي بيته المدعوم حكومياً غادرت المدينة المزدحمة لتستأجره وتسكنه مع ابنتيها سوزان (٦ سنوات) وليندا (٤ سنوات).

تنعطف الشوارع في ناربورو عشوائياً بلا نمط ظاهر لتربط بين البيوت القرميدية والحدائق المفضية اليها. وترعى الماشية خلف محطة القطار في المراعي الخضر على ضفتي نهر سور. انه ذلك النوع من المكان الذي يشكو الصبيان من "انه مضجر".

استقرت كات مان مع ابنتيها مدة ثماني سنوات في البيت الخالي من المياه الساخنة. ثم التقت ادي ايستوود، زوجها الثاني. وقبل زواجهما عام ١٩٨٠ انتقلت وابنتيها الى منزل في القطاع الاحدث من القرية.

بعد ثلاث سنوات أصبحت ليندا ابنة الخمسة عشر ربيعاً "مراهقة حقيقية،" على حد قول أمها، "تتبع الموضة في ثيابها وتصفيف شعرها وتهوى الموسيقى العصرية ومستحضرات التجميل." لا تتأخر في العودة الى البيت الا نادراً. واذا فعلت فلا يخشى عليها أهلها شراً لانهم كانوا يعلمون أين هي. "فنحن في قرية حيث كل واحد يعرف الجميع،" يقول ادي.

عشية ٢١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣، وكان يوم اثنين قارس البرد، ذهب ادي وكات الى ناد اجتماعي قريب

لحضور مباراة في رمي السهام. وكانت ليندا خرجت في السابعة والدقيقة العاشرة مساء قاصدة قرية اندرباي المجاورة لتأتي بشريط مسجل من احدى الصديقات. كانت المسافة تستغرق نصف ساعة، لكنها لم تعد.

**بصمات وراثية.** أليك جفريز أستاذ علم الوراثة في جامعة لستر. وفي السبعينات، عندما توصل الباحثون الى رؤية جزيئات الحمض النووي «DNA» (★) التي تتحكم في الوراثة، أثارت جفريز فكرة استكشاف التمايز بين البشر. كان يرى، مع علماء آخرين، أن دراسة التغييرات الوراثية قد تكشف علامات للامراض الموروثة تقود الى تشخيص مبكر فعلاج. وكانت النظرية سليمة، لكن الحمض «DNA» لا يتضمن فروقاً واضحة بين شخص وآخر. يقول جفريز: "على الباحث أن يشقى ليكشف أي فرق مميز."

في العام ١٩٨٠ اكتشف باحثون أمريكيون "منطقة فائقة التغيُّر" في جزيئة «DNA» البشرية الطويلة تبدو فريدة بالنسبة الى كل فرد. فبدأ جفريز يبحث عن طريقة مضمونة لتحديد هوية هذه المناطق "الواشية". وفي مستهل العام ١٩٨٤ اكتشف تعاقبات كيميائية قصيرة كانت تظهر دائماً في هذه المناطق. ففكر: اذا استطعت تعليم هذه التعاقبات ورسم حدودها فاني اكون سلطت الاضواء على مناطق اختلاف جزيئات «DNA» بين شخص وآخر.

خلال الاشهر التالية استنبط جفريز وزملاؤه سِمات اشعاعية وتقنيات دقيقة لعرض تعاقبات جزيئات «DNA» على فيلم للاشعة السينية (اكس). واخيراً بات جاهزاً ليجرب تقنيته على دم أفراد غير أنسباء.

سحب جفريز الفيلم المظهَّر الاول في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٤، ورفعه ليشاهد فيه أنماطاً متمايزة من تعليمات رمادية وسوداء مكدسة ضمن اعمدة ضيقة. وللحال عرف انه اكتشف للمرة الاولى في التاريخ "بصمات DNA."

يقول جفريز: "هذه نماذج متميزة بفرديتها العالية. نحو نصف التقليمات في نموذج كل شخص يأتي من الاب، والنصف الآخر من الام. فاذا مُدّت جنباً الى جنب أمكن تفسيرها بسهولة واستخدامها للتعرف الى هوية الشخص الذي أخذت منه."

وباستثناء التوائم المتماثلة لا يتقاسم أحد النموذج ذاته مع أي انسان في الماضي أو الحاضر أو المستقبل. ولاحظ جفريز أن بصمات «DNA» يمكن الحصول عليها ليس فقط من الدم بل أيضاً من المني او بُصيلات الشعر أو الجلد أو أي نسيج آخر يحوي خلايا.

لقد غدا في استطاعة العلم أن يحل بواسطة بصمات «DNA» أبوة مختلفاً عليها... وربما جريمة قتل.

**جريمتان.** قلق ادي وكات ايستوود عندما عادا الى المنزل في الحادية عشرة ليلا ولم يجدا ليندا فيه. فلو كانت تمضي الليل عند صديقة لكان أهلها اتصلوا بهما في النادي ليطمئنوهما. خرج ادي في

(★) Deoxyribonucleic acid

الليل يطوف على منازل صديقات ليندا لعله يجد أحدها مضاء. وبحث في القنوات وعلى جوانب الطرق. وسار حتى بلاك باد، وهو مجاز ضيق مظلم يحوط مستشفى الامراض العقلية الواقع بين ناربورو واندرباي. وفي الاولى والنصف من صباح اليوم التالي اتصل برجال الشرطة.

بعد ست ساعات عُثر على جثة ليندا في غابة خلف بلاك باد، معتدى عليها ومخنوقة بوشاحها.

بدأ التحقيق في اشراف رئيس الشرطة المحلية في لسترشير ديفيد بايكر، يعاونه ٣٠ شرطياً وفريق من الكلاب المدربة. وسرعان ما توسع ليشمل اكثر من ١٠٠ شرطي أجروا تحقيقاً من منزل الى منزل في اندرباي وناربورو والقرية المجاورة ليتلثورب. وما انتهى يوليو (تموز) حتى كانوا دونوا ٥٠٠٠ إفادة من دون أن يظهر القاتل.

كان من المحتوم أن يسدل النسيان ستاره على قضية مصرع ليندا مان، وأن تخف التحقيقات الصحافية تباعاً على صفحات الجريدة المحلية "لستر مركوري".

ولكن بعد ثلاث سنوات، في ٣١ يوليو (تموز) ١٩٨٦، اختفت فتاة أخرى في الخامسة عشرة من عمرها.

انتقل روبن وبربارة آشوورث الى اندرباي لتأمين مدارس افضل لاولادهما. وروبن أشوورث كيميائي صناعي، وهو اشترى بيتاً قرب مرج للغولف. وعملت ابنته داون في وكالة أخبار محلية.

كانت داون فتاة مسؤولة مطيعة لابويها. وهما كانا صارمين لان قاتلا ما زال يرود في الجوار. فاذا أرادت ان تذهب الى ناربورو مساء رافقها والدها الى مفترق الطريق المؤدية اليها. واذا لم تعد الى البيت قبل التاسعة كان يذهب لارجاعها.

اختفت داون في وضح النهار. ففي الرابعة الا ربعاً بعد ظهر يوم خميس تركت عملها وسارت الى ناربورو لزيارة بعض الصديقات. وإذ لم تجدهن في البيت عادت سيراً عبر مجاز تن باوند لاين، وهو طريق رجل مختصرة ضيقة يحوطها العليق. ووجد شرطي جثتها بعد يومين في حقل قرب المجاز.

أعلن بايكر أن الشرطة وجدت عدة تشابهات بين جريمتي قتل داون آشوورث وليندا مان. فكلتاهما اغتصبتا وخنقتا في مجاز منعزل. والاثنتان تعلمتا في مدرسة واحدة وكانتا في ربيعهما الخامس عشر عندما قتلتا. بل انهما كانتا تتشابهان في جمالهما وأناقتهما.

كلف بايكر التحري أنطوني باينتر اجراء التحقيق. فأوقف هذا بعد ستة أيام شاباً ابن ١٧ عاماً مقيماً في ناربورو ويعمل حمالا في مستشفى الامراض العقلية. وفي ٩ أغسطس (آب) ١٩٨٦ اتهم الشاب بقتل داون آشوورث. وأعلنت الشرطة أن المتهم اعترف بفعلته.

تحقيق جديد. حاز اليك جفريز بعض الشهرة بعدما نشرت مجلة "نايتشور" (الطبيعة) بحثه عن بصمات «DNA». يقول: "بدأ الهاتف يرن للحال، وكان على الطرف الآخر محام يعالج قضية هجرة شديدة الدقة."

كان موظفو مطار "هيثرو" بلندن أوقفوا فتى من غانا ادعى أنه ولد في بريطانيا ثم تبع أباه عائداً الى افريقيا. وها هو الآن يرغب في الالتحاق بأمه في بريطانيا. فاشتبه موظفو الهجرة في أن الفتى الذي يحاول دخول البلاد ليس هو الصبي الذي غادرها من قبل. فحلل جفريز بصمات الـ«DNA» عند الفتى والام وابنها وبنتيها الآخرين، وبيَّن أن الفتى كان جزءاً من العائلة. وقبلت احدى محاكم الهجرة شهادته وسمحت للفتى بالبقاء في بريطانيا.

بعد ذلك طلب رئيس الشرطة بايكر من جفريز أن يساعده. كان متلهفاً لتحديد ما اذا كان المتهم بقتل داون آشوورث هو نفسه قاتل ليندا مان.

سلم بايكر جفريز لطخاً من المني وجدت على الضحيتين، وكانت تحوي كميات ضئيلة جداً من «DNA» ، كذلك عينات من دم المشتبه فيه.

يقول جفريز: "أثبت التحليل أن عينات المني المأخوذة عن الضحيتين هي لرجل واحد، لكنها ليست قطعاً للرجل المتهم."

بعدما أكد علماء حكوميون النتائج أُطلق المتهم.

اعاد أنطوني باينتر فتح التحقيق. وقدّم واهبون مجهولون جائزة ٢٠ ألف جنيه استرليني (٣٤ الف دولار) في مقابل معلومات تقود الى توقيف القاتل. وعُلِّقت لافتـات في القـرى تحض المقيمين على إرسال أي معلومة جديدة الى الشرطة. وطبعت جريدة "الستر مركوري" ملحقاً من أربع صفحات "خاصاً بالجريمة" وُزِّع على كل بيت في المنطقة. ومع ذلك لم تؤدِّ التحريات الى نتيجة.

وإذ ووجهت مديرية الشرطة بهذه الظروف المحرجة أعدّت خطة لا سوابق لها في تاريخ العلم القضائي.

[illegible] اعتقد باينتر أن القاتل لا بد من أن يكون مواطناً محلياً بين الثالثة عشرة والثلاثين من العمر، وإن لم يرد الافصاح عن اسباب اعتقاده. وكان أكثر من ٤٠٠٠ ذكر في هذه الاعمار يعيشون أو يعملون في القرى الثلاث وقت وقوع الجريمتين. فعمدت الشرطة الى وسيلة ثورية لاستبعاد المشبوهين غير المحتملين: اخذت دماً ولعاباً من كل ذكر شاب ذي صلة بالقرى.

هكذا استطاعت الشرطة استبعاد ٩٠ في المئة من الرجال باجراء فحوصات للدم واللعاب. ولم يبقَ الا أخذ بصمات «DNA» لدى الباقين وتحليلها في المختبرات الحكومية، ومقابلة النتائج مع "بصمات" القاتل.

ينص القانون البريطاني على ترك الحرية للناس لتقديم عينات من سوائل أجسامهم طوعاً لا قسراً. فاذا رفض الفتيان والشبان التعاون فلا تستطيع الشرطة اجبارهم. وهذا الواقع لم يوهن عزم باينتر الذي قرر المضي في مشروعه.

في ٥ يناير ١٩٨٧ استخرج اطباء الشرطة أولى عينات الدم واللعاب. لم يتوسل احد ايقاف العملية، ولم يطلق أحد حملة احتجاج على سوء استغلال الشرطة لصلاحياتها. وتدافع ألوف الشبان الى المراكز المخصصة لاخذ العينات.

في مستهل سبتمبر (ايلول) حصل باينتر على ٥٥٠٠ عينة، وما من قاتل. وكلف التحقيق شرطة لستر نحو نصف مليون جنيه استرليني (٨٥٠ ألف دولار) ولم يبق خارج التحقيق الا ٣٥٠ رجلا كانوا غادروا المنطقة للسكن في مكان آخر.

[illegible] رن جرس الهاتف في منزل ايستوود صباح الاحد ٢٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٧. وسمعت كات ايستوود أنطوني باينتر يعرّف عن نفسه.

تقول: "سألنا كيف حالنا، ثم قال انه يحمل لنا بعض الاخبار الطيبة. لقد أوقفوا رجلا ويعتقدون أنه القاتل. ترنحت وكدت اسقط."

كانت الشرطة أوقفت كولن بيتشفورك، وهو فران من ليتلثورب عمره ٢٧ سنة. لقد علق الشاب بما دعاه مفتش في الشرطة "خدعة بوليسية قديمة" وليس بمطابقة بصماته الحمضية. وأضاف المفتش: "سمعنا بعض الاشاعات، فاستقصينا مزيداً من المعلومات وعالجناها وبنينا عليها اتهامنا."

ادعى بيتشفورك أنه مشغول عندما سئل للمرة الاولى أن يعطي دماً. ثم أقنع زميلا له في العمل أن يجري الفحص نيابة عنه. فتقدم هذا من مركز الفحص زاعماً أنه يحمل عينة من دم بيتشفورك، وبهذه الطريقة بيّض سجله. لكن الرجل همس بقصة الخدعة في أذن عامل آخر في الفرن. وأخبر هذا آخرين، بينهم امرأة شابة أوصلت المعلومة الى الشرطة. فحقق رجال الامن مع الرجل المخادع ثم قبضوا على بيتشفورك في منزله في ليتلثورب حيث يعيش مع زوجته وولدين.

اخذت الشرطة دماً ولعاباً من بيتشفورك وأرسلتهما للتحليل طالبة أيضاً بصمات «DNA» . وتطابقت هذه تماماً مع "بصمات" القاتل. وفي ٢٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ حُكم على بيتشفورك بالسجن المؤبد لقتله ليندا مان وداون آشوورث.

على رغم القبض على القاتل لم تعد الحياة هانئة بالنسبة الى سكان ناربورو واندرباي وليتلثورب. يقول دوغلاس مين من قرية ناربورو: "نحن الآن نقفل أبوابنا." وأنير مجاز بلاك باد، واستؤصل العليق من مجاز تن باوند لاين. ويبدو هذان المجازان الضيقان في نظر الزائر دربين انكليزيين لطيفين وسط الحقول الخضر. أما في القرى فتغلب رؤية أخرى عبّرت عنها امرأة من ليتلثورب: "ألا تعتقدون أنهما مخيفان؟"

أنطوني شميتز ■

## ضمان ابدي!

أعدت مع زوجتي تنظيم محفوظاتنا العائلية. وعندما لاحظت أن وثيقة زواجنا غير مدرجة في الملف المعنون "أوراق مهمة" سألتها أين احتفظت به. فنمت عنها ابتسامة ماكرة وناولتني ملفا بعنوان "ضمانات."

و. م.

في كل بلدة ومدينة اشخاص يعطون المثل
في الشجاعة ورقة الاحساس وحسن السلوك. وهنا قصص لاربعة منهم

# فاعلو خير

## حامي البيئة

يأمل ايرل زيلا الدريدج بتحويل احد اكثر المدن تلوثا في امريكا، جنة عدن. انه فارع الطول (١٨٣ سنتيمتراً). يزن ١٣٦ كيلوغراماً. يجوب انحاء مدينة جيرزي بولاية نيوجيرزي وهو يعتمر قبعة كبيرة وينتعل حذاء رعاة البقر، مطارداً الخارجين على قوانين حماية البيئة.

ساعد على ادانة ما يقرب من ٤٠٠ ممن يلقون القمامة في غير الاماكن المخصصة لها، مما اشاع في المدينة جواً من النظافة جنبها اسوأ كارثة نفايات كانت تهددها.

نشأ الدريدج في بورت نكس بولاية تكساس. وبعد ان اتم الخدمة في فيتنام انتقل الى نيوجيرزي. وفي العام ١٩٨٠، وكان احترف مهنة صناعة الاقفال، توجه الى عمدة مدينة جيرزي توماس ف. اكس. سميث وطلب تعيينه مفتشاً فخرياً للبيئة وهو منصب لا يعني اكثر من حصول صاحبه على شارة وظهور صورته في الجريدة.



وقد تمكن الدريدج، في اقل من سنتين، من ان ينهي وضع اكثر من تسعين مكباً غير شرعي للنفايات، علاوة على مساعدته مجلس المدينة في التوصل الى اتفاق خاص بالنظافة مع غالبية اصحاب الاملاك.

وذات مرة كانت احدى المحاكم تنظر في دعوى تتعلق بالبيئة، فظهر ايرل ومعه ٣٠٠ صورة تظهر الاماكن التي خرق فيها القانون مؤيدة بتقرير من ٧٠٠ صفحة مدون بخط يده، مما اذهل المدعى عليه فوافق فوراً على تسوية.

ونال بصدقه وتفانيه ثقة المسؤولين في المدينة فاسندوا اليه وظيفة بأجر متفرغ لادارة برنامج لمكافحة خطر التلوث.

ويقول عنه جيم ستيبلز المتحدث باسم "مصلحة حماية البيئة" في نيوجرزي: "انا لا اعرف شخصا مثل ايرل، في سعة اطلاعه وتفانيه في القيام بواجبه. انه المواطن الذي اذا رأى الخطأ يندفع ويعمل اي شيء لتصحيحه."

ونقل عن ايرل: "المهم ان نحدد المشاكل ونجد حلاً لها قبل ان تلحق الضرر بالصغار. ومن اجل هذه الغاية اخترت هذا العمل."

جون درفلاني

في "كريستشان ساينس مونيتور"

## المنقذ

في احدى ليالي شهر فبراير (شباط) الماضي، كان دون دوفي (١٧ عاماً) يقود سيارته في الطريق الملتوية المؤدية الى منزل والديه الذي يبعد ٣٠ كيلومترا جنوب غرب زتفر، فرأى شعاع ضوء غريباً ينعكس على الاشجار. وهو يتذكر ما حدث: "كنت متأكدا انه ليس ضوء القمر فأنا اقود سيارتي على هذه الطريق باستمرار وألاحظ اي شيء غير مألوف فيها حتى وان يكن بسيطاً."

اوقف دوفي سيارته وخرج مستطلعاً. ولاحظ ان في اسفل الوادي الضيق حطام سيارة ما زالت مصابيحها الامامية مشتعلة.

وكان الحادث حصل قبل نصف ساعة عندما انحرف توم ديز (٤٤ عاماً) بسيارته عن حافة الطريق الذي ليس على جانبها اي حاجز واق، فانقلبت رأساً على عقب واستقرت على ظهرها على عمق ٦٠ مترا.

اسرع دوفي في طلب النجدة ثم عاد وهبط المنحدر حتى وصل الى السائق فوجده مصاباً.

كان الثلج يغطي الهوة ودرجة البرودة تحت الصفر. وبعد جهد شاق تمكن دوفي من تسلق المنحدر ومعه السائق الجريح. ولما بلغ الطريق خلع سترته وقميصه، واحضر بطانيات من سيارته ولف بها الرجل المصاب الذي كان على وشك التجمد من شدة البرد.

قال ديز لاحقاً: "كنت اعاني آلام الجروح الداخلية وعرفت اني سأموت. انا مدين لدوفي بحياتي."

ان مآثر انقاذ ارواح الآخرين اصبحت عملا مألوفاً بالنسبة الى دون دوفي الذي هو الاكبر بين اخوته السبعة.

ففي السن الثانية عشرة انقذ من الغرق أخاه الذي كان في العاشرة. وقبل

سنتين تناولت اخته وكان عمرها آنذاك ثلاث سنوات سماً للفئران، فما كان منه الا ان نظف فمها وجعلها تشرب حليباً مغلفاً لمعدتها ريثما تتلقى الاسعافات الطبية اللازمة.

يقول والده: "لقد حاولنا تعليم الاولاد المناقب الحسنة، ويظهر اننا قطفنا الثمار."

**ريبيكا جونز**

في "روكي ماونتين نيوز"

## اللمسة الشافية

اعتادت ماري اومالي (٧ سنوات) الذهاب بعد دوامها المدرسي الى "مستشفى العناية والنقاهة" في ضواحي مدينة اتاسكاديرو بكاليفورنيا، مرة كل اسبوعين، لزيارة المسنات اللواتي كانت اعمارهن تراوح بين ٦٤ سنة و١٠٣ سنوات.

والملفت للنظر ان هذه الصغيرة جعلت من واجباتها، اثناء الزيارة، فرك جسم المريضات بعطر منعش. واحياناً كانت تحضر معها باقة من الورد او قطة صغيرة تقدمها هدية الى احداهن، فتتسلى بملامستها ومداعبتها مما كان يخلق جواً من المرح والبهجة بين من كانت تعتبرهن بمثابة جدات لها.

قالت ماري، ان فكرة تطوعها لهذا العمل كانت وليدة رغبتها هي "فعندما كنت في الخامسة تعودت ان اذهب الى دار الراحة لزيارة جدتي. وكنت اشاهد عدداً كبيراً من الكبار وهم يقومون بأعمال المساعدة. واقول الحق، اني كنت مضطربة في البداية ولكني لم اعد كذلك الآن. وما احبه في عملي هو التحدث الى المريضات والتعرف اليهن. واظن انهن يحببن ذلك."

**شيرلي هارليس غراف**

في "ومنز وورلد"

## فكرة لامعة

قال جان ليدوكس التقني المدني والرقيب في "الحرس الوطني" بفيرمونت، انه بينما كان يشاهد



Photo: © Wayne Nicholls / The County Telegram — Tribune

المهندسين يركبون مصابيح لأشعة ما دون الحمراء على الطوافات في قاعـدة بيرلتجتون، لاحظ ان الشخص الذي يقف على الطائرة لفحص سلامة المصابيح بواسطة نظارات خاصة يبلغ ثمنها ٤٥٠٠ دولار، غالباً ما يفقد توازنه ويقع الأمر الذي قد يؤدي إما الى مقتله واما، على الاقل، الى تحطيم ما يوازي آلاف الدولارات من المعدات.

وقد لمعت في ذهنه فكرة ذهب على اثرها الى مخزن للالكترونيات واشترى اغراضاً عدة من اجل صنع جهاز يدوي لتفحص الاشعة ما دون الحمراء في المصابيح.

وبعد محاولات عدة استغرقت يومين خرج ليدوكس بجهاز يدوي يمكن من فحص الاشعة مادون الحمراء بشكل سليم ولم تتعد تكاليف صنع الجهاز ٨،٧٠ دولارات.

استعمل الجهاز فوراً في القاعدة التي يعمل فيها ليدوكس، ثم اتصل بالجيش الذي تردد مشككا في صلاحية الجهاز. فالحقه برسم بياني. ولما استمر التردد ارسل الجهاز الى من يعنيهم الامر، فكانت النتيجة ان اتصلوا به مهنئين.

وقد اثار الجهاز اهتمام المعنيين في الجيش، خصوصاً عندما تبين انه سوف يوفر سنوياً ٩٨٧ الف ساعة عملا وما يقرب من ٦،٣ ملايين دولار.

"أسوشييتد برس"

## اقصر الطرق الى الشهرة

في نهاية المسرحية وقفت في الكواليس فتاتان مستأجرتان للتمثيل في مشهد جماعي، ودار بينهما الحوار الآتي:

"ماذا دهى الممثلة الاولى في المسرحية؟ فهي تبدو حقاً مغتاظة من شيء ما.

– آه، انها مضطربة لانها لم تتسلم الا تسع باقات زهور فوق مقدّم الخشبة المضاء.

"يا للعجب! تسع باقات شيء عظيم حقاً. ألا ترضيها؟

– وكيف ترضى ما دامت اوصت على عشر باقات ودفعت ثمنها؟!"

س.و.

## الرجال برؤوسهم

يُروى عن لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا بين عامي ١٩١٦ و١٩٢٢، ان امرأة دنت منه بعد انتهائه من إلقاء خطبة وعاجلته بالقول: "قبل ان اراك كنت اظن ان قامتك مديدة اكثر." فاجابها بسرعة خاطر: "يا سيدتي، في مسقط رأسي وايلز يقيسون الرجل من عنقه فما فوق وليس من عنقه فما تحت."

س.ج.هـ.

# «ايكيا» تفرش العالم

▫ افتتح متجر ضخم للمفروشات ذو اسم مضحك وأسعار متهاودة جداً في فوزندورف خارج فيينا عاصمة النمسا. ووجهت الى العموم دعوة غريبة: سيسمح لأول خمسين زبوناً بتمضية ليلتهم في المحل، ولدى انصرافهم في اليوم التالي بعد تناول طعام الفطور يأخذ كل منهم السرير الذي نام فيه.

▫ افتتحت الشركة نفسها فرعاً جديداً في ايفري خارج باريس. وعندما وصل الزبائن يوم الافتتاح استقبلهم لاعب كرة المضرب الشهير بيورن بورغ مقدماً اليهما قطع حلوى قصها ببراعة من قالب ضخم من خمس طبقات.

منذ نشأتها المتواضعة في أسوج نمت هذه الشركة لتصبح أكبر مجموعة لمتاجر المفروشات في العالم

Photo: Courtesy of IKEA.

□ أسف زبائن فرع أمستردام في هولندا عندما علموا بعزم المتجر على الانتقال الى احدى ضواحي المدينة. لكن خيبتهم تبددت عندما قدمت الى كل منهم فردة يسرى من قبقاب خشبي، على أن يتسلموا الفردة اليمنى في المتجر الجديد.

أهلا بكم في عالم "إيكيا" الباهر الغريب.

خلال ٣٥ سنة فقط "أحدثت هذه الشركة الاسوجية ثورة في عالم المفروشات، وجعلت الاثاث الحديث الجذّاب في متناول ملايين الناس." هكذا قالت ايفون برونهامر أمينة متحف الفن الزخرفي في باريس. ولقد نمت شركة "ايكيا" من مؤسسة تجارية في بقعة نائية في أسوج (السويد) يعمل فيها خمسة أشخاص وتتلقى الطلبات بالبريد وتلبيها بواسطته، الى كبرى مجموعات متاجر المفروشات في العالم. ولديها اليوم ٧٩ فرعاً موزعة في ٢٠ بلداً. وبلغت قيمة مبيعاتها الاجمالية في العام ١٩٨٧ نحو ١٤،٥ مليار كزاون أسوجي (نحو ٢،٣ مليار دولار) أي ستة أضعاف مبيعات "هابيتات" أقرب منافسيها.

**أسعار تناسب الجميع.** تقوم فلسفة "ايكيا" كما شرحها مؤسسها إنغفار كامبراد على إنتاج مفروشات أنيقة بسيطة بأدنى الاسعار. والواقع ان معظم فروع المؤسسة قائمة خارج المدن حيث العقارات أرخص. أما الأثاث فيصمّمه موظفو "ايكيا" في أسوج على نحو يسمح بتفكيكه وتوضيبه داخل صناديق مسطحة من الكرتون بغية خفض كلفة الخزن والشحن.

ومن باب خفض الكلفة أيضاً تعهد الشركة في صنع منتجاتها الى معامل في أنحاء العالم، على أن يتم التنفيذ في إشراف عملاء يقظين تعينهم الشركة. وعند الإنتهاء تشحن المفروشات مباشرة الى المتاجر أو الى واحد من عشرة مستودعات اقليمية في المانيا الغربية وأسوج وسويسرا وكندا والولايات المتحدة. وأهم من ذلك أن ايكيا تطلب من زبائنها أن يختاروا القطع بأنفسهم وينقلوها ويجمعوها. ويقول كامبراد: "إننا نكيّف كل شيء بحيث يتلاءم والسعر. فلا يكفي أن تراود المرء فكرة ما، بل يجب أن يرافقها سعر مناسب." وتكلّف منتجات "ايكيا" ٣٠ في المئة أقل مما تكلّفه مثيلاتها في الجودة والنوعية.

زوروا أحد متاجر "ايكيا" كما يفعل ٦٠ مليون زبون كل سنة، بمن فيهم ملك أسوج وملكتها، وستجد تجربة غير عادية في انتظارك.

في فرع الشركة في تيرنات خارج بروكسيل عاصمة بلجيكا رأيت متسوقين من جميع الفئات: أمهات مع أطفالهن وتلاميذ وعمالا واداريين وشيوخاً متقاعدين. وتقول كريستينا كليمنغ وهي ربة منزل وزبونة مخلصة للمتجر: "قبل عشر سنين كان معظم الزبائن عرساناً جدداً. أما اليوم فإن المتجر يجذب الجميع، وأسعاره تناسب كل الموازنات."

**"مساء الخير!"** داخل المتجر يضع الاهل أطفالهم في عربات حمراء أو

يتركونهم في "غرفة الكرات"، وهي صندوق عملاق يحتوي على كرات ملونة من المطاط. أما الاولاد الاكبر سناً ففي وسعهم أن يلهوا في غرفة تتضمن نشاطات مختلفة، فيتسلون بالكتب أو بالادمغة الالكترونية أو بأدوات الرسم والتصوير.

يتناول الزبون فهرساً سميكاً يعدد اثني عشر ألف سلعة في المتجر، ويتجوّل في القاعات المختلفة لانتقاء حاجته. وجميع السلع المعروضة في المحل هي للبيع، من الكراسي القابلة للطي والتي تباع بتسعة دولارات، الى خزائن الكتب التي تبدأ أسعارها بـ٤٥ دولاراً، الى مطبخ كامل يبلغ سعره ٣١٣٢ دولاراً.

ويقدّم مستشارون في المتجر نصائح وارشادات حول الشكل وطريقة التجميع. وبعد أن يختار الزبون ما يروقه من السلع المعروضة على الرفوف في المستودع، يدفع ثمنها عند الباب قبل أن يغادر المتجر. وعندما يصل الى منزله يجمع القطع بنفسه مستعيناً بمفتاح ربط خاص من صنع "ايكيا".

انغفار كامبراد هو الرجل الذي كرس خياله وعمله الدؤوب لبناء امبراطورية "ايكيا". وهو رجل قوي البنية مربوع القامة ممتلىء الجسم هادىء الطبع يناديه جميع من في الشركة "إنغفار". ومع أنه الآن صاحب ملايين فان اقتصاده في الانفاق شبه اسطوري. فهو يأكل في مطعم الشركة، ويسافر في مقصورات الدرجة السياحية، وينزل في فنادق الدرجة الثانية، ويحض موظفيه على أن يحذوا حذوه. وهو يعترف بأنه مدمن عمل. وكان الى وقت قصير يعمل ١٦ ساعة في اليوم، بدءاً من السادسة صباحاً. ويذكر أحد العاملين معه أنه حين كان يصل الى الشركة في السابعة صباحاً كان إنغفار ينظر اليه ويقول: "مساء الخير!"

**قفير ناشط.** ألمهولت هي قلب الامبراطورية النابض. وهذه بلدة صغيرة جنوب غرب استوكهولم عاصمة أسوج. وللشركة هناك مبنيان ضخمان للمكاتب ومستودع وبيت للضيوف ومطعم. وعلى بعد كيلومترين واحد من المستودعات الاقليمية تفد اليه كل يوم مئات الشاحنات والمستوعبات آتية من مصانع موزّعة في أنحاء العالم، محمّلة رفوفاً من صنع بولونيا وسطوح طاولات من انتاج الاتحاد السوفييتي وسلالا حيكت في الصين وزجاجاً نُفخ في البرتغال. وبعد تفريغها يُعاد توضيب السلع وفق الطلبات المسجّلة في الدماغ الالكتروني، ثم تُشحن مجدداً في شاحنات أو قطارات الى فروع إيكيا في أنحاء أوروبا. ويقول مدير التوزيع غوتيه غابريلسون: "علينا أن نتخلّص من السلع حال وصولها الينا. ففي كل يوم تنفّذ عملية توازن ضخمة."

نات هاغبرغ أحد المصممين الإثني عشر المتفرغين للعمل في الشركة في ألمهولت. وهو قال مشيراً الى رسم تخطيطي ثلاثي الابعاد لكرسي كبير: "المهمة الأصعب هي تصوّر نماذج قابلة للتفكيك وسهلة التجميع." والرسم الذي أشار اليه يوضح تفاصيل القياسات الدقيقة للاجزاء الثمانية التي يتألف منها الكرسي، ويظهر المفاصل ونوع

البراغي والمواد الصالحة: خشب أو كروم لقوائم الكرسي وذراعيها؟ روطان أو لكّ أو بلاستيك للمقعد؟ وبعد اعداد الرسم يتولى حرفيون محليون صنع نموذج للكرسي.

للتحقق من متانة السلع وقوّة تحمّلها تُخضع عيّنات منها لسلسلة من الاختبارات في إشراف بو وادلنغ، رئيس مختبر التجارب. تُعرّض الكراسي، مثلاً، للطمات متكررة، ربما بلغت ٦٠ ألف لطمة، من جسم يزن ٧٠ كيلوغراماً. وتثقّل أدراج الطاولات بأوزان وتنزلق داخلاً وخارجاً مرات لا تحصى. ويعبأ القماش في غسالات كهربائية ويغسل لاختبار ثبات ألوانه وقابليته للانكماش. وتطفأ سجائر مشتعلة في فرش الاسرّة لاختبار مقاومتها للاحتراق. وبعد التحقق من أن السلعة هي في المستوى المطلوب، تشحن الى أحد المصانع الخارجية لانتاجها على نطاق واسع.

وتفخر الشركة بكونها مختلفة. فكل من فيها، من أعلى الهرم الى أسفله، يتنادون بأسمائهم الاولى. وليست في الشركة مكاتب أو سيارات فاخرة أو غرف طعام خاصة. وفيها عدد ضئيل من السكرتيرات. وهي تعتمد سياسة "الباب المشرع" مع العمّال والزبائن. ويقول يان كجلمان مدير فروع الشركة في بلجيكا وهولندا: "هذه طريقة تتيح لنا معرفة أخطائنا وتصحيحها."

ويتعيّن على كل مدير تنفيذي في "ايكيا" أن يعمل بضعة أيام كل سنة في صالة للعرض أو في مستودع. وكحافز للموظفين، تعلّق أرقام البيع المحلّي في المتاجر مع الاهداف التي يسعى كل قسم الى تحقيقها. وتقيم الفروع بضع حفلات عشاء كل سنة لموظفيها. وفي عيد الميلاد يقيم كامبراد حفلة غداء يدعو اليها الموظفين الـ١٤٠٠ في المركز الرئيسي ويوزّع هدايا على الجميع. وفي العام ١٩٨٨ كانت الهدايا الموزّعة سترات رياضية. وهو وزّع في أعوام أخرى دراجات وآلات تصوير وأدوات تزلّج. ويقول كامبراد بحزم: "موظفونا هم مصدر قوتنا. وعلى الناس ألا يعملوا بعقولهم فقط، بل بقلوبهم أيضاً."

**فكرة رائدة.** ولد إنغفار كامبراد عام ١٩٢٦ في مزرعة صغيرة تملكها عائلته في جنوب أسوج. واسم "ايكيا" (IKEA) المميز يتألف من الحروف الاولى لاسمه واسمي القرية (Elmtaryd) والمزرعة (Agunnaryd) حيث نشأ وترعرع. منذ البدء كان حب التجارة يسري في دمه. وقبل أن يلتحق بالمدرسة الثانوية كان يجوب الريف على درّاجته فيبيع سمكاً اصطاده وبذوراً اشتراها بالجملة. ويتذكر ابن خاله إنغا برت بايلي وهو موظف في الشركة: "كان إنغفار إذا حصل على عشرة قروش لا يلبث أن يضاعفها الى عشرين."

في العام ١٩٤٣ أنشأ كامبراد شركة تجارية تتلقى الطلبات وتلبيها بواسطة البريد، يعمل فيها خمسة أشخاص مهمتهم تسويق أثاث من صنع محلّي. وهو لم يتخلّ عن شركته تلك عندما انخرط في الجندية ولا عندما درس الاقتصاد في غوتنبرغ ولا عندما عمل في شركة لتجارة الأخشاب. وفي العام ١٩٤٩ أصدر أول

"كاتالوغ" له وهو كتيّب من ١٥ صفحة يتضمن سلعاً مختلفة من مفروشات وجوارب نايلون ومصنوعات جلدية وأدوات زينة. وكان من أوائل التجار في أسوج الذين أضافوا كفالة يتعهدون بموجبها رد ثمن السلعة اذا لم تعجب الزبون.

في العام ١٩٥٣ انتقل كامبراد الى ألمهولت التي تبعد ٤٠ كيلومتراً جنوباً، وهي ذات موقع استراتيجي على خط السكة الحديد مالمو - استوكهولم. وحوّل دكانين قديمين للتجارة مكتباً وصالة عرض. ويتذكر كامبراد تلك الفترة: "لم أجد سبباً يجعل المفروشات الجميلة أغلى ثمناً من المفروشات القبيحة." وفي بحثه عن طرق لخفض كلفة الإنتاج، اكتشف مصادفة مبدأ المفروشات القابلة للتفكيك. ولم يكن أحد سبقه الى ذلك.

خشي تجّار المفروشات الاسوجيون الذين يبيعون بالتجزئة (القطاعي) أن يهدد ازدهار "ايكيا" مستقبلهم. فاتخذوا قراراً في أواخر الخمسينات يقضي بمقاطعة مصانع المفروشات للشركة. والتزمت مصانع كثيرة هذا القرار، مما دفع كامبراد الى التطلع خارجاً. فتعاقد مع شركة بولونية لتصنع له الكراسي الخشبية. لكن التجار ما لبثوا أن أنهوا مقاطعتهم بعدما أدركوا أن التعامل معه ربما كان مفيداً وفي مصلحتهم. ومع ذلك لم تنقطع صلاته بالخارج، بل ازدادت.

**مصلح اجتماعي.** تمتد امبراطورية "ايكيا" اليوم من فنلندا الى هونغ كونغ ومن أوستراليا الى الولايات المتحدة، وشهد خريف ١٩٨٧ افتتاح ثلاثة فروع جديدة، وينتظر تدشين أربعة أخرى في أوروبا والولايات المتحدة قبل صيف ١٩٨٩. ويزمع كامبراد افتتاح فرع في بودابست عاصمة هنغاريا عام ١٩٩٠. وتجرى محادثات في شأن افتتاح فروع للشركة في الاتحاد السوفييتي وبولونيا وبلدان أخرى في أوروبا الشرقية.

خلال السنين العشر الاخيرة استقر كامبراد وزوجته مارغريتا في لوزان بسويسرا. ويستعد أبناؤهما الثلاثة بيتر (٢٣ سنة) ويوناس (٢١ سنة) وماتياس (١٨ سنة) للانضمام الى الشركة التي ما زالت ملكاً حصرياً للعائلة.

وفي العام ١٩٨٥ سلّم كامبراد أندرس موبرغ (٣٥ سنة) ادارة المتاجر لينصرف هو الى استقطاب عروض جديدة. وكان موبرغ في حداثته يعمل في الشركة أيام العطل المدرسية، واليوم بات هو رئيس الشركة.

كانت "ايكيا" في العام ١٩٧٩ أول شركة غير ألمانية تفوز بجائزة التسويق في ألمانيا الغربية. وفي العام ١٩٨١ مُنح كامبراد جائزة "غرفة التجارة الدولية" تنويهاً بمقدرته الفريدة في المقاولة. وفي الكلمة التي ألقيت للمناسبة، أشادت به لجنة التحكيم المؤلفة من ١٥ رجل أعمال دوليين كباراً واعتبرته "مصلحاً اجتماعياً" لاتاحته الفرصة لملايين الناس كي يشتروا المفروشات الجميلة.

ويبتسم كامبراد لهذا الاطراء ويرد "ولكن ما زال أمامنا عمل كثير."

**ديبورا كاولي** ■

# تأملات معاصرة

## روائع الفن

بعض الناس يجعلون من اجسادهم عملا فنياً يستغرق عمرهم كله. غير أن مساحة الجسد أصغر من أن تستحق ما يولونها من اهتمام. وفي أي حال، في السنوات الثلاثين أو الاربعين الاخيرة من عمر المرء تتناقص جمالات هذا العمل "الفني" باطراد مما يوهن العزيمة.
ويجعل البعض من منازلهم وشققهم روائع عمرهم. والبيت، على الاقل، يدوم أكثر من الجسد، لكنه يفتقر كذلك الى آفاق رحبة. فعندما يؤثث البيت ويجهز ويُجدد لا يبقى لصاحبه الا نفض الغبار وتنظيف النوافذ.
أما المزرعة فتتبدل وتزداد جمالا لمئات السنين. فهي، حقاً، عمل فني خالد.
ن. ب.

## الظل

لم يكن في قريتنا الصغيرة في اليونان مدرسة، وكان على التلاميذ أن يتوجهوا الى المدرسة الواقعة في القرية المجاورة التي تبعد ساعة سيراً على الاقدام. فقادتني امي الى مدرستي الجديدة في اليوم الاول، ولكي نصل اليها في الميعاد بدأنا رحلتنا مع شروق الشمس.
بعدما سرنا في الطريق نحو ٣٠٠ متر اصبحت غافلا عن المكان الذي كانت امي تأخذني اليه. فقد كنت مستغرقاً كليا في الخطوات الواسعة التي كان يرسمها ظلي الضخم في ذلك الصباح المشمس، فابدو واشعر كأنسان متفوّق (سوبرمان) طوله ثلاثون متراً. وفجأة توقفت والدتي ونظرت مباشرة في عينيّ وقالت: "يا بنيّ، لا تنظر الى ظلك في الصباح. انظر اليه عند الظهر!".
نيكولاس ج. باباداكوس

## الحسد

الحسد هو، ببساطة ووضوح، الخوف من ألا تكون لك قيمة.
الحسد يفتش عن بيّنة لتبرهن أن الآخرين سوف يُفضلون ويكافأون أكثر منك.
هنالك بديل واحد من الحسد هو تقدير الذات. اذا كنتَ لا تستطيع أن تحب نفسك فلن تصدق أنك محبوب. ستظن دائماً أن في الامر خطأ أو حظاً. حوّل نظرك عن الآخرين ووجّه بصيرتك المتفحصة الى داخل نفسك. جِد منشأ حسدك وتحرر من الاصوات والتجارب القديمة. ضع كل طاقتك في بناء أمانك الشخصي والشعوري. حينئذ تصبح موضوع حسد الآخرين، وتتذكر أساك السابق فتمد اليهم يدك.
ج. ج.

# رسام ماليزيا

## رسماته النابضة بالحياة تمجِّد جمال الريف الماليزي

شواه ثين تنغ من الفنانين القلائل الذين يحق لهم الادعاء أنهم اكتشفوا طريقة جديدة للتعبير بالرسم، وهذه الطريقة هي الرسم الباتيكي(★) الذي يجمع أساليب الرسم الكلاسيكية الى فن الباتيك الآسيوي القديم الذي ينطوي على صبغ القماش بالشمع. ورسماته النابضة بالحياة التي تصوّر الريف الماليزي نالت استحساناً دولياً. ولوحاته معلقة اليوم في صالات العرض الكبرى وفي المتاحف والمجموعات الخاصة في انحاء العالم.

ولد تنغ في الصين عام ١٩١٤ وهو استمتع بالرسم والتلوين منذ نعومة أظفاره. الا انه بدأ دراسة الفن فعلا وهو في السابعة عشرة من عمره، وفي السن الثامنة عشرة هاجر مع والديه الى بينانغ. وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية انتقل الى اندونيسيا حيث عمل مدة قصيرة في معمل للباتيك يملكه عمّه. وقبل أن تضع الحرب أوزارها عاد الى بينانغ حيث أنشأ معملا للباتيك. إلا أن الباتيك المستورد الرخيص أغرق السوق، فاضطر تنغ الى



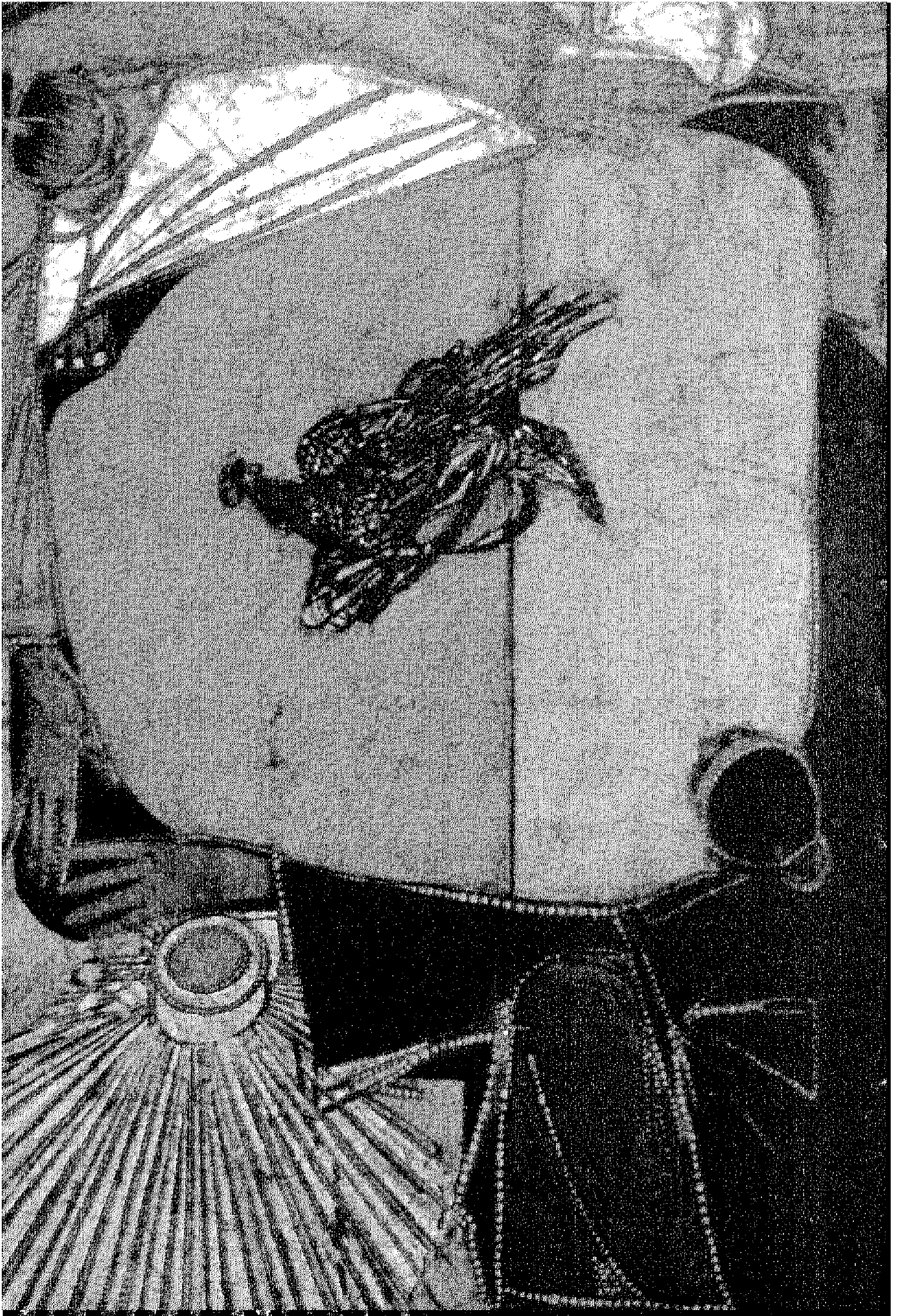
الفنان يعمل.

اغلاق معمله ولما تمض سنة على إنشائه.

أثبت إغلاق المصنع أنه نعمة متخفية. فالكميات الكبيرة المتبقية من الصباغ غير المستعمل حفزته على الجمع بين مهارته كحرفي باتيك وموهبته الفطرية في الرسم. وفي العام ١٩٥٥، بعد تجارب طويلة، تمّم تقنيات الرسم الباتيكي.

والرسم الباتيكي عملية شاقة يستخدم فيها الفنان القماش العادي بدل قماش

(★) Batik Painting



"قرية الصيادين".



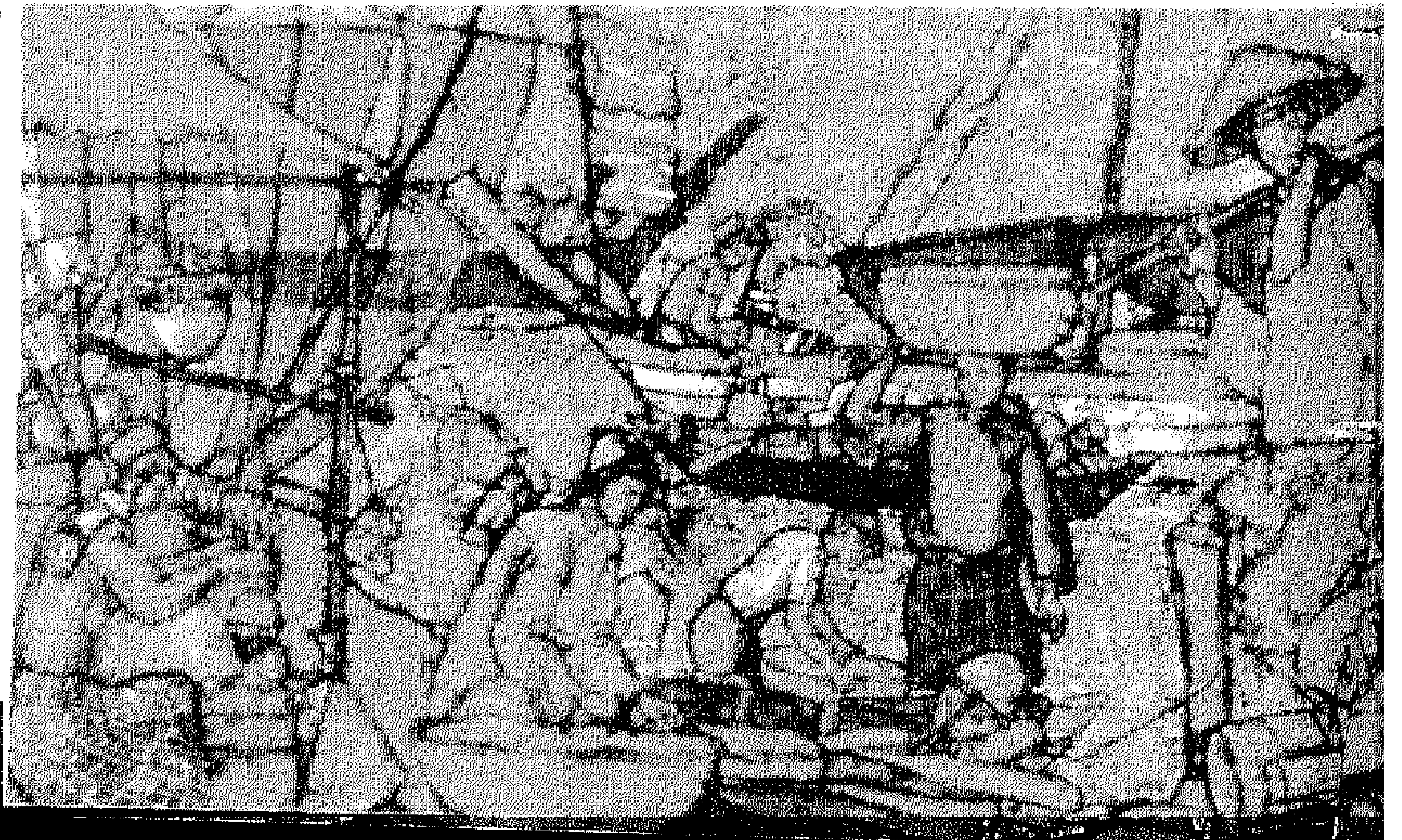


"أم وطفلها": يتكرر موضوع الامومة في أعمال تنغ. وهو يقول: "تضحّي الأم بكل شيء من أجل أولادها."

القنّب، والشمع والصباغ بدل الدهان، والتجانتنغ بدل الفرشاة، والاولى أداة نحاسية في شكل قلم تستخدم لوضع الشمع الحار. وبعد رسم المخطط الاساسي بالفحم، يوضع الصباغ الأفتح لوناً أولاً. ويتم ذلك بالطريقة الآتية: تغطى بالشمع الحار جميع الأجزاء ما عدا تلك المراد صبغها بهذا اللون. وعندما يجف الصباغ تنزع طبقة الشمع. والخطوة التالية هي تغطية الاجزاء المصبوغة والاجزاء التي لم تلوَّن بعد باستثناء تلك التي يراد صبغها بلون معين. وهكذا دواليك. وتخضع بعض اللوحات لعملية التشميع ١٥ مرة، ويستغرق انجازها ستة ايام. وغلطة وحيدة تكفي لتخريب العمل كله.


"إثنان من طينة واحدة" لوحة وقع عليها اختيار منظمة الامم المتحدة للاطفال (يونيسف) لتزيين احدى بطاقات المعايدة التي توزعها. هنا يكتمل تدرج الالوان الصارخة من أزرق وأخضر بخطوط أنيقة لا تخلو من رشاقة.

"مياه بينانغ" احدى لوحات الباتيك الاولى التي رسمها تنغ، وهي تبرز الحركة والالوان في سوق السمك.



ولقد حقق تنغ في سياق عمله الفني نتاجاً متنوعاً جداً. فالى أعماله المنفذة وفق الاسلوب التصويري، له محاولات استخدم فيها الاسلوب التعبيري والفن التجريدي. لكنه نادراً ما يغامر بالتطرّق الى مواضيع خارج ريف ماليزيا، وهو العالم الذي عرفه وأحبّه. وهو معجب ببساطة القرويين وصدقهم، ويصورهم بأسلوب يوحي الدفء والدعابة. وتلتقط عينه الحادة الجمال والنبل في النشاطات اليومية العادية: أطفال يلهون، نساء يطعمن الدجاج، رجال يعملون.

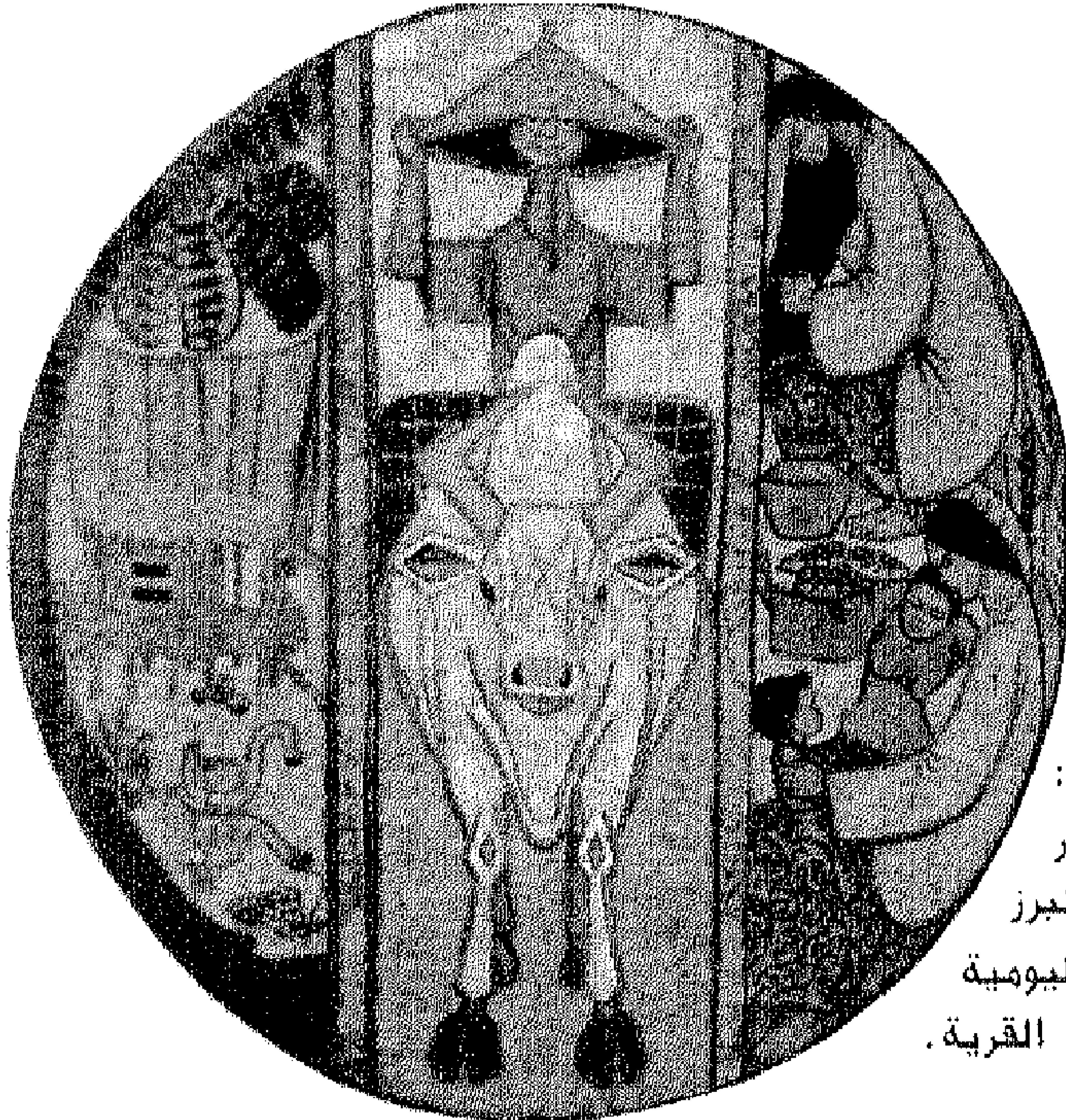
وما زال هذا الفنان السبعيني المرح والمفعم بالحيوية يرسم ست ساعات يومياً. وعلى رغم النجاح الذي أحرزه فانه يعيش حياة بسيطة متواضعة، وسعادته الكبرى في ان يلعب مع أحفاده التسعة. ويقول ابنه سيو تنغ: "لوالدي قلب شاب سعيد، في حياته الخاصة وفي عمله."

**كاثي ستوكوين** ■



"حذار!" لوحة تجمّد لحظة من الحياة في الريف.

في لوحة "موسم الفاكهة" ينسج تنغ والدته مع أطفالهما في لوحة مركبة.

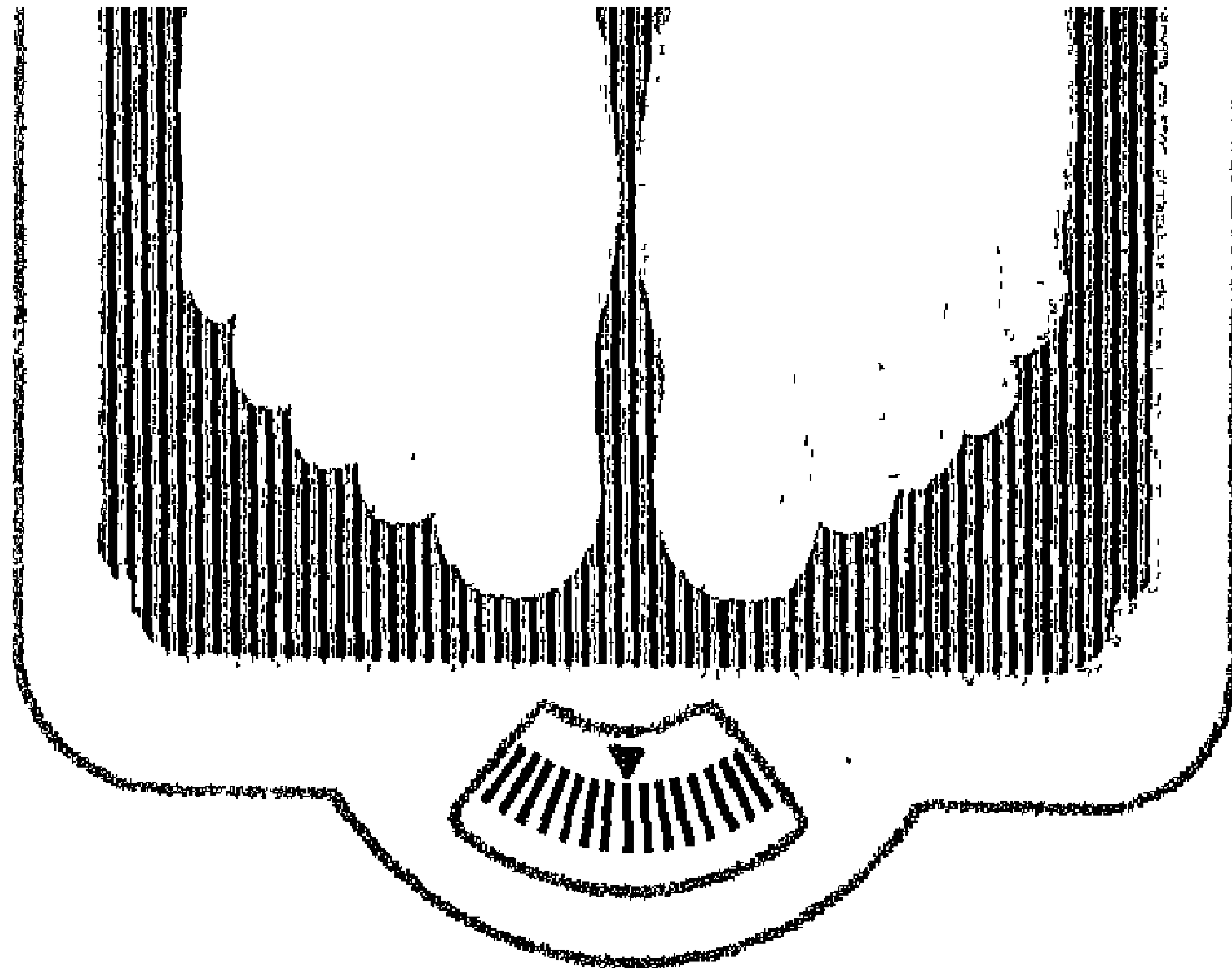


"الحياة في ماليزيا": لوحة في اطار دائري تبرز النشاطات اليومية في القرية.



Photos: Courtesy Chuah Thean Teng and National Art Gallery Malaysia





# حَقائق مهمّة عَن أنظمة الحمية

## الدهن الخفيّ

**كفوا عن عدّ الوحدات الحرارية التي يحويها الطعام. فالاعتقاد الحديث هو أن الشحم الذي نأكله هو الشحم الذي يلف أجسادنا**

هناك أناس يحترمون الحمية التي يلتزمونها، فلا ينفكون يختبرون ماذا يأكلون ومتى يأكلون وبأي مقادير، وكم مرة، ومع ذلك يظلون سمينين. أحد الاسباب الساطعة لذلك أن معظم برامج الحمية يخفق على المدى الطويل. يقول الدكتور روبرت ستارك الاختصاصي بالسمنة المفرطة في فينكس بولاية أريزونا: "حتى أسخف الحميات تعطي نتائج جيدة في البدء. لكن المهم ليس خفض الوزن، بل الاحتفاظ به منخفضاً".

في الاسبوع الأول من اتباع نظام حمية نموذجي صارم وسريع النتائج - فقير بالنشويات (الكربوهيدرات) وغني بالدهن والبروتيين - فان أكثر من ٧٠ في المئة من نقص الوزن ينجم عن استنفاد الماء من الجسم. كما أن الحرمان الشديد من المواد النشوية يخفض معدّل الأيض الاساسي (١) في الجسم وهذا بدوره يصعّب عملية حرق الانسجة الدهنية.

(١) Basal metabolic rate

لا بد لمن يثابر على اتباع حمية معينة من أن يصل في النهاية الى الهدف الذي يسعى اليه. ولكن غالبا ما يكون نجاحه هذا على حساب الكتل الهبرية في الجسم، وخصوصاً العضلات. وما ان يتراخى في تطبيقه برنامج الحمية وما يرافقه من تمارين رياضية حتى تعود الخلايا الدهنية الى الظهور. والحقيقة أنه يصبح أكثر بدانة وأثقل وزناً مما كان في البدء. طبيب الغدد الصم بيتر فاش الاستاذ المساعد في جامعة كاليفورنيا في لوس انجلس والاختصاصي بالطب السريري والاضطرابات الغذائية يشرح الأمر: "أن استعادة الدهن أسهل كثيراً من استعادة العضلات وإعادة بنائها". والناس الذين يتبعون أنظمة حمية قاسية متتالية، يضحّون كل مرة بقليل من الكتل الهبرية.

في العام ١٩٨٧ ألف الدكتور فاش مع اثنين من زملائه كتاباً بعنوان "حمية من الشحم الى العضل" (٢) ضمنّوه خطة للتحكم بالوزن تركزت على المبدأ القائل بأن الوحدات الحرارية الدهنية الفائضة تتحول أنسجة دهنية. أي "ان الشحم الذي تتناوله هو نفسه الشحم الذي يلفّ جسدك" بتعبير الدكتور فاش.

هذا القول يتحدى أنظمة الحمية التقليدية التي تتمحور حول خفض الوحدات الحرارية لا الدهن. وبحسب التفكير السائد، يكفي أن تخفض ٣٥٠٠ وحدة حرارية - بالامتناع أساساً عن تناول الطعام الغني بالنشويات - لتخسر نصف كيلوغرام من وزنك. ويؤكد علماء التغذية اليوم أن كل وحدة حرارية مختلفة عن الأخرى، و٣ في المئة فقط من الدهن الذي نتناوله يُحرق في عمليات الهضم والنقل والخزن، أما البقية فتتحول شحماً. ومع أن المواد الدهنية تتحول بالنتيجة طاقة، إلا أن ذلك لا يتم مباشرة كما في حال المواد النشوية.

ولقد أظهرت الدراسات أن المرء وإن التزم نظام حمية منخفض الوحدات الحرارية - ١٥٠٠ وحدة يومياً - فانه يصبح مفرط السمنة إذا ما أتى نصف الوحدات الحرارية من الطعام الدهني. والطعام الذي يتناوله بعض الغربيين مثقل بالدهن الذي يشكل ٤٠ في المئة منه، أي أربعة أضعاف كمية الدهن التي يحتاج اليها الجسم.

على أن الدهن لا يخلو من بعض المنفعة. فهو يشكل طبقة عازلة تساعد في حفظ حرارة الجسم. والى ذلك فإن بعض الأحماض الدهنية تؤدي دوراً مهماً في تكوين هرمونات حيوية في عملية الأيض. لكن الانسان لا يحتاج الى أكثر من ١٣٥ الى ٢٢٥ وحدة حرارية من طريق المواد الدهنية، أي بين ١٥ و٢٥ غراماً من الدهن يومياً.

في كتاب "ضبط الشحم مدى الحياة" (٣) ترجم الدكتور ستارك المحتوى الدهني في الطعام نسباً مئوية من مجموع الوحدات الحرارية. ومعظم الأرقام المعطاة لا يختلف عما يتوقعه المرء: ١٠٠ في المئة من الوحدات الحرارية في الزبدة والزيت هي دهن، كذلك ٨٦ في المئة في زيت جوز الهند

(٢) The Fat - to - Muscle Diet
(٣) Controlling Fat for Life

وزيت النخيل الشائعي الاستعمال في الطعام المعلّب، و٩٩،٨ في المئة في المايونيز، و٩٥ في المئة في صلصة الترتار، و٦٨ في المئة في البيكون و٩٠ في المئة في الجبنة القشدية، و٧٥ في المئة في زبدة الفستق.

قد يجنبنا سمن المرغرين النباتي الكولسترول المتوافر في الزبدة، لكن نسبة الدهن فيه ١٠٠ في المئة.

حتى الخضر تحتوي على بعض الدهن، لكن نسبته في معظمها أقل من ١٠ في المئة. وفي معظم أنواع الفاكهة لا تتعدى نسبة الدهن ٥ في المئة. ونسبة الدهن في البطاطا المشوية واحد في المئة، لكنها بعد إضافة الزبدة تصبح أكثر من ٤٠ في المئة.

النشاء والسكر، أي الكربوهيدرات، هما المادتان اللتان تمدان الجسم بالوقود. وكثيراً ما ننسب اليهما ذنباً هما براء منه، اذ اننا نتناولهما أحياناً مع المواد الدهنية. فعند تناول قطعة من الحلوى الدسمة يحرق الجسم السكر ويخزن الدهن. والأمر نفسه ينطبق على المعجنات التي تزيد السمنة، ليس بسبب المعكرونة أو العجين بل بسبب الصلصة الغنية بالزبدة والجبنة والقشدة. وعدد كبير من الرياضيين يفضلون الطعام النشوي لانهم اكتشفوا أن الكربوهيدرات المركبة تمنح الجسم طاقة اضافية فيما الدهن الفائض يزيده وزناً.

ولا يعني هذا الكلام أن الوحدات الحرارية المستمدّة من النشويات ليس لها حساب على الاطلاق. والحقيقة أن الإفراط فيها يدفع الجسم الى تحويل الكمية التي تفيض عن حاجته او تلك التي يعجز عن استخدامها في عملية الأيض أو عن تخزينها في شكل غليكوجين (سكر الكبد) الى شحم. أما اذا تجنب المرء تناول المأكولات الغنية بالدهن ففي وسعه عندئذ أن يتناول من النشويات ما طاب له.

يقول جايمس كيني الاختصاصي بالتغذية والباحث في مركز بريتكين للمعمرين في سانتا مونيكا بكاليفورنيا: "عندما أخبر الناس أن في امكانهم أن يتناولوا ما شاؤوا من القنبيط والفاكهة والحبوب من دون حرج ولا قلق، فإني أعني ذلك حرفياً". وفي كتابه "حمية لوس انجلس" (٤) يزوّد القارىء نظام حمية يتألف من طعام غير مدهن وغني بالنشويات، وعدداً من التمارين الرياضية تؤدى بانتظام.

ولكن هل يبدل الشخص العادي المعجنات الشهية بالقنبيط؟ ربما، خصوصاً اذا نظر الى الخيارات أمامه. فالقنبيط يصبح مثيراً للشهية ولا شك إذا كان الخيار بينه وبين جسم مترهل مُتعب سقيم.

**لي غرين** ■

## امتحان غذائي

هل أنت عالم بالدهن المخبأ في الطعام الذي تتناوله؟ هل تعلم أن بعض أنواع الدهن يزيد إحتمال إصابتك بسكتة دماغية (فالج) أو بنوبة قلبية، فيما

(٤) The L.A. Diet

سواه يخفف من هذا الخطر؟ أجب عن أسئلة هذا الامتحان لتختبر معلوماتك عن الدهن وعن الغذاء. لست في حاجة الى قلم. منطقك وحده يكفي.

١ . المهم أولا: هل نحتاج الى الدهن في طعامنا أم لا؟

نعم... انتقل الى الرقم ٧

لا... انتقل الى الرقم ١٠

٢ . خطأ. هناك ٤ وحدات حرارية في غرام من البروتيين أو ٩ وحدات في كل غرام دهناً. عُد الى الرقم ٤.

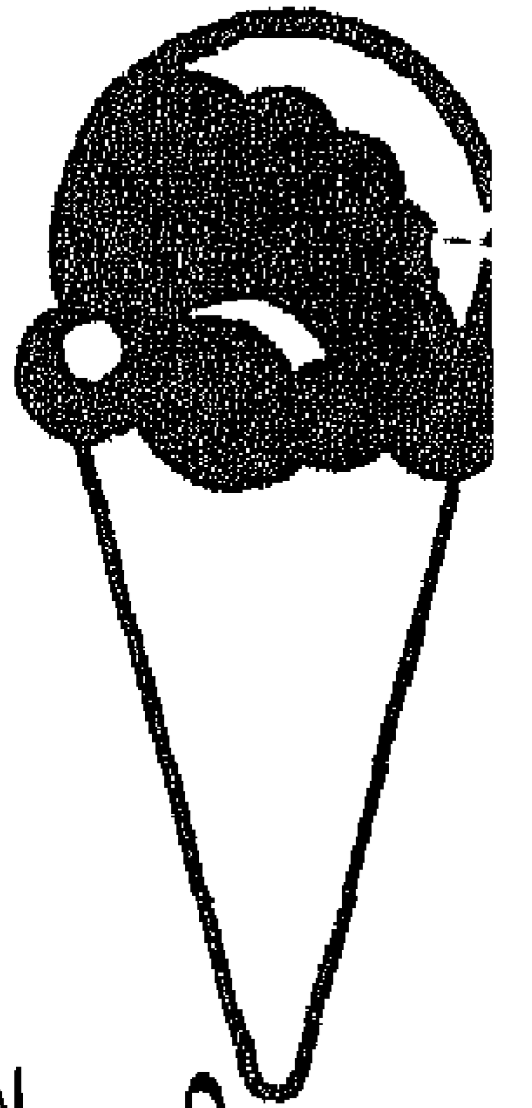
٣ . أي من هذه الاصناف يحتوي على أعلى نسبة من الدهن؟

١٠٠ غرام من التوفو...... انتقل الى الرقم ٦

حبة أفوكاده متوسطة...... انتقل الى الرقم ٩

٢٥٠ غراماً من التشيلي (٥) انتقل الى الرقم ١٢

٤ . هل تأكل الجيلاتي (آيس كريم) بالشوكولاتة؟



ان نصف كوب منه يحتوي على ٧ غرامات من الدهن. كم وحدة حرارية هناك في كل غرام من الدهن؟

٤.... انتقل الى الرقم ٢

٩.... انتقل الى الرقم ٨

١٨....انتقل الى الرقم ١١

٥ . لا يقتصر الامر على الوحدات الحرارية. هل يرفع الدهن نسبة الكولسترول في الدم؟

نعم... انتقل الى الرقم ٢١

لا.... انتقل الى الرقم ١٣

٦ . كلا. ان ١٠٠ غرام من التوفو تحتوي على ٥ غرامات من الدهن. بالمناسبة، إن كنت لا تدري، ما التوفو، إقرأ الرقم ١٧. وإن كنت تدري، عد الى ٣ مجدداً.

٧ . بداية جيدة. يمدّنا الدهن بمغذيات أساسية، وهو أحد مصادر حمض اللينوليك. والفيتامينات "أ" و"د" و"ه" و"ك" (A,D,E,K) عُد الآن الى الرقم ٤، وهاك سؤالا عن الوحدات الحرارية في الدهن الذي نتناوله.

٨ . صحيح. كل غرام من الدهن، مهما يكن شكله، أكان جيلاتي أو لحم عجل، يحتوي على تسع وحدات حرارية. فالدهن دهن: عُد الآن الى الرقم ٣.

٩ . نعم، هذا صحيح. فثمر الافوكادو مليء بالدهن، وحبة أفوكادو واحدة تحتوي على ٣٢ غراماً من الدهن. ربما كان من الافضل لك أن تخفف من تناوله إذاً. انتقل الآن الى الرقم ١٤.

١٠ . آه، بلى. نحن فعلا في حاجة الى دهن في طعامنا، وإن بكميات أقل مما يتناولها معظمنا. لماذا لا تعود الى الرقم ١ وتتظاهر بأنك على وشك أن تبدأ الامتحان؟

١١ . أوه، أنت مخطىء جداً. جرّب ٤ مجدداً.

١٢ . آسف. طبق واحد من التشيلي يحتوي على نحو ١١ غراماً من الدهن. عُد الى ٣ مجدداً.

(٥) التشيلي (chili) طبق كثير التوابل يشتمل على لحم بقر وفاصولياء وبندورة (طماطم) ومسحوق التشيلي.

١٣. نعم ولا. لمعرفة السبب إنتقل الى الرقم ٣١.

١٤. ماذا عن أصناف الطعام المذكورة أدناه؟ أي منها يحتوي على أقل نسبة من الدهن؟

أجبان.... انتقل الى الرقم ١٩

حبوب.... انتقل الى الرقم ٣٠

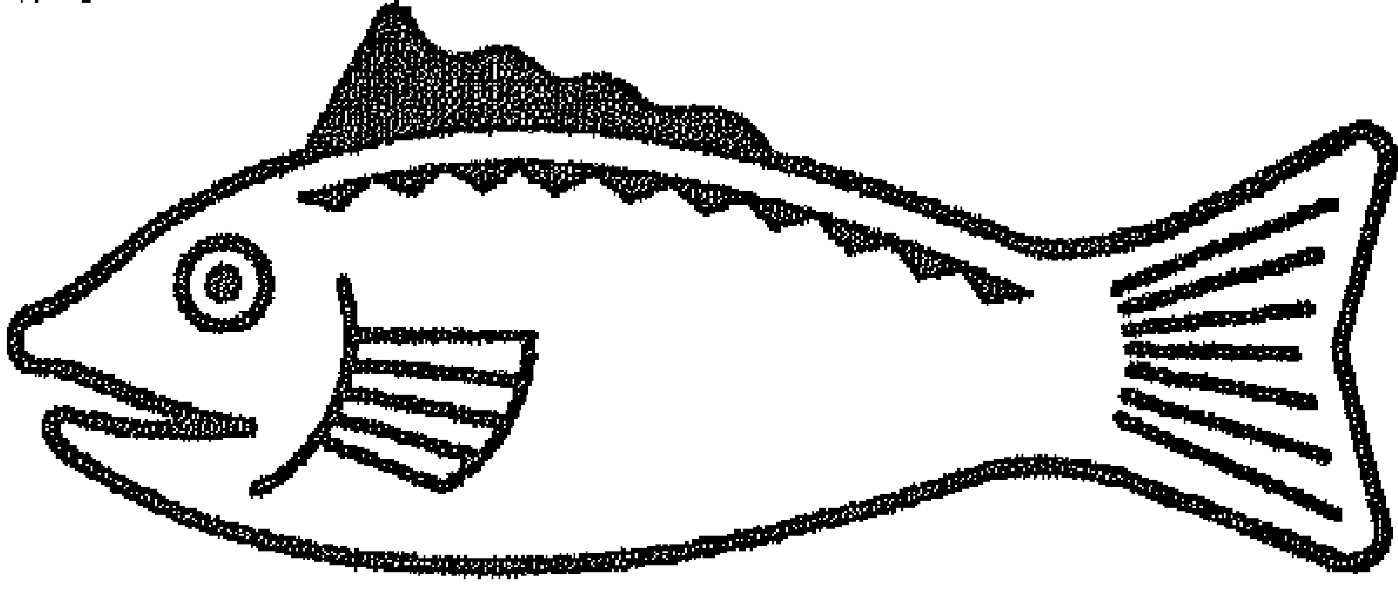
جوز وبندق.... انتقل الى الرقم ٣٤

١٥. مؤكد. فالدهن المشبع يستخرج في معظمه من الحيوانات. وهو عادة جامد في حرارة عادية. ولكن انتبه لنوعين من الزيوت النباتية: زيت جوز الهند وزيت النخيل، فهما دهن مشبع. انتقل الآن الى ٣٨. انك تقترب من خط النهاية.

١٦. نعم ولا. فالدهون المتعددة غير المشبعة تتخذ أحد شكلين رئيسيين: الاحماض الدهنية من فئة "أوميغا - ٦" وهي موجودة في معظم الزيوت النباتية، وتلك التي من فئة "أوميغا - ٣" الموجودة على نحو غالب في سمك المياه الباردة كالسلمون والاسقمري (المكاريل). وتظهر دراسات أن النوعين يساعدان في خفض الوزن ونسبة الكولسترول في الجسم. والى ذلك يبدو أن دهن السمك يخفض مستوى الكولسترول الضارّ (LDL) في الدم الذي يشكل ارتفاعه خطراً. من هنا، ربما أحببت أن تستعيض عن اللحم الأحمر بالسمك مرتين في الاسبوع. الآن إقرأ ٣٣.

١٧. التوفو طعام صحي يُحضّر من خثارة فول الصويا وهو غني بالبروتيين وبمواد دهنية متعددة غير مشبعة. عودة الآن الى ٣.

١٨. الدهن المشبع يشمل:



دهن البقر، الزبدة، الشحم.... انتقل الى ١٥

السمك المدهن، زيت الصويا، زيت الزيتون.... انتقل الى ٣٦

١٩. خطأ. معظم أنواع الجبنة غني بالدهن. والواقع أن أنواعاً مرغوبة، مثل جبنة الشيدار والروكفور، تحتوي على ٧٠ في المئة دهناً. عودة الى الرقم ١٤ لمحاولة جديدة.

٣٠. اختيار حسن. فنسبة الدهن في جميع مشتقات الحبوب تقريباً هي دون ٣٠ في المئة. حذار مشتقات الحبوب المقلية أو المعالجة بالزيت مثل الرقائق المقلية والكرواسان. في ما عدا ذلك أنت في مأمن. انتقل الى الرقم ٥.

٣١. إنك مصيب ومخطىء في آن، لأن معظم أنواع الدهن المشبع(٦) ترفع نسبة الكولسترول في الدم ويجب تجنبها، بخلاف الدهن غير المشبع(٧) الذي يعمل عكس ذلك تماماً. انتقل الى ١٨.



٣٢. على رسلك! إنك متشدّد جداً. إن لم تكن تتبع حمية خاصة فقيرة بالكولسترول، فيجب تخفيف استهلاك جميع الدهون الى أقل من ٣٠ في المئة، على أن ينقص الدهن المشبع بنسبة ١٠

(٦) Saturated fats
(٧) Unsaturated fats

في المئة على الاقل. عُدْ الآن الى ٣٩ ولا تقسُ على نفسك هكذا.

٣٣. صحيح. ولكن لا تعتد بنفسك كثيراً. يعتقد العلماء أن الدهن الاحادي غير المشبع (في زيت الزيتون وزيت الفستق) يخفض مستوى الكولسترول الضارّ (LDL) الذي يشكل ارتفاعه خطراً. اقرأ الفقرة ١٦ (اذا لم تفعل بعد) ثم انتقل الى الفقرة ٣٩ والسؤال النهائي.

٣٤. إحزر مجدداً. الجوز والبندق والمكسّرات الاخرى ومشتقاتها، مثل زبدة الفستق، غنية جداً بالدهن. لذلك يجب تناولها باعتدال للمحافظة على نسبة من الدهن أقل من ٣٠ في المئة.

٣٥. نعم، إنه الجواب الصحيح. إذ لا ننصح أصحاب الكولسترول المرتفع أن يتخطوا نسبة العشرة في المئة. تقدم الى ٣٠، السؤال الأخير.

٣٦. اختيار خاطىء. الشحم الحيواني هو عموماً دهن مشبع (غير صحي) والزيوت النباتية هي عموماً دهون غير مشبعة (صحية). الا أن هناك بعض الاستثناءات الجديرة بالذكر مثل زيت جوز الهند وزيت النخيل المشبعين ودهن السمك غير المشبع. تقدم الآن الى ٣٨ وحاول أن تحسّن أجوبتك.

٣٧. ٥٣ في المئة. الوداع.

٣٨. ومن الدهنيات غير المشبعة، أيها أفضل لك؟

المتعدد غير المشبع(٨) .... انتقل الى ١٦

الاحادي غير المشبع(٩) .... انتقل الى ٣٣

٣٩. حسناً. تبدو مقتنعاً بوجوب خفض ما تتناوله من دهن بجميع أنواعه وتجنب معظم أنواع الدهن المشبع. الآن، ما هي نسبة الوحدات الحرارية الدهنية التي يسمح الاختصاصيون بتناولها يومياً؟

٨ في المئة.... انتقل الى ٣٤

٣٠ في المئة.... انتقل الى ٣٥

٣٠. انتهى الامتحان! النتيجة لا تهم ما دمت استمتعت بالاسئلة وتعلمت في سياقها بعض الامور. مهلا، قبل أن تنصرف، احزر ما هي نسبة الوحدات الحرارية التي مصدرها الدهن المشبع في شطيرة همبرغر. أنظر ٣٧.

**كن لفين** ■

(٨) Polyunsaturated
(٩) Monounsaturated



## لا مشكلة!

دخل ابني المراهق المطبخ فيما كنت منهمكة بتحضير العشاء. ولانشغالي بالفرن لم ألاحظه الا وهو يغادر المطبخ وقد أعد كومة كبيرة من الشطائر. فسألته معنفة: "ماذا دهاك؟ ولمَ هذه والعشاء سيكون جاهزاً بعد نصف ساعة؟"

فأجابني ببرود: "لا تقلقي، أكون قد انتهيت منها في ذلك الوقت."

ش.م.



كروم لاڤو مشرفة على بحيرة ليمان. وتبدو في البعيد مونترو وروشيه دو ناي متوجة بالثلوج.

## مروج نضرة وقرى صيادين وأنهار جليد وبحيرة قيل إنها أروع بحيرات الدنيا

# ڤـــود السويسرية الحالمة

قدت سيارتي من فرنسا الى فندق جبليّ في مقلب ڤود الشمالي، ووصلت وقت الغسق. وفي الصباح فتحت شباكي ألتقط أنفاسي.

انبسط أمام ناظريّ مشهد خلاب: سهول القمح في هضبة ڤود الوسطى الخصبة تمور بالذهب تحت أشعة الشمس خلف أطراف الغاب. بحيرة ليمان (جنيف) جاثمة في البعيد كأنها، لشدة زرقتها، من ملصقات الرحلات. وفي البعيد طيف الألب مجلبب بالثلج، وجبل مون بلان نقي كالبلّور يشفّ عنه هواء جبليّ يأبى التلوث.

تطلعت فاذا بحجاب الضباب يتصاعد من البحيرة لتبقى الذرى الجليلة وحدها ماثلة للعيان ناصعة البياض في قبة

Photo: Schweizerische Verkehrszentrale (SVZ)

صافية. تسعمئة ألف زائر يرتادون ڤود سنوياً، ولا عجب. ففي هذا الكانتون(١) السويسري، وهو الرابع من حيث المساحة اذ يمتد فوق ٣٢١٩ متراً مربعاً، يمكنك أن تختار ما راقك، من المدن المستغرقة في التطور الى المروج النضرة المزهرة وقرى الصيادين وموانىء اليخوت والشواطىء المصونة وأنهار الجليد الصالحة للتزلج الصيفي. بهذا يفاخر المواطن الڤودي قائلا: "لدينا لكل فرد أشياء وأشياء. واذا لم يجد أحدهم عندنا مراده فاننا نحاول سد النقص ما استطعنا الى ذلك سبيلا.

**"حبيس شيّون."** بحيرة ليمان أروع بحيرات الدنيا وأعظمها في أوروبا الغربية، هكذا يقول أهل ڤود. ويصب نهر الرون مياه الثلج الذائب في الطرف الشرقي من البحيرة، فتجري هذه المياه ٧٢ كيلومتراً الى الطرف الغربي لتشكل نهر الرون من جديد.

مجد ڤود في بحيرة ليمان. وعلى رغم أن لفرنسا حصة في البحيرة تبلغ ٤٠ في المئة من مساحتها الممتدة ٥٨١ كيلومتراً مربعاً، كذلك لكانتوني جنيڤ وڤاليه المجاورين، فان أهل ڤود يعتبرون البحيرة ملكاً لهم. وبزلّة من لساني، لما دعوتها بحيرة جنيڤ، عبس صاحبنا الشرطي السويسري وبادرني باصرار: "نحن والجغرافيون نسميها بحيرة ليمان. وما لجنيڤ منها سوى ٦ في المئة، أما نحن فلنا منها أكثر من نصفها، وهو النصف الأحلى بعد أمرك."

لجهة ڤود من البحيرة شاطىء مترامي الأطراف فتان يطل على مناظر رائعة لجبال الالب. وهناك عشرات المواقع التاريخية، بما فيها المعلم الاكثر شعبية في سويسرا الغربية وهو قصر شيّون.

عام ١٨١٦ زار الشاعر البريطاني اللورد بيرون هذا المعقل الآخاذ الذي يرقى الى القرون الوسطى. واقتيد الى زنزانة منشق ثائر عاش في القرن السادس عشر وسجن هناك مقيداً بالسلاسل طوال أربع سنوات. ولشدة تأثرّه نظم بيرون قصيدته الشهيرة "حبيس شيّون"(٢) واليوم يؤمُّ تلك الزنزانة المشؤومة زهاء ثلاثمئة ألف زائر سنوياً، فيرتعدون متأثرين ويحدقون الى اسم بيرون منقوشاً بيده على عمود هناك.

وكان بيرون أيضاً رائداً لعنصر سياحي من نوع آخر، اذ استورد يختاً انكليزياً لرحلات الاستجمام. وقد أخبرني أحد بُناة القوارب على شاطىء البحيرة: "كان ذلك أول يخت شوهد في ليمان." أما اليوم فالقوارب تذرع البحيرة على الدوام.

وعابرات البحيرة منظمة بتنقلاتها منذ ١٨٢٣ حين أُنزل أول قارب بخاري سويسري. وتملك "الشركة العامة للملاحة في بحيرة ليمان" خمس عشرة قطعة بحرية تقل أكثر من مليون راكب سنوياً. وتبدأ العابرات الفخمة نقلياتها في تمام السادسة صباحاً، فلا تنفك تذرع البحيرة ذهاباً واياباً الى ما بعد منتصف الليل، لتعود انطلاقاً من الجانب الفرنسي بالسويسريين الساهرين الذين صرفوا مساءهم في منتجع إفيان.

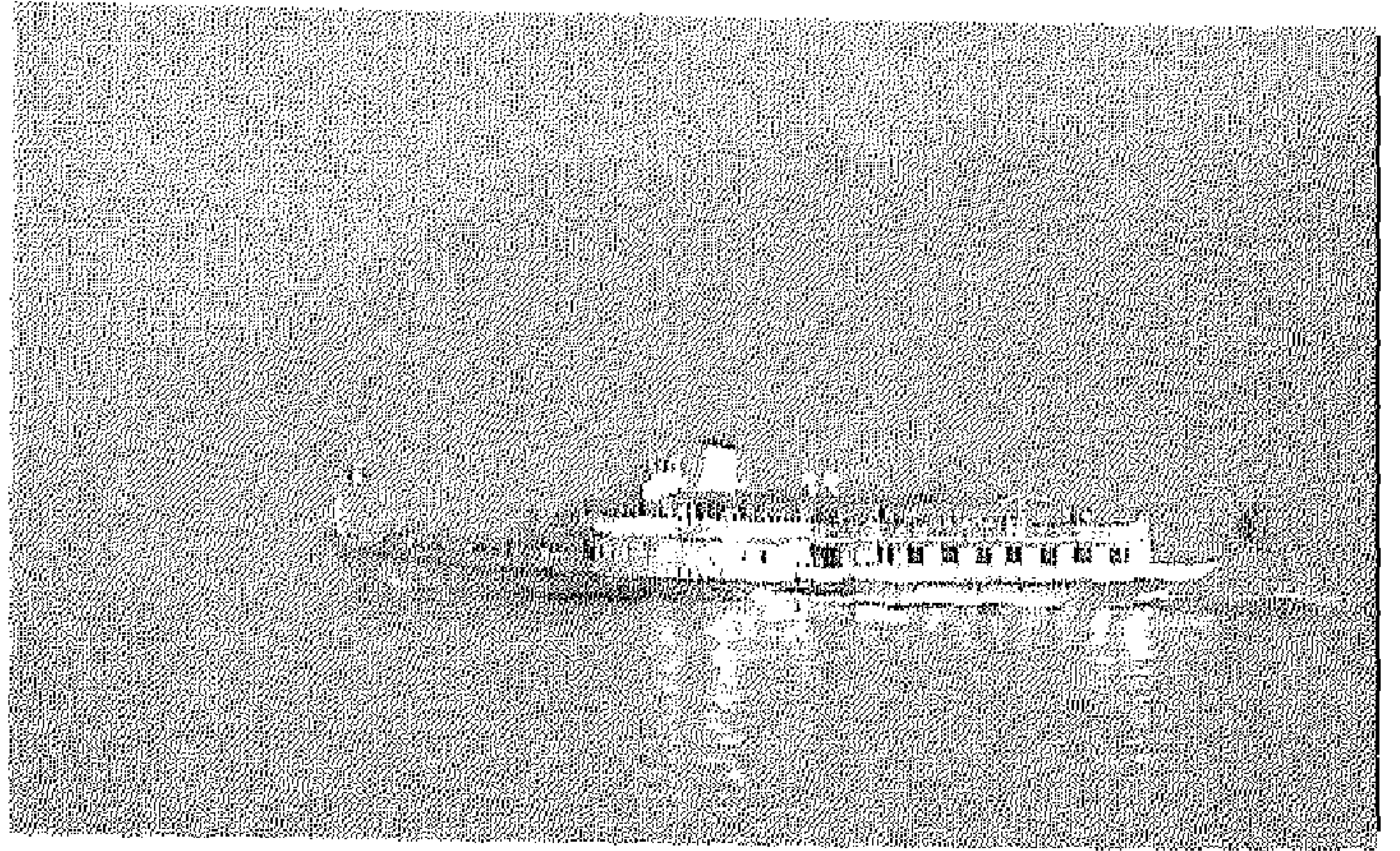
---

(١) الكانتون هو أحد الاقاليم الادارية في سويسرا.
(٢) The Prisoner of Chillon



قلعة شيون قرب مونترو، زارها اللورد بيرون وألف قصيدته الشهيرة عام ١٨١٦.

Schweizerische Verkehrszentrale (SVZ)



Schweizerische Verkehrszentrale (SVZ)

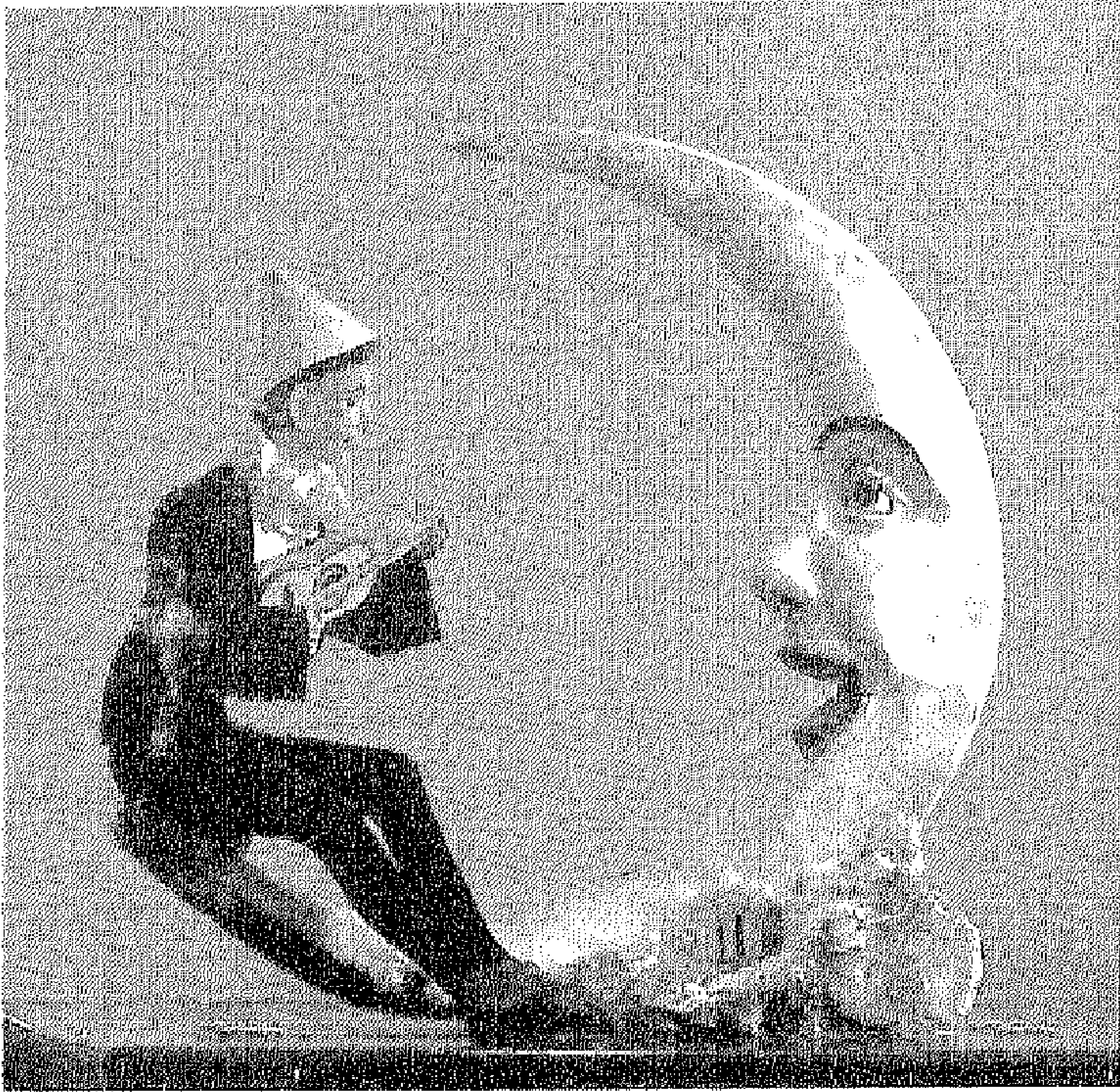
مدنية من ضمن أسطول سياحي يغطي ٤٢ محطة على ضفاف بحيرة لمان.

برج مارسان، وعمره ستة قرون، يشرف على أينع الكروم في كانتون فود.



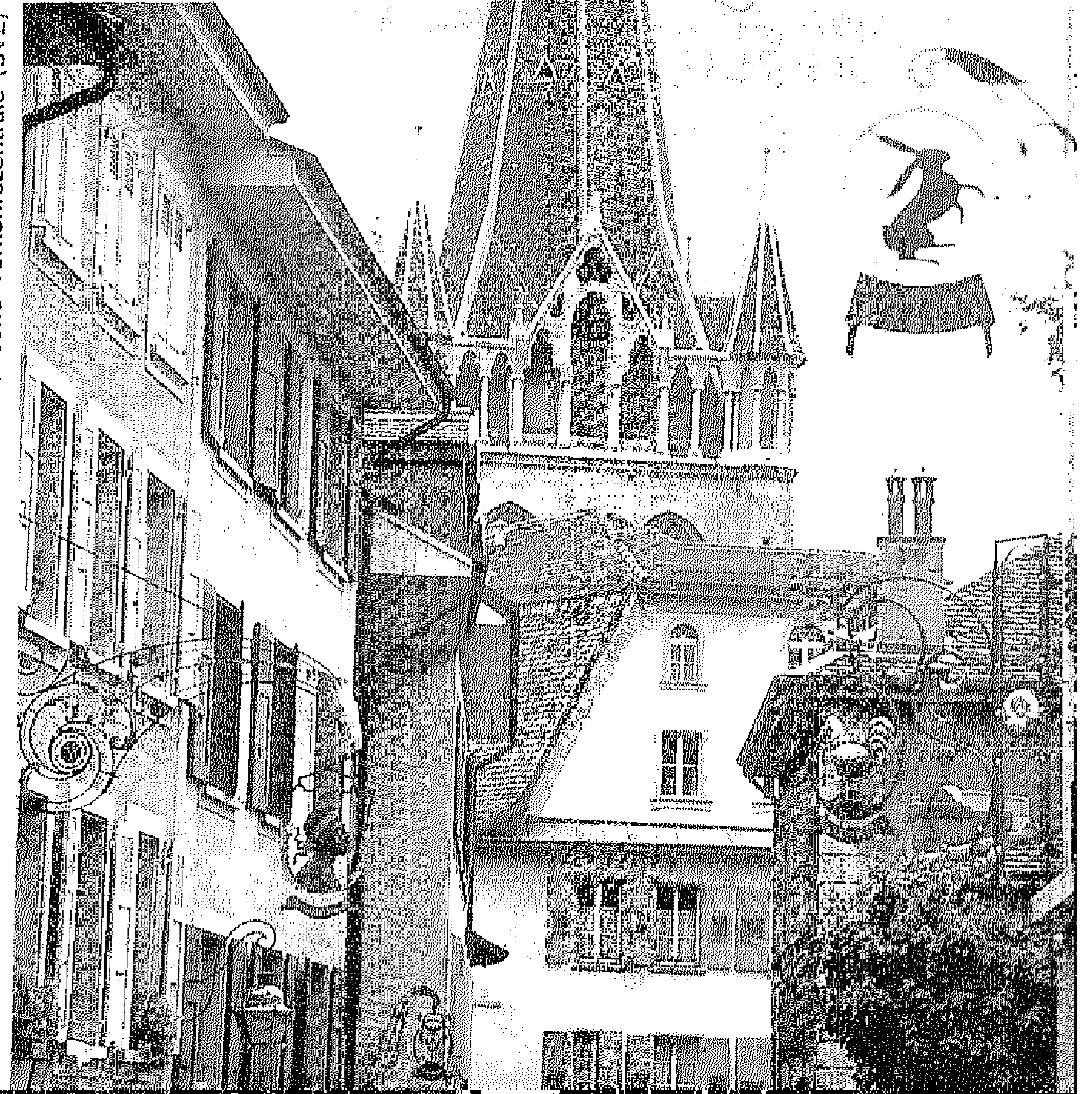
Avanti Verlag

Avanti Verlag



دمية موسيقية آلية، ضمن مجموعة كبرى من آليات موسيقية في متحف لوبرسون.

Schweizerische Verkehrszentrale (SVZ)



مطاعم وحوانيت تحف على جانبي شارع سيتيه في الحي القديم في لوزان.

**تحف موسيقية.** هكذا حبت الطبيعة ڤود أسخى عطاياها، فانبرت منذ القدم تستميل مشاهير الناس، منذ أسس يوليوس قيصر مدينة نيون في القرن الاول قبل الميلاد. ڤيكتور هوغو وتشارلز ديكنز ووليم ترنر وكثيرون سواهم من كتاب القرن التاسع عشر ورساميه قصدوا المطارح التي خلّدها قائد الحركة الرومنطيقية جان جاك روسو.

وكانت مدام دو شتال، احدى تلميذات روسو، تعقد لقاءات أدبية في قصر "دو كوبيه" تضم مشاهير المفكرين. ورحت أطوف في أرجاء القصر المفتوح اليوم للعموم، حيث ألفيت من روحها جسارة ومن فكرها سرعة خاطر من نوع لا يزال محسوساً منذ ١٧٢ سنة لغيابها، مثل كنوزها الشخصية التي ما زالت تملأ الارجاء وتضج بالذكرى.

وحتى الساعة يملك مشاهير من العالم بيوتاً حول البحيرة. وقد تصادف في المقاهي نجوماً أمثال جون سذرلند وبيتر أوستينوف وأودري هيبورن وجايمس مايسون.

من عناصر الاقتصاد في البلاد الزراعة والكرمة والسياحة. ومن المراكز الصناعية القليلة مدينة سانت - كروا التي انصرفت الى صنع الساعات ردحاً من الزمن، ثم أنشأت صناعة زاهرة للعلب الموسيقية، وفيها اليوم أكبر مصنع للقياثير في العالم.

تتألف كل قيثارة من نحو ألفي قطعة يستغرق تركيبها بضعة أشهر، وهي تكلف نحو أربعة عشر ألف دولار. وفي احدى الردهات التأمت عشرات الآلات البديعة جاهزة. وكم ارتعشت أطراف أصابعي وهي تنقر الاوتار المرنانة لقيثارة معدة لأوركسترا ڤيينا الفلهارمونية الشهيرة.

وما برحت الدمى الموسيقية التي صنعت في سانت - كروا في الايام الغابرة تبعث البهجة في متحف قرية لوبرسون المجاورة، حيث جمع الاخوة بود تحفاً موسيقية أثرية. وبلمسة واحدة من سبابة دليل المتحف تنبعث الحياة في كل تحفة: تتأوّه الكمانات وتصفق الصنوج وتقرع الطبول.

**"عندنا شمسان."** ثمة متحف ثان غير عادي في بكس، في منجم ملح على عمق خمسمئة متر تحت سطح الارض. انه منجم بوبيه من مآثر القرن السادس عشر، وهو ينتج خمسين ألف طن ملحاً سنوياً، ويدر أموالا اضافية باستقبال الرواد في مواقع جديرة بالمشاهدة بما فيها متحف جوفي صغير يعرض أدوات التنجيم العتيقة.

والمنجم مكان مفضّل للاحتفالات المحلية. واتفق في يوم زيارتي أن أقيمت حفلة زفاف. فدعيت للانضمام الى الموكب في قطار صغير عبر نفقاً في جانب الجبل أفضى بنا الى صالة وهاجة ساطعة جمعت نحو مئتين وخمسين ضيفاً يحتسون الشراب ويأكلون ويرقصون على أنغام فرقة موسيقية صاخبة. "أنه المقام الأنسب لحفلة الأنس،" هكذا هتف والد العروس وسط هرج ومرج.

اذا كنتم تسعون الى تذوق الطبخ الراقي فأفضل ما تفعلونه أن تحجزوا طاولة في مطعم فريدي جيراردیه في

كريسيبيه بجوار لوزان، اذ يعتبره الذواقة الأفضل في العالم. ولكن قد يتعين عليكم الانتظار أسابيع لشغور طاولة. أما الذين لا يريدون صرف ١٥٠ فرنكاً سويسرياً ثمناً لوجبة طعام فهناك فنادق صغيرة حافلة بالأطباق المحلية.

ويا لها من نزهة صيفية محببة سيراً على سفح التلة المشمسة فوق بحيرة ليمان. سألت رجلا صبغ البياض شعره كان مستغرقاً في العمل في كرم معلّق ما بين بحيرة وسماء: "لمِ المنطقة يانعة مثمرة هكذا؟" فاغتنمها الرجل سانحة للراحة وأجابني: لأن البحيرة ترد الصقيع المميت. ولأن عندنا شمسين: واحدة في كبد السماء وأخرى هناك في الأسفل." وأشار بمنجله الى انعكاس النور الباهر من البحيرة اللماعة.

**مونترو ولوزان.** بلدة مونترو الملقبة لؤلؤة البحيرة هي المنتجع الاكثر شعبية. ومن الاغراب الزائرين من يقصدها لاحتفالاتها الموسيقية الشهيرة، وآخرون انما يقصدون الشمس والمناخ الخفيف اللطيف الشبيه بمناخ المتوسط. ويتنزه الزوار في درب تمتد ستة كيلومترات محفوفة بالشجر والزهر. وان قسّمت وقتك بعناية فيمكنك التوجه من مونترو لتمضية صباح صيفي في التزلج على مجلدة ديابلريه التي ترتفع ثلاثة آلاف متر، ثم تمضي فترة بعد الظهر في التزلج المائي على بحيرة ليمان.

لوزان هي المركز الفياض بالحياة الاجتماعية في ڤود. انها عاصمة الكانتون وكبرى مدنه ويسكنها نحو ٢٠٠ الف نسمة. ويتوافد طلاب الجامعات والمدارس الراقية بعد الصفوف الى شاطىء بيلريف الذي يحتشد فيه نحو ١٢ ألف سابح ومتنزه في أمسيات الصيف الدافئة. يقول حارس هناك: "انه أوسع الشطآن السويسرية وأجملها." وتعتز لوزان بمتحف ليس له مثيل بين متاحف الدنيا: قصر بوليو الذي يعود الى القرن الثامن عشر، وفيه مجموعة فنية غريبة: ثمانية آلاف قطعة من زيتيات ونقوش وملصقات من ابداع السجناء ومرضى المصحات العقلية وآخرين من العائشين على هامش المجتمع. وقد أهداها الرسّام الفرنسي جان دوبوفيه الى لوزان عام ١٩٧١. وهو يقول: "انها تميط اللثام عن توتر فكريٍ حارق وابداع غير ملجوم."

تحضّرت على مضض لمغادرة ڤود. وكان برج لوزان آخر المطاف. قصدته قُبيْل منتصف الليل وأوقفت السيارة هناك وانتظرت. فجأة أطل من أعلى البرج شبح رجل، وصاح صوت عال في المدينة النائمة: "هنا برج الساعة! لقد دقت ساعة منتصف الليل!"

ويلي آنن هو خاتمة حراس الساعات في أوروبا. يغادر غرفة نومه في البرج، ويتسلق الى قبة الجرس ويطلق النداء كل ساعة، من العاشرة مساء الى الثانية صبحاً.

لماذا؟

"لأن ذلك طريف،" قال لي أحد المارة متريثاً يتسمّع مثلي.

وقال آخر: "بل لأنه رومنطيقي."

تلك هي ڤود.

**جيفري لوسي** ■



# موريس أندريه والبوق الساحر

## قيض للفتى الفرنسي عمل يدوي في المناجم لكن رئتيه القويتين وموهبته الفذة جعلته أبرع البوّاقين

الثالثة بعد الظهر، أوان الانصراف من مناجم الفحم خارج مدينة آليه جنوب فرنسا. العمال يجرون أقدامهم متعبين سود الوجوه، بينهم فتى اسمه موريس أندريه كان يتوقع أن يعمل هناك على غرار أبيه حتى يبلغ سن التقاعد في الخمسين، اذا ما صمدت رئتاه وجسمه تلك المدة.

ولكن خلال ثلاثين عاماً أصبح ذاك الفتى الريفي أعظم عازف بوق في العالم على النمطين الكلاسيكي والباروكي. ونجمه لامع اليوم كعازف منفرد مع أشهر قادة الفرق الموسيقية. وتسجيلاته الموسيقية التي تناهز ٣٠٠ تملأ رفوف محلات الاشرطة والاسطوانات. ورواجه العالمي يدفع الجماهير الى الاستماع اليه وقوفاً في حفلاته.

يقول عنه جان بيار ماتيز رئيس تحرير "براس بولتين" (١) وهي النشرة المرجع في عالم عازفي الآلات النحاسية: "سيطرة موريس أندريه على آلة خارقة".

ما الذي يجعل عازفاً يشبه باغانيني؟

الموهبة بلا ريب، فضلا عن المقدرة الجسمانية والخلق. يقول أندريه: "طبعي قولبَه الدفء البشري الذي آنسته في المناجم، وطاقة الاحتمال الجسدي المطلوبة هناك. وقد خرجت من ذلك كله برئتين قويتين وعضلات مفتولة في الظهر والمنكبين. وهذه هي الأمور اللازمة للعزف على البوق".

عام ١٩٣٣ تاريخ مولد موريس كان عدد كبير من سكان آليه يعملون في المناجم. وفي السن الرابعة عشرة ترك

(١) Brass Bulletin



Illustration Paul Birling based on photos by Jean-Pierre Leloir

أندريه المدرسة وصحب أباه في مسيرة الخامسة فجراً كل يوم لاقتلاع الفحم قطعة قطعة ووصفه في عربات نقل ضخمة. وحالما ينتهي العمل يبدأ الوجه الآخر للحياة: الموسيقى. كان والد موريس عازفاً على البوق في فرقة المعدّنين وفي فرقة أخرى أهلية كانت تعزف في الاحتفالات. ودّ الأب لو يعزف ابنه على الفيولونسيل (التشيلّو)، لكن البوق أقل ثمناً، والعزف عليه تقليد ضارب في جذور العائلة اذ كان عم موريس بوّاق الجوقة الموسيقية في سلاح البحرية بطولون.

ذات يوم آب والد موريس الى المنزل بعد حفلة موسيقية ومعه بوق نحاسي عتيق كان أول "سلاح" امتشقه الابن. وبدأت دروسه عليه مع أبيه بأراجيز الحب وتطورات الى الموسيقى الشعبية وعلى رغم العمل الشاق كان لموريس وأبيه دوماً متسع من الوقت ليعزفا كثنائي أو مع فرقة المعدّنين. ولا ينسى موريس ذكرى أبيه وعمال آخرين حين كانوا يعزفون افتتاحية "زواج فيغارو" (٢) بعد نهار مضن في المناجم.

**أستاذ عسكري.** في غضون ذلك باشر موريس تمارين رتيبة قاسية في اشراف ليون بارتيليمي، وهو صديق للعائلة تلقى تدريباً اكاديمياً. والتحق الصبي بفرقة الموسيقى البلدية في آليه. وقد دأب بارتيليمي على حض والد موريس: "ابنك ذو موهبة فذّة. ينبغي أن ترسله الى المعهد الوطني للموسيقى في باريس".

لكن دفع مصاريف موريس في باريس غير وارد بتاتاً. وفي نهاية المطاف ابتدع بارتيليمي الحل الآتي: ينضم موريس الى الجيش عضواً في الفرقة الموسيقية العسكرية بمنطقة باريس. وان كشف عن موهبة وقادة فقد يسمح له بأن يدرس مجاناً في معهد الموسيقى.

خضع موريس لاختبار بغية الالتحاق بالفرقة الموسيقية التابعة للفوج الثامن في فيلق الاشارة، وقُبل على الفور. وشرع يتلقن العزف أربعة أيام أسبوعياً على الاستاذ ريمون ساباريش في المعهد الوطني للموسيقى. وسرعان ما أدرك ساباريش موهبة موريس العظيمة. لكن الشاب ذا الثمانية عشر ربيعاً سكر بنشوة باريس ولم يمض وقتاً كافياً للتمرن على العزف. وطفح الكيل بساباريش فعنّف تلميذه بقسوة وطرده صائحاً به: "لا تعد إليّ حتى تصبح مستعداً للدرس".

زعزع ذلك موريس، فانصرف الى التمرن بمفرده وعلى نحو أشد مما في اشراف المدرّب. وعندما استدعاه ساباريش بعد ثلاثة أشهر برع في عزف ١٢ مقطوعة موسيقية من الصعاب كان رفقاؤه في الصف دأبوا على تعلمها مدة خمسة أشهر.

وفي السنتين اللاحقتين فاز أندريه مرتين بالجائزة الأولى في المسابقات السنوية التي ينظمها المعهد الوطني للموسيقى، وطلب اليه من ثم أن يشارك كعازف منفرد في جوقته الموسيقية. ولدى انتهاء خدمته العسكرية لم يبد رغبة في العودة الى آليه. واضطلع بأعمال موسيقية متنوعة، عازفاً مقطوعات باخ

(٢) The Marriage of Figaro

مع فرقة "لامورو" الشهيرة أو عازفاً للبهلوانات والفيلة في السيرك.

عام ١٩٥٥، بالحاح من ساباريش، شارك أندريه في مباراة جنيف الدولية للموسيقى ذات المستوى الرفيع، وخرج بالجائزة الأولى البالغة ٦٠٠ فرنك سويسري وبساعة ذهبية وعدة عروض للعزف في حفلات موسيقية لم يكترث لها اذ انه لم يلو أن يغدو عازفاً منفرداً. فالعازفون المنفردون على البوق كانوا يعدون على الأصابع في تلك الأيام. والمجموعة الصغيرة لألحان البوق المنفردة قلما تعزفها الجوقات الموسيقية الكبرى. آثر أندريه أن يعود الى سيرته الأولى في نشاطات سريعة التقلب.

**زوجة صالحة.** ذلك العام غيرت مسار حياته واقعة طارئة. فلدى عودته من مهرجان موسيقي شارك فيه في مونترو بسويسرا، توانى في ممشى القطار ماداً يد العون الى صبية جذابة أرادت أن تفتح الشباك. وما لبثا أن تزوجا بعد ستة أشهر. وكانت تلك بداية شراكة حميمة. كانت ليليان شابة واعية وطموحاً ولها ثقة عمياء بموهبة زوجها. وفي رأيها أن نكوصه عن حرفته كعازف منفرد أمر غير وارد اطلاقاً.

ولكن مرت السنون ومستقبل أندريه الموسيقي متعثر. وهو يذكر تلك الفترة: "كنت أعزف في أي مكان ولا أحظى بحضور. وكنت أتقاضى مبالغ زهيدة لعزف مقطوعات تتطلب إعداداً مجهداً". وكان يؤوب الى شقته الباريسية الحقيرة وقد بلغ منه القنوط مبلغه فيبكي. غير ان زوجته لم تكل من حضه على الاستمرار.

والواقع أن البوق، كآلة منفردة، قد أحدر الى الدرجة الثانية. فهو في العهود الغابرة كان وقفاً على الكهنة، واستعمل من بعد للنداء الى ساحة الوغى أو لاعلان ميلاد أولياء العهد. وسطع نجم البوق مع المؤلفين الموسيقيين الباروكيين أمثال فيفالدي وباخ وهاندل، وتردد صداه في البلاطات الملكية في أرجاء أوروبا. ولكن في أواخر القرن الثامن عشر تدنت شعبيته ولم يسترجع مكانته الأولى.

عام ١٩٦٣ اختير أندريه، وكان في الثلاثين من عمره، عضواً في هيئة التحكيم في المباراة الموسيقية الدولية في ميونيخ بألمانيا الغربية. لكنه عوض ذلك اختار أن يكون ضمن المتبارين، فحاز بأدائه البارع الجائزة الأولى واعجاب دنيا الموسيقى. وفي السنين العشر التالية رسخ شهرته كعازف منفرد بتسجيل مقطوعات لفيفالدي وتيلمان وباخ، بمواكبة قادة موسيقيين مشهورين أمثال لوران مازيل وكلوديو سيمون وكارل مونشنغر وكارل ريشتر وهربرت فون كاراجان.

وانهالت عليه الدعوات للعزف في ألمانيا الغربية وسويسرا وفرنسا واليابان والدول الاسكندينافية وأمريكا الشمالية والجنوبية. ونظراً الى براعته الفنية المنقطعة النظير، وجهارة عزفه، وتصرّفه الحاذق بفنون مختلفة، تألّب الناس لسماع عزفه، وبسببه أحبوا سماع البوق.

وبحلول منتصف السبعينات كان أندريه يعزف في نحو ٢٢٠ حفلة موسيقية

سنوياً أمام حضور قارب ٣٠٠ ألف شخص. وقد تمكن من تسجيل جميع المقطوعات الكلاسيكية المخصصة بالعزف على البوق، إضافة الى موسيقى شعبية وموسيقى الجاز. وهو أغنى ذخيرة الألحان بـ١٤٠ كونشيرتو (٣) ألفت لتعزف على آلات موسيقية أخرى كالكمان والناي والمزمار.

**موهوب مجتهد.** موريس أندريه الآن في السادسة والخمسين، قصير القامة، بدين، تصطخب الحياة في عروقه، ذو شعر بلون الفضة وسحنة متوردة. وفي احدى الحفلات الموسيقية التي أحياها في روان بفرنسا راح يقفز على خشبة المسرح ملوحاً بيده باسماً.

وهو اذ يعزف يكوّر رأسه بمرح على ذقنه المزدوجة، وتمتلىء وجنتاه بقوة النفخ فتكادان تحجبان بقية وجهه.

في ختام العزف يتفجّر الحفل هاتفاً مصفقاً. ولدى طلب الجمهور الاستزادة يقف أندريه في مقدم المسرح، منكتاً، محاكياً صوت نقّار الخشب، مختتماً بأداء لحن "ملكة الليل" من مقطوعة "الناي السحري" (٤) لموزار، فيندلع التصفيق والصيحات في أرجاء المكان، وموريس أندريه جذلان في رأس المستمتعين.

وعلى رغم هذه المظاهر الفرحة فليست أوقاته كلها هناء. وهو يقرّ: "أنا موهوب، لكن ما يميزني عن سواي هو أني أعمل بجد أكثر". اذ ما زال يدأب على التمرن خمس ساعات يومياً. وهو يقول: "ينبغي للعازف أن يروض رئتيه وشفتيه. فالشفة عضلة عجيبة تقبض على مقام نغمات البوق المرتفعة الطبقة، وتمسك بزمام النغمات المنخفضة الطبقة، مما يوجب تدريبها كما تدرب العضلات".

اثناء الأسفار يلتزم أندريه حمية لا يحيد عنها، فلا يأكل الا اللحوم المشوية. لكنه بعد حفلاته الكثيرة يشبع نهمه لدى عودته الى المنزل. وهو يقول: "الأكل الطيب هو متعة الدنيا." غير أن لب حياته البيتية في منزله الفسيح بجنوب باريس هو الموسيقى. فابنته البكر دومينيك (٣٣ عاماً) عازفة على الغيتار، وولداه ليونيل ونقولا بوّاقان، وبياتريس الصغرى (١٧ عاماً) تعزف على المزمار والبيانو. وربّة البيت ليليان تشرف على اشغال البيت من دون كلل ولا ملل وتدير أعمال زوجها باقتدار.

ولقد اختصر أندريه جولاته الموسيقية، إلا أنها لا تقل عن ٨٠ حفلة في السنة. ويتيح له الطواف لقاء تلاميذه السابقين المنتشرين في أصقاع الارض.

**معلّم محبوب.** في ١٩٦٦ خلف أندريه أستاذه ساباريش في معهد الموسيقى، وزاول التعليم هناك مدة ١٢ سنة عاملا على تدريب أكثر من مئة بوّاق شاب. ويتحدث الطلاب عن أستاذهم النشط السهل المعشر الذي يحوّل الصف حفلة موسيقية ويستلّ الضحكات من أعماقهم بنوادره ولا يغفل عنه انتقاد عزفهم بقسوة ومن دون تحامل. ويقول اندريه: "اني أسعى الى جعل تلاميذي ذوي المواهب ينجزون في عشر سنين ما

(٣) الكونشيرتو لحن يعزف على آلة منفردة أو اكثر بمصاحبة الفرقة الموسيقية.
(٤) Magic Flute

استغرق مني عشرين عاماً". وثمة سبعة تلاميذ يزاولون مهنة العزف المنفرد على البوق، منهم برنار سوسترو ونيبيري كان وغي توفرون، ويصرح هذا: "لقد ألهم موريس أندريه جيلا من العازفين على النحاسيات، وأنشأ مدرسة بوقية عالمية."

وقد رعت مدينة باريس في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٨ "مباراة موريس أندريه الدولية الثانية للبوّاقين". ومع أن هذه المباراة لا تزال في أول عهدها، فقد غدت احدى المسابقات الاكثر شأناً في العالم. وقد اشترك ٧٤ عازفاً ممن هم دون الثلاثين في برنامج شديد الصعوبة من اعداد اندريه وسوسترو وسواهما. وبلغت قيمة الجائزة الأولى المرصودة ٦٠ ألف فرنك فرنسي فاز بها الامريكي ستيفن بورنز (٢٩ عاماً)، اضافة الى اشتراكه كضيف في الحفلات الكبرى وارتقائه سلم الشهرة عالمياً.

ومع كل النجاح الذي أصابه اندريه فانه لم يتغير إلا قليلا عن ذاك المعدِّن في آليه، فما زال على سجيته دافىء المشاعر غير مزهو بنفسه. وقد ظل غير جاحد حظه المدهش الذي رفعه من المناجم الى قاعات الموسيقى الكبرى في العالم وهو يقرّ بفضل رجل في الحياة التي يعيشها: "ظل أبي يهبط المناجم يومياً مدة ثلاثين سنة والبسمة مرتسمة على محياه. فلم لا أغتبط أنا حين أعزف الموسيقى؟ انها أروع حرفة في الكون."

**بريسيلا باكلي** ■.



## شهرة مقلوبة

يتذكر المنتج التلفزيوني ستيفن دوار قصة كان الممثل الراحل لورن غرين يرددها دائماً:

كان نازلا في أحد فنادق تكساس عندما شاهد امرأتين مسنتين تنظران اليه من بعيد وتتهامسان. فتقدم نحوهما وحياهما. وما ان ادار ظهره حتى سمع احداهما تقول للاخرى: "هل رأيت ذلك؟ انني أشاهده كثيرا في التلفزيون، فظن أنه يعرفني!"

ب. س.

---

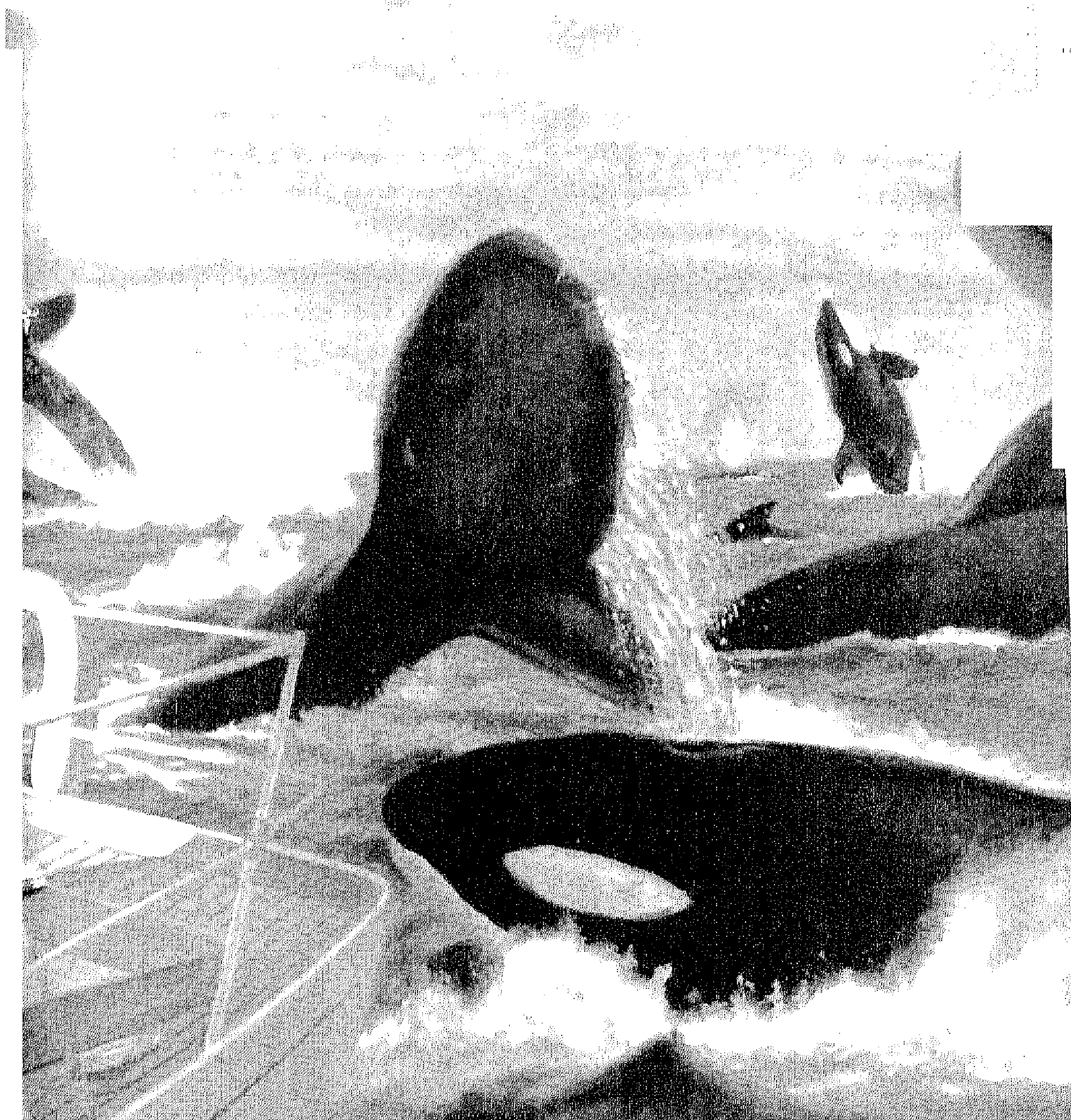
## مكالمة من طرف واحد

عندما أخبر عامل الهاتف أحد المتصلين أن المكالمة الخارجية ستكلفه مبلغاً كبيراً، سأله الرجل: "أليس لديكم سعر خاص بالاستماع؟ فأنا أريد الاتصال بزوجتي."

أ. ر. ح.

مأساة واقعية

# البحّار والحيتان



# القاتلة

**ما ان تحقق حلم البحار المتمرس حتى تحوَّل كابوساً إذ ألفى نفسه وحيداً وسط قطيع حيتان**



فجر الحادي عشر من يونيو (حزيران) ١٩٨٨ كانت الامواج تتلاطم في شمال المحيط الاطلسي والسماء ملبدة بالغيوم. دفع ديفيد سيلنغس (٤٠ عاماً) مركبه "هيكاب"، وطوله تسعة أمتار، في مواجهة رياح المحيط. كان يقظاً ومتقداً حماسة على رغم أنه لم يغفُ إلّا لماماً منذ بدء سباق كارلسبرغ للبحارة المنفردين عبر الاطلسي قبل ستة أيام في مضيق بلايموث ببريطانيا. انه يشارك في أحد أعظم سباقات العالم الشاقة، محققاً حلم حياته.

مسح البريطاني رذاذ الماء عن عينيه وحدق الى الافق الرمادي. ان عزلة البحر جعلته سريع التأثر بكل منظر وصوت وملمس. وهو منذ بعض الوقت يشعر بحضور غريب قِريب منه.

أمضى سيلنغس جل عمره في الابحار، وقطع المحيط الاطلسي مرتين منفرداً، وتعلّم أن يثق باحساسه. قال في نفسه: هناك شيء ما. وبحث في الامواج عن مستوعبات شحن وبراميل نفط غارقة قد تهدد المركب بكارثة. ثم التقط جهازه اللاسلكي أصوات ثلاثة من المتسابقين. لقد أخره عطل في المركب ثماني عشرة ساعة. لكنه اذ سمع الثرثرة على الجهاز اللاسلكي تأكد من أنه يلحق بالركب فصرخ بانفعال: "هوراي!"

Illustration: Victoria Vebell

شغل مرقب الملاحة الذي يلتقط بث الاقمار الاصطناعية، فارتسم على الشاشة رقم بُثّ من الفضاء دلّ على أن موقعه الجغرافي يبعد ١١٠٠ كيلومتر عن بريطانيا. ان السرعة الثابتة التي كان يبحر بها على مدار الساعة جعلته راضياً عن نفسه. تشجع ووضع "القبطان الآلي" في اتجاه يوصله أخيراً الى الخط النهائي في نيوبورت بولاية رود آيلند الامريكية التي تبعد ٣٧٠٠ كيلومتر.

عند الاصيل فقد سيلنغس الاتصال اللاسلكي بمنافسيه الثلاثة. أما احساسه فظل يخبره أن شيئاً ما قريب منه. ولكن ما هو؟

قرابة الخامسة عصراً رأى للمرة الاولى نحو عشرة حيتان على بعد خمسة عشر متراً من ميمنة المركب، وسرعتها تعادل سرعته. ولم يدرك الا لاحقاً، وهو مضطجع على سريره يصغي الى صوت المركب، أن ما سبق ان شعر به كان وجود حيتان.

عند منتصف الليل استيقظ وتطلع الى الخارج عبر الكوة المظلمة في جانب المركب. ثمة ضوء في رأس صار يهتز على بعد تسعين متراً. ابتهج سيلنغس. وحفظ شراعه مسوّى وذراع الدفة متوازناً الى أن لحق منافساً آخر. وصاح عبر جهازه اللاسلكي: "هنا هيكاب. وداعاً."

أجاب السبّاق المغلوب بصوت كسول: "حظاً سعيداً."

تأكد سيلنغس ثانية من صحة اتجاهه وهو يراقب ضوء الصاري يتراجع في الظلام. وفكر في الحيتان السابحة في مكان ما تحت الامواج المتلاطمة السوداء. انه يشعر بها.

الهام بالخطر. ظل سيلنغس منشغلا طوال اليوم التالي. كان يسوّي اتجاهه باستمرار ضد كل تغير في الريح. وبات معدل سرعته ٢٦٥ كيلومتراً في اليوم.

في الثانية بعد الظهر، بينما كان سيلنغس يحاول أن يختطف نصف ساعة من النوم، انتابه الهام غامض بوجود خطر ما. وفجأة سقط كتاب عن الرف وانتصب هو مذعوراً.

كان الكتاب مصوناً على الرف، وقد قاوم رياحاً عاصفة قاسية من قبل. لماذا سقط الآن في مياه هادئة؟

منذ كان سيلنغس ولداً يبحر من ايستبورن كان يستخف بالخرافات. لكن الوقت الذي صرفه في رحلات خطرة زاده احساساً بالظواهر غير المتوقعة.

راح يتنقل بعصبية بين مؤخر المركب ومقدمه متفحصاً متفقداً. وحين غابت الشمس تفحص المياه المتقلبة تحت السحب الكثيفة المنخفضة. ها هي الحيتان! وما زالت زعانفها السود الكبيرة تمخر سطح الماء. ثمة أجسام كثيرة لامعة ذات زعانف، طول كل منها نحو ستة أمتار، ويبدو أنها في ازدياد.

كان سيلنغس مأخوذاً بالسباق، فحاول أن يتجاهلها. فهو شاهد مئات الحيتان في حياته البحرية. انها حيوانات ذكية وصديقة ذات فضول يشبه فضول البشر. وهذا محيطها. فليحصر قلقه في الملاحة والطقس والسرعة.

عندما أوى سيلنغس الى سريره كان ظلام، وغلب الارهاق شعوره الغريب بالخوف، فأغفى. واذا أصوات تزعق خارج المركب وتزداد ارتفاعاً.

"ما هذا بحق السماء؟" انتصب سيلنغس على قدميه. فهناك ضجيج صاخب مهووس يتردد صداه في أنحاء المركب. أصوات غريبة متفاوتة بين مواء قطط وصراخ فيلة. حيتان؟ أصغى مذهولا واهناً مرتجفاً محاولا أن يتصور ما الذي أثارها.

تساءل: أتحاول أن تخبرني شيئاًما؟ أتحذرني؟ كانت قصعة المركب المصنوعة من خمس طبقات من خشب الصنوبر المسبوك وخشب الماهوغاني المصفح، تهتز لدى مرور الحيوانات.

تسلق سيلنغس حافة السفينة فاذا بالحيتان تصعد الى سطح الماء طلباً للهواء. وكانت تتقلب وتغطس في الماء بخشونة ناثرة رشاشاً على بعد أمتار من المركب. ومع أن سيلنغس كاد لا يرى أبعد من مسافة مترين في المحيط تحت سماء غير مقمرة فقد أحصى ستة من الجبابرة تدور وتتزاحم متلاصقة. فجأة اختفت. وجلس هو في قمرته يحدق الى الظلام منذهلا.

غفا سيلنغس غير مرة بقية الليلة، ولكن لدقائق فقط. ولازمه الشعور المنذر بالسوء الذي غمر احساسه أياماً. انه لا يستطيع الا مواصلة الابحار، والصلاة.

انها ليست لعبة. في العاشرة من صباح ١٣ يونيو (حزيران) دل المرقب سيلنغس على أنه يبعد مسافة ١٦٠٠ كيلومتر في عرض المحيط. فقد أبحر ثلث مسافة السباق بمعدل ١١ كيلومتراً في الساعة. وفكر: أستطيع الفوز بالمرتبة الاولى! وشغل نفسه محاولا تجاهل الزعانف الظهرية التي برزت مجدداً على بعد قرابة خمسين متراً.

وسرعان ما ظهرت رؤوس كبيرة ناعمة كروية فوق سطح الماء، وبدا أنها تفتح طريقاً لاخرى تحتشد حول المركب. في كل صوب أجسام ضخمة لامعة، بعضها يزن قرابة طنين، تتقلب وتغطس في الماء مالئة الهواء رذاذاً.

بعدما تأكد سيلنغس من أن مركبه يبحر بهدوء أمسك آلة التصوير ليسجل هذا المشهد الغريب. تذكر أن الحيتان شهيرة بمجونها. ولم يكن هناك من يسمعه في مدى جهازه اللاسلكي، وارسال اشارة طوارىء على موجة طويلة كان امراً غير منطقي. فالاخطار الوحيدة التي يمكن ان يبلغ عنها هي مشاعره فحسب.

مع ذلك بدأ الهامه ينكشف عن حقيقة مخيفة. فالحيتان، من جميع الاحجام، احتشدت من كل صوب. كثير منها وقف عمودياً خارج الماء يزعق ويطلق أصواتاً ناشجة كأنما يتخاطب أو كأنما يكلمه هو.

خفض سيلنغس آلة التصوير مرتعباً. فقد تكوّنت حول المركب دائرة من الزعانف الظهرية. كانت الحيتان تطوقه!

قال في نفسه: هذه ليست لعبة. انه وضع خطير جداً. ثم رأى قطيعاً من حيتان أكبر حجماً يمتطي موجة بيضاء مرتفعة، يغطس ويقفز نحو المركب.

تشدد سيلنغس وراقب بخوف، فيما الحيتان الصغيرة تسبح نحو المركب وتهزه بسهولة كما تهز لعبة. وبعد ثوان شكّل القطيع كله طوقاً صلباً من الاجسام، محدثاً حقلا مائياً من سحب رذاذ وزعانف حدباء كالسيوف.

**"النجدة!"** بغتة برز من وسط القطيع حوت قارب طوله ثمانية أمتار محدثاً ضوضاء. وبالقرب منه ظهر حوت ثان وتبعه آخر. أما الحيتان الاصغر حجماً فكان رد فعلها ذعراً وابتعاداً عن المركب الذي فقد توازنه.

صاح سيلنفس: "يا الهي! لا!" وأمسك حاجزاً معدنياً في قمرته بينما انزلق وسط القطيع حوت كبير أحدث زبداً أبيض، وصدع برأسه مؤخر المركب. وبعد لحظة ضرب المركب حوت آخر فارتجّ.

انفصلت الدفة عن مؤخر المركب كأنما هي عود ثقاب. وتحطمت الاقسام السفلى من المركب فغار في الماء. فتحرك سيلنفس غريزياً وفكر: "لديّ ثوان، ثوان فقط."

ارتدى صدرة النجاة ثم شغل الجهاز اللاسلكي وكرر: "النجدة! النجدة!" وحدد موقعه.

التقطت النداء سفينة شحن المانية غربية تدعى "بريدج ووتر" كانت في طريقها الى بريطانيا. في غضون ذلك كان المركب "هيكاب" يتمايل تحت وطأة هجمات الحيتان. وتسارعت في ذهن سيلنفس اجراءات النجاة حابسة كل تفكير آخر.

ضربتان أخريان هائلتان على مقدم المركب هزتاه من جنب الى جنب. وفي دفق مائي انكسر القسم الواقع أمام الصاري. ألقى سيلنفس الجهاز اللاسلكي واسرع الى حافة المركب. وإذ بدأ المؤخر يميل الى فوق رمى البحار طوف نجاة في الماء وقفز الى العباب المتحرك.

صرخ: "يا الهي، ساعدني!" وأمسك بالحبل الذي ينفخ الطوف وجذبه بعنف. انتفخ الطوف آخذاً شكل منطاد، وكافح هو بكل قواه المتضائلة ورفع نفسه الى داخل الطوف. في تلك اللحظة اختفى المركب "هيكاب" تحت الامواج.

لما غرق المركب تفرقت الحيتان وغاصت بسرعة ربما لتتعقبه في انحداره اللولبي.

جلس سيلنفس في الطوف مرتجفاً وحدق غير مصدق الى الحطام العائم. لديه ليتران من الماء يجب أن يقننهما بعناية. احتمال الخلاص ضعيف، فهو أرسل اشارة مختصرة واحدة قبل أن يقفز عن متن مركبه.

قدّر سيلنفس أن الطوف سيندفع مع التيار نحو الشاطىء الاوروبي خلال خمسة أسابيع. ولدى وصوله يكون قد مات.

**دوي في المحيط.** بعد انقضاء الاصيل ظن سيلنفس أنه سمع طائرة فوق رأسه. أدرك أن استغاثته التقطت. ولكن أيستطيع رجال الانقاذ العثور على طوفه الصغير؟

بغتة أسفّت طائرة بحث وانقاذ من سلاح الجو الملكي البريطاني والقت عوامة دخان للارشاد. موقعه اكتشف، والباخرة التي التقطت استغاثته لا بد من ان تكون أوصلت رسالته الى خفر السواحل في فالموث فأنذر هذا سلاح الجو الملكي.

في السابعة والدقيقة الخمسين مساء خرق السكون دوي كالرعد. هز سيلنفس رأسه وفرك عينيه. وأخيراً ارتفع طوفه فوق موج عال فتثبت من المصدر الذي

يبعد قرابة ٨٠٠ متر: ان "بريدج ووتر" تنفخ بوقها، ترشدها طائرة الانقاذ.

خلال ثلاثين دقيقة أصبحت الباخرة في محاذاة الطوف. اصطف البحارة على حافتها وراحوا يصرخون مشجعين وبعضهم يلتقط صوراً. لوّح سيلنغس بيديه. ان الحلم الذي أصبح كابوساً قد انتهى.

بعد قرابة ست ساعات في الماء نقل سيلنغس الى متن "بريدج ووتر" وأعطي ثياباً جافة. وأخبره القبطان بيتر فرايك أنه رأى قطعان أسماك كبيرة سوداء غداة ذلك اليوم قرب المكان الذي تحطم فيه "هيكاب". ثم سمع نداء الاستغاثة ورد على سيلنغس: "لن أغادر من دونك."

منذ ذلك الحادث والعلماء يفكرون في الهجوم. رأى بعضهم أن سيلنغس أبحر خطأ في منطقة توالد الحيتان، وان هذه كانت تدافع عن صغارها. أما أنطوني مارتن كبير العلماء في "وحدة أبحاث الثدييات البحرية" في كامبريدج ببريطانيا فيعتقد أن قطيعاً من الحيتان القاتلة(★) ربما هاجم مجموعة من الحيتان الصغيرة غير المؤذية التي تجمعت حول المركب طلباً للامان.

أما ديفيد سيلنغس فعاد الى ايستبورن آملا أن يقتني مركباً جديداً. فعلى رغم تجربته ما زال اغراء البحر يجتذبه. البحر وما فيه من كائنات غامضة.

**شلدون كيلي** ■

(★) Orcas or killer whales



## شجرة على الطريق

كانت صديقتي عالمة النبات تقود سيارتها في طريق جبلية، فلمحت شجيرة غريبة عند سفح التلة. فانحرفت بسيارتها الى جانب الطريق وخرجت للاستكشاف. وفي اللحظة ذاتها تمهلت سيارة أخرى مندفعة وأنزل سائقها زجاج النافذة وسأل: "هل تعانين مشكلة يا آنسة؟ هل أستطيع المساعدة؟"

فأجابت صديقتي: "كلا، شكراً. كل ما في الامر أني أسعى الى شجيرة خفيضة كثيفة الاغصان."

فاحمر وجه الرجل خجلا وتمتم وهو ينطلق بسرعة: "لا مؤاخذة!"

ت. م.

---

قال مراهق لرفيقه: "يا لها من حفلة! كانت الموسيقى رديئة حتى انك كنت تتحدث الى جارك فيسمعك!"

ج. غ.

# دعي طفلك ينمو مع سيريلاك

Cerelac

Cerelac

Rice

Cerelac

Wheat 4 fruits

Nestlé



# خدمات حول العالم

## متطوّعون يضعون خبرة حياتهم في تصرّف المؤسسات المتعثرة في العالم الثالث

سليم شيفرز تراوده فكرة، ولديه مشكلة. فالمصاريف تزداد أكثر من المداخيل في مزرعة الماشية والمسلخ اللذين يديرهما قرب لوساكا عاصمة زامبيا. وهو أكيد من قدرته على فتح سوق جديدة بصنع فطائر اللحم المفروم. لديه كل ما يلزم من أبقار وأيد عاملة. كل ما يحتاج اليه هو الخبرة العملية.

ويتذكر شيفرز الآتي من مقاطعة ويلز في بريطانيا: "لم تكن امكاناتنا تسمح باستخدام خباز محترف".

واتفق أن ذكر له صديق أن "المنظمة البريطانية للخدمات الادارية وراء البحار" (١) ومركزها لندن، ترسل خبراء متقاعدين الى بلدان العالم الثالث. كتب شيفرز يسأل المنظمة أن ترسل اليه خبيراً.

ويعترف شيفرز: "بصراحة، لم أعتقد أنهم سيرسلون شخصاً مناسباً". لكن المنظمة أرسلت اليه هنري ديفيس التقني الغذائي من ويلتشاير الذي أمضى ٣٥ سنة في صناعة المعجّنات المحشوة لحماً. طار ديفيس الى لوساكا متلهّفا لمقاسمة خبرته. وسرعان ما جهّز مطبخاً في جوار المسلخ. وفي يومه الرابع أعدّ مع ثمانية عمال زامبيين درّبهم عيّنة من ٣٠ فطيرة. ويقول ديفيس باعجاب: "ما افتقده المدرّبون من تجهيزات مطبخية عوّضوه بحماستهم".

أسرع ديفيس وشيفرز بالعيّنات الى لوساكا، ووضعا فطيرتين أمام مدير متجهم الوجه في أحد المخازن الكبرى. فتناول بضع لقمات وحكم أنها لذيذة الطعم. ثم أملى طلبه. وتكرّر هذا المشهد في مخازن أخرى وفنادق في أرجاء العاصمة. وهكذا ولدت صناعة معجنات اللحوم في "مزرعة مومبيلو".

بعد ثلاثة أشهر ارتفع الانتاج الى أكثرمن ٧٠٠ فطيرة يومياً. واليوم بات المشروع يدر أموالا وافرة ويؤمن عملا لعشرين زامبياً في منطقة تشكو بطالة.

(١) British Executive Service Overseas

**خبرة مشاركة.** قصة نجاح هنري ديفيس ليست الا واحدة من قصص "المنظمة البريطانية للخدمات الادارية وراء البحار". فهي أرسلت أكثر من ١٣٠٠ اداري ورجل أعمال لمساعدة مؤسسات مجاهدة حول العالم. وعلى سبيل المثال، خاطرت الخبيرة في تربية النحل الدكتورة ايفا كرين في الذهاب الى أوغندا في خضم الحرب الاهلية لمساعدة المزارعين على تعزيز انتاجهم من العسل. أما بيتر نورمن، القبطان المتقاعد لاحدى بواخر شركة "شل"، فغادر منزله في كنتبوري بمقاطعة بركشاير قاصداً أدغال بورنيو في الشرق الاقصى ليساعد شركة نقل بحرية على تنظيم أسطولها.

ما من مهمة تعتبرها المنظمة بعيدة. فلقد أرسلت أحد متطوعيها الى جزيرة سانتا هيلانة المشرّعة للريح في جنوب الاطلسي لإجراء دراسة حول امكان انشاء مصرف تجاري.

بعض زبائن المنظمة حكومات دول. فخبراء المنظمة دفعوا جزر كايمان في طريق الازدهار بوضعهم برنامجاً من خمس سنوات للانماء الاقتصادي. ومن الزبائن أيضاً قبائل، مثل قبيلة كيويو في كينيا التي انخفضت مبيعات مصنعها من المواد المطاطية على نحو مريع، فأرسلت اليها المؤسسة في مارس (آذار) ١٩٨٨ بريك دايل (٥٩ سنة) المدير السابق لقسم الكيميائيات في شركة "بريتيش بتروليوم".

قال دايل لعمال المصنع: "أريد أن أساعدكم كي تساعدوا أنفسكم". واقترح تغيير الصيغة الكيميائية للمماحي. فتحسنت جودة الانتاج، وهبطت المصاريف بنسبة ٤٠ في المئة. وكانت هدية دايل الى القبيلة قبل عودته الى بلاده خطة مالية بارعة تنبىء بأن الارباح ستزيد ثلاثة أضعاف بحلول العام ١٩٩١.

يقول مدير المنظمة غوردون ويلسون: "كل متطوعينا تجمعهم صفة حيوية واحدة. فهم ليسوا مهتمين بتأمين راحتهم الآن بعدما تقاعدوا. كل ما يبغونه هو مقاسمة الآخرين خبرتهم."

وتلقى العروض العملية للمهارات الخاصة اعجاباً وتقديراً كبيرين. فهذا برنارد هارفي، المدير السابق لقسم البحث والتطوير في شركة "كلاركس" للاحذية ذات الشهرة العالمية في سومرست، سأله مصنع صغير للاحذية في غواليور بالهند كيف يحسّن انتاجه. فحدد بسرعة المشكلة الاساسية: الهدر في قص الجلد. وشمر عن ذراعيه وعرض عملياً الفن المعقد في التفصيل والقص لصنع العدد الاقصى من الاحذية من قطعة جلد.

عاد هارفي الى غواليور بعد سنة، في ١٩٨٥، وسرّه أن يجد الانتاج تضاعف الى أكثر من ٦٠٠٠ حذاء في الاسبوع.

**عطاء الاحتراف.** لمعرفة كيف تدير المنظمة مخزونها من "الادمغة الدولية" قصدت مكاتب ادارتها العامة في لندن. يضم المكتب تسعة اداريين متقاعدين يتقاضون أجراً رمزياً. ولا يرى مدير المنظمة غوردون ويلسون ضيراً في أن يشاطره احد الموظفين مكتبه. وفي ذلك يقول: "نحن نعمل برأسمال زهيد ونرغب في خفض المصاريف".

والمنظمة مؤسسة خيرية لا تتوخى الربح. يقول ويلسون: "في مقابل كل جنيه استرليني نحصّله من المتبرعين تعطينا الحكومة ثلاثة جنيهات". وفي السنة المالية الاخيرة جمعت المنظمة نحو ٩٠ ألف جنيه (١٥٠ ألف دولار) من مؤسسات اقتصادية فاعلة، فتلقت من الحكومة هبة بلغت ٢٩٠ ألف جنيه (٤٩٠ ألف دولار).

تصل نداءات المساعدة عبر السفارات والقنصليات البريطانية في الخارج وشبكة من رجال الاعمال البريطانيين المتعاونين مع المنظمة والعاملين في البلدان النامية. ولكن، كما يقول الاداري فرانك رايت، "تأتي معظم الطلبات مشافَهَةً. فبعد أن يؤدي احد المتطوعين مهمة ناجحة تنتشر الاخبار بسرعة".

كيف يتحول المهندس الكهربائي أو صانع الورق متطوعاً؟ يتصل بالمنظمة ويملأ قسيمة يفصّل فيها مهاراته. ويقول ويلسون محدداً: "نحن نسعى الى أناس شديدي الاحتراف، واسعي الحيلة، أكفياء، يتفهمون دوافع المنظمة ويستطيعون الانسجام مع الآخرين. وتناسب متطلباتنا عدداً مدهشاً من المتقاعدين".

يُنتظر من الزبون وراء البحار أن يؤمّن الطعام والمسكن خلال المهمة التي تطول عادة نحو شهرين. وتعطي المنظمة المتطوع بدل ثياب ومبلغاً متواضعاً لمصاريف الجيب، اضافة الى أجرة سفره جواً مع زوجته.

وتقدم الزوجات مساهمة مهمة. في العام ١٩٨٥ استجاب يان ديكسون، المحاسب المالي السابق لدى مؤسسة "بارينغ" المصرفية في لندن، لطلب معونة من جزر سليمان في غرب المحيط الهادىء. فوجد هذه الامة القابعة في جنوب المحيط الهادىء تواجه صعوبة مالية كبرى.

ويتذكر ديكسون: "كانت البلاد تسير نحو أزمة سيولة نقدية". وفيما كان هذا المتقاعد ابن الثالثة والستين يستنبط سبلا لتحسين طرق جباية الرسوم الحكومية وعصر المصاريف الوزارية، كانت زوجته بريل، التي ادارت مكتبة في ما مضى، تساعده في تبويب المعلومات والوثائق السرية التي يحتاج اليها.

وفي اندونيسيا هدد الموت آرثر لويس، المدير السابق لمنجم فحم في مقاطعة ويلز، في أثناء تأدية مهمته في منجم للفحم الحجري في لوا أولونغ. وكان المنجم يقلق أصحابه لكثرة انهياراته وقلة انتاجه حتى انهم خافوا أن يضطروا الى اغلاقه.

يقول لويس: "ذكّرني لوا أولونغ بيوم نزلت تحت الارض للمرة الاولى في العام ١٩٣٦. كان عتيق الطراز مثل المناجم القديمة، وخطراً مثلها". وإثر وصوله انهار سقفان، لكن لويس دخل المنجم بشجاعة لتقصّي الوضع.

في بادىء الامر علّم لويس العمال الطريقة المثالية لتدعيم السقوف، فتوقفت الانهيارات. بعد ذلك حسن نظام التهوئة ثم أعاد تنظيم النقل، معجلا ازالة الفحم من موقع اقتلاعه.

كان يوم لويس النموذجي في المنجم يبدأ وينتهي في غرفة المحاضرات حيث يحدّث جمهوراً مستغرقاً عن أحدث وسائل

استثمار المناجم. يقول: "كان الحاضرون طلاباً ممتازين، حتى انهم كانوا يصوّرون كل رسم بياني رسمته على اللوح الاسود!". واليوم، بفضل لويس، أصبح منجم لوا أولونغ نموذجاً في فاعلية استثمار المناجم. وهو يحقق أرباحاً وافرة فيما تتأمن لعماله أفضل شروط السلامة.

**تقاسُم المنافع.** وتفيد تجارة الاستيراد البريطانية من مهمات كثيرة تقوم بها المنظمة. على سبيل المثال، يشتري مالكو منجم لوا أولونغ، بنصيحة آرثور لويس، تجهيزات منجمية بريطانية بقيمة ١٥ مليون جنيه استرليني (٢٥ مليون دولار). وأسفر مشروع آخر للمنظمة في جزر موريشوس عن طلب آلات حياكة بريطانية بقيمة ٧٥٠ ألف جنيه استرليني (١،٢٧ مليون دولار). لكنّ النتيجة غير المتوقعة والاكثر روعة لاحدى مهمات المنظمة حققها لوري وايلد، المدير السابق لمصلحة المياه في مدينة لندن الذي سافر الى شانغهاي في الصين ليعمل مستشاراً في بناء شبكة جديدة لمياه الشفة.

يقول مدير المنظمة غوردون ويلسون بفخر: "سيكون هذا واحداً من اكبر مشاريع التعهّدات في الصين. واذا وصلت الطلبات الى بريطانيا فستؤمن دخلا بالملايين لرسامين ومستشارين ومقاولين بريطانيين".

وُلدت الفكرة الاصلية للمنظمة البريطانية للخدمات الادارية وراء البحار في الولايات المتحدة عام ١٩٦٤ مع تأسيس "الرابطة الدولية للخدمات الادارية" (٢) بجهود عدد من كبار رجال الاعمال الذين استشعروا حاجة الى الافادة من مهارات كبار الاداريين المتقاعدين خارج البلاد. ووضعت كندا برنامجاً مماثلا.

حذت بريطانيا حذو الولايات المتحدة وكندا في العام ١٩٧٢ بتأسيس منظمة الخدمات الادارية وراء البحار بمساعي "معهد المديرين" وبدعم من الحكومة واتحاد الصناعات البريطانية، بهدف "تعزيز النمو الثابت في البلدان النامية التي تعوزها التقنية".

تنفذ المنظمة اليوم نحو ١٥٠ مهمة سنوياً. يقول غوردون ويلسون: "تكلّفنا المهمة النموذجية نحو ٢٨٠٠ جنيه استرليني (٤٧٦٠ دولاراً). ويمكننا بسهولة أن نضاعف المهمات لو كنا نملك السيولة. فالطلبات متوافرة، كذلك المتطوعون لتنفيذها".

فالصين ترغب في خبير بصناعة الخزف وبوتسوانا تحتاج الى مدير توظيف، وتايلند الى مستشار فندقي، والهند الى تقني لضخّ المياه. وتطول لائحة الطلبات. ويعتز السجل الذي يضم ١٧٠٠ متطوع بوفرة المواهب المذهلة في حقل الاعمال.

ومن المتطوعين المرموقين جون غيلبرتسون المدير التقني السابق لمجموعة «BOC» وبيتر جورج نائب الرئيس السابق في شركة "كوكاكولا" لعمليات المحيط الهادىء، فضلا عن "موسوعة" من التقنيين والاداريين المهرة في مجالات كالزراعة وصناعة

(٢) International Executive Service Corps

التوضيب والتخطيط المدني والهندسة الكهربائية والنجارة.

ومن المناسبات النادرة التي اضطرت فيها المنظمة الى البحث عن خبير حين رغبت زامبيا في تحديث حديقة الحيوان والنبات "موندا وانغا" على بعد ٢٦ كيلومتراً جنوب العاصمة لوساكا. ويتذكر مجند المتطوعين في المنظمة جون وارد: "كان ذلك طلباً اختصاصياً جداً ولم يكن عندنا من يلبيه."

لذلك اتصل وارد بجيمي شيبرفيلد، عميد السيرك العائلي الشهير ومصمم ٣٧ رحلة الى محميات الحيوان في العالم. كان رجلا سبعينياً أعرج، وهو وافق فوراً على التعاقد مع المنظمة كمتطوع.

**ضربة معلّم.** رسم شيبرفيلد مخططاً لمحمية تبلغ مساحتها ١،٢ مليون متر مربع تضم كل وسائل الترفيه لطالبي الاسفار في الطبيعة الافريقية البكر. وأرفقه باقتراح لاستيلاد الحيوانات واطلاقها في المحمية القفر. وهو صدم في حديقة حيوان "موندا وانغ" لرؤيته أقفاصاً عفا عليها الزمن مكتظة بحيوانات متخمة وكسولة. فقال لمضيفيه: "اذا بنيتم حظيرة مسيّجة واسعة تستطيع فيها الحيوانات أن تجول، فسأرسل اليكم زوجين من صغار النمور. مجاناً!"

والآن يقرأ زائر الحديقة لوحة تخلّد هبة شيبرفيلد السخية: أول زوجين من النمور يتناسلان في زامبيا.

بعض الاختصاصيين يتولون أكثر من مشروع واحد. ويحمل الرقم القياسي بينهم المتطوع جيم شالينور (٦٨ سنة) من ويرال في مقاطعة مرسيسايد، وهو مدير انتاج سابق في شركة "يونيليفر". كان جيم يزدري حياة الخمول التي تميز المتقاعدين، فتطوع وخدم كطبيب طيار في ٢٤ مشروعاً تجارياً وصناعياً متردياً في العالم الثالث. وقادته مهماته الى بابوا نيو غينيا والهند وغويانا وكثير من بلدان افريقيا وجزر البحر الكاريبي.

تلتمع عينا شالينور عندما يصف كيف ساعد الشركات الصغيرة على تصحيح أخطائها أو زيادة أرباحها. في جزيرة أنتيغوا في البحر الكاريبي راقب بذهول سيدات خيّرات ينتجن ألواحاً خشنة من الصابون فوق مواقد مصنوعة ببراميل نفط مرمية، بقصد تمويل مشروع لاطعام الفقراء وجبة غداء مجانية. اكتشف أنهن يفرطن في استعمال الصودا الكاوية (٣) الامر الذي دفع الشارين الى التشكي من طفح جلدي. وبعدما اتبعت السيدات صيغته الجديدة ازدهرت مبيعاتهن وتحقق مشروعهن.

وساعد شالينور معمل صابون في جزيرة دومينيكا المجاورة على زيادة انتاجه من ٧٦٠ طناً في السنة الى ٢١٠٠ طن، وتوظيف ٤٠ عاملا جدداً. وهو يتذكر رئيسة وزراء دومينيكا أوجينيا تشارلز التي شكرته على مساهمته في الانماء الوطني. لكن شالينور يتحدث باسم متطوعي المنظمة عندما يقول: "يكفيني ثواباً أن أعرف أني أساعد العالم الثالث كي يساعد نفسه."

روبرت كينر ■

(٣) Caustic soda



# الحب موسيقى وشعر وورود... وأكثر

إنها متعة للنظر، تلك المرأة المتألقة، بشعرها الجعد وبشرتها الصافية التي تنضح صحة وعافية. ولا حاجة الى السؤال، فواضح أنها تمارس كرة المضرب والهرولة وتحافظ على شرايينها من الانسداد بتناولها الطعام الصحي الجيد. لقد تخرجت في احدى الجامعات المرموقة قبل عشر سنين فقط، وها هي ترتقي الدرجات صعداً الى أعلى سلّم العمل الاداري. ووقفت أتأملها. أجل، لقد قطعت شوطاً بعيداً ووصلت الى حيث لم تصبُ النساء قبل ٣٥ سنة عندما كنت أنا في عمرها.

وصل بنا الحديث الى موضوع الرجال، فقالت: "كانت لي بضع حكايات حب، وكنت سعيدة بها. كما مررت بأوقات كنت فيها وحيدة وغير مرتبطة، وكنت أيضاً سعيدة. لكن سعادتي تلك كانت مختلفة. أنا أحب الرجال، لكنني لست في حاجة اليهم، وهذا في نظري معنى استقلال المرأة."

سألتها: "وماذا عن الزواج؟"

أجابتني: "أوه، لدي وقت طويل. إذا تزوجت أكون فعلت حسناً، وإن لم أتزوج فلن أكون أسوأ حالا."

هل هي تعتقد ذلك حقاً؟ هل تتوقع أن يرن جرس الهاتف وهي في الخمسين من عمرها حاملا اليها دعوات سارة؟ أولا تعلم أن الرجال الذين يخطبون ودها الآن "قاصدين الخير" سوف يتحولون عنها إلى نساء أصغر منها سناً عندما يبلغون هم الخمسين؟ أوليس ذلك ما تعود الرجال ان يفعلوه منذ القدم؟

سألتها: "وماذا عن الأولاد؟"

فقالت وهي تهزّ كتفيها: "لست جاهزة للاولاد الآن. لم يحن الوقت لهم بعد."

ذكّرتها أنها في الثانية والثلاثين من عمرها، فردّت: "لكن النساء ينجبن بعد الاربعين."

لم أجادلها في ما قالت على رغم الصورة التي عبرت خيالي لامهات بلغن سن التقاعد وأولادهن لم يتخرجوا من الجامعة بعد. لن تتسنى لهؤلاء الأمهات ولاولادهن سنوات كافية للتعارف.

مع ذلك أردت أن أستفهم منها عن أمر آخر، فسألتها: "وماذا عن الحب؟"

سألتني بدورها: "وما تعريفك للحب؟ أنت لا تعنين عزف الكمان وتلاوة الاشعار وتقديم الورود وما الى ذلك؟"

أجبتها: "بلى، هذه جزء منه."

أزهار الفاردينيا، بالنسبة الي، كانت رسالة حب. كان الفصل ربيعاً عندما التقيته. وكان يحمل الي عصر كل أحد زهرة غاردينيا. كان ذلك قبل ٣٠ سنة. واليوم، كلّما فاح في الجو أريج الفاردينيا، تعود بي الذكريات. أرى ذلك الكتاب الذي أهداه الي، وتتردد في أذني تلك الموسيقى، وأرى وجهه، أجمل وجه وقعت عليه عيناي.

اعتدت أن أقول له انني قبلته زوجاً لانه يشبه نجماً سينمائياً كان يعجبني. وشاهدت واياه فيلماً لذلك الممثل ثلاث مرات في ذلك الربيع. وبعدما توطدت العلاقة بيننا اعترف لي بأن ذلك كان بالنسبة اليه أشبه بالتعذيب على الطريقة الصينية.

كانت صديقتي الشابة ترمقني بنظرة ناقدة منتظرة جوابي، وأمامها فنجان شاي.

قلت لها: "بالطبع، هذا ليس ما أعنيه." لقد نفد صبري وأنا أحاول أن أصف أمراً بديهياً بالنسبة إلي، لكنه في الوقت ذاته محيّر ويصعب تعريفه. وأضفت: "على الأقل هكذا يبدأ، ثم ينمو..."

قاطعتني: "صحيح إنه ينمو. فهناك أولا خاتم الخطبة، تأتي بعده طرحة العروس، وبعد فترة محكمة الطلاق. نصف الزيجات تنتهي في محكمة الطلاق."

قارعتُ حجّتها بأخرى: "ونصفها لا ينتهي هكذا. وبين المطلقين عدد كبير كان يسعهم أن يوفروا على أنفسهم تلك النهاية لو بذلوا جهداً للمحافظة على الحب الذي كان."

كيف يبدأ الحب؟ اللمس هو ذلك الجاذب الناري. بعد ذلك يولي الزوجان التجانس بينهما اهتماماً خاصاً. ويقرران معاً: هل يبقيان في البيت ويقرأان أم يقصدان حانة، مقهى أو مطعماً فيسهران على أنغام الاسطوانات؟ هل يريدان أن ينجبا أطفالا؟ طفلين؟ خمسة؟ لا أطفال؟ ثم لا مفر من بعض المآسي والمشاكل، يرافقها العزم على قهرها ومعالجتها بايجابية. إنها جزء من الحياة، وقلّة هم الناس الذين يمضون في الحياة من دون أن تواجههم المآسي. وأهم من ذلك كلّه أن نضيف الضحك والفرح.

كان لنا نصيبنا من الاحزان، ولا أعتقد أننا كنا لنستمر من دون ذلك الدعم الذي استمدّه واحدنا من الآخر. أما الضحك والفرح فكان لنا أيضاً نصيب منهما.

أرجعتني صديقتي الى الحاضر اذ قالت متأملة: "للحب – ان كان ذلك هو الاسم الذي نطلقه على هذه الجوانب – وقت يولد فيه وآخر يموت فيه. عندما يموت الحب فعلى المرء أن يتقبّل الأمر كما يقتبّل أي وفاة في هذه الحياة."

قلت مستفسرة: "وهل الأمر في هذه السهولة؟ أهكذا، بكل بساطة، نتقبّل إنهاء العلاقة؟"

اجابتني صديقتي الشابة: "إنها علاقة منتهية في اي حال. أليس كذلك؟ كانت

جميلة، لكنها انتهت، وعلى المرء أن يوليها ظهره."

كيف لهذه الشابة أن تفتقد أمراً لم تعرفه؟ كيف تفتقد مشهد انبلاج الصباح في عرض البحر إن لم تر ذلك من قبل؟ كيف تفتقد مذاق الفراولة (الفريز) بالقشدة إن لم تذق طعمها من قبل؟ كيف تفتقد عودة انسان اليها إن لم تعرف ذلك الانتظار حتى يفتح الباب ويدخل رجل تعرف هي يقيناً أنه آتٍ اليها، ليس لانه مجرد صديق قد يأتي وقد لا يأتي إذا التقى شخصاً آخر أعجبه، بل لانه عائد الى بيته، الى ذلك الملاذ الذي ينيره شمعدان جدة، وفيه صورته حين تخرج والسجادات التي اشترياها معاً والكلب الشارد الذي آوياه وصكّ ملكية البيت؟

سألتني: "وماذا تتوقعين غير ذلك؟"

- أتوقع ان يشعر الانسان بشيء ما.

"مثل ماذا؟"

- مثل الغضب أو الانفطار أو الغيرة أو الخيانة او الحيرة، والله أعلم بماذا أيضا.

لو أن ذلك حصل لي، وواجهت نهاية لعلاقتنا، لكان شعوري الحزن والانفطار. ولكان هذا شعوره هو ايضاً. فبعد وفاته وجدت في أحد أدراج مكتبه رسالة يعبّر فيها عن تعلقه بي، ويقول انه لا يخشى الموت لكن فراقي يعزّ عليه. وقفت هناك والرسالة في يدي، وعادت بي الذاكرة الى تلك الشطيرة الخرقاء التي أعدّها لغدائي ذات يوم، والى ذلك الهلع الذي أصابه كلما اعتقد أنني مريضة، والى ثقته العارمة بي عندما استدعي للخدمة العسكرية فسجّل كل ما يملك باسمي.

كانت لنا خلافاتنا أحياناً، وكنا نتشاجر. لكننا لم نفكّر أبداً في الانفصال، كان دائماً يعضدني، وكنت دائماً أعضده.

يا لبرودة أعصاب هؤلاء الأزواج العصريين الذين يقيمون علاقات "حكيمة" فيحتفظ كل منهما بحسابه الخاص في المصرف تحسّباً لانفصال محتمل إذا ما خبا الحبّ أو التقى أحدهما شخصاً جديداً أكثر جاذبية. هؤلاء الأزواج الباردو الاعصاب ينزلقون على قشور الحياة من دون أن يلمسوا قلبها الدافىء.

تعجّبت صديقتي الشابة من صمتي وسألتني ماذا أفكر. كان فكري سارحاً الى شاب جالس في الشمس، وعندما أحضرت اليه شرابا بارداً أشرق وجهه بابتسامة رائعة وشكرني. تذكرت أيضاً ليالي الشتاء الدافئة، والقبلات التي كنا نتبادلها بعد كل شجار.

كان في وسعي أن أخبرها بكل ذلك، لكنني اكتفيت بالقول: "ما زلت أبحث عن تعريف مناسب."

- للحب؟

"أجل، وأعتقد أنني وجدته."

علا وجهها تعبير مؤدّب، وخيّل الي أنها ربما كانت تسخر مني. قلت لها: "الحب هو أن يحرص الانسان على من يحب أكثر من حرصه على نفسه."

قالت وهي تهزّ رأسها: "لكن هذا مناف للطبيعة. ما من إنسان يحبّ آخر أكثر من حبّه لنفسه. لا، لا أصدق ذلك."

فجأة فاح في الجو أريج لا يمكن أن أخطئه. إنه أريج الغاردينيا. مددت يدي ووضعتها فوق يد صديقتي الشابة وقلت: "بل صدقي، أرجوك. ابدأي الآن."

بلفا بلان. ■

# لُغَويَّات

الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠ - ١٨٧١) أديب وشاعر ومعلم عربي لبناني، وهو من رواد النهضة الادبية واللغوية. له "طوْق الحمامة" في النحو و"مجمع البحرين" وفيه ستون مقامة. هنا كلمات مختارة من "مجمع البحرين". وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. ملأ: سماء - أشراف - بحر - نجوم وكواكب.

٢. حِجى: لغز - ندب الميت - شعر - عقل.

٣. غيضة: فتاة حسناء - خيمة - أجمة - غلطة.

٤. جمجمَ: لم يبيّن الكلام - عبس - نحل - تنهد.

٥. باع: مرفق - قدر مد اليدين - صبر - ساق.

٦. عين حوراء: واسعة - حولاء - شديدة البياض والسواد - زرقاء.

٧. صَبابة: غزل - ماء عذب - فتوّة - شوق وولع.

٨. لا يَذَرَ: لا يبقي - لا يحذر - لا يشبع - لا يغفر.

٩. مدى: أفق - سعة - أرض - غاية الشيء ومنتهاه.

١٠. ذَخَرَ: أكثر - خبأ لوقت الحاجة - سخر - افتخر.

١١. هصر: زمجر - كسر - صهل - همهم غضباً.

١٢. سُوقة: سوق صغيرة - دابة رعيّة - ساق نبتة.

١٣. نَفاق: نفاد وفناء - كذب - قتل - درب ضيقة.

١٤. طُرّآ: جميعاً - أبداً - دائماً - على الرحب والسعة.

١٥. سِنة: جنون - سن طفل - أرق - فتور يتقدم النوم.

١٦. رطيب: ظليل - ضد يابس - بارد - لذيذ.

١٧. كأس دِهاق: فارغة - راوية - ممتلئة - رقيقة.

١٨. نَفَر: حارس - بوق - جماعة من ثلاثة الى عشرة - هروب.

١٩. الشِعرى: كوكب - هرم - بحر عظيم - العالم.

٢٠. خُبْر: وتد - تجربة واختبار - إشاعة - حياء.

٢١. سَمَجَ: تدلّل - أفرط في السمنة - دُهش - قبح.

٢٢. احقوقف: طال في اعوجاج - اختبأ - تراجع - ثبت.

٢٣. مَرْقَعان: محتال - خفيف الظل - أحمق - بهلوان.

٢٤. نِطاق: قلادة - ما يُشَدّ به الوسط - غِمْد - حبل.

٢٥. حادثات: أخبار - فتيات - زوجات - نوائب الدهر.

**الأجوبة الصحيحة**

١. **الملأ**: أشراف القوم، قيل سمّوا كذلك لأنهم يملأون العيون أبهة والصدور هيبة. أيضاً: جماعة القوم، والطمع، والظن، والاخلاق.
٢. **الحِجى**: العقل والفطنة. الحِجا: الناحية. الحَجا: الملجأ.
٣. **الغيضة**: الاجمة. أيضاً: مجتمع الشجر في مَغيض الماء، والمغيض مجتمع الماء ومدخله في الارض.
٤. **جمجم الكلام**: لم يبيِّنه. جمجم شيئاً في صدره: أخفاه ولم يبدِه.
٥. **الباع**: قَدْر مد اليدين. يقال "طويل الباع" أي كريم مقتدر و"قصير الباع" أي بخيل عاجز.
٦. **عين حوراء**: التي اشتد بياض بياضها وسواد سوادها.
٧. **الصَبابة**: الشوق ورقّة الهوى والولع الشديد. الصُبابة: بقية الماء أو نحوه في الاناء.
٨. **لا يَذَرُ**: لا يبقي.
٩. **المدى**: الغاية والمنتهى. يقال "بلغ مدى الحياة" أي غايتها.
١٠. **ذَخَر الشيء**: خبأه لوقت الحاجة فهو ذُخر وذخيرة.
١١. **هصر الغصن**: كسره. الهاصر والهصور: الأسد لأنه يهصر فريسته.
١٢. **السُوقة**: الرعيّة من الناس لأن الملك يسوقهم الى ما شاء من أمره.
١٣. **النَفاق**: النفاد والقلة والفناء. النِفاق: سَتر الكفر. النفوق: الموت، وخصوصاً موت الحيوان.
١٤. **جاؤوا طُرّاً**: اي جميعاً.
١٥. **السِنة**: فتور يتقدم النوم. أيضاً: ثقلة النوم. يقال "هو في سنة" أي في غفلة.
١٦. **الرطيب**: ضد اليابس. أيضاً: الرخص والناعم. عيش رطيب: هنيء.
١٧. **كأس دِهاق**: ممتلئة طافحة. ماء دِهاق: كثير.
١٨. **النَفَر**: الناس كلهم. أيضاً: الجماعة من الرجال من ثلاثة الى عشرة. يقال "ثلاثة نفر أو ثلاثة أنفار" أي ثلاثة أشخاص.
١٩. **الشِعْرى**: كوكب يطلع في الجوزاء في شدة الحر.
٢٠. **الخُبْر**: التجربة والاختبار والعلم بالشيء.
٢١. **سَمُجَ سماجة**: قبح فهو سمج وسميج.
٢٢. **احقوقف**: طال في اعوجاج.
٢٣. **المَرْقَعان**: الاحمق والقليل الحياء. رَقَع في السير: أسرع.
٢٤. **النِطاق**: ما يشد به الوسط. تنطّقت الأرض بالجبال: أحاطت بها الجبال كالنطاق.
٢٥. **حوادث الدهر** وحدثانه وحادثاته: نوائبه ونوازله.

## المستوى

٢١ – ٢٥: ممتاز
١٦ – ٢٠: جيد جداً
١١ – ١٥: مقبول



كانت ابنة الطيار طفلة
عندما بدأت بحثاً
عن ابيها المفقود
استمر ١٨ عاماً

# عَـوْدة أبٌ

كانت جانيت راي منفعلة، فقد وعدتها والدتها بأن تخبرها وأخاها توماس بأمر ما عند عودته من المدرسة. ظنت جانيت، وعمرها ستة أعوام، انها تعرف ماذا ستخبرها أمها: أبوها الطيار عائد الى البيت.

جلس الولدان جنباً الى جنب على السرير في منزل جدتهما في برمنغهام بولاية ألاباما حيث كانا يقيمان في غياب والدهما. أخيراً تكلمت الأم، قالت: "أبوكما لن يعود، لقد مات، وسيرعانا من الجنة.".

لم تصدق جانيت ما سمعت. فأبوها يرتدي بذلة طيران منذ سنوات. وهو أصعدها مراراً الى الطائرة، وحلّقا معاً ونظرا الى أسفل، الى دنيا دعتها جانيت "أرض الاقزام."

"أبي عائد الى البيت!" صرخت مراراً


Condensed from Tropic, The Sunday Supplement of the Miami Herald (June 21, '87),

وتكراراً. "انه دائماً يأتي الى البيت." هرعت الى الشرفة الامامية وبكت ساعات. ان أمها تستطيع ان تقول ما تريد، أما جانيت فتصغي الى الصوت الجديد في أعماقها. وهذا الصوت يقول: "جدوه!"

كانت جانيت في السنة الابتدائية الاولى عندما أسقطت طائرة توماس ويلارد راي (٣٠ عاماً) اثناء الغارة الفاشلة على خليج بيغز في كوبا عام ١٩٦١. وكانت حكومة الولايات المتحدة عينت راي لتدريب الطيارين الكوبيين المنفيين مدة ثلاثة أشهر ضمن قواعد سرية في غواتيمالا ونيكاراغوا. وكان عليه، اذا اقتضى الامر، أن يشارك هو في غارات جوية ضمن الهجوم. وكانت القوات المغيرة تظن أن واشنطن وعدت بدعم الهجوم، لكن الطائرات المقاتلة الامريكية لم تظهر أبداً. فاذا براي والرجال الآخرين أهداف غير محمية.

**خيبة بعد أمل.** لم تفهم جانيت أسباب الغارة، ولم تعرف شيئاً عن فيدل كاسترو رئيس وزراء كوبا آنذاك. كل ما ارادت ان تعرفه هو ماذا حدث لوالدها. وهي ظلت تلح على أمها واعمامها واخوالها وجديها بالسؤال: "هل هو سجين؟"

ولم يسَعْ أحداً من أسرتها أن يعطيها أي جواب، أو أن يؤكد لها أن والدها ميت.

ولم تتمكن جانيت من أن تنزع أباها من ذهنها، فصنعت له ليلا طائرات من ورق ليطير بها عائداً الى البيت. انه كان دائماً يعود من رحلاته فوق أرض الاقزام، أليس كذلك؟

بعد اختفاء راي بعشرين شهراً وردت أخبار تفيد أن كاسترو أطلق السجناء الذين اعتقلوا في الهجوم. وفيما الرجال ينزلون في قاعدة هومستيد الجوية في فلوريدا كانت جانيت تشاهد وصولهم على التلفاز وأنفها لا يبعد عن الشاشة الا سنتيمترات. أنعمت النظر ملياً بحثاً عن والدها. وعندما توارى آخر سجين محرَّر بدأت الصغيرة تذرف الدموع.

بعد ذلك، في منزل جدة أبيها، سمعت الكبار يتحدثون عنها. فهم كانوا قلقين لانها لا تتقبل وفاة والدها.

وحينما أدركت الجدة بيلي أن جانيت سمعت الحديث ضمتها اليها واستكنتا على أرجوحة الشرفة.

قالت الجدة: "أنا لا أعدك بأن الحياة سارة. ولكن مهما حدث فكافحي دائماً في سبيل ما تعرفين أنه صحيح. كافحي من أجل والدك."

انها نصيحة أخذتها الفتاة الصغيرة مأخذ الجد.

**حقيبة قصاصات.** على مر السنين كانت جانيت تقص مقالات الصحف المتعلقة بغارة خليج بيغز وتحفظها في صندوق. وبالتنصت الى أحاديث والدتها عرفت أسماء الطيارين الآخرين وأسماء أصدقاء والدها، وسجلتها في مفكرة.

ولما كبرت أخذت تقضي أيام عطلة الاسبوع في المكتبة العامة، تطالع قصص الاخبار القديمة وتنسخها. ولم تلبث ان اقتنت حقيبة تحفظ فيها قصاصاتها ومذكراتها. ولم يسلخها شيء مما قرأته أو سمعته عن الامل ان والدها ما زال حياً.

وازداد بحثها زخماً عندما نالت اجازة سوْق وباتت تستطيع السفر على مسؤوليتها. لكن أسلوبها لم يتغير أبداً. فهي ظلت تسأل. أرادت ان تعرف كل شيء: الرقم على ذيل طائرة والدها، أسماء الرجال الذين طاروا معه، ساعة اسقاط الطائرة، ماذا كان يرتدي، كان عليها أن تعرف هل مات ام نجا، لكنها كانت تحتاج أيضاً الى صنع رجل من صور وذكريات ذاوية.

وخلال دراستها الجامعية اختارت أن تقضي عطلة الربيع متمشية في شوارع الحي الكوبي في ميامي بولاية فلوريدا. كانت تسأل كل من يصغي اليها: "هل تعرف والدي؟ اسمه توماس راي، كان طياراً امريكيا، قتل في خليج بيغز. اتصل بي اذا ما عرفت شيئاً عنه، وسأدفع ثمن المكالمة." وتعطي الغريب رقم هاتفها.

كثيرون ممن لا يفهمون الانكليزية كانوا يُعرضون عنها أو يدفعونها جانباً، أما هي الشجاعة فكانت تعيد الكرة.

لم يكن لبحث جانيت جدول زمني. وهي حافظت على علامات دراسات جيدة، ولم تهمل حياتها الاجتماعية، وعاشت حياة عادية لطالبة جامعية. لكنها في الوقت نفسه ظلت تعمل لكشف السر الغامض.

انتفخت حقيبتها بالقصاصات القديمة وبالرسائل والصور. وهي كوَّنت شيئاً فشيئاً صورة عن الظروف التي أحاطت باختفاء والدها.

بحثت عن قدامى المحاربين الذين اشتركوا في غارة خليج بيغز، ولاسيما الطيارين. بعضهم ادعى انه سمع بوجود جثث هناك، وبعضهم قال انه رأى صوراً لابيها أخذت بعد وفاته. وكانت هناك اشاعات أن جثثاً أمريكية حفظت في معرض للجثث المجهولة الهوية في هافانا عاصمة كوبا.

كان معظم الجنود القدماء سعيدين بالتحدث عما عرفوا. أرادوا أن يساعدوا جانيت. واذ تذكروا المعارك الجوية كانوا يحركون أيديهم في الهواء، ومع الانفعال تزداد أصواتهم ارتفاعاً. أخبروا جانيت أن أباها كان بطلا قضى وهو يحارب. أما هي فكانت تريد برهاناً.

التقت أبناء الطيارين الكوبيين المنفيين الذين لم يعودوا من الغارة. وشعرت بقربى ذاتية معهم. وللمرة الاولى استطاعت أن تشرك في آلامها ومهمتها أناساً فهموها.

**لحظات أخيرة.** حينما التقت جانيت الضابط الطيار مايكل وينغر في قاعدة كريغ الجوية في سلما قرب بلدتها أحست أنها مرتاحة تماماً. كان وينغر ورفقاؤه الوطنيون المتحمسون كأبيها، مقصوصي الشعر ناعمي الوجوه يرتدون زي الطيران الاخضر. لم تتكلم كثيراً عن والدها وهي معهم، لكنها لم تحتج الى ذلك، لانهم أدركوا ما تريد وساعدوها.

وذات يوم علمت جانيت أن أباها كاد لا يشارك في الغارة بعدما قرر الرئيس الامريكي الراحل جون كينيدي الحد من تورط الولايات المتحدة. لكن مشقة المعركة والخسائر المثبطة للعزائم أرخت ثقلها على الكوبيين المنفيين. وعلى مر الاشهر ازداد الطيارون الكوبيون والامريكان تقارباً. وعلمت جانيت أن

القرار الاخير كان لوالدها: يطير أم يبقى في نيكاراغوا.

وقرر توماس راي ان يطير.

أنهى قصف أهدافه واستعد للعودة الى بلاده عندما أصيبت طائرته بقذائف من طائرة كوبية مقاتلة أجبرته على الهبوط القسري في حقل.

قد يكون مساعده المهندس الطيار ليو فرنسيس بيكر قتل نتيجة الهبوط، وفقاً لبعض الروايات. لكن راي خرج من الطائرة والمسدس في يده. وانهمر عليه رصاص رشاش أصابه في بطنه وأعلى جسمه. لكن الرصاصة القاتلة أطلقت على رأسه من مجال قريب.

مع أن جانيت غدت الآن شبه متأكدة من وفاة والدها فهي أرادت اقراراً رسمياً بذلك. أرسلت الى القصر الرئاسي في هافانا عشرات الرسائل والبرقيات، لكن كاسترو لم يجب أبداً.

**الصورة.** في ابريل (نيسان) ١٩٧٩ كانت جانيت تعيش مع زوجها مايكل وينفر في قاعدة هاهن الجوية في المانيا. وذات نهار مشمس ركبت سيارتها وتوجهت الى مكتب البريد.

وعند نقطة اشارة في طريق عودتها نظرت الى المغلفات. كان أحدها من بيتر وايدن، الرجل الذي كان يؤلف كتاباً عن خليج بيغز. وقد سبق أن تحدثا معاً قبل أشهر، وأخبرها أن لدى الحكومة الكوبية صور طيارين امريكيين متوفين، ووعدها بأن يرسل اليها نسخاً عنها.

كان المغلف ثقيلا وقاسياً كأنما يحتوي صوراً. خفق قلب جانيت واهتزت يداها عندما فتحت المغلف. وكانت الصور سوداء وبيضاء، ولم يبدُ وجها الرجلين واضحين تماماً.

لكنهما كانا واضحين كفاية.

وميزت جانيت الرجل الذي يرتدي قميصاً أبيض والدم على وجهه.

أخيراً وجدت جانيت البرهان الذي بحثت عنه كل تلك السنوات. ولم يبقَ لمهمتها الا هدف واحد أخير، الا وهو احضار رفات والدها الى مسقط رأسه.

في ذلك الصيف، بعد سنوات من المحاولة للحصول على مساعدة من الكونغرس الامريكي وبعد مئات الرسائل والبرقيات من جانيت الى كاسترو، أكدت الحكومة الكوبية وجود رفات توماس راي لديها. انه محفوظ في معرض للجثث المجهولة الهوية في هافانا. لقد حفظ مدة ثمانية عشر عاماً. وبعد أشهر من المفاوضات وافقت الحكومة الكوبية على اعادته.

**مأتم رسمي.** في مطار برمنغهام وقفت جانيت، الحامل منذ بضعة أسابيع، تنتظر الطائرة التي تقل نعش والدها والتي ستهبط في المدرج الذي أقلع منه توماس راي قبل ثمانية عشر عاماً.

هبطت الطائرة ونقل النعش الى عربة اسعاف. وفي الطريق انحنت جانيت على النعش المصنوع بخشب الصنوبر وفكرت في نفسها: يا أبي، أنا سعيدة بأنك في بلدك.

في ٨ ديسمبر (كانون الاول) ووري رفات توماس راي في مدافن فورست هيل في برمنغهام بمراسم عسكرية

كاملة. وحلّق فوق الرؤوس تشكيل من أربع طائرات حربية، ثم انسلخت واحدة عنها وتوارت في الافق تحية تقليدية لـ"رجل مفقود."

بقيت جانيت قرب ضريح والدها بعد انتهاء الجنازة ليكونا معاً للحظات. وكانت كتبت رسالة دستها في جيب زيه الرسمي الذي كان سيدفن به، أبلغته فيها كم كانت فخورة به.

في ٢١ يوليو (تموز) ١٩٨٠ ولدت جانيت صبياً سمته بيت، وهو اسم التحبب الذي كان أبوها ينادى به.

كان السابع عشر من ابريل (نيسان) ١٩٨٧، يوماً ربيعياً جميلا في ميامي. وقد طلب من جانيت ان تتكلم في ذكرى الغارة على خليج بيغز. ووراءها ارتفع نصب تذكاري للجنود الذين سقطوا هناك يضم اسم والدها.

تقدمت جانيت من المذياع، وكانت الخطيبة الوحيدة التي تكلمت الانكليزية.

وتأهب الجنود لتأدية التحية العسكرية لابنة الامريكي الذي مات في بلدهم.

لكن جانيت لما تنتهِ. فهنا جمهور كبير من محاربي خليج بيغز، مئات من الناس الذين يملكون مزيداً من التفاصيل عن حياة والدها.

جانيت بين الجموع وسحبت مفكرة من حقيبتها اليدوية وهتفت: "مرحباً، أتعرفون والدي؟"

**كانديس تورتل** ■



## قهوة أبي

اعتادت عائلتي ان تتناول فطور الصباح براحة وتروّ بوم الاحد. وكان أبي يغرق في مطالعة صحيفة الصباح وهو يحرك قهوته باستمرار محدثاً قرقعة بالملعقة. وتتحمل أمي هذا التشويش لافكارها مدة تطول وفقاً لمزاجها، ثم تنادي أبي بحدة أو تقول له بصبر: "أعتقد أنك أشبعت السكر تحريكاً يا عزيزي."

وذات صباح طالت القرقعة. فنهضت والدتي بهدوء عن المائدة وتناولت كوب والدي وصبت محتواه في الخفّاقة الكهربائية وأدارتها، ثم أفرغتها وأعادت كوب القهوة الى والدي، ومن دون أن تنبس بكلمة عادت الى قراءة مجلتها.

ومنذ ذلك الحين كف والدي عن القرقعة.

ل. د.

---

## حرب شعارات

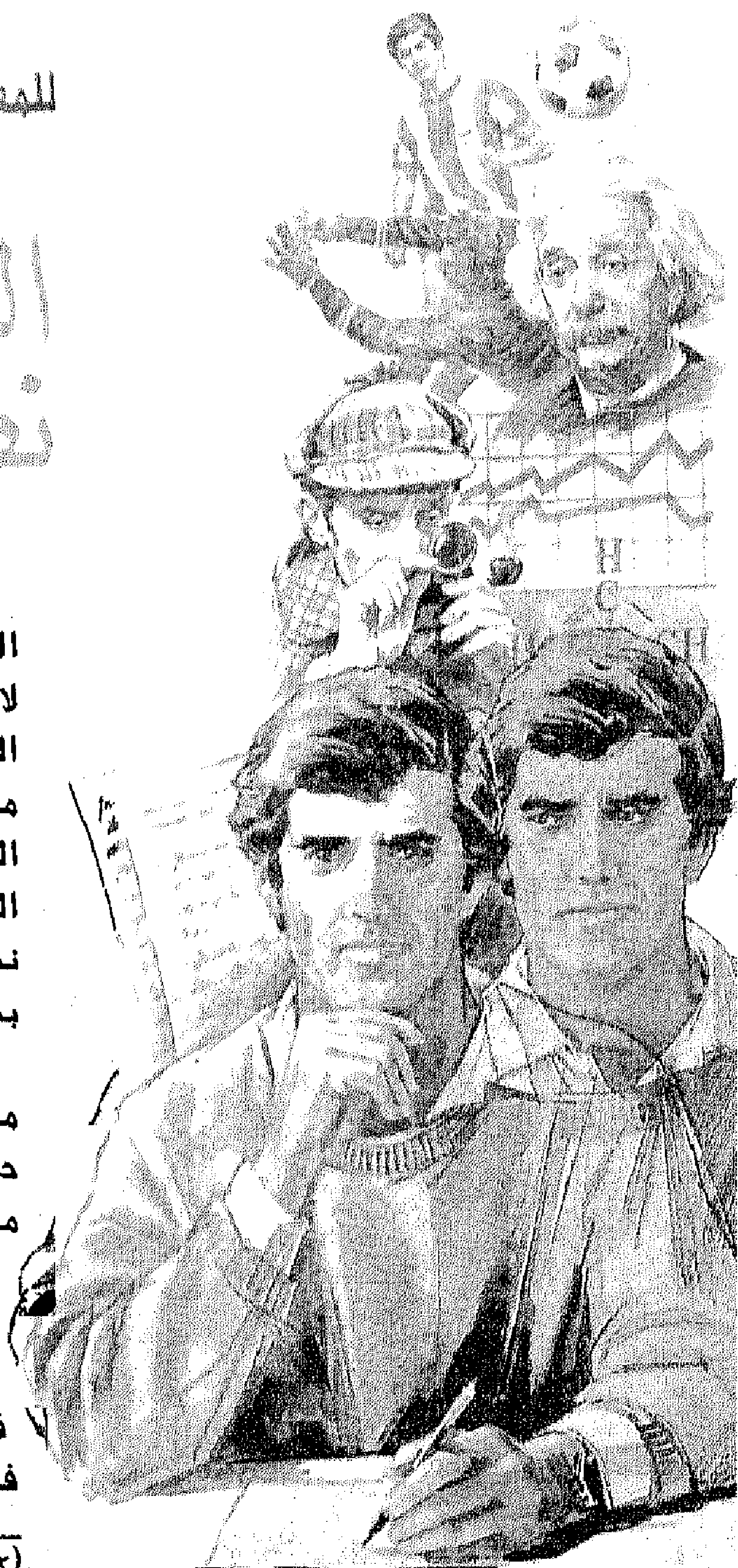
علقت لافتة في واجهة متجر جاء فيها: "ما تحتاج اليه تجده عندنا."

وفي واجهة المتجر المقابل عبر الشارع لافتة جاء فيها: "ما لا تجده عندنا لا تحتاج اليه."

أ. س.

نحن نتخذ قراراتنا بعد تفكير عقلاني
ولكن هناك مصادر أخرى
للمعرفة لا يجوز أن نغفلها

# الحَدْس نصف العقل!



□ في اللحظات الأخيرة من الوقت الاضافي وصلت الكرة بتمريرة مفاجئة الى لاعب الوسط. وكان هذا يقف في المكان المناسب تماماً بعدما نجح في التحرّر من منافسه المباشر، فقذف الكرة نحو المرمى فاخترقته، وسجّل لفريقه هدف الفوز. لاعب الوسط ذاك كان غيرد مولر نجم كرة القدم الشهير الذي يتمتع بحاسة خارقة لـ"شمّ" الأهداف.

□ بعدما رفض مديرو أربع دور نشر مخطوطة كتبها دوغلاس هوفستادتر، حملها هذا الى دار نشر خامسة قبل مديرها المخاطرة. بعد مدة قصيرة فـاز الكتاب "غودل، إشر، باخ: ضفيرة أزلية من ذهب"(★) بجائزة "بوليتزر" الادبية المرموقة، واصبح في وقت لاحق أحد أكثر الكتب رواجاً في العالم.

(★) Gödel, Escher, Bach: An Eternal Golden Braid

□ ذات يوم في العام ١٨٦٥ غفا الكيميائي الالماني أوغست كيكولي فون سترادونتز أمام الموقد في منزله، فرأى في الحلم أفاعي راقصة. وعندما عضت أحداها ذنبها، أدرك فجأة أن جزيئات بعض المركّبات العضوية هي أيضاً حلقات مغلقة. وهكذا سجل اكتشافاً مهماً في الكيمياء الحديثة.

ما هي العناصر المشتركة بين تلك الاحداث الثلاثة؟

سرّها أن شخصاً ما فعل العمل المناسب أو فكر فيه في الوقت المناسب، على رغم أنه بعيد الاحتمال ومنافٍ للمنطق ولتجارب سابقة. إننا ننظر الى تلك القرارات التي تبدو مرتجلة وعفوية على أنها ضربة حظّ، ونعزو الى أصحابها حاسة سادسة، ونتذكر المرات التي خامرنا شعور باطني أو حس خفي لم يلبث أن تحقق. الا أن كل ذلك لا يتعدى إطلاقنا العنان لملكة متأصلة فينا لكنها غالباً مكبوتة أو مهملة. هذه الملكة هي الحدس.

**شرلوك هولمز.** الحدس هو ذلك الصوت الداخلي الذي يدفعنا في اللحظات الحرجة الى انتقاء أحد خيارين. نشعر أننا نعرف أمراً من دون أن نملك لهذه المعرفة تفسيراً. وبما أننا تعلّمنا أن نتكل على العقل، نجدنا نحجم عن اتخاذ القرارات "العاطفية"، وبذلك نهمل طاقة إدراكية نملكها جميعنا وربما كانت أداة مفيدة للوصول الى المعرفة.

وتاريخ العلوم زاخر بحالات حدس ثبتت صحّتها وأدت الى اكتشافات مهمة. أحد أشهر الامثلة على ذلك مثال عالم الفيزياء والرياضيات اليوناني أرخميدس في القرن الثالث قبل الميلاد، الذي جلس في حوض استحمام ورأى الماء يطفح فوق حافة الحوض، فأوحى اليه ذلك مبدأ إزاحة المياه الذي طبّقه على معضلات علمية أخرى.

وهناك عالم آخر أدرك أهمية الصوت الداخلي هو ألبرت أينشتاين الذي صرّح أن ذلك الصوت يساعده في فهم الافكار المعقّدة.

ان اعتماد الحدس لمعرفة الحقائق لا يعني التخلي عن المنطق، فالواحد مكمّل للآخر. الحدس يمدّنا بمعلومات حيوية يتولى العقل لاحقاً التحقق من صحتها. والعكس صحيح، إذ يمكن تقويم النتائج المنطقية بواسطة الحدس والبديهة.

بعد إغراق في التفكير واجراء تجارب كثيرة لا طائل فيها، يتوصل عدد كبير من الناس فجأة الى اكتشافات ربما بدت للآخرين مفاجئة وغير متوقعة. غير أن التبصّر المفاجىء هو في الواقع وليد جهد عقلاني وإحاطة تامة بالبيانات المتوافرة و"أنف" يشمّ الاستنتاجات الصائبة.

كان التحري الاسطوري شرلوك هولمز يعمل على هذا الاساس، وإلا فكيف علم في احدى القضايا أن القاتل هو أحد معارف الضحية؟ لقد اعتبر أن الكلاب لا تنبح لدى رؤية أشخاص تعرفهم. ولأن كلب الضحية لم ينبح إستنتج هولمز أن الدخيل لم يكن غريباً عن الدار ولا عن أهلها. هل ذلك التفكير عقلاني فقط؟ ربما بدا كذلك، لكن الحقيقة أن ما حوّل

تفكير هولمز الى الكلب لم يكن المنطق بل الحدس.

**الالهام والخبرة.** للحدس أيضاً قيمة كبيرة في الظروف التي تقتضي اتخاذ قرارات سريعة من دون اكتمال المعلومات، كما في الشؤون الاقتصادية والسياسية. صحيح أن هناك أموراً تساعد في التوصل الى قرارات، مثل دراسات السوق والاحصاءات السكانية والرسوم البيانية ومبدأ الأرجحية، وجميعها أساليب لا يسقطها رجل الأعمال أو رجل السياسة من اعتباره. إلا أن سر النجاح في حالات كثيرة هو الحدس.

وكثيرا ما يأتي الالهام العفوي محذّراً ومنبهاً. كم من مرة تأوهنا بعد عمل خائب مرددين: "كنت أعلم أنني سأمنى بالفشل." إنها حالات يكون فيها الصوت الداخلي مكبوتاً. واذ يصعب علينا تفسير الحدس، نرانا نعزو مثل هذه الاحداث الى المصادفة أو الحظ.

هل يمكن تشجيع الحدس وتنميته؟

أظهرت إحدى الدراسات أن ايحاءات كثيرة حصلت بعد فترة من الجهد العقلي المكثف عقبتها فترة استرخاء. وقد هبط الوحي على فنانين وباحثين وهم نائمون أو في نزهة من دون رفيق أو في قطار.

هناك عوامل عدّة قد تفسّر كيف أن فترات الراحة تشجع هبوط الالهام. ففي حالات الاسترخاء يتحرر العقل من قيود التفكير الواعي، لكنه يظل يعمل فيلتقط المعلومات التي تسوقها المصادفات ويعالجها بسلسلة من العمليات التلقائية. فتبين في اللاوعي ترابطات فكرية كان يفصل بينها التفكير المنطقي الصرف. ومن جهة أخرى، نلاحظ ان الاشخاص الذين ينكرون على أنفسهم فترات من الراحة لا يتركون مجالاً لهبوط الالهام.

والحقيقة الظاهرة هي أن الإلهام لا يهبط إلا في مجالات معيّنة. فالطبيب الذي يتمتع بحدس مرهف قد يكون عبقرياً في تشخيص المرض، لكنه ربما كان بليد الشعور في حياته الخاصة. ومدير التوظيف صاحب "الأنف المرهف" في ما يعود الى اختيار الموظف المناسب قد يخسر كل مدخراته في البورصة.

ألا يجوز اذاً أن نفسر الالهام بأنه تجربة أو خبرة مطبّقة على نحو سليم وصائب؟ لا شك في أن المعرفة الخاصة تساعد في حلّ المسائل. لكن الخبرة قد تشكل عائقاً أمام الالهام لانها تفضل المعالجة بالطرق التقليدية.

**شريك صامت.** لكن إصغاء المرء الى ذلك الصوت الداخلي قد ينطوي على بعض المخاطرة. فالخوف من اخفاق اقتراح غير مألوف أو من التعرّض لسخرية الآخرين هو شعور قوي في أوساط الخبراء. ومن الاسهل تقبّل الفشل بعد استنفاد جميع الطرق العادية لحل مشكلة ما. ولا ريب في أن الاصغاء الى صوت الوحي، إذا كانت في الأمر مخاطرة، يتطلب شجاعة وايماناً بمقدرة المرء الحدسية.

ويبدو أن النساء ينزعن الى إظهار هذه الشجاعة أكثر من الرجال. فمنذ طفولتهن يُشجَّعن على لفت النظر والتعبير بأسلوب توكيدي. أما الفتيان فيركز في

تربيتهم وتعليمهم على تنمية قدراتهم العقلية وتفكيرهم المنطقي. وهكذا يُعتبر الادراك "العاطفي" مقصوراً على النساء، لا بل امتياز خاص كما تشير اليه عبارة "حدس أنثوي" الشائعة.

ومع أن الإلهام لا يخضع للارادة، ففي الامكان أن نصبح أكثر تلقياً له. والسبيل الى ذلك هو امتصاص جميع المعلومات المتوافرة كما يمتص الاسفنج الماء. ولقد لاحظ الباحث الاداري الكندي هنري منتسبرغ أن القادة الناجحين يولون اهتماما كبيراً نواحي تبدو غير ذات أهمية، مثل لغة الجسد والثرثرة والاشاعات والتأمل الكسول. ويفضلون المقابلات الشخصية على التقارير الخطية. وفي هذا الصدد يقول الباحث بيتر سنج من معهد مساتشوستس للتكنولوجيا ان الشخصية الخلاقة هي التي تعترف بوجود ثغرات فيْ المعرفة.

الخوف من الاخفاق يعوق العمل الملهَم الخلاق بمقدار ما تعوقه مقاومة التغيير أو كرهه. ومن جهة ثانية، تتيح معالجة المسائل بمرح وضحك فرصة للالهام العفوي. ولا شك في أن أفكاراً قيّمة كثيرة لم تر النور بل خنقت في مهدها بحجة أنها غير معقولة ولم يطبّقها أحد من قبل. وقصة الامريكي ادوين لاند خير دليل على بطلان هذه الحجة. فذات أمسية، أثناء عطلة أمضاها لاند وعائلته في نيو مكسيكو، سألته ابنته الصغيرة ما الذي يمنعها من التفرج للحال على الصورة التي التقطها في النهار. وكانت نتيجة هذا السؤال، الذي عبّر عن نفاد صبر طفولي، ابتكار آلة تصوير تظهر الصور على الفور واشتهار شركة "بولارويد" التي يملكها لاند في العالم أجمع.

عالمنا أصبح من التعقيد بحيث بات الاعتماد على العقل وحده وهماً كبيراً. والحقيقة أن في وسعنا أن نعالج مشاكلنا الكبيرة والصغيرة على نحو أفضل كثيراً اذا جعلنا الالهام شريكاً صامتاً في عملية الادراك الذهني.

**هيكو إرنست** ■



## نظام شيفرة

تلقت طالبة في كلية التجارة نتائج الامتحانات السنوية فكانت كالآتي: لغة انكليزية ٨٠/١٠٠، رياضيات ٨٥/١٠٠، ذلغ غلغ الاكلة تاكاتلة ٧٥/١٠٠. والموضوع الاخير يجب أن يقرأ: "طبع على الآلة الكاتبة."

د. ت.

---

أسوأ من الذنب هو عذر أقبح من ذنب نتوسله، بدلا من اعتبار الذنب تحذيراً من عمى بصرنا أو بصيرتنا.

س. ك.



**عندما كنت يافعاً**
**كنت أحصل على كل ما أريد**
**بقوتي وضخامة حجمي. كان ذلك**
**قبل أن يعلمني غلين أن "الحجم**
**يكمن في القلب والروح"**

# مزرعة الشباب

Illustration: Cliff Spohn

عندما التقيت غلين كانينغهام للمرة الاولى كنت في السادسة عشرة من عمري. وكنت مستأسداً على أترابي بوزني الذي بلغ ٩١ كيلوغراماً. جاءت بي أمي البائسة الى مزرعة غلين للشباب في تكساس وكانت ضاقت بي ذرعاً بعد وفاة والدي قبل سبعة أعوام. فقد بدأت طباعي تثير مخاوفها حين حطمت باب المنزل بضربة رفش.

عندما وصلنا الى المزرعة في ذلك اليوم من خريف ١٩٦٦ لم أستطع تصديق عيني. كانت هنالك خيول عربية في الحقل. وقرب المنزل القديم ذي الطبقتين كان قطيع من الاغنام ذات القرون الكبيرة، وعدد من الثيران والمعزى والايائل والطواويس والقرود. كما كان هنالك صبية من جميع الاعمار والاحجام والالوان.

كنت أحب العزلة. وعرفت أن المكان لن يناسبني فأردت أن ارحل عنه. لكن أمي أصرَّت على قرارها ولم تذعن لرغبتي.

عندما ترجلنا من السيارة رأيت رجلا يسير نحونا، فأدركت أنه صاحب المزرعة. كان طوله حوالى ١٨٠ سنتيمتراً، ومن بعيد شعرت بقوته. كانت يداه غليظتين خشنتين، ووجهه وجه مزارع لوحته الشمس، وعيناه كأنهما من فولاذ. صافحني، فأحسست قوة العينين قد تضاعفت بمصافحته القوية. وقال ببساطة: "اسمي غلين. أهلا بك."

"يمكنك أن تنجح!" استقبل غلين وزوجته روث ألوف الاولاد في مزرعتهما منذ استقرارهما هناك في الاربعينات. والاعتناء بالاولاد لم يكن بالنسبة اليهما مجرد عمل يؤديانه، بل ضرورة يستمدان منها الحياة.

لم يخططا لحياتهما هذه، ولم تكن حياة غلين تسير على مخطط. فهو ولد في أتلنتا بولاية كنساس في الرابع من أغسطس (آب) ١٩٠٩. وفي السابعة من عمره أصيب بحروق بالغة في المدرسة جعلت الاطباء يفقدون الامل بشفائه وتمكنه من السير على قدميه. لكن والده كان يشجعه قائلا: "لا تفقد الامل، اعمل على حل مشكلتك." وكانت أمه تدلكه يومياً لتساعده على استعادة قوة رجليه. وثابر غلين على هذا المنوال الى أن أصبح أعظم عداء أمريكي في جيله، وفاز بميدالية فضية في سباق الـ١٥٠٠ متر في دورة الالعاب الاولمبية عام ١٩٣٦.

عام ١٩٣٨ حاز غلين شهادة دكتوراه في التربية من جامعة نيويورك. وبعد انهاء خدمته في البحرية في الحرب العالمية الثانية، استقر مع زوجته روث في مزرعة تبلغ مساحتها ٣٤٠ هكتاراً في شمال شرق ويتشيتا بولاية في كنساس. في ذلك الحين حقق شهرة واسعة كخطيب ملهم، وكان يدعى على الدوام الى القاء خطب في حفلات التخرج وفي النوادي والمدارس في أنحاء البلاد. كانت عبارته الشهيرة: "يمكنك أن تنجح" تسحر المستمعين اليه كباراً وصغاراً. وبعد المحاضرات كان الاهل الذين يعانون مشاكل مع أولادهم يحوطونه من كل جنب. وسرعان ما وجد نفسه يقول لهم: "أجلبوا أولادكم الى مزرعتي لبعض الوقت."

وهكذا بدأ كل شيء.

كان الاولاد المشاكسون و"غير المرغوب فيهم" يأتون للعيش مع عائلة كانينغهام أياماً وأسابيع وأحياناً سنوات، في بيت يطفح حباً. كان هناك كثير من الاولاد اليائسين والخائبين. إلا أن غلين وروث لم يرفضا ولداً على الاطلاق ما دام هناك مكان له. وكان بين الاولاد متشردون ومروجو مخدرات ومدمنون وسارقو سيارات بلغ متوسط أعمارهم الرابعة عشرة. ولكن كان بينهم فتيان كبار اكثر رسوخاً في نمط حياتهم. وكنت أنا واحداً من أولئك الفتيان القلقين.

في ذلك المساء الاول أخبرني غلين عن توقعاته قائلا: "انتبه يا كين، هنالك أعمال معينة نؤديها هنا. نحن ننجز واجباتنا الدراسية على أكمل وجه. ننهض باكراً ونؤدي الاعمال اليومية. سوف يعهد اليك بقسط من المسؤولية عن الحيوانات."

لم أكن توليت أي عمل جدي طوال حياتي، ولم تكن لدي خبرة بالحيوانات. فشرح لي غلين كيف أطعمها وأسقيها، وختم حديثه قائلا: "... وسوف تعاقب اذا لم تنجز مهماتك على أكمل وجه."

**حب خشن.** كان آل كانينغهام شديدي الايمان بأسلوب معالجة الفتيان المضطربين من طريق تربية الحيوانات. ومثل سائر الاولاد في المزرعة عهد الي في الاعتناء بحصان خاص. كان غلين يدرك أن العمل الصعب يعيد الثقة الى النفس ويبعد التفكير في المشاكل الخاصة. وكان يعلم أيضاً أن حب الحيوانات يصنع المعجزات.

كان غلين رجلا عنيداً وواقعياً يؤمن بالتأديب الجسدي اذا ما دعت الحاجة. لكنه كان في الوقت ذاته يظهر المحبة بالعناق وبروح المرح.

ومنذ وفاة والدي كنت أبحث عن انسان يضع لحياتي بعض الحدود.

بعد ظهر يومي الثاني في المزرعة كنت ألعب بقساوة مع الاولاد محاولاً ترويض محيطي. فرميت حبلا حول عنق ابنة غلين. وكانت في الثامنة من العمر. لم أكن أنوي ايذاءها، لكن الحبل ألهب عنقها فذهبت الى والدها باكية. ولم ألبث أن رأيت قامته المديدة في الباب وسمعته يناديني: "كين، تعال الى هنا." فرحت أختال أمامه ورمقته بنظرة عدائية وقلت له: "اذهب الى الجحيم."

وسرعان ما أدركت أن تصرفي هذا لم يعبر عن الاحترام الذي يفهمه غلين. وعوقبت ذلك النهار على يدي رجل عرف معنى الحب الخشن وقيمة أسلوب الجَلْد التقليدي. كان طعم العقاب مراً، لكن غلين أحاطني بعده بذراعيه وقال بلطف: "كين، لا أستطيع ان أتركك تدمر نفسك. لقد أصبحت جزءاً من عائلتنا."

شعرت عندئذ أن شيئاً تحرك داخلي، ورغبت في الانتماء.

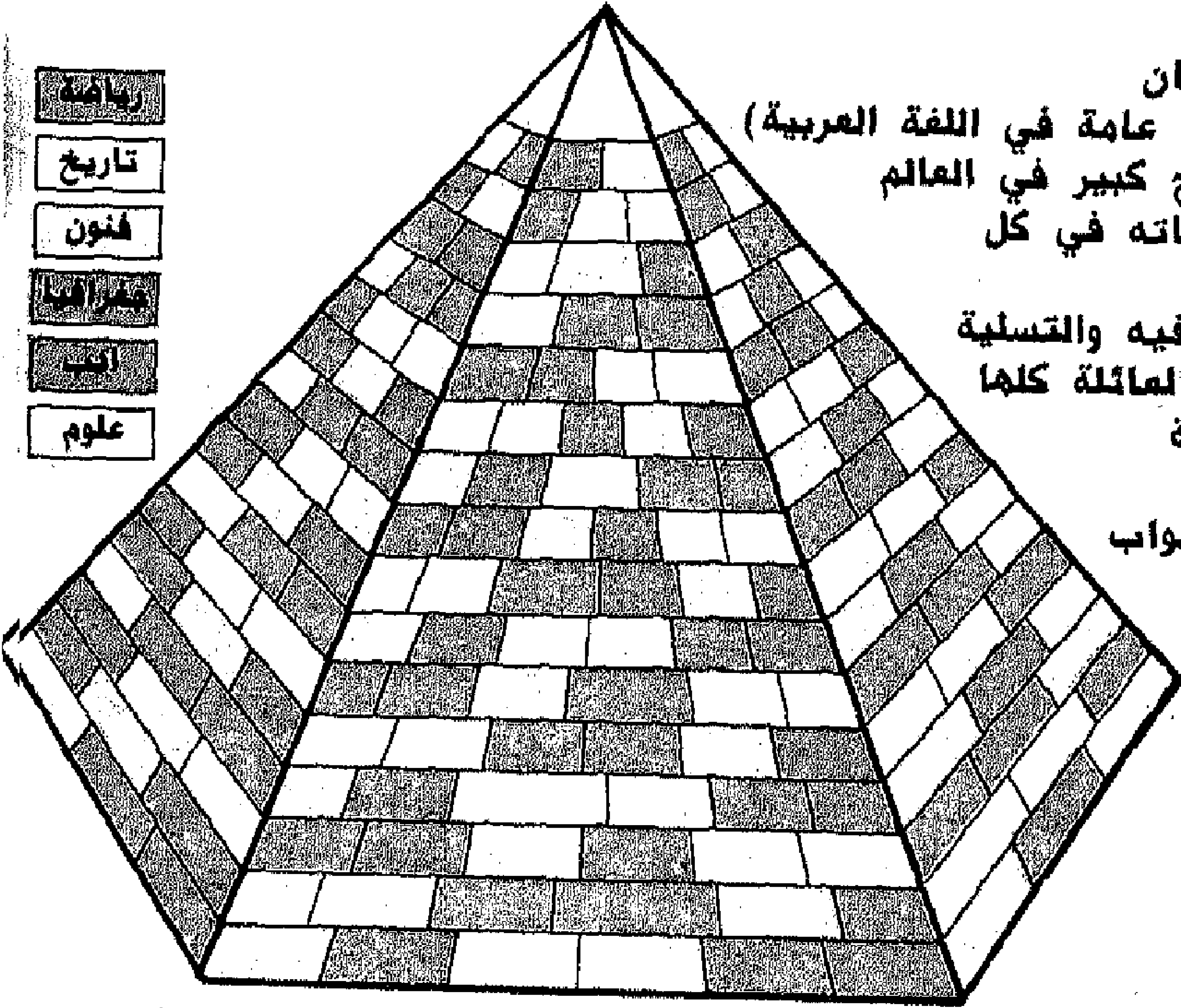
تركت فلسفة غلين أثراً عميقاً في أنفسنا وعلقت على كثيرين منا ،لانه كان يطبقها في حياته اليومية. كان غلين دائماً أول المستيقظين صباحاً.

**درس في التسامح.** كانت روث أيضاً تملك طاقة لا تنفد. وما زلت أذكر كيف كانت توقع الحوالات في سريرها في

## لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

# هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مشوقة

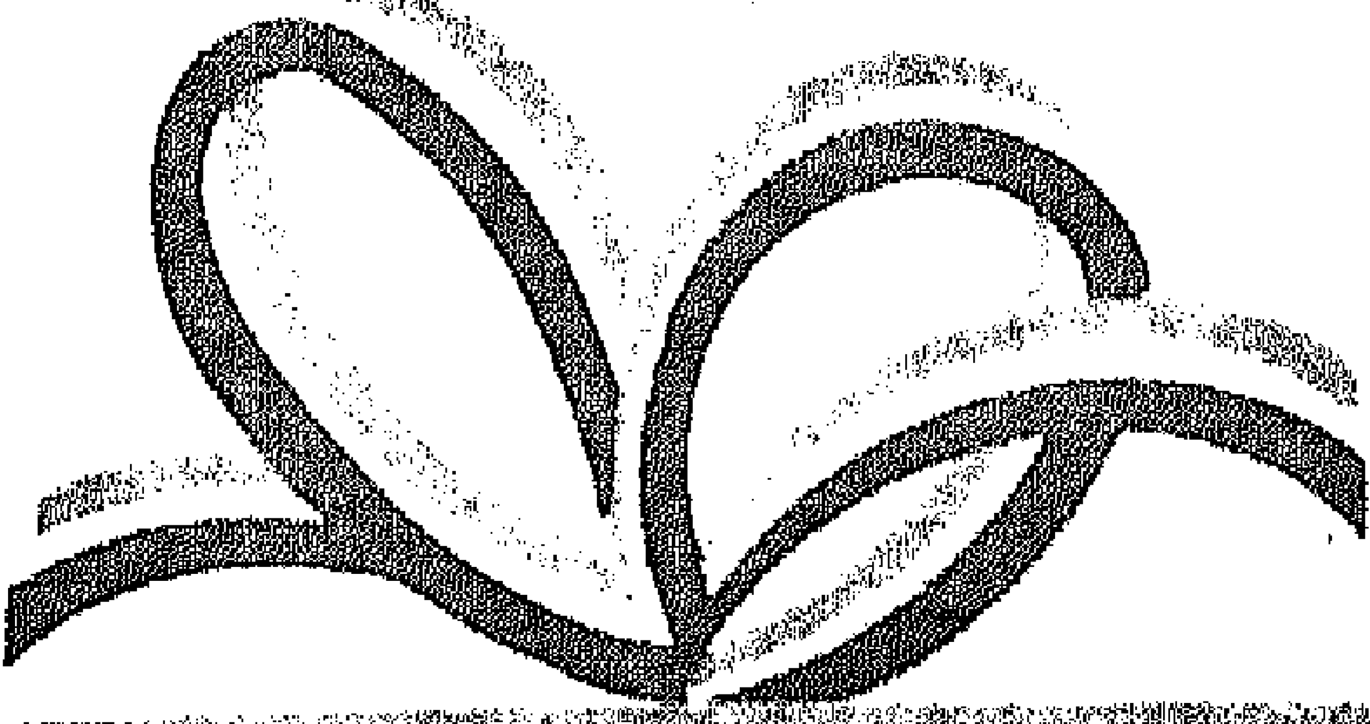



- هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
- هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
- هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة



هرم المعرفة تجدونها في جميع محلات الالعاب والمكتبات
انتاج: شركة انتاج وتسويق الالعاب التثقيفية ش.م.م. PROMEGA S.A.R.L.
٩٣٦٧٧٠ (٠٩٦١) - تلكس: AJAKKA LE ٤٥٤٠٠

# فاجئوا من تحبون بهدية لا تنسى



تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).
كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او التخرج او عيد الحب...
فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟
فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٨٩/٦/١ و١٩٩٠/٥/٣٠ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٣٥ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العنوانين الآتيين:

بنك المشرق ش.م.ل.
ص.ب. ١٥٢٤
بيروت لبنان
BANK ALMASHREK S.A.L.
P.O.BOX 1524
BEIRUT-LEBANON

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ________________

________________

عنوانه ________________

________________

المناسبة وتاريخها ________________

توقيع المهدي ________________

مع أخلص تمنياتنا

ساعة متقدمة من الليل لتدفع، مثلا، لصاحب شاحنة قطر بدل أتعابه في رفع سيارة أوقعها أحدنا في خندق. كانت تفعل ذلك وهي تعلم أن الرصيد في المصرف يكاد لا يفي بتأمين طعام اليوم التالي. والى ذلك كانت روث دائماً حاضرة لتبعد عنا كوابيس الليل وتهدىء من روعنا بمحبتها وصوتها الدافىء.

.وكان كثير من الفتيان أخضعوا لرعاية عشرات المرشدين والعلماء النفسانيين الذين عملوا على معالجة عقولهم، لكن غلين وروث كانينغهام كانا يعملان على معالجة قلوبنا.

اشترى غلين مرة صندوقاً مليئاً بالأشراك وطلب منا ألا نلمسها. لكنني أخذت أسرق منها وأبيعها الواحد تلو الآخر من زميل في المدرسة في مقابل ثمن زجاجة مرطبات. وفعلت ذلك يوماً بعد يوم على رغم أن الندم كان يتأكلني.

وذات يوم رافقت غلين الى بؤرة حرق الاوساخ، فقلت له: "أريد أن أخبرك شيئاً."

التفت الي محدقاً كأنه أدرك ما يجول في خاطري، وسألني بنبرة ترتجف لها الفرائص: "ما الامر يا كين؟"

بعدما اعترفت له بالحقيقة سألني: "هل تذكر ماذا قلت لك انني سأفعل اذا أقدمت على عمل غير شريف؟"

أجبت: "قلت لي انك ستجلدني."

فقال: "إذاً ماذا علي أن أفعل الآن في رأيك؟"

أحسست الالم في داخلي الى حد لم أستطع معه الكلام، فقلت: "أرى أن تبدأ جلدي الآن."

انتظرت، لكنه لفني بذراعه قائلا: "أعتقد أنك عوقبت كفاية الآن. لنعد الى البيت ونتكلم." وفي غرفة الجلوس جلسنا محاطين بعدد من الاولاد، وتحدثنا عن الثقة واحترام الآخرين.

لن أنسى أبداً التسامح الذي أظهره لي غلين ذلك النهار حين قال: "الصدق هو أهم ما في الحياة. لا تحقر نفسك يا كين باعتبار الباطل صواباً."

**قوة الضحك.** مرت علينا أيام صاخبة في المزرعة. وفي رأيي أن روح غلين المرحة ساعدته على تخطي هذه الاوقات. كان يقول لنا: "الضحك يزود الروح قوة، ومن دون هذه القوة الروحية لا يمكنكم جبه الصعاب في حياتكم."

وكان الصرع الذي ينتابني أحد مشاكلي الخاصة. وقد انتابتني نوبات صرع قوية جعلتني أشعر بالخجل. لكن هذا الشعور لم يطل في بيت غلين. وبدأ ابنه جين، الذي كان في مثل سني، يمازحني حول هذه النوبات. وبعد فترة وجيزة أخذ غلين والآخرون يمازحونني أيضاً. فلم يمضِ وقت طويل حتى شعرت بالارتياح وبدأت أتقبل وضعي وأمازحهم كلما مازحوني.

كان غلين يشدد دائماً على أن في امكاننا تحويل ضعفنا قوة. وأصبحت نوبات صرعي فعلا تشكل قوة بالنسبة الي لانها تساعدني على اقناع الآخرين بقدرتهم على مواجهة مصائبهم.

وكان غلين يردد هذا المثل: "وقف رجلان على ضفة نهر. أحدهما اعتبر النهر مشكلة والثاني رأى فيه تحدياً. فمن

تظنونه وصل أولا الى الضفة المقابلة؟"

وآمن غلين أيضاً بمنطق الفيلسوف والشاعر الامريكي رالف والدو امرسون القائل بأن الهدية الحقيقية الوحيدة هي "أن تقدم جزءاً من نفسك." وكان غلين وزوجته وبناته الست وأبناؤه الاربعة مثالا دائماً على ذلك.

غرقت العائلة في الديون بغية المحافظة على المزرعة. وكانت فواتير البقالة والعلف واللباس والمؤن لخمسة وثلاثين فتى تفوق موارد المزرعة.

وكانت هناك قلة من الناس الاوفياء، وبينهم والدتي، تبرعوا بالمال للمزرعة. ولكن لأكثر من ثلاثين عاماً ظل غلين يدفع الفواتير من ريع جولاته الخطابية. وكان في معظم الاوقات يعود من هذه الجولات برفقة ولد محتاج آخر.

هان دوري. عندما بلغت السن الخامسة والعشرين، وبعدما عملت في مزارع أريزونا وكولورادو، قررت أن الوقت حان لاعادة ما أعطيت سابقاً. كان غلين يقول: "ان كنت تملك في قلبك لحناً، فأنت تدين للعالم بأغنية." وهكذا درست صنعة السكاكين. وساعدني غلين على تأسيس حانوت، وظل يزورني باستمرار على مدى احدى عشرة سنة.

وكل يوم بعد المدرسة كان الاولاد يأتون من البلدة ويجتمعون في حانوتي لبراقبوني في عملي. ان الصبية يشعرون بميل نحو السكاكين. وكانت تلك بداية طبيعية. فرحت أعمل معهم وأصغي الى مشاكلهم. وتنقلت مع غلين في أنحاء البلاد وألقينا الخطب.

وفي العام ١٩٧٨، نتيجة الصعوبات المالية وتدهور صحة روث، أقفل آل كانينغهام مزرعتهم واشتروا منزلا في بلدة مجاورة. ولكن لم يطل الامر كثيراً حتى تعالت أصوات الاولاد مجدداً في مزرعة آل كانينغهام القديمة. ففي يونيو (حزيران) ١٩٨٥ قرر جودي وسندي براون ولورا وبريان ايلمور متابعة ما بدأه آل كانينغهام، فأعادوا فتح المزرعة. ووافق غلين وروث على العمل هناك كمستشارين. وعرض غلين أن يطوف في أنحاء البلاد لجمع المال.

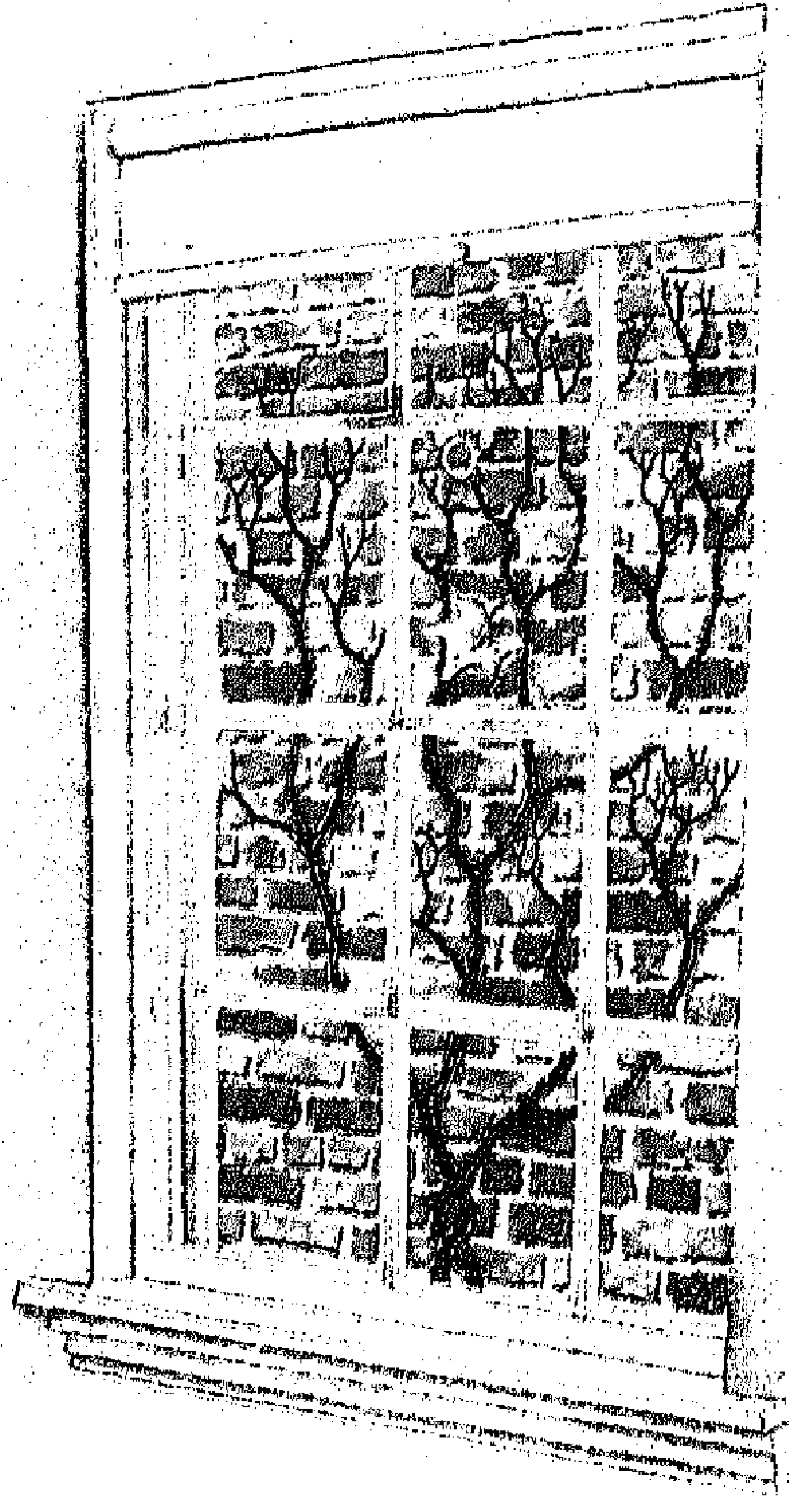
واليوم يأتي أولاد المزرعة الثلاثون كل يوم أحد للاجتماع في منزل جين ابن غلين. فأرى فيهم ذاتي وأصحابي قبل ٤٢ سنة. ومرة أسررت الى غلين: "لا أعتقد أننا كنا بهذه الرداءة التي يظهرها هؤلاء الاولاد." فابتسم غلين قائلا: "لا تقطع الامل. هناك خير داخلهم. ساعدهم على اكتشافه، ثم دعه يشع."

وبفعل ايمان غلين القوي لم يكن يهاب الموت. وفي السن الثامنة والسبعين كان لا يزال يذري التبن ويملأ خزانات المياه ويعتني بماشيته. وتوفي بنوبة قلبية في مارس (آذار) ١٩٨٨ بعد انهاء الاعمال المسائية في المزرعة، المكان الذي أحب أن يكون فيه دائماً.

كان غلين يعتبر نفسه انساناً عادياً. أما بالنسبة الينا، نحن الذين أعطانا الكثير، فهو ليس عادياً. لقد تأصل تأثير غلين وروث في ألوف الاشخاص، وسيسري من جيل الى جيل. وأعتقد أن غلين اعتبر هذا الميراث أهم سباق ربحه في حياته.

كين وست ■

## قصة قصيرة



# الورقة الأخيرة

**رأتها من خلال النافذة متشبثة بالكرمة. ستسقط قريباً بلا ريب، ثم تذهب هي ايضاً**

في ناحية صغيرة من "قرية غرينتش" في مدينة نيويورك تنقسم الشوارع أزقة صغيرة تنعطف في زوايا ومنحنيات غريبة. ويقطع الزقاق ذاته مرة أو مرتين. وقد اكتشف فنان احتمالا قيماً في هذا الوضع. قال: "لنفرض أن جابياً يحمل فواتير بحسابات أصبغة وورق وقماش رسم، فانه يجد نفسه هنا قد عاد أدراجه من دون أن يجبي قرشاً."

وهكذا يأتي أهل الفن الى هنا يفتشون عن نوافذ شمالية وعلّيات مائلة السقوف وأجور منخفضة.

في الطبقة العليا من بناء قرميدي ذي ثلاث طبقات كان محترف سو وجونسي. إحداهما من مين والاخرى من كاليفورنيا. وهما التقتا في مطعم محلي فوجدتا ان ذوقيهما متجانسان مما أدى بهما الى اختيار مسكن مشترك.

كان ذلك في مايو (أيار). وفي نوفمبر (تشرين الثاني) تسلل الى جالية الفن غريب بارد غير منظور يدعى ذات الرئة، يلمس بأصابعه القارسة واحداً هنا وواحداً هناك.

كانت جونسي، التي رقّقت دمها رياح كاليفورنيا، فريسة سهلة للداء. اضطجعت هناك، على سريرها الحديد الملوّن، نادراً ما تتحرك، تتطلع من خلال المربعات الزجاجية الصغيرة في النافذة الى المنزل القرميدي القريب.

أخبر الطبيب سو في الرواق: "حظها في النجاة واحد من عشرة. والامل الوحيد هو أن تزيد هي الحياة. لكنها مصممة على أنها لن تتحسن. هل من شيء في ذهنها؟"

Illustration: Denise Hilton — Putnam

قالت سو: "انها أرادت أن ترسم خليج نابولي يوماً."

"أن ترسم؟ كلام هراء. هل في ذهنها أي شيء يستحق التفكير فيه مرتين؟ رجل مثلا؟"

قالت سو ببرود: "رجل؟ وهل هناك رجل يستحق ذلك؟ لا يا دكتور، ليس ثمة شيء من هذا القبيل."

قال الطبيب: "حسناً، سأفعل كل ما يستطيعه العلم. ولكن عندما تبدأ مريضتي عدّ العربات في موكب دفنها فسأطرح خمسين في المئة من طاقات الطب الشفائية. أما اذا جعلتها تسأل عن الزي الجديد لمعاطف الشتاء، فأعدك بفرصة واحدة من خمسة، بدل واحدة من عشرة."

## "سأرسم ذات يوم"

بعد ذهاب الطبيب أشبعت سو محرمة ورق بدمع عينيها، ثم مشت مختالة الى غرفة جونسي حاملة لوح الرسم وهي تصفر.

كانت جونسي مضطجعة تتموج تحت اللحاف ووجهها نحو النافذة. فكفت سو عن الصفير ظناً منها أن جونسي نائمة.

بدأت سو ترسم، فسمعت صوتاً خافتاً يتكرر. فاسرعت الى جانب السرير. كانت عينا جونسي مفتوحتين على وسعهما، وهي تتطلع خارج النافذة وتعد عكسياً.

"اثنا عشر... أحد عشر... عشرة... تسعة... ثمانية... سبعة..."

نظرت سو خارج النافذة، ماذا هناك ليحصى؟ ليس هناك سوى ساحة مكشوفة موحشة وجانب مسدود من البيت القرميدي الذي يبعد ستة أمتار. وثمة كرمة قديمة ملتوية ذابلة حتى الجذور، معرشة الى منتصف الحائط القرميدي، وقد ضربت نسمات الخريف الباردة أوراقها حتى التصقت أغصانها شبه عارية بالقرميد المحطم.

سألت سو: "ما الامر يا عزيزتي؟"

فهمست جونسي: "ستة، انها تتساقط بسرعة الآن. قبل ثلاثة أيام كان هناك قرابة مئة آلمت رأسي وأنا أعدها. أما الآن فالامر هين. سقطت واحدة، ولم يبق الا خمس."

- خمس ماذا يا عزيزتي؟

"خمس أوراق على الكرمة المعرشة. وعندما تسقط الاخيرة يجب أن أذهب أنا أيضاً. عرفتُ ذلك منذ ثلاثة أيام. ألم يخبرك الطبيب؟"

قالت سو بسخرية مصطنعة: "أنا لم أسمع في حياتي مثل هذا الهراء. حاولي أن ترشفي بعض المرق، ودعي سو تعود الى الرسم فتكسب مالا تشتري به شراباً منعشاً لطفلتها المريضة وشرائح لحم لنفسها الشرهة."

قالت جونسي وعيناها مثبتتان على النافذة: "لن تحتاجي الى شراء شراب بعد الآن. ها قد سقطت ورقة أخرى. أنا لا أريد مرقاً. ان سقوطها يجعل الباقيات أربعاً. أريد أن أرى الاخيرة تسقط قبل أن يحل الظلام، ثم أذهب أنا أيضاً."

قالت سو: "حاولي أن تنامي. يجب أن أدعو بهرمان ليكون نموذجاً لعامل منجم أرسمه. لن أغيب أكثر من دقيقة."

كان بهرمان رساماً يسكن في الطبقة الارضية. وهو تجاوز الستين وله لحية

جليلة. انه فنان فاشل، يردد على الدوام انه يهيىء لرسم تحفة فنية، لكنه لم يبدأها بعد. يكسب بعض المال بالجلوس أو بالوقوف نموذجاً للفنانين الصغار الذين لا يستطيعون أن يدفعوا للمحترفين. هو عجوز شرس يحتقر النعومة في أي شخص ويعتبر ذاته حارساً للفنانتين الصغيرتين اللتين تعيشان في الطبقة فوقه.

وجدته سو في غرفته الصغيرة المعتمة. ولمحت في احدى الزوايا قطعة قماش بيضاء مثبتة على منصة الرسم. أخبرته بهلوسات جونسي، وكيف أنها، عندما يضعف تمسكها الواهي بالدنيا، ستطير كورقة خفيفة هشة.

صرخ: "ماذا؟ هل ثمة أناس مجانين الى هذا الحد يظنون أنهم سيموتون لان الاوراق تسقط من كرمة لعينة؟ لم أسمع أبداً بشيء كهذا. لا، لن أقف نموذجاً لعامل منجم. كيف تدعين ذلك السخف يدخل عقلها؟ آه، تلك الصغيرة المسكينة، الآنسة جونسي."

قالت سو: "انها مريضة جداً وضعيفة والحمى جعلت الموت هاجسها. حسناً يا سيد بهرمان، اذا كنت لا تبالي بأن تكون لي نموذجاً فلا حاجة بك الى ذلك."

زعق بهرمان: "أنت كامرأة تماماً! من قال انني لن أكون نموذجاً؟ سيري، فأنا آت معك. يا الهي، ليس هذا المكان صالحاً لأن تضطجع فيه الآنسة جونسي وهي مريضة. سأرسم يوماً تحفة، وسنرحل جميعنا بعيداً. أجل."

كانت جونسي نائمة عندما صعدا الى الطبقة العليا. أرخت سو الستار وأومأت الى بهرمان بالتوجه الى الغرفة الثانية، هناك، من النافذة، رمقا بخوف الكرمة المعرشة، ثم نظرا واحدهما الى الآخر لحظة من دون أن ينبسا بكلمة. وكان المطر يهطل بارداً ممزوجاً بالثلج.

## "ارفعي الستار"

عندما استيقظت سو في الصباح التالي رأت جونسي تحدق بعينين بنيتين جاحظتين الى الستار الاخضر المسدول.

همست بلهجة آمرة: "ارفعيه، أريد أن أرى." أطاعتها سو على مضض.

ها! على رغم انهمار المطر وعنف الريح ما زالت هناك ورقة تقاوم على الحائط القرميدي. انها ما فتئت خضراء قائمة قرب عنقها، لكنها مصفرة ومدلاة بشجاعة من غصن يعلو عن الارض قرابة ستة أمتار.

قالت جونسي: "انها الورقة الاخيرة، ستسقط بلا ريب في الليل. اسمعي عصف الريح. ستسقط اليوم، وسأموت أنا."

قالت سو مشيحة بوجهها: "عزيزتي، عزيزتي، فكري فيَّ اذا كنت لا تريدين أن تفكري في نفسك. ماذا سأفعل أنا؟"

لكن جونسي لم تجب. ان أوحد ما في الدنيا نفس تستعد للذهاب في رحلتها الغامضة البعيدة. ويبدو أن الوهم أخذ يتملكها بحيث أن الروابط التي تشدها الى الصداقة والارض كانت تنحلّ.

انقضى النهار. وفي ضوء الشفق استطاعتا رؤية الورقة وهي ما زالت عالقة بعنقها. وفي الليل عصفت الريح ثانية وضرب المطر النوافذ.

وعندما بزغ النور أمرت جونسي ثانية برفع الستار.

الورقة المعرشة لا تزال هناك.

اضطجعت جونسي وقتاً طويلا تنظر اليها. ثم نادت سو التي كانت تحرك مرق الدجاج على موقد الغاز.

قالت جونسي: "ثمة شيء ما أبقى الورقة الاخيرة هناك لأعرف كم كنت شقية. انها لخطيئة أن أطلب الموت. يمكنك أن تأتيني الآن بقليل من المرق، وببعض الحليب الممزوج بشرابك المنعش. ولكن ناوليني اولاً مرآة يد، ثم رصّي الوسادات حولي، وسأجلس وأراقبك وأنت تطبخين."

وأضافت: "يا سو، آمل أن أرسم يوماً خليج نابولي."

جاء الطبيب بعد الظهر، ورافقته سو الى الرواق وهو يغادر.

قال الطبيب ممسكاً يدها المرتجفة: "حظها خمسون في المئة. وبالتمريض الجيد ستفوزين. الآن عندي مريض ثان يجب أن أراه. اسمه بهرمان، أعتقد أنه فنان. انه مصاب بذات الرئة أيضاً. هو عجوز ضعيف، واصابته حادة، لا أمل له. لكنه سينقل اليوم الى المستشفى."

في اليوم التالي أخبر الطبيب سو: "صديقتك تجاوزت الخطر، لقد فزت. الآن، الغذاء والعناية هما كل شيء."

بعد ظهر ذلك اليوم دنت سو من السرير حيث كانت جونسي مضطجعة تحوك شالا صوفياً، وطوقتها باحدى ذراعيها.

قالت: "لدي شيء أقوله لك. مات بهرمان اليوم في المستشفى بذات الرئة. قبل أيام وجده البواب في غرفته وقد أقعده الالم، وحذاؤه وثيابه مبللة ومصقعة كالثلج. لم يعرف أحد أين كان. ثم وجدوا قنديلا مضاء، وسلّماً مسحوبة من مكانها، وفرشاة، ولوحة مزجت عليها ألوان خضر وصفر. أنظري، يا عزيزتي، الى الورقة الاخيرة المعرشة على الحائط. ألم تستغربي كيف أنها لم ترف ولم تتحرك عندما عصفت الريح؟

انها تحفة بهرمان. لقد رسمها ليلة سقطت الورقة الاخيرة."

**أو. هنري** ■

اسم مستعار للقصصي الامريكي وليم سيدني بورتر (١٨٦٢ - ١٩١٠).



## اطفالنا

ما نحب في أطفالنا، أبعد من التعرّف النرجسي الى ذواتنا، هو أنهم يتيحون لنا أن نعيد طفولتنا، وخصوصاً ذلك الجزء منها قبل تشكل ذاكرتنا الواعية. والاطفال يحملوننا أيضا الى المستقبل ما وراء فنائنا، تماما كما حملنا أهلنا الى مستقبل لم يحيوا أبدا ليروه. الحب العائلي هو هذا الادراك السلالي للزمن، هذا الانتماء المشترك الى سلسلة من الاجيال. ويبدو انتقاصا من حبنا لاطفالنا أن نقول إننا نحبهم لصفاتهم ولما يتفردون به. نحن نحبهم لأنهم أطفالنا، ولاننا نتعاون على تجذير بعضنا بعضا في بعد زمني أطول من حيواتنا.

"ملحق التايمس الادبي"، لندن

# المتفوّق



تكونت التعبيرات
في وجه الفتى المعاق
فأصرّ على تخطيها جميعاً

خلال المباراة السنوية في كرة اليد التي اقيمت في جامعة أوغزبرغ في مينيابوليس بولاية مينيسوتا، كان فريق كونكورديا الضيف على وشك أن يهزم الفريق المضيف. وفي نهاية الشوط الرابع من المباراة كان فريق كونكورديا يهدد بالتسجيل من جديد. لكن دفاع فريق أوغزبرغ راح يلعب كأنه غير مدرك الفرق العظيم في النتيجة. فجأة بدأ يظهر مقاومة عنيفة ألهبت حماسة الجمهور. وبدا كأن فريق أوغزبرغ يخبىء انتصاراً باهراً عوض هزيمة نكراء.

وفي الملعب كان محور انتباه الجميع لاعب في الحادية والعشرين من عمره يدعى ديفيد ستيفنز. لم يكن قد دخل المباراة الا قبل بضع دقائق، وها هو يضج صخباً وحيوية ويهجم ويخترق خط هجوم فريق كونكورديا. ثم فقد احد لاعبي كونكورديا السيطرة على الكرة وهو يعدو بها، فارتمى ديفيد فوقها موقفاً الهجوم. ورفع الكرة بين يديه وسط هتافات رفقائه. وعلى الخطوط الجانبية للملعب كان أعضاء الفريق يحتدمون اهتياجاً، وهبّ الجمهور يهتف استحساناً. لقد حول ستيفنز أمسية بائسة لفريقه واحدة من تلك اللحظات الرياضية التي لا تنسى.

**تربية صارمة.** ديفيد لي ستيفنز معجزة في التصميم الشجاع. خلال الستينات استعملت عدة نساء حوامل، بمن فيهن ام ديفيد، عقاراً يدعى "تاليدوميد" لمعالجة غثيان الصباح.



Photo: © Daniel G. Endy

وعلمت بعد فوات الاوان أنه يسبب عاهات حادة في المولود الجديد. وولد ديفيد من دون وركين. وحيث يفترض ان تبدأ رجلاه كانت هناك قدمان فقط.

تخلت عنه والدته فوراً وعرضته للتبني. لكن قلة من الناس ترغب في تبني اطفال ذوي عاهات ناجمة عن الثاليدوميد. الا أن بي ستيفنز وزوجها بيل كانا يحبان الاولاد، وكانت لديهما ابنة في الرابعة عشرة اسمها شيري، وكانا يريدان ابناً. اخذا ديفيد كربيب، وبعد مضي ثلاثة أشهر تبنياه. وكان بيل ستيفنز يعمل سائق شاحنة، ولم يكن ذا مال وفير وقد حذّر آل ستيفنز من أن تربية ديفيد تستلزم أموالا طائلة، وأن ديفيد قد يمضي حياته في كرسي للمقعدين، وربما كان متخلفاً عقلياً. وعلى رغم ذلك تبنته العائلة.

لا تتذكر شيري أن أخاها أبدى أي اشارة الى ضعف عقلي، بل انه حاول أن يدب قبل معظم الاولاد في سنه. تقول: "كان رد فعلي الغريزي ان اساعده، لكن والدتي كانت تصر على ان يتعلم القيام بأموره بمفرده. وسرعان ما صار يعدو في أرجاء المنزل. كان طفلا سعيداً."

مارس بيل وبي ستيفنز على ديفيد ذلك النوع من التربية الصارمة التي ترسم حياة كثير من الناس الناجحين. فرضا عليه قواعد صارمة في التصرف، كما حضناه وأحباه. كانا أول من اخبره أن معظم الناس يولدون بأرجل، أما هو فلم يولد كذلك، وأن عليه مواجهة الحياة كما هي ومحاولة الحصول على أفضل ما يمكن أن تقدمه اليه. كانا مصممين على جعله لا يعتمد على أحد الا في الحالات الضرورية، لذا رفضا وضعه في كرسي المقعدين. ولدى بلوغه الثالثة أخذ الى مستشفى شراينرز للاولاد المقعدين في سالت ليك سيتي، ووُضع في جهاز يشبه السلة، مجهز بساقين ثابتتين لتعطياه الطول التقريبي الطبيعي لمن هم في مثل سنه. وكان كلما كبر أبدلت الساقان بأخريين أجد وأطول.

**في الملعب.** عندما بدأ ديفيد حياته المدرسية بدا واضحاً انه كان قائداً، اذ كان دعم عائلته غرس فيه ثقة بالنفس مدهشة. وعندما يتعين على رفقاء صفه التحضير لحدث خاص كانوا يعتمدون عليه في ادارة العمل. وكلما انضم تلاميذ جدد الى الصف طلب منه معلموه مصادقتهم وادخالهم الجو.

وفي سنته الابتدائية الخامسة، بعد سنوات من الدفع بواسطة يديه وذراعيه، أصبح جسمه على درجة عالية من النمو. كان في امكانه ان يقبض على قضيب افقي منصوب ويرفع جسمه ٣٥ مرة حتى يصل ذقنه الى مستوى القضيب، محطماً رقماً قياسياً في مدرسته. كما كان يقطع مسافة ٤٦ متراً في سباق قصير في ١٧،٥ ثانية وهو يعدو كعنكبوتة على يديه وقدميه.

وذات يوم اعطاه صديق قفاز بايسبول (كرة القاعدة) فتعلق ديفيد بهذه اللعبة. ولم يلبث ان تعلق بالرياضة عموماً. وأصبح هدافاً مميزاً في فريق هوكي ربح ١٤ مباراة وخسر ثلاثاً.

كان يحرس مرمى كرة القدم على



ركبتيه، لكنهُ كان يخلع ساقيه الاصطناعيتين ليلعب كرة السلة. وفي المرحلة الدراسية المتوسطة كان عضواً في فريق كرة السلة. يقول: "لم أكن من لاعبي الهجوم، اذ كان من السهل صد ضرباتي. لكنني كنت قوياً في الدفاع، استطيع الاقتحام بين أرجل اللاعبين وسرقة الكرة منهم."

عندما أنهى ديفيد المرحلة المتوسطة قرر أهله الانتقال الى بلدة ويتمان في أريزونا حيث سُجل في مدرسة ويكنبرغ الثانوية. شعر ديفيد بالوحدة بعدما ابتعد عن أصدقائه. لكنه أدرك أخيراً أن عليه التكيف والظروف والا فلن يقبله العالم.

طلب اذن أمه في ممارسة لعبة كرة اليد، فقالت ضاحكة: "طالما ظننتُ أنك لا تستطيع ممارسة هذه الرياضات، وكنت كل مرة تثبت أني مخطئة. وهذا يزيدك قوة."

عندما ظهر ديفيد على أرض الملعب بقميصه الرياضي وسرواله القصير صعق فيكتور سميث مدرب منتخب الجامعة وبدا عليه القلق. يقول سميث: "لم أصدق ان في امكانه اللعب، ولم يكن يسعني أن أقضي كل وقتي مهتماً به. وكل ما تمنيته هو الا يصاب بأذى. كان ديفيد يُرى وسط كل شيء، يصد الهجمات ويمسك الخصم الحامل الكرة ويمرر الكرة الى زملائه. كان يرفض أن يتراجع، وكان يفعل حسناً كلما سنحت له الفرصة." وهو أظهر روحه المرحة عندما قال مازحاً انه يريد الرقم ١/٢ على قميصه.

**"أخرجوه!"** في المباريات كان لاعبو الوسط الذين يلعبون ضده يصعقون عندما يكتشفون أنهم يواجهون خصماً بلا ساقين. كان ديفيد يتفادى محاولات صده ويلاحق حامل الكرة مستعملا ذراعيه القويتين. وفي احدى المباريات استطاع أن يمسك الخصم الحامل الكرة سبع مرات من غير مساعدة أحد، كما استطاع أسقاط الظهير الربعي مرة.

وفي سنته الجامعية الثانية شارك في جميع مباريات منتخب الدرجة الثانية. وبعد ذلك لعب مع منتخب الدرجة الاولى لمدة سنتين.

كان سميث، وهو مدرب المصارعة أيضاً، يميز الرابح عندما يراه، فأقنع ديفيد بالانضمام الى فريق المصارعة. وفي محاولاته السبع الاولى هزم ديفيد بسرعة مما ثبَّط عزيمته. لكن مدربيه ظلوا يشجعونه ويعملون معه حتى تمكن في سنته الجامعية الاخيرة من ربح ٢٨ مباراة من أصل ٣٢. وهو سجل ٦٢ عملية اسقاط للخصم، وكانت هذه النتيجة

الافضل في تاريخ المدرسة الى ذلك الوقت، وأتى تصنيفها الرابعة في تاريخ المصارعة المدرسية في البلاد.

بقي سميث مقرباً من ديفيد الذي لا يزال يزوره. يقول: "لقد علمني درساً مهماً. فقبل معرفتي به كنت أتحاشى ذوي العاهات، فجاء هو ليبدل موقفي. أظهر لي أن ليس من سبب يدعو الى عدم الارتياح في حضورهم."

كان ديفيد لاعباً ماهراً في البايسبول أيضاً. وبسبب قصره (يبلغ طوله ٩٧ سنتيمتراً) كانت المساحة التي يستطيع أن يضرب فيها ضيقة جداً. وخلال سنته الجامعية الاخيرة سجل رقماً قياسياً على مستوى الولاية هو ٥٠٠ هدف. كان "يسرق" الاهداف مفاجئاً الجميع.

خلال احدى المباريات الكبرى حان دوره في الضرب، وكانت النتيجة متعادلة. فاذا بأحد المتفرجين المناصرين للفريق المنافس يشن هجوماً كلامياً صائحاً: "أخرجوه من الملعب بحق السماء! هل هذه مزحة؟ هذا عار على البايسبول!"

لم يكن ديفيد تعرض لهذا النوع من الاهانة في السابق. تمالك نفسه وتقدم نحو المكان المخصص للضارب. استمر التهجم اللاذع المهين. تطلع ديفيد نحو مدربه جو كنريك فرأى وجهه ممتقعاً. رفع المضرب بهدوء وقذف الكرة. وبعد لحظات وقف ملوحاً بقبضته في الهواء. لقد حقق نقطة وأخرس معذبه. وربح فريقه المباراة.

عندما كان ديفيد في السنة الاخيرة في المدرسة الثانوية تأثر أحد خريجي جامعة أوغزبرغ، ويدعى جوليان فوس، بأخلاقه وذكائه وطبعه، فقدم اليه منحة دراسية كاملة. ولكن بعيد دخول ديفيد جامعة أوغزبرغ توفي أبواه المريضان. كانت تلك أكبر ضربة تلقاها في حياته. لكنه لم يلبث ان رجع الى الجامعة وهو أكثر تصميماً على النجاح.

انه يتخصص الآن بالاعلام والاذاعة والى ممارسته كرة القدم، عمل مدرباً مساعداً لمنتخب الدرجة الثانية في كرة القاعدة. وهو يعمل ٣٥ ساعة في الاسبوع محرراً ومنتجاً في دائرة الرياضة في احدى محطات التلفزة المحلية.

يقول ديفيد بعزم: "أستطيع القيام بأي شيء ارغب فيه." وهو يرفض أن يصنف معاقاً. ولم يقبل بتقديم طلب للحصول على لوحة لسيارته تحمل شعاراً خاصاً بالمعاقين. يقول: "تلك هي للناس الذين يحتاجون اليها. انني أتابع دراستي بدوام كامل وأحصل على علامات جيدة، كما انني ألعب كرة القدم، وأمارس وظيفة بدوام كامل أيضاً. ان من يفعل كل ذلك ليس معاقاً." والعالم لا يشك في ذلك أبداً يا ديفيد لي ستيفنز.

جون هابل ■



ينبغي لكل جيل أن يتكسر كموجة عظيمة على شاطىء الماضي. فالشباب الذي لا يجمح هو عبء على تقدم شعبه.

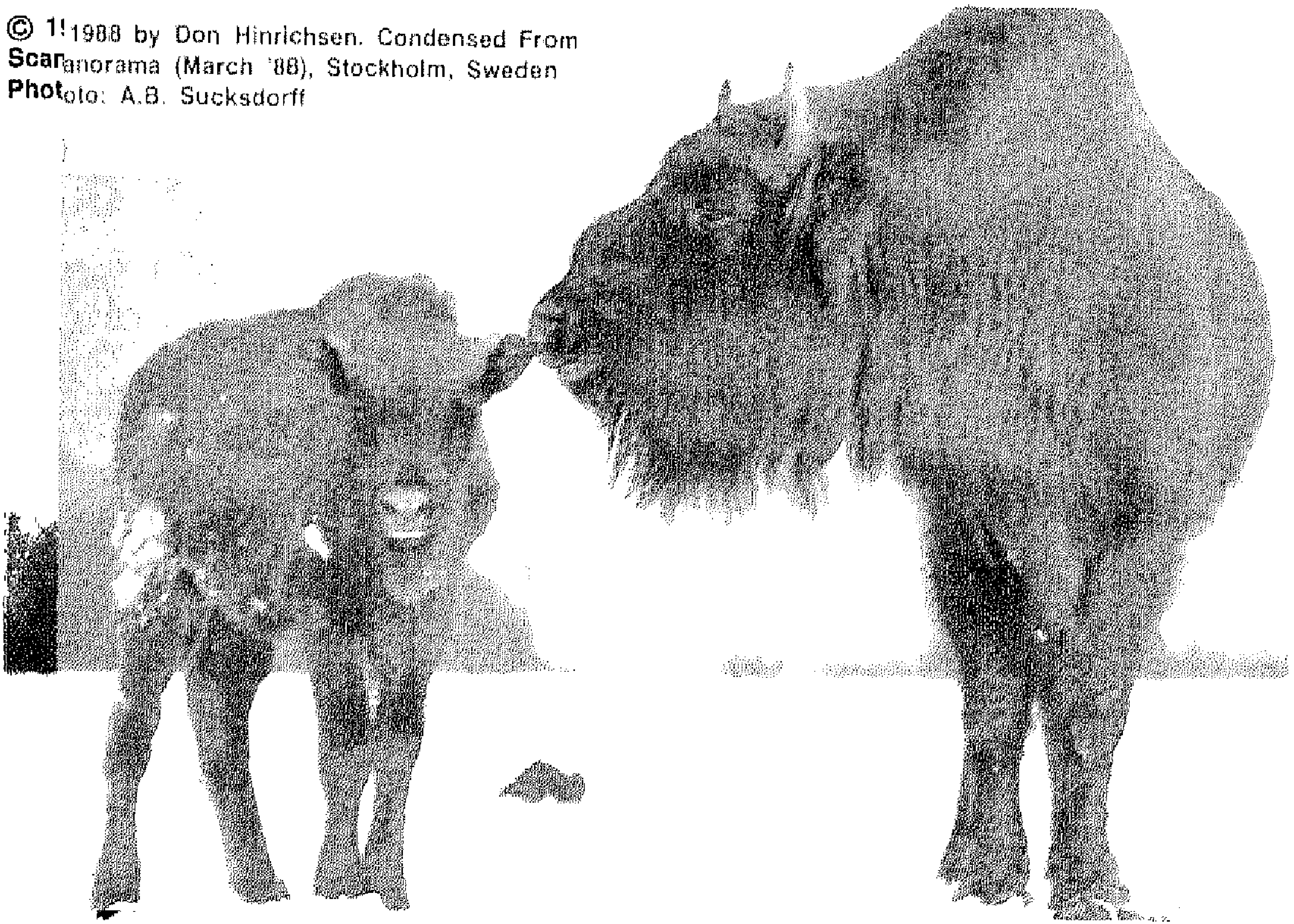
# الجاموس الاوروبي ينجو من الانقراض

## اضخم حيوان ثديي في أوروبا يعود الى مرتعه في هذه البرية بين بولونيا والاتحاد السوفييتي

انقضت بضع ساعات مذ انطلقنا بسيارة الـ"جيب" مندفعين عبر متاهة من الدروب الضيقة في الغابة، وبعضها لا يعدو كونه ثلمين في التربة الرملية الطرية. السائق عازم على تجنب الاخاديد التي قد تكسر محور العجلات والجذور المكشوفة التي قد تتسبب في الاصطدام بجذع شجرة مائلة. لذلك تشبث بعجلة القيادة بكلتا يديه كسائق في سباق. من العسير رؤية اي شيء من خلال الستارة الخضراء في الغابة الماكثة حولنا.

نتوقف بين فينة وأختها. نطفىء المحرك مصغين الى أصوات الغابة. وننصت بعمق لسماع صوت حيوان واحد





هو الجاموس (*) الاوروبي سيد غابة بيالوفيزا في بولونيا.

دليلي جيرزي داكيفيتش وهو رئيس مركز توالد الجواميس في المتنزه الوطني في غابة بيالوفيزا. تطاول من شباك السيارة وعيناه دامعتان من برد الصباح الباكر، وأجال نظره بحثاً عن علائم لهذه البهيمة البالغة الضخامة.

لشد ما يناسبني أن أسعى وراء هذا الحيوان الفريد في هذه البقعة الفريدة في العالم. وهي آخر غابة في أوروبا باقية على حالها البدائية، وتقع شمال شرق بولونيا وتنفرش على مساحة ١٢٥٠ كيلومتراً مربعاً من القفر على شفير الحدود البولونية - السوفييتية.

وبفضل نأيها وتمتعها بحماية الاسر الملكية البولونية وقياصرة روسيا، لم تمتد الفأس الى أقسام كبيرة منها. وهي تبدو اليوم كعهدها قبل ألفي عام حين كان البر الاوروبي فلاة غير آهلة.

**قطيع في الغابة.** حالما اعتادت عيناي الالوان الزيتونية للشجيرات المورقة وصلنا الى مرج مشمس بديع أطلّ من ظلام الغابة كواحة مشبعة بالنور واللون. وباشارة من داكيفيتش أوقف السائق السيارة. لقد عبر قطيع من الجواميس هذا السبيل قبل نحو نصف ساعة. والى آثار حديثة للحيوان، ثمة دلالات هنا وهناك من غصون مهشمة وجذوع عارية قشر لحاؤها وعشب مدوس وأوراق ممضوغة ومبصوقة.

سرنا الى أجمة كثيفة ونحن نخطو بتوق وحذر. انه موسم النزو، والثيران عدوانية شرسة الطباع. وما كنا نرغب في مواجهة ثور هائج في هذا الموقع المغلق. واذ خرجنا من الأجمة توقف المرشد بغتة. انحنينا لنلقي نظرة عبر غبش النبات. وعلى بعد ١٥ خطوة شاهدنا القطيع الذي كنا نقتفيه. وبعد برهة حددنا موضع الثور، اذ بدا جثمانه الهائل متوارياً جزئياً خلف شجرة. وكان كل ما في عهدته بقرات إناث.

كنا شديدي القرب منها فحدقت الينا كل عين. لكن القطيع لم يبال بوجودنا. واذ نهضنا للتراجع جنحت بقرة في اشارة جلية الى أنها منزعجة فشرع الثور يهزّ رأسه الكث. فهمنا مراده فتقهقرنا الى خارج حزام الامان قانعين بالجلوس والمشاهدة من بعد.

تخطل القطيع متكاسلا باستكانة، ولم تند منه حركة كثيرة اذ كان يخلد الى الراحة بعد التجمع طلباً للكلأ. وطعامه من الربيع الى الخريف يتألف من الأعشاب وأوراق الشجر والشجيرات، فضلا عن لذائذ أخرى كفطر العسل والبلوط. ومن دأب الجواميس التجمع للرعي من الفجر حتى الظهر، وتعاود ذلك عند الغسق، ملتمسة المأوى في الاجمات الكثيفة والبقاع المنعزلة من الغابة العراء، وذلك بغية هضم غذائها والاستراحة. أما الآن فقد اكتفى الثور من رؤية البشر مدة عشرين دقيقة، وأخذ يستنهض البقرات. فما كان منا إلا أن تراجعنا بعجل.

لاحقاً، في مقر المتنزه بقرية بيالوفيزا، علّل داكيفيتش احترامه لهذه الحيوانات الكسولة: "قد تبدو خرقاء غير

(*) Bison

مؤذية، لكنها قد تعدو في اثرك بسرعة تفوق ثلاثين كيلومتراً في الساعة، كقطار شحن، وتثب الى ارتفاع متر ونصف متر. إني أعني ما أقول، فقد تعقبتني غير مرة".

ومن الواضح أن هجومها مميت. فالثور يزن نحو طن ويبلغ ارتفاعه مترين، فيما يراوح وزن البقرة بين ٦٥٠ كيلوغراماً و٧٠٠ كيلوغرام. يقول داكيفيتش: "الفرار من أمامها غير مجد. ولكن ليتذكر المرء أن غالبية هجماتها لا يقصد منها القتل بل الانذار بالابتعاد".

**عراك حتى الموت.** الجاموس الاوروبي مفطور على الحياء والتنسك، مؤثراً عزلة الغابة على صحبة البشر. ومن بين نحو ١٠٠ ألف زائر يطأون المتنزه والغابة في بيالوفيزا لا يرمق سوى قلة جاموساً برياً. فمعظم الزوار يكتفون برؤية القطيع الصغير داخل حظيرة خاصة للتوالد، وهو اجراء احتياطي في حال نزول كارثة غير واردة في الحسبان بالقطعان البرية.

وسلوك الثيران تنسُّكي معظم أيام السنة، وهي لا تنضم الى قطعان البقر إلا حين النزو. وفي الفترة الواقعة بين أغسطس (آب) واكتوبر (تشرين الأول) تتزاحم كبار الثيران وضخامها على التزواج. واذ ينشب القتال تتعارك بضراوة حتى النهاية. وقد أخبرنا تشسلاف أوكولوف في متنزه بيالوفيزا الوطني: "انها، كالملاكمين الحسني التدريب، تسعى الى مواطن الضعف في خصومها وتعمل على استغلالها". وقد يدوم العراك اكثر من ساعة قبل مقتل أحد الثيران، أو اصابته بجرح بالغ، أو رضوخه بفعل الارهاق، فيتقهقر متثاقلا الى أن يتعافى وينخرط مجدداً في العراك.

والبقرات، بعد فراغها من النزو، تتألب معاً وتقوم بشؤونها في الفترة المتبقية من السنة. وتولد العجول ما بين شهري مايو (أيار) ويونيو (حزيران). وفي وسع الابقار التي تراوح أعمارها بين عامين و٣٠ عاماً أن تلد عجلا كل سنة. وترضع العجول حليب أمها الدسم بين ستة أشهر وثمانية، ويزيد وزنها بسرعة قبل فصل الشتاء. وينفق نحو ٢٥ في المئة من العجول في السنة الأولى من جراء الشتاء القارس في المنطقة، حيث تتدنى الحرارة الى ٣٠ درجة مئوية تحت الصفر. وتبلغ الجواميس حجمها الكامل في فترة تراوح بين ثماني سنوات وتسع. وهي تعمِّر ٣٠ عاماً كحد أقصى.

**حملة انقاذ.** هاجرت الجواميس الاولى الى أوروبا قبل عشرة آلاف عام آتية من مواطن أسلافها في آسيا. ولطالما آثرت المناطق الكثيفة الشجر. واذ استقرت أوروبا في السنوات الألفين الماضية، تقلصت أعداد الجاموس. فاختفى من بريطانيا وفرنسا في القرن الحادي عشر، وبات شبه منقرض في بقية أوروبا الغربية في منتصف القرن الثامن عشر. وفي مطلع القرن التاسع عشر كانت الجواميس الوحيدة الباقية في أوروبا كلها تعيش في غابة بيالوفيزا التي غدت محمية ملكية قبل نحو قرنين.

وفي الحرب العالمية الأولى احتلت الجيوش الالمانية بيالوفيزا وارتادت



الغابة بحثاً عن الاخشاب وزيت التربنتينا والراتنج. وخلال فترة الاحتلال، منذ العام ١٩١٥ حتى انتهاء الحرب، قتل الألمان قرابة ٦٠٠ جاموس في الغابة للافادة من لحومها وجلودها وقرونها. وبحلول العام ١٩٢١ لم يبقَ سوى جاموس واحد في الغابة، لقي مصرعه على يد أحد الصيادين. وبدا كأن الستار أسدل على المصير المحتوم لهذا الكائن البديع.

لكن علماء بولونيين، وعلى رأسهم البروفسور يان زتولكمان، قادوا حملة على نطاق عالمي لانقاذ الجاموس الاوروبي من الانقراض، وذلك باعادة ادخال هذا الحيوان غابة بيالوفيزا. وفي العام ١٩٢٣ أنشأت جماعة من العلماء البريطانيين والألمان والبولونيين والاسوجيين "الجمعية الدولية لحماية الجاموس الاوروبي". وبعد تنقيب وتقفٍ وافيين عثر على ٥٤ جاموساً في حدائق الحيوان والحظائر الخاصة.

ولكن تعيَّن الانتظار الى العام ١٩٢٩ حين تمكنت بولونيا من شراء بقرتين من أسوج (السويد) وثور من ألمانيا لتتناسل في الاسر. وفي العام ١٩٤١ أفرزت البقاع الأجمل في غابة بيالوفيزا كحمى خاص. وفي ١٩٣٢ أعلن افتتاح متنزه وطني على

Photo: K. Backstrom

مساحة حوالى ٤٧٤٧ هكتاراً من هذه البقعة الوادعة.

**خطر الانسان.** هناك أكثر من ألفي جاموس أوروبي في العالم اليوم، وينتظم أربعون في المئة منها في ٢٤ قطيعاً سارحاً في بولونيا والاتحاد السوفييتي.

لكن بقاء الجاموس معلق بخيط واه. وفي رأي تشسلاف بوتشيك رئيس معهد بحوث الثدييات في الاكاديمية البولونية للعلوم في بيالوفيزا: "كل الجواميس الاوروبية الاصيلة متحدرة من ١٣ حيواناً فحسب، ويعود ٤٦ في المئة من تركيبها الوراثي الى ذكر واحد وأنثى واحدة". ودلالة ذلك أن مستقبل هذه البهيمة يكتنفه الريب. كما أن اصابة الجواميس بمرض لا مناعة لديه ضده قد تمحق القطعان البرية.

ويضيف تشسلاف أوكولوف: "ان ما يشغل بالنا أكثر مما عداه هو تأثير الانسان على هذا الكائن. لقد تدبرنا الأمر في المتنزه العام في بيالوفيزا وغابتها لصون منطقة واسعة من الموطن الأصلي للجاموس. ولكن الى متى سنحفظ هذه البقعة القفر من غائلة الانسان؟"

وللابقاء على منطقة بيالوفيزا أرضاً برية أحيط المتنزه العام بنطاق واقٍ حيث لا يسمح إلا بنشاط زراعي وحراجي محدود. وقرية بيالوفيزا ذاتها التي يستخدم أهلها الفحم الحجري الملوث للتدفئة أيام الشتاء الطويلة، تود لو تفيد من خط أنابيب الغاز السوفييتي فتخفض من تلوث هوائها. وقد وضعت مشاريع لانشاء مصانع لمعالجة مياه المجاري المبتذلة لكي يتسنى استيعاب الاعداد المتزايدة من زوار المتنزه.

العلماء البولونيون مستبشرون خيراً بمستقبل الجاموس الاوروبي. وحقٌّ لهم، اذ بجهودهم نجا الجاموس من الانقراض. وما دامت غابة بيالوفيزا ماثلة ببهائها البدائي، وجهود صونها مستمرة، فثمة أمل أن يبقى ساكن الغابة متربعاً على عرشه.

دون هنريكسون ■



## رجل سهل الارضاء

وضعت النادلة أمام الزبون الجالس بقربي صحن البيض المقلي الذي طلبه، واعتذرت لأن عليه أن ينتظر الخبز المحمّص اذ انها أحرقته وستحمّص غيره.

فقال لها: "بل ائتيني بالخبز المحروق، فأنا أحبه هكذا."

– لكنه يكاد يكون أسود...

"ما همك؟ هذا مطلوبي."

وعندما أتته بشرائح الخبز المبالغ في تحميصها التفتت اليّ وقالت مازحة: "أخيراً وجدت الرجل الذي أستطيع أن أطبخ له."

ك.ك.

# إحياء مدينة رومانية

## لقد أحيي تاريخ المانيا في هذا الموقع الاثري الفريد

ظلت المدينة القديمة في المرج الواسع في منطقة الراين السفلي مقلعاً رفيعاً وملائماً. وقد بدأت أطلالها تزول عندما نقل غزاة القرون الوسطى حجارها لبناء بيوت وجسور وصرح رائع الجمال. ولم تمضِ فترة قصيرة حتى اختفى كل أثر للمدينة.

إلا أن "المدينة الضائعة" احتفلت بعودتها في صيف ١٩٧٧. واليوم تزدحم شوارعها بالناس الذين تأخذهم الدهشة أمام المدرَّج والاسوار العريضة. ويعجّ النزل بالركاب. لقد أنقذ التنقيب العلمي وإعادة الاعمار المضنية موقعاً تاريخياً فريداً في ألمانيا الغربية: مدينة كولونيا أولبيا تريانا الرومانية التي تعرف اليوم شعبياً بمتنزه كزانتن الأثري.

هذه المدينة القديمة التي بناها الامبراطور ماركوس أولبيوس تريانوس قبل نحو ١٩٠٠ عام هي الوحيدة في شمال جبال الألب التي تبرز تصميم مدينة رومانية. قال غاندولف برخت مدير المتنزه: "تذهب معظم الآثار الرومانية في ألمانيا ضحية قيام المدن الحديثة

فوقها. أما في كزانتن فيمكنك أن تعرف تماماً كيف كان المجتمع الروماني في ألمانيا القديمة."

**مدينة "عصرية".** لا يستغرق الوصول من كزانتن الى التحصينات الرومانية سوى خمس دقائق في السيارة. ومثل جميع الزوار أوقفت سيارتي في بستان ظليل كان في القدم مجرى لأحد روافد نهر الراين. وقبل أن تحوّل الفيضانات مجرى النهر نحو الشرق في القرن السادس عشر، كان النهر يجري على امتداد أسوار المدينة. كولونيا أولبيا تريانا هي اليوم محاطة باليابسة، لكنها كانت في الماضي مرفأ ناشطاً وكان كثير من زوارها يأتونها على متون السفن.

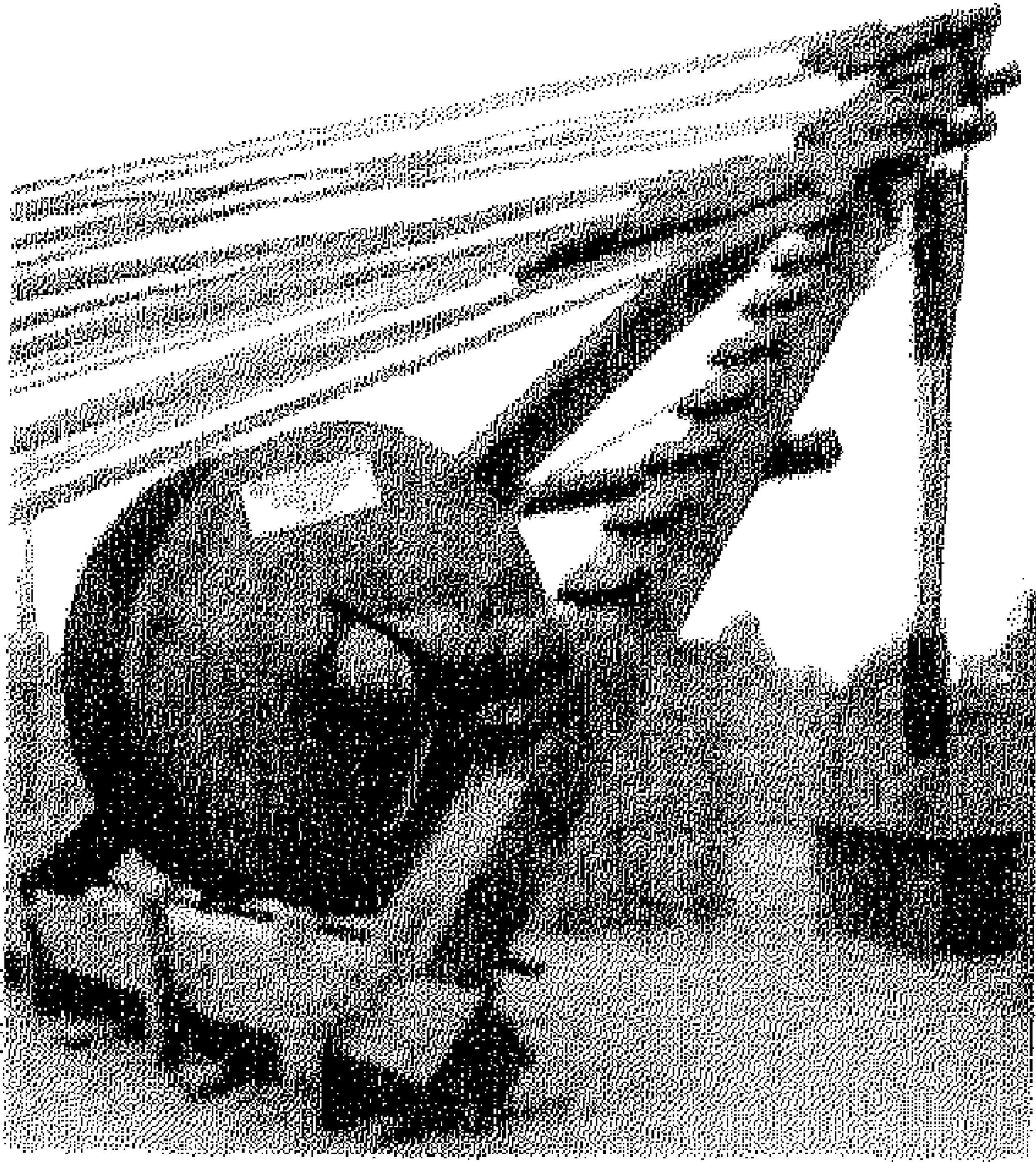
دخلت المدينة عبر بوابة المرفأ الصغير. السور المرمم جزء من التحصينات الاصلية التي كانت تمتد أربعة كيلومترات في شكل شبه مربع حول المستوطنة. ويرتفع السور سبعة أمتار، وهو بأبراج المراقبة والتحصينات فيه يوقع في النفوس اليوم رهبة تعادل تلك التي كانت تخالج القبائل الجرمانية التي عاشت في المنطقة.

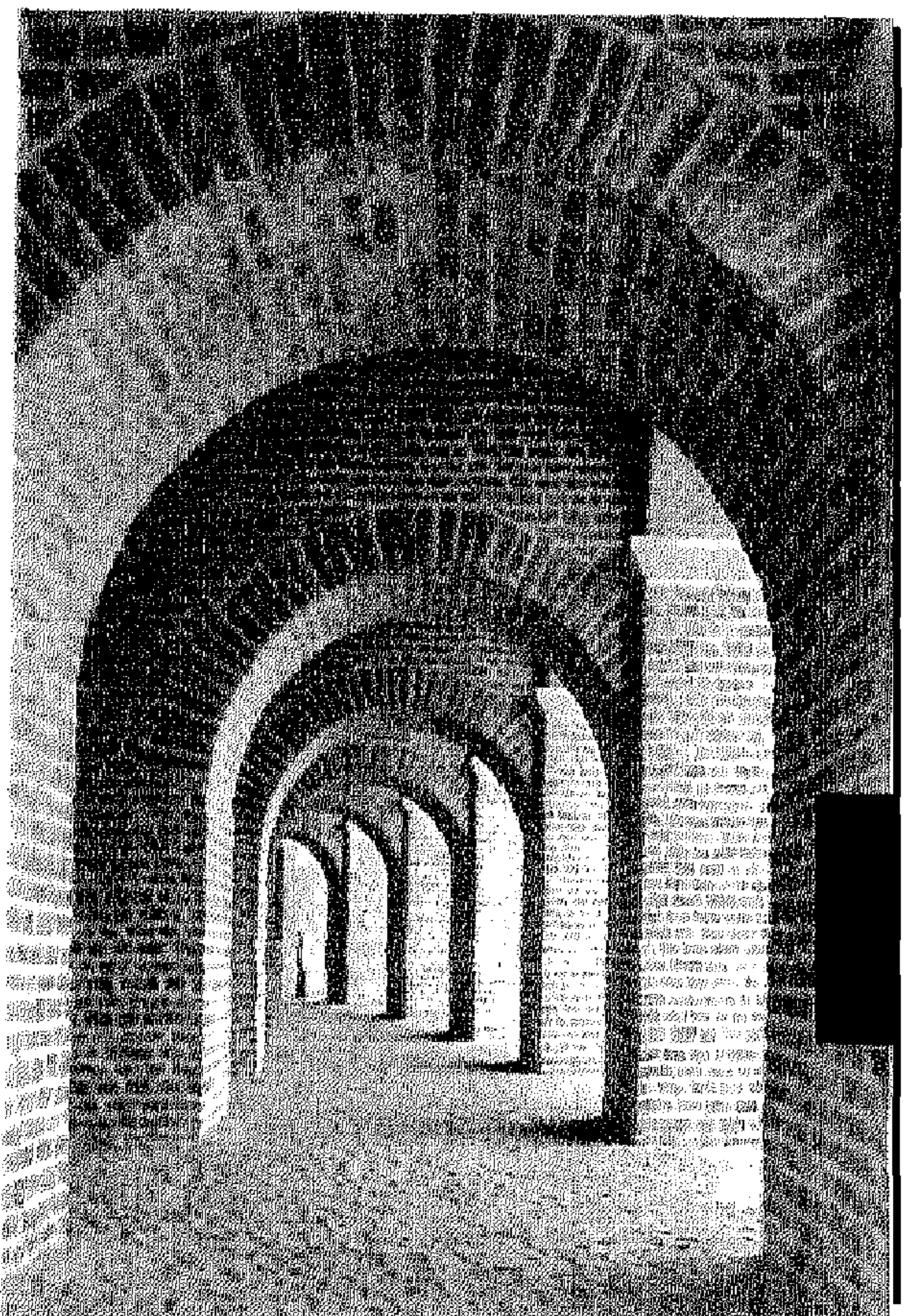
ولفتني بناء من طبقتين. انه مركز الاستعلامات الذي بني فوق جدران نزل روماني. ويؤمن هذا المركز كل ما يحتاج اليه المرء في تعرفه على المدينة، من مطبوعات ونماذج وعينات من الحجار وعرض لشرائح مصورة (سلايد) تعطي الزوار انطباعاً حقيقياً عما كانت الحياة في المدينة القديمة.

كانت لسكان كولونيا أولبيا تريانا مقاييس حديثة، اذ نجد في بيوتهم غرفة جلوس وغرفة طعام وغرف نوم وحمامات. ويبرز نظام للتدفئة المركزية قنوات لتمرير الهواء الساخن داخل السقف والجدران. وتحت الشوارع شبكة مجار، وهناك قطع من الأنابيب التي استخدمت لهذا الغرض معروضة في مركز الاستعلامات.

**وجبة رومانية.** سألت برخت: "كيف لعلماء الآثار أن يعرفوا ما إذا كانت أجزاء الجدران التي نبشوها تعود الى دكان أو بيت، وما إذا كان المبنى مؤلفاً من طبقة أو طبقتين؟" فأجابني: "اتبع المهندسون الرومان أسلوباً استعمارياً شبه موحّد. ويشبه تصميم أسس كولونيا أولبيا تريانا أسس المباني الرومانية التي اكتشفت في أمكنة أخرى في أوروبا، مما يجعل عملية الترميم سهلة نسبياً."

وما أن دخلت النزل الكائن في الطبقة الأرضية من مركز المعلومات حتى شعرت كأنني عدت الى العصر الروماني. فجدران غرفتي الطعام مزدانة برسوم زاهية الألوان مستوحاة من فسيفساء أنقاض فيرولاميوم شمال لندن. وسألتني نادلة ترتدي ثوباً رومانياً: "أتودُّ تناول طعام عصري أم روماني؟" فاخترت الروماني. ولم تنقض برهة حتى قُدم اليّ اللون الأول من الطعام، وكان يخنة فطر طيبة المذاق. أما الطبق الرئيسي فكان لحم عجل مع البصل. ثم جاءتني النادلة بحلوى الاجاص أكلتها بتلذذ. أما الشراب فكان مطيباً باليانسون وله مذاق سلس غريب. هكذا كان يفضله الرومان.







والمتنزه اليوم مركز ابحاث علمية بمقدار ما هو معرض تربوي. وفي أحد مواقع التنقيب رحت أراقب ستة طلاب آثار ينزعون بلطف طبقة سميكة من الوحل عن أساس جدار حجري عمقه متران تحت الأرض. وأشرف أستاذ على عملهم بعناية. وقد قال لي البروفسور كريستوف برنارد روغر في ما بعد: "الى الآن لم يُدرس سوى جزء صغير من المرج. سيحفر علماء الآثار في هذه المنطقة قروناً عدة".

إلا أن الترميم يعادل التنقيب أهمية. وتدل مجموعة من الأعمدة الكورنثية على اعادة بناء هيكل في المدينة. ويكشف نموذج رافعة خشبية كيف كان المهندسون الرومان يحركون صخوراً أو مداميك يصل وزنها الى خمسة أطنان لتثبيتها في أمكنتها.

**مجد داثر.** المستوطنون الأوائل في كولونيا أولبيا تريانا، الذين عاشوا قرابة العام ١٠٠ ميلادية، لم يكونوا بنائين بل جنوداً. فقد اتبعت روما سياسة بناء مدن جديدة كمواقع أمامية لامبراطوريتها الواسعة كما أمنت هذه المدن في الوقت نفسه مكاناً مثالياً للجنود الذين أحيلوا على التقاعد. وهكذا عاشت عائلات من أصل سلتيكي وجرماني جنباً الى جنب مع جنود رومان.

وتوقفت حروب التوسع بعدما أصبح نهر الراين يشكل الحدود الثابتة للامبراطورية. وبدأ عهد من السلام.

(فوق) شرفات المدرج تتسع لثلاثة آلاف مشاهد.
(في الوسط) نموذج لرافعة خشبية رومانية.
(أسفل اليسار) عالم آثار يكشف حائط أساس.
(أ [illegible]

وازدهرت تجارة نهرية وصلت ما بين الموانىء على طول نهر الراين من بال الى كولونيا.

ونمت المدينة التي في السهل. ولم تمض مدة قصيرة حتى بلغت مساحتها ٧٣ هكتاراً وبلغ عدد سكانها ١٥ ألفاً. وتقاطع فيها شارعان رئيسان هما كاردو مكسيموس وديكومانوس مكسيموس قسما المدينة أربعة أنحاء يضم كل منها عدداً من البيوت والابنية الادارية والحمامات الشعبية. وشيدت فيها هياكل رائعة.

وفي النصف الثاني من القرن الثالث كانت الجيوش الرومانية تتقاتل على خلافة الامبراطورية عوض أن تحمي الحدود. فاقتحم الفرنج المدينة ونهبوها. وبقيت المدينة بعد ذلك عشرات السنين بعدد قليل من السكان، الا أنها لم تسترجع مجدها الغابر. لماذا لم تُشيد أبنية على أنقاض المدينة في القرون الوسطى كما كانت الشعوب الاوروبية تفعل بالمستوطنات الرومانية في أرجاء أوروبا؟ ولماذا بنيت مدينة أخرى تبعد عنها مئات الامتار الى الجنوب؟

الجواب يكمن في مقبرة.

هناك أسطورة تقول انه في القرن الرابع قُتل جنديان رومانيان مؤمنان ودفنا في المقبرة خارج جدران كولونيا أولبيا تريانا. وما هي الا فترة وجيزة حتى أصبح قبرهما مزاراً. فأخذ المستوطنون الجدد معظم حجار المدينة القديمة لبناء مدينة كزانتن، ونما العشب فوق أسس كولونيا أولبيا تريانا.

ومضت قرون. وفي أوائل القرن التاسع

عشر عمد فيليب هوبن، الكاتب العدل في مدينة كزانتن وهاوي المغامرات، الى التنقيب عن معالم الحضارة الزائلة. وفي العام ١٨٤٠ أنشأ متحفاً قرب بيته عرض فيه النقود المعدنية والخوابي والمصابيح والمجوهرات ألتي عثر عليها خلال عملية تنقيب استغرقت ٣٠ عاماً. الا أن كل هذه القطع البالغ عددها ٤٥٠٠ بيعت في مناقصة فنية في كولونيا وتوزعت في مجموعات خاصة وعامة.

**ترميم المدينة.** انقضى نحو ٨٠ عاماً قبل أن يعاود متحف الراين في بون التنقيب في ذلك المكان. ونبش علماء الآثار حائط مدرَّج المدينة وأجزاء من المرفأ وأسساً وطرقاً في الجانب الشرقي من المدينة. الا أن الاوان كان فات لانقاذ كولونيا أولبيا تريانا. فقد اختارت الحكومة الجانب الغربي من المدينة مركزاً للتطوير الصناعي وبني مصنع للاسمنت.

وفي أوائل السبعينات خططت مشاريع لانشاء حديقة للرياضات المائية هددت مناطق أوسع من المدينة. الا أن روغر الذي كان يشغل منصب مدير التنقيب في كزانتن رد الهجوم متسائلا: "لمَ لا تخصص الاموال المرصدة لتحويل الانقاض الرومانية مجمعاً سياحياً؟"

وكان الفضول حول المدينة القديمة بلغ درجة كبيرة. فمئات الاشخاص يطوفون في المرج في نهاية الاسبوع وهم يلحّون في سؤال المنقبين عن آخر اكتشافاتهم. وأقنعت تصاميم المتنزه الاثري هايزن تراوتن المسؤول عن مدينة كزانتن، فنظم حملة حماسية لدعم الفكرة.

وجمع مبلغ أولي بلغ نحو عشرة ملايين مارك (نحو خمسة ملايين دولار) خصصت لشراء الارض وترميم المدينة الرومانية. وفي العام ١٩٧٣ وُضع الموقع في حماية متحف الراين في بون. وافتتح المتنزه الاثري في السابع من يونيو (حزيران) ١٩٧٧. وقد زار المكان منذ ذلك الحين مليونان ونصف مليون شخص أتوا لرؤية أعمال التنقيب والترميم. وخصص أكثر من ٤٥ مليون مارك (نحو ٢٣ مليون دولار) لاعادة بناء معمل الاسمنت المسلح ومزرعتين في مكان آخر.

مشيت على الجادة الرملية متوجهاً نحو المدرَّج. كان هذا المدرج البيضوي يتسع لـ١٢ ألف مشاهد يحتشدون لمشاهدة العبيد والاسرى والمجرمين يقاتلون دبباً أو ثيراناً أو يصارع بعضهم بعضاً. وقد تم اليوم ترميم الحلبة وعدد من المقاعد تتسع لثلاثة آلاف شخص. الا أن التسلية أضحت أكثر أماناً الان. فالمهرجان الصيفي السنوي يتضمن حفلات موسيقية وعروض باليه وهو أعاد الحشود الى المدينة.

أخبرتني الدليلة ماري لويز كريبر متذكرة عرض باليه "بحيرة البجع" لتشايكوفسكي: "كان القمر بدراً ونسيم عليل يهز شجر الحور. وتناهى الى السامعين قرع أجراس برج الساعة في كزانتن القديمة وكأنه جزء من المسرحية. كان ذلك رائعاً حقاً. ان المتنزه الاثري يجذب الزوار ويؤمن لهم كل المعلومات اللازمة. الا أنه، قبل كل شيء، يحمي جزءاً مهماً من تاريخنا".

روي فرغسون ■



# السرير الرقم ١٠

ملخص من كتاب

بقلم سو باير و ماري زيمث شوميكر

# السرير الرقم ١٠



**استيقظت سو باير ذلك الصباح في فراشها الوثير في منزلها الخاص في هيوستن بولاية تكساس. وما ان مرّت ٤٨ ساعة حتى وجدت نفسها مقعدة في غرفة "العناية الفائقة" في السرير الرقم ١٠. كانت رهينة مرض فاتك نادر الحدوث، أعجزها عن الكلام والتنفس والحركة.**

**وتركز تفكيرها على أمر واحد: أين تجد القوة والايمان للتحرر من سجن جسدها؟ هنا روايتها.**

شعرتُ بوخز خفيف في أصابع قدميّ فلم أر في ذلك ما ينذر بالخطر، لكنه كان شعوراً غير عادي. ولم يكن لدي في ذلك الصباح متسع للقلق اذ كان علي الذهاب الى مدرسة ابنتي الثانوية بصفتي المسؤولة عن "الامهات المتطوعات" هناك.

تساءلت عما يسبب الوخز في أصابع قدميّ. وطمأنت نفسي أنْ لم يكن هناك طبعاً أي داع الى القلق. وفيما أكمل زوجي بيل حلاقته ارتديت ثيابي وأكملت هندامي ونزلنا الى المطبخ لتناول فطور الصباح.

سكبت لبيل كوباً من عصير الليمون وآخر لي، وتناولت علبة رقائق الذرة من الخزانة وبدأت تحميص الخبز. ثم رشفت العصير بحكم العادة.

واذا بي أحس العصير يحرق لساني وشفتيّ. فقلت في فكري: يا للغرابة!

واكتمل تحميص الخبز فدهنته بالزبدة وحملت الأطباق والرقائق والخبز المحمّص والعصير الى الطاولة. ورشفت من العصير ثانية فشعرت بالحريق كالمرة الاولى. فرأيت في ذلك مجرد وهم من ثمار خيالي. وكيف لا وقد حضّرت العصير في الليلة السابقة.

راقبت بيل وهو يشرب عصيره فسألته: "هل تجده حسناً"؟ فنظر الي مندهشاً، فأضفت: "انه يحرق لساني وشفتيّ."

فقال: "أما أنا فأجده ممتازاً."

ثم تذوقت الرقائق فوجدتها طبيعية.
غادر بيل البيت الى عمله، وتمنّيت لو لم يكن ذلك النهار يوم الاثنين. لقد كان أمامي عمل مرهق بعد عطلة نهاية الاسبوع، وساءلت نفسي علامَ انخرطت في صف المتطوعات.
كانت الساعة السابعة والدقيقة الخامسة، فجمعت الاطباق ووضعتها في غسّالة الصحون وهرعت فارتديت ملابسي.
انه الاول من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٠، وكان هواء الصباح في هيوستن عاطراً لدى توجهي الى المرأب. ضغطت دواسة الوقود فأحسست الوخز في قدميّ. وتوقفت في المحطة لتزود الوقود، وتحدثت مع العامل هناك، لكن افكاري كانت بعيدة عن التركيز. هززت رأسي وأخذت أفرك أصابع يدي لأوقف الوخز الذي بدأ فيها هي أيضاً، وحرّكت كذلك أصابع قدميّ.
في المدرسة عبرت القاعة الرئيسية الى المكتب، فبدا الرواق أكثر عتمة من المعتاد مع أن كل المصابيح كانت مضاءة. وبدت القاعة أطول مما عهدتها.
شعرت بالارتياح حين جلست في مكتب المتطوعات. أخذت بطاقتي التعريفية ورحت أصارع دبّوسها الذي أبى أن ينغرز في سترتي. وأحسست فجأة تعباً شديداً عزوته الى الطقس والى الاسترخاء في عطلة نهاية الاسبوع.
اشتد الوخز في أصابع يدي وقدمي وأصبح أكثر الحاحاً، انما لم يكن لدي وقت للتوقف والالتفات طويلاً الى هذه المضايقات. فانهمكت في تلقي الاتصالات ونقلها وتسجيل الملاحظات والرسائل. وكان رنينُ الهاتف متواصلاً، وشعرت بأن قدرتي على الكتابة تزداد صعوبة.
وما ان أزفت الساعة العاشرة حتى تعذر علي الاستمرار في تجاهل حالتي. نهضت الى حجرة الاستراحة كي أدعو احدى المعلمات لتلقي اتصال هاتفي، ووجدتني أجاهد بقوة للعودة الى مكتبي.
رحت أراجع أسماء الاطباء الذين وعتهم ذاكرتي. ولم يكن لعائلتنا الا طبيب أطفال وطبيب نسائي لا حاجة بي اليهما ذلك النهار. فمرّ في فكري طبيب والدتي الدكتور لوهمان الاختصاصي بالطب الداخلي، وكانت عيادته قريبة وهو يعرفني اذ كنت أرافق أميّ.
اتصلت بزوجي وقلت له: "انني لست على ما يرام، وأراني في حاجة الى طبيب."
وما هي الا دقائق حتى وصل بيل، وتبعه الدكتور لوهمان الذي عاينني للحال. وأظهر الفحص أن كل شيء كان طبيعياً مما أدهش الطبيب. لكنه وجد مفتاحاً للحل حين ذكر بيل أنني في الاسبوع المنصرم أصبت بفيروس معوي. فاستنتج الطبيب أن علتي ربما كانت جفافاً (١) أو اختلال توازن في الذوائب الكهربائية (٢). فوصف لي الراحة وتناول

---

Dehydration (١)
Imbalance of electrolytes (٢)

الكثير من السوائل، وأضاف: "اذا لم تتحسن حالتك قبل الخميس فسنجري بعض فحوص الدم."

وكانت أمي تسكن في الجوار، فذهبت الى منزلها لقضاء فترة ما بعد الظهر، وخلدت الى الراحة بحسب توصية الطبيب.

في ذلك المساء حضّرت ابنتي اليزابيت طعام العشاء، وسرعان ما انقضت السهرة. ولم أجد صعوبة في صعود السلم الى غرفة النوم. وارتحت في سريري متيقنة أنني سأستيقظ في الصباح معافاة تماماً وقد زال كل احساس بالوخز.

وفي الصباح عندما رن جرس المنبّه نهضت نعسانة وتوجّهت متثاقلة الى الحمام. وما ان تناولت كوباً من الماء وحاولت الشرب حتى وقفت مصعوقة والكوب في يدي. كنت عاجزة عن البلع.

## عالم كوابيس

أسرع بي زوجي الى المستشفى حيث كان الدكتور لوهمان حجز لي سريراً. ناولتنا الموظفة المسؤولة الاوراق المطلوبة وناولتني قسيمة لتوقيعها. لكن يدي جمدت بالقلم فوق القسيمة وعجزت عن التوقيع. فهتفت في سري: ما الذي أصاب جسدي يا ترى؟

أقبل تقنيون وممرضات الى غرفتي وضبطوا وزني وحرارتي وضغط دمي. وتأخر وصول الدكتور لوهمان الى الحادية عشرة بسبب انتظاره نتيجة الفحوص التي لم تنبىء بشيء. فطلب الدكتور مونكيل لاستشارته في أمري، وهو طبيب أعصاب بارز.

وطوال النهار حاولت الممرضات حملي على الاكل والشرب، ولكن من دون جدوى فقد عجزت عن ابتلاع أي شيء. وجاء الدكتور مونكيل أخيراً في السابعة مساء، وكان مؤكداً أنه سيحل لغز علّتي. فدقق في ارتكاساتي العصبية التي رآها حسنة، ثم وخزني بدبوس. قال: "في هذه المرحلة يمكنني أن أقدّر العلة بأحد ثلاثة: تصلّب مضاعف أو وهَن عضلي أو متلازمة "غيان - باريه" (٣). وعلينا الانتظار الى الغد لاجراء فحص لسائل النخاع الشوكي، وبعد ذلك نعرف السبب".

واذ غادر الطبيب أخذت أردد أسماء العلل التي ذكرها، وكل منها يثير الهلع. فجأة أظلمت الدنيا في عيني وكأني غرقت في برد وظلام. فتطلّعت الى الليل في الخارج وهتفت في أعماقي: يا الهي، أريد الذهاب الى البيت. واعترتني رعدة فطوقني بيل وقال لي ونحن نغالب دموعنا: "سيكون كل شيء حسناً، أنا أعلم ذلك".

في العاشرة والنصف دخلت رئيسة الممرضات وقالت بكلمات مدروسة: "أرى من الافضل يا سيد باير أن ننقل زوجتك الى غرفة العناية الفائقة".

سمعت عبارة "العناية الفائقة" فهتفت جزعة وقد كاد يخونني النطق: "لا، بحق السماء، لست في حاجة الى العناية الفائقة". ورجوت الممرضة وبيل أن يستجيبا لطلبي.

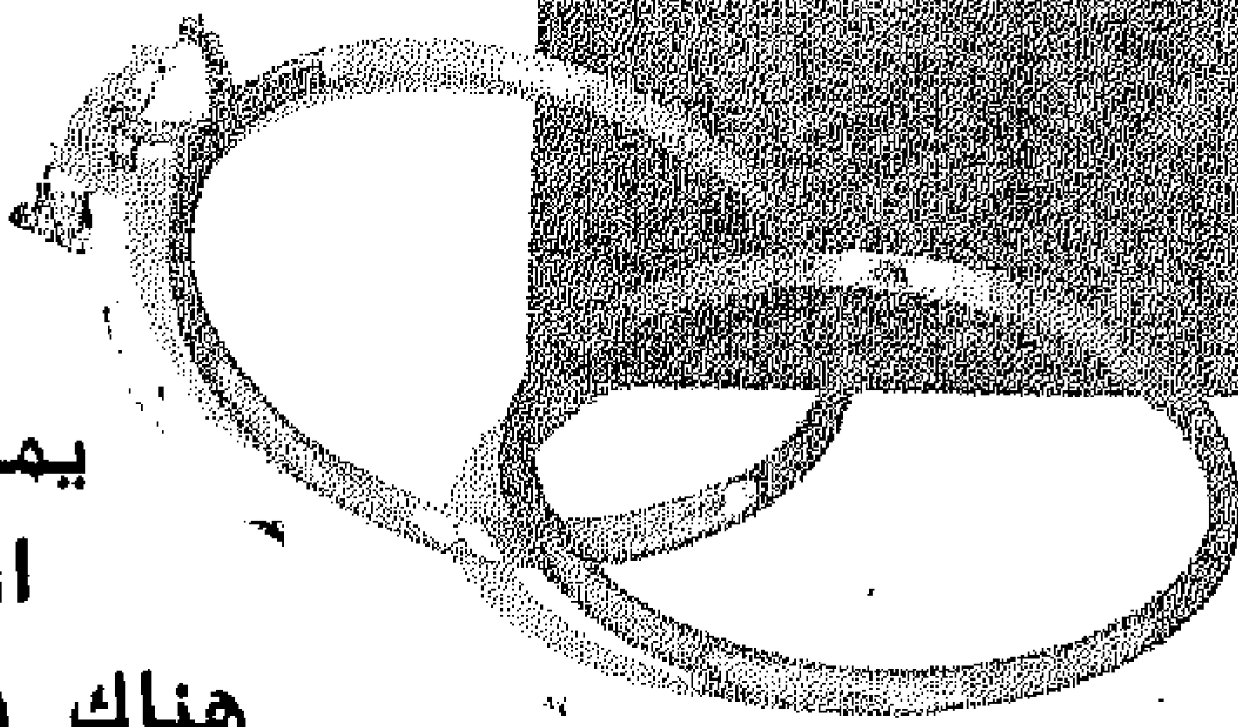
(٣) Multiple sclerosis, myasthenia gravis, or Guillain — Barré syndrome



قلت له: "اذا نُقلت فلن تستطيع البقاء معي." فهمس: "لا بد من ذلك، فقد عجزت عن الاكل والشرب طوال النهار. يجب أن تنقلي الى هناك لكي يتمكنوا من الاعتناء بك."

أحسست كتلة من الضيم تتكون داخلي اذ جمعت أمتعتي وقدمت الممرضة بكرسي لمقعدين جلست فيه. وسرنا في القاعات الساكنة الخافتة الانوار كأننا نسير تحت أجنحة الموت.

فتح بيل الباب الى غرفة العناية الفائقة. فتطلعت حواليّ فرأيت عدداً من الأسرة في مهاجع صغيرة مجزأة على امتداد جدران غرفة كبيرة. وكل من المهاجع مفتوح على الغرفة الرئيسية حيث مركز التمريض. وكان المرضى في معظم الاسرة مربوطين الى أدوات وآلات، وهسيس أجهزة التنفّس يملأ المكان. وعلى رغم صلاتي الحارة أن أعفى من الاحتجاز هناك فقد وضعت على سرير كتب فوقه رقم على الجدار.



تلك كانت بداية حكايتي مع "السرير الرقم١٠".

قال لي ممرض شاب اسمه بروس وهو يساعدني الى سريري: "سأكون ممرضك في المناوبة المسائية. عليك الآن أن ترتدي قميص نوم". والتفت الى بيل قائلاً: "يمكنك أن تأخذ جميع أمتعتها الى البيت. فهي لن تحتاج الى شيء ما عدا فرشاة أسنان".

حين عاد بروس طلب مني أن أستلقي. وتناول أنبوباً بلاستيكياً وأولجه في حلقي. فتقيأت، فأخرجه قائلاً: "أريدك أن تعرفي تماماً ماذا سنفعل حين تسوء حالتك".

لم أصدق أن ما حلّ بي حقيقي. فلا بد من أنه مجرد كابوس رهيب. وطلب مني بروس أن أنزع خواتمي. فرجوته أن يستثني خاتم الزواج الذي لم يسبق أن نزعته. فرفض جازماً: "عليك أن تنزعيه هو أيضاً".

نزعت خواتمي والغصة تملأ قلبي. وكدت أنفجر باكية حين أعطيتها زوجي من دون أن

أقدر على التطلع اليه. فجمعها في كيس أعطاه اياه بروس، وهمّ بالانصراف.

استبدّ بي الجزع لمفارقة بيل وعصفت بي المخاوف. فهو كان حصني الأمين وملاذي والصخر الذي ألقي عليه رجائي وأستمدّ منه قوتي وأهرب اليه فأدفن فيه خيبتي وكآبتي. لقد فوجئنا بما جرى وكأنه من نسج الوهم والخيال. أما الآن فقد حان موعد ذهاب بيل، وهو أمسك يدي وألقى علي نظرة أخيرة ورحل. فغلبني اليأس وشعرت بفراغ هائل كأن كل ما في العالم رحل معه وانتهى.

## لا شيء يتحرك!

في الصباح التالي أخذت عينة من السائل الشوكي في عمودي الفقري. ثم أدخلت احدى الممرضات قثطرة (ميلاً) في مجرى البول، ووُصلتُ بأنبوب حقن وريدي لتغذيتي.

وصل بيل في الحادية عشرة والنصف قبل الظهر. فحاولت الجلوس لكنني عجزت عن ذلك. وقبلني فأردت أن أقول له "اني أحبّك"، لكن شفتيّ بقيتا مطبقتين لأن الشلل كان يتعاظم باطراد. خفض بيل بصره وقال بصوت متهدج: "اتصل بي الدكتور لوهمان وأطلعني على نتيجة التشخيص. إن مرضك، يا عزيزتي، هو غيان - باريه".

وتابع: "ليس لدي كثير من المعلومات عن هذا المرض، ولست واثقاً بأن هناك من يعرفه جيداً. يقال انه نادر الحدوث. وقد عرف الدكتور لوهمان حالة واحدة أخرى، وكانت خفيفة الوطأة. لكن حالتك قد تكون أشد خطورة".

فندت عن شفتيّ كلمة "لا!" طويلة، خفيضة، مثقلة بالرهبة. "لا!لا!لا!"

فشبك بيل يده بيدي بحنان وقد بان قلق شديد في محياه وأضاف، محاولاً طمأنتي: "مررت بالممرضة المداومة في شركتنا، فقرأت لي ما جاء في أحد كتب الطب عن مرض غيان - باريه، وهذا مفاده..."

وأخرج ورقة من جيبه وقرأ: "انه التهاب يصيب الاعصاب، ويأتي عادة على أثر عدوى سابقة كالفيروس المعوي الذي أصابك. وهو يحدث شللاً، بدءاً بالرجلين صعوداً الى أعلى بسرعة".

يجيز قانون زيارات المرضى في غرفة العناية الفائقة ثلاث زيارات في اليوم تدوم كل منها ١٥ دقيقة. وانتهت مدة زيارة بيل فقبلني مودعاً وقال انه سيعود في الخامسة والنصف مساء بصحبة أمي وابنتنا اليزابيت.

تساءلت عن مدى قدرة والدتي وابنتي الصغرى على مواجهة كل هذه المشاكل. وكنت وزوجي قررنا ألا نطلع ابنتنا الكبرى كاترين على خطورة مرضي، اذ كانت عاكفة على التحضير لامتحانات الفصل الدراسي الأول في الجامعة.

أما الآن فلن أزيد من قلق والدتي وابنتي الصغرى، وسأحاول جهدي أن أظهر مبتهجة لدى قدومهما لزيارتي.

حين دخلت اليزابيت غرفتي كانت تبتسم مؤكدة لي بابتسامتها الدافئة الصادقة أنني سأشفى. لكن ما بدا على وجه أمي لم يخف علي.

كانت أمي متصفة دائماً بالقوة ولكن في تلك اللحظة كانت صدمتها لرؤيتي أقوى من أن تحتمل. فاستأذنت بحجة رغبتها في افساح مكان لبيل. وشاهدتها تخرج مصعّدة آهات صامتة والحزن يحني قامتها.

بعد مغادرة أهلي الغرفة دخلت ممرضتان تجران عربة محمّلة رزماً وأنابيب بقصد ربطي الى جهاز تنفس اصطناعي. فأولجتا أنبوباً في انفي وصولاً الى رئتي لتسهيل التنفس.

الى هذا الدرك اذاً بلغت اصابتي. لكني كنت منهكة الى حد جعلني لا أبالي.

استيقظت بعد ساعات فهالني ما أنا فيه. كانت رقبتي مرتخية ورأسي منحرفاً جانبياً، وسمعت صوتاً غريباً عرفت أنه صوت جهاز التنفس. حاولت الكلام فلم يصدر مني أي صوت. واشتد ذعري اذ أدركت أنني لا أستطيع طلب النجدة.

كانت احدى الممرضات اتصلت ببيل وأخبرته أنني رُبطت الى جهاز تنفس، فاذا به يظهر فجأة قرب سريري ويسألني عما اذا كان الانبوب يضايقني. لكني عييت عن الجواب، فلم أقدر أن أحرك فمي الا بارتعاشة جانبية خفيفة. كذلك عجزت عن تحريك رأسي ويدي وأي عضو آخر في جسمي.

سيطر علي الخوف وغمرني الاحباط. وقرأ بيل ذلك في عيني المتسعتين هلعاً فقال لي: "انك تطرفين بعينيك. فهلا طرفت مرة واحدة علامة أنك قادرة على ضبط حركة جفنيك؟"

أرغمت نفسي على الهدوء. ثم طرفت عيني مرة ببطء.

فابتسم بيل: "حسناً جداً. والآن، يبدو أن فمك يميل الى جانب واحد. حاولي أن تحركيه. ثم اطرفي بعينيك مرة واحدة علامة قدرتك على ضبط ذلك أيضاً".

حركت فمي بجهد. ثم طرفت بعيني. فصاح بيل: "عظيم! ستعني طرفة عينيك أنْ نعم، وارتعاشة فمك أنْ لا. هل تتضايقين كثيراً من الانبوب في حلقك؟"

هكذا تمكنت من الاتصال ببيل والاجابة عن أسئلته الكثيرة. إنما كنت اتساءل بمرارة في قرارتي: ماذا لو فقدت القدرة على تحريك عيني وفمي؟ وكأن بيل أدرك ما يجول في خاطري فقال لي: "لنصلِّ يا سو."

أخذ أصابعي المشلولة وحنى رأسه على سريري وصلينا بصمت. فشعرت في تلك اللحظة الوجيزة بسلام وطمأنينة يغمران كياني.

## حروف الابجدية

صباح اليوم التالي تفحصت كل جزء من جسمي. فوجدت أن رجلي وأصابع قدمي لا تتحرك، وأني عاجزة عن تحريك رقبتي وفمي، وجذعي خامد لا يتحرك الا بفعل التنفس الاصطناعي.

فيا للمصيبة! كيف أقدر على التفاهم مع بيل وأنا عاجزة عن تحريك فمي؟ تسارعت دقات قلبي. انه لا يزال يخفق على الاقل.

عادني بيل في السابعة والنصف وسألني: "هل نمت جيداً في الليل؟"

فرفرفت جفني بفزع ظاهر.

فقال لي: "اطرفي بعينيك كما اتفقنا اذا كنت تعنين نعم، وحركي فمك اذا كنت تعنين لا."

ولما أعدت رفرفة جفني أدرك أني عاجزة عن تحريك فمي. فقال: "لنجرب هذا اذاً. اطرفي بعينيك مرة ايجاباً ومرتين نفياً."

وكرر سؤاله: "هل نمت جيداً في الليلة الماضية؟"

طرفت بعيني مرة، وتوقفت لحظة ثم طرفت مرتين.

فقال بيل مبتسماً: "نعم ولا. أليس هذا ما تقصدين؟" فطرفت مرة أن بلى.

مرّ الوقت بسرعة وحان موعد انصراف بيل فقال لي: "سأعود في الحادية عشرة."

وحين عاد أخذ يفرك يديه مبتهجاً. فعرفت أنه اهتدى الى فكرة مدهشة.

قال: "ان أجوبتك نعم ولا غير كافية. فهلا فكّرت في كلمة تودين أن تنقليها الي؟"

فأطبقت جفني لحظة طويلة علامة الايجاب، وانتقيت كلمة "حار." ومن خلال سلسلة من طرفات عينيّ مكّنت بيل من تهجئة الكلمة.

فكان سروره عظيماً وهتف: "حار! تعنين أنك تشعرين بالحرّ." وكنت فعلا أشكو من الهواء الحار الذي ينفثه جهاز التنفس قريباً من سريري.

ولمس بيل جبيني: "أنت ساخنة حقاً." ومسح العرق عن وجهي ورقبتي. "هل تريدين أن أنزع هذه البطانية عنك؟"

آه، نعم، أرجوك افعل.

سررت لمعرفتي أنني قادرة على التفاهم مع بيل وابلاغه ما أحتاج اليه. ونعمت بهذا السرور لبضع دقائق بعد انصرافه.

ثم دخلت الممرضة المناوبة لتضبط أنبوب التقطير الوريدي. فرأتني مكشوفة من دون غطاء فقالت: "لا بد أنك ترتجفين من البرد يا سو." ثم غطتني جيداً وانصرفت.

وخطرت لي فكرة نقلتها الى بيل بالتهجئة، مفادها أني في حاجة الى لائحة بأسئلة مكتوبة. ففكّر قليلا ثم وضح له قصدي. فسألني: "تريدين لائحة كتبت عليها أسئلة كي تستطيعي ابلاغ العاملين في المستشفى بحاجاتك؟"

أجبت بطرفة عيني. ونقلت اليه الكلمات - الاسئلة وهي: حار؟ بارد؟ أدِر الراديو؟ أسكت الراديو؟ أقلب؟ ويقتضي أن تكون جميعها أسئلة تجاب بنعم أو لا.

في اليوم التالي جاءني بيل ومعه لائحتي التي علقها على الجدار خلف سريري.

في الايام الاوائل لدخولي المستشفى أُخضعت لاجراءات صعبة غالباً ما كنت أتجنب مواجهتها بالهرب الى عالم الخيال والتمني. فيغيب عني الاطباء والممرضات المتحلقون حول سريري، وأرجع الى الماضي فاحتمي بعذوبة ذكرياته من مرارة الحاضر.

ها أنا أعود بالذاكرة فأرى نفسي قد أتخرج في جامعة ساذرن ميثوديست، وأعمل في دائرة المحاسبة في شركة "شل"، وأنضم الى فريق البولينغ في الشركة. وذات يوم

جمعة كنا نتبارى ضد فريق بين أعضائه لاعب يدعى بيل باير. فأغاظتني مهارته الهائلة اذ كان المجلّي دائماً، وفي كل رمية كان يسقط جميع القوارير الخشبية. الا أنه كان شاباً وسيماً فلم أتمالك عن الاعجاب به. وفي اليوم التالي فتشت في سجل الشركة لأكتشف شيئاً عن بيل باير...

سمعت طبيباً يقول لي: "سوف نشق الرغامى" (٤).

حاولت ألا أصغي، لكنني شعرت بابرة تخترق حنجرتي وبألم شديد ثم بخدر وأيد خشنة تعبث بي. فأغمضت عيني لاطرد هذا الواقع المؤلم. وامتزجت الاحلام بالحقيقة. واذا برؤية ضبابية بيضاء غامضة تهزني، وسمعت صوتاً يهتف بي: "سو... سو."

عدت الى واقعي، فرأيت الاطباء قد هيأوا أنبوباً طلبوا من أحد الممرضين ادخاله من أنفي الى معدتي. وحاول الممرض مرة بعد مرة أن يولجه من دون جدوى بسبب بثرة داخل أنفي. كنت كلعبة بين يديه، وكانت تلك اللحظات كابوساً رهيباً من العذاب والغضب والخوف. كل ذلك والممرض صامت كأبي الهول لا يتكلم ولا يطمئنني ولا يعتذر عما يسببه لي من ألم وشقاء، كأنه كان يعتبرني فاقدة الوعي. أخيراً، بعدما أسقط في يده، كفّ عن المحاولة وتولى أحد الاطباء العملية.

## الاستقرار

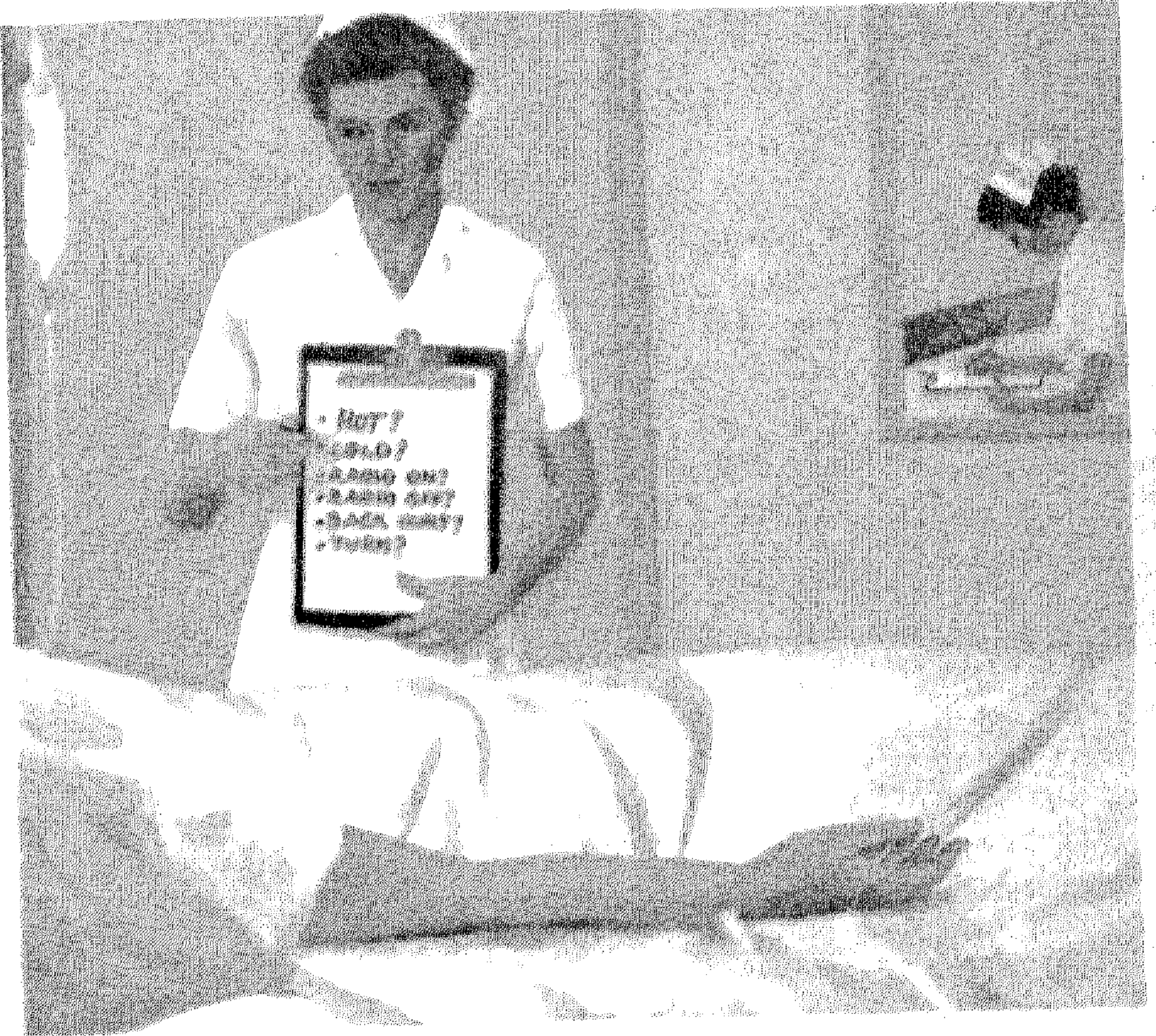
منذ ذلك الحين بتُّ أتلقى تغذية مكمّلة عبر أنبوب الانف – المعدة، وعبر أنبوب تقطير وريدي تحت الترقوة مغروز في كتفي بديلا من الانبوب الذي كان في ذراعي. كان وزني ينخفض على نحو مفرط، ولذا عمد الاطباء الى امدادي بالغذاء بأسرع ما أمكن.

وأصبح لدي أنبوب لكل وظيفة: أنبوب الانف – المعدة، والانبوب تحت الترقوة، وأنبوب التنفس، وقثطرة مجرى البول وأربعة مجسّات تصلني بأجهزة المراقبة في مركز الممرضات.

وكلما غادرني بيل في المساء كان الانقباض يعصر نفسي. فكم من ساعات فراغ مخيفة قضيتها وحيدة. وحين يتركني الممرضون كان ينتابني خوف شديد لعجزي عن التحرك وطلب المساعدة. ومن وقت الى آخر كان أحدهم يأتي ليقلبني أو يضبط أنبوب التقطير الوريدي أو جهاز التنفس أو يدفع بمحلول غذائي في أنبوب الأنف – المعدة. وكنت أرى حالي مفجعة حقاً.

لكني أخذت أعنف نفسي لانتفاء ما يبرر الاغراق في الخوف والقلق. فلدى الممرضات أجهزة للمراقبة، وهن يعرفن أني لست في حاجة الى شيء. وليس في وسعهن البقاء كل الوقت مع شخص مثلي عاجز حتى عن النطق. فقد يذهب ذلك بعقلهن. ثم ان الدكتور لوهمان يعودني كل يوم ويقرأ لائحتي ويصدر تعليماته. وهو يرى أن حالي مستقرة – أي أنها غير خطرة – وأن هذا المرض الوبيل يجب أن يأخذ مجراه. وعلى رغم ذلك كنت لا أزال خائفة.

(٤) الرغامى هي القصبة الهوائية.



بعد الدورات الصباحية كان الاطباء يجزمون بأن حالي مستقرة ولا تبعث على القلق. ووددت لو استطعت أن أصرخ في وجوههم: "هاي! تمهلوا لحظة، لو كنت مستقرة وفي حال حسنة فلا داعي الى ابقائي في غرفة العناية الفائقة."

تفرّست في وجوههم جميعاً وتساءلت هل بينهم من يهمّه الاتصال بي.

بعدما علق بيل لائحة الاسئلة فوق رأسي ازددت أملا، وأحسن بعض العاملين في المستشفى استخدامها ووجدوها مفيدة. لكن كثيرين منهم تجاهلوها كلياً. كنت في نظرهم كائناً صامتاً جامداً لا يعي شيئا ولا يحتاج الى شيء.

لكن الحظ كان يسعدني أحياناً، خصوصاً حين توكل العناية بي الى الممرضة فيكي. فهي كانت مرحة ممتلئة حيوية ونشاطاً ومنفتحة تود البوح بمكنونات صدرها. وفيما كانت تغسلني بالماء الحار والصابون كانت تضحك وتتكلم مع كل المرضى في الغرفة. كانت كشعاع دافىء ينسكب على حجيرتي المقفلة فينيرني ويبعث فيَّ الأمل. وهي أخبرتني عن زوجها وروت لي قصصاً مضحكة عن حياتها البيتية.

ومع الوقت توضَّح الامر لي. فعرفت أن وحدة العناية الفائقة ليست مكاناً لاقامة طويلة. والعاملون فيها مدربون على العناية بالحالات الفائقة الخطورة، وهم ليسوا مجهَّزين للسهر على حاجات مريضة طويلة الامد وعاجزة كلياً. فعاهدت نفسي، إن شفيت، أن أوفر مساعدة لمن هم مثلي: مرضى يائسون عاجزون عن الحركة سأتكلم باسم العاجزين عن التكلم على حالهم.

في المرة الأولى حين انطلق جهاز انذار التنفس اعتراني خوف شديد لانه كان قريباً جداً مني. في البدء كان الانذار يحرك الموظفين فيهرعون الي حالا. انما مع التكرار، ولدى معرفتهم أني "مستقرة"، باتوا يتباطأون غير مبالين كثيراً بطلباتي. وكانت أمور صغيرة تسبب انطلاق الانذار، كارتخاء المجسّ المرتبط بأنبوب الترقوة. وكانت صعوبة تحريكي حائلا دائماً دون بقاء المجسّات موصلة بالقوابس.

ذات ليلة رن جرس الانذار خطأ فيما كان الممرض بروس جالساً يدرس. فتطلع الي كأنه يقول: لماذا تزعجينني؟ وأتى ليضبط الجهاز فلم يجد أي خطأ فأعاد المجس الى مكانه.

وتكرر انطلاق جهاز الانذار وتكرر ضبط الموصل وعيل صبر بروس. فتركه أخيراً يرن في أذني قائلا: "إنك بخير، وعليك التكيف مع هذا الواقع."

وبعد برهة خلتها دهراً هرع اختصاصي بالتنفس الى حجرتي وسأل: "كم من الوقت مضى وجرس الانذار يرن؟ ولماذا لم يستدعني احد؟" وكان سؤاله موجهاً الي.

حين قدم بيل أخبرته بحادث جرس الانذار وبحوادث مماثلة وقعت في المستشفى ودلّت على عدم احساس العاملين بواجبهم الذي يدعوهم الى معاملة المرضى برفق وعطف وتلبية حاجاتهم. ولكن صعب على بيل تفهم خيبة المرضى من الاهمال واللامبالاة. فكيف يقدر ارتياح المرضى وحاجتهم الى أن يقلبوا حين يغلب عليهم التعب والوجع، لا عندما يحين الموعد المقرر لهذه الخدمة أو عندما يطيب لاحدهم أن يقلبهم بحسب مزاجه. فالمريض انما هو كائن بشري يحتاج الى الاستئناس بأمثاله. والاهتمام به ومؤانسته يشبعان رغبة عميقة في نفسه، فينتعش وتغيب عنه المرارة.

[illegible]

عادت كاترين من الجامعة. وكان بيل في حيرة من أمره كيف يهيئها لعيادتي. سيصدمها تحولي الشديد وكثرة الاجهزة والانابيب الموصولة بي.

صُعقت كاترين لدى وقوفها بجانب سريري. وجاهدت لاخفاء صدمتها وإن لم تصدق ما رأته عيناها. ولكونها تجيد التمثيل فقد غلّبت ارادتها. وبعد برهة صمت ابتسمت واشتركت معي بحماسة في تهجئة الكلمات. بعد أشهر أخبرتني والدتي أنها اجهشت في البكاء بعد مغادرتها المستشفى، وانهارت قائلة: "أنا لا أصدق أن تلك هي أمي."

وذات صباح جاء بيل ووقف صامتاً عند مؤخر السرير. كان في عينيه بريق وفي يده وردة. فاغرورقت عيناي، لكن نفسي أشرقت غبطة وحبوراً.

بعد زواجنا كنت دوماً ألمّح الى بيل أن ما من أحد قدّم الي ورداً. وبعد سنوات من التلميح العقيم أدركت أن تلك الطريقة لا تجدي أبداً مع بيل باير. فهو كان يحب أن يفاجئني. وأخيراً، في عيد فالنتين (٥) ذات سنة، أهدى الي ست غرسات ورد، احداها من نوع "تيفاني" وهي ذات لون زهري فاتح ويفوح منها أريج رائع.

رجوت ألا يتنبه الممرضون الى هذه الوردة المقطوفة من حديقة منزلي. وخشيت أن تؤخذ مني عملا بالنظام الذي يحظر ادخال نباتات حية الى وحدة العناية الفائقة لاحتمال تسببها في التلوّث.

ولحسن الحظ فات الجميع الانتباه الى الوردة اليتيمة بجانب سريري. وحرص بيل على احضار وردة ناضرة كل بضعة أيام.

وبعد أسابيع اسرّت الي ابنتي اليزابيث: "غالباً ما أرى والدي يدخل غرفتكما بعد العشاء ويختلي بنفسه. وأسمعه يبكي، فأقف أمام الباب أهم بالدخول. لكنني لست أعلم ماذا أقول له لاعزيه. غير اني أعرف أنك ستشفين. وهو يعرف ذلك أيضاً. أليس كذلك يا أمي؟"

نعم يا اليزابيث، انه يعرف. ولولا ايمانه بالله وبشفائي ومحبته لي لما استطعت التحمل ولما لاح لي أي أمل عذب.

## هدية ميلاد

ليلة الميلاد جاءني الثلاثة، بيل واليزابيث وكاثرين، تعلو وجوههم ابتسامات مشجعة ومعهم شجرة بلاستيك صغيرة لا يتجاوز ارتفاعها ٣٠ سنتيمتراً طولا. انها هدية الميلاد.

أثار في حنانهم حزناً لحالي. لكنني لجمت دموعي وحاولت الظهور مظهر الامتنان. وكان على بيل والفتاتين الالتحاق ببعض الاصدقاء لتمضية سهرة العيد. فاختصروا زيارتهم. لكنني وددت لو انهم لا يغادرونني أبداً.

كانت ليلة الميلاد سيئة جداً في ما اختص بي، اذ كانت الممرضة المناوبة جديدة وقليلة الخبرة ولا تفهم ما أريد نقله اليها بعينيّ. ودأبت على سؤالي وهي تقلبني مراراً وتكراراً عما اذا كنت مرتاحة. وأنا لم أكن مرتاحة في أي وضع رتبته لي. فقضيت ليلتي ساهرة أعد الساعات وأترقب فريق المناوبة الاكثر خبرة في الصباح.

في السابعة صباحاً قدم بيل ووالدتي واليزابيث وكاثرين ليتمنوا لي ميلاداً سعيداً. فسردت لهم ما عانيته طوال الليل من قلق وسهاد، فغابت عنهم أمارات البهجة التي أرادوا مواجهتي بها صباح العيد، وغامت وجوههم كمداً ورثاء لحالي.

كرهت نفسي لما فعلت.

وحين عادوا الي بعد ساعات كنت أكثر مرحاً، فانفرجت أساريرهم وراحت اليزابيث وكاثرين تحدثانني عن الهدايا التي تلقتاها. ولا شك في أن بيل كان يتذكر مثلي كيف كانت ابنتانا الصغيرتان تندفعان الينا لكي نرى هداياهما في العيد.

(٥) عيد فالنتين هو عيد العشاق.

وقدم زائرون آخرون لمعايدتي. وبعد المجاملات المعتادة أخبرني أحدهم وقد بدا مكتئباً: "ان صديقتنا نانسي تخضع أيضاً للمعالجة في وحدة العناية الفائقة بعد اصابتها بنوبة قلبية. ويحسن أن تصلي لشفائها، فلا ندري أتبقى على قيد الحياة أم لا."

أحزنتني حال نانسي التي كنت تلقيت منها بطاقة معايدة لبضعة أيام خلت. لكن مصابها حمل الي بعض العزاء لادراكي أنني لست الشخص الوحيد الخاضع للعناية الفائقة.

وزاد اهتمامي بمراقبة المرضى الاخرين الذين كانوا يدخلون وحدة العناية الفائقة من غرف العمليات أو من قسم الطوارئ. وتمنيت لو قدرت على الكلام لاشجع المستوحدين منهم وأبث فيهم الامل والثقة بالشفاء، خصوصاً بعدما ابتليت بالاهمال واللامبالاة واختبرت مبلغ الانتعاش الذي يشعر به المرضى حين يلقون في المستشفيات معاملة انسانية حقة مشمولة بالعطف والشفقة. لكني شعرت بالمرارة والاحباط لكوني مشلولة، وزادني احباطاً عجزي المطلق عن الحركة والكلام.

ومرت بذهني كلمات ذاك الصديق الذي طلب مني أن أصلّي لنانسي، فعلمت أني قادرة على الصلاة للمرضى هنا. وغمرني شعور جديد أنار ظلمة اليأس الذي عصر نفسي. فعلى رغم عجزي يسعني أن اكون عوناً للمرضى بالابتهال الى الله تعالى لشفائهم.



بعد مرور أسبوع فقط على دخولي وحدة العناية الفائقة بدأ يعودني رجل يرتدي سترة مختبر زرقاء وتعلو وجهه بسمة هي أكثر البسمات التي حظيت بها في حياتي دفءاً واشراقاً. كان الرجل يدعى تشارلز، وهو اختصاصي بالمعالجة الطبيعية. وقد منحته ثقتي منذ اللقاء الاول. وكان يأتي مرتين يومياً لمعالجة جريان الدم في جسمي، فيدلك يديّ ورجليّ وأصابعي.

وفي كل يوم كنت أفحص طاقتي الجسدية. كنت على قناعة أن في امكاني التحرك اذا ما ركزت بقوة وشددت عزيمتي. وأثمرت فكرتي. فبعد أسبوعين أحسست بعضلة في ركبتي تنتفض، فاعتقدت أننيَ نجحت. وأثارني هذا

الاكتشاف الذي توافق مع ما أكده لنا بعض الاطباء من أن مرض "غيان - باريه" يبلغ مستوى يستقر عليه، ثم يبدأ المريض العودة الى حاله الطبيعية. فهل يصح ذلك علي؟ وهل بدأتُ طريق العودة الطويلة؟

كنت مغتبطة أنتظر بصبر نافد لكي اخبر بيل النبأ السارّ. فحالما وصل تهجأت له كلمتي "رجلي تتحرك،" وجعلت العضلة تنتفض لكي يرى بعينه.

فصاح: "هاي! إنها تتحرك حقاً. أعيدي تحريكها!"

ولكن صعب علي كبت شعوري بالخيبة حين توالت الايام من دون تحسّن.

كنت طلبت من بيل أن يبتكر شيئاً كإشارة او زر كهربائي لدعوة الممرضات. وأخيراً جاء ذات يوم ومعه رزمة فيها أجراس مجلجلة مربوطة بسلسلة وضعها بعناية على فخذي. ثم قال: "حركي ذلك العضل." ففعلت، وسقطت السلسلة وجلجلت الاجراس. وكانت ممرضة مارة من هناك فتوقفت وسألت ما سبب الصوت. فأخبرها بيل بالامر، وشرح لها وللموظفين الآخرين أن الاجراس ستكون اشارة دعوتي اياهم. وبيّن لهم كيف يعيدونها الى وضعها الصحيح.

وعلى رغم هذا الاختراع المبدع استمرت مخاوفي ولم تهدأ. واستيقظت ذات يوم، فاذا بممرضة قد أتت لضبط جهاز التنفس ففصلت جهاز الانذار لكي لا ينطلق أثناء عملها ونسيت أن تعيد ربطه.

شعرت بالخوف ينهشني. ماذا لو كان هناك خطأ في ضبط جهاز التنفس؟ فأنّى لي أن ألاحظ ذلك وكيف أنبه الممرضات اليه؟

كنت مستلقية على جنبي. فحاولت أن أنظر نزولاً لاتحقق مما اذا كانت رئتاي تعملان. وقد كنت اتنفس فعلاً، اذ لولا ذلك لغبت عن الوعي.

حدّقت الى جهاز التنفس، فبان في حال حسنة. لكني خشيت الا يكون كذلك، فأخذ قلبي يخفق بسرعة.

لمحت بطرف عيني حركة فقلبت الاجراس، ولكن أحداً لم ينتبه الي. وبقيت أكثر من ساعة لا سبيل لي الى طلب المساعدة. وانتظرت وجِلة الى أن أقبل أحدهم.

أومأت بعيني الى جهاز الانذار، ففهم الممرض وأعاد ربطه. فرحت أبكي. فمسح الممرض دموعي وقال: "سأتأكد من أن الموظفين سيعيرون هذا الأمر انتباهاً أكثر."

ولكن هل سيفعلون ذلك حقاً؟

في نهاية ديسمبر (كانون الاول) لاحظ أحد الاختصاصيين بالمعالجة الطبيعية بعض القوة في رئتيّ. لكن بطء الاستجابة على أثر انتفاضة عضلة رجلي جعلني أتحاشى التأثر والابتهاج لعلامة صغيرة. وفي اليوم التالي توقفت الرئتان عن كل حركة تلقائية. ولكن بعد يومين ظهرت دلائل على قدرتهما على العمل، فسمحت لنفسي ببعض التفاؤل.

في ١٥ يناير (كانون الثاني) تحرك رأسي قليلاً، انما بارادتي. وكان بيل يجري بحثاً عن طبيعة مرض "غيان - باريه" في مكتبة كلّية الطب في بايلور. فشرح لي كيف

يهاجم المرض غلاف الاعصاب الخارجية، وأحياناً الاعصاب ذاتها فيتلفها ويسبب الشلل.

وتعود ألياف الاعصاب الى النمو ببطء بمعدل ٢،٥ سنتيمتر في الشهر. ونظراً الى طول قامتي البالغ ١٨٣ سنتيمتراً سيستغرق اكتمال النسيج وقتاً طويلاً.

## خطوات الى الامام

فيما زادت قدرة رئتي على مساعدة جهاز التنفس قليلاً بدأ المعالجون يعدّون قوة الجهاز لفترات قصيرة لكي تعمل رئتاي بجهد أكبر. وكان هذا الوضع الجديد مخيفاً، اذ كان الجهاز يتوقف ليدفعني الى التنفس. واذا مرّ عدد معين من الثواني لم أتنفس فيها كفاية، وكانت تبدو لي كأنها الابدية، زودني الجهاز بضع تنفسات ثم توقف ثانية.

أرهقني هذا التنفس غير المنتظم وأستنزف قوتي.

وتدريجاً، كل ثلاثة أيام أو أربعة، كان يخفض عدد "التنفسات في الدقيقة" بواسطة الجهاز. وأخيراً في يناير (كانون الثاني) ١٩٨١ عدلت الممرضتان المفضلتان لدي، هاريبيت وكاي، سرعة جهاز التنفس بحيث أتنفس لفترة وجيزة من دونه.

لكني لم أشعر أن ثمة جديداً قد حدث. فقالت لي كاي مشجعة: "انك تفعلين حسناً يا سو، ركزي على التنفّس."

هتفت هاريبيت: "أنظري، أنها تتنفس قليلاً."

ومرت دقيقة، ثم نصف دقيقة.

فهتفت الاثنتان: "ثابري يا سو، لا تتوقفي. ها أنت تتنفسين. حاولي لثلاثين ثانية أيضاً."

ثم أعادت كاي ربطي بجهاز التنفس وأعلنت: "تنفّسّ لدقيقتين! لقد نجحت!"

كانت تلك لحظة مجيدة حاسمة نقلتني من جحيم اليأس الى نعيم الامل بالحياة الطبيعية والانعتاق من عبودية جسدي.

لقد خطوت خطوة الى الأمام في طريق الشفاء. وسَرَت عدوى ابتهاج ممرضتّي في أرجاء المستشفى وكدت لا أقوى على انتظار موعد قدوم بيل في المساء لأزف اليه الخبر. وحين جاء لم أبادره بأي تذمر أو شكوى. وقبل مغادرته طلبت منه بالتهجئة أن يضمّني، فأزاح غابة الانابيب والاجهزة من حولي. وحين شدّني اليه انهملت دموعه.

سرت قُدُماً في طريق الشفاء. وبدأت أجلس في كرسي المقعدين لبناء قوتي. في اليوم الاول بقيت في الكرسي لمدة ٣٠ دقيقة.

واذ جلست تمكنت أخيراً من رؤية رجليّ وذراعيّ. فراعني ما شاهدت. قدر تشارلز وزني بـ٤٠ كيلوغراما. وكانت عظامي ناتئة من كل الجهات، وتلك كانت مشكلة تضايقني حين أكون مضطجعة وتزداد لدى جلوسي، اذ يتركز ثقلي في مساحة ضيقة. فبعد بضع دقائق في كرسي المقعدين كانت عظامي النافرة تخز جلدي الهزيل.

وازدادت قدرتي على الجلوس في الكرسي حتى بتّ أستطيع البقاء لمدة ساعتين ونصف ساعة في منتصف فبراير (شباط).
وكانت الخطوة التالية نزع الانبوب المغروز تحت الترقوة والذي ظل يغذيني على مدى شهرين. فشعرت بارتياح هائل، ليس فقط لخلاصي من الانبوب وإنما أيضاً لخلاصي من روابط المجسّات التي غالباً ما أطلقت جهاز الانذار.
وبعد أسبوعين قطعت مرحلة مهمة اذ أستطعت البلع وان قليلاً. ومضت عدة أيام قدم الدكتور مونكل بعدها وأخذ لائحتي ودرسها.
وسأل: "ماذا قدمتم اليها من الاكل والشرب منذ بدأت الابتلاع؟"
أجابت الممرضة: "لا شيء في علمي."
فقال: "اعطوها بعض رقاقات الثلج." وكانت فكرة رقاقات الثلج رائعة، ووقفت اليزابيث مأخوذة مترقبة.
أقبلت الممرضة حاملة كوباً من الثلج المسحوق ومدّت يدها نحو الدكتور مونكل لا تدري ماذا تعمل، فأخذ من الكوب رقاقة صغيرة وضعها على لساني. كانت الرقاقة باردة رطبة ولذيذة، لكني أخذت أفكر في طريقة ابتلاعها. ركّزت كل تفكيري وأغمضت عيني منعاً للتشتت. واذا بي أحسّ عضلات حنجرتي تتحرك في منتهى البطء، وتنزلق رقاقة الثلج ذائبة فيها. فيا للحدث المثير! ها قد اجتزت مرحلة سعيدة أخرى في كفاحي الطويل، وسعادتي تفوق الوصف.
قال الدكتور مونكل للممرضة: "أعطيها كل ساعتين بعض رقاقات الثلج وأي شيء يسهل عليها تناوله."
سررت جداً لكون اليزابيث شهدت الحدث المثير، وهي غالباً ما شهدت أموراً سيئة. وقالت: "أكاد أعجز عن وصف غبطتي، ولا يسعني الانتظار لأخبر والدي النبأ السار."
في ٩ مارس (آذار) تنفّست من دون مساعدة جهاز التنفّس منذ الصباح الباكر حتى المساء، وكنت من قبل أتنفس من دونه إنما مدعومة بالأوكسيجين. وفي اليوم التالي قررت التخلي كلياً عن التنفس الاصطناعي.
في تلك الليلة كان تنفّسي خافتاً ضعيفاً لكنه لم يتوقف فقد بتُّ أقدر أن أنام وأتنفس تلقائياً. وبعد يومين أخرج جهاز التنفس من حجرتي وصرت مؤهلة للخروج من غرفة العناية الفائقة الى غرفة عادية.
لازمني التعب في كل الاوقات وعرفت أني أعاني مشكلة. فأمر الدكتور لوهمان باجراء فحص بالاشعة السينية (اكس). فتبين أنني مصابة بذات الرئة. قيل لي: "انها اصابة خفيفة ليس فيها ما يقلق." ومع ذلك فقد غرقت في اليأس لدى اعادة جهاز التنفس الى حجرتي بعدما شارفت الخروج من غرفة العناية الفائقة.
بلغت القرارة في هذه المأساة التي تأبى الا أن أبقى صريعة المرض. ورحت أتساءل: هل من نهاية؟ وهل سيتاح لي التخلص من هذه البراثن المرعبة؟
مرّ شهر مارس (آذار) وعبقت الطبيعة بأنفاس الربيع وزاد اعتمادي على التنفس

الطبيعي، الى أن حلّ ١٧ ابريل (نيسان) وتقرر نقلي الى غرفة عادية في قسم العناية المتوسطة.

على رغم صراعي أشهراً طويلة في غرفة العناية الفائقة فقد كانت لي فيها ذكريات عاطفية مؤثرة لأناس عطوفين حقاً، كعاملات التنظيف. فقد كنّ يربتن يدي مطمئنات حين يدخلن حجرتي. وقالت لي احداهن: "كنت البارحة أصلي لك."

وأخيراً أقبل تشارلز وجرّني في كرسي المقعدين خارج الغرفة.

أُدخلت الغرفة الرقم ٣١٩. فلقيت أمي وبيل في انتظاري. وزادت سعادتي حين لاحظت أن هناك نافذة الى جانب سريري، نافذتي أنا!

أمضى بيل تلك الليلة نائماً في غرفتي على الأريكة. وللمرة الاولى منذ أربعة أشهر ونصف شهر شعرت بعالمي الصغير مستكناً دافئاً آمناً.

كانت ممرضات خاصّات يقمن على خدمتي، هنّ إيلين وايفون في بحر الاسبوع، ومارجان في نهاية الاسبوع. وحين تأتي إيلين في السابعة صباحاً أتناول فطوري وأدويتي عبر الانبوب. وتبدأ على الاثر المعالجة الفيزيائية. ويحين وقت الغداء فتدفع ايلين ما أمكن من الطعام في فمي وحنجرتي لكي تتحرك الاعصاب. لكن ذلك كان مؤلماً جداً وبطيئاً. وبعد ذلك أعود الى المعالجة الفيزيائية.

واذ بدأ بعض أجزاء جسمي يتحرك طلب مني تشارلز تأدية بعض التمارين في الليل.

كنت أنام عادة طوال الليل، مع انقطاعين قصيرين حين كانت الممرضة تقلبني بحسب التعليمات. وابتكر بيل طريقة تمكنني من طلب الممرضات، وهي مفتاح كهربائي رَبَطه بحاجز سريري بالقرب من مرفقي ووصله بزر استدعاء الممرضات. وبلمسة من مرفقي الذي غدوت قادرة على تحريكه قليلا، كان ضوء الاستدعاء ينبعث في غرفتي وعلى بابها وفي مكتب الممرضات.

وذات يوم، وقد يئست من رؤية شعري الطويل المبعثر، وجدت إيلين حلاقاً قصّه لي وهندمه. ولدى انتهاء القصّ قال: "انظري الآن كم تبدين أنيقة."

وأدار الكرسي غير مكترث لاحتجاجي. وتطلّعت في المرآة فرأيت صورتي للمرة الاولى بعد خمسة أشهر. فهالتني حالي المريعة وكاد يغمى علي. فقد كان نحولي مخيفاً ووجهي هزيلا ملتوياً الى جانب واحد تشده عضلات تالفة، وأنبوب المعدة يمتد من منخري الأيسر الى تحت ذقني.

حاولت رفع يدي لالمس جلدي، لكني عجزت عن تحريكها. فقلت في نفسي: لا بأس، لم يبقَ شيء من المرأة التي أذكرها.

كان العلاج الفيزيائي يدوم ساعتين في الصباح وساعتين بعد الظهر. وكانت عضلاتي كلها تلفت، فتعين علي وعلى تشارلز أن نعيد القوة الى كل منها، مما يعني تحريك المفاصل أولا.

خلال أشهر الشلل الطويلة تكونت في المفاصل ترسّبات كلسيوم اقتضى تحللها كي أستعيد قدرتي على التحرك. كنت استجمع قواي وأستعد لتحمل الالم حين يدفع تشارلز كتفي ويحلحل تصلّب المفاصل، ويدفع بأطرافي الى أبعد ما أمكن ويقسو فيزيد في دفعها قليلا.

كنت أجاهد للاحتفاظ برباطة جأشي وتفادي الانهيار. لكني كنت أعاني آلاماً مبرّحة لا قبل لي بتحملها، فأصرخ من شدة العذاب وتنسكب دموعي مدرارة كل يوم.

في ١١ مايو (أيار) بعد الانتهاء من جلسة المعالجة بعد الظهر أجلسني تشارلز على الطاولة، ورفعني بيديه القويتين لكي تتدلى رجلاي عن جانب الطاولة في محاولة لكي أتمسك بطرفها وأقف لوحدي.

وقال وهو يبتسم: "حان الوقت يا سو لتتمرني على الوقوف." وأمسك جنبيّ بيديه وساعدني على النهوض ببطء. فتمكنت من الوقوف بعد جهد مضن. تأثرت لهذا الانجاز المدهش وطفحت عيناي بالدموع وارتسمت ابتسامة الظفر والرضى على شفتي.

وقفت متمسكة بالطاولة نحو دقيقتين ثم أسندني تشارلز وقعدت. وكانت تلك وقفتي الاولى، فاحتفل المعالجون الفيزيائيون بهذا التطور العظيم.

تبعت ذلك احتفالات بانجازات لاحقة. ولكن خلال تناوب هذه الاحتفالات كنت أعاني الكثير من الاوجاع والخيبة.

في ١٤ مايو (أيار) أزيل أنبوب الرغامى من حنجرتي، وأخبرت أني سأستعيد قدرتي على الكلام حالما يندمل الثقب فيها.

واذ وافاني ذلك اليوم المرتقب عجزت عن التفكير في ما أقوله، ولم أكن على يقين مما اذا كان صوتي سينبعث. ووقف بيل في الباب مترقباً، متلهفاً، صامتاً، في قلبه صلاة وفي عينيه وجل.

وبعد تردد طويل ناديته: "هاي، بيل!" فكانت تلك لحظة خالدة في تاريخ حياتي جاءت مكافأة لما عانيته من عذاب نفسي وجسدي. وكدت أطير فرحاً. فتبسّم بيل وتبسّمتُ انا وغلب علينا التأثر فبكينا.

وحين آذنت زيارته بالانتهاء انحنى ليقبلني. فقلت له هامسة وقلبي يفيض غبطة: "أحبك."

قال: "لكم انتظرت آملا أن أسمعك تقولين لي هذا، يا سو."

## الخطوة الاولى

بعدما كان تشارلز سندي وعضدي وصديقي في البداية، أصبح آمراً يوكل الي الاشغال الشاقة.

ذات يوم ساعدني فوقفت على قدميّ. وأمرني: "حسناً، يا سو، إرفعي قدمك وامشي خطوة واحدة."

فركزت جهدي على كل عضلة ومفصل في قدمي اليسرى. فأبت العضلات والمفاصل

أن تتحرك في البداية، لكنها عادت فاستجابت ببطء لاوامري: فخطوت خطوة واحدة!
"والآن حاولي الخطو بالقدم الاخرى."
كرّرت المحاولة، فركزت كل فكري وقوتي وأصدرت الاوامر الى قدمي اليمنى. جررتها ببطء قليلا جدا، إنما كانت تلك خطوة.

هتف تشارلز: "لقد نجحت يا سو، لقد نجحت! كثيرون في هذا المستشفى راهنوا على أنك لن تستعيدي تحركك، لكنهم على خطأ. فقد مشيت!"

ولكن في مقابل كل طلعة كانت هناك نزلة. ففي ١٥ يوليو (تموز) بعد انقضاء سبعة أشهر ونصف شهر شعرت بأنني ما زلت عاجزة بائسة وأسيرة مرضي. في غرفة العناية الفائقة تغلبت على الخوف والحنق والتذمّر، والآن أكافح للتغلب على كآبتي ولرفع معنوياتي المنهارة بفعل أوجاع المعالجة.

وفي سبتمبر (أيلول) كانت هناك خطوة مهمة أخرى. فقد التقطت شوكة بيدي الاثنتين، ووضعت شيئاً في فمي. وأحضرت لي مارجان كوباً ذا مسكتين فأصبح في امكاني الشرب من دون مساعدة أحد. ولفت مسكة فرشاة الاسنان بقماش فصار في إمكاني القبض عليها.

وتسارعت البدايات السعيدة. وكان أول استحمام محبياً، وأول همبرغر لذيذاً جداً. وبدأت أمشي في أرجاء المستشفى. وساعد الاجهاد في تقوية رئتي، وما لبثت أن بدأت أمشي في ممرات الجناح حيث غرفتي من دون توقف للراحة.

في أكتوبر (تشرين الاول) مُنحت اذناً بقضاء أول عطلة أسبوع خارج المستشفى، تبعته أذونات أخرى. وأخيراً قرر الدكتور لوهمان انني أصبحت مؤهلة لمغادرة المستشفى، لكنني أحتاج الى ممرضة لخمسة ايام في الاسبوع للعناية بي وبعلاجي ولأخذي في أوقات منتظمة الى المستشفى لتلقي العلاج الفيزيائي الضروري. وما ان علمت الممرضة مارجان بذلك حتى انبرت فعرضت أن تكون ممرضتي.

وهكذا بتّ جاهزة للعودة الى البيت نهائياً.

كان يوم الجمعة ١٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨ يوم سعدي. فقد أوصلت الى غرفتي كعكة حلوى كبيرة رائعة، وعم الخبر المستشفى أن سو، بعد اقامة نحو سنة، هي الآن على أهبة مغادرة المستشفى. فاحتشد الموظفون في غرفتي للاحتفال بالحدث السعيد ولتهنئتي على خلاصي. وتأثرت بعاطفتهم النبيلة وشكرتهم ممتنة.

غادرت المستشفى وكأني عصفور طال سجنه فانطلق في سماء الحرية يبسط جناحيه لأشعة الشمس الدافئة ويسكب روحه تغاريد شجية ساحرة. شكراً لله المبدع، خالق الكون والجمال.

وما ان لمحت منزلنا حتى خفق فؤادي تأثراً. وكانت الشجرة الكبيرة أمامه ملفوفة بشريط أصفر رمز ترحيب بعودتي. وأغصانها كأنها أكف مرفوعة بابتهال الى الله لشفائي. وغمرتني النشوة. وضمّني المنزل. وكانت ليلة فرح وشكر. لقد بات في امكاني أخيراً بناء قوتي وحياتي طليقة من قيود المرض.

مرت سبع سنوات على مغادرتي المستشفى. وما زلت أندهش لتقدمي. فها أنا اليوم (١٩٨٩) قادرة على استخدام عضلات كانت لستة أسابيع خلت عديمة الفائدة.

لدى عودتي الى البيت كنت لا أقوى على المشي من دون عكازات ولا على قضاء حاجاتي الخاصة وارتداء ملابسي. كنت كطفل صغير، أتلقن كل شيء مجدداً.

في مايو (أيار) ١٩٨٢ شعرت بأنني بتُّ قادرة على ضبط شؤوني الخاصة وأن الوقت حان للاستغناء عن ممرِّضة، إذ بفضل تدريب مارجان صرت قادرة على خدمة نفسي والقيام بمعظم الاعمال المنزلية.

الا أني بقيت أعاني مشاكل في التوازن. وفي ابريل (نيسان) ١٩٨٣ غلبت علي الحماسة فخطوت في منعطف من دون أن يكون هناك ما أستند اليه. فسقطت أرضاً وانكسر مرفقي مما قهقرني.

وحتى بعد مرور خمس سنوات لم يمكنني أن أنهض عن الارض فأركع على ركبتيّ ثم أستوي واقفة من دون مساعدة. لكنني قادرة على ذلك حالياً، وتوازني في تحسن مطرد. في استطاعتي تحريك أصابع قدمي، لكنني أعجز عن عقفها لاتمكن من حفظ توازني. وفي الخارج أضع رجلي في مشبكين بلاستيكيين، لكن تشارلز أكّد لي أنني سأستغني عنها حالما أصير قادرة على رفع أصابع قدمي وعقفها.

أركب دراجة ثابتة "أقطع" بها كيلومتراً ونصف كيلومتر يومياً. وأقضي ٢٠ دقيقة على الارض أمرِّن خلالها كل أعضاء جسمي. وأسبح ساعة كل مساء في الفصول الدافئة.

ويعتريني بين الفينة والاخرى شعور بالأسى لما أعجز عنه، ثم لا ألبث ان اعود بالذكرى الى ما كنت فأشعر بالعزاء. واني أحمد الله الذي أسبغ علي نعمة الشفاء، وأشكر عائلتي وأصدقائي الذين واسوني وعضدوني بمحبتهم وصلواتهم فعدت الى حياة تكاد تكون طبيعية، بل هي حياة مميزة!

**سو باير وماري زيمث شوميكر ■**

ترجمة الياس عقل

**تلقي سو باير حالياً محاضرات في الهيئات الطبية والاجتماعية حول أهمية العناية الانسانية العطوفة بمرضى المستشفيات. وكتابها "السرير الرقم ١٠" هو ضمن المقررات الدراسية في عدد من كليات الطب والعلاج الفيزيائي.**

---

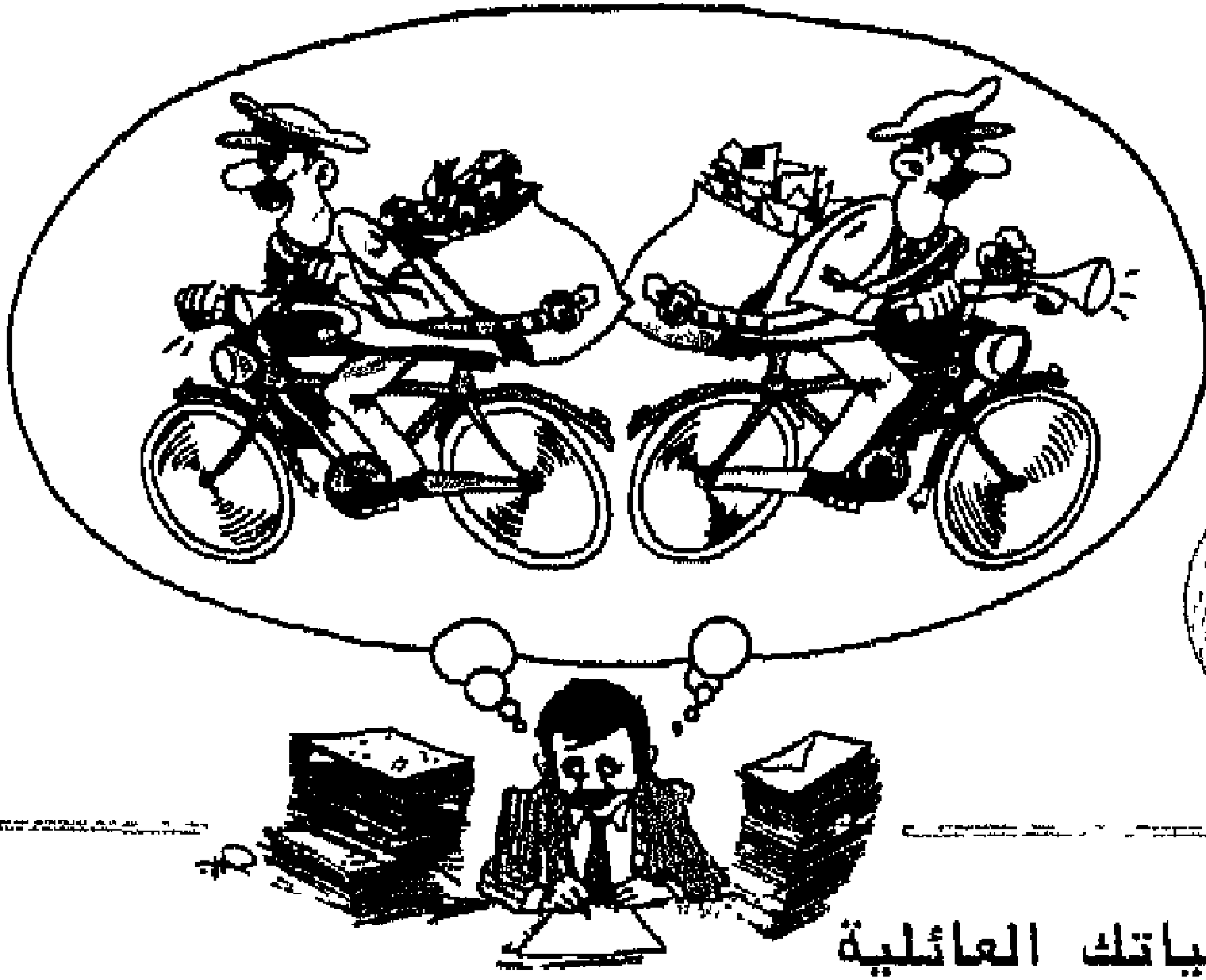


## المال لا يصنع الرجال

لا قيمة كبيرة للمال. فمن يملكه هو القيِّم، واذا لم يكن كذلك فحري به أن يكون فقيراً. فلا شيء أكثر اثارة للاشمئزاز من مغفل يملك مالاً.

خ. ف.

# اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

**صور من الحياة:** القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

**تأملات معاصرة:** مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

**حديقة أفكار:** أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

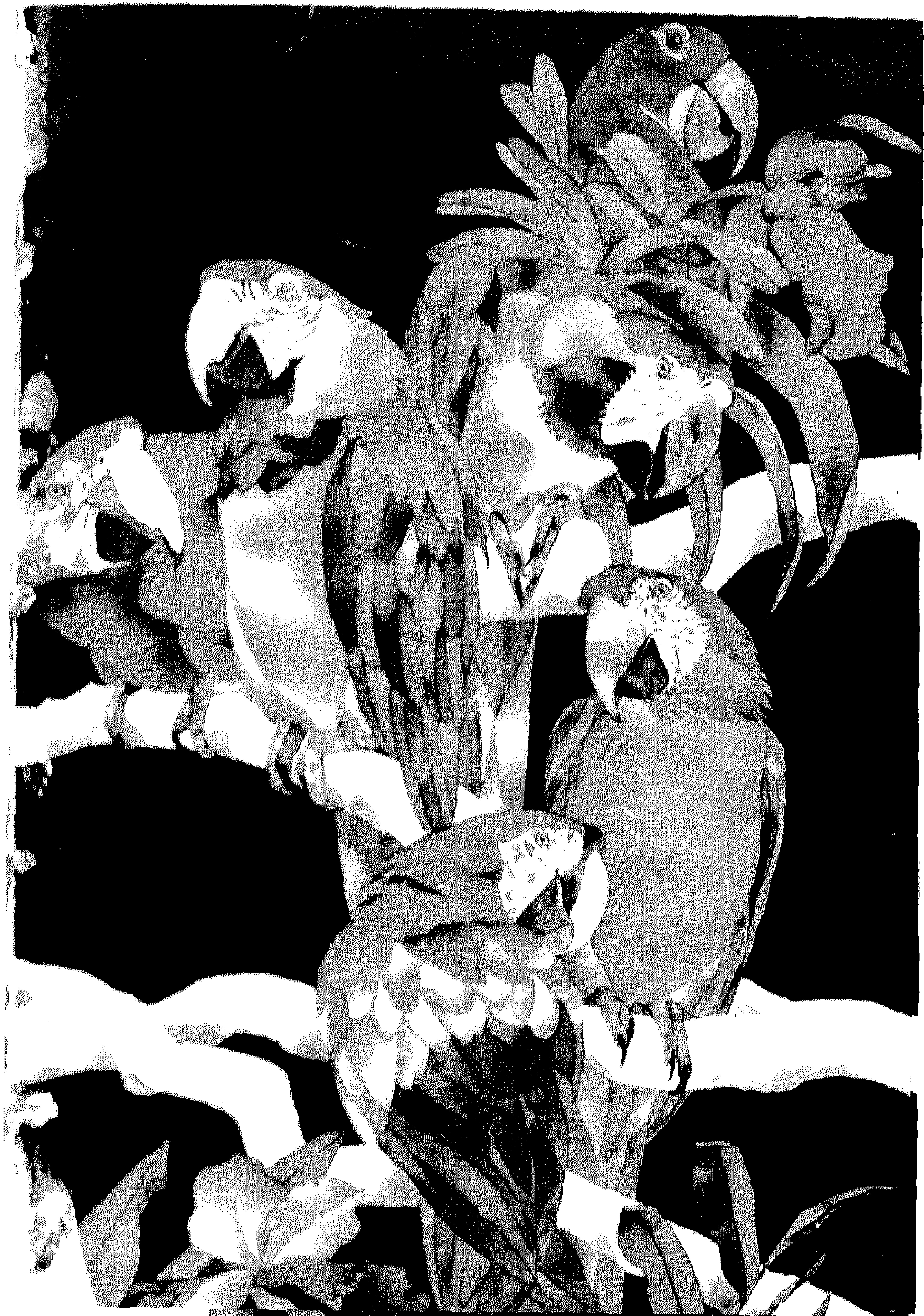
**الضحك خير دواء:** تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

**السدات:** هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

## شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفدا ، [illegible] ٥٥٤٣٤ [illegible]



"سهرة الببغاوات" مائية للرسامة الأمريكية بربارة: والاس